

حضرة صاحب الجلالة

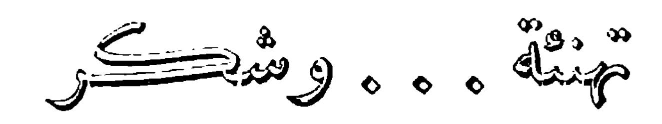
الملك فاروق الأول

ملك مصر



الجزء الاول من المجلد الثامن عشر بعد المئة

٢٤ يناير سنة ١٩٥١ — ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٧٠



تهنئة ... وشكر

أحيي قراء المقتطف أحسن تحية وأتمنى لهم أطيب الأماني وأن يقضوا كل لحظة من لحظات العام الجديد في سعادة وأمن ورخاء، وان يوفق الله المقتطف أن يكون في عامه الجديد، كما كان في الأعوام السابقة، حاملاً لواء العلم والأدب والفن للعالم العربي الشرقي، وهو لا يألو جهداً في أن يقطف لهم في كل شهر ثمرات العقول والقرائح الانسانية الناضجة، مبسوطة في بحوث من العلم والأدب والفن.

ويسرني بهذه المناسبة أن أسجل أن المقتطف في عهده الجديد، يلاقي رواجاً عظيماً واقبالاً كبيراً، وهذا تقدير ولا شك يسجل هنا بالحمد والشكر والثناء.

أما الأصدقاء والزملاء الكرام الذين أعربوا لي عن تقديرهم لجهودي، ووضعوا حسن ثقتهم بي، فاني أسأل الله أن يقدرني على تحقيق هذه الثقة الكريمة، والآمال العظيمة التي وضعوها في شخصي الضعيف، فانه ليتعيَّن عليَّ ازاء هذا الاقبال وهذه المناصرة الثمينة التي لم يبخل عليَّ بها حضرات المشتركين والكتّاب معاً — أجل يتعيَّن عليَّ ألاَّ أكتفي بالمثابرة على الخطة المثلى التي طالما أعربوا لي عن ارتياحهم اليها، بل أخطو خطوات أخرى إلى الأمام لأظل أهلاً للثقة التي شرفوني بها واني لأعدهم بذلك، تاركاً لهم تقدير ما سأبذله من جهود صادقة في أداء رسالة المقتطف العلمية والأدبية والفنية على أحسن وجه

ولا يفوتني كذلك أن أذكر حضرات السادة الأساتذة من الزملاء والأصدقاء والاخوان أصحاب الصحف والمجلات العربية والافرنجية في مصر والأقطار العربية الشقيقة ، وما أضفوه على شخصي الضعيف من تهنئات أعلم انها صادرة من قلوب نبيلة خالصة صادقة ، كان لها أجل الوقع في نفسي ، مما حفزني وشجعني على النهوض بالمقتطف الى أسمى مكانة ، وزيادة التضحية في سبيل أداء رسالته العلمية والأدبية ، فلهم جميعاً أزجي خالص الشكر والحمد والثناء ، وأسأل الله أن يقدرني على رد جميلهم .

وأرى لزاماً عليّ أن أوجه الشكر لحضرات الكتّاب من العلماء والأساتذة الذين أمدوا المقتطف بخلاصة بحوثهم العلمية والأدبية والفنية راجياً أن يواصلوا معاونتهم للمقتطف في عامه الجديد ، كما واصلوها في السنين السابقة ، ليتسنى للمجلة السير قدماً الى الامام في متابعة الحركة العلمية والأدبية ، والمحافظة على تأدية الرسالة العلمية والثقافية التي أنشئت لأجلها .

* * *

والله أسأل أن يؤيد خطواتنا وخطواتهم في خدمة العلم والأدب ، وان يمدنا بعونه ويوفقنا في جميع أعمالنا ، ويلهمنا الحق والصواب فيما نقول ونكتب وأن ينشر الأمن والطمأنينة والسلام في ربوع المسكونة جمعاء ، وان يجنب العالم أجمع وبخاصة الكنانة كل شر وضر ، وأن يرعاها بعين رعايته في ظل جلالة الملك المفدى فاروق الأول — راعي العلم والعلماء

دار المقتطف في أول يناير سنة ١٩٥١

اسكندر جبرائيل (?)
رئيس تحرير المقتطف



خطاب معالي الدكتور طه حسين باشا
وزير المعارف

الجامعة شعلة قوية حرة

ملأت العقول نوراً والقلوب حرارة

مولاى صاحب الجلالة

باسم هذه الجامعة اساتذتها وطلابها أرفع الى جلالتكم أصدق الشكر وأعمقه وأخلص الحمد وأوفره، لهذا الفضل العظيم الذي شملتمونا به حين تفضلتم ورضيتم أن تشهدوا هذا الحفل. وان هذا الشكر العميق الذي أرفعه الى جلالتك يا مولاى لايعبّر عن شعور هذه الجامعة وحدها وانما يعبّر عن شعور الجامعات المصرية كلها، بل يعبّر عن شعور الذين يعنون بالعلم يدرسونه ويعلمونه في جميع أقطار مملكتك. ذلك أن تشريفكم هذا الحفل انما هو مظهر من مظاهر هذه العناية السامية التي تشملون العلم والعلماء بها منذ ارتقيتم الى عرش آبائكم الكرام

إنا نحتفل اليوم بالعيد الفضي لهذه الجامعة التي أنشأها والدك العظيم والتي تشرف بأن تحمل اسمه الخالد، فمنذ خمسة وعشرين عاماً أصدر والدك العظيم قانوناً ينشىء هذه الجامعة كما هي الآن ولكن هذه الجامعة نشأت قبل ذلك بأعوام طوال، نشأت في اوائل هذا القرن حين فكّر جماعة من صفوة المصريين في ان يستنقذوا بلدهم من مخالب الجهل، ومن مخالب العلم المتوسط الذي لايكاد يغني عن أصحابه شيئاً، حين فكّر جماعة من صفوة المصريين في ان يتيحوا للمصريين أن يطلبوا العلم العالي والثقافة الممتازة، وان يطلبوها في بلادهم دون ان يضطروا الى ان يتغربوا أو يهاجروا من بلادهم

هؤلاء الذين فكروا في هذه الجامعة لم يحتاجوا الى تفكير طويل ليختاروا لهم رئيساً

وقائداً ، وإنما فكروا قليلاً ثم أسرعوا الى والدك العظيم الأمير احمد فؤاد يطلبون اليه ان يكون رئيسهم وقائدهم، وان ينشيء معهم هذه الجامعة . وفي سنة الف وتسعمائة وثمان[1] افتتح والدك العظيم هذه الجامعة داعياً شباب مصر الى ان يقبلوا عليها ليتعلموا وليأخذوا العلم من موارده الصحيحة ، وقد كان والدك العظيم ملهماً يا مولاي. فانه حين أنشأ هذه الجامعة لم ينشيء معهداً من معاهد العلم العالي فحسب، وانما انشأ معهداً من معاهد تحرير المصريين تحرير عقولهم وقلوبهم ودعائهم الى الحرية الكاملة

إن الذين يذكرون الحركة الوطنية في اعقاب الحرب العالمية الكبرى ، يجب — حين يذكرونها وحين يؤرخونها — أن يضعوا بين المؤثرات التي دعت اليها واثارتها انشاء هذه الجامعة التي كانت أشبه شيء بالشعلة القوية الحرة ، أقامها والدك وسط القاهرة فانبعث نورها وانبعثت حرارتها . فملأت العقول نوراً والقلوب حرارة ، ولم يكن والدك العظيم يا مولاي مغروراً ولا متواضع التفكير ولا قانعاً بصغار الأمور، وانما كان متواضعاً في نفسه كبيراً في آماله وأمانيه ، كبيراً في مطامعه لوطنه أيضاً

فهو قد فهم منذ انشأ هذه الجامعة ان العلم يجب ان يكون فوق الاجناس وفوق الوطنيات ، وان العلم لا وطن له ، وان العلم هو الميدان الوحيد الذي يتلقى فيه الناس من حيث هم ناس ،يشعرون ويفكرون ، وان الاحتلال الأجنبي يا مولاي قد اضاع على وطنه وقتاً طويلاً ولا بد من أن يعوض هذا الوقت . ومن أجل هذا طلب العلماء في جميع أقطار أوروبا ، جاء بهم من فرنسا ومن بريطانيا العظمى ومن ايطاليا ومن المانيا ، وأذكر يا مولاي انه احتاج الى ان يلقى امبراطور المانيا بصفة خاصة ليستعينه على أن ترسل المانيا الى مصر بعض المستشرقين

ولم يكن يقصر في جهد ، ولم يكن يتردد في احتمال مشقة مهما تكن . وانما كان يرى الاشياء كما هي ويأخذ لها عدتها كما ينبغي ، ويسعى في تحقيقها وكتب الله له التوفيق في كل ما سعى اليه

هذه الجامعة التي انشأها والدك العظيم في أوائل هذا القرن امانه على انشائها صفوة

(١) المقتطف : راجع ما تنبأ به المغفور له الدكتور يعقوب صروف من نجاح الجامعة المصرية والتعليم الجامعي ونشره في مقتطف شهري يونيو وأغسطس سنة ١٩٠٨



حضرة صاحب المعالي الدكتور طه حسين باشا
وزير المعارف العمومية

بريشة الاستاذ والي رسام الاهرام







حضرة صاحب السعادة محمد كامل مرسي باشا
مدير جامعة فؤاد الأول

من المصريين لا أذكر منهم الأحياء ، وانما أذكر منهم بعض من انتقل الى جوار الله . أذكر سعد زغلول وأذكر حسين رشدي وعبد الخالق ثروت وقاسم أمين والدكتور علوي . وأعانه عليها جماعة من خيرة العلماء الأوروبيين فمضى بعضهم نحبه وبعضهم يشهد معنا هذا الحفل يا مولاي . فللذين قضوا نحبهم أرسل تحية هذه الجامعة وأرسلها حارة خالصة مقدسة . وأذكر منهم يامولاي شخصاً كان والدك العظيم يحبه ويؤثره ايثاراً شديداً هو الاستاذ (كارلو نللينو) وأذكر من الأحياء شخصاً كان والدك يحبه ويقربه ويدنيه وهو بيننا الآن (الاستاذ ليتمان)

ولم تكن المصاعب التي وجدها والدك في تقوية هذه الجامعة وتنشئتها يسيرة ، فقد كان السلطان في ذلك الوقت لا يكتفي بانه لا يعترف بالجامعة ، وانما كان يبث المصاعب أمامها خشية أن ينتشر النور في مصر وأن يستيقظ المصريون ومع ذلك فقد انتشر النور واستيقظ المصريون . ولم تلبث هذه الجامعة الناشئة ان آتت ثمرها يامولاي في وقت قصير ، واني استأذن جلالتك في أن أترك التواضع دقيقة أو بعض دقيقة لأقول أن وزير المعارف الذي يشرف بالحديث الآن بين يدي جلالتك انما هو الثمرة الاولى لغرس فؤاد الاول .

على أن فؤاداً لم يكن ينسى ولا يحب الذين ينسون ، فلم يكد يرقى الى عرش محمد علي واسماعيل حتى ذكر جامعته ، وحتى أبى إلاّ أن تكون هذه الجامعة هي الجامعة الاولى في مصر بل هي الجامعة الأولى في الشرق العربي كله .

ففي سنة ١٩٢٥ أصدر قانوناً ينشىء هذه الجامعة ويفرضها على السلطان فرضاً . منذ ذلك الوقت أخذت هذه الجامعة تعمل قوية حازمة ماضية في طريقها ، لا تتردد ولا تتلكأ ولا تخشى شيئاً لأن فؤاداً كان يسندها ويؤيدها ويمنحها معونته ونصره دائماً وما هي إلاّ أن تمضي أعوام حتى تأخذ الجامعة في تخريج الطلاب الذين يؤثرون التأثير العميق القوي في الحياة المصرية كلها من جميع نواحيها بل في الحياة الشرقية كلها من جميع نواحيها . ويكفي أن أقول يا مولاي إنها الى الآن قد أخرجت أربعة وعشرين الفاً ونصف ألف من حملة الليسانس أو البكالوريوس وأخرجت ثلاثة آلاف من حملة الدرجات العليا

الجامعية ، فقدر يا مولاي أثر هذا الجيش العظيم الذي أنشأه والدك وقويته أنت لمقاومة الجهل والغفلة ونصف التعليم ، لا في مصر وحدها بل في الشرق العربي كله .

* * *

منذ عشر سنين يا مولاي كنا نتحدث بأن مصر تمتاز بأنها تقوم فيها جامعتان احداها هي أقدم جامعات العالم وهي الأزهر الشريف والاخرى هي أحدث جامعات العالم وهي جامعة فؤاد . ولكنك أبيت يا مولاي إلاَّ أن تغير هذا كله فلم تصبح جامعة والدك العظيم أحدث الجامعات لانك أبيت إلاّ أن تسلك طريقه وتنهج نهجه وتدفع مصر الى الأمام كما دفعها هو الى الامام . وما هي إلاَّ أن تنشىء الجامعة الثانية التي تشرف باسمك العظيم ، هذه الجامعة التي تحمل اسمك الخالد والتي تعيد الى مصر مجدها القديم حين ترسل أشعة العلم ونوره من وراء البحر الابيض المتوسط فقلنا أصبحت جامعة فاروق الأول هي أحدث الجامعات ، وتقدمت جامعة فؤاد الأول في السن شيئاً ، وظلت مصر ممتازة بأنها البلد الذي فيه أقدم الجامعات وأحدثها ولكنك أبيت الاَّ أن تدفع جامعتك الأولى إلى شيء من تقدم السن وأن تأبى أن تكون هي أحدث الجامعات فأنشأت جامعة ثالثة هي جامعة محمد علي ، ولم نكد نفكر في هذه الجامعة ونوازن بينها وبين أختيها حتى سبقتنا وأنشأت جامعة ابراهيم ، كأن بينك يا مولاي وبين الجامعات خصومة ، تأبى على كل واحدة منها أن تكون أحدثها وأصغرها سناً .

في هذه المدة القصيرة منذ رقيت الى عرش آبائك أنشأت جامعات ثلاث وكلأت جامعة والدك بهذه الرعاية التي أتاحت لها أن تنمو وتسمو وتنتشر ، وتنشىء من المعاهد ما لا أكاد أحصيه ، وتنشىء مكتبة لها خطرها بين مكاتب الشرق بل بين مكاتب العالم الاسلامي كله .

في هذه المدة القصيرة أنشأت هذه الجامعات ونميت جامعة والدك أليس من حقنا أن نحسب لروحك هذا الحساب كله ونعتقد انك صممت ألاّ تريح ولا تستريح وألاَّ تترك المصريين يهدءون قبل أن تكون لهم الجامعات التي ليس منها بد ليكون وطنك كغيره من الأوطان الراقية

مولاي

باسم هذه الجامعة التي أنشأها فؤاد وباسم الجامعات الثلاث التي انهأتها وباسم مصر التي تنعم بوجودك وجهودك وقوتك وشبابك وباسم الحكومة التي يجب أن تكون تحت امرك كلما أردت أن تنشىء معهداً للعلم جامعة هنا وجامعة هناك . باسم اولئك جميعاً وباسم هؤلاء الأصدقاء الأجانب أصدقاء مصر الذين قبلوا دعوتنا ليشتركوا معنا في هذا الاحتفال والذين حضروا الآن ليرفعوا الى جلالتك شكرهم كما نرفع شكرنا .

باسم هؤلاء جميعاً أتوجه الى الله عز وجل ان يمنحك القوة والجلد وان يتيح لك من الحياة الخصبة النافعة ما يملأ مصر والشرق العربي كله حياة ونوراً وان يتيح لك يامولاي ان تحيي الأعياد الفضية لجامعتك كما تحيي الآن العيد الفضي لجامعة والدك .

اطال الله بقاءك يامولاي وجعل حياتك كلها عيداً لعقول مصر ولقلوبها وللشرق العربي كله

خطاب سعادة الاستاذ محمد كامل مرسي باشا

مدير جامعة فؤاد الأول

مولاي صاحب الجلالة

« تعيش الجامعة في فيض من رعايتكم ، وتحيا بسامي عنايتكم ، ولم يزل يتوالى عليها غيث إعزازكم . واليوم تتفضلون فتولونها الشرف العظيم إذ تقبلون الى رحابها وتتوجون بحساكم الكريم عيدها .

مولاي

أستأذنكم في أن أرحب بضيوفنا العلماء الذين نزلوا في رحابكم الكريم ، وأن أشكر لهم جميل استجابتهم لدعوة الجامعة وحميد سعيهم لمشاركتها في الاحتفال بعيدها . وان أهل العلم لاخوة مهما تناءت ديارهم وتخالفت لغتهم ، تربط بينهم وشائجه ، وتدني بعضهم الى بعض أسبابه وقرباته.

ثم مضى سعادته يتحدث بنعمة الله فيبسط أمام ضيوفنا العلماء ، صفحة ماض لنا زاهر مشرق ، تتراءى من خلاله جامعة عين شمس ، وجامعة الاسكندرية ، والجامعة الأزهرية .

* * *

« أما الجامعة التي نحتفل اليوم بعيدها فهي وصل بين حقب هذا الماضي والحاضر وتطلع الى آفاق المستقبل بدأت أول ما بدأت فكرة تدور في رءوس صفوة من قادة الفكر في مصر تداعبها أخيلة ذلك الماضي المجيد ، وتطامنها تلك النهضة العلمية الشاملة التي أرسى قواعدها رأس الأسرة العلوية الكريمة المغفور له محمد علي باشا الكبير وتعهدها ونماها جدكم اسماعيل . ولقد كان توفيقاً مؤاتياً حقاً أن يكون تحقيق هذه الفكرة على يدي والدكم العظيم مذ كان أميراً لما يتبوأ العرش ، فقد أمن رحمه الله بها واحتضنها وبشر بها ودعا إليها ، وقد لقيت دعوته الكريمة آذاناً صاغية وقلوباً واعية ، ثم بسط عليها جناحه فواتاها النجح والتسديد، فامتدت إليها الأيدي بالمعونة والبذل حتى استوت خلقاً سوياً ، وفتحت أبوابها سنة ١٩٠٨ فقرت مصر عينها وطابت نفساً ، وتعلق بعنقها دين لهذا العاهل العظيم . وقد أخذت الجامعة الناشئة تغذ السير ، وتسارع الخطى في طريق تحفه المصاعب وتكتنفه المشاق من كل جانب ، لكنها صبرت وصابرت ورابطت تكلؤها عين أبيكم الساهرة وتثبت أقدامها عوارف بره الموصول ، حتى أذن الله أن يعتلي والدكم العظيم عرش مصر ، فكان النهوض بهذه الجامعة الفتية أمنية حبيبة إليه ، تعلقت بها نفسه الكبيرة فوجه إليها الكثير من جهده وحاطها بالموفور من عنايته وأضفى عليها جزيل العون وسابغ التأييد حتى أن كانت العين تقع منها كل يوم على شيء جديد ، فاستوت على سوقها وانبسطت أجنحتها ، فنهضت بها البلاد نهضة علمية واسعة دفعتها قدماً نحو تحقيق الأهداف العالية الرفيعة التي ترمي إلى كفالة الخير والسعادة للجماعة والفرد ، وساهمت — على قصر حياتها — بنصيب ملحوظ في خدمة العلم وتقدمه متخذة لها بين الجامعات والمؤسسات العلمية مكاناً مرموقاً »

ثم اختتم سعادته خطبته قائلاً : —

إذا كانت عناية الله قد قيضت لجامعتها الأولى المغفور له الملك فؤاد الأول ، فقد كان من نعم الله عليها أن أسلم زمامها من بعده إليكم يا مولاي فنهجتم نهجه ومررتم سيرته فلحظتم الجامعة بعين عنايتكم ، وأمددتم لها رواق رعايتكم ، فدأبت بفضل تشجيعكم وعطفكم مستظلة برعايتكم مسترشدة بتوجيهكم على نشر رسالتها وتثبيتها والتمكين لها حتى تغلغلت في النفوس ، واستقرت في القلوب وآتت أكلها ضعفين .

طابت أيامكم يا مولاي ، فأنتم نعم الراعي الصالح ، سرتم على السنن القويم ونهجتم النهج الكريم ، حملتم اللواء عن أبيكم فرفعتموه بساعديكم خفاقاً عالياً ، وأخذتم عنه مشعل العلم فزدتموه تألقاً وتوهجاً .

حفظكم الله يا مولاي ، ورعى الكنانة بعين رعايته ، وأدام رفدكم للجامعة والجامعيين موصولاً ، وأمدكم الله بروح من عنده .

كلمة الدكتور ليتمان المستشرق الألماني

مولاي صاحب الجلالة

لقد غادرت وطني الأول الى وطني الثاني حيث تراءت أمام ناظري صور لماضي مصر أيام الفراعنة وفي عهد البطالمة وفي زمن الخلفاء والمماليك وعهد الخديوي ثم عهد الملوك

ولا يسعني إلاَّ أن أعرب عن شكري العميق لمصر ولعاهليها العظيمين صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الأول الذي دعاني لمصر لأول مرة وصاحب الجلالة الفاروق الذي شرفني بدعوتي الى ضيافته .

وباسم جميع المدعوين وباسمي أنا أرفع صوتي بهذه الجملة المحببة إلينا جميعاً « عاشت مصر وعاش الفاروق »

الجامعة في سطور

تاريخها .. وأعيادها

ا – تاريخها : –

◎ تكوّن في ١٢ اكتوبر ١٩٠٦ أول مجلس للدعوة للاكتتاب لإنشاء الجامعة ورأس هذا المجلس سعد (بك) زغلول وسميت بالجامعة المصرية وكان في طليعة المكتتبين قاسم أمين وسعد زغلول ومحمد فريد وحفني ناصف ومصطفى كامل الغمراوي.

◎ رعى حضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الأول مشروع الجامعة أميراً جليلاً وتقلد رياستها وألقى خطبة في حفلة افتتاحها في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ قال فيها « لقد حان الوقت الذي تقضي به الضرورة على الشبيبة المصرية بورود مناهل التربية العلمية المحضة في نفس القاهرة حتى تتربى فيهم فضيلتا الصبر والاستمرار لأنها سر النجاح [1]

◎ في سنة ١٩٢٣ أشار حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول على وزير المعارف بإحياء موضوع الجامعة ، وفي سنة ١٩٢٥ صدر قانون الجامعة الجديدة ، وانتظمت ادارتها أربع كليات ، هي الآداب والعلوم والطب والحقوق .

◎ وفي ٧ فبراير ١٩٢٨ احتفل بوضع حجر الأساس في بنائها بحديقة الاورمان بالجيزة ، وخطب في هذا الحفل علي الشمسي باشا وزير المعارف وقتئذ ، ومدير الجامعة أحمد لطفي السيد (بك) باشا

◎ تسمت الجامعة المصرية بجامعة فؤاد الأول ١٩٣٧ وكانت ادارتها قد انتظمت سبع كليات

ب – مديروها :

◎ عند ما أرادت الجمعية التأسيسية انتخاب مدير للجامعة في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٠٦ اكتفي بأن يكون قاسم أمين وكيلاً لها حتى انتخاب الرئيس

(١) راجع مقتطف مارس ١٩٠٨

◎ انتخب الأمير احمد فؤاد رئيساً للجامعة في ابريل ١٩٠٨ فظلَّ يُديرها بهمة واخلاص حتى اضطرته مشاغله الكثيرة الى التخلي عن الرياسة ١٩١٣

◎ تسلم الرياسة حسين رشدي باشا من الامير أحمد فؤاد سنة ١٩١٣ حتى ١٩١٦ وعاد إليها سنة ١٩١٧ بعد ان أقنع الحكومة بضم الجامعة إليها .

◎ عندما تخلى حسين رشدي باشا عن رياسة الجامعة سنة ١٩١٦ تقلد رياستها الأمير الجليل يوسف كمال ولم يمكث في الرياسة غير عام وبعض عام وقد أدى لها مجهوده ولا يزال يؤدي خدمات جمة ومنها إرسال بعوث من طلبتها على نفقته .

◎ في سنة ١٩٢٦ اختير الاستاذ احمد لطفي السيد باشا مديراً لها في عهدها الجديد وظلَّ بها حتى سنة ١٩٤٠ وفي عهده اتسعت الجامعة فانتظمت بها ادارات كليات الآداب والحقوق والطب والعلوم والهندسة والزراعة والتجارة والطب البيطري . ويعد سعادة لطفي السيد باشا من الدعامات الهامة في بناء استقلال الجامعة وبعث فكرتها .

◎ في سنة ١٩٤٠ انتخب الدكتور علي باشا ابراهيم (وكان وكيل الجامعة منذ سنة ١٩٢٦) مديراً للجامعة وظلَّ بها حتى انتقل الى رحمة الله سنة ١٩٤٧ وقد نهض بالجامعة بشخصيته العالمية وعلمه الغزير .

◎ في سنة ١٩٤٨ انتخب الدكتور ابراهيم شوقي باشا (عميد كلية الطب وقتئذٍ) مديراً لها ولكنه لم يبق طويلاً إذ اختير وزيراً للصحة العمومية وفي عهده افتتحت مدينة فاروق الأول الجامعية . وكان وكيل الجامعة المغفور له الدكتور علي مصطفى مشرفة باشا

◎ عين الاستاذ الدكتور محمد كامل مرسي باشا سنة ١٩٤٩ مديراً لها ولا يزال مديراً إلى الآن وكان وزيراً للعدل قبل ان يتولى هذا المنصب وقد استطاع ان ينظم لوائحها ويجمعها في مجموعة واحدة يمكن الرجوع اليها .

حـ — يوبيلها الفضي لعهدها الجديد : —

◎ تلقى جلالة المليك المحبوب فاروق الاول من جلالة المغفور له والده المعظم مشعل

النور فشجع العلم والعلماء ونصر «الجامعية»، وأمدّ الحركة الفكرية بجهده وعونه، وقد رعى جلالة الفاروق كل نهضة، وآخر ما تجلت رعايته تشريف جلالته لحفل جامعة فؤاد الأول بعيد يوبيلها الفضي

◎ احتفلت الجامعة في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٥٠ بعيد ميلادها الخامس والعشرين بقاعة الاحتفالات الكبرى، وقد خطب بين يدي جلالة الملك معالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف، وسعادة الدكتور محمد كامل مرسي باشا مدير الجامعة، والعلامة الاستاذ ليتمان المستشرق الالماني

◎ منحت الجامعة في احتفالها التاريخي عشرين عالماً من ممثلي الجامعات الأجنبية درجاتها الفخرية.

◎ في عصر يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٥٠ أُقيم مهرجان رياضي في الاستاد الجامعي وكان سعادة الفريق عمر فتحي باشا نائباً عن جلالة الملك في شهود الحفل الرياضي.

◎ تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم في شهود الحفلة الساهرة التي أمر جلالته باقامتها في صالة المسرح بقصر عابدين العامر لمناسبة يوبيل الجامعة الفضي.

◎ في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٥٠ شرف حضرة صاحب الجلالة الملك الاحتفال بالعيد الماسي للجمعية الجغرافية الملكية، وقد ألقى كلمة الجمعية رئيسها حضرة صاحب المقام الرفيع شريف صبري باشا، ثم أعقب رفعته رئيس الاتحاد الجغرافي الدولي، فممثلو الجمعيات الجغرافية بباريس، ولندن، ونيويورك.

◎ في يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٥٠ تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك بشهود حفل افتتاح معهد فؤاد الأول للصحراء، وقد افتتحه جلالته بازاحة الستار عن تمثال المغفور له جلالة والده المعظم مؤسس المعهد. ثم تفضل جلالته بزيارة متاحف المعهد وهي للجيولوجيا والآثار والحيوان والخرائط والصور والايتوغرافيا والنبات والخرائط البارزة، وبعدما ألقى معالي الدكتور طه حسين بك وزير المعارف خطبته الرائعة تفضل جلالته فغمر وزيره بالعطف ومنحه رتبة الباشوية

✡✡

العيد الفضي لجامعة فؤاد الاول

نظرة جديدة
لرسالة الجامعة

للأستاذ أميل توفيق

وافق اليوم السابع والعشرون من شهر ديسمبر ١٩٥٠ عيد ميلاد جامعة فؤاد الأول الخامس والعشرين فكان عيداً حقاً يتيه بجماله وجلاله على سائر الأعياد ، شرف حفله مولانا حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول — حفظه الله — وفي صحبته رجال العلم والأدب والدين من مصريين وأجانب وممثلي الجامعات الأجنبية الذين حضروا خصيصاً لهذه المناسبة السعيدة ، بدعوة خاصة من حضرة صاحب المعالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف العمومية والرئيس الأعلى للجامعة .

بدأ الاحتفال في العاشرة صباحاً بقاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة بكلمة خالدة لمعالي الدكتور طه حسين باشا ألقاها بين يدي جلالة الفاروق المحبوب ، وأقول إنها خالدة لما تضمنته من سرد تاريخ إنشاء الجامعة والمراحل التي مرّت بها والذين عملوا على تدعيم بنائها منذ أن أسسها المغفور له الملك فؤاد الأول ١٩٠٦ ، وتعهدها بالرياسة والرعاية إلى أن صارت حكومية سنة ١٩٢٥ . وبعد أن أشار معاليه الى أنه أول ثمرة من غرس جامعة فؤاد الأول نوّه بفضل جلالة الفاروق في إنشاء جامعة بالاسكندرية تحمل اسمه الكريم ، ثمّ جامعة محمد علي في أسيوط ، ثم جامعة ابراهيم بالقاهرة ، وفي تشجيع جلالته للنابهين والمتقدمين طلبة وأساتذة .

وتلا معالي الوزير حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد كامل مرسي باشا مدير الجامعة بكلمة جامعة أشاد فيها بأثر الجامعة في الجهود الثقافية والاتصالات الفكرية بين مصر

وسائر الدول الأخرى . ثم تبع هـذا توزيع البراءات بالدرجات الفخرية من دكتوراه وماجستراه الممنوحة لكبار الأساتذة العالميين من ممثلي الجامعات الأجنبية .

* * *

ولعلَّ هذه المناسبة السعيدة بالاحتفال بمضي ربع قرن من الزمان على تأسيس الجامعة تتيح للمتأمل الممعن في رسالتها أن ينظر بعين نافذة وبنظرة تقدمية إلى أهداف الجامعة الراهنة ، وأين هي من التيارات الثقافية الحديثة التي تبلورت عنها الدراسات الاجتماعية والابتكارات العلمية والتطورات الهامة الحادثة في أساليب السياسة والحكم والاقتصاد والمتجهات الأدبية الناشئة . ولا شك أننا نفخر كل الفخر من أجل ما حققته الجامعة في خلال ربع قرن من آثار فكرية ، وما خلقته ولا تزال تخلقه بهذه الآثار من صفوة ممتازة في تفكيرها ، راقية في مستواها ، وما تعكسه من نهضة تشمل جميع مناحي حياتنا . وإذا كنا قد بدأنا نصعد سلم الرقي ونمضي قُدُماً في طريق التطور الثقافي ، فيجمل بنا أن نستنهض الخطى في سبيل تحقيق الرسالة الجامعية في خير الوجوه .

عالم القيم

ذلك أن أهم وظيفة جامعية ، تسبق الوظائف الأخرى ، هي تعديل القيم الاجتماعية ، وتنظيم قيم السلوك الأخلاقي . فالناشئة تمتص أساليب سلوكها وقيم أخلاقها من البيئات المحيطة بها ، كما ترسم أهدافها وتحقيق آمالها مما تقوّمه المؤسسات الاجتماعية المتباينة من قيم ومما تزنه من أقدار ، ومما تميزه من ماهيات ، فالجهالة تبهرها القيم المظهرية الكاذبة التي تنبني على إشباع العواطف والأهواء المحدودة بحدود الأنانية الضيقة والأثرة المستبدة . كالعصبية الأسرية والتفاخر العنصري والمطامع النفعية التي تقر أساليب الاستغلال والاستعباد والوصولية وما إليها . أما الحكمة والمعرفة فتجتذبان القيم الجوهرية المبنية على ارتقاء المستوى الفكري ، وإنماء دوائر العاطفة لتصبح عاطفة إنسانية تشمل مشاعر الأخوة والتعاون والاستقلال ؛ مثل قيم الحق والعدالة وحب الواجب، وقيم الإيثار والملكية المعنوية ، والفن والابداع .

وبين معترك هذه القيم في الهيئة الاجتماعية ، وبين التماوج الحادث من صعود في

ماديات الحياة وهبوط في معنوياتها ، تقف الجامعة كمؤسسة علمية اجتماعية كبرى لترمي قواعد التنظيم في ماهيات الأخلاق على أسس الحرية ، والاستقلال المدعمين بالعلم والبحث ، والنظر والتجريب . لا على أسس الخوف والخضوع والتقليد ، لأن التكامل الخلقي الحرّ يبنى على الحركة والتفاعل الموضوعي للملكات والعبقريات في ميادين النشاط المختلفة .

ومن هنا ينبغي أن تدعم فكرة استقلال الجامعة الداخلي ، وأن تدعو إلى النهضات العلمية الشعبية بمساهمتها في تبسيط العلوم ونشر الآراء التي يدور حولها رقي الشعب وتطوره.

الجامعة منبع التطور

وأول ما يجب أن تعنى به الجامعة — ودينها هو السعي الصادق للحق المجرد — أن تجعل اهتمامها منصبًّا على خلق « العقلية العلمية » أو «طريقة التفكير الصحيح» فالدراسة الجامعية منهج للبحث قبل أن تكون برنامجاً ، وطريقة للتفكير قبل أن تكون حشواً تفصيليًّا . إن أخطاءنا الكبرى في معاهدنا تنحصر في اهتمامنا بالكم لا الكيف ، ولعلّ يقظة الوعي النفسي اليوم قد ميزت لنا بين المعرفة التي لا نفع لها ، والمعرفة التي يقوم نفعها بمدى تأثيرها في النفس والعقل معاً ، وهي المعرفة التي لا تستند على التلقين وحفظ الذاكرة بقدر ما تعتمد على أسس التفكير الصحيح من تعمق في المشاهدة والتجريب والبحث والاستنتاج المنزه عن الغرض والبعيد عن التحزب والهوى . ومن هذه الوحدة العقلية في التفكير تستطيع الجامعة أن تخلق أهلاً للرأي ، وتقارباً للفهم ، وشغفاً بالعلم ، وتعاوناً في العمل . إن «العقلية العلمية » هي نقطة التحول والتطور التي تبدأ منها الجماعات والأفراد تفيق من سباتها ، وتستحث خطاها ، وتتابع نهضاتها الحيوية .

العلم للعلم

إن الفكرة الجامعية قد أشاعت في الكثيرين روحاً وثابة للعلم وطلب العلاء ونيل أكبر قسط ممكن من الثقافة ابتغاء للفهم والادراك وخلقت من هذا الشغف ما يرفع نفوسهم فوق أدران المادة ، وما يحلق بأرواحهم فوق المغامرات الرتيبة، وينقلهم إلى مغامرات أمتع وأرفع وأسمى ، فيها يتفاعل العقل مع تراث الحضارة الانسانية ، وتندمج العاطفة بالتأمل

المنتج في آداب الأعلام وفلسفات القادة من كل جيل . فانك لتجد أساتذة أجلاء قد جاوزوا الاربعين وقد التحقوا بالجامعات في الدراسات العليا ، لا لشيء مادي يبتغون ، وإنما لينهلوا من منابع الحكمة ويغترفوا من معين المعرفة وكأنهم في محرابها رهبان يصلون أو قديسون يبتهلون . ومن هنا ينبغي أن تفتح الجامعات أبوابها للجميع ، ليستمع إلى محاضراتها المشغوف المتيم بالعلم بغير ضرورة لأن تمنحه إجازتها الجامعية ، وبهذا تجتذب اليها العبقريات الكامنة والملكات المطمورة،وتثير تفاعل المواهب الراكدة للانتاج والابتكار.

العلاقة بين الأستاذ والطالب

دعك مما نسهب فيه من نقدات وما نصادفه من عثرات بصدد الدراسة الجامعية . فإننا إذ نفخر أن الجامعة قد خرجت عدداً من الشباب الحرّ المفكر الذي يفتخر بتلمذه على أساتذة الجيل من أمثال لطفي السيد وطه حسين وعلي ابراهيم ومصطفى مشرفه وأمثال هؤلاء الأعلام الأفذاذ الذين كانت شخصياتهم الجامعية تحيا في أفكارهم السامية وفي مواقفهم الرائعة ، وفي مثلهم العليا ، قبلما كانت تبرز في علمهم أو فنهم ، نقول إن أهم صورة للتأثير الجامعي إنما تتمثل في العلاقة بين الأستاذ والطالب ، لأنها علاقة حب وعلم واقتداء ، علاقة فكرة ورأي وروح . وطالب اليوم يعوزه الأب الروحي ويفتقد المرشد الأمين . وشباب اليوم يعيش في فوضى من الفكر ومن التيارات المتنازعة ، والعوامل المتضاربة الهادمة ، وهو يرنو ببصره إلى ربان أمين يقود سفينة حياته وسط الأنواء والعواصف ، فمن أحق من الأستاذ الجامعي بهذه القيادة الفعلية والروحية ، ومن أجدر من المرشد الجامعي بدعم هذه العلاقة السامية ؟

في يقيني إن تأدية هذه الامانة ، بإخلاص وحب ، كفيل أن يوجه الشباب وجهات صحيحة ويقود الكفايات نحو خير الوطن ونهضته . ومن أجل ذلك وجب أن تعيد الجامعة نظرتها في تدعيم نظام الأساتذة المشرفين ، كما تأخذ به كثير من الجامعات الاوروبية والامريكية ، وأن تعمل على تكوين تقاليد عريقة ثابتة تمكّن الطلاب من توكيد صلاتهم بأساتذتهم حتى بعد التخرج .

ما يهمك أن تعرفه عن : —



الطب الغذائي

في خواص الفاكهة ومنافعها

— ٣ —

للأستاذ أسبيرو جبري

الفاكهة أثمار طيبة لذيذة الطعم ذات رائحة منعشة يأكلها الانسان بقابلية شديدة ، وهي من أهم المصادر الغذائية للحصول على الفيتامينات ا ، ب ، ح . كما تحتوي على بروتينات وكربوهيدرات ودهنيات ، وعلى مواد معدنية أهمها الحديد والبوتاسيوم والصوديوم ، وتحوي نسبة لا بأس بها من أنواع السكريات والأحماض العضوية مثل حمض الطرطير والليمون والماليك . وهذه الأحماض تكسب الفاكهة نكهتها المحبوبة وتتأكسد بسرعة في الجسم ويتخلف منها كربونات قلوية . ويكوّن الماء نسبة كبيرة من وزن الفاكهة تختلف باختلاف أنواعها ، ففي بعض الفواكه تكون نسبة الماء ٧٥ ٪ وفي البعض الآخر ٩٥ ٪ بنسب تزيد أو تقل بحسب نوع الفاكهة . أما الفواكه المجففة فتحوي نحو ٢٠ ٪ من الماء .

وقد ذكرنا في مقتطف الشهر الماضي فوائد العنب والتين والمشمش ونذكر الآن فوائد بعض الفواكه .

﴿ الرمان ﴾ الرمان من الاشجار التي زرعت بمصر في عهد قدماء المصريين فقد وجدت مرسومة على مقبرة في تل العمارنة للملك امينوفيس الرابع آخر ملوك الاسرة الثامنة عشرة سنة ١٥٠٠ ق . م ، وقد عرفوا فوائده الطبية والصناعية فاستخدموه في علاج شتى الأمراض بدليل ما شوهد منقوشاً على جدران احدى المقابر . وقشور ساقها وجذورها

تحوي على مواد قابضة طاردة الديدان الشريطية والأصل الفعال فيها للبليترين[1] واليه تنسب خواصه. وقشور ثماره قابضة أيضاً لاحتوائها على ٢٢ ٪ من حامض التنيك، ويحضر منها مطبوخ مفيد في حالات الدوسنتاريا والاسهال المزمن، كما تستعمل في صناعة الدباغة.

والرمان فاكهة باردة في طبيعتها تؤكل حبوبها مصاً ويلفظ بزرها، غير أن أصحاب المعد السليمة تأكلها كلها، وهو يحتوي على فيتاميني ب، ح وعلى أملاح معدنية أهمها الحديد والكلسيوم والمغنسيوم. وعلى مواد سكرية وبروتينية ودهنية.

﴿ فوائد الرمان ﴾ عصير الرمان: شراب لذيذ مرطب مبرد دافع للظما وملطف للحميات ويستعمل في التهاب المجاري البولية.

قشرة الرمان: تقطع قطعاً صغيرة وتغلى بالماء بمعدل ٣٠ جراماً الى لتر ماء ويشربه المريض عند الاسهال البسيط المزمن وفي السيلان ونزف الدم ومسحوق القشرة اليابسة بعد أن تدق دقاً ناعماً تعطى بمعدل ٤ – ٨ جرامات لقتل الديدان المعدية كما انها توقف الأنزفة البسيطة السطحية — وقشرة جذور (شلوش) الرمان: تستعمل علاجاً للدودة الوحيدة فيؤخذ منه ٥٠ — ٧٠ جراماً وتغلى في ٧٥٠ جراماً من الماء الى أن تصبح ٥٠٠ جرام وتؤخذ ثلاث جرعات في كل ساعة جرعة — وزهر الرمان له نفس فوائد القشرة.

والمغات جذور الرمان البري ويعرف بالمراقي في لغة العطارة — منعش مقوّ مجدد للقوى، يعطى مطبوخاً في اللبن أو الماء للأشخاص الضعفاء والمصابين بأمراض صدرية، وعندنا في مصر يعطونه مقوياً للمرأة النفساء.

* * *

﴿ الموز ﴾ من أقدم النباتات التي عرفها الانسان واتخذ من ثمارها غذاء ودواء في كثير من الأحيان، وهو من الفواكه المركزة المغذية الغنية بالمواد الكربوايدراتية، كما يحتوي على مقدار كبير من سكر الفاكهة الذي يتحوّل في الجسم الى حرارة وقوة ونشاط، ويحتوي على أملاح الكالسيوم والبوتاسيوم والفوسفور والحديد وكلها ضرورية لتقوية الدم وعلاج الانيميا.

---

(١) البليترين سائل عديم اللون يغلي في ١٠٦ ° سنتيجراد ويذوب في كل من الماء والاتير والكلوروفورم. ويعد البليترين من أشد الادوية قتلا للديدان الشريطية

ويحتوي الموز الناضج على ٧٥ ٪ من الماء + ٥ر١ ٪ بروتينات + ٢٢ ٪ كربوايدرات + ٥ ر. الياف + ١ ٪ مواد معدنية .

وهو غني بالفيتامينات لأنه يحتوي على نسب متفاوتة من فيتامينات ا ، ب ، ح

والموز الناضج حلو لذيذ الطعم سهل الهضم بعكس ما يظن الكثيرون ، أما الموز الفج غير الناضج فهو قليل الحلاوة عسر الهضم لأن المواد الكربوايدراتية الموجودة فيه من النشا العسير الهضم ، لذلك يجب الاحتياط خصوصاً في تغذية الأطفال ، بالتأكد من أن الموز الذي يقدم لهم تام النضج وذلك بأن يكون لون قشرته اصفر قاتماً ومنقطاً بنقط سود أو نقط بنية ، وفي هذه الحالة يحتوي الموز على كمية كبيرة من السكر القابل للهضم .

ويتناول الانسان كمية كبيرة من الكربوايدرات العسيرة الهضم عند ما يأكل قشور بعض الفواكه وبذورها كالتفاح والكمثرى ، كما ان لب بعض انواع الفاكهة يحتوي على كمية من السليولوز الذي لا يمثل في الجسم الا بنسبة صغيرة .

﴿ المعالجة بالموز ﴾ يستعمل الموز في آفات المسالك البولية والكلوية منقياً للبول ومدراً له ، ويستعمل دقيقه بعد تجفيفه في حالات الاسهال عند الأطفال ، وبعضهم يشير بالموز واللبن الفرز (أي اللبن المنزوع منه الدهن) غذاء للعلاج من السمنة وزيادة الوزن.

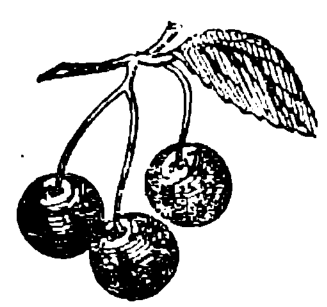
ويحضر من دقيقه نوع من الخبز – ولكن دقيق القمح يمتاز عنه بزيادة نسبة البروتين فيه ، لأن الموز لا يحوي الا ٥ ر ١ ٪ من البروتين – وأهل السودان يصنعون منه عجائن مع السكر والعطريات زاداً في اسفارهم .

وموز الفردوس هو تفاح آدم وتفاح الجنة ، وشجرة آدم الوارد ذكرها في الكتب الدينية ، وقد سماه الأقدمون طعام الفلاسفة لأن حكماء الهند كانوا يأكلونه فيساعدهم على التأمل والبحث في الأسرار الالهية والوجودية .

* * *

﴿ الكرز ﴾ كان الكريز معروفاً عند الأقدمين وأول من أدخله إلى أوروبا رجل يقال له لوسلوس جاء به من مدينة على سواحل البحر الاسود سنة ٧٠ ق . م — وكان

النساء قديماً يكثرنَ من أكله اعتقاداً منهنّ بانه يزيد في احمرار الخدود .



وثمار الكرز غذائية حمراء اللون حامضة المذاق ، ملطفة ، ملينة ، مبردة ، خافضة للحرارة ، مسهلة الهضم تلائم الناقهين . وأعناق ثماره من مدرات البول . تعرف في الصيدليات بأعناق الكرز ، وصمغه يقوم في أوروبا مقام الصمغ العربي ويحضر منه شراب ومنقوع .

ويستحسن أكل الكرز في أمراض القلب والكلى ، غير انه يسبب أضراراً للمصابين بأمراض الامعاء والمعدة .

والكرز الاسود يقطر من ثماره المشروب الكحولي الشهير بالكرش عند الالمان .

والكرز البري يطلق على المحلب .

والوشنة تطلق على الثمار المجففة لبعض أنواعه

***

﴿ متى يجب أكل الفاكهة ﴾ يستحسن أكل الفاكهة بعد الطعام لتمتزج بالأطعمة فتساعد على تحليلها وتنشط افرازات الجهاز الهضمي . وإذا أخذت قبل الطعام تسبب تلبك معدة واسهالاً وغازات وأوجاعاً مؤلمة .

وللاستفادة من أكل الفواكه ينبغي الاقتصار على أكل الأغذية الاخرى مرتين في اليوم فقط ، وعدم أكل شيء بعد الساعة الرابعة مساءً الى صباح اليوم التالي حتى تكون المعدة خالية منشوقة للأكل ، فتؤخذ حينئذٍ الفواكه بكثرة ويكون تأثيرها أشد وأكثر نفعاً . كما يجب أن تكون الفواكه حديثة القطف تامة النضج غير خضراء

وليس ضرورياً أن نأكل فاكهة بعد كل طعام ، ولكن يستحسن أكلها بعد تناول الأطعمة المركبة من مواد بروتينية وكربوايدراتية ، وهي الأطعمة المركبة من اللحوم والحبوب اليابسة والتي لا يدخلها خضر ، فان الفاكهة بعد تلك الأطعمة تساعد على التحليل وتنشط الهضم بعناصرها المختلفة ، وتزيد افراز المعدة والامعاء والكبد . أما بعد الأطعمة التي يدخلها أصناف الخضر ، فيصبح أكل الفاكهة من باب زيادة الفائدة

﴿الفاكهة الناضجة﴾ الفاكهة الصالحة للأكل يجب أن تكون معتدلة النضج لأن غير الناضج منها يسبب فساداً واسهالاً ، كما أن الفاكهة كثيرة النضج لا تصلح للأكل لأنها تتعرض لسرعة التخمر والفساد ، وفي هذه الحالة تشبه الفاكهة غير الناضجة .

والفاكهة الناضجة مفيدة أيضاً في غير أوقات المرض ، لأن طعمها اللذيذ ينبه حاسة الذوق فيسيل اللعاب وتسيل الافرازات الأخرى التي تفرزها بعض أجزاء القناة الهضمية فيحدث الهضم على وجه أتم ، ومتى كان الهضم كاملاً نقصت قابلية الطعام للتخمر داخل الأمعاء ونقصت تبعاً لذلك حموضة الجسم .

﴿حوامض الفاكهة﴾ تفيد في نقص حامض المعدة وتساعد على الهضم وتلين الافراز وترطب الجسم . ولذلك يستحسن تناولها كشراب في جميع حالات الحميات على اختلاف أنواعها . وقد يظن البعض ان الفاكهة الحمضية مثل البرتقال واليوسفي والليمون لها تأثير حامضي في الجسم ، وهذا خطأ فالحقيقة أن تأثيرها قلوي لأن الأحماض العضوية التي تحتوي عليها تتأكسد وتطرد من الجسم ويتخلف منها الأملاح المعدنية القلوية التي بوساطتها يحافظ الجسم على معدله القلوي .

﴿معرفة نضج الفاكهة﴾ الوسيلة المتبعة لمعرفة درجة نضج الفاكهة هي جسها بأطراف الأنامل أو على الأصح جسها بالأظفار أي بغرز أطرافها في جلد الثمرة المراد امتحانها .

ولكن الدكتور ادوارد روس أحد أساتذة إحدى جامعات واشنطن أحال هذه الطريقة البدائية المنافية لقواعد الصحة والذوق الى طريقة آلية . فاخترع جهازاً ذا مكبس يتحرك بقوة الغاز المضغوط المستمد من أي أنبوب غاز تجاري عادي . وهذا المكبس يدفع غماراً معدنياً حلقي الشكل دقيق الحوافي دفعاً رفيقاً في جلد الثمرة . فالقوة اللازمة لنفوذ حوافي الغماز في جلد الثمرة ، تسجل فوراً على ميزان ذي ميناء وعقرب يبين بدقة مقدار تلك القوة .

﴿الفاكهة المطبوخة﴾ مفيدة جداً للأشخاص المصابين بانقباض الامعاء لأن طبخها يجعلها أسهل هضماً ، ويتوقف هضم الفاكهة في المعدة والامعاء على درجة كبيرة على نوعها

للاسهال والمغص ، بينما وجودها هي والسليولوز في الفاكهة الطازجة بكميات معتدلة ينبه أغشية الأمعاء ويساعد على عملية الهضم .

﴿ الفاكهة المحفوظة ﴾ الفواكه إما أن تحفظ على هيئتها الطبيعية أو بعد تقشيرها وتقطيعها إلى قطع مناسبة في محلول سكري خفيف وهي ما يعبّر عنها بالفواكه المحفوظة.[1] واما تحفظ بعد تحويرها قليلاً وذلك بتقطيعها وسلقها مع محلول سكري على النار حتى تأخذ قواماً ثخيناً وهي ما تعرف بالمربى ، وإما بعد استخراج أليافها وبذورها ولبها واستخلاص عصيرها ومزجه بالسكر وإذابته فيه وغليانه حتى يأخذ قواماً ثخيناً وهو ما يعبّر عنه بالجلي Jelly ، واما عدم غليانه وهو ما يسمى بالشراب،واما باستخراج العصير وتصفيته حتى يصير رائقاً جدًّا وتعقيمه بالحرارة — أو يحسن عدم استعمال الحرارة — واستخدام المواد الكيميائية الواقية له من الحموضة وذلك بنسبة مخصوصة مثل بنزوات الصودا ، وهذا ما يعرف بعصير الفواكه .

ولكل من هذه الأنواع طرق كثيرة ليس المجال هنا شرحها وإنما نقول إن الفواكه المحفوظة وكذا أنواع الشراب المحضرة من دون استخدام النار ، وكذا أنواع العصير تحتفظ بطعمها ولونها الطبيعيين ، كما تحتفظ بعناصرها الغذائية وعناصرها الحيوية التي تعرف بالفيتامينات ، وأما أصناف المربيات والجلي والشراب المحضّر بالنار فتفقد فيتاميناتها بالحرارة ومعظم خواصها الطبيعية من حيث اللون والطعم والرائحة .

﴿ طريقة جديدة لحفظ الفاكهة ﴾ باستخدام آلة جديدة تعد الاولى من نوعها لتغطية التفاح بمادّة غشائية وتختم هذه الفاكهة وتقلل الحاجة الى استخدام الغاز المخصص لحفظها. ويوضع التفاح بعد ذلك في احدى الحجرات حيث يرش بمحلول خاص ثم يؤخذ الى مكان بعيد لتعبئته . أما المحلول فهو مركب من كميتين متساويتين من زيت الفول السوداني ومن زيت البرافين مزجا في شكل مستحلب بنسبة ١٤٪

* * *

﴿ الفاكهة الجافة ﴾ هي أقل تأثيراً من الفاكهة الناضجة إلا إذا سلقت بالماء فيزداد فعلها وتأثيرها .

(١) نشرة وزارة الزراعة سنة ١٩٣١ بقلم الاستاذ محمد علي كساب

وكان قدماء المصريين يجففون بعض أنواع الفاكهة كالعنب والتين والبلح ، وتوجد منها في متحف فؤاد الأول الزراعي عينات قيمة لا تزال حافظة لشكلها ورونقها حتى يخيل لمن يراها أنها حديثة الحفظ .

وقد فطنوا الى الخواص الطبية التي لأشجار الفاكهة فاستعملوا العصارة اللبنيــة التي تسيل من شجرة الجميز لعلاج الأمراض الجلدية ، واستعملوا زيت نوى الهجليـج [1] لدهان الرأس وتدليك الجسم وثماره كمسهل ، وقشور الرمان لعلاج الاسهال .

﴿ تقديس أشجار الفاكهة ﴾ نذكر بهذه المناسبة أن قدماء المصريين كانوا يقدسون معظم أشجار الفاكهة [2] وفي مقدمتها شجرة الجميز لأنها في اعتقادهم الجسم الحي للآلهة « حتحور » (البقرة المقدسة) على الأرض ، أو هي شجرة نوت « إلهــة السماء » أو شجرة « ممات » الــهة الحق ، وكانوا يعتقدون انها تطعم الفقراء من أمواتهم وتسقيهم إذا ما غادروا مقابرهم بالصحراء ليلتحقوا بالأحياء . كما قدسوا الــكرم تكريماً لأوزير الــه الموتى والزراعة ، والالــه الذي تمثل البعث وذلك لاصفرار هذه الشجرة وأثمارها بعد جفافها وكانوا يحترمون شجرة السدر التي تثمر « النبق » ولا يزال لهذا أثره حتى الآن ، إذ يستعمل بعض أهالي سينا مغلي أوراقها في غسل الموتى . وكثيراً ما تزرع بجوار المدافن والأضرحة بالريف المصري ، ولا تزال بعض جهات مصر تتشاءم من قطع أشجار الجميز والسدر والنخيل تأثراً بالعقائد القديمة

ومن أدلة اهتمام قدماء المصريين بالفاكهة وأشجارها أنها احتلت مكاناً بارزاً في الفن المصري القديم ، فالأعمدة التي على شكل النخيــل اتخذت طرازاً مميزاً من أقــدم العصور ، ونماذج الحلى وأدوات الزينة كالقلائد والأقراط التي صنعت من القاشاني نظمت حباتها على شكل ثمار الرمان . وكانت عناقيد العنب والبلح من أعز مقتنياتهم في الحياة وفي القبر .

(١) شجرة الهجليج من عائلة (زيجو فيلامي) عثر على كثير من ثمارها ونواها في مقابر المصريين القدماء وخاصة بالاقصر ، وقد اندثرت هذه الشجرة من مصر إلا في بعض المناطق بالواحة الخارجة ، كما أنها تنمو برياً في أودية الصحراء الشرقية (جبل علبه) وبلاد النوبة في الســودان حيث تعرف ثمارها باللالوب أو تمر العرب أو تمر العبيد (الصحيفة الزراعية الشهرية عدد مارس سنة ١٩٤٧) (٢) المصدر نفسه

الوجدان

ميزة الانسان

للأستاذ سلامة موسى

أحب أن أزور حديقة الحيوان بالجيزة حيث أتأمل موكب التطور . ولكني حين أقف أمام حيوان ما أجدني أتأمله لا لأعرفه هو ولكن لأعرف الانسان : لأعرف نفسي

أنا في وجدان . أما هو ففي ذهول . أنا واجد نفسي في هذا الكون . أما هو فذاهل كأنه في حلم . ووجداني هو شيء فوق العواطف فان الحيوان يغضب ويجوع ويشتهي ويخاف ويغامر . وجميع هذه العواطف أحسها أنا أيضاً في الظروف التي تتطلبها . ولكني حين أحسها يزول عني وجداني بقدر إحساسي لها . فاذا كان إحساسي غامراً مطبقاً فليس هناك وجدان . وإذا كان صغيراً جزئياً فاني أجد نفسي .

أجدني إذا غضبت كثيراً بذيت بالشتائم وقد أرفس بقدمي بلا تعقل ، بلا وجدان ، كأني حيوان . لأن العاطفة تغمرني فاذا هدأت أي إذا خفت العاطفة عاد إلي وجداني . فأفكر وأتعقل .

ليس للحيوان إحساس تاريخي لأنه يعيش بعواطفه . ولكني أنا أعيش في التاريخ . لي أمس وغد . ولي أبعاد زمنية أذكر الفراعنة والرومان والعرب قبل ألوف السنين . وأبعاد جغرافية أتمده لها كل يوم حين أقرأ عن أخبار الحرب في كوريا أو البترول في العراق أو تأميم المناجم في انجلترا .

وأعظم ما يزيد وجداني هو اللغة التي أكسبتني معاني مختلفة من كلمات مختلفة . فان كلمة « المروءة » مثلاً تنقلني من حدودي الفردية الذاتية إلى آفاق اجتماعية وبشرية ودينية وعندما أشيخ ويبدأ خرف الشيخوخة في التسلط على عقلي فإن ذلك لن يكون إلاً عن سبيل النسيان للكلمات التي تعين لي المعاني وتزيد وجداني . أما إذا بقيت هذه الكلمات في ذاكرتي فإن هـذا الخرف لن يجد سبيلاً إليّ . ولذلك يجب أن نذكر أن للغـة قيمة كبرى في صحة النفس سواء من ناحيتي الكم والكيف .

* * *

اني أقارن بيني وبين الحيوان وقت الظلام في الخلاء . أنا أحس بل « أجد » أن دائرة نظري قد ضاقت على الأرض بسبب الظلام . ولكن وجداني بهذا الكون قد زاد أيضاً لأني أرى نجوماً تبعد عني ملايين السنين الضوئية في فضاء لا ينتهي . هذا هو وجداني أقصى الوجدان . ولكن الحيوان يحس أن الظلام يحوطه فقط . وهو لذلك يخاف . وليس عنده غير عاطفة الخوف .

وكما أن اللغة قد زادت وجداننا أو هي علة وجداننا فان دراستنا للعلوم قد زادته أيضاً . فنحن نقرأ الجريدة اليومية باحساس تاريخي فنتأمل الحوادث ونقارن بين الأمس واليوم وبين اليوم والغد . وحين ندرس الطبعيات مثلاً نكسب وجداننا النظرة التلسكوبية الفلكية أو النظرة الميكروسكوبية الذرية .

والفرنسيون يطلقون كلمة واحدة على الوجدان والضمير : « لا كونسيانس » لأن الوجدان يؤدي الى الضمير كما يؤدي الى التعقل . وذلك لأننا ما دمنا منساقين بالعاطفة : حب وغضب وكراهة واقبال ولذة وغيرة وخوف ، فاننا لن نجد أنفسنا أي لن نقف كي نتأمل ونقارن ونستنتج .

* * *

اعتبر الدقائق التي نقضيها في الاتصال الجنسي . إنها دقائق العاطفة المتأججة حين نكون في جنون وقتي ليس فيه أي تعقل . وسائر عواطفنا تجري على هذا المعنى ، وإن كانت أخف حدة وأقل جنوناً .

ونحن البشر نتفاوت في درجة الوجدان . فالمتعلم أكثر وجداناً من الأمي لأن الكلمات والعلوم زادت وجدانه . وإينشتين أكثر وجداناً منا لأنه يتصوَّر الكون بآفاقه التي لا نصل إليها نحن . وقارىء الجريدة اليومية اليقظ أكثر وجداناً من القارىء الذي يقرأ المجلة المصورة ..

وقد قلت إن الوجدان ميزة إنسانية . ولكني أرى بوادرها في الكلب وفي حيوانات أخرى ، بوادر فقط . وحين أتأمل الأسد في قفصه في حديقة الحيوان أعتقد أن وجدانه أو بوادر وجدانه قد ألغيت بالقفص . لأنها حرمته من اختبارات الغابة والصيد والاصابة والخطأ والتجوال والاقدام والهرب . وكل هذا كان جديراً بأن يكسبه شيئاً من الوجدان

* * *

بل ماذا أقول ، إني أحياناً أتأمل بعض الناس فأجد أنهم ذاهلون مثل هذا الأسد في قفصه . والقفص الذي يعيشون فيه هو هذا البيت وهذا المكتب وهذا الشارع بينهما ، يقطعونه ذهاباً وإياباً كل يوم ولا يقرأون الجريدة . ولا يشتركون في نشاط علمي أو أدبي أو اجتماعي،ولا يخرجون الى الريف ولا يسهرون ليلة كاملة في الخلاء .

ولو كنا على وجدان تام لكنا على سعادة تامة . لأننا عندئذٍ نتخلص من تراث العواطف الحيوانية ، وأيضاً نعرف جميع الأسباب ونقدر جميع النتائج . وهذا بالطبع محال . ولكن على قدر وجداننا يكون المقدار الذي نناله من السعادة . لأننا نتعقل عندئذٍ جميع الأشياء . ومتى تعقلناها تماماً لا يعود للعاطفة مكان .

* * *

والجنون هو فقداننا للوجدان . وهو يبدأ « نيوروزاً » أي احتداد عاطفة معينة كالخوف أو الغضب أو الكراهة أو الحب.ثم ينتهي«بسيكوز» أي اختلاط العقل وزوال الوجدان . بل ان الوجدان قد زال قبل ذلك باحتداد العاطفة أي « بالنيوروز »

ومهمة التربية هي تغليب الوجدان على العاطفة . لأن معظم أخطائنا وكوارثنا ينشأ من السلوك الذي ينبني على انفعالنا العاطفي بدلاً من تفكيرنا الوجداني .

الشيخوخة
واطالة الحياة



للدكتور عبده رزق

يقدّرون عادةً بداية الشيخوخة وما يطرأ على الانسان في هذا الدور من الحياة من التغييرات الجسمية الكبيرة — في سنّ الستين — بيد أن هذه التغيرات تختلف اختلافاً عظيماً بحسب طبيعة الأشخاص وطريقة معيشة كل واحد منهم ، وعاداته وميوله وشهواته وطعامه والعمل الذي يزاوله ، ولا سيما الوراثة التي لها دخلٌ عظيمٌ في ذلك . لان أصحاب البنية الشديدة والعمر الطويل النشيط كثيراً ما يورثونهما لذريتهم ، وعلى هذا لا يكون تعاقب أدوار الحياة في جميع الأفراد بالسرعة الواحدة ولو كان ترتيبها لا يقبل الخلل . وقد علمنا الاختبار أن السر الحقيقي في إطالة الحياة وعدم إدراك الهرم في أوانه أو قبل أوانه هو المحافظة على القوى العقلية والجسمية سليمةً من كل شائبة ، والحياة الصحية المنتظمة ، والتغذية الصحيحة والاعتدال في كل الأمور ؟

مميزات الشيخوخة

ينتاب المرء في هذا الدور من الحياة تغييرات كثيرة متنوعة منها جسمية ومنها نفسية وأخرى عقلية — بيدَ أن الأولى من هذه وهي الجسمية ، يكون ظهورها مبكراً من النوعين الأخيرين . فيلاحظ أحياناً عند بعضهم ، حتى في سنّ مبكرة (٣٠ — ٣٥ سنة) ، نقص في لدونة الجلد بسبب اختراق الأملاح الكلسية لبعض الأنسجة ، ثم تكوُّن الغضون في الجبهة والصدغين ، وزوال قسم من الشعر حوالي سن الاربعين ثم سقوطه تدريجيًّا بعد ذلك .

وهكذا قل عن الأسنان فانها تهترىء ويتطرّق إليها التلف والفساد عند الهرمين قبل

أوانهم . ومثلها العيون فهي تصاب بطول البصر Presbitie وأعني بذلك أن صاحبها لا يرى إلا من بعيد ، وإذا أراد أن يرى الاشباح أو الأشياء من قريب فلا يستطيع ذلك بدون استعمال النظارات . ونشاهد أيضاً عدا ذلك قوساً حول القرنية يسمى بـ « قوس الشيخوخة » Arc sénile زد على هذا فالصوت يغدو ضعيفاً والسمع ثقيلاً والتنفس أقل نشاطاً ، كما أن الحويصلات الرئوية تفقد مرونتها ، والعظام تمسي صلبة ، والغضاريف التي بين هذه العظام تستدق بدورها فيؤدي ذلك الى نقص في طول الانسان . وبتقدم المرء في السن يتكوّن عنده نسيج خلوي في الأحشاء : كالكبد والكليتين والمخ والشرايين والأعصاب فيعوقها عن القيام بوظائفها . وينشأ هذا النسيج نفسه من اهمال الجسم وسوء تغذيته والحط من مستواه الصحي . وأخيراً درجة الحرارة الطبيعية التي تكون بوجه عام عند ابن الستين أقل مما في الحالة الطبيعية (٣٦° مئوية بدلاً من ٣٧°) . وعند ابن الثمانين ٣٥° مئوية في معظم الأحيان .

وبتقدم الانسان في السن أيضاً تقلّ حاجته الى النوم . فابن الخمسين أو الخامسة والخمسين مثلاً يكتفي بنوم ست ساعات فقط دون أن يشعر بتعب أو انزعاج ما وبعد هذه السن يكتفي بنوم خمس ساعات : هذا عند سكان المدن . أما أهل القرى والأرياف — أولئك الذين يحرثون الأراضي ويقومون باشغال يدوية منهكة في المزارع والحقول والبساتين فيحتاجون طبعاً إلى ساعات أكثر من النوم .

ولننظر الآن من ناحية الطول والوزن . فالمشاهد ان طول الانسان يقل شيئاً فشيئاً بتقدم السنّ وذلك اعتباراً من سنّ الخمسين — نتيجة خسف أو هبوط الأقراص الغضروفية التي بين فقرات الظهر ، وكذلك من بعض الانحناء الذي يحدث في العمود الفقري والوزن بدوره يقلّ أيضاً بتقدم الانسان في السن عند بلوغ الرجل سنّ الخمسين فما أكثر ، بعكس المرأة فان وزنها يزداد في هذه السن . حتى إذا بلغت الستين من العمر أخذت عند ذاك في نقص وزنها . ويبلغ مجموع ما يفقده الرجل من الوزن في سنّ الشيخوخة ٩ كيلو جرامات ، والمرأة ٨ كيلو جرامات ونصف كيلو جرام.

وهنالك أيضاً القوى العقلية التي يطرأ عليها عادةً نقص أو انحطاط في ذات السنّ . فعند البعض يكون هذا النقص مبكراً وعند البعض الآخر متأخراً . وعلى كل فهي تضعف بضعف القوى الجسمية وبالعكس ، وكلاهما يسير جنباً الى جنب من حيث القوة والنشاط أو الضعف أو الانحطاط .

وأول ما يضعف من القوى العقلية هو الذاكرة ، ويليها الحكم بالأشياء . وأعني

بذلك تلك الخاصة العقلية المميزة التي تقابل وتقيس الأمور وتحكم في صحتها أو خطئها .

وهنالك كذلك قضية الشعور والحس والعواطف ، وهذه بدورها تتبدل أيضاً عند الشيوخ ومتقدمي السن فالشعور بالألم أو بالفرح أو بعاطفة الحنو والشفقة ، أو الحساسية تجاه شعور الآخرين — ذلك الشعور يغدو عندهم ضعيفاً إن لم نقل معدوماً لأنهم يكونون عادة من محبي ذواتهم ولا يتأثرون إلا بالأعمال أو الحالات التي لهم فيها نصيب مباشر

وأخيراً الاضطرابات النفسية وهذه لا تحدث لحسن الحظ إلا متأخرة لأن الذي يبلغ سناً متقدمة يفقد غالباً الحس الأدبي الذي يجعله أن يميز بين الخير والشر ، وما يجب أو لا يجب عمله ، فيغدو نوعاً ما فاقد الشعور بما يأتيه من الأعمال دون أن يدرك عواقبها وما يترتب عليها غالباً من المسؤولية .

ولا بد من التنويه هنا أيضاً بأن عقلية كبير السن تختلف اختلافاً جوهرياً فيما إذا كان عزباً أو متزوجاً ، أو له أولاد أيضاً . ففي الحالة الأولى وهو الذي عاش منفرداً وحصر كل جهوده في محبة ذاته ، نرى ان كل ما يزعجه أو يعاكسه في أموره أو يبدل من عاداته الصغيرة يكون مكروهاً أو ممقوتاً في نظره ، وبما انه قد تجنب طوعاً اعباء الحياة ومسؤوليات الزواج والأولاد ، فمحبة الذات فيه تنمو وتزداد اكثر فأكثر بتقدم السن ، ولذا نراه يكره عادة الأولاد الصغار ولا يريد أن يقترب منهم ، ويسيء الظن في الذين كانوا اعزاء لديه في شبابه وينظر اليهم بالحذر والاحتراس . وعلى نقيض ذلك يكون الرجل المتزوج المحاط بزوجته وأولاده ، فالهرم والشيخوخة لا يدركانه في أوانه بل بعد أوانه ، كما أن قواه لا تميل الى الضعف والانحطاط إلا ببطء وبما يفرضه عليه المحيط الذي يعيش فيه والذي يضطره غالباً الى أن يقوم بواجباته أو أن يضحي بنفسه لأجله

تلك هي أهم التغيرات الجسمانية والعقلية التي تصيب الانسان في سن الشيخوخة . ولكن هل يجب أن نعتبر ذلك قاعدة عامة لأن بعضهم تكون حالتهم هكذا حينما يشيخون ؟. وهل هو ضروري ومحتم ان يهرم الانسان في سن الستين أو السبعين ؟ كلاً ليس من الضروري وفي يده مفتاح الشباب . فعلماء التشريح يقولون إن معدل العمر الطبيعي لا ينقص عن ١٠٠ — ١٥٠ سنة . ويقول غير واحد من كبار الأطباء إن في استطاعة المرء في عصرنا هذا أن يعيش حتى يعمر قرناً من الزمان . فالمحافظة على النشاط والقوة البدنية حتى سن متأخرة متوقفة ولا ريب على كيفية معيشة الانسان في حياته . فكم من المرات مثلاً نرى اشخاصاً في شرخ الشباب وهم منهوكي القوى خائري العزيمة سريعي العجز ، أدركهم الهرم قبل الأوان . وآخرين بالعكس من ذوي البنية القوية ، نشيطي الحركة والعمل

وهم من ابناء الستين أو السبعين ؟ ولدينا أمثلة كثيرة تحتذى من أشخاص عمّروا طويلاً وبقوا محتفظين بقوامهم وصحتهم ونشاطهم ، ويضربون المثل بروكفلر الكبير الذي حتم ألا يرحل عن الدنيا قبل ان يبلغ عمره مئة عام وقد احتفل بعيد ميلاده السادس والتسعين، كذا لويد جورج الوزير والسياسي البريطاني المعروف الذي كان يذهب الى ساحات القتال أبان الحرب العالمية الأولى وعمره ٧٢ عاماً وكأنه كان شاباً في جسمه وعقله نظراً الى ماعهده الناس فيه من بأس وقوة ونشاط

وهكذا قل عن فردي الموسيقي الايطالي العظيم الذي وضع أوبرا كثيرة متنوعة وهو في السبعين حتى الخامسة والثمانين من عمره — مما يدل على احتفاظه بمواهبه العقلية في هذه السن . ولا بدّ كذلك في هذه العجالة من ذكر احد معاصرينا المشهورين الكاتب الارلندي الكبير برنارد شو الذي توفى مؤخراً وهو في الرابعة والتسعين من عمره وبقي حتى هذه السن في أوج مجده الأدبي يؤلف رواياته التمثيلية المختلفة

وكلنا سمع أيضاً عن زارا آغا المعمر التركي الذي طاف بكثير من بلدان العالم يعرض نفسه في الملاهي ليري الناس كيف ظلّ محتفظاً بقوة بدنه واعتدال قوامه مع انه قد بلغ ١٦٠ عاماً وقد تزوّج ١٢ امرأة توفينَ جميعاً قبله

وقد دلت احصاءات عام ١٩٣٣ في بريطانيا على انه توفي في هذا العام ١٠٩ أشخاص بلغوا كلهم مئة عام أو تزيد . والثابت اليوم ان نسبة المعمرين في عصرنا هذا قد ارتفعت بمقدار خمسة عشر عاماً بفضل تقدم العلاج وتنظيم الصحة الشخصية والوقاية من الامراض المتوطنة وغيرها .

ويقول كثير من العلماء والأطباء ان في وسع المرء إذا ولد سليماً من الأمراض الموروثة ولم تنتابه ادواء أو حوادث ما ان يعيش حتى يبلغ سن المئة والعشرين ، بل المئة والثمانين حسب قول علماء آخرين وفي مقدمتهم العالم الروسي الكبير لازاريف — وإذا مات قبل ذلك كان هذا نتيجة ميكروبات أو هموم أو أحزان هدّت كيانه

والواقع انه يمكن للانسان ان يعمّر طويلاً وطويلاً جداً إذا عاش عيشة صحية معتدلة ، وحافظ على قواه الجسمية والعقلية ، وتجنب الأسباب المضعفة لجسمه والمنهكة لاعصابه . اما إذا أطلق لأهوائه وميوله العنان ، وأسرف في بذل جهوده الجسدية، وتفنن في ألوان الطعام والشراب ، وأكثر من التدخين ، وحرم نفسه النوم الكافي والرياضة البدنية نسبة لسنه، والتمتع بالهواء الطلق في أوقات الراحة الخ.. فلا بدع إذا اعتلّ جسمه وتهدّمت قواه وانتابته العلل والامراض وغلب نهائياً في ميدان الكفاح .

ولا مندوحة هنا أخيراً عن التنويه ان للوراثة كما قلنا ، دوراً هاماً في اطالة الحياة ، وكثير من الذين بلغوا المئة عام أو أكثر من عائلات بلغ أفرادها أيضاً هذه السن . وتدل الاحصاءات الفرنسية الرسمية على ان النسبة المتوسطة للحياة تزداد بصورة محسوسة مع الزمن. ففي فرنسا مثلاً لم تكن هذه النسبة في القرن الثامن عشر سوى ٢٩ عاماً ، وقد غدت في عام ١٩١١ ، ٤٩ سنة . أما في انكلترا فقد بلغت النسبة المتوسطة للاعمار في عام ١٩١٢ خمسين سنة ، وفي أسوج واحد وخمسين ، وفي الولايات المتحدة الاميركية خمسة وخمسين.

العوامل المساعدة على بلوغ الهرم المبكر

عرفنا مما تقدّم أن بلوغ الهرم في أوانه أو قبل أوانه يتوقف على سلامة القوى العقلية والبدنية . وقديماً قالوا إن « العقل السليم في الجسم السليم » . ومما يؤسف له كثيراً أن بعض الناس في أيامنا هذه ، إن لم نقل أكثرهم ، يعيشون عيشة غير صحية ويفرطون في كل شيء وقد انتابتهم العلل والأمراض بسبب ذلك . وهم يعتقدون في الغالب إنه ما دام الإنسان متمتعاً بصحة جيدة فليس في حاجةٍ الى التقيد بالقواعد الصحية . ذلك هو السبب في أن أمراضاً شتى تصيب المرء في عصرنا هذا نتيجة الافراط والاستهتار ، فاندفع الكثيرون منهم في تيار المدنية الحديثة . وساعد على ذلك هو أن حضارتنا اليوم تغري بالاسراف في بذل الجهود العقلية والجسمية ، واطلاق العنان للأهواء والميول ، والسهر الطويل ، وعدم اعطاء الجسم حقه من الراحة — وهذا كله يستعجل الشيخوخة

ومما زاد الطين بلة انحراف الكثيرين منهم عن جادّة العقل والصواب بسبب ادمانهم على المسكرات ، والافراط في التدخين والشاي والقهوة ، والتسمم بالأفيون والكوكائين والحشيش الخ . . وهذه كلها سموم قتالة تدك أركان الجسم وتضعف المقاومة البدنية ضد مختلف الأمراض وتجلب حتماً من حيث لا ندري الى الهرم المبكر والسقام والعلل المختلفة ويزيد الحالة شؤماً ووبالاً إنغماس بعضهم في حمأة الرذيلة ، والاصابة بالأمراض السرية (الزهري والسيلان) . وضرر هذه الأمراض لايقتصر على المصاب فحسب، بل يتعدّاه الى نسله وإلى المجتمع أيضاً .

إننا لا ننكر حسنات المدنية الحديثة وما أفادته من بعض الوجوه ، لكنها بالعكس قد أضرّت من وجوه أخرى . فالانسان هو الذي يجني ثمار الأغلاط التي يرتكبها عن جهل أو عن اهمال : أولاً لإخلاله بالتوازن الذي قضت به سنن الطبيعة بين قواه ومواهبه العقلية والجسدية — : ثانياً لعدم معرفته معرفة تامة كيف يتدبر العوامل الجديدة التي جلبتها إليه المدنية الحديثة ويتلافى أخطارها .

ما يجب على كبير السن أن يفعله ليحتفظ بصحته

١ – ﴿ الطعام والشراب ﴾ : القناعة في الطعام والشراب من أهم القواعد الصحية الواجب اتباعها ليس للأحداث والشبان فحسب ، بل ولكبار السنّ أيضاً . لأن الشراهة في الأكل ، كما قال الطبيب الفرنسي جاستون دورفيل Gaston Durville ، احدى جروح الانسانية الكبيرة لأنها تهلك اليوم من معاصرينا أكثر مما يُهلكه السل والسرطان معاً

ويقول المفكر الكبير تولستوي بشأن ذلك : إننا نأكل في عصرنا هذا ثلاث مرات أكثر مما يتطلبه جسمنا ، وهذا ما يؤدي الى أمراض شتى تساعد على تقصير الحياة . ان هذه الحياة ليست قصيرة ، ولكننا نحن الذين نسعى الى تقصيرها !

فعلى من يريد مقاومة الشيخوخة أن يكون غذاؤه صحيًّا موافقاً لسنه ولحاجات جسمه ، فيكون طعامه متنوعاً بسيطاً سهل الهضم ويأكل كل ما تشتهيه نفسه ، ويحذر من الامتلاء في سن الأربعين ثم يقلل الغذاء بعد هذه السن ولا يجامل أحداً على حساب معدته ! ويعتمد كبير السن في طعامه على البطاطس والزبدة واللبن الحليب الساخن وحساء الخضر الساخن والبقول والبيض والخضر الطازجة والفواكه والثمار المطبوخة وما الى ذلك من الأطعمة السهلة الهضم . ويقلل بالعكس من تناول اللحوم والتوابل وأنواع الحبوب كالفاصوليا والبسلة والحمّص والعدس . ويقلل أيضاً من شرب الشاي والقهوة ، والأوفق نبذهما ان أمكن ذلك . وبالاختصار ان أوفق غذاء لكبار السنّ هو غذاء الطفولة لأن الأطعمة الصلبة والعسرة الهضم تهيج الأمعاء وتسبب الامساك . ويجب أيضاً الاقلال من الطعام دفعاً للسمنة التي هي عدو الحياة رقم ١ ، لأن أمراض القلب والكليتين والداء السكري والضغط الدموي تصيب السمان من الناس أكثر من سواهم

٢ – ﴿ النوم ﴾ : النوم الكافي من أشد العوامل تأثيراً على إطالة الحياة ، والجسم يتطلب النوم الكافي ليتخلص من سموم التعب التي تتراكم فيه طيلة العمل اليومي . وإذا لم يعط الجسم حقه من النوم والراحة فالسموم تتراكم فيه وينجم عن هذه الحالة ضعف المقاومة البدنية ضد الجراثيم وتعب الاعصاب وبالتالي تحطيمها .

والنوم المبكر والنهوض المبكر من أفيد الأمور لصحة العقل والجسم ، والراحة التي ينشدها الجسم في النوم لا تتوقف على الوقت الذي يقضيه الانسان في النوم بل على النوم نفسه لأن نوم بضع ساعات في راحة تامة وأفكار هادئة أفضل بكثير من الاضطجاع ساعات طويلة في حالة سهاد متقطع أو أرق مضنٍ منهك للجسم . فليس كالنوم الهادىء معوان على تمام الصحة وكمال العافية .

٣ — ﴿ الرياضة البدنية ﴾ أفضل ضروب الرياضة، ولاسيما للشيوخ أو كبار السن، المشي ميلاً أو ميلين في اليوم غير أنه يجب اجتناب ـ عند كبار السن ـ الرياضات المتعبة مثل ركوب الدراجات وصعود الجبال والسير الطويل على الاقدام صحيح أن هذه الرياضات تعتبر منشطة للجسم ومنبهة للقلب والرئتين، غير أن فائدتها هي الأخرى للشبان الأقوياء البنية وليس لأبناء الستين أو السبعين فانها تكون عليهم عبئاً ثقيلاً .

ومن فوائد الرياضات البدنية الخفيفة المسلية لكبار السن الخروج للنزهة بعد الطعام ولو إلى مدة قصيرة، إذ لا شيء أضر بهم مثل الحياة الجلوسية والمكث في البيوت أو الحوانيت بدون حركة، فالصحة لا تقوم إلا بترويض الجسم، والأعضاء التي لم تروض تضعف قوتها — بشرط أن تكون الرياضة معتدلة، وفي هذه الحالة تعتبر منبهة للعقل والمجموع العضلي، ومقوية في الوقت نفسه للبنية الضعيفة، ويرافقها عادة انشراح الصدر. كما انها تكون أيضاً منبهة لشهوة الطعام وان صاحبها عمل أحياناً .

٤ — ﴿ الاسراف في التدخين ﴾ : لتدخين التبغ من الناحية الصحية مضار عديدة لاحتواء دخانه على النيكوتين وأول أوكسيد الكربون. فللنيكوتين تأثير ضار على الجهاز العصبي فيهيج الاعصاب في أول الأمر ثم يحدث فيها بادمانه نوعاً من الشلل، كما أن له ذات المفعول على المخ، فضلاً عن ذلك فتدخين التبغ يسبب رعاش العضلات ويزيد عدد نبضات القلب (١٠ نبضات في الدقيقة الواحدة) ، كما انه يحدث ارتفاعاً في ضغط الدم وهذا ما يؤدي الى خلل في القلب والأوعية الدموية باستمرار. أضف الى ذلك : اصابة المدخنين أيضاً بالتهابات الحلق والقصبة الهوائية. وكثيراً ما نسمع المدخن يقول: « إني أشعر بضرر التبغ الآن فاذا شعرت به أقلعت عنه ». على أن الانسان قد لا يشعر بالضرر إلا بعد أن يتأثر منه تأثيراً بليغاً. ويرجح أن لانتشار التبغ دخلاً في ازدياد الوفيات الراجعة الى أمراض الشرايين

وعلى كل إذا كان لا بد من التدخين فيمكن للمدخن الاكتفاء بخمس أو ست « سيكارات » في اليوم بشرط أن لا يستنشق دخان التبغ من أنفه ولا أن يطرده عن طريقها، وان لا يبلع الدخان نفسه. والأفضل أن يستعمل « مبسماً » طويلاً ، ويفضل التدخين بعد الأكل مباشرة

٥ — ﴿ الانفعالات العصبية ﴾ : الغضب والحقد والخوف والغيرة. من الانفعالات التي غالباً ما تجر ضرراً على سير أعضاء الجسم وتقصير الحياة. فجهازك الهضمي تحت سيطرة أعصابك. فاذا ما توترت أعصابك خرجت معدتك على طورها الطبيعي وأصبت بعسر الهضم وقد تصاب أيضاً بقرحة في المعدة. فالعاقل هو الذى يسيطر على أعصابه في أوقات الشدة والغضب، ويتنبه لأمره ويحتاط لصحته.



فقه اللغة العربية

للأستاذ عبد ابراهيم

ورد ذكر هذا العلم (فقه اللغة) في المادة الثالثة من المرسوم الصادر في ١٤ من شعبان سنة ١٣٥١ هـ الموافق ١٣ من دسمبر سنة ١٩٣٢ م بانشاء مجمع اللغة العربية الملكي الذي سمي بعد ذلك مجمع فؤاد الأول للغة العربية : ونص هذه المادة هو : —

مادة ٣ — يصدر المجمع مجلة تنشر فيها تنشر أبحاثه التاريخية وقوائم الألفاظ والتراكيب التي يرى استعمالها أو تجنبها وتتقبل مناقشات الجمهور واقتراحاته . وتنشر على الطريقة العلمية من النصوص القديمة ما يراه لازماً لأعمال المجمع (ودراسات فقه اللغة) .

وورد ذكره كذلك في المادة الرابعة من لائحة المجمع الداخلية التي وضعها في دور انعقاده الأول ونص هذه المادة هو : —

مادة ٤ — يصدر المجمع مجلة لنشر مايقره من البحوث اللغوية ونتائجها والألفاظ والتراكيب التي يرى استعمالها أو تجنبها وتؤلف لجنة من الأعضاء العاملين لتحرير المجلة يرأسها كاتب السر وتنشر المجلة إلى جانب ما سبق النصوص القديمة (ودراسات في فقه اللغة) .

وقد أخذ بعض المعاهد العلمية في البلاد المصرية يعني بدراسة هذا العلم والكتابة فيه ولم أجد فيما كتب فيه قديماً وحديثاً تعريفاً ومنهاجاً له يطمئن لهما قلبي فامتلأت رغبة جامحة في أن أضع له تعريفاً واضحاً محدوداً ومنهاجاً ملائماً لهذا التعريف — ولئلا أتورط في الخطأ وأنا في صدد وضع تعريف ومنهاج لعلم لم يعرفه أحد من السلف ولا من الخلف ولم يضعوا له منهاجاً : وهو خطأ إذ وقع جسيم جداً : عمدت إلى دراسة البحوث التي

حررها حضرات المحدثين الباحثين المصريين في هذا العلم وقد آثرت بحوث هؤلاء لما يأتي : —

١ — لأن فيها كتابين يسمى كل منهما : فقه اللغة : وهو العلم المقصود بمقالي هذا ولا أعرف في كتب المتقدمين بهذا الاسم إلا كتاب فقه اللغة للثعالبي وكتاب الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس .

٢ — ولأن في كتّاب هذه البحوث أساتذة تلقوا علوم اللغة كلها على أحدث الطرق وأسدها وأقومها عن أساتذة اللغات الغربيين الذين تمثلوا لغات البشر كلها درساً وتمحيصاً وتحقيقاً ووضعوا لها أصولاً وضوابط على قواعد علمية متينة وبلغوا في ذلك أرفع منزلة

٣ — ولأن حضرات هؤلاء الأساتذة المصريين من أخذ منهم عن علماء الغرب مباشرة ومن أخذ منهم ممن أخذ عن الغرب قد بذلوا كل ما يملكون من ثقافة وتفكير عميق وجدّ في تحرير هذه البحوث وجعلها ملائمة للمعنى الذي أرادوه من فقه اللغة .

٤ — ولأن ما كتبوه لما يجف مداده لحداثته وكل حديث بطبعه أثير .

والذي تيسر لي من هذه البحوث مطبوعاً خمسة كتب كلها جيد وفي مقدمتها جودة وتحقيقاً وسعة وشمولاً ، ثلاثة كتب لحضرة الأستاذ الجليل دكتور علي عبد الواحد وافي وكيل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وهي : علم اللغة ، وفقه اللغة ، واللغة والمجتمع .

وكتاب لحضرة الأستاذ الجليل دكتور ابراهيم أنيس الأستاذ في كلية دار العلوم في علم الصوت، وكتاب لحضرة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الزفزاق الأستاذ في كلية دار العلوم في فقه اللغة . كان قد ألقى بحوثه على طلبة كلية اللغة العربية في الجامعة الأزهرية حين كان أستاذاً له فيها .

وأردت من دراسة هذه الكتب أن أعرف مدى إلمامها بفقه اللغة المقصود بهذا المقال وأن أجد فيها تعريفاً له ومنهاجاً .

وإذْ كان الموضوع أجلّ من أن اضطلع به وحدي أو تستقل به طائفة دون أخرى فاني أعرض في هـذا المقال على حضرات أساتذة فقه اللغة المذكورين وحضرات أساتذة اللغة العربية في جميع مراحل التعليم وعلى علماء اللغة وعشّاقها هذه الدراسة فأقول : —

جعل حضرة الأستاذ الجليل دكتور علي عبد الواحد وافي كتابه الأول علم اللغة تسعة أقسام وهي تمهيد وثمانية فصول وذكر في التمهيد أحدث الآراء وأسدّها وأنضجها في البحوث اللغوية وما يدخل منها تحت علم اللغة قال : — ترجع أهم البحوث اللغوية الى الموضوعات التالية : —

١ — أصل اللغة أو نشأة اللغة ويبحث في الأشكال الأولى التي ظهر فيها التعبير والأطوار التي اجتازها حتى وصل الى مرحلة الأصوات ذوات الدلالات الوضعية والطرق التي سلكها الانسان والمثل التي احتذاها في وضع الكلمات وفي تعيين مدلولاتها وما إلى ذلك .

٢ — حياة اللغة : ويبحث فيما يعتري اللغة من غِنىً وفقر وقوةٍ وضعف وسعة وضيق ونصر وهزيمة في مصارعتها غيرها من اللغات وما يتلوه من انتشار أو انكماش وفي انقسام اللغة الى لهجات واللهجات ،الى لغات عامية وفيما يؤول إليه أمرها من شيخوخة ففناء كلي أو جزئي .

ومن أعظم فروع هذا العلم انقسام اللغة الى لهجات واللهجات الى لغات عاميّة .

٣ — وعلم الصوت ويبحث في الأصوات التي تتألف منها اللغة وفي أقسامها وفصائلها وخواصّ كل قسم ومخارجه وطريقة إحساس السامع واختلاف النطق بالحروف واختلاف الأصوات التي تتألف منها الكلمة في لغة ما باختلاف عصورها والأمم الناطقة بها وما يتعلق بذلك من عوامل ونتائج وقوانين لغويّة .

٤ — وعلم الدلالة : ويبحث في اللغة من ناحية أنها أداة للتعبير عمّا يجول بالخاطر

٥ — علم أصول الكلمات: وهو يبحث لكل كلمة في اللغة عن الأصل الأول الذي انحدرت منه في لغتها أو في اللغات التي من فصيلتها كالبحث لكلمة ذهب العربية عن الاصل الذي انحدرت منه اللغة العربية نفسها وفي اللغات التي من فصيلتها كالأكديّة والسريانية والعبرية ، ومن أعظم فروعه أعلام الاناسيّ والمواضع والبلاد والأنهار ونحوها .

وبين هذا العلم وبين علمي الصوت والدلالة افتراق وتلاق فهما يفارقانه في أنهما يدرسان أموراً كلية لكشف القوانين العامة وهو يدرس كلمات مفردة وهي أمور جزئية

للوصول الى أصولها الأولى ولا شأن له في الوصول الى قوانين عامة ويلاقيانه في أن معرفة أصول الكلمات يساعد كثيراً على معرفة نشوء الأصوات والدلالات وارتقائها وعلى كشف قوانينها وفي أن معرفة قوانين الصوت والدلالة تساعد كثيراً على معرفة أصول الكلمات فكل منهما عون للآخر على الوصول الى أغراضه

٦ — وعلم الاجتماع اللغوي : ويبحث في العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية وأثر المجتمع ومدنيته ونظمه وتاريخه وتكوينه وبيئته الجغرافية في مختلف الظواهر اللغوية

وإلى هـذا العلم تحتاج العلوم السابقة (١) فنشأة كل لغة وارتقاؤها حتى تصل الى مرحلة الأصوات ذوات الدلالة الوضعية و(٢) حياتها وما يعتريهـا من غِنىً وفقر وقوة وضعف وانقسام الى لهجات ثم الى لغات عامية الخ . و (٣) نشوء أصواتها وارتقاؤها و(٤) تنوّع دلالتها و (٥) معرفة أصولها . كل أولئك يرجع أعظم عوامله الى ظواهر اجتماعية :

٧ — وعلم النفس اللغوي : ويبحث في العلاقة بين الظواهر اللغوية والظواهر النفسية على اختلاف أنواعها من تفكير وخيال وتذكُّر ووجدان ونزوع وغيرها ويبيِّن أثر كل طائفة منها في الأخرى ويشرح ما تؤديه اللغة من وظائف متعدّدة في أدائها على ظواهر نفسية كالإيحاء والتأثير وتمرض لما يعتمد عليه كسب العقل للغة من قوًى نفسية وهلمَّ جرًّا . وموضوعات هذا العلم تمتزج بموضوعات ما قبله .

ومن علم الصوت وعلم الدلالة يتألف أعظم فروع اللغة وأدقها وأكثرها نضجاً وينتظم علم الدلالة بحوثاً كثيرة استقلَّ الآن كل منهـا عما عداه وأصبح موضوع شعبة دراسية قائمة بذاتها وأعظمها : —

ا — علم المفردات — ب — علم البنية — حـ — علم التنظيم — د — علم الأساليب وكل علم من العلوم الثلاثة الأخيرة ثلاثة أقسام تعليمي وتاريخي ومقارن

ب — فعلم البنية التعليمي هو الذي يدرس القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات وتصريفها وتغيُّر أبنيتها بتغير المعنى وما يتصل بذلك في لغة ما لمجرّد جمعها وتنسيقها ليسهل تعلمهـا وتعليمها ومراعاتها في الحديث والكتابة — ومن هذا النوع علم الاشتقاق وعلم الصرف في اللغة العربيّة

وعلم البنية التاريخي هو الذي يدرس هذه القواعد في لغة ما دراسة تاريخية تحليلية

وعلم البنية المقارن هو الذي يدرس هذه القواعد دراسة تاريخية تحليلية مقارنة في فصيلة من اللغات الانسانية أو فيها جميعاً

ح — وعلم التنظيم التعليمي : هو الذي يدرس تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف وأنواع كل قسم ووظيفته في الدلالة وأجزاء الجملة وترتيبها وأثر كل جزء منها في الآخر وتأنيث الكلمة وتذكيرها وجمعها وتثنيتها تبعاً لحالة كلمة أخرى في الجملة وعلاقة أجزاء الجملة بعضها ببعض وطريقة ربطها وتقسيم العبارة الى جمل وترتيب هذه الجمل وطريقة وصلها أو فصلها وما يتصل بذلك يدرس ذلك في لغة ما لمجرد جمعها وتنسيقها ليسهل تعلمها وتعليمها واحتذاؤها في الحديث والكتابة . ومن هذا النوع بعض أبواب النحو والمعاني في اللغة العربية

وعلم التنظيم التاريخي : هو الذي يدرس هذه القواعد في لغة ما دراسة تاريخية تحليلية

وعلم التنظيم المقارن هو الذي يدرس هذه القواعد دراسة تاريخية تحليلية مقارنة في فصيلة من اللغات الانسانية أو فيها جميعاً

ى — وعلم الأساليب التعليمي : هو الذي يدرس الأساليب اللغوية واختلافها باختلاف فنونها من شعر ونثر وخطابة ومحادثة وكتابة وتمثيل وغيرها باختلاف العصور والأمم الناطقة بها والطرق التي تسلكها الأساليب في تطورها والقوانين الخاضعة لها وما يتصل بذلك . تدرس ذلك في لغة ما لمجرد جمعها وترتيبها ليسهل تعلمها وتعليمها واحتذاؤها في الحديث والكتابة . ومن هذا النوع بعض أبواب المعاني والبيان والبديع في اللغة العربية

وعلم الأساليب التاريخي : هو الذي يدرس الأساليب في لغة ما دراسة تاريخية تحليلية

وعلم الأساليب المقارن هو الذي يدرس الأساليب في عدة لغات دراسة تاريخية تحليلية مقارنة

فعلوم الدلالة عشرة علم المفردات ثم علوم البنية والتنظيم والأساليب وهي ثلاثة وكل منها ثلاثة تعليمي وتاريخي ومقارن فتكون تسعة والمجموع عشرة

وعلوم البنية والتنظيم والأساليب التعليمية الثلاثة التي يقابلها في اللغة العربية علوم

الاشتقاق والصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع ليست من علوم اللغة لأنها من بحوث القواعد التعليمية

* * *

هذا معنى ما قاله حضرة الاستاذ العلامة الجليل مؤلف الكتاب ذكرته بايجاز وبشيء من التقديم والتأخير والتصرف مع المحافظة الدقيقة التامة على المعنى . وقد ختم الكتاب عما يدل على أن اسم : علم اللغة : شامل لجميع بحوثه وكل بحث في اللغة ما عدا بحوث القواعد التعليمية

وأقول إذا كان من علوم البنية والتنظيم والأساليب التعليمية علوم الاشتقاق والصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع في اللغة العربية فاني أستطيع أن أقول : إن بقية علوم اللغة العربية من وضع وتجويد وعروض وقافية ورسم حروف من القواعد التعليمية كأخواتها وليست (على هذا التقسيم الغربي الحديث) من علم اللغة ، أما علم القراءات العربي فهو كعلم المفردات من علم اللغة العربية .

* * *

وقد لخصت التمهيد هذا التلخيص لأقول : إن كل البحوث التي تدور حول (١) نشأة اللغة أو أصلها و (٢) حياتها و (٣) أصواتها و (٤) دلالاتها و (٥) علم الاجتماع اللغوي و (٦) علم النفس اللغوي ليست من فقه اللغة بالمعنى الذي أريده وسيأتي بيانه وإنما هي من علم اللغة بمعناه العام الذي بينه حضرة العلامة المؤلف الفاضل ما عدا البحث الخامس منها الذي له عندي كل التقدير .

أما فصول الكتاب الثمانية وهي : —

١ — الفصل الأول : نشأة اللغة الانسانية وتطورها — ٢ — الفصل الثاني : لغة الطفل ومراحلها ومبلغ تمثيلها لنشأة اللغة الانسانية وتطورها — وهذان الفصلان في نشأة اللغة أو أصل اللغة — ٣ — الفصل الثالث : فصائل اللغات وخواص كل فصيلة منها وما بينها من صلات — ٤ — الفصل الرابع : صراع اللغات — ٥ — الفصل الخامس تفرع اللغة الواحدة الى لهجات ولغات — ٦ — الفصل السادس : تطور اللغة وارتقاؤها. وهذه الفصول الأربعة في حياة اللغة .

٧ — والفصل السابع: أصوات اللغة. حياتها وتطورها — وهذا الفصل في علم الصوت — ٨ — الفصل الثامن في علم الدلالة — وهذا من علم الدلالة كما هو واضح: فليست هي الأخرى من فقه اللغة بالمعنى الذي أريده وإنما هي من علم اللغة بمعناه العام الذي أراده حضرة العلامة المؤلف الفاضل.

أما الكتاب الثاني لحضرة الأستاذ العلامة المؤلف المسمى: فقه اللغة فيشتمل على بحوث في اللغات السامية وبخاصة اللغة العربية ويتضح أنه قد درس هذه البحوث الخاصة على ضوء الحقائق العامة التي كشف عنها في كتابه الأول وموضوعات الكتاب الثاني: فقه اللغة: هي كما وضعها حضرته وكتبها

(١) الموضوع الأول: حياة اللغة: ويدخل في ذلك نشأتها، وصراع لهجاتها بعضها مع بعض وتغلب لغة قريش، ومجيء القرآن والأدب الجاهلي بلغة قريش، ونهضة لغة قريش وعوامل هذه النهضة، وأثر القرآن والحديث والإسلام في اللغة العربية، واللهجات العربية بعد تغلب لغة قريش، واحتكاك العربية بأخواتها السامية وغيرها وآثار ذلك وتفرع العربية إلى لهجات عامية، ولغة الكتابة العربية أو اللغة الفصحى وتطورها وما استقرت عليه في العصر الحاضر، ومشكلة الازدواج بين العامية والفصحى. وقد عالجنا هذه المسائل في صفحات ١٠٤ — ١٢٨ و ١٤٢ — ١٧١

(٢) الموضوع الثاني: عناصر اللغة العربية: وترجع عناصر أية لغة إلى أمرين: الصوت والدلالة: وتتكون الدلالة من معاني المفردات: وقواعد التنظيم (النحو) وقواعد البنية (الصرف) وقواعد الأسلوب (البلاغة) فينقسم هذا الموضوع إذاً الى المسائل الآتية: —

(١) الصوت: ويدخل في ذلك طبيعة أصوات اللغة العربية ومخارجها وصفاتها وقد عالج هذه المسائل في السطور ١٥ — ١٨ من ص ١٢٨ وفي صفحات ١٩١ — ١٩٤

(٢) المفردات ومعانيها ويدخل في ذلك كثرة المفردات العربية ومترادفاتها والدخيل والمولد والمشترك والتضاد والنحت والعلاقة بين أصوات الكلمة ومعانيها وقد عالجنا هذه المسائل في السطور الخمسة الأولى من ص ١٢٩ وفي صفحات ١٣٦ و ١٤٢ و ١٩٤ و ٢٠٧ و ٢١٥

– ٢٢٤ و٢٣٧ – ٢٤٧ (٣) قواعد التنظيم أو النحو : ويدخل في ذلك الكلام على خواص هذه القواعد ووظائفها وعلى الأعراب واختلاف الآراء بصدده – وقد عالجنا هذه المسائل في السطور الأربعة الأخيرة من ص ١٢٨ وفي صفحات ١٢٩ – ١٣٦ (٤) قواعد البنية أو الصرف : ويدخل في ذلك الكلام على خواصّ هذه القواعد ووظائفها وعلى اختصاص بعض الاوزان العربية بالدلالة على أمور خاصة – وقد عالجنا هذه المسائل في السطور الأربعة الأخيرة من ص ١٢٨ وفي السطور الثمانية الأخيرة من ص ١٢٩ وفي السطرين الاولين من ص ١٣٠ وفي صفحات ٢٠١ – ٢١٥ (٥) قواعد الأسلوب أو البلاغة : ويدخل في ذلك الكلام على المجاز والكناية والنقل واستخدام الجمل في غير أبوابها ، وأساليب اللغة العربية واختلافها باختلاف الموضوعات وتعريب الاساليب – وقد عالجنا هذه المسائل في صفحات ٢٢٥ – ٢٣٦ ، ٢٤٨ – ٢٥٤

(٣) الموضوع الثالث : كفاية اللغة العربية : وقد عالجنا هذا الموضوع في صفحات ٢٧٦ – ٢٨٢

(٤) الموضوع الرابع : صيانة اللغة العربية ورسمها وضبط قواعدها وتخليد آثارها وإشاعة استعمالها : ويدخل في ذلك الرسم العربي وتاريخه ومراحله وعيوبه ووجوه إصلاحه والتأليف في قواعد اللغة العربية وآدابها وفقهها ومتون اللغة العربية وجمع فؤاد الاول للغة العربية وقد عالجنا هذه المسائل في صفحات ١٧٢ – ١٩١ و ٢٥٤ – ٢٧٦ و ٢٨٢ – ٢٩١

وهذا يدلُّ على أن هذا الكتاب المسمّى (فقه اللغة) ما هو إلاّ تطبيق للدراسات العامة التي وردت في الكتاب الأول (علم اللغة) على فصيلة خاصة من الفصائل اللغوية،وقد سمّاه هذا الاسم (فقه اللغة) مجاراة للباحثين من العرب الذين أطلقوا هذا الاسم على البحوث الخاصة باللغة العربية فيكون (فقه اللغة) عنده مساوياً (علم اللغة) بلا فرق بينهما ، ويكون الكتاب الثاني امتداداً للكتاب الاول فكلاهما في (علم اللغة) وإن كان المؤلفون العرب قد استخدموا عبارة : فقه اللغة : في البحوث الخاصة باللغة العربية ، ومن هؤلاء الثعالبي في كتابه فقه اللغة ،وابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها .

(البحث بقية)





النبات الطبي

عند العرب

للأستاذ محمود مصطفى الدمياطي بك

٢١ — (حَبُّ الفَهم) وهو (البلادِر أو البلاذِر) Semecarpus Anacardium L. وبالانجليزية Marking-nut Tree وبالفرنسية Anacarde d'Orient وبالالمانية Achter Acajoubaum — من الفصيلة البطمية Anacardiaceae ، وهو مقو للفهم ، يفيد في حالة ضعف الذاكرة وللصَرْع وداء التخشب الخ .

٢٢ — (حَب الكُلى) Anagyris foetida L. وبالانجليزية Bean Clover وبالفرنسية Bois Puant وبالالمانية Baumbohne — من الفصيلة القرنية Leguminoceae — أوراق هذه الشجيرة مسهلة « ملينة » ويتداوى بحبوبها من آلام الكلى الخ .

٢٣ — (حبّ هان) وهو (الهال) Amomum Melegueta Roscoe وبالانجليزية Melegueta Pepper وبالفرنسية Graine de Paradis وبالالمانية Malagettapfeffer — من الفصيلة الزنجبيلية Zingiberaceae — يقوي المعدة ويرفع من حرارتها الداخلية وينقي البطن من الغازات، فضلاً عن مداواة مرضي الحصاة الصفراوية أو البولية .

٢٤ — (الحرشاء) أو (الجرجير) Eruca sativa Mill وبالانجليزية Rocket وبالفرنساوية Roquette وبالالمانية Gartenrauke — من الفصيلة الصليبية Cruciferae مقوٍّ عام غير أن الاكثار من أكله يورث الجذام .

٢٥ — (الخزَنبل) .Achillea Millefolium L وبالانجليزية Nosebleed or Milfoil وبالفرنساوية Herbe aux Charpentiers ou Millefeuilles وبالألمانية Achillenkraut — من الفصيلة المركبة Compositae — وهو نبات عطري مقو وقيل إنه نافع للجروح

٢٦ — (الحسَك) ويقال له (حَسَك الأمير) و (ضِرْس العجوز) Tribulus terrestris L وبالانجليزية Turkey Blossom وبالفرنساوية Tribules terrestre وبالألمانية Echter Bürzel — من الفصيلة الزيجوفيلية Zygophyllaceae — هذا النبات حاد الشوك وهو فاتح لشهوة الطعام مدر للبول .

٢٧ — (الحضُض) Rhamnus infectoria L وبالانجليزية Dwarf Buckthorn وبالفرنساوية Epine Puante وبالألمانية Färber Kreusdorn — من الفصيلة النبقية Rhamnaceae — وعصارة هذا الشجر تستعمل قابضاً .

٢٨ (الحلفاء) Calamagrostis epigeios Roth وبالانجليزية Bush Grass وبالفرنساوية Roseau des Bois وبالألمانية Sandschilf — من الفصيلة النجيلية Gramineae — خاصيته طرد الديدان .

٢٩ — (حلفة مكة) أو (الأذخِر) أو (الخِلال) Andropogon Schœnanthus L وبالانجليزية Lemon Grass وبالفرنساوية Citronnelle وبالالمانية Citronengras - من الفصيلة النجيلية Gramineae — يزيل « الورم » ويخفف آلام الأسنان .

٣٠ — (الخامِشة) أو (الشيطرج) Plumbago Zeylanica شجرة صغيرة من الفصيلة الرصاصية Plumbaginaceae ذات أزهار بيض وجذور عصارية طويلة حريفة وسامة ، تستعمل أحياناً لزقة منفطة . وهي التي يتسبب عنها بعض البثور الجلدية .

قصيدة

جزيرة الاحلام

للأستاذ عبد السلام رستم

ألا ربَّ يومٍ ضاحكِ الوجه شائق   غنمناه في غمض الزمان المنافقِ

حبانا بما تصبو النفوس وتشتهي   طلاوة موموقٍ وإمتاعِ وامقِ

هنالك في (بنها) ، على قيد فرسخٍ   على النيل،من خُضر الرُّبى والحدائقِ

وقد جسرت عن شاطئيه جزيرةٌ   توسّط في مجرى المياه الصوافقِ

نزلنا إليها في رحابة زورقٍ   دقيق الحنايا ، مسرع الخطو مارقِ

يُهدّهدُه المُردي[1] ،والماء ساكنٌ   ويدفعه النوتيُّ في رفقِ سائقِ

فظلنا نهارَ اليوم نذرعُ أرضَها   كأسراب طيرٍ حائماتٍ طوارقِ

وليس من الأحياء في جنباتها   سوانا بآلاء السرور الدوافقِ

تؤلّف من ود القلوب توافقاً   فليس خليل الود من لم يوافقِ

نرى الشاطىء المهجور، والناس فوقه   مساربُ أطلالٍ تمرُّ لواحقِ

يهبُّ نسيم الريح رخواً كأنه   غلالات وردٍ أو رفيف شقائق

وتمضي بوادي الغيم بيضاً نواصعاً   تقابل في ضمّ وطول تعانقِ

رقائق أبكارٍ تسير وئيدةً   بأحمالها ، موفودةً برقائقِ

---

(١) المردي — المجداف

لثنا ـ وما نرجو الرحيلَ ـ رواهلاً بما حاطنــا من روعةٍ وتمـق
نشـيد بألطاف الحـديث وعذبه خواطر فنّانٍ ، وأسمار عاشقِ
تكاد لفرط الأنس تهتفُ بهجة بأحلامنا ، خيّلنَ شبه حقائقَ
نُطلُّ على الدنيـا بمنظار ساخر جلاها بعيـنًا ، ما لهـا بشرُ صادقِ
ومن يُبصر الأشياءَ دون تأمّـلٍ يغب عنـه فحوى كونها ويفارق
وعُـدنا لمرسانا على نؤي دارسٍ لقصرٍ سما حيناً على كل شاهق (٢)
بناهُ أميرٌ من ولاة زمانه بأغراس دوحٍ مورقاتٍ سوامق
وبـادَ كما بـاد الأوائلُ قبـله ولم يبق منـه غير أنقاض ماحقِ
وكم من رعاةٍ شـيّدوا ثم خلفوا حطام تراثٍ بالفواجع ناطقِ
فسِـرنا تنازعنـا مشاعر جمّـة تمور بأحنـاء الضلوع الخوافق
وقد خلعت شمس الغروب مطارفاً من النور ، ممدود الذيول وضائق
تنشّر كالوشي البديع ، وتنطوي بأسـتار ليلٍ هابطٍ ، وسُرادق
فيغمرنا من لُجّـهِ وظلامه بواعث عيشٍ بالمهالك غارق
فودّع كلٌّ في الزحام خيالهُ سياقاً الى رقّ الجدود الموائق
وتلك الليـالي ، شهدها وصريرها خلائق أسرى ، أردفت بخلائقِ

(٢) النؤى — الحفير حول الخيمة يمنع السيل — والقصر هو قصر عباس الاول ويقال إنه قتل غيلة عام ١٨٥٤ م

◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎

الآلة الشمسية ومنافعها

من معجزات العلوم المرتقبة
في النصف الآتي من القرن الحالي

— ٣ —

للأستاذ عوض جندي

◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎

وعدت حضرات القراء في مقتطف نوفمبر الماضي ، بأني سأصف لهم المخترعات التي يتوقع العلماء ظهورها أو تحسينها في النصف الثاني من القرن الحالي وهأنذا موف بوعدي فيما يلي : —

عندما شرعت في إعداد هذا المقال ، رأيت بعض جرائدنا المحلية تنشر أخباراً سارة على مشروع تسخير الطاقة الشمسية واستعمالها بدلاً من وقود الفحم الحجري أو الزيت المعدني لادارة آلات ري الأراضي الزراعية والأراضي البور وغير ذلك فتوسمت خيراً من هذه البشرى . وتضرعت الى الله سبحانه وتعالى ان يحققها عاجلاً في مملكتنا المصرية ، شمالها وجنوبها . ولذلك توخيت جعل هذا المشروع ، فاتحة المخترعات التي ستستعمل في بلادنا،إن شاء الله ، في العقد الأول وما يليه من النصف الثاني للقرن الحالي (وسأردفه بسائر المخترعات في الجزء القادم من المقتطف) فيجدر بي إذن أن اقتبس ما روته جريدة المصري فيهذا الموضوع الخطير الشأن،تمهيداً لذكر ما قرأته عليه في المصادر الانكليزية . في شبابي منذ أربعين عاماً . وأعنى به وصف الجهاز الشمسي الذي ركب في سنه ١٩١٣ في مزرعة شركة الدلتا بضاحية المعادي . وشاهدته بنفسي قائماً بعمله، كما رآه المرحوم الأستاذ عوض واصف صاحب مجلة المحيط ووصفه في اغسطس سنة ١٩١٣ .

هذا وقد حدثني في دار المقتطف يوم ٥ يناير الجاري حضرة صاحب السعادة العلامة

الدكتور فارس نمر باشا ، صاحب المقتطف فقال : « إنه يذكر الآن جيداً أن المغفور له سمو الخديو عباس حلمي الثاني ، كان قد طلب الجهاز الشمسي الاول من أمريكا في أوائل سنة ١٩١٢ . وذلك بناء على مشورة كبير مهندسي الخاصة الخديوية في ذلك العصر . وهو دانينوس باشا والد حضرة المهندس « أدريان دانينوس » الذي قدم الاقتراح الحديث الخاص بالجهاز الشمسي ، الى الحكومة المصرية الحالية . وقد شاهد فارس باشا « أطال الله حياته » تلك الآلة الشمسية قائمة بعملها على شاطىء النيل في ضاحية المعادي في سنة ١٩١٣ وعلَّل توقفها عن عملها ، بفداحة نفقاتها أولاً ولنزول سمو الخديو عن عرشه في سنة ١٩١٤ ومغادرته لبلاده حينذاك ثانياً ، اهـ »

وسيتجلى من هذا البحث أن أولي الامر قد فكروا في استعمال الآلة الشمسية في أوائل القرن الحالي ، وأن حضرة المهندس أدريان المصري ، ليس هو أول مقترح لهذا المشروع الحديث. بل والده الذي أقنع سمو الخديو عباس حلمي الثاني بمنافعه كما يثبت التاريخ . وقد علمنا من حضرة صاحب العزة ابراهيم بك رزق ، أحد كبار موظفي وزارة الأشغال العمومية سابقاً ، أن ذلك الجهاز الشمسي استعمل في موضعه المشار اليها برهة من الزمن ثم كفَّ عن العمل لخلل طرأ على مرجله .

واليك ما جاء في جريدة المصري بتاريخ ١٤ نوفمبر سنة ١٩٥٠ بالعنوان الآتي :

احتمال استخدام الطاقة الشمسية في مصر

مهندس مصري يخترع آلات تدار بالطاقة الشمسية

كانت وما زالت فكرة استخدام الطاقه الشمسية في إدارة الآلات والمحركات وتوليد القوى اللازمة لادارة أجهزة المصانع وغيرها ، محل بحث العلماء ، وأملاً يراود نفوس المخترعين ، للاستغناء بها عن الوقود بأنواعه . وقد شغل بهذه البحوث . مهندس مصري يدعى « أدريان دانينوس » هو الآن في الثانية والستين من عمره . وقام بعدة تجارب في مصر والخارج حتى توصل — على حدّ قوله — الى إمكان استخدام الطاقة الشمسية في ادارة أنواع مختلفة من الأجهزة . وحين وصل « أدريان » المصري الى هذه النتائج ، بعث بكتاب الى معالي وزير الصحة العمومية — كان معالي عبد اللطيف محمود بك — عندئذ

يشرح فيه جهوده وبحوثه والغاية التي انتهى اليها ، وما يرجوه من تسخير الطاقة الشمسية في خدمة بلاده العزيزة .

وقد جاء في خطاب « أدريان » أنه قضى أربعين عاماً في الدراسة والبحث للاستفادة من الطاقة الشمسية . وقد وصل الى نتيجة علمية عملية ناجحة تحت إشراف لجان من علماء الجامعات ، باستخدام هذه الطاقة في ادارة آلات لرفع المياه وتسخينها ، وآلات لتحويل المياه الملحة الى مياه صالحة للشرب . كما انه يمكن عمل آلات لتوليد مختلف القوى المحركة بهذه الطاقة بسرعة وسهولة وتكاليف زهيدة . لأن الطاقة الشمسية التي تقع على كل فدان في السنة تعادل قوة ما ينتجه ١٢٠٠ طن فحم.

وقال « أدريان » وعلى هذا يتضح أن مصر لو استفادت من استعمال أقل ما يمكن من هذه القوة العظيمة ، لأصبحت في صفوف البلاد الصناعية الأولى ، ولأصبح أهلها في رغد من العيش يحسدون عليه .

وشرح أدريان في خطابه لمعالي وزير الصحة الوسائل التي اتبعها حتى وصل الى النتائج الناجحة والبرامج الدقيقة للاستفادة من الطاقة الشمسية . فكان دائم الاتصال بمجلس فؤاد الأول الأهلي للبحوث منذ شهر مايو سنة ١٩٤٩ . وسافر الى أوربا وأمريكا فيما بين يوليو سنة ١٩٤٩ وابريل سنة ١٩٥٠ . وفي مايو سنة ١٩٥٠ أرسل أدريان خطاباً الى مجلس فؤاد الأول للبحوث،شرح فيه نتيجة رحلته للخارج وما تمّ صنعه وما زال تحت البحث والصناعة . وطلب فتح اعتماد بخمسه آلاف جنيه تحت مراقبة مندوب رسمي من علماء المجلس،لاستكمال بحث هذا المشروع واستحضار الآلات التي توجد بالموانىء الأوربية تحت الشحن وتركيبها ، ولعمل مثلها في مصر . وقد أجرى تجربة هذه الآلات في ميلانو أمام سعادة عثمان بك حلمي قنصل مصر هناك ، بنجاح . كما شهد بذلك البروفسور « دورنج » أحد العلماء بميلانو . وكتبا الى المجلس تقريراً يثبت نجاح التجارب التي أجريت على الآلات . وذكر أدريان أن الآلات التي تمّ صنعها وأصبحت معدة للشحن هي : —

(١) جهاز لتسخين المياه للمنازل والعمارات والمصانع (٢) آلة تتحرك بذاتها لرفع المياه بمقدار متر مكعب في اليوم لارتفاع ١٥ متراً رأسيًّا (٣) مجموعة آلة

قوة حصان بالطبع لرفع ١٠ أمتار مكعبة من الماء في الساعة لارتفاع عشرة أمتار . وتزيد الكمية أو تنقص بالنسبة للارتفاع (٤) مجموعة آلة قوة ثلاثة أحصنة بمضخة لرفع كمية من الماء تتراوح بين ٣٦ و ١٥٠ متراً مكعباً في الساعة . (٥) مضخات حلزونية تستعمل لرفع المياه من الآبار والبحار من ٢٠ الى ٣٠٠ متر مكعب في الساعة.

وقد طلب ادريان من الوزارة صدور الأمر بشراء إحدى تلك الآلات لتجربتها تحت اشراف المصريين للتحقق من فائدتها وقال إن لتنفيذ هذا المشروع أهمية كبيرة في سرعة رفع مستوى المعيشة في مصر لأنه باستعمال الطاقة الشمسية سيمكن : —

أولاً — ادارة جميع السواقي بدون المواشي التي يمكن استخدامها في انتاج الألبان وزيادة اللحوم .

ثانياً — توفير ما ينفق على الوقود كالفحم والبترول.

ثالثاً — إن صنع هذه الآلات في مصر يزيد الأيدي العاملة . ولا تزيد تكاليفها على الآلات العادية التي تدار بالبنزين .

هـذا وقد علم مندوب المصري بوزارة الصحة أن معالي الوزير أمر بتحويل هذا الكتاب الى وزارة الأشغال لدراسته والتحقق من فائدته .

أما الذي قرأته في وصف الجهاز الشمسي الأول فهو مقال نشرته مجلة بوبولار سينس سيفتنجس الانكليزية Popular Science Siftings بتاريخ ١٦ مارس سنة ١٩١٢ بالعنوان الآتي : —

(اذا ما نفد يوماً ما الفحم الحجري ، قام مقامه الجهاز الشمسي)

(ممثلاً في آلة بخارية عجيبة ذات مرايا ستقام في القطر المصري)

سيتاح قريباً استصلاح الأراضي البور الرملية التي صخدتها حرارة الشمس في وادي النيل وفي البقاع المجدبة باقليم تكساس . وغيرها في مناطق النيترات بجمهورية شيلي ، وفي صحاري أفريقيـة . وقصارى القول ، استصلاح الأراضي القاحلة في سائر الأصقاع العالمية التي لم يستطع الزراع زرعها في القرون الغابرة . وذلك بوساطة الشمس نفسها التي كانت علة جدبها ، وما زالت مصدر اقفارها .

ولا غرو فقد أجرت حديثاً باخرة من ثغر فيلادلفيا ، قاصدة الى مصر ، مقلة الجزء الأول من أول جهاز يدار بالطاقة الشمسية . وهو جهاز لم يسبق أن اخترع نظيره للانتفاع به هناك عمليًّا . وليست هذه تجربة حالم، أيًّا كان . بل ثمرة من صنع مهندس ، أسفر استعمالها عن النجاح عقب انقضاء شهور على تجربتها عمليًّا . وذلك في تاكوني Tacony ضاحية فيلادلفيا . ونقصد بهذا المهندس المستر فرانك شومان من أهالي تاكوني . ولم يرسل هذا الجهاز الى مصر مصادفة . بل أرسل إليها إجابة لطلب سبق أن قدّم من حكومتها بناءً على أمر صاحب السمو الخديو عباس الثاني « تغمده الله بواسع رحمته » . نتيجة قرار أصدره مجلس الوكلاء المفوضين الخبراء الذين قضوا أشهراً في مصنع تاكوني بصفة كونهم محققين خصوصيين من قبل سمو الأمير .

والغرض الأساسي من استخدام هذه الآلة التي تديرها الحرارة الشمسية ، هو توليد طاقة عملية بأقل ما يمكن من النفقات . ولسنا نشك في أن مذهب تسخير الطاقة الشمسية كان وما زال حلماً يراود أذهان المخترعين . بل كان مطمح أبطال التجارة منذ حقب مديدة. وقد بذلت بعض المجهودات في سبيل تحقيقه . فتكللت بنجاح يسير لم يصل الى منزلة الفلاح الأكيد . فاخترعت لهذا الغرض مخترعات تكاد توصف بأنها لعَبٌ ثبتت استحالة الانتفاع بها تجاريًّا لفداحة نفقاتها . لذلك لم يدخر المستر شومان وسعاً في الانتفاع بالآلة التي تديرها الطاقة الشمسية انتفاعاً تجاريًّا .

وتحقيقاً لهذه الأمنية أراد توليد طاقة شمسية كبيرة بنفقة صغيرة . سواء في التركيب أو في الادارة . مع ملاحظة اطالة صلاحيتها للعمل ، بحيث لا يطرأ عليها عامل من عوامل فسادها . أي جعل الآلة الشمسية التي تخترع لهذا القصد ، لا تتأثر تأثراً مفرطاً بالعناصر الجوية من ريح وغيره . ثم جعل أجزاء هذه الآلة مستقلة بعضها عن بعض . بحيث إذا كسر جزء منها سهل ترميمه ، فلا تتداعى سائر أجزائها . لذلك بذل المخترع جهده في اختراع جهاز يفي بهذه الأغراض عامة . ولا تزيد نفقته على ضعف ثمن المرجل البخاري المألوف الذي تكون قوته من الأحصنة البخارية معادلة لها في الجهاز الشمسي . والمعروف أن قوة الجهاز الشمسي الذي أرسل الى مصر ، عشرة آلاف حصان بخاري . وقد استوفى

الشروط كلها التي أشرنا إليها. وهو منخفض نحو الأرض انخفاضاً يجعله بمنأى عن تقلبات الريح . كما ثبت هـذا في خلال اختباره في تاكوني . وينتظر قيامه بالعمل ثماني ساعات يوميـاً في بلاد نهر النيل . وقد أسفرت تجربته في مصنعه، عن استطاعته سحب ثلاثة آلاف جالون ماء في الدقيقة ورفعهـا الى علو ٣٣ قدماً . ويرى الخبراء أن هذه القوة ستزيد في مصر ثلاث مرات أو أربع مرات . وثبت من التجارب الابتدائيـة التي جرَّبها المستر شومان ، أن أشعة الشمس إذا نزلت مباشرةً على إناء زجاجي، بلغت حرارته درجة ١٠٠٠ بمقياس فرنهيت . وذلك بشرط وقايته من اتصاله بأي شيء كان، ومنع تسرب الحرارة منه وتشعمها هباءً .

ومن الميسور نظريـاً منع الخسارة التي تتعرض لها هذه الحرارة الشمسية ، بوساطة العزل . أي حصرها حصراً تاماً في مقرها . بيد أن هـذا العزل يتعذر إتمامه عمليـاً لفداحة نفقاته.

وقد اتضح عند استعمال المواد الرخيصة العازلة للحرارة ، وهي المواد المعروفة جيداً ، أنه يتيسر منع خسارة الحرارة الشمسية منعاً كافياً لانتاج طاقة عملية بتكاليف لا تذكر .

وما كادت هـذه الأبحاث تتم ، حتى شرع المستر شومان ، في القيام بتجاربه العملية فأنشأ ثلاثة مولدات للطاقة الشمسية . كان أولها صندوقاً خشبيـاً محضاً . مغطى بطبقتين من الزجاج يتخللهما فراغ طفيف لمرور الهواء . وكان في ذلك الصندوق مرجل صغير يحتوي على أثير سائل . وكان هذا المرجل معرضاً لحرارة الشمس ، فحولت الأثير بخاراً . وبهذه الوسيلة أمكن تحديد مقدار الحرارة التي يمكن امتصاصها . وتيسر بذلك المولد إدارة محرك صغير ، على سبيل التجربة .

وكان المولد الثـاني مؤلفاً من أنبوب بخار قطره « بوصتان » وطوله ١٦ قدماً ، ووضعت في قعره مواد عازلة . ثم وضع في صندوق مغطى بطبقتـين من الزجاج وفي ذلك الصندوق أيضاً تبخر الأثير فتيسر تحديد وحدات الحرارة التي تمَّ امتصاصها حينئذٍ.

أما المولد الثالث فكان مؤلفاً من طبقة أنابيب للمياه ، عزلت عزلاً جيداً لمنع ضياع الحرارة . وكانت مساحة هـذه الوحدة ١٨ × ٦٠ قدماً . وكان المحرك آلة أثيرية . فاستطاع هذا الجهاز توليد قوة تعادل ثلاثة أحصنة بخارية ونصف حصان بخاري . ومن

هاته التجارب التي سردناها ، يتضح لنا أساس الآلة الشمسية الكاملة التي أشرنا إليها في صدر هذا البحث . كما يتبين لنا مصدر المعلومات التي اكتسبها الباحثون لادارة الجهاز الشمسي عمليًّا ، بالطاقة الشمسية .

وتبلغ قوة الجهاز الشمسي الذي أرسل الى مصر ، عشرة آلاف حصان بخاري «كما أسلفنا القول» وهو مؤلف من مصاصة كيميائية للحرارة ، ومحرك ذي بخار منخفض الضغط ومكثف (غلاَّية) وملحقاتها . وهو مقسم الى وحدات مستقلة بعضها عن بعض. والمصاصة الكيميائية للحرارة ، مقسمة الى سلسلة وحدات . وكل وحدة منها تحتوي على وعاء معدني لماء ، مسطح على شكل قرص من الشهد ، قائم الزوايا . وهو يشبه كثيراً برشامة دواء كبيرة الحجم ذات ثقوب متعددة وتؤلف قاعدة وعاء الماء من صندوق خشبي ذي طبقتين زجاجيتين تتخللهما فرجة لمرور الهواء قطرها قيراط واحد « بوصة » وهما تقومان مقام الغطاء للصندوق . وتحت سطح هذا الصندوق توضع المواد العازلة التي تحول دون ضياع الحرارة الشمسية . وتؤلف هذه المواد العازلة من طبقة ثخانتها قيراطان من الفلين المحبب حبوباً صغيرة ، ومن طبقتي ورق مقوى ،لا تنفذ منه المياه

وترفع هاتيك الصناديق عن الأرض نحو ثلاثين قيراطاً. وتركز على دعائم . وهذا مما يسهل نقلها بحيث تصير عمودية على الشمس عند الظهيرة . وينبغي ألاَّ يتكرر هذا الوضع زيادة على مرة واحدة كل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع وضماناً لحصر كل ذرة من أشعة الشمس حصراً بأقصى ما في الامكان، تركب طائفة من المرايا المسطحة لرحيصة الصنع وذلك على جانبي الصناديق لكي تعكس أشعة الشمس على سطح وعاء الماء . ويوصل أحد طرفي وعاء الماء بأنبوب التغذية . ويوصل طرفه الآخر بأنبوب البخار . وتوصل أنابيب البخار الممتدة من مختلف وحدات الجهاز ، بعضها ببعض وتفرغ محتوياتها في الانبوب الأكبر البالغ طوله ٨ قراريط وهو الذي ينقل البخار الى المحرك.

أما سائر عناصر الجهاز الشمسي فاعتيادية التركيب ومحركه من طراز حديث هو مضخة تبادل بخاربة ذات ضغط منخفض ، وتتميز باقتصادها العظيم للبخار . وهي متصلة بمكثف . وتلحق بها الملحقات اللازمة لها التي تستعمل في أي جهاز مكثف . ويحتوي

المكثف على دائرة مستمرة مغلقة أي ان الماء الذي يكون في المكثف يسحب ثانية إلى المعاصة الكيمائية .

والجهاز الشمسي يورد الطاقة الى مضخة بخارية اعتيادية . وكلما أشرقت الشمس ، قامت هذه الطاقة بسحب المياه سحباً ثابتاً على ما يرام . وقد تبين من تجاربها كلها أنها ثابرت على عملها فسحبت في الدقيقة ثلاثة آلاف جالون من الماء الى ارتفاع ٣٣ قدماً .

وقد عثرنا على المعلومات الآتية في مجلة كاسلز البريطانية تحت عنوان المحركات الشمسية :

تمت تجارب لانشاء محركات شمسية تدور بحرارة أشعة الشمس التي تنزل عليها مباشرة ومنها محرك شمسي في جنوب كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، مؤلف من عاكس للحرارة طوله ٣٣ قدماً مكون من ١٧٨٨ مرآة صغيرة منسقة تنسيقاً محكماً من شأنه جمع أشعة الشمس الساطعة فوق مرجل « قزان » وتعادل كمية البخار الذي يتولد من تلك الأشعة في ساعة واحدة قوة ١٢ حصاناً بخارياً . وبركب الجهاز الشمسي بأسلوب يجعل الأداة العاكسة للأشعة الشمسية مواجهة للشمس كل الأتجاه على الدوام .

وفي ٣ نوفبر سنة ١٩٢٥ نشرت مجلة البحوث العلمية الانكليزية العامة مقالاً نفيساً جاء فيه — : قول الأستاذ Arrhenius أرهنيس[1] ، إن قاعدة الآلة الشمسية تشبهها في أية آلة أخرى تستعمل فيها الحرارة لتوليد الطاقة واطلاقها بخاراً ، بدلاً من الفحم الحجري أو الزيت المعدني أو غيرهما من المواد القابلة للاحتراق . إذ تجمع الآلة بالمرايا المنبثة فيها ، أشعة الشمس ، على المراجل المحتوية على المياه .

وكل منا يعرف الحرارة الشديدة التي يمكن الظفر بها عن طريق الزجاجة (المحرقة) أي العدسة التي بها تجمع أشعة الشمس في مركز واحد وما من شك إن أكثر الناس قد شاهدوا اشتعال الورق أو الخشب بالأشعة الشمسية القليلة التي تحشدها هذه العدسة في موضع واحد وهذا هو العمل نفسه الذي تكاد تعمله الآلات العاكسة للحرارة في الآلة الشمسية . وإنما يختلف في توجيه الحرارة الى المراجل ، بدلاً من أية مادة كانت من المواد المشار إليها وتحتوي الآلة التي ركبت في ضواحي القاهرة على خمسة مراجل طول كل منها مائتا قدم وخمس أقدام . مقامة جميعها في نهاية قناة عمرو بن صفين طويلين من الآلات العاكسة للحرارة وباستعمال مجموعتي المرايا يتسنى حشد الأشعة الشمسية على جانبي المرجل وتبلغ قوة الأشعة الشمسية ، حيث لا تعوقها السحب ، التي تنزل على

[1] هو — سفنت . ا . أرهنيس — عالم سويدي كيماوي ولد سنة ١٨٥٩ وتوفي سنة ١٩٢٧

الفدان الواحد الانكليزي ٥٠٠٠ حصان بخاري » .

وتتحرك المرايا حركة تكاد تشبه أختها التي يتمكن بها علماء الفلك من تتبع حركات الكواكب السيارة . وبهذه الوسيلة تحرك المرايا حركة دائمة أوتوماتيكية متابعة لحركة الشمس من شروقها الى غروبها . وعلى هذا النمط يتاح حشد أعظم مقدار من أشعة الشمس طول النهار . وبلغت المساحة التي كانت تشغلها هذه الآلة الشمسية بمصر ١٣٢٦٩ قدماً مربعة . وقد زادت الطاقة التي ولدتها على سابقاتها عشر مرات .

وقال الدكتور جودارد ، أستاذ علم الطبيعيات في جامعة كلارك الامريكية ، وذلك ضمن مقال ضاف نشرته مجلة العلم العام الامريكية في أول نوفمبر سنة ١٩٢٩ : —

ثبت الى الآن أن التجربة التي قام بها المستر شومن لتسخير طاقة الشمس لادارة المحركات، كانت أعظم التجارب نجاحاً في ذلك الميدان، بوساطة الآلة الشمسية التي قوة مرجلها خمسون حصاناً بخارياً . وهي التي سبق أن جربت في ضاحية المعادي بالقاهرة . وبها أتيح الانتفاع بأكثر قليلاً من ٤ ./. من الطاقة الشمسية التي سلطت عليها حينئذٍ . أما الجهاز الذي ركب في كاليفورنيا الذي أشرنا اليه آنفاً فأقل من هذه صلاحية.

وقال الاستاذ فرناس في مؤلفه المسمى « مائة العام المقبلة » الذي صدر في سنة ١٩٣٦ : — إذا استطعنا تسخير أشعة الشمس على مائتي ميل مربعة بصحراء موهيف بكاليفورنيا طول العام ، كان ذلك كافياً لسد حاجة بلادنا من الطاقة المحركة في الظروف الحالية . لأن الطاقة الشمسية في الأيام الصيفية الصاحية التي تنزل على جزء من كل سقف أمريكي تبلغ مساحته عشر أقدام مربعة ، تعادل قوة حصان بخاري « عندما تكون الشمس مضيئة » وهذه الطاقة تزيد على ما تكفي لادارة الاجهزة الكهربية جميعها التى توجد في أي بيت عادي ، ادارة دائمة . ولئن تمكنت من احرار تلك الحرارة الزائدة على الحاجة في فصل الصيف، التي تنزل على سقف مسكني وأتيح لي ادخارها حينئذٍ لاصبحت أملك طاقة تفوق ما احتاج اليه لتوفير وسائل الراحة فيه طول فصل الشتاء ، حتى لو طاب لي ترك نوافذ المسكن مفتوحة بعض الوقت . وعندئذٍ يصير في وسعي عدم الاكتراث لباعة الفحم الحجري أو الغاز أو الزيت المعدني . فلن أتردد في مخاطبة الشركة التي تمدني بالطاقة الكهربية كي تطوي سلكها النحاسي الاحمر وتلقيه على كوم النفاية مع عدادات التيار الكهربي التي يبطل استعمالها. على أن تكون هذه الادوات المستغنى عنها مشفوعة بسجلات الحسابات الدالة على جشع هاتيك الشركات في معاملة عملائها . ولكن يؤسفني اني عاجز عن تنفيذ هذا العمل كما عجز العلماء المصريون جميعاً .

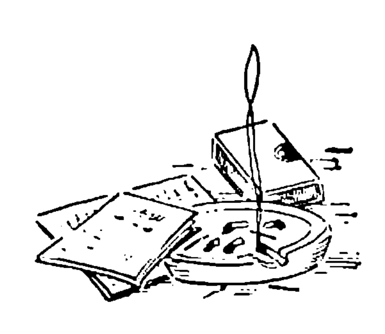
قصة

موبي ديك

أو الحوت الأبيض (في سطور)

للكاتب الأمريكي « هرمان ملفيل »

١٨١٩ — ١٨٩١



للأستاذ مبارك ابراهيم

ولد بمدينة نيويورك . وكان والده تاجراً مستورداً . فلما بلغ الثلاثة عشرة مات أبوه . وكان قد أفلس . فاشتغل المترجم له نوتيًّا ، ثمّ كاتباً ، ثمّ معلماً .

وفي عام ١٨٤١ عمل نوتيًّا على ظهر مركب تصيد الحوت . وكان يوماً على ظهر إحدى السفن ثمّ ترك السفينة . ونزل بين قوم من آكلي لحوم البشر . وأقام بينهم أربعة اشهر . ثمّ « عاد إلى أهله على ظهر إحدى صائدات الحوت » ثمّ على إحدى البوارج التابعة للبحرية الأمريكية .

وألفى نفسه يوماً وقد بات بلا عمل فكتب قصة ضمنها وصف مخاطراته . وقد دفعت به هذه القصة إلى أن يتخذ الكتابة مهنة له . ثمّ أدركه الفشل بعد حين . فقضى العشرين سنة الأخيرة من حياته مفتشاً للمكوس في مدينة نيويورك . حيث مات في الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٨٩١ .

وقصة « موبي ديك » هـذه ألفها الكاتب . ثمّ نشرها عام ١٨٥١ . وسمّاها باسم حوت هائل مفترس كان معروفاً بهـذا الاسم . وقد هوجم هذا الحوت غير مرة . فكانت الغلبة له في كل مرّة .

وحدث لضابط من ضباط البحرية اسمه (أهاب) أن فقد ساقه في عراكه مع هذا الحوت الوحشي فأقسم ليقتلنّه أو ليموتنّ دونه .

والقصة تبيّن لنا كيف برّ الضابط بقسمه وأوفى بعهده . ولم يكتف « الكاتب بسرد أنباء المخاطرات التي يخوض غمارها مطاردو الحيتان . ولكنه جاء بوصف لكل نوع من أنواع الحيتان من حيث الخلق والعادات . ومن حيث القيمة التجارية . ثمّ هو يعطي قارئ قصته وصفاً شاملاً صادقاً لأخلاق وعادات أصحاب سفن الصيد وربانيتها وملاّحيها.

والحوت (موبي ديك) لم يقتل إلاّ بعد معركة دامت ثلاثة أيام غرقت فيها السفينة التي أعدت لقتاله وغرقت معها قواربها .

ولقصة (موبي ديك) قيمة في عالم الأدب تزداد على مرّ الأيام فائدة من حيث أنها أوفى كتاب ألف في تجارة الحيتان . وفي الصناعات التي تتصل بها . وفي المخاطرات التي يتعرّض لها صائدوها . في وقت كانت الشجاعة فيه تقاس بالقوّة الفردية ، وبالمهارة الشخصية . وفي زمن كان لا مفرّ لصائد الحوت من أن يلقاه في قوارب صغيرة . وعلى مسافات قصيرة . وذلك قبل أن تعرف القنابل التي تقذف من بعيد . وقبل أن تعرف الزوارق والبوارج التجارية بما جهزت به من عدد وآلات حتى صارت اليوم مطاردة الحيتان عملا مألوفاً سهلا والقصة كذلك تصف أبدع وصف وأصدقه ذلك الشعور الذي يحس به رجال البحر الذين يتخذون من بحار العالم ومحيطاته مغدًى لهم ومتراحاً .

* * *

جاء في القرآن الكريم : (فاصبر لحكم ربك . ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم) الآية ٤٨ من (سورة القلم) رقم ٦٨.

وجاء في سفر يونان من العهد القديم : (وأمر الرب الحوت فقذف يونان الى البر) .

* * *

وقال الكاتب : —

لم يكن معي إلاّ قليل من المال فخطر ببالي أن أركب البحر . وكنت ، وأنا أرى صورة وجهي في صفحة الأوقيانوس . أحاول أن أمد لها يداً . مثلي في ذلك مثل النرجس الذي تقول عنه الأسطورة الاغريقية إنه كان فتىً جميل المحيّا ، رأى صورة وجهه منعكسة في مجرى ماء صافٍ فحاول أن يمسك بها فسقط في الماء وابتلعه اليم وجاء العذارى من حوريات الماء لينتشلنَ الجثة فوجدنَ مكانها زهرة سمينها باسمه .

وقد طافت بخاطري فكرة ، ملكت عليّ عقلي . عن « الحوت الكبير » وألمّ بي شوق ملح إلى الظفر بالاشياء البعيدة المنال . فأجمعت أمري على أن أرتحل رحلة أصيد فيها الحيتان وفي ليلة من ليالي دسمبر بدأت رحلتي فنزلت في نزل أعدّ لامثالي من الصيادين . وكان عليّ أن أنام في سرير واحد مع صياد من الوثنيين . مفتول العضل . وقد امتلأ بالوشم جسمه . وكان رجلاً مهذباً قليل الكلام . وهناك في معبد قريب سمعنا في صبيحة اليوم

التالي أحد رجال الدين يحدثنا عن نبي الله « يونس » . وفي أصيل ذلك اليوم أخذت ورفيقي ندخن غليونه معاً . ثم قاسمني ماله ، وأعنته أنا على عبادته التي كان يؤديها .

ثم ذهبنا الى البحر معاً فركبنا سفينة صيد قديمة ، قد طافت بالمحيطات الاربعة . وهي تتخذ من أنياب الحيتان « حلية » لجوانبها . ولم نكن قد رأينا ربان المركب من قبل . ولكننا قد انبئنا أنه في آخر رحلة له قد فقد ساقه التي طوّح بها حوت هائل . وأن الربان قد أصبح منذ ذلك الحين مكروب النفس ضيق الصدر .

وبعد أيام رأيناه على ظهر السفينة . وسمعناه يقول إن الحوت الذي أطلق عليه اسم (موبي ديك) هو ذلك الحوت الملعون الذي صيرني مبتور الساق . وإني لمطارده . ومورده موارد التلف ، وإني لمذيقه عذاب السعير . قبل أن أخلي سبيله . فقال البحارة أجمعين آمين ا وشذّ عنهم واحد اسمه (ستار بك) إذ قال للربان : إني لست بالخوار ؟ ولكني جئت هنا لاصطاد الحيتان لا لأنتقم من حيوان أبكم !

فقال (أهاب) مناجياً نفسه : كل ما عقدت العزم على فعله فاني لا بدّ فاعله . إنهم يظنونني مجنوناً . ولكني لست مجنوناً فحسب إنما أنا المجنون بعينه قد جنّ جنونه...

وكان ذلك اليوم الذي رأينا فيه أول مدرسة لصيد الحيتان . يوماً يخنق الانفاس هواؤه الحار الرطب . ولما نادى (أهاب) بانزال القوارب . رأينا خمسة من الرجال لم يكن أحد قد رآهم من قبل وهم ملاحو قاربه الخاص الذي أنزله الى البحر خفية .

وكان زعيم أولئك الرجال نجار « اسمه (فيض الله) وهو رجل طويل القامة يرتدي ملابس أهل الصين . ويجلل الشيب رأسه حتى ليحسبه الرائي لابساً عمامة .

وكنت أنا ساعتئذٍ في قارب (ستاربك) الذي كاد يغرقه حوت من الحيتان . وظلت العاصفة تدوي حولنا طوال الليل قبل أن تعثر بنا السفينة .

ولما كنت أعرف أن مثل هذه الحوادث من مستلزمات مثل هذه الحياة، فقد أعددت نفسي للموت وكتبت وصيتي .

وعلى الرغم من هذا كله فاننا لم نظفر بشيء من الصيد . ثم درنا حول « رأس الرجاء الصالح » فاذا بنا نلتقي بمركب آخر للصيد . . ووقف (أهاب) يسأل رجال السفينة : هل

رأوا حوتاً أبيض ؟ ثم اتخذنا سبيلنا في البحر تتبعنا « حيتان العنبر » . ولم نلتق بالحيتان التي نقتفي آثارها، والتي رأيناها في المحيط الهندي . ففي هذا المحيط قتل (ستب) أول حوت ظفرنا به . ثم وقفنا لنأخذ وقودنا من النفط ومن منّ القياطس . ثم التقينا بمركب الصيد (جيربوم) الذي قتل الحوت (موبي ديك) ربانها الثاني .

ثم دلفنا إلى بحار الصين ، ثم إلى المحيط الهادي حيث أحاط بمركبنا جماعة من الحيتان التي يخرج العنبر من بطونها . فظفرنا بقتل واحد منها .

وبعد بضعة أيام قفز إلى البحر صبيٌّ زنجي كان حوت من الحيتان قد قذف بقاربه إلى قاع اليم ، وقد نجا الصبي من الغرق . ولكن لم ينج عقله من لوثة الخبل .

ثم التقينا بسفينة انجليزية اسمها (صموئيل أندربي) فحييناها وتحدّث (أهاب) إلى ربانها الذي كان يحمل ذراعاً صنعت من أنياب الحوت ، وهو في هذا ترب (أهاب) الذي فقد ساقه . ثم فقد (أهاب) ساقه العاجية وأمر بصنع أخرى مكانها . وأصابت الحمى أحد زملائنا فكاد يهلك ، فأعددنا له الصندوق والكفن . فلما برىء من مرضه اتخذنا من نعشه صندوقاً للسفينة .

وطفق (أهاب) يوماً يعد شصّاً كبيراً ليصيد به الحوت الأبيض . وجعل من شفرات موسى الحلاقة سناناً لذلك الشصّ وفي إحدى الليالي كان (أهاب) يتخذ مجلسه إلى جانب حوت قد اصطاده فسمع الرجل الصيني « فيض الله » يتنبأ النبوءة التالية : قبل أن يموت (أهاب) لا بدّ له من أن يشهد نعشين يسيران فوق أمواج البحر ! . ثم استطرد يقول : إنّ (فيض الله) سيلقى حتفه قبل (أهاب) وأن هذا سوف يقتله « الحشيش » !

وأخيراً جاء اليوم الذي نتوجّه فيه إلى ناحية خط الاستواء . وفي ذلك اليوم أعلن (أهاب) — بعد أن نظر في مزولته — أنه سيقود السفينة مسترشداً بالعدّ والحساب . وكذلك بوساطة الإبرة

وفي مساء ذلك اليوم أحاطت بالسفينة عاصفة مكهربة . ونظر الربان في اليوم التالي فألفى الإبر كلها قد انقلبت . وهلك أول بحار صعد إلى أعلى الشراع . وسقط في اليمّ نطاق النجاة الذي أُنزل خلفه . وجاء (كويكوج) بصندوق نعشه ليحل محله .

ثم التقت السفينة بسفينة أخرى مات ابنُ ربانها في اليوم السابق . بعد أن طارد « موبي ديك » أو « الحوت الابيض » مطاردة عنيفة ثم جاءت سفينة أخرى فألفى ربانها يدفن خامس بحار ممن قتلوا في عراكهم مع (موبي ديك) في الليلة السابقة .

صفا الجوّ في اليوم التالي . ورقّ الهواء . فأخذ (أهاب) يتحدث الى (ستار بك) عن السنين الأربعين التي قضاها فوق متون البحار . ثم طلع فجر يوم جديد وسمع (أهاب) يصرخ ويقول: هنا يضرب الحوت ضرباته ! إنّ له سناماً كأنه جبل الثلج ! إنه (موبي ديك) !

وتعاونت القوارب كلها واجتمعت لمطاردته . ودوى صوت (موبي ديك) وظهر فوق وجه الماء . ثم نزل — وكأن ذلك بوحي من خبثه الفطري — الى ما تحت القارب الذي يحمل (أهاب) واستلقى على ظهره . وكأنه سمكة من سمك (القرش) و فتح الحوت فاه . وأمسك جوانب القارب بين أنيابه ، وهزّه كما تهز الهرة فأراً . فسقط (أهاب) في البحر . وسارت السفينة فوق حطام القارب لتجتنب طريق الحوت . وعجزت القوارب الأخرى عن التصدّى له . ثم عدنَ للسير في حمى السفينة . وتجدّد القتال في صباح اليوم التالي . وقتل (فيض الله) من بين البحارة الذين اشتركوا في المعركة .

وفي أصيل اليوم الثالث رؤي الحوت مرة أخرى . وأصرّ (أهاب) على أن يستمر في مصاولته . ونزلت إلى البحر قوارب جديدة . فلما رفع (موبي ديك) رأسه بدا وكأنه عفريت من الجن ، ومرّة أخرى ابتلع اليم القوارب . وسمعت صرخة مدوية ذلك أن جثة (فيض الله) قد رؤيت تتعثر بين الحبال التي علقت بالحوت .

واستمرّ (أهاب) في مطاردته للحوت الذي أضناه التعب . وأغمد سنان حرابه في جسمه . فانطلق الحوت وقد ملكه الغضب وانقضّ على السفينة فأحدث فيها فجوة . فنظر (أهاب) الى السفينة الغارقة . وطعن الحوت طعنة قاتلة وهو يصرخ ويقول : باسم الكره المتأصل بيننا ألفظ آخر أنفاسي فوق جثمانك ! ثم أصابت الحوت ضربة أخرى كانت هي القاضية . وذلك بعد أن أغرق السفينة وربّانها وبحارتها . . ونظرت حولي فلم أجد من أخطأه الموت غيري .

وبعد يومين انتشلتني من بين الأمواج السفينة (راشيل) ...

(عن الانجليزية)



تبرير الغناء



للأستاذ السيد كمال الشوري

مقدمة : — كثر الكلام عن الغناء . ففريق يذمه ويحرمه وفريق يدعو اليه ويستحسنه ، وفريق بين هذا وذاك .

ويهمني في هذا الموضوع أن أوضح للقارىء حقيقة الغناء ومكانته في الدين ، والواقع إن هذا السؤال حيّر أهل الحكمة من قديم الزمان، لأنهم إن حكموا باباحته استغله السفلة والعوام مطية لقضاء مآربهم من الشهوات والملذات ، فلا يلبث أن ينقلب الغناء نقمة ورذيلة ، وإن حكموا بتحريمه حكموا على قلوبهم بما فيها من شعور ووجدان بالقسوة والحرمان . ومع ذلك فقد تصدى بعضهم للغناء فعرفه وأباحه أو حرمه وأعرض عنه .

ويعجبني في تعريف الغناء قول الأستاذ المرحوم الشيخ المنفلوطي « والغناء على أية حال هو بقية خواطر النفس التي عجز عن ابرازها اللسان فأبرزتها الألحان » . والواقع أن الغناء أقوى الوسائل في تخليد الحِكم والمواعظ، بل وتصويرها في أحسن صورها ، لهذا أقره الدين واستدل فقهاء المسلمين على اباحته بأدلة منقولة وأدلة معقولة .

أولاً — الأدلة المنقولة : وترجع في جملتها الى أحاديث مروية عن نبي المسلمين محمد صلى الله عليه وسلم وأقوال عن بعض الأئمة والتابعين وعن بعض المجتهدين .

ا — الأحاديث المروية عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم

١ — رواية عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وكان معه غلام أسود يقال له أنجشة يحدو ، فقال له الرسول (ويحك يا أنجشه . رويدك بالقوارير) وذلك لأنه كان يسوق الابل وعليها بعض أمهات المؤمنين وأم أنس وهي

أم سليم ويغنيها بصوته الحسن فأسرعت الابل ، فتألمت النسوة فقال رسول الله (ويحك يا أنجشة رويدك بالقوارير) أي تمهل في سوق الابل وخفض من صوتك لراحة النسوة ، فانهن كالقوارير أي كالزجاج لا يتحملن ، لأن الابل إذا غنى لها بصوت حسن طربت وهامت وقطعت المسافة الطويلة بدون ملل ولا سآمة .

٢ — وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن). وقد ذم الله الصوت القبيح بقوله تعالى « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)

٣ — وعن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله يقول (حسّنوا القرآن بأصواتكم ، فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً) .

٤ — قال النبي صلوات الله عليه لابي موسى الأشعري لما أعجبه حسن صوته (لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود) .

ب – الأقوال المروية عن الأئمة في الاسلام

١ - روى ابراهيم بن سعد الزهري عن مالك ان مالكاً سمع من يغني شيئاً على غير الصواب فأخرج رأسه من كوة ورده الى الصواب فسأله ذلك الشخص ليعيده فقال (حتى تقول أخذته عن مالك بن انس) .

٢ وعن الامام الشافعي قال بعد ان اطلق الحرمة في سماع الآلات في رسالته قال بعد ذلك في سياق سماع الغناء والمزامير والمعازف وسائر الملاهي : —

(ولسنا نحرم مطلق السماع ولا نعتقد ان ما يفعل من ذلك كله سفساف وصياع) .

٣ وقال ابراهيم بن سعد الزهري : (شهادتي على أبي انه سمع مالكاً في عرس ابن حنظلة الغسيل يتغنى :

سليمى أزمعت بيننا فأين بوصلها أينا

٤ — ولم يرد عن بقية الائمة ما يفيد تحريم الغناء .

ج — الأقوال المروية عن الصحابة والتابعين

١ — قال عمر بن الخطاب في بعض أسفاره لرباح المعترف (غني) فغناه شعراً .

أتعرف رسماً كالطراز المذهب بعمرة قفراً غير موقف راكب

فأصغى اليه عمر وقال (أجدت بارك الله فيك) فقال رباح (يا أمير المؤمنين لو قلت زه كان أعجب الي) قال (وما زه ؟) قال (كلمة كان كسرى إذا قالها أعطى مَن قالها له أربعة آلاف درهم) قال (ان شئت ان أقولها لك فعلت فاما إعطاء أربعة آلاف درهم فلا يجوز لي من مال المسلمين) .

٢ — وعن عبد الله بن مسعود قال (ما بعث الله نبيًّا الا في حسن صوت وحسن صورة)

٣ — وحكى الماوردي في الحاوي ان معاوية وعمرو بن العاص مضيا الى عبد الله بن جعفر لما استكثر من سماع الغناء وانقطع اليه واشتغل به ليكلماه فيه فلما دخلا عليه سكتت الجواري فقال له معاوية (مرهُنَّ يرجعنَ الى ما كُنَّ عليه) فرجعنَ فغنينَ فطرب معاوية وحرَّك رجليه على السرير فقال له عمرو (ان من جئت تلحاه أحسن حالاً منك) فقال له (اليك يا عمرو فان الكريم طروب) .



الجواري المغنيات

٤ — وقال رجل للحسن (البصري) رحمه الله (ما تقول في الغناء يا أبا سعيد) قال (نعم الشيء الغناء يوصل به الرحم وينفس به عن المكروب ويفعل المعروف) .

٥ — وقيل إن داود عليه السلام كان يسمع لقراءته الجن والإنس والوحش والطير إذا قرأ الزبور .

٦ — وقال عبد الله بن أويس ابن عم مالك وكان من أفضل رجال الزهري قال (مرَّ النبي بجارية في ظل فارع وهي تغني : —

هل عليَّ ويحكمُ إن لهوتُ من حرج

فقال النبي (لا حرج إن شاء الله) .

٧ كان عبد الله الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة . مرَّ عبد الله هذا يوماً بسلامة وهي تغني فقام يستمع غناءها فرآه مولاه فقال له (هل لك أن تدخل فتسمع) فأبى فلم يزل به حتى دخل فقال له (أوقفك في موضع بحيث تراها ولا تراك)

فغنته فأعجبته فقال له مولاه (هل لك في أن أحولها اليك) فأبى ذلك عليه فلم يزل به حتى أجابه ، فلم يزل يسمعها ويلاحظها حتى شغف بها ، ولما شعرت للحظه إياها ، غنته الأبيات الآتية وما كادت تنتهي منها حتى أغمى عليه وهي : —

رب رسولين لنا بلغا رسالة من قبل أن يبرحا
لم يعملا خفا ولاحافرا ولالسانا بالهوى مفصحا
حتى أستقلا بجوابيهما بالطائر الميمون قد انجحا
الطرف والطرف بمثناها فقضيا حاجا وما صرحا

د — الادلة المروية عن بعض المجتهدين

وورد في الاحياء للامام الغزالي ، ان التشبيب بوصف محاسن المرأة لا يحرم نظمه ولا انشاده بصوت أو بغير صوت، طالما انه لاينزل على أجنبية بعينها ، فان مال المستمع الى الحرام كانت الحرمة عليه وحده ، فلا يجوز له ان يحكم على غيره بما فيه، وان مال الى المباح ، كأن مال الى زوجته مثلاً فهو مباح .

وعلى ذلك فهو يجيز السماع والغناء في الأحوال الآتية : —

ا — اذا كان الغناء داعياً الى التقرب الى المولى عزّ وجل.

ب — غناء الحجيج لأنه يهيج الشوق الى بيت الله تعالى.

ح — غناء الغزاة والمحاربين لانه يشجعهم على الحرب ويحرك الغيظ والغضب فيهم على أعدائهم .

د — غناء الأهل في أفراحهم تأكيداً للسرور واعلاناً عنه .

ه — سماع أو غناء العشاق تأكيداً للذة في مشاهدة المعشوق إذا كان ممن يباح وصاله كالزوجة مثلا ، فان طلقها زوجها حرم عليه ذلك بعده.

و — غناء الشجعان في وقت اللقاء فان ذلك يحرك النشاط فيهم للقتال

ثانياً — الأدلة المعقولة : ١— قال النبي صلى الله عليه وسلم (لهو المؤمن باطل إلاّ في ثلاث : تأديبه لفرسه ورميه عن قوسه وملاعبته مع أهله) ولا يمكن أن يكون غير هذه الثلاثة حراماً لانه إن أريد باللهو ما يلهي عن الله وعن ذكره عند كل شيء يدخل فيه جميع المباحات لأن فيها اللهو عن ذلك وليس المباح بحرام . وإذن فسماع الآلات مباح إذا كان في غير أوقات الصلوات، بحيث لم يشغل عن أعمال الطاعات، فانه لايلهي حينئذ وإذن فالمراد باللهو والملاهي المحرمة ما ألهت عن فعل الفرائض والواجبات ، واقترنت بالفجور

والمحرمات كالزنا وشرب الخمر ونحو ذلك . ولقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم (إنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ) والحياة الدنيا ليست بحرام ، لأن الحاصل من هذا القياس بعض اللهو واللعب ليس بحرام وهو ما استثناه النبي في حديثه المذكور .

٢ — وفي (القنية) وقيل المراد من استماع صوت الملاهي معصية وكفر بالنعمة هو الاستحلال بالاعتقاد لا التلذذ بطبع نفساني كما في قوله عليه السلام (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده) ، والمراد من ذلك أنه إذا عرض محبتها في ميزان عقله لا ميزان طبعه النفساني الذي يغلي في عروق فوائده وقتاً بعد وقت . وكل من كان مؤمناً إذا وزن محبة الرسول ومحبة ولده عند ميزان عقله رجح عنده محبة النبي .

وكذلك حال المؤمن في كل الملاهي ، إذا تفكر في حرمة وكون بعد منزلة من الله بذلك السبب ، ووزن حاله في ميزان عقله عند رجوحه كره ، وان كان طبعه قد تلذذ بذلك عند سماعه .

٣ — وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقي من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا على التقطيع ، فلما ظهر عشقته النفس وحنّ اليه الروح . ولذلك قال أفلاطون (لا ينبغي أن تمنع النفس من معاشقة بعضها بعضاً ، ألا ترى أن أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم، ترنموا بالألحان فاستراحت لها أنفسهم) . فالغناء تفريج للكروب وتهدئة للنفوس في طول عنائها ، وما عاق بها من مشاغل وأحزان) .

٤ — والواقع أن فيصل التفرقة بين التحريم والاباحة هو النية ، شأنه في ذلك شأن قراءة القرآن للجنب والحائض والنفساء ، فان كانت بنية القرآن أو الذكر أو الدعاء فهي جائزة ومباحة ، ومع ذلك يترتب عليها الحرمة ، اما اذا كانت القراءة بنية القرآن فهي حرام ، والنية وحدها لا تحرم ما لم يقترن بها فعل الجوارح من لمس وزنا وخمر .

هذه هي جملة ما ورد في الاسلام دفاعاً عن الغناء . واعتقد أن هناك ثمة أدلة يمكن استنتاجها من حياتنا العملية ومن اتصاف الغناء بصفة الفن ، سنوردها في العدد القادم إن شاء الله.

للبحث بقية

نحن واللغة العربية[1]

اللغة العربية من أيام الجاهلية الى أيام النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر للميلاد

للأمير مصطفى الشهابي

إذا أنعمنا النظر في لغتنا الضادية نجد أنها أعظم فرع في دوحة اللغات السامية ، وهي السريانية والعبرانية والفينيقية والآشورية والبابلية والحبشية ، أي لغات الشعوب التي كان مهدها الأصلي جزيرة العرب ، ثم هاجرت منها لأسباب شتى ، الى الأصقاع المجاورة ، في موجات بشرية واغلة في القدم.

وإذا قلبنا الطرف في تاريخ هذه اللغة نجد أنها كانت قبل الاسلام لغة العدنانيين من العرب ، أي لغة الحجاز ونجد وشمالي الجزيرة ، وأنها كانت لهجات تختلف قليلاً باختلاف القبائل ، وان أعلى اللهجات كعباً إنما كانت لغة قريش التي نزل القرآن الكريم بها لخلدها على كرّ الأيام والسنين .

ولقد أخطأ من ظنّ أن اللغة العريقة كانت قبل الاسلام لغة ضيقة لا تُفصح عن كثير من المعاني ولا تعبر عن خوالج النفس البشرية . ولئن ضاع تاريخ تطور العربية العدنانية المُضرية في طيات الحقب الخوالي ، قبل أن يكون للعرب تاريخ معروف مدوّن ، فلا مرية فيه أنها كانت قبيل الاسلام من أنضج الألسنة وأدقها تعبيراً وأغناها بالمترادفات . وقد ترك لنا عرب الجاهلية ثروة من أجود الأشعار وأرقها وأخلصها وأيسرها وأبعدها

(١) المقتطف هذه سلسلة أحاديث كان قد أذاعها معالي العالم الجليل الامير مصطفى الشهابي في راديو دمشق ولم ينشرها في الصحف ، وبحوث الامير العلمية والادبية لا تفقد جدتها مهما يطل عليها الزمن . ويسرنا ان يعود معاليه بعد انقطاع طويل الى نشر ما كان يتحف به قراء المقتطف من مقالاته النفيسة .

من الذل والاستجداء. وخلفوا لنا جملة صالحة من الحكم والأمثال. ومن اطلع على شيء من هذه الأشياء والحكم والأمثال، في أمهات كتب الأدب والمعلقات وديوان الحماسة وأمثال العرب للضبي وجمهرة الأمثال للعسكري وجد فيها الأدلة الناصعة على صحة ما ذكرته.

وجاء الإسلام فاذا بالقرآن الكريم يصبح أم مرجع لهذه اللغة وأصلح ضابط لها وانتشر الاسلام فاذا بأفق العربية يمتد معه. وبينا كنت تراها في الجاهلية منكمشة في منابتها الأصلية لا تتعدى عربة (جزيرة العرب) وبوادي الشام والعراق وديار ربيعة (الجزيرة)، إذا بها تصبح في الخلافات العربية الاسلامية لغة الدين والعلم والأدب والسياسة، من حدود الصين شرقاً حتى بحر الظلمات (الأطلنطي) غرباً.

وفي عصر الخلفاء الراشدين جمع القرآن وضُبط ودُوِّن له أربع نسخ صحيحة. ثم في أيام الأمويين اتسعت الفتوح، وانتشر العرب في البلاد الاسلامية المترامية، وازداد عدد المتكلمين بالعربية من غير العرب، وكثر بازدياهم اللحن، فاشتدت الحاجة الى ضبط قواعد اللغة فوضع أبو الأسود الدؤلي شيئاً من علم النحو، ووضع غيره صور الحركات الثلاث الضمة والفتحة والكسرة، ثم أحدثوا الإعجام أيام الحجاج وبعده تمييزاً لبعض الحروف من بعض بالنقط.

وفي أيام بني أمية نُقلت الدواوين من الفارسية والرومية والقبطية الى العربية، ومُهدت السبل لتعرُّب سكان العراق والشام ومصر فتعرَّبوا دون إكراه، وأصبحت هذه الأقطار الثلاثة من أهم فروع الدوحة العربية، وصار بعدئذٍ كل من ينزلونها من الأقوام كالترك والكرد والشركس وغيرهم يتعرَّبون حثيثاً وتُعد أنسالهم عربية. أما نصارى هذه الأقطار فتعربهم كان أمراً طبيعيًّا لأنهم كانوا إما من أصول غسانية عربية وإما من أصول سريانية أو قبطية والمهد الأصلي لكليهما جزيرة العرب فهي أمهم ومنها هاجروا في فجر التاريخ

وفي كنف الأمويين قامت أسواق الأدب في الكوفة والبصرة، وتألفت حلقات الأدباء والشعراء والعلماء، ونشأ القراء والمفسِّرون والمحدثون والفقهاء واللغويون، فأغنوا اللسان الضادي بما ضموا إليه من المصطلحات الفقهية والادارية والحربية وغيرها من الألفاظ التي تحتاج إليها الدولة في تصريف أعمالها.

أما الخطابة فقد كان لها شأن عظيم في عهد الأمويين لأنها كانت أكبر أداة يضمون بها الناس الى صفوفهم . وكان معظم الخلفاء والأمراء وقواد الجيوش من الخطباء المعروفين بفصاحة اللسان وقوة البيان . وأما الشعر فلم يكن له من المنزلة في أي دولة من الدول العربية ما كان له منها أيام بني أمية ، لأن هؤلاء كانوا من أشد الناس عصبيةً للعربية ، ومن أحرصهم على إحيائها وعلى نشر آدابها . وكان فيهم الأدباء والشعراء والخطباء فلا غرابة أن ينشأ في ظلهم شعراء جمعوا في شعرهم بين بلاغة العصر الجاهلي وسلاسة الألفاظ والتعابير القرآنية . ولا يوجد عربي شدا شيئاً من آداب العربية إلاّ وله اطلاع على جانب من شعر الأخطل والفرزدق وجرير وجميل بن مَعمَر صاحب بُثينة وكُثَيّر ابن عبد الرحمن صاحب عزة وعمر بن أبي ربيعة المخزومي وقيس بن ذَريح صاحب لُبنى وقيس بن الملوّح صاحب ليلى الذي جُنّ بها . وهنالك عشرات غيرهم من فحول الشعراء في مختلف مناحي الشعر .

وفي أيام بني أمية بدأوا يكتبون التأريخ وينقلون الى العربية علوم السريان والفرس والهنود . واشتهر بذلك خالد بن يزيد حفيد معاوية . لكن جميع ما كتبوه أو نقلوه قد غيبته الأيام في طياتها ، والنهضة العلمية لم ترسخ أقدامها إلاّ في أيام بني العباس ففي تلك الأيام ولا سيما في عهد الخلائف الاول من بني العباس بلغت المدنية العربية أوجها الأعلى ، ونقلت الى لساننا زبدة علوم الأقدمين في الطب والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق والنبات والحيوان وغيرها ، فازدهى هذا اللسان بمئات وألوف من التعابير والمصطلحات الجديدة في شتى ضروب العلم والفلسفة والأدب والادارة والسياسة ، ولم يضق ذرعاً بما نُقل إليه من العلوم ، بل وسعها كلها ووسع ما أضافته قرائح علماء العرب والاسلام إليها ، وحفظها جميعاً ، وقدّمها الى العالم الاوربي قبيل نهضته الحديثة . ولولا العرب والعربية لضاعت علوم الأقدمين ولذهبت الصلة بينها وبين العلوم في أيام الناس هذه ، ولتأخرت النهضة الحديثة في أوربة زماناً لا يعلم مداه إلاّ الله .

وكان الأولون من خلفاء بني العباس كالمنصور والرشيد والمأمون من أشد الناس رغبة في العلم والأدب ، ومن أكثرهم إجلالاً للعلماء والأدباء . وكانوا يتذوّقون دقائق

اللغة ومحاسن الشعر ، ويميزون الغث من السمين في ضروب الأدب . وعكف عدد من أبنائهم على العلم والأدب ، وصنّف بعضهم كتباً في موضوعات شتى ، وكان لبعض الأمراء والوزراء ميل إلى اكرام الأدباء والأخذ عنهم واشراء مصنفاتهم كأبي دُلَف العِجْلي والفتح بن خاقان وعبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي وآل برمك والفضل بن الربيع وغيرهم كثير . فلا غرو ، والأمر على ما ذكرت ، أن تروج سوق الأدب واللغة في الكوفة والبصرة بادىء بدء ، وأن ينتقل مقرها بعدئذٍ الى بغداد عاصمة ذلك الملك الواسع الأرجاء . ولا عجب أن يرق الشعر ويتحضر ويتناول موضوعات شتى من مدح ووصف وغزل وخمريات وتهتك وخلاعة ، وأن ينبغ في الشعر أمثال بشار بن برد وأبي نواس وأبي العتاهية والسيد الحميري ومُسلم بن الوليد وأبي تمام وأبي دلامة وعشرات غيرهم وأن يظهر أئمة الكتاب والمنشئين كعبد الله بن المقفع صاحب كليلة ودمنة وكسهل ابن هرون وعمرو بن مسعدة .

أما اللغة ومفرداتها فقد حفظها أئمة الرواة في ذلك العصر وأشهرهم أبو زيد الانصاري وأبو عبيدة والأصمعي ، فدوّنوا بعض كلماتها في رسائل شتى ، ولكن الفضل في وضع أول معجم عربي يرجع الى الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي سيد أهل الادب وأول من ضبط اللغة واستخرج علم العروض . ومعجمه يسمى كتاب العين لأنه يبدأ بحرف العين .

وفي صدر الدولة العباسية ظهر النحاة وأشهرهم سيبويه صاحب أجل كتاب في هذا العلم . ويأتي من بعده الكسائي والفرّاء . وكان هرون الرشيد تلميذ الكسائي ، كما كان أبوه المهدي تلميذ القَطامي في اللغة والأدب .

ولما أخذ الأتراك يتسلطون على الخلفاء في القرن الثالث للهجرة ، عمت الفوضى وكسدت سوق اللغة والأدب والشعر والترسل ، وبعد أن كان العلماء والأدباء والشعراء يمنحون المئات والألوف من الدنانير على نتائج قرائح أصبح زملاؤهم يشتكون من ذهاب دولة الشعر والأدب بذهاب الخلفاء والأمراء والوزراء الذين يقيمون لسلطان العلوم وزناً .

ومع هذا فقد ظهر في القرنين الثالث والرابع شعراء مشهورون كابن الرومي والبحتري وأدباء وكتاب يعدون أئمة في الأدب والبيان كالجاحظ صاحب البيان والتبيين ، وابن قتيبة صاحب أدب الكاتب ، وقدامة بن جعفر صاحب كتاب نقد الشعر وكتاب نقد النثر ،

وأبي العباس المبرد صاحب كتاب الكامل ، وأبي عليّ القالي صاحب كتاب النوادر المعروف بأمالي القالي ، وأبي الفرج الأصبهاني العربي الأموي صاحب كتاب الأغاني . وظهر في الأندلس إبن عبد ربه صاحب العقد الفريد . ومن المعروف أن هذه الكتب تعد أمهات كتب الأدب في لساننا العربي . أما في اللغة فقد ظهر المعجم المسمى الجمهرة لابن دريد صاحب المقصورة الشهيرة .

ولما استقرّ البويهيون في بغداد في القرن الرابع للهجرة وانقسمت البلاد الأسلامية دولاً مختلفة كالدولة الفاطمية في مصر ، والحمدانية في حلب والجزيرة ، والبويهية في العراق وفارس ، والمروانية في الأندلس الخ . نزح العلماء والأدباء عن بغداد ، وتفرقوا في أنحاء تلك الممالك ، وأصبحت مراكز العلم في مصر والشام والمغرب والأندلس والعراق العجمي وخراسان وغيرها من الأطراف . وكان آل بويه فُرساً تعرّب كثير منهم ونصروا رجال العلم والأدب ، أما المروانية والحمدانية والفاطمية فكانوا عرباً . وظهر فيهم ملوك وأمراء كان لهم عطف شديد على رجال العلم والأدب . ولهذا نضجت ثمار العلوم والآداب في تلك الحقبة وكثرت دور الكتب ، وصُنفت معاجم اللغة ، واتسع خيال الشعراء ، وظهرت الروايات والقِصَص والمطلات .

ومن أشهر شعرائها أبو الطيب المتنبي وأبو فراس الحمداني والسري الرفّاء والشريف الرضي وأبو العلاء المعري وغيرهم كثير . وكان عند البويهيين من الوزراء الكتاب ابن العميد والصاحب بن عباد وممن ذاع صيتهم أبو منصور الثعالبي صاحب يتيمة الدهر وبديع الزمان الهمذاني صاحب الرسائل المشهورة وأبو علي التنوخي صاحب كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة . وتكامل نشوء المعاجم اللغوية في القرنين الرابع والخامس . ومن أشهرها الصحاح للجوهري والتهذيب للأزهري والمُجْمَلُ لابن فارس والمخصص لابن سيده وهو أجلها (رُتبت كلماته على حسب معانيها) .

ولم تدم هذه النهضة الأدبية واللغوية والعلمية كثيراً لأن العرب والمتعربين الذين هم قوام هذه النهضة وحماتُها قد تغلبت عليهم أمم همجية لا تدرك معنى العلم ولا تقيم للعلماء وزناً . ففي العراق لم ينتصف القرن الخامس للهجرة حتى دخل السلاجقة بغداد وهم أتراك دانوا بالاسلام ليسهل عليهم فتح الممالك الاسلامية . وفي أوائل القرن السابع اكتسح جنكيز خان المغولي المشهور الديار الاسلامية فخرب مدنها وأحرق دور كتبها وقتل فيها قتل الشيوخ والنساء والأطفال . ثم ظهر من نسله سفاح آخر إسمه هولاكو دخل بغداد في أواسط القرن السابع فخربها ونهب دورها وقتل علماءها وألقى كتبها في دجلة حتى صار

ماؤها يجري أسود من مداد آلاف الكتب الملقاة في الماء . وكان ثالثة الأثافي تيمورلنك الذي فاق أسلافه بضروب الوحشية والهمجية . وكان لهؤلاء المغول تأثير سيء كبير في اللغة العربية وآدابها مدة ثلاثة قرون . ولولا الحيوية العظيمة التي كمنت فيها لتقلص ظلها من البلاد التي دنستها أقدام المغول .

ومن حسن حظ العربية أن قيض الله لها الدولة الفاطمية فالدولة الأيوبية في مصر والشام . والأيوبيون أكراد تعربوا ونبغ منهم علماء وأدباء لعل أشهرهم المؤرخ الشهير أبو الفداء . واجتمع العلماء واللغويون والشعراء حول رجال هاتين الدولتين كما اجتمعوا حول بعض من ناصروا العلم من وزراء الدولة السلجوقية . وهكذا ظهر من علماء اللغة جار الله الزمخشري صاحب معجم أساس البلاغة وكتاب المفصل في النحو ، وابن الحاجب صاحب كتاب الكافية في النحو والشافية في الصرف كما ظهر من بعد في القرن السابع ابن منظور صاحب معجم لسان العرب أعظم معاجما وأوثقها ، وفي القرن الثامن الفيروزابادي صاحب المعجم المشهور المسمى بالقاموس المحيط .

أما عهد العثمانيين ، منذ أن احتلوا ديار العرب في القرن العاشر للهجرة الى خروجهم منها عقب الحرب الكبرى الماضية ، فقد كان في الجملة أسوأ أيام مرت على اللغة العربية وآدابها . ذلك أن المماليك من أتراك وشراكسة كانوا قبل الأتراك العثمانيين يسكنون مصر والشام ويتملون العربية . وكانت هذه اللغة في أيامهم هي لغة الدولة الرسمية . أما العثمانيون فقد اتخذوا اسطنبول عاصمة لهم وجعلوا التركية لغة الحكومة الرسمية حتى في البلاد العربية . وكان ذلك ضربة أصابت لغة القرآن في الصميم . ولم تشف لغتنا الضادية المباركة من تأثير هذه الضربة إلا بعد أن قامت الدولة العلوية في مصر على يد محمد علي ، وبعد أن تغلبت جيوش الحلفاء والثورة العربية على الدولة العثمانية في الحرب الماضية ، فأخرجتها من الشام والعراق واليمن والحجاز . وكان مغبة ذلك النصر قيام دول عربية في تلك الأقطار العربية أعترف لها دوليًا بكيان قومي وأصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في دوائر حكوماتها وفي مدارس تلك الحكومات . وبينما كنا أيام الدولة العثمانية ندرس لغتنا الضادية في الشام باللسان التركي على معلمين أتراك معرفتهم بالعربية كمعرفتهم بالصينية ، صار من أتوا بعدنا من الشبان يدرسونها على مثل الجندي والمبارك والغلاييني والبزم والنعسان ومن هم في طبقة مقاربة من الأساتذة المعروفين . ولو رحنا نقايس بين هؤلاء وأولئك لصح الاستشهاد بالبيت المشهور .

ألم تر ان السيف ينقص قدره إذا قيل هذا السيف أمضى من العصا

حاكم السودان

في عهد الفراعنة

للدكتور باهور لبيب

علاقة مصر بالسودان قضية قومية تشغل أذهان مصر ، ملكاً وحكومة وشعباً ، في هذه المرحلة التاريخية الدقيقة الراهنة ، كما شغلت أذهان قدماء المصريين من قبل في مختلف عصور مصر الزاهرة

وفي عرض تاريخ علاقة مصر بالسودان أيام الفراعنة من العظة ما يكاد يكفي لعلاج موقفنا الحاضر . وما أجمل الماضي حين يحمل بين طياته الذكريات المشرفة للقضية المصرية السودانية . ولاتحاد شعب النيل ، وهذه العظة كما يتبين لنا من عرض التاريخ المصري القديم في العصور الفرعونية الزاهرة هي قوة مصر حين يلتف شعب الوادي حول عرش ملك مصر ، رمز الوحدة والاتحاد والقوة

سجل تاريخ مصر الفرعونية ان عصور وحدتها القومية ،والتفاف شعب الوادي حول العرش ، هو السبب الأول الذي حقق وحدة وادي النيل أيام الفراعنة والذي دفع مصر الفرعونية — في نواحي النشاط المختلفة والانتاج الفكري الى بلوغ ما وصلت اليه — من حضارة وعز ومجد

كان اهتمام الفراعنة قوياً منذ فجر التاريخ للسعي الى توحيد اجزاء وادي النيل ، ويرجع هذا الى سببين أساسيين : أولهما العلاقة الطبيعية والحيوية ، والآخر العلاقة القومية والسياسية . فلقد تطورت العلاقات بين اجزاء الوادي بطبيعة الحال تطوراً تدريجياً حتى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وصلت الى ذروة الرابطة الوثقى ،وارتضى أهل الشمال والجنوب على وحدة وادي النيل تحت تاج ملك مصر

واستمرت العلاقات الطيبة بين الشمال والجنوب في عصر الوحدة حتى رأى الملك سنوسرت الأول حوالي سنة ١٩٥٠ قبل الميلاد ، ان من خير الوسائل لتحقيق الوحدة تعيين « حبجافي » ، حاكم أسيوط المصري الجنس ، حاكماً عامًّا للسودان ، محققاً بذلك اهتمامه بادارة شئون السودان ومؤكداً ان نفع السودان وخيره يرتكزان على الانضمام والاتصال ، لا البعد والانفصال . وبعدئذٍ أجرى الملك سنوسرت تعديلاً في سائر الشئون التي تكفل النفع للقطرين ،فعدلّ النظام الاداري في مصر بتمييز وزير ثانٍ الى جانب الوزير الأول ، يختص احدهما بشئون الوجه البحري، ويختص الآخر بشئون الوجه القبلي . واستمر ملوك عصر الوحدة الثانية بالاهتمام بمختلف وجوه النشاط المصري في السودان ، فمن مشروعات مائية ، الى عمرانية ، الى اقتصادية ، الى حربية فكانوا يبذلون كل ما في وسعهم من جهد لاسعاد السودانيين وتوفير كل خير لجنوب الوادي .

* * *

واستمرّت هذه العلاقات الطيبة في أيام الفراعنة تزداد وتقوى بين الشمال والجنوب الى نهاية عصر وحدة مصر الثانية ، حتى شعر رجال الجيش وحكام الاقاليم بقوتّهم ، فأخذوا يبتعدون عن العرش ، وبدا بينهم من التشاحن والتنازع ما أدّى بطبيعة الحال الى ضعف مصر ، فداهمها العدو المعروف في التاريخ باسم « الهيكسوس » واستولى على جزء كبير منها

كان ذلك حوالي عام ١٧٣٠ قبل الميلاد وظلّ الأجنبي يستعمر مصر حوالي قرن ونصف قرن ، الى ان شعر المصريون بخطئهم ، وعرفوا ان التناحر على الحكم والانقسام وعدم الالتفاف حول العرش كان سبب نكبتهم وتفكك وحدتهم ، فقاموا قومة رجل واحد ، ملتفين حول الملك احمس (بطل حرب الاستقلال في دورها الاخير) حتى تمكنوا من طرد المستعمرين الأجانب حوالي سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد

وعادت مصر ، للمرة الثالثة ، الى مجدها القديم ، وتبوأت مكانة عالية في المدنية

(الحضارة العلمية والفنية ، كما بدأ نجم مصر الحربي يتلألأ من جديد ، بفضل وحدتها (التفافها حول مليكها

وبعد أن انقشعت غمة الاستعمار بطرد المحتلين، وبعد وحدة مصر والتفاف شعبها حول رشها ، نجد ان العلاقات بين مصر والسودان يتصل حبلها من جديد في صورة رائعة ، نجد ان منصب حاكم السودان العام يعاد ويضاف الى شاغله لقب الابن الملكي للسودان . ليست كلمة ابن هنا معناها ان يكون الحاكم حقاً من أبناء البيت المالك ، ولكن هذا للقب في الواقع معناه ان حاكم السودان مقرّب من الملك ، وله شرف الاتصال بمليك لوادي . وفي هذا اللقب اشارة جلية الى اظهار عدم تفريق ملك الوادي بين مصر والسودان ن جهة الحكم والادارة ، كما ان فيه شعوراً راقياً لأهل السودان بأن ملك مصر قد أوفد يهم من هو في حكم ابنه ليدير دفة شئون السودان الشقيق

* * *

ويحدّثنا تاريخ مصر الفرعونية بأن كل حاكم عام للسودان كان يعمل بادارته الحازمة لى رخاء البلاد الشقيقة ونشر الأمن فيها . وذلك لأن من اختصاصه تصريف الشئون لادارية والاشراف على المسائل المالية والقضائية ، ومنها الاشراف على ان حلف اليمين يكون سم ملك مصر .

وكان وجود منصب حاكم السودان العام على هذه الصورة ، وبهذا اللقب ، أقوى برهان لى اعتبار السودان جزءاً من مصر ، واعتباره أرضاً مصرية .

ولقد استمرت وحدة وادي النيل الثالثة مدة من الزمن في ود وصفاء،فزادت الروابط ثقافية بين شمال الوادي وجنوبه ، وأصبحت مظاهر الوادي كله مصبوغة بصبغة واحدة ي الصبغة المصرية

فمصر هذه التي بلغت هذا الشأو منذ آلاف السنين ليس بكثير عليها ان يعيد الآن تاريخ نفسه في اجماع شعب الوادي مصره وسودانه على الالتفاف حول مليك الوادي روقنا المحبوب،حفظ الله الملك لمصر ذخراً ، ولشعب الوادي قدوة وفخراً.



نظرات في النفس والحياة

— ٢٧ —

تكملة نظرات هازلت

للأستاذ ع . ش

وليام هازلت هو الكاتب الناقد الانجليزي صاحب الرسائل وله مؤلفات أهمها رسائله في موضوعات مختلفة ، ويمتاز بالنظر في النفوس وخصائصها وفي بعض الأحايين يذكرنا مونتاني الفرنسي صاحب الرسائل ، وله كتاب في سيرة نابليون بونابرت كتبه من جانب الاحرار كما كتب السير والتر سكوت سيرة نابليون من جانب المحافظين . وقد بلغ اعجاب هازلت بنابليون حداً لم يبلغه إعجاب جوتا الألماني فان جوتا كان يعرف عيوبه . وقد كان هازلت مناصراً لنابليون حتى بعد أن تخلى عنه الاحرار الفرنسيون. وبالرغم من أنه أرهق انجلترة بحروبه وكان هازلت من الاحرار الانجليز ولكنه كان ينتقد تطرف الاحرار أمثال شلي الشاعر الانجليزي فاعتناقه لمذهب الاحرار كان مقروناً بالطبيعة العملية وحب الاصلاح العملي وفي حدود مستلزماته فهو من هذه الناحية انجليزي بطبعه . والظاهر انه كان يناصر نابليون لانه كان يعلم أن سقوطه يؤدي الى روح رجعية في فرنسا وغيرها كما حدث فعلاً بعد سقوطه. وكان هازلت معجباً بأدموند بيرك وعبقريته بالرغم من أنه انتقد أعمال أحرار الثورة ومبادئها وكان يقدر وردزورث الشاعر بالرغم من انكاره انقلابه على مبادىء الاحرار ولم تكن له منفعة شخصية في مناصرة نابليون والاعجاب به . والذي يهمنا من مؤلفات هازلت نظراته في النفس والحياة في رسائله العديدة . ولعل هذا سبب اعجاب سمرست موام القصصي به، ولو انه مدحه لطلاوة أسلوبه وله كتاب (رسائل حديث المائدة) و (رسائل المائدة المستديرة) و (رسائل ونترسلو) وغيرها . وله كتاب فلسفي لا داعي للكلام عنه الا أن نقول إن شغفه بالفلسفة ربما كان من أسباب عمق بصيرته في رسائله

التي عني فيها بالنظر الى خصائص النفوس وكان مولعاً في صغره بالرسم . ولكن غلب عليه الادب . وكذلك كان مولعاً بالشعر، وله رسائل في نقد الرسامين والشعراء ، وله بحوث في قصص شكسبير وأشخاصها ، وفي قصص شعراء عصر الملكة اليزابيث التمثيلية . ولعل دراسة هؤلاء كانت أيضاً من أسباب بحث خصائص النفس والحياة. وكان صديقاً لكولريدج الشاعر والشارلز لامب صاحب الرسائل المعروفة. ولم يكن موفقاً في حياته الزوجية كما لم يكن موفقاً في اجتذاب الأصدقاء واستبقائهم ولا في تجنب الخصوم وتألفهم . وقد أثر أقوال الخصوم في رأي بعض الكتاب الى عصرنا هذا . وقد اتهم بمناقضة نفسه إذ يمدح الانسان ثم ينقده ولكن ذمه أو نقده لمن نقدكان من جانب آخر غير الجانب الذي مدحه به كما رأينا في نقده لادموند بيرل الخطيب العبقري وللشاعر وردزوورث الخ. ومن قرأ رسائله وجد أنه في أكثرها أعظم اتزاناً مما يظن خصومه . ولعل كثيراً من الانجليز لم يغتفروا له، كما لم يغتفر بعض الألمان لجوتا اعجابه بعبقرية نابليون واصلاحه وتنظيمه ، وذلك لاعتداء نابليون وارهاقه الدول وتعطيله التجارة فسئمت تكاليف الحياة . وفيما يلي بعض نظراته مع تعقيب قليل على بعضها : —

(١) ان الذين لم يتعودوا أن يجادلهم مجادل وان يعارضهم معارض لا يعرفون كيف يقابلون المعارضة والمحاجة فاذا فاجأتهم معارضة تلمسوا طريق الفرار قانعين بالانخذال . ومفاجأة الأمر الذي لم يتعودوه تفت في عضدهم فتصيبهم الدهشة والخوف من الأمر الغريب، وربما بعث الأمر الغريب الذعر والقلق والحيرة والارتباك ، فالمعارضة والمجادلة والمحاجّة أمور تعوّد المرء الاعتماد على نفسه وعقله .

(٢) إن حب الانسان للحياة وتعلقه بها وتَشَبُّثه لا يكون على قدر هناءتها ودعتها، وما يلاقي فيها من دواعي السرور . فانك قد تجد الرجل المكدود الذي لا ينال رزقه إلا بشق النفس أكثر تعلقاً بالحياة من الوارث المنعّم الملول الذي يجد كل شيء مستطاعاً. ومع ذلك قد لا يلذ له شيء ، وربما بخع نفسه من الملل. وانما يكون تعلّق الإنسان بالحياة على قدر رغائبه ومطالبه منها التي لم ينلها بعد ولم يحصل عليها . وكثيراً ما تكون العقبات والمطالب حافزاً له على التشبث بالحياة والاستمساك بها . فالذي يريد أن يتخذ من تشبث

الانسان بالحياة دليلاً على أن السعادة فيها أغلب وأعم من الشقاء، وانها أمرٌ قيّمٌ في ذاته، إنما يتخذ منطقاً غير صحيح كي يثبت به أمراً ربما كان صحيحاً .

(٣) قد تكون شدة عاطفة الانسان ورغبته سببها العوائق التي تعوق عن الامر المرغوب فيه ، وليست قيمته ولا عظم فائدته هي السبب . فكم من أمر كنا لانقيم له وزناً ولا قيمة، ولا نأبه له كثيراً وهو في يدنا، حتى إذا خرج منها ولم يعد في حيازتنا ، اشتد طلبنا له وأسفنا على فقدانه اذا كان ليس في استطاعتنا أن نحوزه .

(٤) كل ما هو خير في نفس المرء قد يدفعه الى الشر والاجرام كانتصاره لما يرى أنه حق وفضيلة، أو كمناصرته لعقيدته، أوكاخلاصه لوطنه. وذلك لأنه أصعب على المرء أن يبذ مخالفه أو خصمه بالفضل ، وأسهل أن يقهره وأن يؤذيه بالاعتداء والبطش، وفي كل نفس مع ما فيها من خير . ميل إلى الشر مكبوت كالكلب المفترس المكمم ، فاذا استطاع المرء أن يختلق عذراً لنفسه بأية وسيلة رفع الكمامة وأطلق ذلك الكلب المفترس والوحش الضاري وأجراه على الناس كي يؤذيهم ، فكل ما ينقص الانسان كي يصنع الشر هو اختلاق العذر. ومن أجل ذلك ينبغي أن يحذر المرء جانب الخير من نفسه ، وحيّز الفضيلة منها بقدر حذره جانب الشر والرذيلة .

(٥) يقول بعض الناس إن الرذائل إذا زُيِّنت وحُسِّنت فقدت نصف شرها . وعندي إنها تزداد شرًّا بتلك الزينة التي تكتسب من زينة أصحابها . ومن رشاقة ظاهرهم ، أو من تغييرهم أسماءها، أو من تحليتها بشيءٍ من الفنون الجميلة يُجمِّلها ويُخفي قبحها وشناعتها، أو من مظاهر الغنى والترف التي تغطي عليها ، فيقبل الناس عليها ، بدل النفور منها، ويرتادونها بدل الفرار عنها .

(٦) كثيراً ما يلجأ الناس إلى الاضطهاد في معاملة ذوي الاضطهاد، وإلى قلة التسامح مع أعداء التسامح ، فلا يزول الاضطهاد ولا تمتنع قلة التسامح . وقد يكون الاضطهاد لغير صد عادية ذوي الاضطهاد ، بل للذة تجدها النفوس فيه .

(٧) إن تنبُّه عقل الانسان للأمور لا يكون على قدر الفائدة والعائدة من تلك الامور ، وإنما يكون على قدر وقعها من نفسه وأهوائها وهواجسها. وقد لا تتناسب شدة

وقعها من نفسه وأثرها فيها مع الفائدة المرجوة منها . بل قد يكون أثر شدة وقعها من نفسه مثل أثر الاشراف من مكان مرتفع على هوة سحيقة ، فيحس المرء احساساً بالاندفاع الى تلك الهوة، وذلك الحضيض، ويكاد يرمي بنفسه فيه . وقد يفعل وهو يعرف أنه هالك لا محالة اذا فعل ، وإنه لا فائدة له اذا رمى بنفسه فيه .

(٨) إن بعض الناس لهم قدرة غريبة على ربط أنفسهم بكل موضوع للحديث حتى يصير حديثاً عن أنفسهم بعد أن كان حديثاً عن الموضوعات العامة مثل الكتب أو الحضارة أو الريف أو الشعر أو الفلسفة أو السياسة أو المجالس النيابية أو المباني أو أي موضوع آخر لا صلة لهم به، ولكنهم بمهارة سحرية يحولونه الى حديث عن أنفسهم ، والى محاولة لتمجيد خصالهم وصفاتهم وأعمالهم ، حتى ان جليسهم يكاد لا يعرف كيف تحول الموضوع .

(٩) ومن الناس من لهم موضوع حديث واحد غالب عليهم ولازم لهم لزوم الظل لصاحبه (فاذا كان الحديث الغالب عليهم هو الحديث عن الحلاقة حولوا كل حديث مهما كان موضوعه الى حديث عن الحلاقة) ومثلُ هؤلاء مثلُ الآلة الموسيقية التي لا تخرج غير نغمة واحدة ، ويدور بها الشحاذون يستجدون فيطلقون النغمة الواحدة منها في كل مكان مرة بعد أخرى . وكذلك أصحاب الفكرة الواحدة أو القصة الواحدة التي لا تفارقهم ولا يفارقونها أبداً ويحكونها ويرددونها في كل مجلس حتى المجالس التي سبق ترديدهم لها فيها ويجدون لذةً في ذلك ولا يشعرون بما يعانيه جلساؤهم من ألم وملل وامتعاض .

(١٠) ومن الناس من يأبون إلا ان تقتنع بآرائهم، فاذا سكتَّ وشعروا ان سكوتك من عدم الاقتناع، لجوا في ذكر آرائهم وترديدها وإعادة ذكر حججهم ويأبون تغيير موضوع الحديث إذا حاولت ان تغيره بلطف، وإذا اعترفت لهم بما يريدون كي تتقي الحاحهم وشعروا ان اعترافك لهذا السبب وحده دون الاقتناع، فانهم ربما أعادوا الكرة عليك بآرائهم وحججهم ولا تقنعهم مجاملتك لهم حتى يروا مظاهر الاقتناع منك بادية عليك سواء أكان وراء تلك المظاهر اقتناعٌ حقيقيٌ ام كنت ماهراً في تزييف مظاهر الاقتناع حتى يخدعوا بها .

(١١) قال الاسكندر المقدوني لو لم أكن الاسكندر لوددت أن أكون ديوجنيز الفيلسوف. وهذا الاستثناء صفة عامة في النفوس، فاذا سمعت انساناً يود ان يكون انساناً

آخر فهو انما يود ان يظل على شخصيته ، وان يزاد عليها ثروة المغبوط أو علمه أو ذكاؤه أو جاهه أو قوته الخ. اما ان يتمنى المرء مع حيازته لهذه الامور المغبوطة ان يفقد شخصه ونفسه فأمر لا يقبله أحقر صعلوك ، لأنه لو فقد ما يميزه عن غيره من ذكريات وخواطر وصفات وآمال واحساسات وصار انساناً آخر لم ينتفع بالأمور المغبوطة التي حازها ، بل المنتفع يكون انساناً آخر غير نفسه ، وقد خسر نفسه بدل أن يزاد عليها .

(١٢) بالرغم من صغر شأن كل انسان في العالم ومعرفته صغر شأنه فانه قلما يطمئن الى ان العالم لا يباليه ولا يهتم له كما يبالي نفسه وكما يهتم لشؤونها فيدهش ويرى أن ذلك من قلة الانصاف كأنه يرى ان من الواجب ان يبالي العالم نفسه وشؤونها كما يباليها هو، مع ان الامر عكس ذلك إذ من الأمور الطبيعية ان لا يقيم الناس وزناً لأموره كما يقيم هو وزناً لها. وقد يفطن الى ذلك بعد الغفلة، ولكن هذه الفطنة لاتلبث ان تزول، فاذا فوجىء مرة أخرى بالشعور بقلة مبالاة الناس اياه دهش مرة ثانية. ثم مرة ثالثة ،وهكذا لاتفاجئه تلك الدهشة كلما فوجىء بقلة اهتمام العالم له كما يهتم لنفسه وعدم اقامته وزناً لأموره كما يقيم لها وزناً . وقد تكون دهشته في كل مرّة مثل دهشته في المرة السابقة وقلقه وقلة اطمئنانه مثلهما في كل مرّة يشعر ان العالم لا يباليه كما يبالي أموره ولا يفيد من المرات السابقة عظة .

(١٣) إن الذين يبالغون في قدر قيمة فضائلهم أو مزاياهم أو آرائهم كأنهم ينظرون بعين من أصابه اليرقان . إذا نظروا الى آراء غيرهم أو فضائلهم أو مذاهبهم أو مبادئهم ، فتظهر لهم كما تظهر الأشياء مصفرة كريهة في عين من أصيب بداء اليرقان ، والذين عانوا الاضطهاد من غيرهم كثيراً ما يتعلمون منه كيف يضطهدون غيرهم بدل ان يتعلموا ضرورة التسامح . ومن أجل ذلك يصل الناس الى قَصرِ صدق النظر والمبدأ والأخلاق والرأي على طائفتهم وحدها مهما تكن تلك الطائفة صغيرة، وهذا ضيق في الذهن لايمكن صاحبه من أن يفهم أن عقول الناس تختلف كاختلاف وجوههم، وان اختلاف الآراء والمبادىء والمذاهب أمر ضروري ، وان أنواع الفضل متعددة، وينبغي أن نقبلها على اختلافها ، فان اختلافها دعامة الحياة .

(١٤) إن الناس يقيسون الدنيا وأمورها بأنفسهم لا بقدر تلك الأمور، فما بعد عنهم

مكانه في الأرض أو منزلته من نفوسهم صغر حتى ولو كان كبيراً عظيماً ، وشأنهم في ذلك شأنهم في قدر الحوادث والأمور التي يبعد بها الزمان فتقل قيمتها إذا ابتعدت بعد قربها، فسيان أكان البعد بالمكان والمنزلة أم بالزمان فانه يصغر قيمة الأمور .

(١٥) من الناس من يلطخون انساناً بالوحل ، ثم ينادون انه ينبغي تجنبه لأنه ملطخ بالوحل ، وهي عادة فاشية في الناس فينسبون الى خصومهم صفات سيئة ، ثم يتخذونها حجة لاضطهادهم وحث الناس على اضطهادهم، وهذا أمر يقلب مقاييس العدل في الأمور ،إذ يصير الجاني المجرم حكماً ينال الثناء ويصير المجني عليه آثماً نصيبه العقاب .

(١٦) إن الشباب يشعر بالقوى الحيوية أكثر من الشيوخ . ومن أجل ذلك قلما يدرك الشباب معنى الفناء والموت مهما رأى من مظاهرها في غيره فان ذلك لا يكون إلا بعد أن يفقد الروح الحيوية التي في الشباب . وبعد أن يشعر بالفناء يدب في جسمه، وبعد أن يرى آماله ومسراته تذوى كما تذوي الأزهار . أما قبل ذلك فانه يشعر في الشباب أن الحياة كنز لا يفنى، وكأس من الرحيق لا يفرغ مهما احتسى منها وأوراق وذخر لاينفذ مهما بذل منه لأن روح الخلد في الشباب . ومن أجل ذلك يسرف الشباب في بذل ما يفيض به من قوى الشباب وحيويته اسرافاً قلما تنفع معه موعظة ، ويقدم على المهالك بشيء من الاطمئنان، ولا يغتر أحد بكثرة شكوى الشبان، فانها لا تنافي ذلك، بل هي ناشئة من انهم قد لا يجدون اسعافاً من الدهر بقدر ما فيهم من حيوية وآمال ورغبات .

(١٧) إن الناس مثل آلات تدار أو حيوانات يعاق عليها نير مناصب الحكومة أو الأعمال الحرة والمهن والحرف فيسيرون في الطريق التي اختطها من سبقهم ، وينجحون في تأدية ما يراد منهم ويسعدون بنجاحهم، فكأنما ذلك النير هو نير السعادة وسرجها ورباطها وكل ما يطلب منهم ألا يدعوا انهم أحكم وأعرف من غيرهم ممن أدركهم أو سبق عصرهم. فاذا هيأ لهم حب الظهور أن يظهروا ذكاء أو غروراً أو اغتراراً بالحكمة أو انهم يعرفون من الأمور المنوطة بهم ما لا يعرفه غيرهم، فان ذلك قد يكون سبب خيبتهم، فانه إذا صرفنا النظر عما يجلبه عليهم هذا المظهر من عداوة وحسد، فقد يتخبطون في التجارب والنظريات ولو فرضنا أن انساناً منهم مصيب في بعض آرائه وخططه فانه قد يغالي بقيمتها شأن أكثر

المبتدعين فتنقصه المغالاة الاتزان والاعتدال . وعلى العموم أو في الغالب يكون حذق الجماعة أعظم من حذق الواحد الفرد، ورأيهم أصوب من رأيه، وخبرتهم أعظم من خبرته إلاّ من شذّ وندر . ولا يصح أن يتخذ كل إنسان الشاذ النادر من الملكات قاعدة، وأن يعد كل انسان نفسه من ذوي الملكات النادرة ، وإلاّ ما كانت كذلك ، وأمور الحياة تقتضي المشاركة والتعاون، وإذا زوى الإنسان وجهه عن الأمر المألوف المعتاد ، وحاول بتجنبه ان يختط لنفسه خطة جديدة لم يجد مشاركة ولا معاونة من الناس، وانصرفوا عنه أو اضطهدوه ، وهي سنة وطبع فيهم ، تسبب اعتدال أمور العالم وثباتها ، بدل تقلقلها وتدحرجها وترجحها .

(١٨) قد تختلط في نظر بعض الناس طيبة القلب وعدم المبالاة فان ذوي الأثرة وحب الذات لا يبالون أخربت الدنيا أم عمرت، وهل عمّ الفساد أم لم يعم ، وهل انتشر الشر أم لم ينتشر ، وهل خُذِل الحق ، أم لم يُخذل ، وهل اشتدت القسوة ، أم لم تشتد ، ما دام كل ذلك لا يمس مصالحهم ، فتحسب قلة مبالاتهم وأخذهم الامور بالخلق الهين اللين من طيبة قلبهم ، مع إنهم لو مُسّ أمر من أمورهم ، زالت قلة مبالاتهم وأظهروا عنفاً وشدة .

(١٩) إننا لانبلغ الحق ولا ننصف الناس إلاّ إذا عرفنا وقدّرنا جانب الصواب والحق الذي كثيراً ما يكون ممزوجاً بأخطاء الناس وأغلاطهم، فاذا جافينا أو أخطأنا ذلك الجانب من الصواب والحق ، أو حدنا عن الحق الممزوج بالباطل المنقود ، فاننا قد نخطىء بقدر خطأ من ننقدهم أو نلومهم .

(٢٠) يحسب المرء أن استسلامه للخيال اللذيذ ، وأحلام اليقظة السارّة ، أمر بريء لاضرر منه. والحقيقة هي أن من يتعوّد ذلك الاستسلام كثيراً ما يضعف عزمه . ويفقد الأهبة والاستعداد والنشاط للعمل ، ويدعوه استسلامه للخيال الى الاستنامة الى ما قد يأتي عفواً من غير تدبير منه ، أو سعي أو كدّ وكدح . وكذلك من ينصرف الى التفكير النظري كل الانصراف ، ولا يتعوّد التفكير في الاعمال ، فإن ذهنه يشغل بحقائق إميدة يكون المرء أمامها كالناظر المتنزه بالنظر والتأمل ليس له موارد من همة يجهزها لملاقاة

حقائق الحياة القريبة ولا من عزم وعمل واقدام ينال به خيرها ، ويصد عنه شرها ويحتال لها بل قد تدركه الحيرة .

(٢١) ينعي بعض الكتّاب على الفقراء دناءة حسدهم للأغنياء ، ولا ينعون على الأغنياء دناءة الاسراف في اللهو ، وهم يرون الفقراء يُعصَرون في معصرة الشقاء ، ويداسون كما يدوس صُنّاع النبيذ العنب بأقدامهم .

(٢٢) لو كان اعتقاد المرء الآراء بسبب قهر المنطق الصحيح لعقله ولنفسه على أن يعمل لرأي أو فكرة ما ، لكان كل الناس شهداء المنطق والفكر ، ولا يستطيعون أن يخففوا عن أنفسهم وعن الناس مما يقتضيه العمل حسب ما يوحي به ولكن الواقع أن الناس تستطيع أن تعتقد ما يوافق احساساتهم ، وهذا يمكنهم اذا كان فيه راحة لهم أو منفعة ، وأن يخففوا عن أنفسهم أو عن الناس كما يمكنهم من مناقضة أنفسهم اذا كان فيها تخفيف عن أنفسهم أو عن الناس .

(٢٣) من أسباب قبول الناس للآراء والأخبار والشائعات ان كل انسان يخشى أن يشذ عن الناس ويخاف ان لا يكون مثلهم. ومن أجل ذلك يلتقفون الآراء والشائعات والأخبار بعضهم من بعض، فهذا الانسان يصدق امراً ويقبله لا لانه أمر يصدق، بل لأن ذلك الانسان يصدقه ويقبله. وأغرب من ذلك ان هذا الانسان يصدق ويقبل الأمر الذي يخيّل له ان ذلك الانسان سيصدقه وسيقبله أو سوف يقبله، فيسبقه الى تصديق ذلك الأمر وربما كان هذا السبق سبباً في أخذ المعاشر المسبوق به. وتصديقه اياه، ولولاه ما اخذ به كما زعم السابق انه سيأخذ به

(٢٤) في بعض الأحايين نرى ان شدة الشغف بغاية ما، وشدة اللهفة للوصول الى الغاية والمقصد تعوق عن اجادة الوسيلة التي تؤدي الى تلك الغاية لان الوسيلة تحتاج الى تأنٍّ وصبر وجلد وزمن ومران، فيراها الملهوف طويلة مملةً، وتسبقها لهفته في الوصول الى الغاية المنشودة، فيحاول الوصول الى غايته من أقرب الطرق، حتى ولو أدى ذلك الى ان يخطىء طريقها ، ولا يجيد في وسيلته اليها .

(٢٥) إذا رغبنا في أمر زاد اعتقادنا اياه وتصديقنا به، وصرنا أكثر عناداً في الدفاع عنه ، ولكننا إذا خالفنا الناس جميعاً ربما اعترانا الخجل من اظهار رأي يخالفه الناس جميعاً، حتى ولو كان عين الصواب، فان قدوة الناس تضغط علينا سواء أشعرنا ام لم نشعر بها، كما

تضغط قوة الجاذبية على جميع الكائنات . والانسان الذي يستمر في الدفاع عن رأيه من غير ان يتأثر بمخالفة الناس وسخرهم وكرههم اياه وحرمانه من عطفهم، وبالرغم من ايذائهم اياه، يكون ذا عزيمة كعزيمة الهندي الذي ينذر لآلهته ان يظل رافعاً يده الى السماء حتى تتبلد وتجمد وتفقد الاحساس . ولا شك ان عداء النـاس للمرء محنة قد تبعثه الى الشك في بواعث نفسه ونياتها ومقاصدها ، وكأنما قد زحزح جني مارد الكرة الأرضية من تحت قدميه وظلّ معلقاً وحده في الفضاء .

(٢٦) زعم هوبز الفيلسوف أن الناس لا يختلفون في ان مجموع زوايا المثلث يساوي زاويتين قائمتين، وان مجموع الاثنين والاثنين أربعة، لأنهم لا مصلحة لهم في هذا الخلاف. ولو كانت للناس شهوة ملحّة، أو منفعة في انكار ذلك لأنكروا هذه الحقائق الرياضية. والواقع انهم عند تطبيقها في أمور الناس التي تستدعي الشهوات والرغائب والخلاف يختلفون فعلا في هذا التطبيق .

(٢٧) كثير ممن يدينون بالديمقراطية يدينون بها نظريًّا. اما في الأمور العملية فان كل انسان لايدين بالديمقراطية ولا يأخذ بمبدئها الذي هو مبدأ المساواة . ويود لو يضحي بالناس لاشباع اطماعه ، وان يخفضهم كي يعلي نفسه .

(٢٨) قلما يوجد بين الناس من عنده شجاعة كافية للدفاع عن انسان صديقاً كان أو غير صديق إذا ترددت حوله اقوال الناس بالتهم والشتائم فانه يخشى ان يتهم مثله . وان يلاقي عداء من الناس. هذا علاوة على ان كل انسان يميل الى اعلاء نفسه بشتم غيره وانتقاصه، فاذا وجد الناس ينتقصون انساناً وجد السبيل موطأً الى هذا الاعلاء لنفسه (ولو وكل الخصم كما قال هلبس كمحام بأجر مقنع للدفاع عن خصمه لوجد من ابواب المدح ما يبطلُ به ذمه لخصمه)

(٢٩) ينسى الناس في معاملتهم انهم لا يتعاملون بالعقل النظري المحض ، وانما يغطّى على أعينهم فيحسبون هذا الحسبان ، وانما هم يتعاملون بما هم محكومون به من الشهوات الجامحة والنزعات الشاردة. وقد يتخـاصمون ويسعى كل في أذى الآخر بسبب الاختلاف في أتفه الأمور، فهم كالأطفال المدللين . فحياة الناس كثيراً ما تكون لعبة من لعب التمويه والغش، فهم يريدون أمراً وسعادتهم في غيره ، أو انهم يجدون السعادة في ذلك اللعب نفسه ولكنهم في النهاية ربما يجدون سؤر كأس تلك السعادة مرًّا كريهاً .

جواهر لال نهرو

زعيم الشعب الهندي

للاستاذ إميل مراد

ليس جواهر لال نهرو رئيساً لحكومة الهند ومواطنها الأول فحسب ، ولكنه أبرز شخصية سياسية في آسيا التي أخذت تنهض وتفيق من سباتها ، لا بل انه من رجال السياسة العالميين .



جواهر لال نهرو

وقد استقبلته المحافل السياسية في العواصم الكبرى بالترحاب والاحترام لما يمتاز به من ادراك فطري للفن الدبلوماسي، ولاحاطته الشاملة بالمشاكل الدولية .

من هو اذاً هذا الهندي الذي يحظى بهذه الشهرة الفائقة ؟ انه رجل في الحلقة السابعة

من العمر عليه مظاهر الدماثة والرقة حتى انه ليبدو كالعالم اكثر منه كالسياسي نظراً لاتزان حديثه وسهولة أسلوبه وبعده عن الرياء . فليس فيه أي شيء مما يمتاز به الشرقي من غموض ، اذ ان أسارير وجهه الجميل الضامر ونظرته الحزينة تكشف لنا عن أدق الانفعالات لروح اندفاعية بقدر ما هي يقظة ، فاذا ما عبس وجهه سرعان ما يعود لتفرق اساريره بحماسة الاقتناع . وكثيراً ما ترتسم على شفتيه ابتسامة رقيقة يعبر بها عن اعترافه بخطئه ، فتراه يتناقش ببساطة وبغير مراوغة او خبث مع أقل الفلاحين شأناً وهو على استعداد ليقر بنقط ضعفه ، حتى لقد بلغ به الأمر ان حرر نشرة (بدون ذكر اسمه) يحمل فيها على شخصه متسائلاً بكل صراحة ان كان حقيقة اهلاً ليتقلد مقاليد الهند .

وكتب ذات مرة فقال . . . . « إن رجلاً كجواهر لال نهرو انما هو خطر على الديمقراطية فهو يدعي الديمقراطية لا بل والاشتراكية ولكن في وسعه ان ينقلب دكتاتوراً في لحظة » .

ولننظر الى نهرو نظرة صائبة ، انه على الرغم من براءته وتجرده لم يكن رجل فكر فقط ، ثوروي عريق قضى في السجون اكثر من ١٣ سنة لتحريضه الشعوب الهندية في وجه السلطة البريطانية الغاشمة . هو أول مجاهد في ثورة سلمية ولكنها صلبة ، فلم يكد يكسب هذه الموقعة حتى اندفع في مغامرة اشد خطورة اذ آلى على نفسه ان يحول شعباً متأخراً خاضعاً منقسماً ، لا يأبه الى حد ما لما يدور في عالمنا ، الى شيء ينبض بالحياة ويقرب من دولة حديثة مستقلة . وهذا الكفاح المرير يستغرق من وقت نهرو ١٩ساعة يومياً وسبعة أيام اسبوعياً ، كما لو ان النصر معلق على جهوده الشخصية فقط .

تراه يجوب شبه جزيرة الهند في كل صوب ، يعلم شعبه ويعظه متخذاً سبيل الاقناع تارة والتهديد طوراً . فهو يلقنه الديمقراطية بأسلوب مبسط لا بل بأسلوب صبياني ، فاذا استاء مثلاً من جندي المرور الذي لا يؤدي عمله على وجه مرض عند تقاطع الشوارع يقفز من سيارته ويوجه بنفسه سيل السيارات والعربات اليدوية أو التي تجرها الابقار . ان شجاعته الطبيعية لا يعادلها سوى حماسة طبعه لدرجة ان اندفع مرة وسط الجماهير التي تهتف ضده ليفسر لها اهدافه ويقنعها بالحجة الدامغة .

إن تكوين الهندالسياسي يشبه الى حد ما العقل الانساني كما وصفه سيجموند فرويد. فهناك الهند الواعية والهند غير الواعية ، الاولى مكونة من المتعلمين في المدن الكبرى المتشبعين بالافكار الغربية ومن بينهم كثيرون من ذوي الذكاء البارز والعلم الواسع ويبلغون ٣ ./ من عدد السكان . أما الباقون وقدرهم ٩٧./ يكونون الهند غير الواعية

وهم المشمعوزون والفقراء والفلاحون الأميون وأصحاب الحوانيت الصغيرة وعمال المستعمرات والمنبوذون . فهذه الهند غير الواعية شأنها شأن العقل الباطن تتطوّر في عالم الاحلام والأساطير والخيالات والأعمال الخارقة والانفعالات العميقة .

ولم يترك الاحتلال البريطاني خلال قرنين أثراً يذكر في الهند ، فإن سيدها ومحركها الأعظم كان المهاتما غاندي ، هذا الرجل الضئيل الجسم لا بل هذا الناسك الذي كان على علم وفهم بأقل الدوافع التي تحرك الهند غير الواعية ، والذي انتهى به الأمر أن صنع بمعونتها تلك العتلة التي أزاح بها النير البريطاني .

ان نهرو زعيم الهند ارستقراطي المولد ، فهو سليل أسرة من براهمة « كشمير » وكان أبوه موتيلال نهرو من ذوي اليسار ومن أعظم المحامين في الهند المتشيعين لبريطانيا وينظر الى مواطنيه بشيء من المجاملة . ولما كان موتيلال يرغب في جعل ابنه أحد فطاحل المحامين ، أرسله في سن الخامسة عشرة الى كلية هارو في انجلترا ثم الى جامعة كمبردج .

* * *

عاد جواهر لال نهرو الى الهند سنة ١٩١٢ بعد أن كان قد مكث سبع سنوات في أوروبا . عاد وهو شاب متأنق يدخن السيجار ويتحدث بلهجة انجليزية صحيحة ويرتدي أفخر الملابس الاوروبية من صنع أحسن خياطي سافيل راو . وقد اتخذ في حياته مسلك أبناء الذوات وتزوّج من شابة من طبقته الاجتماعيـة ، وكانت كل الدلائل تنبيء بأنه سيستقر في حياة وادعة كحياة أبناء الذوات الريفيين .

وحوالي سنة ١٩١٦ بدت على نهرو أولى ظواهر التطور التي أكسبته حب الشعب أكثر من أي شخص آخر . فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى قامت نهضة وطنية هندية إذ كان المهاتما غاندي يجوب البلاد والقرى داعياً الى المقاومة السلبية موجهة ضد السلطة البريطانية

ولا شك أن شاباً طموحاً يرى في السياسـة الثورية مهنة أكثر نشاطاً من المحاماة ، فضلاً عن أن علاقاته بالبريطـانيين ولدت في نفس جواهر لال نهرو رغبـة قوية في رؤية مواطنيه يعاملون على قدم المساواة بما يعامل به باقي البشر .

ومن ثمة أخذ نهرو يتعرّف على المسرح الذي تمثل عليه رواية الهند الحزنة فأخذ يتردد على المزارع ويصغي الى شكاوى الفلاحين الذين أصبحوا معدمين ، واشترك في المظاهرات السياسية ، والتقى بغاندي فاقتنع بتعاليمه ، فبدا مسلك نهرو في نظر الهند غير الواعيـة كأنه مستمد من تلك الأسطورة الهندية التي تروى من بوذا ومن غيره من رؤساء الهند

الروحانيين ، سلك هذا المسلك ذلك الشاب الذي يعرض عن ملذات هذا العالم ليحيا حياة الفقر والتقشف .

ولكن واقع الأمر ما كان ليتفق وتلك الأسطورة ، إذ لم يكن في نهرو الحقيقي ما يمت للتقشف بصلة . ومن جهة أخرى كانت وطنيته المتأججة وسياسته المركسية تبعدانه كل البعد عن تلك الفلسفة التقليدية لكبار مشعوذي الهند المتجردة من كل ما له علاقة بالحياة الدنيوية .

ثم ما لبث أن أدرك غاندي ما يدخره منافسه من طاقة سياسية فعين نهرو ليخلفه زعيماً على الهند .

وكان يتنازع نهرو احساسان ، فكان اعجابه بشخصية المهاتما لاحد له ، ولكنه ما كان ليخفي تشككه في أساليبه السياسية البدائية الى حد ما وفي تزهده . كان نهرو مصلحاً مقتنعاً أشد الاقتناع بالاشتراكية المركسية وكان لا يأبه للدين ويتحرّق رغبة في رؤية مؤسسات الهند السياسية تتطور وفقاً لمبادىء الغرب . ولا يلتقي نهرو المصلح بغاندي الحكيم الديني إلاّ في بعض نقط أساسية أهمها استقلال الهند . غير أن نهرو كان يحس وتشاركه الهند بأسرها أيضاً هذا الاحساس ، بأن اخلاص غاندي اخلاصاً ثابتاً لمبادىء دينية وأخلاقية لها بساطتها التقليدية العريقة ، كان يحس بأن هذا الاخلاص يمثل شيئاً أعظم بكثير من أحلام السياسيين الزائلة . ولقد تعرضت مركسية نهرو لكثير من مناقشات التحكيم أدت به آخر الامر الى أن يقف موقفاً معارضاً به التحرير المادي وشيوعية روسيا السوفيتية معاً .

وقامت في الهند خلال سنتي ١٩٣٠ – ١٩٤٧ حركات عصيان متتابعة موجهة ضد البريطانيين انضم اليها والد نهرو بعد أن تخلى عن مبدئه كمحافظ . ثم قام حزب التكتل الوطني الهندي ، الذي هو الآن أهم أداة فعالة في سياسة الهند ، بالحملة تلو الحملة وعقد اجتماعات هامة كانت نتيجتها أن حظر على هذا الحزب القيام بأي نشاط وزجّ بالمحرضين في السجون أفواجاً . ولما كان نهرو يوصي أتباعه بالامتناع عن دفع الضرائب للبريطانيين ، اضطرّ ليتفق مسلكه مع ما يوصي به ، إلى أن لا يدفع ضرائبه فحجز على أثاث مسكنه الأنيق في الله آباد غير مرة ، وروت ابنته اندار كيف أن أسرتها وآلاف الأسرات الاخرى أحرقت بسرور كل ملابسها المصنوعة في انجلترا . ومما عجل في وفاة موتيلال كثرة القبض عليه وحبسه ، ثم فقد نهرو أيضاً زوجته كاله .

وعلى أثر الانتخابات البريطانية سنة ١٩٤٧ تألفت في بريطانيا حكومة عمالية ، وإذ كان الهنود على بينة من أهداف هذه الحكومة نجحوا في ثورتهم العجيبة هذه . فرأى المحرضون أنفسهم في مراكز لم يكن لهم بعد الاستعداد النفسي لشغلها ، فقد كانوا يقبلون السجن كأنه شرفاً لهم . وكانوا اعتادوا لا بل ألفوا فكرة الاستشهاد المجيد في سبيل حركتهم الوطنية . وهكذا قاموا بسرعة فائقة بتأليف حكومة الهند ا . وقد ساور الشك كثيراً من هؤلاء الثوار متسائلين هل في وسعهم أن يتحولوا بين عشية وضحاها من ثوار الى حكام إداريين ؟

والهنود بطبيعتهم قوم ممن يثقلهم الهم ، ولكن أحداً منهم لم يعرف في حياته همّاً أعمق وأدوم من ذلك الذي كان ينوء به جواهر لال نهرو . ويقيم نهرو في دلهي الجديدة في منزل فسيح الأرجاء كثير الزوايا حيث يحيا حياة جدية ، فهو ينام على سرير عسكري صغير ويتناول طعامه بدون أن يأبه لكيفية تقديمه ، غير أنه شديد الفخر بشيء واحد هو تليفونه الفخم المصنوعة قاعدته من البلاستيك الشفاف فتظهر آلته الداخلية ، وهو مغرم بكل مظاهر التقدم الصناعي الذي تفتقر الهند إليه بشكل حسي .

* * *

ويبدأ البانديت نهرو نهاره في الساعة السابعة والنصف فيقوم ببعض الأساليب النسكية الهندية ، كأن يقف ورأسه الى أسفل وقدماه مرفوعتان . وكتب في تاريخ حياته يقول عن هذا الموضوع : « من الناحية الطبيعية هو تمرين عظيم ولكني أقدره بصفة خاصة من ناحية تأثيره النفسي عليّ . فانّ هذا الوضع المضحك الى حدٍّ ما قد أنمى فيّ روح الفكاهة وجعلني أكثر تسامحاً في الحوادث الشاذة التي نصادفها في حياتنا » . وفي الساعة الثامنة والنصف يتناول فطوره على عجل ثمّ يذهب الى مكتبه بوزارة الخارجية حيث يكون في انتظاره رهط من السياسيين ومندوبي الأقاليم والفلاحين وكثيرين غيرهم ممن لم يسبق تحديد موعد لهم ولكنهم يصرون على المقابلة . ثم يعود لتناول الغداء في الساعة ١٣٫٤٥ ويكون معه غالباً عدد كبير من المدعوين يعجز عن مقابلتهم في غير هذا الوقت . وليس لنهرو صديق حميم بمعنى الكلمة خلاف معاونيه، وتكاد حياته الاجتماعية تنحصر في المظاهر الرسمية أو الشبه رسمية .

ويخصص نهرو ما بعد الظهر للنشاط الحزبي أو لحضور اجتماعات الجمعية. وفي الساعة ١٩٫٣٠ يعود الى منزله حيث يستقبل رجال الصحافة أو يتداول مع وزرائه ، وفي الساعة ٢١ يتناول عشاءه وبعد ذلك يقول : « حقاً إني لا أنقطع للعمل إلا في هذا الوقت » .

يدخل نهرو غرفة مكتبه ذي الأثاث المصنوع من خشب الارو ومعه طاقم من السكرتيرين يستبدل به غيره كلما دعت الحاجة . فيطالع رسائله وقصاصات من الصحف تمكنه من سبر الرأي العام. ثم يذهب، ليضطجع في الساعة الثالثة والنصف أو الثالثة صباحاً وهكذا يستمر على هذا الخط من العمل المرهق سبعة أيام في الأسبوع .

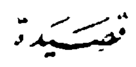
* * *

ولما أصبح من رجال الدولة أعاد نهرو ، عرض الجماهير ، النظر في موقفه تجاه مشاكل السياسة العملية . ففي مقابل تلك الوعود السخية التي نشرها في مقالاته الأولى نرى مشاريعه الحالية في الاصلاح الداخلي تسير في كثير من التروي والحذر . ويعتبره بعض الأحرار رجلا رجعيا ، بينما يأخذ عليه الاشترا كيون تخليه عن عهوده . ولو أراد نهرو أن يكون اشترا كيا بالعقيدة، فإنه يصطدم بمعارضة قوية من حزب هام مكوّن من عناصر أشد اشتراكية برأسه زعيم مشهور في الأوساط الشعبية مصبغ بالروح الأمريكية هو جايا برا كاش نارايان ، ويضاف الى ذلك هيئة يمينية لا يؤمن جانبها ذات صبغة هتلرية وأيضاً حزب شيوعي قليل العدد (يضم ٦٠٫٠٠٠ عضو) إلاّ أنه حزب متماسك منظم .
فيصح القول إذاً بأن في وسع نهرو أن يصبح بكل سهولة دكتاتوراً كما لاحظ ذلك هو بنفسه . فإن تملق الجماهير وتعلقها به إذ تتبعه مسافات طويلة الى حيث يذهب. ثم وقوفها صفوفاً لا نهاية لها يمر بها نهرو بسرعة بين سياجين من المتفرجين يحجزهم بوليس مسلح بالعصي ، كل هذا لو وجد في بلد غربي لأنبأ بالدكتاتورية . وعلى الرغم مما يبدو عليه من مظهر الرجل المتعلم المتواضع فإنه يشعر باحساس تركيز الأعمال في شخصه ، هذا الاحساس الذي يبدو جليّا في طبعه الجامح وحبه للسلطة وفي اللذة التي يظهرها عند السيطرة على أفكار الشعب .

غير أن هناك عاملين قويين يحولان بين نهرو والدكتاتورية، كما هي معروفة في الغرب. أولهما شخصيته التي هي مزيج غريب من الصراحة وقلة ثقته بنفسه وإحساسه اللانهائي بمسئوليته قبل شعبه ، وثانيهما هو المثالية المعنوية الهندية وهي مثالية غريبة أيضاً توجه أحياناً توجيهاً سيئاً ولكنها متأصلة .

والهند لا تسير وراء نهرو لأنه يمثل سلطة الدولة ولكن لأنه يجسم في نظرها روح التجرد والتضحية التي كان يعظ بها معلمه الأعظم المهاتما غاندي .

مترجمة عن الفرنسية



الإنسان المعذب

للاستاذ شكري شعشاعة باشا

معذب بالذي في العيش يتعبه   وبالذي من غواشي الغيب يرهبه

معذب كلما ضل السبيل به   هوى ، تبدت له الأهواء تخطبه

معذب إذ يرى ما ليس يملكه   وقفاً على غيره والنفس تطلبه

معذب بالغنى والجار في سغبٍ   يرنو اليه وذات الشح تركبه

معذب مالكاً تعنو لطلعته   هام الرجال وما قلب يواكبه

معذب ما انطوى يوماً له أملٌ   الاّ على أمل تُشقي مذاهبه

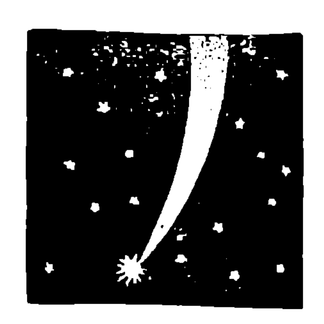
معذب قلقٌ في نفسه ريبٌ   ما سره، ما الذي في الكون يجذبه ؟

ما النفس تأمره ، ما العقل يرشده   ما الروح تسكنه، ما الموت يرقبه؟

معذب يشتهي روحاً يلوذ به   والروح في الخلق شيء لا يناسبه

معذب يرتجي الأشواق تحمله   الى السماء فهذي الأرض تتعبه





السجستاني

العالم الفيلسوف

للدكتور محمد يوسف موسى

نتحدث الآن عن مفكر — يجب أن يأخذ مكانه بين مفكري الاسلام وفلاسفته، بعد أن طال إهماله من الباحثين، والشهرة قسمة ونصيب كما يقولون. نعني به أبا سليمان المنطقي السجستاني الذي عاش إلى أواخر القرن الرابع الهجري، وإنه لأهل لأن يتحدث عنه مؤرخ التفكير في الاسلام.

وفي الحق، هو تلميذ يحيي بن عدي تلميذ الفارابي. ولكنه كان أنبه ذكراً من شيخه، كما كان شيخاً لأبي حيان التوحيدي في الفلسفة. وأبو حيان هذا هو الذي ترك لنا في كتابيه « المقابسات » و « الامتاع والمؤانسة » الكثير مما كان يجري في مجالس أبي سليمان. هذه المجالس التي كانت تحفل بالعلماء والحكماء يبحثون في نواح مختلفة من الفكر والفلسفة، وغالباً ما كان المتجادلون يلجأون اليه فيكون رأيه القول الفصل. ولا عجب! فقد كان أبو سليمان، كما يذكر ابن أبي أصيبعة في ترجمته في كتابه « طبقات الأطباء »: « فاضلاً في العلوم الحكمية، متقناً لها، مطلعاً على دقائقها ».

وبالرجوع الى أبي حيان في كتابيه المذكورين آنفاً، نجده يصف شيخه السجستاني بأنه، من بين المعتنين بالفلسفة في عصره، « كان أدقهم نظراً، وأصفاهم فكراً، وأظفرهم بالدرر »[1] كما نعرف أن أحد تلاميذه، وهو الطبيب المعروف بفيروز، كان يقول له: « أيها السيد! والله ما نجد شفاء لداء الجهل إلاّ عندك، ولا نظفر بقوت النفس إلاّ على لسانك، ولا نعلم يقيناً إلاّ بحسن تعريفك. »[2] وكذلك نعرف من المقابسة رقم ٦٤[3]

(١) الامتاع والمؤانسة نشر الاستاذين احمد امين بك واحمد الزين سنة ١٩٣٩ م، ج ١ : ٣٣

(٢) المقابسات نشر الاستاذ حسن السندوبي سنة ١٩٢٩ م ص ٣٤٨ (٣) نفسه ص ٢٥٩ — ٢٦٠

ان الروح التي كانت تسود أبا سليمان ومن يلتفون حوله من علماء الفكر ومفكريه ، لا يسأل أحد منهم عن بلده ولا عن ملته ، كانت مستمدة من حكمة يرجعها ابو سليمان نفسه إلى افلاطون . وهذه الحكمة تتلخص في أن الحق لم يصبه واحد وحده ، بل في كل رأي نصيب منه قلّ أو كثر ، ولهذا فلا معنى للتعصب لمذهب على مذهب ، ومن ثمّ أيضاً ليس من المعقول أن يقوم خلاف بين الدين والفلسفة [1]

على أن الخوف من رجال الدين ومن يتأثرون بهم من العامة وأمثالهم ، كان له أثره الواضح في أبي سليمان وأصحابه . ذلك أنه بينما كانوا أحراراً في تفكيرهم وجدلهم في مجالسهم ، كانوا حذرين من أن يُعرف عنهم ما لا يتفق والروح الدينية السائدة حينذاك [2]

ا — العامة والخاصة

من الممكن أن نتحقق ، بعد هذه الأمور العامة عن السجستاني في عصره ، والروح الحرة التي كانت تسود مجاله ، أنه مثل شيخه الفارابي يرى تقسيم الناس الى عامة وخاصة. الأولى بسبب رداءة عقولها وضآلة معارفها وخبث نفوسها ، ليس لها أن تتصل بالحكمة أو تتطاول إلى غرائب الفلسفة ، والأخرى ، لأنها تعيش بها (بالفلسفة) ولها ، ولها من فضائل النفس ما يعصمها من الضلال ، لها أن تبحث من ذلك ما تريد [3]

ولهذا يفسر السجستاني عدم صفاء التوحيد في الشريعة من شوائب الظنون واستعمال الأمثال ، كما صفا ذلك في الفلسفة ، بأن الكلام (يريد به الشريعة) الذي يراد به صلاح الناس جميعاً لا بد أن يكون مبسوطاً مرة وأخرى موجزاً ، ومرة صريحاً ، ومرة فيه رمز وتعريض . وذلك «يجد الخاص فيه إشارة تشفيه ، والعامي عبارة تكفيه» [4] . ونعتقد أن هذا التعليل يدلنا على أن السجستاني كان يرى ضرورة تأويل ما تشتمل عليه الشريعة من رموز وأمثال ، وذلك للخاصة القادرة على التأويل ، لا للعامة التي عليها القبول والتسليم

وكان من الطبيعي ، مع هذا أن يفرق السجستاني بين طريقة المتكلمين وطريقة الفلاسفة في بحث المسائل الالهية أو العقيدية، على ما بينه لنا تلميذه التوحيدي [5] ،ومن ثمّ نجده ينتقد بشدة هؤلاء المتكلمين الذين لم يفرقوا في تعاليمهم وبيانها ، بين العامة والخاصة .

ب — الديانة والحكمة

وللسجستاني ، في العلاقة التي يجب أن تكون بين الدين والفلسفة ، رأي واضح قاطع.

(١) انظر تاريخ الفلسفة في الاسلام لدي بور ص ١٥٦ — ١٥٧ من الترجمة العربية
(٢) انظر مقابسة ٢٣ ، ومقابسة ٥٠ ، ومقابسة ٦٣ (٣) المقابسة الخاصة بعلم النجوم ص ١٣٨
(٤) المقابسة رقم ٦٣ (٥) المقابسة رقم ٤٨

هذا الرأي وليد التفكير وعمق الادراك للغرض من الدين ومن الفلسفة ، كما هو وليد الاعتبار بمجهود من حاول قبله التوفيق بين هذين الطرفين . إن رأيه هو وجوب الفصل التام بين الشريعة والفلسفة ، لما بينهما من اختلاف الطبيعة والغاية ، واختلاف الوسيلة ، ثم اختلاف « مواطن النفوذ أو المجال » إن صح هذا التعبير .

عرض عليه تلميذه التوحيدي رسائل « إخوان الصفاء » — الذين يزعمون أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة الاسلامية فقد حصل الكمال — فقال ، بعد أن اختبرها : « ظنوا ما لا يكون ولا يستطاع ، ظنوا أنه يمكنهم أن يدسّوا الفلسفة في الشريعة ، وأن يضموا الشريعة في الفلسفة ، وهذا مرام دونه حدَد . قيل له : ولم؟ قال : إن الشريعة مأخوذة من الله عزّ وجلّ بوساطة السفير بينه وبين الخلق من طريق الوحي ... وفي أثنائها ما لا سبيل الى البحث عنه والغوص فيه ، ولا بدّ من التسليم للداعي إليه والمنبه عليه . وهنا تسقط « لم » وتبطل « كيف » ، وتزول « هلاّ » ، وتذهب « لو » و « ليت » في الريح [1] ثم يذكر بعد هذا ، أنه لو كان الجمع بين هذين الطرفين جائزاً وممكناً ، لكان الله نبّه عليه ... لكنه لم يفعل ذلك ، ولا وكله إلى غيره من خلفائه والقائمين بدينه ، بل على العكس نهى عن الخوض في هذه الأشياء [2] .

ومن ثَمّ يرى أبو سليمان أنه « لمصلحة عامة » نُهي عن المراء والجدل في الدين على عادة المتكلمين ، الذين يزعمون أنهم ينصرون الدين وهم في غاية العداوة للإسلام والمسلمين وأبعد الناس عن الطمأنينة واليقين » [3] .

وليس لنا أن نفهم من كلام السجستاني ورأيه فيما حاوله إخوان الصفاء أن الشريعة في حاجة للتكميل بالفلسفة . إنه يريد أن يقول بأن كلاً منهما تخالف الأخرى في طبيعتها وغايتها ، في طبيعتها كما وضح مما سبق ، وفي غايتها لأن غاية الديانة إكمال النفس بالفضيلة ، وغاية الحكمة تكوين العقل بالحقائق والمعرفة ، أو كما يقول بعبارة أخرى ، الفلسفة صورة النفس ، والديانة سيرة النفس ، فكل منهما يكمل الأخرى ، وإذن فلا تناقض بينهما [4] وكل ما يجب هو عدم خلطهما فتتم السعادة لأصحاب هذه وأصحاب تلك .

وهذا الرأي من أبي سليمان يذكرنا برأي « سبينوزا » في العلاقة بين الوحي والعقل! إن هذا الفيلسوف المعروف يذهب إلى أن غاية الفلسفة هي فقط إدراك الحقيقة ، وغاية

---

(١) الامتاع والمؤانسة ج ٢ : ٦ — ٧ . وهذا رأي السجستاني في طبيعة الدين عامة ، أي لا الاسلام خاصة ، أنظر نفس المرجع ج ٣ : ١٨٧ (٢) نفسه ج ٢ : ٨ (٣) نفسه ج ٣ : ١٨٨ — ١٨٩
(٤) المقابسات ص ٢٠٠ (٥) رسالة الدين والسياسة ، نشر باريس عام ١٩٢٨ م . ص ٢٧٨ مواضع أخرى .

الدين أو الإيمان هي فقط الطاعة والتقوى والفضيلة ، ولهذا يجب فصل كل منهما عن الأخرى[1]

إلا أن السجستاني يرى ، على الضدّ من سبينوزا كما هو معروف ، إن الدين حق مثل الفلسفة . ولهذا يقول في موضع آخر : « إن الفلسفة حق ، ولكنها ليست من الشريعة في شيء ، والشريعة حق ، ولكنها ليست كلها من الفلسفة في شيء » .[2] ذلك بأن الفلسفة مصدرها العقل والبحث ، والدين مصدره الوحي ، وليس فيه « لِمَ » ولا « كيف » إلا بمقدار ما يشد أزره ، ولهذا الاختلاف في المعين والطبيعة يجب خلط إحداها بالأخرى ، وكل من حاول رفع هذا فقد حاول نفي الطباع وقلب الأصل وعكس الأمر ، وهذا غير مستطاع[3] .

حـ – الله والعالم

في هذه المشكلة ، نستطيع أن نستشف مما رواه لنا أبو حيان عن شيخه ، وهو قليل جدًّا في هذه الناحية ، أن السجستاني يرى أنه يصح أن يقال بأن العالم قديم ومحدث ، قديم إذا نظرنا الى الاجرام العلوية التي لا تتكوّن ولا تفسد ، ومحدث إذا نظرنا إلى العالم الأرضي،وفيه نجد الكون والفساد يتعاقبان على الأشياء . أو هو قديم من ناحية المادة ، محدث من ناحية الصور المختلفة التي تتعاقب على هذه المادة ، وهذا ما يفهم من قوله في بعض المقابسات : هو « قديم بالسوس (أي الأصل) ، حديث بالتخطيط » .[4]

وفي مسألة الخلق ، نستطيع أن نذكر أنه يذهب إلى أن العالم فعل الله ، بمعنى أنه معلول عنه كما يرى سائر الفلاسفة ، لكنه لا يرى أن يقال بأن الله فاعل بالاضطرار ، لأن ذلك نعت العاجز ، ولا بالاختيار ، لأن في الاختيار معنى قويًّا من الانفعال ، والله يجل عن هذا ، وإنما هو فاعل بنحو أشرف من هذا وذاك . بل إن قولنا بالنسبة لله : « يفعل وفاعل » ، كلام يطلق على حد المجاز والمعتاد من الكلام[5]

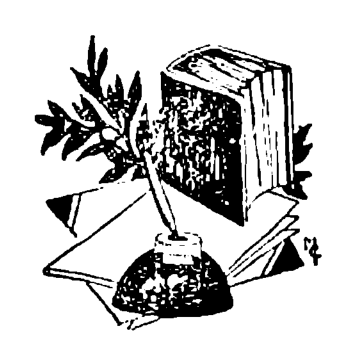
وبعد ، فاذا كان هذا الرأي من السجستاني في صلة الله بالعالم لا يرضي رجال الشريعة أو الدين ، فان من الواجب أن نلاحظ أنه لم يكن يتحدث اليهم، ولم يكن يعنيه أو يرضيه أن يعمل للتوفيق بين الشريعة والفلسفة باتباع إحداها للأخرى أو بالخلط بينهما . إنه كان يرى، كما عرفنا، وجوب الفصل بينهما ، كما جعل لكل منهما طائفة خاصة بها تصل للسعادة .

هذه أثارة عن السجستاني الفيلسوف ، ترينا أن حظه من الفلسفة لم يكن بأقل من حظه مما عرف به من العلوم وألوان المعارف الأخرى ، وتجعله حريًّا بأن يذكر بحق بين مفكري الاسلام وفلاسفته .

---

(١) رسالة الدين والسياسة نشر باريس ١٩٢٨ م ص ٢٧٨ ومواضع أخرى

(٢) الامتاع والمؤانسة جـ ٢ : ١٨ (٣) نفسه جـ ٣ ١٨٧ (٤) المقابسات ص ٢١٢ (٥) نفسه ص ١٤٩



اللغة الفرنسية وأدبها

كيف نشأا وتطورا ووصلا الى حالتهما الحاضر

— ٣ —

للاستاذ جورج نيقولاوس

اختلف العلماء في مصدر الشعر الحماسي الفرنسي ، غير انهم أجمعوا على انه لم يتولد من التقاليد اللاتينية ، ولذا لم يبقَ أمامنا سوى الينابيع السلتية والفرنكية ، أي أن أمتي السلت والفرنك ، هما مع الأمة الرومانية اللتان كوّنتا الأمة الفرنسية وأنشأتاها ، ولكن العالِم راجنا الايطالي الذي قام بأبحاث عديدة في هذا الصدد ، قد بيّن بأدلة لا تقبل دحضاً ولا تفنيداً ، إن الشعر الحماسي الفرنسي ، يستمد أصله من المصادر الجرمانية ، لأن الفرنك وهم من قبائل الجرمان ، كانوا يقطنون على شواطىء بحر الشمال ، وماين والأيستر والالب وقد كان لهم ، مثلما كان للجرمانيين جميعاً ، شعرهم القصصي الذي كان تارةً تاريخيًا ، وأخرى تصنيفيًا [١] وهو يشيد بمجد الآلهة ، كما يتغنى بوقائع ملوكهم الأقدمين .

ولا يجب أن يفهم من هذا ، أن كل ما ظهر من الأغاني « التودية » [٢] قبل احتلال الجول وبعده ، وكل ما جمعه الملك شارلمان منها يتصل بالشعر الحماسي الفرنسي بطريق مباشر . فهذا الشعر لا يمكن انتاجه إلاّ من اللغة الفرنسية نفسها ، أو من اللغة اللاتينية التي تحورت في بلاد الجول بمرور الزمن .

وعند ما نبذ الفرنك لغتهم الأصلية ، واندمجوا في العنصرين الجولي والروماني ، واتخذوا اللغة اللاتينيـة عوضاً عن لغتهم ، وذلك في أواسط القرن السادس المسيحي ، ظهر بدون ريب شعر حماسي باللغة اللاتينية ، أي اللغة الرومانية القروية ، فالفرنك والحالة هذه ، كانوا لمجموع الشعب الجالوروماني ، كالخميرة للعجين ، فقد أيقظوا الاستعداد الشعري الفطري ، الذي كان غافياً في نفوس السلتيين ، تحت السيادة الرومانية ، والسيطرة الادارية القوية ، يضاف الى ذلك الاستعداد الذي هيأته الديانة المسيحية ، كما يضاف اليه عدم استقرار حالة المجتمع الجديدة ، والمجاعة العقلية ، والارستقراطية الجالورومانية ،

(١) Mythique (٢) التودية هي اللغة التي كان الفرنك يتكلمون بها عند ما احتلوا بلاد الجول

التابعة لملوك الفرنك الجدد، التي كانت شديدة الظمأ للأعياد والأعمال والأحداث. فهذه الارستقراطية قد نضت عنها رداء الترف، ونبذت الأفكار الرفيعة السامية، والتعابير الراقية، وانغمست في حمأة جهالة العامة، واندمجت في الأمة، بكل ما في هذه من خشونة وجفاء من جهة، وعبقرية شعبية من جهة أخرى، فأدى ذلك الى الوحدة الاخلاقية واللحمة الاجتماعية اللتين ترتب عليهما ظهور الشعر الحماسي الاول بقوة وروعة[1]

أغنية رولان أو أغنية رونسيفو

نرى لزاماً علينا، لتتبع نشأة اللغة الفرنسية وأدبها، ولظهور هذا الأدب ثانية في مراحله الاولى، أن نلم في بدء الأمر إلماماً بسيطاً، بدرة الشعر الحماسي الفرنسي، ونعني بها «أغنية رولان» ثم نبتعد عنها قليلاً لنعود اليها بعد اتمامنا البحث في تطور اللغة وأدبها في عهدها الأول، ولذا قادنا ثانية البحث المتصل الحلقات الذي نتبعناه وفقاً لتاريخه وسيره، إلى «أغنية رولان» التي على الرغم من قدمها وروعتها وبهائها، لم تطبع لأول مرة باللغة الفرنسية، إلا في عام ١٨٣٧. نقلاً عن مخطوط أثري ثمين محفوظ في مكتبة اكسفورد بانجلترا، وتوالى طبعها بعدئذ مرات عديدة، من ذلك الزمن حتى وقتنا هذا.

وعلى الرغم مما في الأدب الفرنسي من تحف ودرر، فان «أغنيــة رولان» تعد غرة هــذه التحف والدرر من الوجهة القصصية، لأنها في شكلها الواقعي، القصيدة الأكثر قرباً من زمن البطولة، فقد دونت بالكتابة عندما كان المجتمع الفرنسي رائده الحماسة وبغيته الفروسية، وروحه بكل خوالجها وجوارحهــا مائلة الى معامع القتال، ووقائع الطعن والضرب، بعد ما فقد كل قوة له في الخلق والابداع، لكنه ظل في الوقت نفسه محتفظاً بحماسة قوية، للاستمتاع بأمثال هــذه الأشعار القصصية التاريخية، والتي تمت الى الخرافة من نواح عديدة.

ولا يتبادر الى الذهن ان هذه الأغنية تفوق ما في الأدب الفرنسي على مر السنين، بل قد كانت في زمنها تحفة نادرة، إذا قيست بما سبقها وبما تبعها مباشرة، مما يماثلها في القصص الحماسية، وسرد أعمال البطولة، فهي والحق يقال، من جهة الشكل، جافة يابسة خشنة، ومن جهة اللغة فقيرة جامدة، لا مرونة فيها ولا سلاسة، لكن حوادثها تسير متسلسلة، دون تكلف ولا إجهاد، وتنسجم ببساطة طبيعية، من غير أن يعكر صفوها مقصد لغوي أو غاية أدبية، فانشاؤها تعبيري محض، ولغتها تفصيلية قصصية، فهي ترسم الأشخاص، وتبين فعالهم وأعمالهم، من غير أن تتغلغل الى ما في نفوسهم، لتعبر عن خوالجها وبواطنها

---

(١) يسمي الفرنسيون القصائد الحماسية التي تسرد أعمال البطولة : chanson de geste

وتبدي عواطفها وما يساورها ، علاوة على أنها كانت ترمي الى مقصدين اثنين ، وهما التوفر على خدمة المسلك ، ومحاربة الأعداء المخالفين للفرنسيين في الدين والمعتقد ، وهاتان الغايتان هما اللتان بدتا في أوروبا ، قبل أن تظهر محبة الوطن ، وعاطفة التمسك بالأرض التي ولد المرء فيها . والدفاع عنها ، والذب عن حياضها .

وتعد « أغنية رولان » من هـذه الوجهة ، وفي نظر الفرنسيين ، فريدة في نوعها لا تماثلها قصة حماسية ، ولا تدانيها ملحمة وطنية .

الشعراء الجوالون

وعلى توالي الأيام نشأت مهنة سرد القصائد الحماسية أو التغني بها ، وقد توفـر عليها شعراء أو منشدون جوّالون، يتنقلون ما بين قصور أمراء المقاطعات الفرنسية ، فيتغنون بالقصائد المخلّـدة لأعمال البطولة ووقائع الفروسية ، سواء أكانت حوادثها واقعية ، أو خيالية تمت الى الخرافة بصلة وثيقـة ، متناولين في ذلك ما يجري في البلاد ، وما يقع في غيرها بين الأمم الأخرى ، مثل معارك اسكندر الأكبر وسواه من عباقرة الحرب، وقاهري الشعوب ، كما أن هؤلاء الشعراء كانوا يتغنون بقصائدهم في الميادين والطرقات ، يستدرون أكف الأهالي ، ويستجدون أموال الأمراء والفقراء .

وكان المنشدون المذكورون بين شـعراء ينظمون ما يتغنون به ، وبين منشدين يبتاعون من الناظمين قصائدهم ليتغنوا بها ، ويتألفون من فئتين ، يطلق على الاولى اسم Troubadoure وهي التي تتكلم لغـة أوك ، وتتنقل في جنوب فرنسا ، والثانيـة وتسمى Trouvère ومسرح نشاطها في شمال فرنسا ، ولا سيما في مقاطعة بيكارديا الـكائنـة في الشمال الشرقي بالقرب من بلجيكا .

وما هي إلا فترة من الزمن حتى أخذ الشعراء يتفننون في اختراع قصص البطولة ، لإرضاء أميال الأمراء والحكام الاقطاعيين ، ولإشباع رغبات عامة الشعب . حتى خرجوا بها عن حدّ الحوادث الواقعيـة فطفقوا يتخبطون فيها ويخلطون ، وينحرفون عن الوقائع الحقيقيـة ، ويضيفون الى التاريخ ما شاءوا وشاء لهم الهوى من جهة ، والمنفعة الشخصية من جهة أخرى ، حتى غدت قصائدهم التي تصف أعمال البطولة . خرافية اكثر منها تاريخية، علاوةً على خلوها من كل الأفكار السامية ، والمعاني الأدبيـة . فقـد تحوّلت الى كلام مرصوص وجمل مقفّـاة تسرد حوادث مجونية . ووقائع خيالية ، للتسلية والترويح عن النفس

وعلى الرغم من وجود مئات من هذه القصائد الحماسية ، فان أغنية رولان ، واثنتين أو ثلاثاً أخرى مماثلة لها ، ونحو اثني عشرة شذرة مقتطفة من القصائد المشار اليها . تعد

الركن المكين الذي ترتكز عليه أشعار البطولة والفروسية في الأدب الفرنسي .

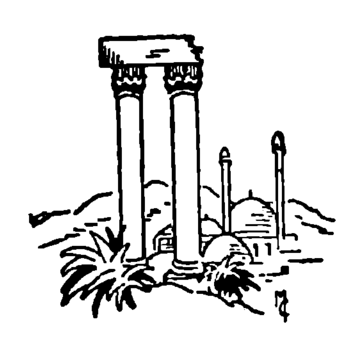
وكان الفرنسيون فيما بين القرن الثاني عشر والرابع عشر ، شديدي الميل الى الأدب القصصي ، من روايات وحكايات ، دون اهتمام بالوقائع الحربية ، والحوادث التاريخية ، التي تمت بصلة الى الابطال الوطنيين ، اذ كل ما كانوا يبتغونه هو اشباع نهمهم من الأقاصيص دون تطلع الى مصادرها ولا الى اشخاصها ومع ذلك فقد كانوا أشد ميلاً الى القصائد الحماسية ، غير انهم يتقبلون بشوق وشغف ، كل ما من شأنه ان يسليهم ، ويروح عن قلوبهم وأفئدتهم سواء كانت موضوعاته من النوع المحلي الوطني ، أو من انواع غريبة أجنبية ، حتى غصت تلك الفترة من الزمن ، بما لا يحصى عدده ، من الأقاصيص المختلفة الأشكال والألوان .

الادب الفرنسي والحروب الصليبية

وكانت الحروب الصليبية ، في ذلك الوقت ، قد اشتد أوارها ، وطفق شعراء اللغة اللاتينية ، يدبجون القصائد الحماسية في وصف وقائعها ، وسرد حوادثها ، فخطر لأحد المنشدين الجوالين ، أن يستخلص من هذه القصائد ، قصة شعرية باللغة الفرنسية ، فوضع « أغنية انطاكية » وأردفها آخر « بأغنية بيت المقدس » بعدما استولى الصليبيون على هذه المدينة ، وتوج جودفروا دي بويون الفرنسي ، دوق لورين السفلى ، ملكاً عليها .

وعندما كثر الاقبال على سماع هذه الأقاصيص ، استحث الشعراء قرائحهم في خلق الحوادث ، وابتداع الوقائع ، وابتكار الملاحم ، ما بين حقيقي وخيالي ، وشرعوا ينسبونها الى جودفروا المشار اليه حتى رفعوا فعاله الحربية الخارقة ، وبطولته التي لا تجارى ، الى السماك الأعزل . واغترف شعراء آخرون ، من حرب تروادة ، ومن فتوحات اسكندر المقدوني ، مواد لقصص وضعوها ، وحوادث اخترعوها ووقائع اختلقوها ، وعمد غيرهم الى الميثيولوجيا اليونانية ، والى الحروب الرومانية ، والبلاد الشرقية ، والخرافات الشائعة في كل مقاطعة من مقاطعات فرنسا ، والى ما لدى الشعوب التي اجتاحت هذه البلاد ، من سلت وغوط وفرنك ورومان وغيرهم ، فنظموها في قصائد وقصص ونوادر وحوادث ، وطفقوا يتلونها في القصور والدور والحانات والطرقات ، والجماهير تتهافت على سماعها ، تحدوها اللذة ، ويدفعها الشوق ، ويجذبها الميل الشديد .

وعلى الرغم من تشعب الموضوعات ، وكثرة القصائد والأشعار والقصص والنوادر ، لم يصب الأدب الفرنسي منها ما يجد فيه شيئاً من الدسم ، وكل ما هنالك أنها تكون مادة غنية وذخيرة ذات دسامة ، يستطيع الأدب الفرنسي أن يلجأ إليها في المستقبل . (البحث بقية)



العلاقات

بين المسلمين والمسيحيين في الحبشة في العصر الحديث

للأستاذ زاهر رياض

استطاعت حملات الامبراطور جلاوديوس (١٥٤٠ — ١٥٥٨) التي ساعده فيها البرتغاليون أن تقضي على قوّة الامام احمد بن ابراهيم فتشتت المسلمون بعد قتله في أجزاء الحبشة المختلفة ، واضطر كثير منهم الى الهجرة طالبين الأمان والفرار بحياتهم . وانسابت الغشاوة التي كانت تخيم على أعين الاحباش فأخذوا يعودون الى أحضان كنيستهم ، بعد أن أرغمهم هذا الطاغية على اعتناق الإسلام.



محارب حبشي
على الطريقة القديمة

ولكن الإسلام رغم ذلك ظل رمز الثورة على الحكومة المركزية، فأخذ في اعتناقه بعض أفراد من القبائل التي لم ترض عن سيادة الحكومة الأمهرية فاعتنقته - علاوة على معتنقيه الأصليين من العرب والصومال - بعض قبائل الجالا ، والوالو، والجوراجي على أنه مظهر من مظاهر الثورة على الحكم الأمهري ولم يعد الاسلام ديناً يجمع العرب والصومال غرضه القضاء على المسيحية والحكم المسيحي ، بل أصبح وحدة اجتمعت عليها القبائل المناهضة سواء منها من أسلم أم لم يسلم وغرضها جميعاً القضاء على السلطان الامهري الذي يحاول ان يفرض نفسه عليهم .

وكان القضاء على قوة المسلمين المتجمعة تحت لواء الامام احمد بن ابراهيم ونجاحها

ذلك فرصة أعطت الحكومة الامهرية المركزية أملاً في القضاء على جميع المنافسين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين. ولذا اتخذ النزاع في العصر الحديث شكلاً قبلياً تميز باتحاد العناصر الغاضبة في ثورتها على الحكومة .

ولكن المسلمين الاولين كانوا يفهمون المسألة على وجه آخر ، فقد ورثوا الحقد عن أسلافهم على الحكومة وعلى المسيحية خصوصاً ، وقد عاد المسيحيون الذين كانوا قد أسلموا إلى دياناتهم المسيحية بعد القضاء على حركة الامام أحمد بن ابراهيم وكانوا عدداً ليس باليسير، فنظر إليهم المسلمون والى غيرهم من المسيحيين كأنهم مرتدون، فامتنعوا عن التعامل معهم على أي وجه من الوجوه ، فازدادت الجفوة بينهم وسرى هذا الشعور الى المسلمين الجدد وأورثوه أولادهم، إلاّ أنهم في نفس الوقت ما كانوا يترددون في أن يمدوا أيديهم الى الثوار المسيحيين أو الوثنيين أو اليهود، إذا ما كان غرضهم الثورة على الحكومة ومحاولة تحطيمها. ولم تكن الحكومة من جانبها لتتردد في القضاء على هؤلاء الثائرين مهما تختلف قبائلهم ودياناتهم . فقد أخذ الامبراطور جلاوديوس في مهاجمة قبائل الجالا التي كانت على قسط وافر من البداوة، وكان قد استقر بعضهم قرب النيل الأزرق من جهتي الشرق والجنوب فتغلب عليهم وحمل معه أولادهم وبناتهم واتخذهم رقيقاً له . وعين حاكماً على بلادهم وجعل رؤساءهم يدفعون له الجزية له. وظل طوال حكمه يراقبهم ويعمل على شل حركتهم واخضاعهم لسلطانه خضوعاً مباشراً كما أخذ في مراقبة فلول المسلمين الذين خيل اليهم أن انشغال الامبراطور في حروب الجالا قد يتيح لهم فرصة التجمع من جديد واحداث الاضطراب في البلاد واستعادة ما كان لهم من قوة تحت قيادة القائد نور .

ولكن الامبراطور رغم مشاغله العديدة استطاع أن يهاجمهم غير مرة ويهدم قلاعهم ويجردهم من كل قوة. وداوم خلفاء جلاوديوس من بعده على أن ينهجوا نهجه ويكيلوا لبقايا المسلمين الضربات القاسية. فقد انتصر صرصا دنجل (١٥٦٣ – ١٥٩٥) على أهل هديه حتى قدموا له ولاءهم كما أخضع قبائل كافا التي استقرت في غرب وجنوب شوا لسلطة التاج الحبشي. ومعنى ذلك أن أباطرة الحبشة في العصور الحديثة عولوا على توطيد سلطة الملكية المطلقة واخضاع جميع القبائل الأخرى لسلطانهم المباشر. ولو أن بعضهم فقد حياته في هذا

السبيل الا أن ذلك لم يثن خلفاءهم عن أن يسيروا في نفس الطريق ليصلوا الى نهايته. وكانت عدتهم في هذا الأمر جيوش حديثة نظمتها الأيدي الاجنبية وبدلت أسلحتها من السيف والرمح الى البنادق والمدافع. ولكننا نلاحظ أن الجيوش الحبشية لم تحاول في أي مرة من المرات في هجومها أن تنحدر من ناحيات الشمال أو الجنوب أو الغرب إلى الأرض السهلة التي تحيط بالهضبة الحبشية رغم ما كان يسكنها من قبائل اسلامية على درجة كبيرة من التأخر تغري بالهجوم عليها، بل قصرت محاولات الاخضاع على من كان يسكن الهضبة الحبشية والشريط الصحراوي الذي يحدها من ناحية الشرق. ومعنى ذلك أن الامبراطور كان يشعر أن بلاده هي هذه الكتلة الجبلية التي تنتهي بسهول السودان من الشمال والغرب ولكنها تمتد من ناحية الشرق الى ساحل البحر واذا ترجمنا ذلك الى اللغة الحديثة أمكننا أن نقول إن الحدود السياسية للحبشة أخذت تظهر الى عالم الوجود بشكل واضح، وان القومية الحبشية أخذت طريقها الى الظهور وأخذت تكيل الضربات القوية لكل من يقاومها ويقف في طريقها، سواء كان مسلماً أو غير مسلم. ففي الوقت الذي كان الأباطرة الأحباش يهاجمون المسلمين الجالا في شرق البلاد والكالا في غربها، لم يتوانوا عن مطاردة البهر نجش اسحق حتى هزموه واضطروه الى الالتجاء الى زءور باشا حاكم مصوع.

* * *

وهنا تبدو ملاحظة لا بد من تسجيلها وهي أن مثل هذه الحوادث التي تسوقها مثل هذه الروح. روح الثورة من القبائل المقهورة ومحاولة الاخضاع من السلطة المركزية الحاكمة كانت تجري في أوربا في ذلك الوقت فكأن حوادث الحبشة كانت تسير في نفس الطريق الذي كانت تسير فيه الحوادث الاوربية المعاصرة، تدفعها نفس الدوافع التي تدفع بزميلاتها، كي تحاول أن تصل إلى نفس النتائج التي تحاول الأخرى الوصول اليها.

اما الاتراك فقد أيقنوا بعد هزيمة الامام احمد بن ابراهيم وتشتت المسلمين، ان سلاح الدين لا يصلح في الحبشة، فقد رأوا بأعينهم كيف ادى استعمال هذا السلاح الى اتحاد المسيحيين جميعاً معها تختلف قبائلهم تحت سلطة الامبراطور لمقاومة هذه البدعة الجديدة في تاريخهم حتى اذا انتهت تلك الحروب الدينية، عاد المسيحيون الى خلافهم القبلي الاول، وزاد هذا

الخلاف اشتعالاً بانضمام القبائل غير المسيحية من الجالا والوالو والكافا والجوراجى الى صفوف الثائرين ، فقنعوا بالاستقرار على الشاطىء الشرقي للحبشة حول المدن الساحلية ، كسواكن ومصوع، وأخذوا يرقبون الحوادث علهم يستطيعون ان يتدخلوا فيها لما فيه مصلحتهم . فمدوا البهرنجش اسحق بالمدافع والبنادق في ثورته ضد جلاوديوس وميناس ، ولم يترددوا في ارسال فريق من الفرسان الاتراك لتدريب قواته على القتال ، بل والمحاربة في صفه .

* * *

أما البرتغال فقد كانوا أقل وأبطأ من الأتراك إدراكاً لهذه الحقيقة، فقد خيل إليهم أن البلاد قد خلصت لهم بعد أن تغلبت على هذا الخطر التركي الاسلامي بفضل مساعدتهم وحدها، فعندما عاد الامبراطور جلاوديوس الى قصره عام ١٥٥٥ بعد انتصاره على الفائد نور ،وجد في انتظاره بعثة من ملك البرتغال قد وصلت اثناء غيابه تحمل هدايا من الملك. وكان ضمن أفراد البعثة مبشران يسوعيان يحملان خطاباً من حاكم الهند وينحصر طلبهما في أن ينضم الأحباش الى الكنيسة الرومية ، ويقطعون علاقتهم بالكنيسة المصرية التي لا تستطيع حمايتهم من الخطر الخارجي ، ولا حماية نفسها من العنت الذي كانت تلاقيه في مصر .

ولكن تحول شعب بأسره من مذهب الى آخر في لحظة واحدة أمر لا يسلم به عقل، فأراد الكاثوليك أن يكونوا منطقيين مع أنفسهم، فبدأوا بنشر عدة كتب باللغة الأمهرية شرحوا فيها عقيدتهم ومذهبهم وقارنوه بالمذهب الأرثوذكسي، فشعر الأحباش وعلى رأسهم كهنتهم أنهم أمام هجوم منظم يرمي الى النيل من كنيستهم وتحقيرها ، فلم يكن بد من مقابلة الهجوم بمثله، فولوا وجوههم شطر الكنيسة المصرية لتمدهم بالكتب التي يستطيعون ترجمتها الى الأمهرية لمقابلة هذا السيل الذي لا ينقطع من الكتب الكاثوليكية المترجمة . ولم تتردد الكنيسة المصرية عن أداء واجبها في هذه الظروف كاملاً ، فأمدتهم بما يطلبون. ولم يكن الكاثوليك ينتظرون كل هذا الجدل وكل هذا العناء في سبيل تحويل هذا الشعب الماكر للتحميل عن عقيدته ، ولذا لجأوا الى طريق جديد هو طريق القوة، فلم يترددوا

في تشجيع الثوار ومدهم بالسلاح ، ولم يترددوا أيضاً في أن يمدوا أيديهم الى المسلمين والأتراك يساعدونهم على احتلال أجزاء من البلاد مع انهم ما أتوا إليها إلا للقضاء عليهم. فخرجت المسألة إذن عن الطريق الديني وأصبحت صراعاً سياسيًّا محضاً بين الحكومة المركزية الأمهرية من جهة ، وبين الثائرين من القبائل الأخرى سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة، يؤيدها الأتراك والبرتغاليون . ويظهر أن معونة هؤلاء الكاثوليك للثوار كانت واضحة إلى حدٍ أن دعا الامبراطور ميناس (١٥٥٩ — ١٥٦٣) المطران الكاثوليكي وأمره في لهجة قاسية أن يوقف نشاطه ، وأن يترك البلاد وذلك بالرغم مما كان يسبغه عليه قبل ذلك من حماية ورعاية .

ولكن لم يلبث هؤلاء الكاثوليك أن وجدوا في الملك سوسنيوس (١٦٠٧— ١٦٣٢) أكبر عون لهم على تنفيذ ما خيل إليهم أنه السياسة البرتغالية الكاثوليكية في الحبشة حين خيل الى الامبراطور أنه يستطيع أن يتغلب بهم على العناصر المناوئة ومنهم المسلمين، وأن يخرج عن طريقهم الى العالم الخارجي ليتصل بالعالم المتمدين اتصالاً ذا منفعة له .

ولكن هذه السياسة أغضبت رجال الدين الوطنيين، كما أدت الى ثورة العناصر المحافظة في الدولة ، وجعل الملك همه اخضاع هؤلاء الثائرين من قومه بالاضافة الى الثائرين من القبائل الأخرى الذين وجدوا من الأتراك كل مساعدة . ولذا شهد عصر سوسنيوس اضطراباً غير مألوف تحطمت على أثره حياة البلاد الاقتصادية تحطيماً قاسياً جعل الملك يصمم على الرجوع عن سياسته الدينية.فأصدر مرسوماً أعاد الى شعبه مذهبه وطقوسه كما أعلن ولده فاسيلاداس خلفاً له . ولم يكد هذا يرتقي العرش حتى أمر البطريرك الكاثوليكي وقساوسته ان يجتمعوا في فريمونا بالقرب من اكسوم في انتظار ما يأمر به الملك . ثم نصحه بأن يترك البلاد ليخلي مكانه للمطران المصري الذي بعث الى مصر في طلبه. وخاف ان يعاود الكاثوليك العودة من جديد فتحالف مع الحاكم التركي في مصوّع وسواكن على ان يرقبوا له الشواطىء ليمنعوا عودة هؤلاء المشاغبين، وأرسل الى اليمن يطلب رسولاً يستطيع ان يتفاهم معه على أساس علاقات مستديمة، ففهم اليمنيون والمسلمون من ذلك انها رغبة من الملك في اعتناق الاسلام ، فأخلدوا الى السكون ووهبوا صداقتهم للملك .



صناعة

حبر الكتابة

للأستاذ حسين محمد التبريزي

الحبر سائل ملون للكتابة . وأساس صناعة الحبر الحديثة نظريتان :

١ — خاصية تكوّن مركبات ملونة من اتحاد مواد التانين (الدباغ) مع أملاح الحديد ، مثل حبر الأزرق — أسود .

٢ — محاليل صبغات مائية أو كحولية لمختلف الألوان مثل حبر المدارس ، وأقلام الحبر العادية والجافة . أما أهم المواد التي تدخل في صناعة حبر العفص — حديد فهي :

١ — مواد التانين — وتشمل :

ا — العفص الحلبي أو التركي ونسبة التانين فيه بنحو ٦٥ ٪ ولاستخلاص التانين الموجود بالعفص يجب نقعه في الماء بعد تهشيمه ، نحو أربعة أيام ، أو تركه يغلي على النار لبضع ساعات ، والنسبة المستخدمة هي جزء واحد عفص مع ٣٠ جزء ماء ثم يصفى المحلول وبذلك يكون معدًّا لاضافة بقية المواد اليه .

ب — حمض التانيك ، وهو المادة الفعّالة في العفص . وعند فصلها منه في حالة نقاوة تسمى حمض التانيك أو الجالوتانيك . وتظهر هذه المادة على شكل مسحوق أصفر فاتح أو بني قابل للذوبان في الماء ، ولكن سريع الذوبان في الكحول والمعروف أن حمض التانيك أسهل استعمالاً من العفص لامكان ضبط نسبته ، ومن الممكن إضافته لأنواع العفص التي تحوي قليلاً من التانين.

ح – حمض الجاليك أو العفصيك – عند ما يسخن حمض التانيك مع حمض مخفف أو يخمر بخميرة البيرة فإنه يأخذ عناصر الماء، ويتحوّل إلى مادة جديدة هي حمض الجاليك الذي يتبلور على شكل إبر بيض لامعة، لها خواص الأصل الذي إشتقت منه، بأن تعطي لوناً أسود يضرب إلى الزرقة مع أملاح الحديد. وحمض الجاليك أقل ذوباناً من حمض التانيك في الماء، ولا تزيد نسبة ذوبانه في الماء عن ١ ٪ .

ويمكن أن يستعمل حمض الجاليك بمفرده في صناعة الحبر ويعطي لوناً أعمق مما يعطيه حمض التانيك ولكن لبطء إسوداد لونه يحسن وضع حمض التانيك معه ومحاليله مع مركبات الحديد ثابتة، إذا خلت من وجود الأحماض المعدنية. في حين أن محاليل حمض التانيك تحتاج الى نسبة قليلة من حمض قوي ليمنع ترسبها.

٢ – أملاح الحديد – وأهمها :

ا – كبريتات الحديدوز – وهي بلورات تختلف نسبة الحديد فيها من ١٨ – ٢٥ ٪ كما تحوي نسبة حرة من حمض الكبريتيك. وهذه ملحوظة يجب أن لا تغرب عن بال الصانع، في حالة عمل حبر خال من الأحماض.

ب – كلورور الحديد – من أملاح الحديد الهامة، التي تستعمل في صناعة الحبر.

٣ – الصمغ العربي – والغرض منه أن يمنع الحبر من الانزلاق عن الريشة. أو إنتشار الكتابة على الورق.

٤ – الأحماض – تحتاج مركبات أملاح العفص حديد إلى نسبة من حمض معدني قوي لتجعلها ثابتة. وفي حالة غياب هذه الأحماض، فان الهواء إما أن يعكر الحبر او يجعله يترك رواسب في المحبرة، مع ملاحظة ان زيادة كمية الحمض قد تعرّض لون الحبر الأصلي للتلاشي، كما تعمل على تآكل أسنان الريش المعدنية وأهم الأحماض المستعملة هي حمض الكلورودريك وحمض الكبريتيك ولا تزيد نسبتها عن ٢٥و٠ – ٥و٠ ٪ في كل الحبر.

٥ - المواد الحافظة – الحبر كأي مادة عضوية قد يتعرض للعفن ويتحلل تركيبه، ولذا يحتاج الى مادة تحفظه من الفساد، وأهم هذه المواد هي حمض الفنيك وحمض السالسليك والكحول أيضاً.

وأما أهم المواد التي تدخل في حبر الصبغات فهي : —

٦ — الصبغات — وهذه لسهولة استخدامها أصبحت ضرورية في كل الحبر الملون وغيره وفيما يلي أهم الصبغات الملونة :

أحمر — أيوسين	أسود — اتلين أسود
أزرق — اسود — نافتول بلوبلاك	أزرق — متلين بلو
بنفسجي — متلين فيوليت	أخضر — أخضر ملخت

والمعروف ان الاصباغ المستعملة هي التي تذوب في الماء . كما تستعمل الصبغات التي تذوب في الكحول كما هو الحال في حبر الأقلام الامريكاني . ونسبتها مادة ٢ — ٥ ٪ . والغرض من اضافة أي صبغ أزرق الى حبر التانين — حديد ، هو أن يعطي الحبر لوناً وقتيـاً ، إلى أن يتم ظهور اللون الأسود الأصلي على الورق مع الوقت .

٧ — الجلسرين — كمادة ترطيب وخصوصاً لحبر الأقلام الجافة .

(نسبة العفص إلى الحديد) — من الممكن إنتاج أي حبر جيد بما دامت النسبة بين العفص والحديد هي ٣ أجزاء عفص إلى جزء واحد كبريتات حديدوز . ولسهولة الصناعة يحسن إستخدام حمض التانيك بنسبة ٣ أجزاء إلى جزئين كبريتات حديدوز .

(خلط المواد وتعتيق الحبر) — يوضع محلول مادة التانين في براميل خشبية أو من الصاج المدهون . ويضاف عليه النسبة المطلوبة من كبريتات الحديدوز أو كلورور الحديد — في حالة استخدامه — بعد إذابة الملح في قليل من الماء . وبعد دقائق من خلط المحلولين تبدأ في مشاهدة تحول اللون إلى الازرق الغامق ، من أعلى السائل إلى أسفل تبعاً لتفاعل الهواء ببطء على تنات الحديد . فاذا لم توضع أحماض قوية فإن هذا التغيير يستمر حتى تتكوّن رواسب غير ذائبة . كما كانت عليه الحال في الحبر القديم — أما الحبر الحديث فإنه يترك هذا التغيير التدريجي يحدث في الحبر بعد الكتابة به على الورق . ولذا يضاف عليه لون وقتي ، هو آثار من صبغة أزرق المثلين بنسبة ٢ جرام في اللتر ، ثم يضاف الصمغ العربي والمادة الحافظة . وبعد ذلك يترك ليتعتق ، محفوظاً لمدة شهر على الأقل . وبذا ترقد الرواسب في قاع البرميل مما يساعد على ترويق الحبر وترشيحه .

ويلاحظ أن حبر التانين قليل الرواسب ، على عكس حبر العفص ، ولذا يصفى بسرعة

﴿التعبية في الزجاجات﴾ يعبأ الحبر بعد تعتيقه وترسيبه إما باليد وإما بطريقة آلية . وفي حالة اليد يستعمل عيار مدرج لمعرفة الكمية. ومن المهم ان يكون الزجاج نظيفاً ومن النوع المتعادل ، حتى لا يحدث رواسب في الحبر بعد تعبيئه . وأخيراً تغلق الزجاجات وتوضع عليها البطاقات .

﴿تراكيب﴾ وفيما يلي نستعرض طائفة من التراكيب لمختلف حبر الكتابة ، تطبيقاً للمعلومات السالفة : —

١ — حبر أزرق أسود

(ا) كبريتات حديدوز ٥ر٦ جم
صمغ عربي ٥ر٦ جم
جلسرين — ر٧ سم
حمض فنيك — ر١ جم
حمض كبريتيك مخفف — ر١٥ جم
تذاب كل المواد في ٢٤٠ جم ماء .
(ب) حمض تانيك — ر٤ جم
حمض جاليك — ر٤ جم
تذاب المواد في ١٥٠ جراماً ماء .

والطريقة أن تخلط (ا) و (ب) . ويضاف ماء حتى ٦٠٠ جم . ثم يذاب ٥ر١ جرام صبغ أزرق . ويترك الحبر لمدة اسبوع ليتعتق . وأخيراً يصفى ويعبأ .

٢ — حبر أقلام أمريكاني

٥٤ جم صبغ يذوب في الكحول
٣٦ جم كحول
٦٠ جم ماء

٣ — حبر صيني

(ا) بوراكس ٣ جم
جمالكة ١٥ جم
ماء مغلي ٤٠ جم
(ب) صبغ أسود ١ جم
ماء ٤١ جم
يخلط على البارد .

٤ — حبر أحمر

صبغة إيوسين ٣٠ جم
صمغ عربي ٣٠ جم
فينول ١٥ جم
ماء ٤ لتر

٥ — حبر الأقلام الجافة

يعجن مسحوق الصبغ بالجلسرين بكمية تكفي لصلابة الحبر المطلوبة .

٦ — حبر مسحوق أسود

نجروسين ٤ أوقيات
أنلين أزرق ٨ أوقيات
حمض سالسليك ٦٠ قمحة
دكسترين مسحوق ٦ أوقيات
وللاستعمال تذاب أوقية منه في لتر ماء

شعر النساء

من أذناب الجاموس والوعل

اكتشف خبراء تصفيف الشعر وتزيينه أن خير ما يستعاض به من ذوائب وجدائل يمكن الحصول عليه من شعر أصقل وأخف من الشعر الانساني، وان أكثر أنواع الشعر صلاحية لذلك هو ما يحصل عليه من أذناب الوعول والجاموس. وأنهم يستطيعون الآن أن يزودوا أي حسناء بصفيفة من الشعر المستعار نظير ستة جنيهات وجديلة نظير أربعة وعشرين جنيهاً، واذا أرادت رأساً كاملة من الشعر المستعار كان لها ذلك. ما أعجب الزمن الذي نعيش فيه حتى تصبح أذناب الجاموس على هامة الحسان.

التخلص من بقع الشاي

أو الماء الساخن

إذا ترك الشاي الساخن أو الماء الساخن بقعة أو علامة دائمة في وسط الطاولة وأفسد من بريقها فلا تجزعي يا سيدتي لأنه يمكن التخلص من هذه البقعة بسهولة جداً وتمهيد للطاولة بريقها الجذاب وذلك بالطريقة الآتية : —

اخلطي قليلاً من زيت الزيتون أو أي زيت نباتي بقليل من الدقيق، واصنعي من هذا الخليط معجوناً - أي عجينة لينة - ثم غطي سطح بقعة الشاي الساخن أو الماء الساخن التي أصابت الطاولة أو غيرها من أثاث المنزل الخشبي بهذه المعجينة واتركيها طول الليل حتى الصباح. أزيلي العجينة ثم لمعي الطاولة أو غيرها من الأثاث المصاب كالعادة فتزول البقعة المذكورة.

لحماية أيدي السيدات

يشكو معظم ربات البيوت. وبالأخص في هذه الأيام التي يتعذر فيها الحصول على خدم ملائمين — مما يصيب أيديهن من الخشونة لكثرة ما يمارسن من مهام منزلية غليظة. فابتكرت في انجلترا أنواع من « الكريمات » إذا دهنت بها الأيدي تكونت عليها غلالة رقيقة أطلق عليها اسم « القفاز غير المنظور » تقي الأيدي مما تعرض له من أوساخ وأوضار وروائح غير مقبولة. وقد شاع استعمال نوعين من هذه الكريمات. فهناك نوع أعطي رقم ٥١ يستعمل عند مباشرة « الأعمال الجافة » أي التي لا تدخلها السوائل كالتنفيض والتلميع وما إليها. ونوع آخر أعطي رقم ٧١ ويستعمل عند مباشرة الأعمال الخفيفة كتقشير الثوم والبصل أو التي تدخلها السوائل بصفة عامة. ويباع « البرطمان » الكبير بنحو ثلاثة شلنات

✡✡



الشعر المصري الحديث [1]

عنيت مجلة آج نوفو « Age Nouveau » الباريسية في عدد أغسطس سنة ١٩٤٩ بنشر مقال نقدي لطائفة من شعراء مصر المبرزين في العصر الحديث وهم : شوقي وحافظ ومطران وعلي طه وابراهيم ناجي وحسن كامل الصيرفي ، وكاتب هذه السطور كان أقرب الى المؤاخذة منه الى التقدير . فرأيت إنصافاً لأدب زملائي قبل إنصاف أدبي أن أدلي بهذا التعليق على ذلك المقال الذي اهتمت مجلة « المقتطف » بنشر تعريبه في عدد شهر نوفمبر سنة ١٩٤٩ ... يقول الكاتب الناقد إنه ليس للشعر المصري المعاصر كبير أهمية وينعي عليه أنه لا يزال بعيداً كل البعد عن السيريالزم ويستشهد بقول الأستاذ الدكتور طه حسين (معالي الدكتور طه حسين باشا) إذ صورة الشعر العربي الذي يقدمه شعراء مصر الآن لا تبعث على التشجيع ولا تنمّ عن ثروة من الشعر .

فأما عن مؤاخذة الدكتور طه لمنصبّة في الحقيقة على الشعر المائع المتفشي ، ومغالاته في المؤاخذة يشفع له فيها اخلاصه وغيرته على نهضة وطنه . وأما النقد التحليلي الشامل العميق فبسوط في كتاب الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث) [2] بسطاً نزيهاً دقيقاً .

والسيريالزم أو السريالية ليست بالبدعة الفنية الحديثة وليست تاجاً للشعر الراقي ولم يخلُ منها الشعر العربي — لا المصري فحسب — المعبّر عن الاضطرابات أو المصور لها ، حتى شعر المتنبي في حروب سيف الدولة لم يخلُ منها . ولكاتب هذه السطور نماذج متعددة منها دون تهوّر مبثوثة في تضاعيف شعره ، وبينها مقدمة قصيدته « اسكندرية الدامية » التي نظمت أبان الحرب العالمية الثانية ، وقد صنعت القنابل ما صنعت بعروس البحر المتوسط ، ومن العجيب حقاً أن ينتقص قدر الشعر المصري الحديث لأنه لا يعتنق السريالية اعتناقاً أعمى . إن الشعر المصري التقدمي الحديث يعتمد على الطلاقة الفنية وحرية التعبير الوجداني ، مع الترفّع عن المحاكاة ، ومع التطلع الى السموّ الانساني . إلى هذا دعا وبهذا نادى أستاذنا خليل مطران في مستهلّ هذا القرن بل قبل اشراقه . ولئن كان مطران لبنانيّ الأصل فهو مصري الاقامة والتفاعل والتأثير أولاً وأخيراً . وكان لمدرسته الأثر

---

(١) المقتطف : منذ أكثر من عام نشرنا ترجمة مقال ظهر في مجلة « آج نوفو » الفرنسية عن الشعر المصري الحديث . فلما اطلع عليه الاستاذ الدكتور احمد زكي أبو شادي ، أرسل إلينا المقال التالي تعليقاً على ذلك المقال وحال المجال دون نشره من قبل .

(٢) المقتطف : لمؤلفه الكاتب الكبير الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ونشره المقتطف سنة ١٩٤٨

التقدمي البالغ داخل مصر وخارجها . وقد ذكر الناقد عن حافظ ابراهيم انه « جاهد مقلداً الى أبعد حدود التقليد الشعراء القدامى قبل الاسلام وبعده » . وهذا غير صحيح ، فان اسلوب حافظ الكلاسيكي لم يدفعه الى أيّ تصنّع في التعبير عن حالاته النفسية ، وفي التعبير عن شعور أمته، وفي اسداء النصح اليها . ومَنْ منّا لا يقف متأثراً أمام ميميته المشهورة في شكوى الزمان التي يقول في مطلعها :

سعيتُ الى أن كِدتُ أنتعل الدما وعُدتُ وما أعقبت إلا التَّنَدُّما
سلامٌ على الدنيا سلامُ مودّعٍ رأى في ظلامِ القبر أنساً ومَغنمَا
أضرَّتْ به الأولى فهام بأختها وان ساءتْ الاخرى فويلاه منهمَا
فهبّي رياحَ الموت نكباء واطفئي سراجَ حياتي قبل أن يتحطمَا
فما عصمتني من زماني فضائلي ولكن رأيتُ الموتَ للحرِّ أعصما !

ونعى النـاقد على كاتب هذه السطور وعلى الدكتور ابراهيم ناجي وعلى حسن كامل الصيرفي قلةَ انتاجهم وادّعى اني هجرتُ الشعر في سنة ١٩٣٦ واقفاً جهدي على العلم وحده . والحقيقة أن لكل من ناجي والصيرفي الكفاية من الزكاة عن أدبهما وفنهما — وقد صدر أخيراً ديوان (الشروق) للصيرفي ، وصدر أخيراً ديوان (ليالي القاهرة) لناجي . وقيمة الآثار الفنية على أي حال ليست بكثرتها ولا بقلتها وقد فات ناقدي ان ديواني (عودة الراعي) صدر في سنة ١٩٤٢ وان ديواني (من السماء) قد ظهر أخيراً ، وأن شعراً آخر لي تضمنه مجلدان بل أكثر من مجلة (أدبي) التي اوقفها الاضطهاد الفكري في مصر كما أوقف أخواتٍ لها من قبل . والناقدُ الفاضلُ مشكور على أي حال على اهتمامه ، ولي عودة لتناول بقية نقاطه وملاحظاته بالتعليق... لم يبلغ الشعر العربي في أي عصر مبلغاً أرقى مما وصل اليه الشعر المصري الحديث في جملته —ولست من الفرديين ولا من عبدة الأبطال وعلى هذا يعنيني أن أتحدث عن الشعر المصري الحديث في مجموعه وان أحيي خدامه جميعاً وان أقدر الأثر الكلي لجهودهم الفنية دون الاقتصار على شاعر رائد ، ولو كان إمامي الأول، وبهذه الروح كنت أدعو وأكتب كلما سمحت لي الفرص شحذاً لهمم زملائي الشعراء وتوثيقاً لأواصر الأخوة الأدبية بينهم .

والشعر المصري الحديث يعبّر كذلك عن النهضة الشعرية في بقية العالم العربي حيث انقضى أو كاد الولوعُ بالمحاكاة لفحول الشعراء المتقدمين ، وحلّ الابتداعُ محلـه كما حلت الطلاقة الفنية ، وصار التسامي الانساني عنصراً هامّـا من عناصر الشعر السامي .

وليس معنى ما تقدم أني لا احفل بالشعر الشخصي ، أو أني ازدري شعر (الاخوانيات)

او شعر « المناسبات » اذا كان ذا طابع فني ، أو اني ممن يمتهن مبدأ « الشعر لأجل الشعر » أو أني أتجاهل العناصر الفنية حتى في شعر الشهوة المتدلي كقصائد بودلير ، ولكن معناه في اعتباري أنّ الشاعر الانساني المستكمل لادواته الفنية كمطران وتاجور واقبال بين المحدثين هو اسمى منزلةً وأجدى للفن وللمُثل العليا من الشاعر المنطوي على نفسه .

وقد عيبتْ على مطران وشوقي ومحرم وحافظ وغيرهم مقطوعاتهم « الاخوانية » كأنما هي ألوان من الزلفى المرذولة وأُبعد معظمها عن دواوينهم ، مع انها قد تكون من صميم الشعر الوجداني الرائع . وأذكر على سبيل المثال ما صدّر به مطران الجزء الاول من ديوانه في طبعته الأولى والمساجلة الودية — التي جرت بين شوقي ووالدي خلال سنة ١٩٠٤ (أي منذ ستة وأربعين عاماً) حينما اشتد الضيق بالناس في مصر وعمّ القلق — بين سياسي واقتصادي ، وقد اشارت الى ابيات شوقي مجلة (رعمسيس) المصرية في الجزء الرابع من المجلد الرابع عشر وأوردها السيد محمد العروسي مع الرد عليهما في المجموعة الشعرية التي اختارها من نظم الثاني . فمثلُ هذا الشعر له قيمهُ الفنيّة والتاريخية ولا يجوز بأي حال امتهانه وإسقاطه ، كما أنه من وجهة أخرى لا يجوز التغالي في إكباره كما كان يصنع السلف . ومهما يكن من شيء فقيمة الشعر أصلاً في ذاته ، وهيهات أن ينهض الموضوع الرفيع بالنظم الغث الميت فيحيله الى شعر سليم نابض بالحياة .

ولا مشاحة في أن الشعر المصري الحديث — بل الشعر العربي اجمالاً — قد بلغ منزلة رفيعة من النضج الفني تستحق الاعتزاز بها . ولم تنصف مجلة « آج نوفو » الباريسية بقصرها الدراسة على سبعة من الشعراء المصريين بينهم كاتب هذه السطور ، فهناك شعراء أفاضل كثيرون يزدان الشعر المصري الحديث بآثارهم اللامعة . ومع اعتراف الناقد في دراسته الآنفة الذكر بأن لكل من الشاعرين علي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل رشاقة وموسيقى في شعره فانه عاب عليهما قلة التعمق . ولعله يريد بذلك أن ثقافة كل منهما محدودة وأن ضيق ثقافتهما غل شعرهما عن الانبساط الفكري والتناول الفلسفي ، ولكن فاته أن ينصف محمود حسن اسماعيل بالتنويه بطاقته الشعرية الجيدة ، على الرغم من شذوذ تعابيره ، كما فاته انصاف علي محمود طه بالتنويه بقدرته الوصفية وان تكن اصالته محدودة . ولعله كان متأثراً في نقده بكتاب (في الميزان) للأديب المصري الجهير الدكتور محمد مندور الذي أعلن حرباً شعواء على التقليد الأعمى والتصنع والتحجر ، وكانت له وقفة نبيلة في الدفاع عن الشعر الصادق الأصيل جملة ، وعن بعض شعراء المهجر الاميركي .

وكنت أودّ في هذا الدفاع الموجز عن الشعر المصري الحديث أن أتحاشى الاشارة

الى ما خصني به الناقد الفاضل في المجلة المتقدمة الذكر لولا أني مطالب بالرد على ملاحظاته . فقد ذكرني في ثلاثة مواضع ذكراً كريماً ولـكن المهم فيه للتاريخ الادبي وانصافاً للشعر المصري الحديث عامة تصحيح ملاحظاته الآتية . قال : —

(١) — كان في وسع الشاعر أحمد زكي أبو شادي أن يقتفي آثار حكماء العرب في القرون الوسطى — أولئك الذين كانوا يجمعون في وقت واحد بين الفلسفة والعلم ، غير أنه بدّد هذه الموهبة بكتاباته عن تربية النحل وتصدره شعراء الطبيعة .

(٢) — أراد أبو شادي أن يجدد الاوزان بادخال قواعد من أوزان الشعر الانكليزي وجاءت النتيجة بين بين — وأخذ أبو شادي يطالع الناس من خلال دواوينه الوفيرة الانتاج بقصائد تبعث على الاعجاب — ولكن أبا شادي عاد فهجر الشعر في عام ١٩٣٦ ووقف جهده على العلم.

وجوابي عما تقدم أني خدمت الشعر المرسل والشعر الحر بنماذج متعددة ، مثلما حاولت الجمع بين بحرين قريبين أو أكثر في القصيدة الواحدة كما في قصيدتي الموجهة الى محمد فريد وجدي بك صاحب (دائرة معارف القرن العشرين) المنشورة في ديواني الموسوم (أنين ورنين) ، ولـكن هذه الجهود لاقت مقاومة عنيفة من المحافظين . وكما أسلفتُ الذكر في الشطر الاول من هذا المقال قد فات ناقدي الفاضل الاطلاع على آثاري الشعرية بعد سنة ١٩٣٦ وربما فاته بعضها قبل ذلك ، لأن الملاحظات التي أبداها لا تنطبق عليَّ ، وقد كان أدبي الكاسب — لا الخاسر — بثقافتي المتنوعة . وما لم يكن الشاعر متصنعاً فليس في وسعه أن يعتزل الشعر ، فما الشعر بصناعة من الصناعات تزاول ثم تترك حسب الظروف .

ولا أعرف أن هناك ما يشرفني أو يشرف أي شاعر معاصر « باقتفاء آثار حكماء العرب في القرون الوسطى » بدل أن أكون مستقلاً بنظراتي وتفكيري وابتكاري الفني . ويظهر أن صفوة المستشرقين الاوروبيين والاميركيين يرون غيرّ رأي ناقدي الفاضل في فلسفتي العلمية الفنية المتجلية في كثير من قصائدي ، مثلاث « أقصى الظنون » و « الفقاعة » و « الخلود » و « باكون » و « تحطيم الذرّة » والاخيرة كأنها نبوءة شعرية وقد ظهرت في ديواني (الكائن الثاني) الصادر في بداية سنة ١٩٣٥ .

هذه إلمامة « عامة » أكتفي بها انصافاً للمدرسة التقدّمية التى أنتسب إليها . وليس جهدي المتواضع إلاّ قطرة من المجموع الشامل والبحر الزاخر الذي أسهم فيه العديدون من أساتذتي وزملائي في مدى نصف قرن ، متجاوبين مع أندادهم النوابغ في الأقطار العربية الأخرى وفي طليعتها لبنان وسوريا والعراق .

أحمد زكي أبو شادي

نيويورك

التقويم الزراعي

لشهر يناير ١٩٥١

---

(١) — ﴿ المحصولات الزراعية ﴾



القمح . الشعير . الفول . الكتان

استئصال الحشائش

القطن — خدمة الأرض

القصب — خدمة أرض الغرس ، كسر الخلفة

(٢) — ﴿ البساتين ﴾

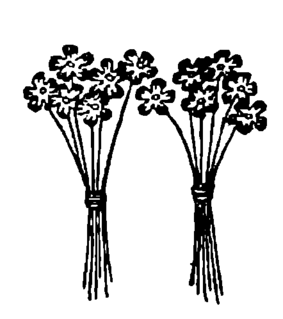
ا — الفواكه — تجهيز الأرض ، وعمل الحفر لزراعة الأشجار — نقل الأشجار من المشتل في أواخر الشهر — تسميد الأشجار الحديثة — تقليم العنب والتين — عزق الحدائق وازالة الحشائش

ب — الخضر — زراعة عروة من السبانخ ، والسلق ، واللفت ، والبنجر ، والفجل ، والجرجير — زراعة عروق مبكرة من الفاصوليا ، والبطاطس ، والملوخية ، والكوسة والخيار .

نقل شتلات الكرنب الأفرنجي ، وأبو ركبة ، والطماطم .

زرع بزور الكرفس ، والكرات أبو شوشة ، والخس البلدي ، والهندباء بالمشتل .

حـ — الأزهار — منع الري عن الورد قبل تقليمه بأسبوعين



زرع عقل الورد النسر — استئصال الأفرع الجافة بالمتسلقات ـ تجهيز عقل « الأراولا » لزراعتها بالقصاري — زرع أصول كورمات الجلادبوس .

نقل الأشجار

استئصال الحشائش .

✡ ✡

اخبار زراعية

﴿ فساد البيض المخزن ﴾ اتضح من بحوث محطة (كورنيل) بأمريكا أن سبب تدهور صفات البيض عند خزنه يرجع الى امتصاصه للرائحة الكريهة الناشئة عن نمو العفن والبكتريا أو من روائح بعض أنواع الاطعمة . ويمكن لملاج هذه الحالة تنقية الهواء بوساطة الكربون المنشط الذي يمتص الرائحة .

﴿ مستخرجات مخيض الألبان (الشرش) ﴾ ذكر مكتب صناعة الألبان (بواشنطن) أنه يجري في مخيض اللبن ثلاث عمليات مبدئية وهي البسترة والتركيز والتخمير وذلك لاستخدامه في الأطعمة ومستحضرات الادوية والمنتجات الصناعية . فالبسترة خطوة ضرورية في حفظ الشرش الحلو لعمليات الكريم وعمليات أخرى غيرها ، والتركيز ينتج عنه منتجات البروتين واللكتوز والشرش المركز المحلي وغير المحلي والمجفف . أما منتجات التخمير فهي حمض اللبنيك وكحول الايثيل والريبوفلافين .

﴿ أثر نقص بعض العناصر الغذائية في التربة ﴾ يساعد تحليل النبات والتربة التي ينمو فيها على الوصول الى أحسن محصول ، إذ قد يسبب نقص بعض العناصر الغذائية بالتربة بعض الأعراض المرضية في النباتات كمرض الاصفرار Chlorosis . وينجم عن نقص بعض العناصر في التربة كالمغنسيوم والمنجنيز والنحاس والزنك والحديد والكبريت وغيرها من العناصر الثانوية أضرار في نمو محاصيل الخضر .

﴿ تغذية الدجاج الرومي بالفيتامينات ﴾ جاء في بحوث كلية الزراعة أنه يمكن استخدام الفيتامين التجاري المحتوي على العناصر المعدنية والمسمى فيتاملك Vitamelk بدلاً من اللبن المجفف في تغذية الفراخ الرومي ، على أن يضاف اليه البروتين الجيد وقد ارتفع بذلك عدد الفقس ونسبته ، وهذا لا يقلل من شأن استخدام اللبن المجفف في تربيتها .

✡ ✡

الدورة الزراعية

القى حضرة صاحب العزة عبد الرحمن سري بك الخبير الاقتصادي لوزارة الزراعة مساء السبت ١٣ يناير الجاري محاضرة عن « دراسات تحليلية للدورة الزراعية وأثر التشريعات الاخيرة فيها » في دار جمعية خريجي المعاهد الزراعية نلخصها فيما يلي : —

لا تزال الدورة الزراعية من المسائل التي تشغل جانباً كبيراً من تفكير الزراع ، ولأنصار كل من الدورتين الثنائية والثلاثية رأيهم وأكبر الظن أن هذا الاختلاف في الرأي سيستمر قائماً ما دامت الأهداف مختلفة وهذه الأهداف ليست ثابتة دائماً وهي توزن عادة بميزان الربح والخسارة . ومع ذلك فان الرجوع الى ما كانت عليه الحالة في المدة السابقة للحرب يمكن أن يعطي فكرة صادقة عن مناطق كل من الدورتين . على أن مثل هذا التقسيم ليس معناه أن كل زارع يتبع نفس الدورة ولكن معناه أن الغالبية تتجه الى دورة معينة . وقد تبين أن الدورة الثلاثية تتناول (١) جميع المراكز التي تحدها الصحراوان الشرقية والغربية من مديريتي الشرقية والبحيرة ومديرية الفيوم والمراكز الواقعة شرقي النيل بالوجه القبلي (٢) مديريتي المنوفية والقليوبية وتمتد هذه المنطقة حتى نهاية مديرية بني سويف (٣) مديرية جرجا . أما منطقة الدورة الثنائية فتشمل (١) شمال الدلتا أي مديريات الغربية والفؤادية والدقهلية والمراكز المجاورة من مديريتي البحيرة والشرقية (٢) مديرية المنيا والمنطقة الصيفية بمديرية أسيوط وعند ما نستعرض الحالة في المنطقتين يلاحظ أن مساحة الأرز في الدورة الثنائية تبلغ نحو ٣٢ ٪ من جملة زمام مناطق الأرز في حين أنها تبلغ ١٧ ٪ فقط في المنطقة الثلاثية بعد استبعاد بركتي رشيد وفارسكور وهذا الوضع يستدعي التفكير مستقبلاً لتحديد المناطق التي تحتاج الى التوسع في زراعة الأرز إذا سمحت حالة المياه بذلك . كذلك لوحظ أن الزيادة التي طرأت على القطن في السنتين الاخيرتين قد ضيقت من مساحة البرسيم في كثير من المناطق بحيث لم تعد كافية لتربية الماشية التي زاد عددها زيادة كبيرة خلال العشر سنوات الأخيرة . وقد أدى نقص البرسيم في كثير من المناطق الى التوسع في زراعة البرسيم التحريش مما سيؤدي إلى تأخير الزراعات التالية وليس ذلك في مصلحة الانتاج وقد أصبحت الحالة تستدعي دراسة واسعة عن العلائق الصالحة في كل منطقة حتى يمكن رسم سياسة تتفق مع ظروف كل منطقة خصوصاً وقد تقدمت الفلاحة الميكانيكية وبلغت المساحة التي تستخدم فيها الآلات الميكانيكية نحو ثلاثة أرباع المليون فدان وثلاثة أرباع هذه المساحة في شمال الدلتا وهو وضع يدعو الى التساؤل عما ستؤول اليه حالة تربية الماشية في هذه المنطقة مستقبلاً .

والمنظور أن التوسع في استخدام القوى الميكانيكية في شمال الدلتا سيؤدي الى التقليل من الحاجة الى الأيدي العاملة التي تسبب في الوقت الحاضر عدم إجادة بعض العمليات الزراعية ولا سيما إذا أضفنا الى ذلك التوسع في استخدام الكيمياويات في مقاومة دودة القطن .

ومع أن توزيع الحيازات الكبيرة والصغيرة لا أثر له في تحديد الدورات إلا أنه يمكن القول بأن نسبة صغار الزراع في المديريات التي تتبع الدورة الثلاثية أكثر منها في باقي المديريات وقد كان المفهوم أن صغار الزراع يتعذر عليهم تطبيق الدورة الثلاثية في حين أن تلك البيانات تشير الى غير هذا الوضع .

وعند مقارنة الحالة الزراعية التي فرضت على الزراع بسن القوانين خلال سني الحرب نجد أن الأثر ليس كبيراً إلى الحد الذي بولغ فيه . ولو قورنت متوسطات المساحات لمختلف الحاصلات خلال المدة السابقة للحرب وأثناء الحرب (مع استبعاد سنة ١٩٤٣ لظروفها الخاصة) نجد أن مساحة القطن قد نقصت بنسبة ٤٧ ٪ في حين أن الزيادة في القمح والشعير بلغت ١٥ ٪ وفي الذرة الشامية ١٩ ٪ وفي كل من الأرز والبرسيم نحو ٤٥ ٪ وعلى ضوء هذه المقارنة يمكن تقدير الضرر الحقيقي الذي أصاب التربة . أما انخفاض متوسطات المحاصيل في مدة الحرب فلا يمكن أن يعزى الى القوانين الزراعية في حين أن متوسط الوارد من الأسمدة في المدة بين سنة ١٩٤١ وسنة ١٩٤٥ قد بلغ ١٦٨ ألف طن سنويًا مقابل ٥٥٢ ألف طن سنويًا في سني قبل الحرب — وقد بلغت تكاليف الانتاج في هذه المدة ثلاثة أمثال ما كانت عليه قبل الحرب كما وأن صافي الربح قد بلغ هذا القدر وزيادة مع تفاوت في المناطق .

ثم ان اختلاف البيانات في مختلف جهات المملكة مما ينبهنا الى وجوب تقسيم القطر إلى مناطق صغيرة نقوم بدراسة كل منها على حدة كيما نصل الى وضع سياسة معينة للانتاج في كل منطقة . أما أخذ الستة ملايين فدان كوحدة أو تقسيمها بين الوجهين البحري والقبلي فلن يصل بنا الى أكثر مما وصلنا إليه . ولقد تطورت الزراعة في نواحٍ كثيرة وتطورت الحياة ذاتها خلال سني الحرب وبعدها وزادت كميات الاستهلاك من الحاجيات الضرورية بنسب بالغة وهو ما يدعو في تفصيله الى وضع البرامج اللازمة لنا إذا قدّر لهذا العالم أن يخوض غمار حرب جديدة .

✡✡



مكتبة المقتطف

١ - طويل العمر

الملك عبد العزيز آل سعود بمناسبة يوبيله الذهبي

بقلم محي الدين رضا — صفحاته ١٣٠٢ صفحة من قطع المقتطف
طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر

قلما يوفق كاتب ومؤرخ لسرد سيرة ملك أو عظيم في عصره لعوامل شتى أهمها مظنة التحيز له أو عليه وانما يكتب التاريخ الحقيقي للعظماء وغيرهم بعد عصورهم بعدد

ولقد نهج الاستاذ محي الدين رضا مؤلف هذا الكتاب نهجاً حكيماً فقدم لقارىء كتابه العامة يسيرة عن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وكيفية نشأته وكيف تسنى له فتح الرياض عاصمة ملك آبائه بعدما انتزع ملكهم كله من أيديهم ثم كيف فتح سائر بلاد مملكته الواسعة وزاد على ما كان لآل سعود من ملك .

ثم حلل طائفة من سيرة الملك السعودي التي جعلته محبباً عند شعبه وعند عارفيه جميعاً ولقد تسنى للمؤلف ذلك كله لتعدد رحلاته الى الحجاز وتشرفه بمقابلة جلالة الملك مرات كثيرة واختلاطه باشباله واحفاده ورجال حكومته .

ثم ألحق بذلك طائفة مما كتبه ونظمه وخطبه عظماء العالم ورجال المملكة السعودية عن العاهل العربي العظيم بمناسبة مرور خمسين سنة على فتح الرياض عاصمة نجد وختم بحوثه بفصل عن الجيش السعودي . فيكون الكتاب قد جمع بين لذة التاريخ وسرد قصص البطولة على لسان جلالة الملك نفسه وبين تحليل الكاتب واختباراته الشخصية . وما تبارى الوزراء والعظماء بكتابته ونظمه والقائه في حفلات اليوبيل وكل ذلك يجعل للكتاب منزلة في عالم الأدب تستحق العناية وقد جعل ثمنه ١٥ قرشاً فنوجه اليه الانظار .

٢ — يا ليل الصب ومعارضاتها

جمع وترتيب محي الدين رضا — صفحاتها ٥٦ من القطع الصغير
طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر

أصدر الأستاذ محيي الدين رضا الطبعة الرابعة لمجموعته هذه التي احتوت على قصيدة ابي الحسن الحصري القيرواني التي مطلعها : —

يا ليلُ الصب متى غده   أقيام الساعة موعدهُ

وهي تقع في ٩٩ بيتاً من أجود الشعر وأرقه وأسهله ثم أتى على ما عثر عليه من معارضاتها القديمة والحديثة فنشر ٣١ معارضة عدد أبياتها مع القصيدة الاولى ٦٨١ بيتاً . ولقد تضمنت المعارضات معارضة أمير الشعراء احمد شوقي بك التي يغنيها الاستاذ محمد عبد الوهاب وصدّر المجموعة بكلمة لسعادة الشيخ المحترم خليل ثابت بك ثم كلمة لأديب لبنان الكبير جبران خليل جبران ثم ترجمة ابي الحسن الحصري ناظم القصيدة الاولى

ولقد حوت المجموعة أبدع ما نظم قديماً وحديثاً من الشعر السهل الذي يتغنى به ويحفظ عند تلاوته وثمن المجموعة خمسة قروش .

٣ — المائدة الحديثة

تأليف الآنسة نجيبة لرنغلي — صفحاته ٢٢٦ صفحة — طبع بمطبعة النيل بمصر

هذا كتاب دليل عملي لسيدة البيت لصنع مختلف ألوان الطعام والفطائر والمربيات ومرشد صحي لتغذية الأطفال والمرضى وغيرهم ممن يحتاجون الى ألوان خاصة من الغذاء . ففيه تعريف لقواعد التغذية السليمة من الناحية الصحية والاقتصادية والاجتماعية وفي تحضير الغذاء النافع في غير اسراف مما يضمن سعادة وهناء الاسرة ولا سيما المتوسطة أو الفقيرة الحال بحيث تتمكن ربة الأسرة ان تقدم الى أفراد أسرتها ما يناسبها من الطعام مع الاستفادة من كل منتجات البلد الأمر الذي يساعد على الاقتصاد القومي في الوقت نفسه .

والكتاب مقسم الى ٢٨ باباً — فهذه أبواب تشتمل على الطبخ الحديث وألوان الطعام. القومية وأصول الطبخ وقواعده وأجهزة الطبخ الحديث ومواد الطبخ من لحم وسمك وطير وحبوب وما شاكل ذلك ، وهذه أبواب أخرى تشتمل على وصفات لصنع الحساء (الشوربة) والصلصة والسلطات والخضر والأسماك وما يصنع من لحوم العجول والبقر والضأن والطيور والارانب وهذه أبواب خاصة بالفطائر الحديثة والحلويات الشرقية وأنواع المربيات والبسكويت والبوديج والمثلجات والمشروبات المختلفة وخصت المؤلفة الفاضلة الباب

الأخير من الكتاب في المائدة الحديثة والاستضافة على مائدة الافطار والغداء والعشاء وآداب المائدة . والمؤلفة الفاضلة معلمة بكلية الخرطوم رأت بثاقب فكرها أن تخص القسم الأكبر من كتابها « المائدة الحديثة » بكل ما يهم الفتاة المصرية وأختها السودانية خاصة معرفته بعد تركها المدرسة من تربية الأطفال وتدبير المنزل لأن المدرسة كما تقول حضرتها : «ليست كل شيء في التعليم بل هي الطريق الذي منه تصل الفتاة إلى توسيع مداركها وتنمية مواهبها وانضاج تفكيرها وتنويع معارفها فتصبح بعد تركها المدرسة قادرة على درس نواحي الحياة المتعددة ولا سيما ما يتعلق بتعليم المرأة والتربية المنزلية وغير ذلك من الأمور التي تكون في دائرة اختصاصها وعليها أن تعالجها وتبحث فيها بشكل عام يفيد المجتمع الذي من واجبها أن تعمل على رقيه واسعاده » والكتاب من أوله الى آخره غرضه النفع العملي فهو مكتوب بلغة مفهومة ومطبوع طبعاً جيداً في مطبعة النيل بمصر.

فنحن نشكر للآنسة نجيبة قرنفلي عنايتها بوضع هذا الكتاب الذي سدّ فراغاً كبيراً في المكتبة العربية بما يحتوي عليه من فوائد جمة . ويجدر أن يكون في متناول كل سيدة شرقية وخاصة السيدة السودانية. ونرجو للمؤلفة الفاضلة اطراد التوفيق والنجاح في خدمة بنات جنسها والرواج لكتابها النفيس .

اسبيرو جبري

هذا المجتمع الظالم

تأليف محمود طاهر العربي — صفحاته ٢٢٨ صفحة — طبع بمطبعة دار المستقبل بمصر

الأستاذ محمود طاهر العربي ناثر وشاعر ، ووطني غيور ، تفتقت شاعريته قبل أن يبدو نثره ، في سن الصبا الغض ، عن حب طاغ لمصر المغلوبة على أمرها ، فجاشت عواطفه بالقصائد الحماسية ، وفاض نثره بالمقالات الوطنية ، تعبر عما بين جوانحه من ألم مرير ، فازورّ عن الدرس والتحصيل ، وتفرّغ للسياسة ، وهو لم يستتم بعد الخامسة عشر من عمره ، وانضمّ الى الحزب الوطني الذي كان وقتئذٍ الحزب الوحيد المؤلف في وادي النيل لمقاومة الاحتلال البريطاني ، فجرفه تيار الوطنية وهو لا يعي ، وتلقفه ذوو المطامع الذين يتخذون الشباب آلة لنيل أربهم ، مضحين بهم في سبيل أغراضهم ورغباتهم ، فلعبوا بعقله الصغير ، مبينين له أن الوطنية الحقة تقضي بقتل هذا ، وسفك دم ذاك ، ممن يتولون الحكم ، فصدق ما أدخلوه في روعه ، وانتضى السلاح الذي قدموه له ، وذهب للفتك بمحمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار في ذلك العهد ، وباللورد كتشنر المندوب السامي البريطاني في مصر ، لكن الظروف ما كّنته ، ولم تؤاته على رغبته ، كما أن وعيه رجع إليه ، واستردّ

رشده ، فعاد الى الذين حرّضوه وردّ إليهم سلاحهم ، مؤكداً لهم أن القتل يضر بالوطن ولا يفيده . وكان أحد زملائه المتآمرين معه عيناً لجورج بك فلبيدس مأمور ضبط القاهرة ، ينقل إليه يومياً حركات رفاقه وتصرفاتهم ، وفلبيدس ينقلها بدوره إلى رؤسائه وذوي النهي والأمر في البلاد ، فعزّ على هذا الأخير أن يفلت المتآمرون من يده بعدما عدلوا جميعاً عما كانوا معتزمين عليه ، فدبر للاستاذ محمود طاهر العربي ولزميليه إمام واكد ومحمد عبد السلام مكيدة ، واستطاع بشهادة الزور إحالتهم إلى محكمة الجنايات التي قضت على كلٍّ منهم بالسجن خمس عشرة سنة .

وقد وضع الأستاذ محمود طاهر العربي كتاباً قيماً أسماه « هذا المجتمع الظالم » سرد فيه تاريخ حياته ، وبين تفاصيل المؤامرة الوطنية ، وكيفية استغلال ذوي الأغراض الذاتية وطنية الشبان الذين لم تمركهم الحياة ، ولم يتمرسوا بحيل هذه الدنيا وأحابيلها ، فخدعهم زخرف القول ، وأخذوا بما نُفث في عقولهم ، من سموم الحض والتحريض ، حتى إذا أذعنوا لوساوس المفسدين . وجنوا على أنفسهم بما اقترفت أيديهم ، تنصل منهم محرضوهم ، وتركوهم يتجرعون غصص الآلام والعذابات .

ويجمع هذا الكتاب بين الرواية الشيّقة ، والتاريخ الواقعي الذي لا تشوبه شائبة من الزيغ ، وهو سهل العبارة متينها ، يصف حالة السجون في مصر منذ ربع قرن ، وما كان المسجونون يقاسونه فيها من العسف والجور ، لاسيما إذا كان الحكام يريدون الانتقام ، فإن المهيمنين على السجون لا يتورعون عن ارتكاب الموبقات ، واتيان أفظع المنكرات ارضاءً لرؤسائهم ، دون أن يكون لهم من ضمائرهم وازع ولا رادع ، كما انه يبين العدل الالهي الذي إن أمهل لا يهمل فقد اقتصّ من جورج فلبيدس لتلفيقه التهمة لهؤلاء الشبان الثلاثة ، ولشهادته زوراً عليهم بأن سمح بمن لفق له تهمة نكراء وشهد عليه زوراً ، فحكم عليه بالسجن خمس سنوات ، وانضمّ الى محمود طاهر العربي في سجن قره ميدان ، حيث أسيئت معاملته بشكل غير محتمل ، لكن محمد طاهر العربي الذي لا يحمل قلبه ضغناً ، أخذ يؤاسيه ويساعده بكل ما في وسعه ليخفف عنه ألم السجن ومرارته .

وكتاب الاستاذ طاهر العربي نبراس هدى للشبان الذين تخدعهم السياسة ، ويغرم المهتمون بها ، ليتخذوهم درعاً ووسيلة لأغراضهم الذاتية ، ومنافعهم الشخصية ، لأنه يبين لهم بوضوح وجلاء ان السياسة والشباب لا يجتمعان ، فليترك الشبان السياسة لأربابها ، ويقصروا همهم على الدرس والتحصيل واذكاء جذوة الوطنية في قلوبهم وأفئدتهم ، دون أن يخوضوا غمار السياسة

جورج نيقولاوس

وحي الفؤاد

صفحاته ٣٧٦ صفحة — نظم الاستاذ فؤاد شاكر — طبع بالمطبعة العالمية بمصر

مما لا ريب فيه أن الأستاذ فؤاد شاكر يقول الشعر منذ ثلث قرن ، عاصر شوقي في عنفوانه ، وشافه حافظ إبراهيم في ندواته وحج الى الدار القاياتية وطارح عاهلها الشعر واتصل بأدباء مصر والشرق وأصبح من البارزين في مصر والحجاز وأتيح له ما لم يتح لغيره من كبار الشعراء في التقرب من عاهل الجزيرة حتى أصبح اللسان الناطق للملك الكريم وأولاده البررة في كل مناسبة غير أن ديوانه « وحي الفؤاد » ليس وحياً بالمعنى الذي يقصد من هذه الكلمة الجميلة وإنما هو وحي من نوع آخر دفع إليه الشاعر دفعاً في كل مناسبة من المناسبات التي كان مسرحها الجزيرة العربية . ولا عجب فالشاعر موهوب في هذه المسابقات التي تستدعي شاعراً يرقص على جداولها ، ويتغنى بآثارها وما تخلعه من خير وبر على أولئك الذين لهم جنان في هذه التيارات العاصفة التي يتصدى لها هؤلاء الشعراء الذين اشتروا هذه المواقف بالأكف الملتهبة ، والاستحسان المقيت الذي لا يصدر عن جمال في الصياغة أو دقة في التعبير أو جذالة في اللفظ ، وإنما يصدر عن ابتياع لهذه الضمائر ، وزلفى لأولئك الذين لهم هذا الباع في احتلال هذه المواقف الموقوفة.

فالأستاذ فؤاد شاكر نفسه يشيد في مقدمة ديوانه بهذه الأكف الملتهبة ، ويحيي تلك النفوس الوالهة التي أخذت بنشوة الاعجاب ، الذي أوحى للشاعر بهذه المجموعة الشعرية الضخمة التي أعتقد أنها ستكون أثراً خالداً لشاعر الجزيرة العربية .

ولكن ليغفر لي شاعر المملكة العربية السعودية المآخذ التي وجدتها وأنا أطالع ديوانه في نهم وأقرأ شعره في شوق. فقد حدثني أديب كبير بأن شاعر المملكة يثلج صدره ويبهج نفسه إن وضع واحد من قرّاء العربية يده على مأخذ من المآخذ أو دله على هفوة من الهفوات التي لا يخلو منها شاعر أو يسلم منها أديب ...

فمن الأعاجيب في هذه المجموعة أنها لم ترتب ذلك الترتيب المعهود في دواوين الشعر أو كتب الأدب ، فالقصائد موضوعة بدون ترتيب في التاريخ. فالقصيدة التي قيلت في سنة ١٩٥٠ قبل التي قيلت في سنة ١٩٢٩ ، والقصيدة التي ألهمها شاعر المملكة في تحية العيد الذهبي لحضرة صاحب الجلالة عاهل الجزيرة هي الأولى في الترتيب المنطقي لدى الشاعر مع أنه قالها في يوليو من السنة الماضية . والقصيدة التي نظمها في سنة ١٩٣١ بمناسبة انتصار جيوش جلالة الملك في بعض المعارك الحربية في منتصف « الديوان » والقصيدة التي نظمت في رثاء الزعيم عمر المختار للحفلة التي كان المرحوم حمد الباسل باشا قد دعا لاقامتها

تأبيناً للزعيم بعد القصيدة التي انشدت في الحفلة الكبرى التي اقيمت بالجامعة المصرية لتأبين المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق. وأعجب ما في هذا الديوان الشعر المرتجل ففي كل مناسبة يرتجل الاستاذ فؤاد شاكر الأبيات ولا يكون هذا الارتجال إلاّ على موائد الطعام حتى ليكاد المطالع لهذه المجموعة الشعرية يجزم بأن شيطان شاعر الحجاز لا يحضر إلاّ على الموائد الحافلة بألوان الطعام. ففي مأدبة الأستاذ محمد رضا بالمادي حضر شيطانه من الحجاز فنماق شعراً . وفي مأدبة صاحب السموّ الملكي الأمير منصور في موسم الحج للمرحوم صبري ابو علم باشا ارتجل الشاعر بيتين كانا خاليين حتى من اللفظ الذي راح ضحية امتلاء بطن الشاعر من المائدة الحفيلة ..

موسم الحج ، كيف بالحج مرّا دون ان تجتلي بيانك سحرا !!
لم يغرّد على مجاليه « صبري » ببيان فكيف يسطيع صبرا ؟!

ومن المعروف ان صبري باشا لم يقل الشعر مرة في حياته فكيف يطالبه الاستاذ فؤاد بالتغريد في موسم الحج ببيان ، الشاعر أحوج ما يكون اليه ، لأنه ادعى أن صبري باشا تعوّد التغريد ، مع أن مهمة الباشا كانت تمثيلاً لمصر في موسم الحج آنذاك . .

وفي الديوان مناجاة أُخذت من « أبي نواس » بمعانيها الشم ، وجرسها البديع لم يعمل فيها الشاعر غير وضع الأبيات في اطار كأنما أراد ان يكرم « النواسي » تكريماً لا يليق بشاعر المملكة العربية في مناجاته:

الله ربي وحسبي بأنه الله ربي
ذنبي عظيم ولكن عفوه ، فوق ذنبي

غير أن للشاعر سبحات في ميدان القريض لا يستطيع ناقد ان يغفلها ان هو عرض للاستاذ فؤاد بالنقد والتشريح ، فله قصائد عامرة بالمعاني حافلة بالسموّ فمثلاً قصيدته في الرحلة الملكية السياسية التاريخية التي قابل فيها جلالة الملك عبد العزيز جلالة الفاروق والرئيس روزفلت والمستر تشرشل نجد الشاعر يغوص في المعاني ويجذب اليه اللفظ ويختار القافية حتى أن القارىء لهذه القصيدة وغيرها من القصائد المجوّدة، يلمس شاعر المملكة السعودية غيره في مناسبات أخرى، افتعل فيها الشعر افتعالاً ونظمه نظماً ، يحمل المطالع له والناقد لمعانيه على التفرقة بين « الفؤادين » . . .

أنظر الى الشعب إذ يدنو ويقترب كأنما هو موج البحر يصطخب

وقصيدته التي قالها بمناسبة بعض الحوادث الحربية والمحن السياسية في الحجاز وقد القاها الشاعر بين يدي عاهل الجزيرة في مأدبة جلالته لتكريم حجاج بيت الله الحرام .

أغمد السيف وانتحيه القرابا   أنت بالعدل قد ملكت الرقابا

وقصيدته في تأبين المغفور له الاستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق ومطلعها:

بكرت تذرف الدموع السواجم   أمم الشرق ، عربها والأعاجم

وإن تعجب فاعجب بعد هذه الأبيات الفذة في شعره التي اخترتها لهذه المخالفات التي يخالف فيها الشاعر العرف والتقليد والبيان فهو يقول في تأبين أمير الشعراء أحمد شوقي بك

شيخ البيان وشيخ من   نشد الهداية والصواب

ويقول في تحية صديقه « شيخ شعراء مصر وأديبها الأكبر السيد حسن القاياتي » !! وكان ذلك في سنة ١٩٢٩ — أي قبل أن ينتقل أمير الشعراء وشاعر النيل إلى الدار الآخرة :

ملك البيان وسيد الأدب   يهنيك أنك أفصح العرب

عرش البيان وأنت سيده   بك جرّ ذيل التائه الطرب

فأي مخالفة بعد هذه المخالفة التي لا يقرها واحد من قراء العربية على اختلاف ثقافاتهم وتعدد اتجاهاتهم ، شوقي شيخ البيان . والقاياتي ملكه وسيده !! وحافظ لا يعلم إلا الله مكانته في دنيا الأدب وعالم اللغة ..

وثالثة الأثافي في هذا الديوان انه ضمّ بين دفتيه طائفة من الغزل الرخيص والغناء الفج . فالشاعر في تحيته « لمجندة » كوصفه لغناء « نادرة » غير عفيف في اللهجة الشعرية والاتجاه اللفظي الذي كان يجب أن يكون الديوان خلواً منه لا سيما وهو يحوي شخصيات كريمة ورجالا تفخر الدنيا بهم فمن ذا الذي يقر أن يكون في « وحي الفؤاد »

وضابطة همت بفتكٍ وقسوةٍ   وما شهرت غير الجفون سلاحا

« مجندة » قد أوسعتنا بقدها   طعاناً وتقتيلاً به وجراحا

« ونادرة » غنت فكانت كغنها   جمالاً ، وكانت كاسمها الحلو « نادرة »

وبعد — فهذه صورة لا أكون مغالياً إذا قلت إنها صحيحة عن « وحي الفؤاد » مع التجاوز فيها عن الاخطاء الاملائية والعروضية التي طفح بها الديوان وهي ستغضب شاعر المملكة السعودية ان كان من الذين يحبون المديح في غير موضعه ، وان كان من الذين يحيون للادب ويعيشون للغة فسينشرح صدره لهذه العجالة التي ما أردت بها الا لفت نظر الشاعر ، علهُ يسترشد بها — ان أراد — في طبعاته المقبلة « فالديوان » جدير بالملاحظة ، قمين بالعناية ان هو روجع بدقة وعولج علاجاً باشراف صاحبه القادر على غربلة تراثه . والنقد يا سيدي الشاعر لا يعرف رجلاً بعينه ، ولا شخصاً بذاته وانما هو كمبضع الجراح يعمل في مواطن الداء ويصف الدواء والله وحده يتولى الجزاء .

ابو طالب زيان



دم الحوامل يشفي الروماتيزم

أربع جرعات تكفي المريض سنة كاملة

دم الحوامل من المواد الطبية الآن وفيه سر شفاء امراض الروماتيزم والتهاب المفاصل فقد لاحظ الأطباء من عهد بعيد أن النساء المصابات بهذا المرض لا يشعرن بآلامه في فترة الحمل وانهن يحتفظن بحالة شفاء مؤقتة منه لمدة شهرين . وحاول بعض الباحثين العثور على العقار الشافي من هذا المرض فوفقوا أخيراً الى اكتشاف هرموني الكورتيزون وغيره مما فوق الكلي ولكن الحوامل احتفظن بسرهن إلى أن تمكن أخيراً الدكتور لويس جرانير من مستشفى الملكة بنيويورك الى معرفة وسيلة يمكن بها استخدام هذا الدم في العلاج .

كان بحثه يدور على أن العامل الشافي من المرض يستمر في دم الحوامل لمدة شهرين بعد الولادة . وفي الأسابيع الأخيرة قدم الى الجمعية الطبية بحثاً أثبت فيه صحة نظريته ومضمونه أن المرأة السليمة الجسم تستطيع تقديم بعض دمها بعد الولادة . وعلى هذا الأساس جمع الدكتور جرانير نحو ٧ أوقيات من دم السيدات ومن هذه الكمية أعطى ملازمي الفراش من المصابين بالتهاب المفاصل جرعات وبعد أسابيع قليلة بدأ المرضى يستعيدون صحتهم وتزول أعراض مرضهم

تضاعف وزنها

ومن الحالات التي عالجها بهذه الطريقة حالة سيدة استولى عليها الضعف والهزال حتى هبط وزنها الى ٩٧ رطلاً أي نحو ٤٣ كيلو جراماً فكان زوجها يحملها كطفل صغير وهي لا تقوى على الحركة . فما عولجت بدم الحوامل زايلها الألم وزاد وزنها حتى بلغ ١٧٠ رطلاً أي نحو ٧٥ كيلو جراماً

وجرب الدكتور جرانير علاجه بدم الحوامل في ٢٤ حالة من التهابات المفاصل على مدى سنتين عرف فيها أن الجرعة المناسبة للعلاج هي نحو ٢٠٠ سنتيمتراً وانه لا داعي لكثرة حقن المرضى بالدم لأن العامل المزيل للألم فيه يستمر نحو شهر أو شهرين . وفي كثير من الحالات يكفي اعطاء ثلاث جرعات أو أربعة للمريض في السنة .

وقال في تقريره للجمعية أن العلاج بنقل دم الحوامل الى مرضى التهاب المفاصل يبدو أفضل من العلاج بالهرموني المعروف

الآن فانه لا يحدث رد فعل ضار كما يحدث في بعض الحالات ، وصعوبته الوحيدة هي العمل على توفير دم الحوامل في مصارف خاصة تتيح للطبيب الحصول عليه ومعالجة مرضاه به .

ويحاول بعض الكيميائيين أن يحللوا دم الحوامل لاستخلاص العامل الشافي من التهاب المفاصل لعل تحضيره يكون أسهل من تحضير الهرمونات التي عثر عليها أخيراً . على أن الدكتور جرانير يرى أن علاج الطبيعة هو أفضل وسيلة لعلاج المرض .

الباربانيت دواء للعضلات

قد تبدو لنا العضلات ساكنة لا تتحرك ولكنها في سكونها الظاهر تبذل جهداً خاصاً لتحفظ مفاصل الجسم في مواضعها، فيتخذ الانسان قوامه واتزانه وهذا الجهد المبذول يولد حرارة مستمرة وإذا أصيبت العضلات بارتخاء أو شلل قلّ تولد الحرارة فيها ، وحينئذٍ لا ترتفع درجة حرارة المريض إلاّ قليلاً إذا أصيب بأي نوع من الحمى . ومن المفزع أن يصاب المرء بحمى بدون حرارة .

وقد ظهر دواء جديد باسم « باربانيت » لعلاج الاضطرابات في مرونة العضلات ، وهذه المرونة تقارن بمرونة حلقة من المطاط ويستعمل الدواء الجديد في تصلب العضلات والشلل التشنجي والرعشات كما في مرض الشلل الهزاز (مرض باركنسون) .

أثر الغذاء في داء المفاصل

نشرت مجلة طبية انجليزية مقالاً عن النقرس (داء المفاصل) جاء فيه : « أنه يمكن خضد شوكة هذا الداء إذا عرف المصاب به أية الأغذية تلائمه وأيتها تؤذيه واتبع في ضوء هذه المعرفة نظاماً غذائياً محدد المعالم وهذا النظام الذي نعنيه بسيط غاية البساطة . فأساسه التوسع في الأغذية الكربوهيدراتية (الخبز والسكر والنشويات) والاقلال من المواد الدهنية ، وبعبارة أوضح الحد من تناول أنواع معينة من اللحوم وبعض ألوان الأطعمة كثيرة الدسم . والغرض من ذلك اجتناب عناصر كيميائية تعرف باسم (البيورين) Purines التي هي ينبوع الحامض البولي والسبب الأكبر ان لم يكن السبب المباشر لهذا الداء الوبيل » .

الملح في تصلب الشرايين

يعتقد الأطباء الهولنديون أن تناول الملح بكثرة يصاحبه زيادة تصلب الشرايين، وزيادة الارتفاع في ضغط الدم ، وقد يزيد في أحوال التسمم المصاحبة للحمل . وفي أثناء الحرب العالمية الثانية كان الخبز يوزع بالبطاقة في هولندا وهذا الخبز يمتاز بكثرة ملحه في هولندا ، وقد لوحظ أن تخفيض مقادير الخبز بالبطاقات أدّى الى انخفاض حوادث التسمم والأجنّة الميتة (سقوط الجنين ميتاً) . ومن المحتمل أن إنقاص سائر ألوان الطعام كان له أثر في كل ذلك .

علاج جديد لفقر الدم

ذكرت صحيفة المستشفى لجامعة متشيجان ان كافة الاستعدادات قد اتخذت لتحضير خلاصة مركزة ـ وكانت الحلم الذي يصبو اليه كافة الاطباء ـ تعمل على بناء خلايا الدم الحمراء.

وهذه الخلاصة المركزة المأخوذة من امعاء الخنزير ثبت انها تحوي كميات حيوية كبيرة من فيتامين ب — ١٢ وهو الفيتامين الذي تبين أخيراً انه دواء فعّال ضد فقر الدم الشنيع ويكفي منه قدر بسيط يؤخذ على صورة حقنة ليقضي على فقر الدم الشنيع الذي كان فيما سبق يعالج بطريق أدوية تعطى من الفم

وتدل البحوث التي قام بها معهد مكبسون التذكاري للبحوث الطبية في جامعة متشيجان والتي يقوم بها الدكتور فرانك بتهل ومعاونوه، وهم الدكتور ماريان اسوندسيد، والدكتور موريل مايرز والدكتور زوزالي نيللي، والدكتور هارلو ريشارد على انه في الامكان التغلب على مرض فقر الدم. فقد أمكن في السنة الماضية فصل الفيتامين ب — ١٢ من الكبد. وكان ذلك في معامل ميرك وشركاه في راهواي بولاية نيوجرسى (وكانت هذه المعامل أصلاً في المانيا). وثبت ان هذا الفيتامين له مفعول خلاصة الكبد في علاج الانيميا الخبيثة.

وقد وجد أن كميات فيتامين ب — ١٢ التي في الكبد قليلة قلة مدهشة. ففي كل طن واحد من الكبد لا يوجد سوى ٢٠ مليون جرام من هذا الفيتامين. ومع ذلك فقد وجد ان هذه الكمية القليلة كانت كافية لعلاج ٢٠٠٠٠ مريض ليوم واحد. أو لعلاج شخص واحد لمدة ٤٥ سنة. والحقنة الواحدة لا تزيد على واحد من مليون من الجرام الواحد. وهي تكفي لمريض ليوم واحد.

والمعروف ان خلاصة الكبد اذا ما أعطيت لمريض في صور حقن فان مفعولها يكون أقوى بمقدار ٣٠ الى ٦٠ ضعف نفس خلاصة الكبد اذا ما أعطيت لمريض عن طريق الفم. ومع ذلك فان الجسم يأبى أن يستفيد منه في حالات كثيرة لبناء كرات الدم الحمر

الحديد في الدم

يحتاج الدم الى نسبة من الحديد، فاذا زاد على هذه النسبة عاد ضاراً كأي مادة سامة، بل اتضح ان نقل مقادير كبيرة من الدم يرهق الجهاز الدموي ويضر الكبد بزيادة نسبة الحديد

حمض الفوليك لفقر الدم

ثبت ان حمض الفوليك علاج فعّال لفقر الدم، وهو يشبه المادة الكبدية التي تنشط تكوين كريات الدم الحمر وقد أعطى الدواء الجديد المصابين بفقر الدم الشديد، فزادت خلايا الدم الاحمر خلال ثلاثة أيام وزاد بالتدرج مقدار المادة الملونة.

اعادة الحياة للموتى

بتغذية المخ بالدم

تمكن الطب من اعادة الحياة الى شخصين ثبت طبيًّا انهما توفيا وكانت طريقة اعادة الحياة اليهما بوساطة عملية نقل دم أوصلته الى مخهما. وقد أذاع هذا النبأ الدكتور الاستاذ ماريو ديجليوني مدير قسم الجراحة بجامعة تورين في اجتماع لنادي الروتاري بتورين

وقال في تفسير هذه العملية انه وزملاءه نجحوا في استنباط طريقة لحقن الدم في احد عروق الرقبة الذي يوصله الى المخ. وأشار الى توفيق الطب في اعادة الحياة في بعض حالات الموت عند ما تتوقف ضربات القلب ولكن الدورة الدموية لا تكون قد توقفت تماماً. وذكر الدكتور ديجليوني حالتين توفي اصحابهما وتوقفت دورتهما الدموية ومع ذلك نجحت طريقته في اعادتهما الى الحياة ومنهما حالة امرأة كان يجري لها عملية لازالة احد الاورام ولكنها توفيت واخفقت جميع الوسائل في اعادتها الى الحياة وعندئذٍ لجأ الى نقل الدم إليها فدبت فيها الحياة مرة ثانية بعد ثوانٍ قليلة .

دراسة الخلية الحية

من أعقد مسائل علم الحياة التقاط صورة للخلية الحية وهي في حالة صحية جيدة فأكثر أنسجة الخلايا سواء أكانت حيوانية أم نباتية تظهر شفافة في الضوء العادي وليتيسر للانسان رؤيا أجزائها فانه يصبغها ولكن مواد الصباغة تقتل الخلية أو تصيبها بالمرض. وقد تمكن الخبراء من رؤية هذه الانسجة إذ لجأوا الى استخدام الأشعة فوق البنفسجية وعند ما أريد استخدام هذه الأشعة في تصوير الخلايا ظهر أنها تؤثر فيها وتقتلها .

وأخيراً تمكن الدكتور روبرت بارر من جامعة اكسفورد من تذليل هذه العقبة إذ استخدم أشعة بنفسجية فريدة الموجة وضعيفة إلى درجة أنها لا تؤذي أنسجة الخلية ولكنها تتيح له التقاط الصور العزيزة للخليـة . ويعتقد الدكتور بارر أن جهازه سيتيح له كشف كثير من أسرار كيمياء الخلية ومنها نعرف معلومات أكثر عن الحياة سواء في الانسان أو في النبات

الطاقة الذرية لانتاج الكهرباء

أصدرت لجنة كولز التابعة لجامعة شيكاغو كتاباً جديداً عن الاتجاهات الاقتصادية للطاقة الذرية فقالت فيه ان المهندسين سيتمكنون خلال الجيلين القادمين مَن تحويل الطاقة الذرية الى تيار كهربائي رخيص النفقات وإنه سيكون شديد التأثير في الاقتصاد الأميركي فيؤدي الى إنعاش صناعة الألومينيوم الذي يحتاج الى موارد كهرباء ضخمة حتمت انتاجه في

ية الحالية قرب مساقط مياه ضخمة
تعمل في توليد الكهرباء اللازمة له
ولا ينتظر أن تتأثر صناعة الزجاج
أ ملموساً باستغلال الطاقة الذرية في
صناعة إلا في المناطق التي تعز فيها مواد
وقود وتباع بأسعار مرتفعة

أما صناعة الحديد والصلب فستظفر
بانتعاش فائق وتتحرر من القيود التي تربطها
بالفحم فباستخدام الايدروجين والطاقة
الذرية يمكن استغناء صناعة الحديد عن
الكوك الضروري لتنقية خامات الحديد
وبهذا التعديل فإن صناعات الحديد ستقوم
بجوار مناجم الفحم كما هي الحال الآن .

ويرى أعضاء لجنة كونز ان استخدام
الطاقة الذرية في محركات السيارات أو
القاطرات أمر بعيد التحقيق في الوقت
الحالي . ومن الجائز أن يتجاوز الناس عن
استخدام المحركات المنفصلة ويلجأوا الى
السيارات العامة للافادة من تيار الكهرباء
الرخيص الذي سوف يصبح منافساً خطراً
للفحم وغيره من مواد الوقود

ويرى أعضاء هذه اللجنة أن استخدام
الطاقة الذرية سيؤدي الى انقلاب اقتصادي
في العالم كله ، فإن بعض البلاد التي تعذر
عليها الافادة من خاماتها كالهند والبرازيل
بسبب حاجتها إلى مواد وقود ستصبح
أكثر إنتاجاً من سواها بفضل ما تملكه
من مناجم المواد المشعة . فالهند والبرازيل
تستوردان الفحم بأسعار مرتفعة لتغذية
صناعاتها ، ولكن استخدام الطاقة الذرية
سيوفر عليها استيراد هذه المواد

الكورتيزون لعلاج الروماتزم

لم يكن للطب وسيلة لعلاج الروماتزم
غير الساليسلات – مشروباً أو اقراصاً
يبلعها المريض ، وحقن اليود مع الكبريت
أو التعرض للأمواج القصيرة الكهربائية
ولكن كل هذه الوسائل لم تكن تنجح
في كثير من الأحوال — وقد قاسى كاتب
هذه السطور الأمرين من اصابته بالتهاب
المفاصل ، ولا يزال يتألم مر الآلام .

ويبدو أننا وفقنا الى علاج جديد
للأحوال المستعصية ، فقد أعلن الدكتور
ريتشارد فرايبورج من كلية الطب بجامعة
كورنل انه أصبح من الميسور صنع هرمون
الكورتيزون على هيئة حبوب أو برشام
يتناوله المريض من طريق الفم فيؤثر عليه كما
لو كان مأخوذاً في حقنة لأنه أفعل لداء
التهاب المفاصل وفي تقليل سرعة ضربات
القلب ، كما يزيل الحمى وما يصاحبها من
آلام المفاصل . وقد لوحظ انه يقلل سرعة
الترسيب التي تقاس بها شدة المرض ، كما انه
يزيل التغيرات الشاذة التي تصورها راسمات
القلب الكهربائية. على ان الاطباء لم ينسوا في
هذا السبيل ان يحذروا المرضى والاطباء
ايضاً اساءة استخدام الهرمون والافراط
في تعاطيه لانه قد يؤدي الى مضاعفات ضارة.

ماديدا

المخ الاليكتروني

تمكنت معامل شركة نورثروب في كاليفورنيا من اختراع آلة اليكترونية عجيبة ، أطلقت عليها اسم « ماديدا ». ومن مزاياها أن في وسعها ان تقوم بأصعب العمليات الحسابية والرياضية كما ان في وسعها ان توجه طائرة صاروخية الى القمر، وان تدير مصنعاً في ناحية معينة من نواحي الانتاج . ولا يزيد حجم هذه الآلة العجيبة على حجم منضدة الكتب العادية

تغيير القلب المريض

نشرت جريدة كوزمو لسكايا برافدا أن البروفسور فلاديمير ديميكوف تمكن من تركيب قلب في جوف فأر ثم نزع القلب الاصلي لذلك الفأر بعد أن تأكد أن القلب الذي ركبه له قد بدأ يؤدي وظيفته

وقالت الجريدة المذكورة أن البروفسور فلاديمير ديمكوف صرح بأن نجاح هذه التجربة سيجعل في الامكان تركيب قلب للانسان بدلاً من قلبه الاصلي إذا أصابه وهن أو ضعف .

فوائد المشي

هل تريد أن تتقي الاضطرابات القلبية وتصلب الشرايين ؟ هل تريد أن تطرح عن كاهلك اعباء السمنة الزائدة وان نزع عن صدرك ما يؤودك من مشاعر الاعياء والخمول وأن تحس انك اصغر سنا ؟ عليك إذن باتباع نصائح البروفسور (كيورتن) استاذ التربية البدنية بجامعة ايلنوا الامريكية

١ — امش يومياً ميلين على الأقل مشياً رتيباً ايقاعياً نشطاً ، أو اسبح نصف ساعة لحركات المشي والسباحة تدفع الدم من العضلات الكبرى كعضلات القدمين أو الذراعين — الى القلب فتقوى عضلاته هو أيضاً

٢ — عليك ان تتأكد من انك تتغذى غذاء صحياً موفور الفيتامينات . ولا تفرط في الأكل . وراع القصد في تناول الدهون الحيوانية والمواد النشوية والسكرية . ولكن اكثر من اكل الفول الصويا والخضر الخضراء والصفراء

* * *

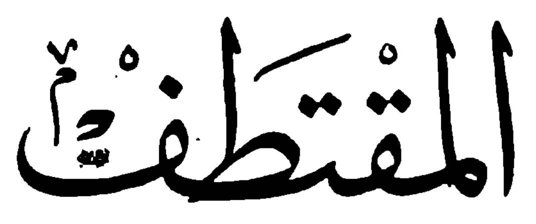
خطأ مطبعي

وقعت أخطاء مطبعية طفيفة سهلة الملاحظة في قصيدة « جزيرة الاحلام » أهمها في الشطرة الأولى من البيت السابع إذ جاءت كلمة نذرع بالزاي وصحتها بالذال .

الفهرست

للجزء الأول من المجلد الثامن عشر بعد المئة





الجزء الثالث من المجلد الثامن عشر بعد المئة

مارس سنة ١٩٥١ March 1951

محنة الأدب المعاصر

للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

يجمل بنا ونحن على عتبة النصف الثاني من القرن العشرين، أن نلقي نظرة عاجلة على تراثنا الأدبي في السنوات الأخيرة. فماذا نجد في هذا التراث؟ وأية مثالية له؟ وأية رسالة؟

حقاً إنه من الصعوبة بمكان الاجابة، إجابة موفقة مفصلة، وإنما يمكن القول اجمالاً بأن انتاجنا الأدبي الأخير دار معظمه حول الامتاع، وأهدف قليله إلى غرس الثقافة والالمعية، وندر منه ما عبّر عن آمال العصر وآلامه وأشواقه، ودفع إلى ركب التقدم ودنيا الحضارة. فهو في رأينا أدب متخلف عن عصره، مذبذب في هدفه، أشبه بالسفينة فقد قائدها، واعترك راكبوها في موج زاخر، ورياح عاصفة، وسماء عابسة كدراء.

فثمة طوفان من الانتاج المنحرف، يدغدغ الغرائز، ويخدر الأعصاب، وثمة فيض من أدب البهرجة والزينة، يسمّم المشاعر، ويشل الأذهان، وركام من الأدب القديم ينقل الى أبناء القرن العشرين في وشاحه العتيق، وأصداء من دنيا الأموات ترددها أبواق في عالم الأحياء، وزفرات يصعدها المنطوون في سماء مصر الصافية، وجوها الوضاء، وهمهمات من الغرب نهتف بها ببغاوات من الشرق، ووسط هذه جميعاً، قد نجد نفحات أدبية منعشة للمشاعر والعقول، وقد تقع على بذرات نقية تحاول أن تخرج من ظلمات التربة إلى أضواء الوجود.

ويمكن تقليب البصر في فروع الأدب المختلفة، من مقال أو شعر أو نقد أو ترجمة

للأشخاص ، أو قصة أو مسرحية،لنشهد هذه الظاهرات المشجية ، منعكسة على تراثنا الأدبي المعاصر .

فالمقال في أدبنا المعاصر ، مع استثناءات قليلة ، سطحي في فكرته ، تافه في مادته ، مضطرب في هدفه ، كأنما قد انعكست عليه بهلوانية الصحافة المتأمركة ، أو غني في لفظه فقير في معناه ، كنسيج العنكبوت البديع ، احتمل ذبابة ميتة .

والشعر يتراوح بين كلاسيكية حفرية ورومانتيكية مريضة ، لا إصالة إلا في النادر ولا طرافة ولا جرأة ، وهذا ملموس في الدواوين التي صدرت مؤخراً في عام ١٩٥٠ (باستثناء ديوان ليالي القاهرة) ، وفيما نشر في المجلات الأدبية من قصائد تحمل روح القدامى ، وصياغتهم ، ولا تمت لروح العصر بأي نسب.

وحال النقد ، مع قلته أكثر سوء ، إذ يضم الى غرور التعالم ، التحامل والهوائية إنه أحكام مطلقة ضالة مضللة للشباب المتأدب ، ومثل هذا النقد لا ينصف إلبتة انتاجاً أدبيًا ، ولا يدفع إلى خلق جديد .

وأغلب النتاج الروائي والقصصي ، مع كثرته ، ضحل مليء بالافتعال ، تدور تجاربه حول الحب الساذج ، والعاطفة المصطنعة ، والذات المنطوية ، والشهوة العارمة ، فضلاً عن وهن الأساليب ، وركاكة الصنعة ، ولسنا في حاجة إلى ذكر شواهد محددة على هذه الحقيقة، فرجعة إلى المجموعات القصصية الأخيرة ، وإلى قصص الصفحة الأخيرة من صحفنا اليومية ، تكشف عن هزال هذا الانتاج الوفير الفقير .

*

ومع هذا ، فقد شعت وسط هذا الركام الأدبي المظلم ، مصابيح تفهق بالضياء حملها بعض أدباء الشيوخ والشباب على السواء ، استهدى بأضوائها الجيل الحاضر ، واتخذها معلماً ، لرحلته الشاقة . ونذكر على سبيل المثال كتابات الدكتور طه في مثل كتبه « ذكرى أبي العلاء ، وحديث الأربعاء ، والفتنة الكبرى» وما جرت به براعة الدكتور هيكل في مجلة السياسة الأسبوعية وفي مثل كتابه « ثورة الأدب » .

وما دبجه الأستاذ أحمد أمين في « فجر الاسلام وضحاه » ، و « زعماء الاصلاح » وما نشره العقاد والمازني في بداية حياتهما الأدبية ، من مثل « الفصول » و « ابن الرومي » و « حصاد الهشيم » ، وابراهيم الكاتب وغيرها من التآليف ،وما أثاره الأستاذ اسماعيل مظهر من فكرات اجتماعية جريئة . وما نفثته ريشة الدكتور مندور في مثل كتابه « الميزان

الجديد » وما طعّم به الأدب الاستاذ محمد خلف الله من نظرات نقدية وسيكولوجية ، وما تغنى به الدكتور أبو شادي وناجي والصيرفي وصالح جودت ، وما أخرجه محمود الخفيف من ترجمة لبعض أعلام الحرية ، وما زرعه بعض كتاب الرواية والقصة القصيرة من ثمار طيبة ، ونذكر منهم محمود تيمور ونجيب محفوظ ومحمود البدوي وعادل كامل ، والحجاوي والسحار وغراب والشاروني وغيرهم . وما أخرجه توفيق الحكيم في فن المسرحية والرواية ، مما يعد فتحاً جديداً في هذين الفنين .

وقد كان لطائفة من البحوث الجامعية الأدبية الضليعة أثر مذكور في تكميل الثقافة المصرية ، والكشف عن تطورنا الفكري ، فضلاً عن أن الترجمة من الانجليزية والفرنسية والروسية كان حدثاً مهمّاً في تلوين هذه الثقافة لوناً جديداً ، وتوجيه الأفكار إلى ميادين أدبية رحيبة ، ونذكر من المترجمين المصريين الممتازين «السباعي وعباس حافظ والمنفلوطي ومحمد بدران وحافظ عوض والزيات والمازني وزكي نجيب محمود»وغيرهم كثيرون أغنوا الأدب المصري بترجمات موفقة ، في الأدب الخالص ، وفي فن القصة.

والملحوظ أن كثيراً من هذا الانتاج وشبهه أخرج منذ ربع قرن مضى ، وقليله في السنوات الأخيرة ، وان طائفة من مثمريه سكنت في الوقت الحاضر عن الانتاج ، وما أخرج كان مقصوراً على تزويد البيئة المصرية بالثقافة كرياضة فكرية دون أن يكون لها هدف في توجيه الحياة الحاضرة ، وتقوية الوعي الاجتماعي والقومي ، ومجاهدة الفوضى السائدة في المجتمع ، وفي المعتقدات والآراء .

وأما أكثر انتاجنا منذ عشر سنوات ، فهو كما ذكرنا في صدر هذا المقال ، انتاج سقيم ، قوامه إمتاع الغرائز ، أو بعث الأدب العتيق من رقاده العميق،أو الهيمان في أودية الأحلام ، والعيش في الابراج العاجية ، دون تنبه إلى ما يعجّ به المجتمع المصري من أحداث ، وما يدف به من آمال وآلام وخوالج ، ونزوع الى التحرر الفكري والاجتماعي ، والتجاوب مع الروح الديمقراطي الوثاب . وهذا في رأيي تخلف خطر ، واستخفاف بالمصرية ، وخيانة أدبية لا تغتفر .

*

ومن الأليم حقّـا ، أن الرواد ومن نفاهم من الأدباء الممتازين الذين خدموا الثقافة قد هزل انتاج بعضهم في الفترة الحاضرة ، أو جدب نهائيّـا ، لاعتبارات سياسية أو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقد أدبر الدكتور هيكل عن ميدان الأدب وانغمس بكليته في ميدان السياسة الحزبية، وقد كنا نعلـق على جهوده آمالاً وآمالاً. وكف الدكتور زكي مبارك عن التأليف الرصين واقتصر على شوارد أسبوعية يدبجها في صحيفة البلاغ اليومية، تضم ذكرياته السحيقـة وبدواته الغريبة وصباباته الوهمية — وودع الأستاذ ابراهيم المصري رسالتـه الأدبية والنقدية بالنظر لحالته الصحية، واكتفى بتسجيل خواطره الطائرة في مجلة أخبار اليوم السياسية — وهجر الدكتور أحمد زكي أبو شادي بيئته الجحود، ففقدت بلاده بهذه الهجرة ركناً وطيداً من أركان التعاون الأدبي، وتباعد الرائد الـكبير عبد الرحمن شكري عن حقل الشعر، وقصر جهده على بحوث شهرية يدبجها في « المقتطف » تحت امضاء ع . ش. واجتوى العقاد بحوثه الأدبية الرصينة، وكفر بمبادئه الحرة الأولى وتوزع قلمه بين السياسة الحزبية العمياء، والأدب الصحافي، وكان آخر العهد به ديوانه « بعد الأعاصير » الذي هُ يشِّعَ بتراتيل الأفول الخافتة .

وفقدت القصة القصيرة علمين من أعلامها هما الأستاذان يحيى حقي وطاهر لاشين، إذ طلقاها طلاقاً رجعيًّا بل بائناً على ما نعلم، وخيّـب الحـكيم اليوم آمال الصفوة فيه، إذ دار في فلك الصحافة، فنزل مستوى انتاجه الحاضر، عما كان قبلاً، نزولاً مشجيًّا، ففقد الجاليون روائعه الفنية، أمثال شهرزاد وبجماليون والقصر المسحور وغيرها، وحرم الواقعيون آثاره الواقعية: أمثال « عودة الروح » و « يوميات نائب » « وأهل الفن » وما إليها، وكتابه الأخير مسرح المجتمع، شهيد على ذواء فنه.

*

وسكن شعراء الحركة الابتداعية سكوناً أليماً، وعجزوا عن مسايرة روح العصر الجديد اللهمَّ إلاّ ومضات تغطي عليها الظلمات، فوقف حسن الصيرفي عند رومانتيكيته غارقاً في أحلامه وألحانه الضائعة، اللهمَّ إلاّ فلتات واقعية شهابية، وقنع صالح جودت بأغانيه المخدرة هائماً كالفرفور في دنيا الزهر، وهجر محمود حسن اسماعيل نفثاته الأدبيـة الأولى، والإعراب عن مرائي الحياة في الريف، شاطحاً في عالم المجهول ودنيا اللاشعور، وركد مختار الوكيل، وخيّـب تأميلنا في أنجاب نقدي وشعري مقدور. وأخلد سيد قطب إلى الرجعة والتعصب للتقاليد مجاهداً كل نزعـة عصرية جديدة، وتحول الدكتور رمزي مفتاح عن باحة النقد الأدبي إلى عالم الروح وميدان الرياضة .

وهكذا انـكمش هؤلاء الأدباء وغيرهم شيوخاً وشباناً عن الخلق الأدبي الجديد

النوابغ وسبح فوق نهر الأدب العذب زبد كثيف من المتعالمين والمهرّجين والمتسلقة، إذا استثنينا قلة من الأدباء المجهولين، يحاولون مناضلة الأدباء المنحرفين في ايمان وثبات وصبر.

ولقد التمس المفكرون تعرف علة المحنة الأدبية الحاضرة، فارتأى بعضهم أن « مشكلة الخبز » هي أس المحنة، على حد قول المثل الفرنسي « قبل أن نتفلسف يجب أن نعيش » وأرجع بعضهم العلة إلى « معضلة النشر » لأن أغلب أصحاب دور النشر لا يحتفون إلا بانتاج ذوي الأسماء الرنانة، وإن كان غثـا، ويهملون انتاج الشباب الصاعد.

وعلـل آخرون أسباب المحنة بذيوع الصحف المعربدة بما تنشر من توافه، وما تزخر به صفحاتها من مواد مخدرة، وما تطعم به المعقول من أكاذيب، وانفعالات نازلة، وما تقيمه من سدود في وجه الأدب الرفيع، بفضل المحررين الأنانيين، أو أنصاف المتعلمين الذين يعملون بها حتى صرح أحدهم بأن الأدب مادة كمالية تستخدم في الصحافة لملء الفراغ.

وردّ الكثيرون مصدر العلة إلى عـدم وجود المنبر الحر في هذه البلاد، وإلى تغافل الدولة عن إنصاف الأعمال الأدبية الممتازة، ومعاونة الأدباء معاونة جدية، على حين أنها لا تبخل بالمال، على كثير من رجال الصحافة والمرتزقة.

وهذه التعليلات وأمثالها مع وجاهتها، في تعويق الحركة الأدبية المعاصرة، ليست عوامل جوهرية في الأزمة الأدبية الحاضرة، فما كانت مشكلة الخبز في عهد من العهود، سبباً في محنة الادب أو فض الأدباء عن الانتاج الصالح، لأن الأدباء الأصيلين يرتفعون دائماً على البأساء، وقد يرحب بعضهم بها، ويجد في جنباتها، وحياً لأعمالهم الادبية الحقة

وأما النشر فهو مشكلة حقّـا، ولـكن يمكن التغلب عليها بتعاون الأدباء مع بعض الأغنياء المغمورين للعمل على إذاعة النتاج الادبي الجديد. وتكريس الجهد في هذه الناحية المجزية ماليّـا وأدبيّـا، ويمكن اتخـاذ دور النشر الانجليزية، مثالاً حيث يهتم بعضها بالأدب الـكلاسيكي، وبعضها بالأدب الروائي، وبعضها بالـكتب الجامعية، وبعضها بالأدب العصري المتقدم.

وليس من العسير أيضاً، التغلب على آثار الصحافة الحـاضرة، ومستواها النازل، بايجاد مجلة أدبية راقية، أو أكثر جديرة بمكانة هذه البلاد. يقوم على تحريرها صفوة من النوابغ المؤمنين بالرسالة الأدبية المعاصرة، وتعمل على تزويد القـارىء بالموضوعات المصرية المنوعة، والتجاوب مع الأذواق المتباينة، والعنـاية بمشكلات المرأة والفلاح والعامل وغيرهم. وقد قامت مجلة « الـكاتب المصري » التي اختفت مع الأسف بشيء من

هذا النشاط ، ومن الممكن اعادة مثيلاتها ، إذا وجدت العزائم الصادقة ، ونحن لا نشاطر بعض الأدباء مخاوفهم من أن نجاح مثل هذه المجلات الراقية عسير ، لأن مآل الأدب الحي الانتصار في النهاية ، ولأن هزال المجلات الأدبية الحاضرة يرجع إلى نشر الموضوعات البالية والمطروقة ، أو العتيقة المتخلفة ، أو الخيالية المجنحة التي لا تتصل بالحياة .

ولا يعز المنبر الحر على الأدباء الشجعان في البلد الديمقراطي ، فالمنبر ينال ولا يوهب ، ونيله ميسور لأولئك الذين يعرفون الأصول الدستورية ، ويؤمنون بحرية الفكر ، ولا يخافون سخط المتصلبين ، ولا حنبلة المتزمتين ، ولا سطوة القادرين .

وأما تغافل الدولة عن معاونة الأدب والأدباء معاونة ايجابية ، فأمر من السهل معالجته بتضافر الأدباء على افهام رجالات الدولة حقوقهم ، وتقدير كفايتهم ، ووجوب توفير الفرص لهم ، فتقدير ذوي الكفاية والأقلام المتحررة خدمة للديموقراطية الحقة ، التي تنشد الحرية وتستهدف اعزاز ذوي الفضل والمعرفة .

فليست محنة الأدب المعاصرة إذن راجعة إلى العوامل الخارجية التي ذكرناها قريباً ، بل هي كما قلنا عوامل يمكن التغلب عليها ، وانما مصدر العلة وأصل البلاء ، هو في الأدباء أنفسهم ، وفي بلبلة مبادئهم ، وقصور ثقافتهم ، ووهن خلقهم ، فالملحوظ في الآونة الحاضرة أن اغلب أدبائنا ، ان لم نقل جلهم ، لم تتبلور لهم مبادىء اجتماعية وقومية وانسانية ، ولم يدينوا بروح الديموقراطية الحقة ، والوطنية الحارة ، والحضارة القويمة . ولهذا نجد انتاجهم مبلبل الاتجاه منحرف الغاية ، لا يبض بثمر صالح للجيل ، فنفر كفر بالخير العام وباع نفسه للصحافة المضللة ابتغاء الغنم المادي والشهرة الطائرة ، ونفر اختطفته المنفعة ، فعكف على عبادة الأقوياء والتسبيح بآرائهم ، ونفر هام بنفسه ، فوقف قلمه على الاعراب عن مشاعره التافهة ، وهواجسه الدخانية . ولمة أخرى قنعت بثقافة قديمة محدودة ضيقة ، وأبى عليها مركب النقص التزود من الثقافة العالمية الخصبة ، والتفاعل معها ، فلم تنجب جديداً ، ولم تزهر ثمرة ، وعلى عكسها . كوكبة استمرأت التغذي على قشور الأدب الغربي فعاشت عليه عالة ، وأخذت تنفث في الجو الادبي مقولات غريبة لا تمت بأية صلة لروح الجماعة المصرية . وطائفة غير هؤلاء ركبها الغرور والتعالي ، وانفصمت عن الأدباء ، هائمة بحياة مترفة ، في مجتمع يعج بالألم والشقاء والمرارة .

*

وتقاتل بعضها البعض الآخر !

ولم تعدم البيئة الأدبية ، رغم هذه الظلال القاتمة ، قلة من رجالها ، تغلبت على العوائق الخارجية التي أسلفنا ذكرها ، وتحللت من الانحرافات الباطنية ، ونشرت من خلال إنتاجها الأدبي أضواء تنير معالم الطريق للجيل الجديد .

ويحضرنا من هذه القلة ، أمثال الدكتور طه حسين ، والأستاذ سلامه موسى ، والدكتور أحمد زكي أبو شادي والأستاذ محمود تيمور ، وفريق من الشباب الصاعد يعمل في صمت وتفان وإيمان كدودة القز ، تخرج للناس الحرير ، وتفنى فيه .

فلم تقف جهود الدكتور طه على نشر الثقافة ، وتربية الذوق الأدبي ، بل وقف في الظلمات يرسل أضواء المعرفة ويعابث بقلمه وجه الظلم العبوس ، ويهتف في عهود الطغيان هتاف الحرية ، وينادي بالعدالة الاجتماعية ، وكتابه « المعذبون في الأرض » صيحة من صيحاته الذكية.

واعتنق الاستاذ سلامه موسى مبادىء الحرية وفي العمر الطويل الذي حمل فيه القلم وبث خمائره الصالحة لايجاد ثقافة موجهة ، وتوليد الافكار العصرية المتحررة ، وتآليفه العدة في الاجتماع والادب والسيكولوجية ، والعلم المبسط ، آية على مثالية الرجل ، وايمانه برسالة اجتماعية واعية ، يحاول أن يبثها في شباب الجيل ، ويبلور بها وجهات نظره في اعتناق العصرية.

ولم يقف الدكتور أبو شادي لحسن الحظ ، على ما ترك وراءه من كنوز أدبية وفكرية ولم تقعد به هجرته الى نيويورك عن الانتاج فان جهوده الأدبية والفكرية مطردة هناك ، وان كانت مقصورة على عدد من صفوة المفكرين ، وديوانه الاخير : « من السماء » ونفثاته في « صوت أمريكا » شهيدة على نشاطه الجم وفكره اللماح الوثاب — ولا يفوتنا أن نذكر بالخير جهود الأستاذ محمود تيمور المتواصلة في القصة القصيرة وفي المسرحية التاريخية ، ونزعته الواقعية في مجموعة قصصه الاخيرة « كل عام وانتم بخير ». وفي مسرحيته الممتازة « حواء الخالدة » وغيرها وهذا مما يحملنا على الافتخار بانتاجه الحاضر والاستبشار بأدب موجه قابل .

ومما يملؤنا غبطة أن نجد انتفاضات تسري في صدور الشباب الصاعد لتوسيع آفاق الأدب الحاضر ، وتوديع المرحلة الرومانتيكية التي قطعها أدباء النصف الثاني من القرن العشرين ، وذلك بالتوجه الى المجتمع ، والاعراب عن آماله وأشواقه ونوازعه ، والارتفاع على التيارات المنحرفة التي تجري فيه ، ومحاولة جهاد روح الهزيمة السائدة وتحويلها إلى روح ثقة وتفاؤل وانتصار ، وبمعنى آخر هجرة الفردية الأدبية واعتناق الجماعية .

فلقد رأينا الشاعر الجيد محمد مفيد الشوباشي ، يدعو في مثل قصيدته «أنا والمجتمع» إلى ترك روح الانكماش والانطواء ، والانغماس في موكب الحياة الزاخر ، وقد أنشأ مجلة «الأديب المصري» هو وبعض الشباب المتوقد أمثال لويس عوض وعلي الراعي وعباس صالح وشعبان وعاشور وغيرهم منادين بأدب التفاؤل والقوة وخدمة المجتمع ، ومحاربة الأدب الذاتي والأدب الجنسي ، وأدب التسلية والتخدير .

ورأينا شاعراً شابـاً ينادي بمثل هذه الدعوة في ديوان صدر مؤخراً يهيب بشعراء الحاضر أن يتركوا دنيا الخيال والأوهام ، وعالم الزهر والطير والاندماج في دنيا الناس ، في مثل قصيدته « الشاعر التائه » حيث يخاطبه بقوله :

أنت تخلو إلى النجوم إلى الزهـــر إلى الطير حينما تتغنى
دع جمال الخيال وادخل كهوفاً للملايين وارو للكون عنـا
إنمـا الفن دمعـة ولهيب ليس هذا الخيال والتيه فنـًا

ووقعنا على بعض القصص لشباب الطليعة تحاول ابراز الحياة المصرية على حقيقتها ، ولـكنها قصص قلال مبثوثة في الأدب الحاضر كحفنة من الماس في ركام من الزجاج المهشم .

*

ولـكي نخرج من المحنة الأدبية الحاضرة ، فلزام علينا التخلص من رواسب أدبنا الـكلاسيكي العتيق ، الذي يعيش في أذهان الادباء كشجرة الجميز العتيقة العابسة ، وان تتغير نظرتنا إلى المجتمع ، فندرك أن مجتمع اليوم غير مجتمع الأمس . فمجتمع اليـوم لا يهتم بالحياة العامة ، وقد انتابته أعراض وانحرافات لم يعرفها مجتمع الأمس ، فثمة بلبلة فـكرية ، وذبذبة خلقية ، وخلخلة شعورية، ونزعة جوحة إلى الانطلاق ، وبالتالي نجد فريقاً لايثبت على رأي أو فـكر أو مبدأ ، وفريقاً متحيراً بين المثالية والوصولية ، وفريقاً مبلبل الحس لشعوره بعدم الأمان ، والخوف وما اليهما .

وهذا المجتمع المضطرب يحتاج الى الأديب الحقيقي للاحظة ما يضطرم به من نزعات مختلفة ، ووجهات متناقضة ، لتمثل هذه الاتجاهات الجديدة والخروج من متناقضاتها بحلول سليمة مؤدية الى الخير العام .

فأولئـكم الادباء الذين يعكفون على بعث أدب الماضي في العصر الراهن ، إنما يقدمون شراباً قديماً في زجاجات جديدة ، ولن ينتفع به الجيل الحاضر لتباين الاتجاه واختلاف المزاج ، وأولئكم الذين ينفشون في الحاضر ، نزوات صدورهم وأنات قلوبهم ، لن يجدوا

بعد اليوم من يعطف عليهم أو يقف خاشعاً في مبكاهم ! وأولـئكم الذين يجلبون من الغرب أدباً وجودياً مليئاً باليأس والفوضى، أو أدباً كافكياً مختلطاً بالترف والتهويم ، أو أدباً سرياليـاً من بنات البارانويا ، إنما يريدون أن ينشروا في البيئة المصرية بلبلة على بلبلة ، ويطلقون من لفافاتهم الملغمة دخاناً مخدراً للمشاعر ، خانقاً للأذهان .

فكيف السبيل إذن لازدهار أدب جديد ؟ هذا هو السؤال الذي نحاول الاجابة عليه والجواب مثبوت في ثنايا هذا المقال ، ويمكن تركيزه في أن الأدب لم يعد متعة أو تسلية بل صار عنصراً فعّالاً في التوجيه الفكري والاقتصادي والسياسي ، وهذا الادب هو الذي أقام النهضات ، فلابد إذن من توسيع آفاقه في مصر ، فلا يقف الأديب جهده على الاعراب عن ذاته ، ومشاعره التافهة ، وغرائزه . بل عليه أن يتناول مشكلات الحيـاة من جميع نواحيها ، وحالة المجتمع لامكان التلاؤم مع مستحدثات العلم والثورة الصناعية ، والمعاني الجديدة لحقوق الانسان على ان يكون تناوله لهذه الموضوعات تناولاً فنيّـاً لا تقريريّـاً كما يفعل كتّـاب الصحف . ونقصد بالفنية رعاية قواعد الصنعة فى الكتابة سواء أ كان موضوعهـا مقـالاً أم شعراً أم قصة ، أم ترجمة للشخوص ، مع مراعاة التفاوت في أصول الصناعة الفنية لكل من هذه الفروع الأدبية. وليس هذا مجال بيان هذه الأصول . ولكن يمكن القول ، في كلمات ، إن المقال مثلاً في تناوله ومادته يختلف عن القصة. فالمقال الفني يمتاز بالطرافة أو الجرأة مع توصيل المعرفة توصيلاً قويّـاً انفـاذاً ، والقصة الفنية لا تعني بالمعرفة لذاتها ، ولا لدعاية مقصودة لناحية من النواحي الاجتماعية أو التاريخية أو الاقتصادية أو الفلسفية، وإنما تأتي بالحقائق الاجتماعية أو الفلسفية أو غيرها بطريقة لا تطغى فيها الحقائق على الفن والا كانت أشباه قصص أو مجالات اجتماعية أو تاريخية أو فلسفية .

ولهذا يهمنا في هذا الصدد ان ننبه الى الخطأ الشائع في تضمين القصة وقائع لا تحتملها، لغاية أو هدف مقصود ، وذلك على حساب الفن ، أو الاقتصار على تصوير مظاهر الحياة المادية وحدها دون نظر الى مظاهر الحياة المختلفة، فكرية أو اجتماعية أو روحية

فالوسيلة اذن لازدهار الأدب هو توسعة أفقه وشمول واقعيته ، أو بمعنى آخر ان يحتضن الأدب الجديد ما يدور في الحياة من واقعات واحداث ، وما يدف في جوانح الناس من عواطف وانفعالات ونوازع نتيجة لاحداث المجتمع وهذه هي النظرة المتكاملة التي ننبه إليها .

ولـكي نصل الى هـذا الأدب المتكامل في نظرته ، لا مفر من وجود الأديب المبلور في مبادئه، اجتماعية كانت أو قومية أو خلقية ، الأديب ذو الثقافة الناضجة المرشحة ، الأديب ذو الشخصية النقية ، الذي يصدر في عمله عن ضمير حسّـاس واخلاص حقيقي ، فمن هـذه

الشخصية ينبع الأدب الناضج الأصيل ، وشاهد ذلك قول الأديب الفرنسي الجهير . فلوبير لزوجة موباسان : — « إن صاحب الشخصية النقية يظفر بالاصالة ويسلك طريقة خاصة الى الرؤية والشعور بمرور الزمن »

ولا نحتاج بعد شمول النظرة الى الحياة، ونقاء الشخصية إلاّ الى الأدب النفسي في معاملة بعضنا بعضاً ، والتعاون الحق لجمع الخمائر الأدبية الجديدة لتكوين النهضة الأدبية المرموقة فنكون كجماعة النمل التي تسعى كل واحدة في طريقها ، ووفق إلهامها ، حاملة ما في طوقها من جني نافع لها ولجماعتها ، لتودعه مسكن الجماعة ، دون أن تعرقل واحدة أختاً لها ، أو تقف في طريقها ، بل كل تعمل في اخلاص وتفان لمعاونة الجماعة .

وبمثل هذا التعاون الذي نجده في جماعة كاملة الغريزة مثل هذه الجماعة المتواضعة ، يمكن إقامة صرح الأدب الجديد ، والخروج من هذه المحنة الحاضرة .

والأمل وثيق في أن يتأهب أدباؤنا الموهوبون للعمل الشاق المرتقب منهم ، وأن يفتحوا عيونهم إلى إنجاب مايتطلبه الجيل الجديد من أدب جديد ، يصور الحاضر ويبني للقابل ، أدب يدرس الحياة المعاصرة من جميع وجوهها ، موطنين العزم الصارم على مواجهة ما قد يقف في وجوههم من عقبات كأداء يقيمها المتزمتون ، أو المترفون أو المتوصلون أو أعداء الحرية والتقدم .

وبعد فهذه كلمات عابرة في أدبنا المعاصر ، طالعنا فيها أسباب المحنة الأدبية المعاصرة ووسائل علاجها ، وما أمدنا أدباء الطليعة الممتازون من ثقافة، وما نشر علينا المائعون من أدب تطريب وإلهاء وخدر للمشاعر والعقول ، وما وصل إليه بعض أدبائنا من ردة وانتكاس بسبب ضغط البيئة ، وتفاعلهم مع سيئاتها ، وقد سجلناها على هذه الصفحات في عنف حيناً وفي لين حيناً آخر، ولا نرمي في عنفنا الى التهجم على أحد فما حملنا يوماً موجدة لانسان، وإنما نرمي إلى وجه الأدب الحبيب الذي وصل إلى خريفه في هذه الأيام ، آملين أن نجد من الموهوبين المغمورين ، ذوي النفوس الصافية ، والثقافة الناضجة ، عملاً جاداً مخلصاً لتخمير نهضة أدبية مرموقة جديرة بمكانة هذه الأمة واعراقها الأصيلة .

[المقتطف] يرحب بنشر ما تجود به قرائح هؤلاء الكتّاب الموهوبين المغمورين من ذوي النفوس الصافية والثقافة الناضجة ويرجو أن يتعاون أدباؤنا تعاوناً وثيقاً على خدمة الأدب . وأن لا يقف الناشرون في وجه انتاج الشباب الموهوب ، والأمل معقود على معالي وزير المعارف في العمل على إنصاف الأدباء والعناية بانتاجهم ، وأن تلقى صيحة الكاتب الأديب قلوباً واعية وآذاناً صاغية .

الخواص الوراثية

لدم الانسان



للأستاذ إميل توفيق

يتألف الدم من سائل أصفر باهت يقال له المصل ، ويحمل هذا السائل ما يناهز وزنه من الكرات الحمر . وتنقل تلك الكرات الاكسجين من الرئتين الى سائر الاعضاء . ويتجلط الدم عادة في بضع دقائق ، على أن بعض المواد الكيميائية تمنع هذا التجلط . ويمكن فصل الكرات الدموية عن المصل وذلك برج الدم في آلة طاردة مركزية كما تفصل القشدة عن اللبن . وبفصل كل منهما عن الآخر ، يصبح من الممكن أن تمزج الكرات الدموية لشخص ما بمصل شخص آخر ومشاهدة النتيجة تحت الميكرسكوب .

فماذا يحدث إذا أضيفت كرات دموية لدم ما إلى مصل دم آخر ؟

لقد وجد أن حالةمن اثنتين تحدث نتيجة هذه الاضافة : أولاهما أن تظل الكرات الحمر تتنقل في أنحاء السائل ، مثلما كانت من قبل . وثانيتهما أن تترسب الكرات بعضها على الآخر على شكل كتل مترسبة . وعندما يحدث هذا نجد السائل يتلون باللون الاحمر كالحبر . وسبب ذلك هو أن جدران هذه الكرات الدموية تتشقق فينفجر منها السائل الاحمر أو الهيموجلوبين وتتجمع الجدران الخاوية بعضها على البعض كما ذكرنا ، وقدفقدت الكرات قيمتها الحيوية . ترى متى تحدث الحالة الاولى ، ومتى تحدث الحالة الثانية ؟

وجد البروفسور لاندستنر أن في كرات دم كثير من الناس مادتين سماها (ا،ب)[1] ووجد أن كرات بعض الناس تحمل المادة (ا) وسمي دمهم بالنوع (ا) . وكرات بعضهم تحمل المادة (ب) وسمي دمهم بالنوع (ب) . وكرات البعض تحملها معاً فسمي دمهم بالنوع (ا ب) وكرات البعض الآخر لاتحمل أيّا منهما وسمي دمهم بالنوع(صفر) — وبذلك يتميز لنا أربعة أنواع للدم . ولكنه وجد شيئاً آخر في المصل .

(١) Agglutiogen (A) , Agglutinogen (B)

فالدم من النوع الأول (ا) ، يحمل مصله مادة مضادة للمادة (ب). والدم من النوع الثاني (ب) ، يحمل مصله مادة مضادة للمادة (ا) — والنوع الثالث (ا ب) لا يحمل مصله مواد مضادة على الاطلاق -- وأما النوع الرابع صفر، فان مصله يحمل النوعين المضادين : المادة المضادة لـ (ا) والمادة المضادة لـ (ب)

النوع	المواد في الكرات الحمر	المواد في المصل
(ا)	(ا)	مضادة للمادة (ب)
(ب)	(ب)	« « (ا)
(اب)	(اب)	لا شيء
صفر	لا شيء	المادتان المضادتان

والآن هب أن دمك من النوع (ا) ويراد أن ينقل منه إلى دم مريض من النوع (ب) فماذا يحدث ؟ إن كرات دم الواهب التي تحمل المادة (ا) تتلفها المادة في مصل الدم ب ، وبذلك لا تعود فائدة ما من نقل هذا الدم .

وكذلك العكس إذا كان دم الواهب donner من النوع (ب) ودم المريض الموهوب recepient من النوع (ا). والواجب إذن أن يكون دم الواهب ودم الموهوب من نوع واحد.

ولكن ماذا يحدث لو أضيف دم من نوع صفر الى النوع (ا) أو النوع (ب)؟ الواقع إن هذا النوع مفيد في كل حالة من حالات الدم ، ويسمى هذا النوع بالدم العالمي، ويسمى حامل هذا النوع بالواهب العالمي universal donner ذلك لأن كراته الدموية لا تحمل مادة ما، فهي إذن لا تتأثر بالمواد المضادة الموجودة في مصل الشخص الموهوب . هذا من ناحية ، أما مصل هذا الدم فقد يقال إنه قد يتلف بمادتيه المضادتين كرات الشخص الموهوب، ولكن الواقع أنه لا خوف من ذلك إذا كان تيار الدم مخففاً إذ يسري المصل مع تيار الدم في الشخص الموهوب بغير أن يحدث شيئاً في كراته الحمر . وتزداد في دمه كرات الدم من النوع صفر، وبذلك يفيد انتقال الدم اليه .

وهذا ، وهناك بعض الحالات التي فيها يحدث التلف من إضافة هذا الدم، ومن أجل ذلك يراعى أن يكشف عن أنواع الدماء المختلفة ولاسيما للجنود في الحرب .

وقد أصبح كشف النوع الذي ينتمي اليه دم طفل من الأطفال شاهداً في بعض الاحوال لبنوته عندما تكون موضع شك . فاذا تنازع اثنان على أبوة طفل ما، فان نتيجة التحليل لدم الأطفال وهذين المتنازعين قد تسفر إلى أن أحدهما لا يمكن أن يكون أباً

للطفل، ويؤخذ من استبعاده أنه ابن للثاني ولكن تحليل الدم لا يؤخذ منه أبداً بأن الثاني أب لهذا الطفل . فهو لا يثبت الأبوه ولعل الجدول التالي يفسر لنا سر ذلك.

نوعا الدم للوالدين	النوع المحتمل توارثه في الأبناء
صفر × صفر	صفر
صفر × ا	صفر ، ا
صفر × ب	صفر ، ب
ا × ا	صفر ، ا
ا × ب	صفر ، ا ، ب
ب × ب	صفر ، ب
ا × ا ب	ا ، ب ، ا ب
ب × ا ب	ا ، ب ، ا ب
ا ب × ا ب	ا ، ب ، ا ب

وليست هذه الأنواع على درجة واحدة من الانتشار . فالنوع (ا) أكثر انتشاراً في غرب أوربا عن شرقيها ، في حين أن النوع (ب) على عكس (ا) تماماً وأقل منه انتشاراً. وقد يستدل من نسب وجود هذه الأنواع على تدعيم الفرض القائل باختلاط الشعوب البدائية ، في عصور ما قبل التاريخ كما يسترشد بها كأحد الشواهد في تعيين مراكز هجرات هذه الشعوب . فالنوع (ا) تفوق نسبته نسبة النوع (ب) في الشعوب التي تعيش بين روسيا الغربية والصين واليابان . أما نسبة النوع (ب) فهي تتفوق في الهند، وفي شمال الصين ومنشوريا . هذا وبين معظم الزنوج وسكان الملايو malaysians ، والهند الأقصى نجد أن نسبة النوع (ا) تكاد تكون مساوية لنسبة النوع (ب) وتكاد تتساوى مع نسبة النوع صفر .

أما الشعوب التي تظهر فيها نسبة النوع صفر عالية فوق النسب الأخرى فهي الشعوب المنعزلة أو سكان الجزر النائية مثل جزر الفلبين ، ومثل زنوج بتشوانا ، وسكان استراليا الأصليين .

وقد وضعت نظريات عديدة لتعليل هذا التعدد في أنواع الدم الانساني . ومن بينها نظرية تفترض أن النوع صفر هو النوع الأصلي البدائي لدم الانسان ، وأن النوعين (ا ، ب) ظهرا كصورتين من صور التحول الفجائي ، أو ما يسمى في الوراثة

mutation — (ا) في أوربا ، (ب) في الهند وبامتزاج الأجناس ظهر النوع (ا ب) في السلالات الناشئة ولكن فساد هذا الفرض تظهره حقائق مناقضة .

على أن البحوث التي يقوم بها علماء الانتروبولوجيا (علم الانسان) تؤدي الى رأي هام وهو أن هذه المظاهر أو phenotypes إن هي إلا نتيجة للعوامل الوراثية الموجودة فيما يسمى genes على الكروموسومات في الخلايا . وهو مما تصعب دراسته في الوقت الحاضر .

وقد أدى البحث الحديث الى اكتشاف مجموعات أخرى للدم ، لا علاقة لها بالمجموعات ا ، ب ، ا ب ، صفر .

فقد اكتشف العامل (م) M والعامل (ن) N كصفتين من الصفات الوراثية التي تتوارث مستقلة عن (ا ، ب) . أما التجربة التي أدت الى كشف هذين العاملين فأساسها حقن الأرنب بدماء مختلفة ، وبحث ما يسفر عنه التفاعل في مصل الأرنب . وقد وجدت اختلافات في تفاعل المصل باختلاف نوع الدم المحقون .

وقد اكتشف حديثاً عامل آخر يسمى Rh في تجربة حقن فيها أرنب بدم القرد المسمى Rhesus monkey ، كان التفاعل الحادث هو أن مصل الأرنب كوّن مادة مضادة anti-Rhesus body ومن خصائص هذه المادة أنها ترسب الكرات الحمر للقرد Rhesus ثم وجد بعد ذلك أن هذه المادة المضادة ترسب الكرات الحمر لـ ٨٥ ٪ من الناس (ذوي البشرة البيضاء) ولذلك سموا Rh-positive الايجابي أما الـ ١٥ ٪ الباقون ممن لا يترسب دمهم بهذه المادة فسموا Rh-negative السلبي

وفي ظروف متماثلة يتفاعل مصل الناس من النوع الثاني Rh-negative التفاعل المماثل لتفاعل الأرنب . فاذا نقل الى دم مريض من هذا النوع دم من النوع الايجابي ، فقد يكون المريض المادة المضادة في مصله وقد تجلط هذه المادة كراته الحمر ، وتودي بالحياة . كذلك إذا حملت امرأة من ذات الدم السلبي Rh-negative وكان لجنينها دم من النوع الايجابي الذي توارثه عن أبيه فقد تتكون المدة المضادة في مصلها . وهذا يحدث لحسن الحظ بنسبة ١/٥٠ من أحوال الحمل الذي توجد فيه مجموعات . Rh

وليس لهذه المادة تأثير ما على الأم ، ولكنها تؤثر في الجنين وقد تجلط كرات دمه ، وفي حالة ما يكون التأثير هيناً فقد يولد الجنين ولكنه يصاب بفقر الدم ، وقد وجد أن مثل هذه الحالة تعالج بعملية نقل دم من النوع السلبي الى دم الطفل .



وحدة القصيدة

في الشعر العربي



للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

ما معنى وحدة القصيدة ؟

١ — نقرأ معلقة امرىء القيس : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »، ولامية مروان بن أبي حفصة : « طرقتك زائرةً فحيِّ خيالها » ، ورائية ابن الجهم :

عيون المها بين الرصافة فالجسر جلبنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري

ونهج البردة لشوقي : « ريم على القاع بين البان والعلم » .

فنجد ألواناً شتى من الاغراض ، وتبايناً في الشاعرية حيال كل غرض ، واختلافاً واضحاً في كل قصيدة في الشعور والعاطفة والخيال .

٢ — ثم نقرأ قصيدة أبي تمام في فتح عمورية ، أو قصيدة ابن الرومي في رثاء ولديه ، أو مرثية أبي العلاء : —

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنّمُ شاد

أو نونية ابن زيدون ، أو تائية ابن الفارض الكبرى : —

سقتني حُمَيّا الحب راحةُ مقلتي وكأسي مُحَيّا مَنْ عن الحسن جلّت

أو قصيدة البديع في وصف الأسد :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشراً (١)

---

(١) مقامات البديع ص ٤٤٨ — ط ١٩٣٢ — المقامة البشرية

أو قصيدة شوقي « الحرية الحمراء » : —

في مهرجـان الحق أو يوم الدم مهج من الشهـداء لم تتكلم

أو قصيدة الزهاوي : « روض الشعر » (١) أو قصيدته : « عند الفراق » (٢)
نقرأ هـذه القصائد وما شابهها ، فماذا نجد ؟

نجـد وحدة في الغرض ، واتفاقاً في الشاعرية ، والتئاماً في العاطفة والخيال والفكرة . وتبدو القصيدة كأنها عمل فني كامل ، لا نقص ولا تشويه ، ولا غموض أو التواء .. ونقف أمام الجمال الفني الآخاذ ؛ يضيء ويسحر : كما يضيء الفجر ، ويسحر البدر ؛ ويروع ويعبق روعة السحر ، وعبق الزهر .

هكذا نشعر من أعماق قلوبنا وأذواقنا بالوحدة في القصيدة ، والجمال في الفن .

٣ — فلسنا نريد بوحدة القصيدة أن تكون تعبيراً متميزاً ، في فكرة واحـدة ، قد أتى بها لغرض واحد .. إنما نريد مع ذلك كله تلك الوحدة الفنية التي يجب أن تسود القصيدة كلها ، بما تشتمل عليه من شاعرية وخيال وعاطفـة وأسلوب . حتى نشعر بروح الشـاعر في قصيدته ؛ ونرى ذكاءه وبراعته في التوفيق بين الصور والأشكال والظلال والألوان ، وحذقه في ايقاظ الحياة والروعة في ألفاظه وأساليبه ، وأفكاره ومعانيه ، وعواطفـه وخيالاته . حتى لتنطق الصورة ، وتتحرك الحياة فيها ، وتمشي الوحـدة في أجزائها ، ويسودها الانسجام والنظام والالتئام ؛ كما نجـد في وصف البحتري لايوان كسرى ، وفي مرثيـة البحتري للمتوكل ، وفي وصف شوقي لقصر «أنس الوجود » ، وفي آثار أخرى في شعر كثير من الشعراء في القديم والحديث ... وقد أشاد الأدباء المعاصرون بابن الرومي وشعره ، لهـذه الوحدة الفنية النادرة في قصائده وأوصافه .

إننا نمزج في وحدة القصيدة بين الوحدة الفنية ووحدة الفكر ووحدة الموضوع أو الغرض كما يقال . ونرى ذلك كله لازماً لاستيفاء القصيدة حظها من الانسجام والجمال ... والذين يتحدثون عن وحـدة الأغراض الشعرية وحـدها في القصيدة حين يتحدثون عن وحدتها ، إنما ينظرون الى أظهر عناصر الموضوع فحسب ، وإن كان اتحاد الشاعرية أدقّ ما فى وحدة القصيدة من عناصر وحقائق .

وحول الوحدة الفنيـة للقصيدة يقول صاحب كتاب « ثورة الأدب » : « ليس

(١) ديوان الزهاوي ص ٢٥٨ — ط ١٩٢٤ (٢) المرجع نفسه ص ٣٤٤

القصد من الشعر في رأينا هو محاكاة الأقدمين ، إنما القصد من الشعر إبراز فكرة أو صورة أو إحساس ، أو عاطفة يفيض بها القلب ، في صيغة متسقة من اللفظ ، تخاطب النفس ، وتصل الى أعماقها ، من غير حاجة الى كلفة أو مشقة » (١)

وحول هـذا المعنى الذي أردناه من وحدة القصيدة يدور الحاتمي الأديب الناقد المتوفي ٣٨٤ هـ ، إذ يقول(٢): «مثل القصيدة مثل الانسان ، في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر ، وباينه في صحة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهة ، تتخون محاسنه ، وتعفي معالمه » . . ويصف عمل الشعراء المجيدين ، من متقدمين ومحدثين ، في هذه الناحية ، فيقول : « وقد وجدت حذاق المتقدمين ، وأرباب الصناعة من المحدثين ، يحترسون في مثل هـذا الحال احتراساً يجنبهم شوائب النقصان ، ويقف بهم على محجة الاحسان ، حتى يقع الاتصال ، ويؤمن الانفصال ؛ وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها ، وانتظام نسيبها بمديحها ، كالرسالة البليغة ، والخطبة الموجزة ، لا ينفصل جزء منها عن جزء ... وهـذا مذهب اختص به المحدثون ؛ لتوقد خواطرهم ، ولطف أفكارهم ، واعتمادهم البديع وأفانينه في أشعارهم . وهو مذهب سهلوا حزنه ، ونهجوا دارسه » .

والحاتمي في شرحه هنا لوحدة القصيدة ممتع مجيد : ولكنه يرى أن اتصال الغزل بالمديح في القصيدة لا يمنع وحدتها ، مادام هذا الاتصال قوياً شديداً . فكأنه لا يرى تعدد الأغراض في القصيدة مانعاً من وحدتها . . وهـذا ما نخالفه فيه ، ولا نقره عليه .

نظام القصيدة في الشعر العربي القديم

نرى أشهر القصائد الجاهلية قد بدئت بالنسيب العذب الجميل ، ثم يتصل فيها النسيب بذكر الناقة ووصفها وجوب الفلوات عليها ؛ وقد يلم الشاعر بوصف ما يشاهد في الصحراء من أسراب الوحش والظباء ثم يتخلص إلى غرضه المقصود ، من مدح أو هجاء ، أو فخر ، أو عتاب ، أو اعتذار ، أو حكمة .

يظهر ذلك النهج الجاهلي في المعلقات ، وفيما سواها من كبريات القصائد وعيونها ، في هذا العصر البعيد .. ولا نجد شاعراً يشذ عن ذلك إلا عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته

(١) ثورة الادب للدكتور هيكل ص ٦٠
(٢) زهر الآداب جزء ٣ ص ١٦ — نشر زكي مبارك

المشهورة : « ألا هبي بصحنك فاصبحينا » ، فقد بدأها بوصف الراح ، ثم وصل ذلك بغزله ونخره ووصف وقائع قومه وذكريات مجدهم القديم الحافل ... وهناك قصائد ثلاث من الشعر الجاهلي تمتاز بخلوها من تعدد الأغراض :

أولاها – قصيدة المرقش الأكبر .

سرى ليلاً خيال من سليمى فأرقني وأصحابي هجود (١)

فهي وقف على الحب والغزل ووصف الجمال .

والثانية – قصيدة لامية لطرفة العبدي ، مطلعها : —

أتعرف رسم الدار قفراً منازله كجفن اليماني زخرف الوشي ماثله

فهي كذلك وقف على الغزل .

والثالثة – قصيدة تأبط شراً الشاعر الجاهلي المشهور : —

إن بالشعب الذي دون سلع لقتيلاً دمه ما يطل (٢)

وهي في الرثاء ، وقد ترجمها « جوته » الى الألمانية ، ونشرها في الديوان الشرقي ، ونقلت الى الفرنسية والانجليزية والايطالية ، ويسميها بعض المستشرقين « نشيد الانتقام » وهي نمط جميل مهذب لوحدة القصيدة في الشعر الجاهلي ؛ وشتان بينها وبين قصائد الرثاء في هذا العصر السحيق . وحسبكم أن شاعراً أراد أن يرثي أخاه فبدأ قصيدته بالنسيب ، ثم خلص الى الرثاء ، وهو دريد بن الصمة القشيري الشاعر في قصيدته الدالية : —

أرثّ جديد الحبل من أم معبد بعاقبة أم أخلفت كل موعد

هذا هو نظام القصيدة في العصر الجاهلي : تعدد في الأغراض والفكرة ، وانتقال من لون من ألوان الشعور الى لون آخر . وقد يفاجىء الشاعر سامعيه مفاجأة ، فيتخلص من غنائه إلى التنويه بممدوحه فجأة ، كما صنع زهير في رائيته في مدح هرم بن سنان ، فقال بعد أن ذكر الديار :

دع ذا وعدّ القول في هرم خير البداة وسيّد الحضر (٣)

وقد يتخلص الشاعر في رفق وجمال إلى غرضه ، كما فعل النابغة في قصيدته العينية التي

(١) الحياة الادبية في العصر الجاهلي ص٢٥٣ — محمد خفاجي — ط ١٩٤٨ (٢) الشعب : طريق في الجبل موضع سلع : موضوع وهو أرض قوم الشاعر . طل دمه : ذهب هدراً لا يثأر به .

(٣) جمع حاضر كراكب وركب.

يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ، حيث ذكر عبراته ودموعه ومشيبه ، ثم خلص إلى الاعتذار فقال : —

ولكن هما دون ذلك شاغل مكان الشُّغاف تبتغيه الأصابع
وعيدُ أبي قابوس في غير كنهه أتاني ودوني راكس فالضواجع

ثم وصف حاله عند ما سمع وعيد النعمان ، فقال : —

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السمُّ ناقع
يُسهدُ في ليل التمام سليمها لحلى النساء في يديه قعاقع[1]

ثم خلص إلى الاعتذار ، وهو الفن الذي نبغ فيه وشهر به فقال : —

أتاني — أبيتَ اللعن — أنك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع

وهذا من لطف التخلص ، « ولو[2] توصل إلى ذلك بعض الشعراء المحدثين ، الذين واصلوا تفتيش المعاني ، وفتحوا أبواب البديع ، واجتنوا ثمر الآداب ، وفتحوا زهر الكلام ؛ لكان معجزاً عجباً ؛ فكيف بجاهل بدوي ، إنما يغترف من قليب قلبه ، ويستمد عفو هاجسه كما يقول الحاتمي الناقد القديم .. وهذا اللطف في التخلص لا نعني به لأنه يمنح القصيدة الوحدة الشعرية ، ولكننا نتحدث عنه لوناً من ألوان فطنة العرب في المعاني والأداء ، ولأنه كان تمهيداً لهذه الوحدة التي هي موضوع بحثنا . ويقول ابن رشيق في العمدة : وكانت العرب لا تذهب هذا المذهب — أي حسن التخلص — في الخروج إلى المدح ، بل يقولون عند فراغهم من نعت الابل ، وذكر القفار ، وما هم بسبيله : «دع ذا وعد عن ذا» ؛ ويأخذون فيما يريدون ، أو يؤتون بانّ المشددة» ابتداء للكلام الذي يقصدونه .. ولربما قالوا بعد صفة الناقة والمفازة : إلى فلان قصدت ، وحتى نزلت بفناء فلان ، وما شاكل ذلك . فاذا لم يكن خروج الشاعر إلى المدح متصلاً بما قبله ، ولا منفصلاً بقوله « دع ذا وعدِّ عن ذا ونحو ذلك » ، سمي طفرة وانقطاعاً[3] .

هذا هو نهج القصيدة عند الجاهليين ، ويقول الحاتمي في ذلك : فأما الفحول الأوائل

(١) راجع العمدة لابن رشيق جزء ١ ص ١٥٨ وزهر الآداب جزء ٣ ص ١٦
(٢) زهر الآداب جزء ٣ ص ١٧
(٣) العمدة جزء ١ ص ١٥٩

ومن تلاهم من المخضرمين والاسلاميين فذهبهم أن يقولوا « عدّ عن كذا إلى كذا »، وقصارى كل أحد منهم وصف ناقته بالعتق والنجابة والنجاء، وانه امتطاها فادّرع عليها جلباب الليل، وربما اتفق لأحدهم معنى لطيف يتخلص به إلى غرض لم يعتمده، إلاّ أن طبعه السليم، وصراطه المستقيم، قد نفي بشاره، وأوقد باليفاع ناره [1] »

وقد تعصّب كثير من النقاد وعلماء الأدب، لهذا النهج الجاهلي، الذي لا يمتّ إلى وحدة القصيدة بسبب، ودافعوا عنه دفاعاً حاراً. يقول إبن قتيبة المتوفي ٢٧٦ هـ [2] : « وسمعت بعض أهل العلم يقول : إن مقصد القصائد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار، والدمن والآثار. فشكا وبكى، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتجاعهم الكلأ، وانتقالهم من ماء إلى ماء، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان. ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصبابة، ليميل نحوه القلوب، ويصرف اليه الوجوه، ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن النسيب قريب من النفوس لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء، فليس يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقاً منه بسبب، وضارباً فيه بسهم. فاذا علم أنه قد استوثق من الاصغاء إليه، والاستماع له، عقب بايجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر، وسرى الليل، وإنضاء الراحلة والبعير، فاذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء، وزمام التأميل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في السير بدأ في المديح، فبعثه على المكافآت، وهزّه على السماح .. فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدّل بين هذه الأقسام ».

وابن قتيبة هنا لا يبرر هذا النهج لأنه هو الحق في ميزان الأدب والنقد، ولا لأنه هو الصورة المثلى للقصيدة الجاهلية، ولا لأنه سبب من أسباب الروعة والجمال في الشعر والقصيد، ولكن إنما يبرره لأنه نهج الجاهليين فحسب.

وهكذا يفهم كثير من النقّاد القدامى النهج الفني للقصيدة، ووحدة القصيدة في الشعر العربي وهو فهم لا يخلو من عصبية وجور.



[يتبع]

(١) زهر الآداب جزء ٣٠ ص١٦

قصة

الصابرون

للاستاذ شكري شعشاعة باشا

كان سالم الربيع لايعرف لدنياه سوى هذه القطعة من الأرض ، يحرثها بذاته إذا جاء موسم الحرث ، ويحصد زرعها بذاته كذلك إذا جاء موسم الحصاد ، ثم ينام فلا يستيقظ إلا على وجه الشتاء .

ولكن حياته الفطرية هذه تلوّنت أخيراً بطارىء لم يلمّ به أو يلمّ بأرضه ، وإنما ألمّ بأرض جاره ، ولم يك ذلك لأنها انتقلت الى يد جديدة على غير توقع ، وإنما كان ذلك لأنها انتقلت الى يد شخص من هؤلاء المدلسين الأعزاء على الظروف ، فهمّه ألا يكون هذا الجار الجديد من أمثاله ، ثم أن تضيع على هذا النحو ارض من العشيرة .

وتعاقبت الأيام وهو يعيش على شيء من التشاؤم . ثم كان يوم فاذا هو يستقبل في بيته رسولاً وجيهاً ينهي اليه رغبة جاره في أن يبتاع منه ارضه . ونحن نصغي فنسمعه يقول لهذا الرسول : —

« لو أني أملك غير هذه الأرض لتقربت بها ، ولكنها دنياي جميعاً ودنيا هؤلاء الأطفال من بعدي . وأحسب صاحبك يقدّر ويعذر » .

ورأى أن يتشاغل فمال الى جراب بين يديه فيه شيء من التبغ ، فجعل منه لفيفة ثم أخذ يدخنها وباله يطوف حول أرضه . إنها ليست بالشيء الذي يباع وأطفاله يعيشون ، هي تراث عريق منذ أيام الفاتحين ، وعليه كما ورثها من أجداده أولئك أن يورثها أبناءه هؤلاء من بعده .

طاف ... عنه ذلك وهو بين يدي محدثه ذاك ...

ذلك ساخراً يضحك في سره من هذا الطمع لايشبع أهله . وكم اضحك الفقر من الغنى شره لا يحس إلا نفسه . !

ونحسب رسول الجار نفسه كان يعيش على شيء أو أشياء من مثل ما كان يعيش عليه سالم ، فقد كان يعرف أن ليس هناك ما يحمي الضعفاء إن شاءوا استمساكاً بحق أو دفاعاً عن حق ، فما يملكون وما يكسبون ينبغي أن يؤول الى هذه الطائفة الرائجة من الناس . ولو كان ذلك من السبل التي لا تعرف الضوء .

كان يعرف هـذا كله ، ويعرف أكثر منه ، كان يعرف روح الشعب الغبية تنام على الفقر والبؤس ، ولاتفكر في حق وتسأل عنه ، ذلك بأنه لم يك بعيداً عن « المسرح » فقد كان له دور يقوم به مع الممثلين حين يمثلون ، ودور مع المصفقين الهاتفين حين يصفقون ويهتفون . وكان له من أجل هذه الشطارة نخر في تخطيط سبل الازدهار في البلد وللبلد .

لسنا نتزيد إذن أو نبالغ حين نتصور أنه كان يضحك في مجلسه ذاك من هذا الفلاح الساذج،ثم من صاحب السعادة موفده ثم من نفسه : يضحك من سالم وقد رآه بما اعتذر يحسب نفسه قادراً على أن يستمسك بأرضه ، ويضحك من صاحب السعادة وقد رأى طمعه في أراضي الضعفاء يكاد يجري في سرعة النور . ويضحك من نفسه ، إنه كالصياد المسخر يلقي بشبكته وهو يعلم أن ليس له من حظ فيما يصطاد .

ومهما يكن من أمر هذا الرسول الوسيط فانما يعنينا أن نقف على جوابه . قال يرد على سالم : —

« إنك لتخطىء أكبر الخطأ برأيك هذا ، بل وتتعب نفسك وتحرمها من حظوظ قد تتاح لك حين تستجيب لرغبة جارك ، فأنت تعلم بصلته ممن تعرف سلطانه،وتعلم بما أعطته هذه الصلة من قدرة على أن يؤلب عليك ، فلا يلقاك الجندي إلا عابساً ، ولا يلقاك الضابط أو يلقاك الحاكم أو أي من الأعوان إلا متجهماً ، فتتعثر خطاك حتى عند شيخ العشيرة وتصبح فلا تستطيع قضاء حاجة من حاجاتك . أما إذ تقبض ثمن أرضك فأنت إذن قادر على أن تعيش كأعز الناس في العشيرة ، وقادر على أن تتزوج في أي وقت تريد ، وممن تشاء من هؤلاء الصبايا ذوات العيون الفاتنـات عندكم ، فما زوجتاك هاتان بشيء . ثم أنت قادر على أن تستبدل بهذا البيت المنهدم بيتاً جديداً ترفع رأسك عنده ، وتدل بهذه البسط والطنافس الجديدة،تبتاعها من المدينة وتبسطها فيه للضيوف .

« ما أنا غير ناصح يريد لك الخير ، فاسمع لما أقول ولا تجعل فرصة العمر تضيع عليك

وبادر فاشتر بثمن الأرض بعض المواليد من الغنم ، واعهد بها الى ولد من أبنائك يرعاها عند أطراف المياه حيث العشب الكثير ، فإذ فعلت ، بلغت أرباحك منها أضعاف ما يأتيك من غلة أرضك هذه التي كانت منذ القرون الوسطى، وما زالت تزرع ولا تستريح .

« ثم لا تنس مزية القربى من جارك الجديد ، فأنت تعلم بأنها شيء عزيز يتمناه الشيخ نفسه ، ولا شيء يمنعك من أن تنال مثل هذا الحظ عنده متى شئت » .

وإذ فرغ مما أراد أن يزين للرجل رآه يرفع رأسه ويتجه اليه بنظره وهو يقول فيما رد عليه :

« سمعت منك ، ولقد كان بي أن آخذ برأيك الى ما ذكرت من هذه الحظوظ الطيبة لو أني استطعت أن أحلها من قلبي محل أرضي على صغرها وقلة جدواها . وما أخفي عليك لقد كنت أصغي اليك وكان في صدري شيء يحدثني معك بما يربطني بها منذ أزمان تتصل بآبائي الاولين ، وإلى أزمان تمضي مع أبنائي الحاضرين ثم تستقبل أحفادي القادمين . وإذا كان لي من رجاء شاكر فانما هو أن توفر عليّ وعليك » .

كان ذلك في عشية من عشيات الغور الحالمة ، وكان قد بقي في نفس سالم الربيع شيء من حديث ضيفه ، فكان يتلفت نحو هذا الشيء بأفكاره يرسلها تحوم حائرة كالطير ضلت أوكارها ، وكلما تقدمت العشية واشتد الغسق ، هاجها الشوق إلى الاتجاه الصحيح.

ولكن الماضي لا يتركنا أبداً ، فنحن حين تحز بنا الأيام أو نقف على مفرق الطريق نراه ينبعث في خواطرنا حيّا ومن تلقاء نفسه ، فيتمثل لنا سعيداً أو شقيّا ، ويتحدث الينا محرضاً أو منذراً ، وكالأطياف على الشاشة البيضاء نشهده يتحرك في مواكبه المثيرة .

واستطاع سالم في ليلته تلك أن يرى آباءه الماضين ، وأن يعايشهم فيتحدث اليهم ويتحدثون اليه ، ويفهم عنهم ويفهمون عنه ، وان يتحسس منهم ذلك العيش الذي كانوا يعيشون عليه ، فيجده على بساطته تلك كان وديعاً راضياً مطمئناً ، وليس فيه هذا القلق الذي يعيش عليه الناس في يومه . وما أوهن الليل إلاّ قليلاً حتى كان قد عاد الى نفسه مل هدى الأشباح.

وتمضي الأيام فاذا صاحب السعادة وعقيلته ينزلان على شيخ العشيرة ضيفين عزيزين ، وإذ يجيء أوان الطعام وتبسط المائدة السخية لا يمدان اليها يداً وانما يعلنان أن لهما حاجة عرضت ، وإن قضاءها عند الشيخ ، فإن هو فعل ، اكلا من طعامه وشكرا له صنيعه.

ولم يكن للشيخ من سبيل إلاّ أن يستدعي سالماً ، وإلا أن يطلعه على ما كان ثم

يطلب اليه أن يمتثل فيلبي رغبة ضيفه ، ولكن الرجل كان قد ركب رأسه فلم يذعن أو يقدر موقف الشيخ فأغضبه أشد الغضب ، وكان إن تمرض لاقح الكلام وألدّ الخصومة ، ثم لم يجد الشيخ لنفسه مخرجاً إلاّ أن يعلن ضمانه لما يريد ضيفه .

على هذا كان علاج الموقف ، فلا هو صار الي اليأس القاطع ، ولا إلى الأمل المطمئن المستبشر . ومع ذلك فعند ما غادر الضيفان مكانهما ، كانا قد وضعا صرة من النقود تحت حشية كانت تجلس عليها العقيلة .

ولكن الأيام تمضي على ما كان ولا يصل من الشيخ نبأ ، فيسوء فيه الظن ثم يفد عليه من يقول : « نسيت العقيلة عندكم صرة من النقود » فتؤدي اليه وينصرف .

هنا ظن الشيخ وظن سالم الربيع ، بل لقد ظنت العشيرة أن الأمر قد انتهى عند حده ذاك ، لولا ما حدث من بعد ، فلقد سمع الناس أن شجاراً عنيفاً قام بين سالم الربيع وعامل من أعوان صاحب السعادة ، وسمعوا أن الأول منهما اعتبر مذنباً معتدياً ، واعتبرت كلمات عزيت اليه وعيداً وتهديداً ، وإن قانون منع الجرائم جاء فنطق بسجنه.

كل زمان ينقضي وإن طال كما انقضت مدة صاحبنا في السجن ، غير أن شيئاً من الأثر القليل أو الكثير يبقى في النفس ، وقد يتغلغل في أعماقها من كل ما يرى الانسان في دنياه من خير أو شر ، من نصفة أو جور . ولعل حكمنا على الأشياء أو تلقينا لصور الأشياء يتكيف ويصطبغ بألوان هذه الرواسب في أعماق نفوسنا .

ومهما يكن من أمر سجنه طويلاً كان أو قصيراً ، فنحن نستقبل معه فصلاً آخر ، وفي هذا الفصل نراه وقد نسبت اليه أقوال أخرى يذيعها بين الناس وتخل بالأمن الداخلي ، وليس غير قانون النفي والابعاد يتولى أمره ، فنسمع أنه اعتقل ثم نسمع أنه نفي الى مكان في أقصى الاقليم .

كان موسم الزراعة قد جاء . ولكن أين هو من أرضه ؟ وكان قد اشتد العوز على عيلته ، ولكن أين هو منها ؟ ثم انقضى الشتاء بلياليه وأطيافه وأحلامه ، وما كان للرجل إلاّ أن يذعن فيعود الى أهله ، ولقد فعل فاستجاب فعاد ، ولكن كما يعود الطريد يتقي الكلام ويلتف بالصمت . ثم تلتفت العشيرة في الغداة فلا تجد لسالم الربيع ولا لبينه من أثر غير الاطلال .

نظرات في النفس والحياة



— ٢٩ —

تابع نظرات السير أرثر هلبس

للأستاذ ع . ش

(٢٥) انك قلما ترضى رجليك إذا مدحت كلاً منهما مدحاً مساوياً لمدحك الآخر بلا فرق ولا تمييز لأن طالب المدح انما يريده كي تكون له ميزة على غيره .

(٢٦) كما أن بعض الناس يرغب في الرذائل لأن سبيلها سهل موطأ فكذلك يرغب آخرون فيها بسبب العوائق التي تعترض سبيلهم فتشهيهم مكافحة العوائق وتجعلها محبوبة لديهم .

(٢٧) قد يحترم الناس الرجل الذي يدوس عواطفهم ويؤلم احساساتهم إذا وجدوا أنه لا يتحرج من يدوس عواطف نفسه وان يؤلم إحساساتها. أما الرجل الذي يؤلم إحساسات غيره كي يرضي إحساسات نفسه وعجبها فانه لاينال إلا المقت والاحتقار في صميم نفوس الناس، ولو أن بعض المعجبين يستهوون الناس بعجبهم وغرورهم فيخضع لهم الناس فترة طالت أم قصرت .

(٢٨) كثيراً ما يكون احترام المحب للمحبوب من رماد الحب بعد فنائه وكثيراً ما يلتجيء اليه المحب الذي فنى حبه كي يخفي به فناء الحب فيحسب الناس دليلاً عليه لما قد يجدون منه في الحب ولكنه قد يكون من ندم المحب إذا فنى حبه .

(٢٩) من الخطأ أن يقال إن الانسان لا يستطيع أن يعرف نقائص نفسه فانه كثيراً مايعرفها ولكنه يسميها اسماء أخرى خداعاً للناس وتضليلاً لهم ولنفسه وهو يعوضهم عن ذلك الخداع المضلل بأن يبادر بتسميتها بأسمائها الحقيقية إذا لاحت له في غيره، أو إذا حسب أنها لاحت له . أو إذا اتهم بها غيره بحق أو بغير حق .

(٣٠) لا تحسب ان المصيبة تمحق كبر الرجل المتكبر إذا حلت به بل إن كبره لا يزال به موجوداً وقد يتخذ أشكالاً وألواناً أخرى وينتهز فرصة لاستعادة شكله الاول .

(٣١) لقد صدق باسكال العالم الرياضي الفرنسي إذ قال اننا نعطف على من كان به اعوجاج في قدمه بسبب عاهة ولكننا لا نعطف على من كان به اعوجاج من فكره، لأن الاول لا بد أن يعترف إذا مشى باعوجاج قدمه أما الثاني فانه ينكر اعوجاج فكره ويحاول أن يثبت اننا على اعوجاج في الفكر — ومع صحة رأي باسكال ينبغي ان لا نعنف مع صاحب الرأي المعوج وان نعطف عليه وان نعتقد أن ذلك من آفة في عقله كآفة القدم المعوجة أو كآفة الصمم أو البكم وان نتذكر اننا أيضاً كثيراً ما يدفعنا التحيز والتشيع إلى الحكم بالباطل فيظهر اعوجاج فكرنا بالتحيز أو العاطفة وان كنا نأبه له.

(٣٢) إن للفكر أخذة ومن أجل ذلك صار العلماء حتى الأفاضل منهم لا يتحرجون من تضليل قرائهم وتضليل نفوسهم كي يثبتوا صواب فكرهم في أثناء بحثهم إما من شغفهم باثباته وإما النيل المدح من الناس ولكن سوء استعمال القوة الفكرية مكروه مثل سوء استعمال القوة البدنية وهم إذا وصلوا بعد ذلك إلى الصواب فهذا الصواب يكون مثل المهالك التي نزورها في الأحلام وقد نعرف أننا في أحلام إذا فكرنا في طريق الرحلة اليها (وهذا كما في قصة الباحثين عن المكروب) وإذا كان هذا شأن العلماء الأفاضل في البحث العلمي فهو أحرى أن يكون شأن الناس عامة في حياتهم اليومية .

(٣٣) إن أهل الاستكانة تعوزهم الجرأة على طلب حقهم فاذا لم تقم أنت لهم بكل حقهم ركبت الشطط في معاملتهم وسهل عليك الظلم واغتصاب حقوق الناس والرغبة في استثمار جهودهم بأقل مما يقتضيه العدل إذ قد تعد استكانتهم دليلاً على نيل ما يستحقون، ولا أمر يتلف صحة رأي المرء في العدل مثل العيش بين اهل الاستكانة فاذا عاش بين غيرهم بعد ذلك ظهر ظلمه ودهش لظهور ظلم لم يكن يعتده ظلماً .

(٣٤) يقولون إن الكذب لا يصدق ولا يقبل لأنه لا أساس له ولا قوة فيه ولكن لكل كذبة وقت وميعاد وهوى في النفوس ولا يمنع من تصديقها أنها لا أساس لها وقد تكون لها قوة شر كبيرة مستمدة من قوة من يؤمن بها — : (وهذا يذكرنا قول ثاكري إن الكذب قد يكون أصغر من النقطة ولكنها مع ذلك كالنقطة السائرة التي تحتل مكاناً كبيراً وترسم خطاً طويلاً) .

(٣٥) قد يكون اليأس كالنوم يجدد قوى النفس والفكر ولكنه إذا صار عادة ونيراً أصبح هللاً لهما .

(٣٦) كثيراً ما يؤدي الندم إلى اليأس من أداء الخير مع أن المفروض انه ينبغي ان

يؤدي إلى معاودته والتزامه وإنما يؤدي إلى اليأس من أداء الخير لأنه يحسب أن ما جناه من الشر دليل على حياته كلها فيكون مثله مثل من يدع النقطة من السائل الأسود تغطي على جميع ثوبه بدلاً من تلافيها من أول سقوطها ، أو كمن يجد صخرة في النهر أو عكارة في نقطة في جزء من الماء فيحسب أنها تدل على الماء كله .

(٣٧) إذا أردت أن تفهم عصرك فاقرأ ما يكتب فيه من القصص فان المرء كثيراً ما يريد أن يخفر نفسه في نفس القاص كي يتمادى في وصف الرذائل وصفاً مغرياً يحببها إلى الناس وهو يزعم أنه ينهاهم عنها .

(٣٨) قد توضح حياة المرء ما التبس في قوله فهوبز الفيلسوف الانجليزي الذي زعم أن الدولة هي كل شيء وان الناس إذ أنشأوا الحكومات أسلموا لها كل حق قد اعترف للورد كلارندون أنه إنما فعل ذلك كي يتحبب الى الحكومة فتسمح له بالعودة من منفاه وربدولفي قد نشر رسائل لماكيافيلي يستعطف فيها بعض الأمراء ويشكو اليهم سوء حاله ويقول فيها إن مبادىء الطغيان التي ذكرها في كتابه (الأمير) إنما ذكرها تزكية لأعمالهم في الحكم وانه من أجل ذلك يستحق أن يعان على أمره بالمال كصدقة وقد زعم كتّاب آخرون أن هؤلاء الكتّاب إنما هالهم انقسام الآراء فرأوا أن للأمراء الحق في توحيدها صيانة للأمن وجلداً للوحدة بأية وسيلة حتى الوسائل العنيفة الشديدة (وذلك هو ما زعم ماكولي في رسالته عن ماكيافيلي) — وربما كان الدافعان موجودين في نفس القائل عند قوله ما ذكر .

(٣٩) إن من قلة العقل أن يرفض المرء كل لطف أو عطف وأن يسيء به الظن لأنه لا يعرف سببه والباعث له فانه يكون كمن يرفض ماء النهر لأنه لا يعرف منابعه .

(٤٠) بعض القواعد الأساسية في الشرائع لا يعمل بها الناس في حياتهم ومعاشرتهم بعضهم لبعض فالمبدأ الذي ينص على أن كل متهم بريء حتى تثبت إدانته لا يعمل به الناس وكذلك المبدأ الذي يشرع أن الشك ينبغي أن يجعل في مصلحة المتهم لا يأخذ به الناس في حياتهم الخاصة فينشأ عن ذلك قلة التسامح ولو عملوا بهما كانوا أقرب إلى التقوى والعدل والتدين

(٤١) لقد صدق جوتا إذ قال في قصة فوست (إن الذي يصمم على أن يعد غير مخطىء إذا كان ذا لسان ذرب وذلك لأن الطلاقة والمهارة في الكلام قد تهزم قوى ملكات العقل .

(٤٢) إن عمل الشر لا يتوقف على كبر شأن صاحبه ومع ذلك فان الناس كثيراً ما يظنون ان الرجل الحقير لا يستطيع عمل شر كثير حتى وهم متأثرون بما يقول أو ما يصنع من الشر .



تطور الموسيقى في سورية

خلال نصف قرن

— ٢ —

للاستاذ ميشيل الله ويردي

قلنا في مقتطف الشهر الماضي ان طبقة خاصة في بلادنا كانت تتمتع بسماع الموسيقى الجيدة ، ومن أشهر المولعين بها المرحوم محمود البارودي ، فقد كانت داره تغص كل ليلة بالموسيقيين ، كالمرحومين عمر الجرّاح وعبد الله أبي حرب ، ورشيد عرفه ، ومحمود الكحال ، ومحمد الجراح الذي كان أول كمنجاتي مسلم بدمشق وقد كان لهذه الحال تأثير خاص في ولده فخري بك ، فنشأ مغرماً بالموسيقى ، راغباً في نشرها وترقيتها ، وهو أول من أدخل الأناشيد الوطنية على الموسيقى في سورية ، فنظم سنة ١٩١٢ « الى الحرب الى الحرب » ونظم في سنة ١٩١٤ « نحن جند الله شبان البلاد » ومن أغرب الأخبار عن تأثير هذا النشيد ان جمال باشا دعا رجال دمشق الى حفلة في النادي العربي نخطبهم وضرب على وتر العروبة فاهتزت نفوس الشبان وأنشدوا نحن جند الله ، فكانت النتيجة تسريح ضباط المدرسة الحربية بدمشق وارسالهم الى قطعات الجمالة في البادية بدلاً من الاعتماد عليهم في الجبهات ، وقد أثبت جمال هذه القصة في مذكراته ، إذ قال : « لما ضربت على وتر العروبة تحرك الشبان وأنشدوا نشيداً حماسيًّا دل على الاحساسات العربية الكامنة في صدورهم ، ومن شدة الحماسة والتصفيق ، خلت ان سقف النادي أطبق على رأسي ، فأمرت بتسريح ضباط الدورة الأولى خريجي المدرسة الحربية » وتم تسريحهم فعلاً صباح الحفلة . أما البارودي الذي كان السبب فيما جرى فقد أخذ جزاء عمله ، تكديراً واضطهاداً من السلطة الحاكمة ، وذمًّا وهزءاً من جماعة الناقين ، بيد أنه لم يثن عن عزمه ، ومما قطعه على نفسه من عهد بنشر الموسيقى وتعزيزها . فلما انتهت الحرب العالمية الأولى ، وتأسست في دمشق حكومة عربية ، نظم فخري بك أناشيد وطنية سارت على كل شفة ولسان ، نذكر منها « بلاد العرب أوطاني » و« أنت سورية بلادي » و« سورية يامهد السلام » واعتبر هذا الأخير

نشيداً وطنيـًّا في عهد المغفور له الملك فيصل الأول وهو من تلحين الأستاذ متري المرّ وقد طبعه بالنوتـة مع كثير من الألحـان ، فمنها ما هو حماسي مفرح ومنهـا ما هو شجي محزن .

وفي خلال هذه المدة أدخل الأستاذ عمر الزعني الأناشيد الشعبية على الموسيقى العربية وأكثرها يهدف الى النقد والاصلاح ، نذكر منها « حاسب يا فرنك » التي كان لها أثر فعّـال في تهيئة الأفكار الى فك ارتباط نقدنا به ، وقد تبعه كثيرون في هذا الميدان .

ولعلّ أهم حدث في تاريخنا الموسيقى هو نجاح الحركة التي قام بها فخري بك البارودي لانشاء معهد للموسيقى بدمشق ، فقد دعا الى داره في سنة ١٩٠٩ نحو مئة ذات من شباب هذا البلد ومفكريه بعد أن تحدث اليهم مليـًّا ، ولكن أكثرهم لم يلب الدعوة فأدرك ان الوقت لم يكن قد حان ، ولكنه ظل دائباً حتى تمكن من جمع الهواة في دمشق ، فأسسوا تحت اشرافه نادي الموسيقى السوري سنة ١٩٢٨ . وما زالت أخباره وأعماله حديث الموسيقيين ، فقد بث تأسيسه نهضة فنية تذكر ، وأقبل كثيرون على تعلم النوتة والأنغام والأصول وشراء المؤلفات والألحان من مصر وتركيا ، وقد أحيا ذلك النادي بضع حفلات راقية أولاها على مدرج الجامعةالسورية في أوائل سنة ١٩٣٠ فافتتحتها بكلمة طلبت فيها الى الحكومة أن تخصص للنادي أرضاً ومالاً حتى يثبت ويتحول الى معهد عال كما جرى في القاهرة ، ولكن حكومة ذلك العهد قصرت وأخلفت ، ولو فعلت لكان عندنا اليوم معهد نفاخر به وأساتذة متخصصون تحتاج اليهم محطة الاذاعة والمدارس السورية .

وعلى أثر تلك الحركات ، تنبهت وزارة المعارف فأدخلت تعليم الموسيقى على هامش المنهاج الابتدائي وقلنا على الهامش ان التعليم الموسيقي في بلادنا ما زال يسير بشكل غير جدي فلا درجات تعطى على دروسها ، ولا مفتش لها ولا محسين يدخل عليها ، فالتلاميذ يتلقون مبادئها بصورة شبه رمزية ، حتى ان جميع ما بذل من نفقات لهذه الغاية لم يأت بأية نتيجة عملية ، ولعلّ المعارف لحظت أن مدارسها لم تنجب موسيقيـًّا واحداً لامعاً ، فأخذت تهمل هذا الفن سنة بعد سنة بدلا من الاهتمام به ، والعلاج أن يكتفي في المدارس الابتدائية بتعليم الأناشيد الوطنية والأخلاقية ، وان تنقل بقية نفقات الموسيقى لتأسيس مدرستين ابتدائيتين تختصان بتعليم أصحاب الموهبة مع تأسيس معهد عال يجمع أساتذة هـذا الفن مع الهواة لاستكمال ثقافتهم نظريـًّا وعمليـًّا عندئذ تنجب بلادنا نوابغ ينهضون بالموسيقى ويساهمون في توحيد نهضتها عالميـًّا ، فتلمس أمتنا خطورة الفوائد التي تجتنى من الاهتمام

بالنواحي الفنيـة ، لأن الفن مقياس رقي الأمم ويسرنا أن نسجل بارتياح وتقدير ان الحكومة الحاضرة وافقت على تأسيس معهد للموسيقى تابع لوزارة المعارف الجليلة ، لأنها أدركت ان الموسيقى عامـل هام في برامج الاذاعـة فهي تجتذب المستمعين الى المحطة التي تضم نجوماً لامعة وتأتي بألحان جميلة ولا يخفى ان محطات أجنبيـة كثيرة شرعت في تخصيص اجزاء من برامجها للموسيقى الشرقية ونشر الدعايات باللغة العربية . وغني عن البيان إن ما يبثه الفن في النفوس من رقة وتهذيب ونظام يتناول كل ناحية من حياة الفرد والمجتمع ، فالأمة الراقيـة فنـاً تنظم شوارعها ومساكنها ، وتعنى بنظافة ملبسها ومأكلها ، حتى يتناول الفن والنظام كل عمل وصناعة ، يصل الى أساليب الحديث والمعاملات فتصبح تلك الأمة محبوبة محترمة ، لأن الفن رابطة تؤلف بين الشعوب كما تؤلف بين الأفراد ، فاذا قويت تغلـبت على الأطماع والأهواء .

ولعلّ أهم تطور حدث في تاريخ موسيقى الشرق ، هو عقد مؤتمر الموسيقى العربية في القاهرة منـذ ثماني عشرة سنة ، بفضل جهاد معهدها الملـكي ، فضم ذلك المؤتمر الاول من نوعه نخبـة ممتازة من علماء الموسيقى الشرقيـة ، من عرب وأجانب ، وطبع خلاصة أعماله في كتاب كبير حوى تقريراً هامـاً للمستشرق الدكتور هنري جورج فارمر ، وكم نود أن يتكرر عقد هـذا المؤتمر في البلاد العربية حتى تتحقق الغاية المنشودة منه ، وقد أوفدت سورية اليه بعثة من العازفين لم يتسن لأحد من أفرادها أن يشترك بالبحوث الفنية ، ولم يغب ذلك عن البارودي نصير الموسيقى ، فتوسط لدى وزارة المعارف لايفاد الشيخ علي الدرويش على رأس البعثة ، فرفضت وساطته لأسباب حزبيـة ، ولكن المرحوم البارون درلانجه أمين سر المؤتمر وهو الذي أسدى الى الموسيقى العربية يداً بيضاء بترجمـة كتبها القديمة الى الفرنسية دعا عليـاً وأنابه عنه ، فاشترك بلجنتي الأصول والمقامات وأنجز جزءاً هامـاً من الأعمال.

ولئن كان ذلك المؤتمر الخطير قد قصر في أهم غاياته كتقرير السلم وضبط الانغام بأسلوب علمي مقنع ، الا أن الفضل يعود اليه في بعث النهضـة الفنية في البلاد العربيـة واستثارة همم أبنائها الى البحث في العلوم الموسيقيـة ، فتأسست أندية كثيرة تستحق التنشيط والتقدير ، وان كانت عاجزة عن السير بالفن الشرقي كما ينبغي لضعف مواردها ، وصدرت مجلات وكتب في مصر وسورية وكان لدمشق القدح المعلى في هذا المضمار ، كما أثبتت شهادات العلماء والجامعات ، وأهم المؤتمرات والمؤسسات ، بيد أن انتاج دمشق لم يؤت ثماره بعد ، لأنه يحتـاج الى اهتمام ومال ، حتى يترجم وينشر على العالم ، ولسوف

يؤدي البحث العميق فيه الى ابتكار آلات جديدة والى معرفة تطور المادة من صورة الى صورة ، والى مداواة اكثر الأمراض بطريقة لا تخطىء ، لأن المرض خلل يطرأ على سلسلة التناسب الموسيقي ، التي بنى عليها كل عضو في الجسد ، فيداوي بتناسب يقومه في كل ما يؤثر في الحواس ، من أصوات وألوان وروائح وأدوية وغيرها ، فالموسيقى اذن مقبلة على تطور عظيم وسمت أسسه دمشق ، عندئذ يدرك الناس أن اتفاقهم على نظريات هـذا الفن وتطبيقها عمليـًا ، انما هو فاتحة لاتفاقهم على كل قضيـة اخرى تسبب خلافاً بين الأمم اعني أن الاتفاق على توحيد لغة الموسيقى هو الدرجة الأولى في سلم السلام ، ولئن دعي القرن الثامن عشر عصر البخار والتاسع عشر عصر الكهرباء والعشرون عصر الذرة ، فان القرن الحادي والعشرين سيدعى عصر الموسيقى ، وكفى بهـذا الشرح الموجز دليلاً على عظمتها وضرورة الاهتمام بها ، فهي ليست ترديد أصوات أو نقراً على أوتار ، بل هي بحر من العلوم يزخر بأعظم الفوائد .

والخلاصة أن التطور الذي طرأ على الموسيقى في سورية خلال نصف قرن ، ظاهر بوضوح لكل من يقابل بين حالها الحاضرة وحالها السابقـة ، هـذا التطور وان كان بطيئاً وقليل الأهمية من الجهة العمليـة ، ومن جهة رقي التلحين ، وتعدد الآلات ، وتلوين الألحـان بمزج الأصوات ، إلاّ أنه عظيم جداً من جهـة العلم والنظريات ، ولايخفى ان كل بناء عظيم كان قبل تشييده تصميماً هندسيـًا أي فكرة فنية مرسومة على الورق.

ورجائي ان اكون قد وفقت بهذا البحث الى أداء واجب قومي، عهدت اليّ به ادارة هذه الحطـة التي أتمنى لها في خدمة الموسيقى كل نجاح وازدهار لأن الموسيقى الصحيحـة لغة عالمية تعجز كل لغة عن مجاراتها في التأثير وبعث الهدوء في النفوس ، وما ضر أية لغة اذا نشرت بها مؤلفات غاية في الهون والاسفاف ؟ أليس لكل لغـة خزانة تضم مؤلفات غاية في الروعة والابداع ؟ فما علينا اذن إلا أن نعزز موسيقانا ونتخذ منها وسيلة للسمو وخدمة للروح وتقريب الأذواق ، بدلاً من ان نجعلها وسيلة للخلاعة والهـذر والمجون ، وهكذا تنحصر الحرب المشنونة عليها بمقاومة الاسفاف والابتذال ، وتنصرف الهمم في جميع الاقطار العربية الى تعزيز هـذا الفن بالابداع والانتاج ، وقد صور ذلك شاعر القطرين المرحوم خليل مطران بقوله : —

نحبّ من الانشـاد كل مكرر بلحن جود الفكر من مستفاده
ونبو بنا الآذان عن مستجدّه فكل عتيق ، فهو من مستجاده
بنا حاجة النسر المهيض جناحه الى جوّه العـالي ورحب مراده

قصيدة

ولدي



للأستاذ عدنان مردم بك

أرعاك بالقلب الذي ... لك عنده ما يؤثر

وأراك بالعين التي ... بك تستنير وتبصر

وأقيك عادية الأذى ... مما تخاف وتحذر

ولدي وأنت على الزمان ... ليَّ السراج النيّر

لك من حنانيَّ ما يضيق ... الوصف عنه ويقصر

أخفي هواك محاولاً ... كتمان ما أنا أستر

فينم دمعي بالذي ... كتم اللسان ويخبر

أيعيبني ما رحت أبدي ... من هواك وأظهر

وبك المنى صالحتها ... وبلغت ما أتصور

لما هششت مصفقاً ... وعطفت نحوي تنظر

أيقظت ملء أضالعي ... فتن المنى تتسعر

وهززت مني خافقاً ... من رحمة يتفطر

وأسلت من عيني الحنان ... مدامعاً تتحدر

أجد الحياة على القذى ... بك تستطاب وتؤثر

ومصائبٍ متطفلٍ ... فيها يشير ويؤمر

تجد النصيحة للأذى ... سبباً فراح يشهر

فعذرته من رحمة ... إن الأبوة تعذر

ولدي وهل شيء أعز ... عليّ منك وأكثر

وأكون أنت وما سواك ... زيادة لا تذكر

يصفو الزمان إذا ابتسمت ... بناظريَّ ويثمر

وإذا شكوت فكل ما ... حولي جديب مقفر

تحلو السماء ببدرها ... للناظرين وتسحر

ما يهمك أن تعرف عن : —

العناصر المعدنية

ماهيتها وخواصها في جسم الانسان



للأستاذ اسبيرو جبري

« قبل البدء في تعريف فوائد العناصر المعدنية الموجودة في جسم الانسان يحسن بنا أن نعرّف الانسان نفسه تعريفاً شاملاً فنقول : »

﴿خلق الانسان﴾ « في البدء خلق الله السماوات والارض » هذه أول آية استهل بها الفصل الاول من سفر التكوين ، وهو السفر الاول من أسفار الكتاب المقدس . وبعد هذا يبدأ في تفصيل خلق الخليقة الى أن يصل الى العدد السابع والعشرين من الفصل نفسه فيقول : —

« فخلق الله الانسان على صورته ، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى » .

وليس بين قراء المقتطف من يجهل هذه الحقيقة ، أو من لا يؤمن بأن الرب الاله جبل الانسان تراباً من الارض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار الانسان نفساً حية [1]

وجاء في القرآن الكريم ما نصه : —

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً . ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » [2] . — وجاء أيضاً ما نصه : —

« يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى [3]

﴿تعريف الانسان﴾ عرّف القاموس الانسان بقوله : هو الحيوان الناطق وهو اسم جنس يطلق على آدم وعلى كل من ذريته ذكراً كان أو أنثى » .

(١) سفر التكوين ٢ : ٧ (٢) سورة « المؤمنون » الآيات ١١ — ١٣ (٣ سورة « الحج » الآية ٤

وقيل إن كلمة الانسان آتيـة من النسيان وهو مذهب الكوفيين أيام كانت المناظرة اللغوية بينهم وبين البصريين في صدر الاسلام ولذلك قال شاعرهم : —

ولا تنس هاتيك العهود فانمـا سميت انســاناً لأنك ناس

ولـكن هـذا تمحل والأصح إنها من الانس على مذهب البصريين صفة مشبهة باسم الفاعل صيغة فعلان وهي انسان بمعنى آنس اشارة الى انسه طبعاً بعضه ببعض .

والانسان مخلوق من مخلوقات الله الحية وهو أكملها جسداً ونفساً . وفي هـذا يقول ابن عربي « الانسان يجمع في نفسه صورة الله وصورة العالم وهو وحده الذي تتجلى فيه الذات الالهية بكل الصفات والأسماء ، وهو المرآة التي تنكشف لله فيها ذاته ، ونحن أنفسنا الصفات التي نصف بها الله ، ووجودنا ما هو الا تحقيق وجوده . . . »

﴿ الانسان انساناً ﴾ يتميز الانسان عن غيره من الحيوان بنطقه وعقله ومعرفته الخير والشر ، مع دوام صلة المعرفة والعاطفة والحنان متبادلة بينه وبين أهله وأقاربه واخوانه ، بعكس الحيوان الذي يعرف صغيره الى أن يكبر ويتساويا فيصير كل منهما ينظر الى الآخر كنظره الى كل حيوان وتفقد تلك الصلة والعاطفة والحنان بينهما .

كما أنه يعترف بوجود قوة الهية خالقة ويقر بحياة له بالروح غير هذه الحياة الدنيا ، وان نفسه هي غير نفس الحيوان الذي لا يعرف من هذه الحياة إلا تنازع البقاء وبقاء الجنس .

أما قول سليمان الحكيم ليس للانسان فضل على البهيمة [1] فهو يعني الناحية الحيوانية في الانسان . وأما عندما يقصد نفس الانسان يقول : « من يرى روح بني البشر الذي يصعد الى العلاء وروح البهيمـة الذي ينزل الى أسفل الى الأرض [2] » وكذلك قوله : « نسمة البشر سراج الرب » [3] أي نفس الانسان قبس ينير عن وجود الله وأعماله ، ولذا دعي الانسان بأنه تاج مخلوقات الله المتسلط على كل أعماله .

﴿ الانسان حيواناً ﴾ الانسان حيوان يخضع لكل نواميس الحياة الحيوانية والنباتية ولا يفرق عنها بشيء ، فهو يولد ويتوالد ويغتذي وينمو ويعطف ويغضب ويتجنب الخطر ويتألم ويمرض ويهزل ثم يتلاشى ويصبح أثراً بعد عين وذكرى بعد حقيقة ، غير كاسب لذاته من هذه الدنيا سوى غذائه . ثم يغدو هو نفسه غذاء لغيره من عالمي الحياة وهما الحيوان والنبات .

وفي هذا المعنى يقول العالم الفرنسوي لافوازيه : إن الطبيعـة تحتفظ بكل ذرة من ذراتنا ، ومختبرها العجيب يحوّل كل شيء فيها . فمواد اسلافنا نتناولها بغذائنا ، وموادنا

---

(١) سفر الجامعة ٣ : ١٩ (٢) سفر الجامعة ٣ : ٢١ (٣) سفر الامثال ٢٠ : ٢٧

نحن سيتناولها أخلافنا بغذائهم وهكذا الى ما شاء الله . .

وفي الحرب العالمية الأخيرة كان الألمان يحرقون جثث الموتى ويأخذون الرماد المتخلف عنها ، ويستعملونه في تسميد الأراضي الزراعية . ورحم الله أبا العلاء حيث يقول : —

خفف الوطء ما أظن أديم ال أرض الا من هـذه الأجساد

يزول الانسان ثم يموت فتصعد تلك النسمة الحية الى خالقها ومبدعها لكي يحاسبها على أعمالها التي تكون قد اقترفتها على الأرض ، إن خيراً فخير وإن شرًّا فشر ، وهو ما نسميه بالثواب والعقاب . أما الجسم فيدفن ثم يبلى وتتحلل جميع عناصره وتعود الى الأرض التي أخذ منها ، لأنه تراب والى التراب يعود [1].

يعود الانسان الى أمه الأرض التي تحنو عليه وتضمه اليها . وإذا جردناه من مواهبه العقلية ، فلا يبقى الا هيكل عظمي التفت عليه أعصاب وعروق وعضلات لا تساوي كلها الا بضعة دريهمات قليلة .

﴿ جسم الانسان ﴾ تتركب نُسُج جسم الانسان من عدة عناصر مختلفة أهمها ستة عناصر وهي : — الكربون والايدروجين والاكسجين والنتروجين والكالسيوم والفصفور وهي العناصر التى تتركب منها معظم الأغذية ومجموعها ٩٩ ./ من وزن الجسم.

فالأربعة عناصر الأولى وهي الكربون والايدروجين والاكسجين والنتروجين توجد على هيئة مركبات عضوية تعرف بالبروتينات « زلاليات » ومنها تتكون جميع نسج الجسم، ولا تخلو منها أجسام النبات والحيوان — ويوجد الايدروجين والاكسجين متحدين في الماء الذي يكوّن الجزء الأكبر من وزن الجسم ، فاذا أخذت جسم الانسان جملة واحدة كان الماء فيه ٦٧ ./.

ولا بد للجسم من المواد الزلالية . فاما أن يكوّنها بنفسه أو أن يستمدها من الأطعمة التي يتناولها ويتغذى بها . والمعروف أن انتاجها بنفسه متعذر عليه ، وإذن فلا بدّ منها في غذائنا . وعليه لا بد أن نتناول في طعامنا مقداراً كافياً من الزلاليات وإلاّ هلكنا جوعاً مهما نتناول من الأصناف الأخرى ، لأن الجسم يحتاج الى الزلاليات للقيام بعمله ، وبوجه خاص العضلات والدم . فالعضلات والدم تفقد في قيامها بأعمال الحياة جانباً كبيراً من المواد التي تتركب منها ، فاذا لم نعوضها ما تفقده ضعفت . فالطعام المحتوي على المواد الزلالية ضروري جدًّا للجسم الحي .

(١) سفر التكوين ٣ : ١٩ — وسفر الجامعة ٣ : ٢

وقد نحصل على هذه المواد في أشكال مختلفة ، من الأغذية النباتية والحيوانية . فهي في اللحوم ندعى « ميوسين » وفي البيض « البومين » (زلال البيض) وفي اللبن الحليب « كازين » وفي الحنطة « غلوتين » وفي الفول والعدس وما أشبه « لغيومين » . ومع أن هذه المواد مختلفة الأسماء باختلاف مصادرها الا أنها متشابهة في تزويدها الجسم بما يحتاج اليه من الزلاليات لتجديد النسج وتعويضها مما تفقده منها .

ويجدر بنا أن نشير هنا بأنه مهما يتناول الانسان في طعامه من الزلاليات المستمدة من المملكة النباتية فلا يمكن له أن يستغنى بها عن الزلاليات المستمدة من الحيوان ، لأن في الأخيرة مركبات ضرورية للجسم غير موجودة في زلاليات النبات .

وهناك بجانب العناصر الستة المذكورة آنفاً عشرة عناصر مهمة أخرى فيكون مجموع العناصر التي يتركب منها جسم الانسان ستة عشر عنصراً . وهي العناصر عينها التي توجد في التربة الزراعية والنبات والحيوان أيضاً وانه لا يوجد كائن حي سواء أكان نباتاً أم حيواناً لا يتركب جسمه من هذه العناصر الستة عشرة التي سنفصلها فيما يلي لأن الانسان والحيوان يتغذيان بالنبات ، والنبات يعتمد في غذائه على الهواء والتربة .

ونذكر في الجدول التالي نسبة أهم ما في الجسم من هذه العناصر : —

العنصر	النسبة	العنصر	النسبة
الاكسجين	٠٣ ر ٦٣ ٪	الفلور	١٤ ر ٠ ٪
الكربون	٢٠ ر ٢٠ ٪	الكبريت	١٤ ر ٠ ٪
الايدروجين	٩٠ ر ٩ ٪	البوتاسيوم	١١ ر ٠ ٪
النتروجين	٥٠ ر ٢ ٪	الصوديوم	١٠ ر ٠ ٪
الكلسيوم	٤٥ ر ٢ ٪	المغنسيوم	٠٧ ر ٠ ٪
الفصفور	٠١ ر ١ ٪	الحديد	٠١ ر ٠ ٪
الكلور	١٦ ر ٠ ٪		

أما اليود والنحاس والرصاص فمقاديرها في جسم الانسان أقل من ذلك كثيراً .

والأغذية التي يتناولها الانسان في طعامه تحتوي على مقادير مناسبة من هذه العناصر وهي لازمة للصحة والنمو وبدونها لا يؤدي الجسم وظائفه الفسيولوجية على وجه سليم ، وستكون هذه العناصر موضوع بحثنا التالي في معرفة منافعها وخواصها في جسم الانسان ، وتعيين الأطعمة الزاخرة بهذه العناصر .

نحن واللغة العربية

— ٣ —

اللغة العربية في العصر الحاضر : ١ . [في مصر]



للأستاذ مصطفى الشهابي

حل القرن العشرون فبدأت أرواح النهضة الحديثة تنوّر وتثمر . وكانت مصر في أوائل هذا القرن محط رجال الكتّاب والأدباء ورجال الصحافة . وما برحت مصر قلب العالم العربي وأهم معقل للغة العربية . وأسباب ذلك انها انفصلت عن الدولة العثمانية قبل غيرها ، وأن فيها الأزهر ، وأنها غنية ، وأن سكانها يبلغون ستة عشر مليوناً ، وأنها أخذت بوسائل المدنية الحديثة وبتعلم العلوم العصرية باللغة العربية منذ أيام محمد علي في القرن الماضي .

وإذا أنعمنا النظر في الثمار التي جنتها اللغة العربية بمصر في عهدنا هذا نجد انها تتلخص فيما يلي وهو : —

أولاً — ازدادت ساعات تدريس العربية في مدارسها وسهلت وسائل تدريسها

ثانياً — أصبحت جميع المدارس الابتدائية والتجهيزية والزراعية والصناعية وكثير من المدارس العليا تدرس بالعربية .

ثالثاً — ارتفعت لغة الصحافة، وتعددت موضوعاتها، وانتشرت الصحف انتشاراً واسعاً مما قرب اللغة الفصحى الى العامة وجعلها في متناول مداركهم .

رابعاً — إرتفعت لغة الدواوين في الحكومة المصرية ، ولا قياس بين لغة الموظفين السقيمة في القرن الماضي ولغتهم في أيامنا هذه .

خامساً — ألف بالعربية عدد لا يستهان به من الكتب المدرسية في مواضيع العلوم العصرية المختلفة .

سادساً – طبع بمطبعة الحكومة وبمطبعة دار الكتب المصرية كثير من كتبنا الادبية، ومعاجمنا القديمة. وللجنة التأليف والترجمة والنشر في يومنا هذا، فضل كبير في هذه الناحية من نشاط مصر الأدبي والعلمي.

سابعاً أنشيء مجمع لغوي إسمه مجمع فؤاد الاول للغة العربية أهم أغراضه المحافظة على سلامة هذا اللسان، وجعله وافياً بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائماً لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة ما ينبغي استعماله أو تجنبه من التراكيب. وقد أصدر هذا المجمع حتى اليوم أربعة مجلدات من مجلته، فيها مقالات وبحوث مفيدة وجملة صالحة من المصطلحات العلمية.

ويتضح من هذه الخلاصة الموجزة أن لساننا المبين مدين لمصر في نهضتها الحديثة. ولكن هذا اللسان يطمع من هذا القطر العربي بمجهود أكبر يناسب استقلاله وثروته وعدد سكانه. فدواوين الحكومة في مصر مثلاً ما برحت تستعمل كثيراً من الألفاظ الأعجمية كالباش مهندس والحكيم باشي والاوسطة وأحزابها. وما برح في الجيش المصري عدد من الألفاظ غير العربية كالصاغ واليوزباشي والأورطة واشباهها، على حين أن مصطلحات الجيش بالعربية تكاد تكون اليوم تامة. وقد كان مبدأ وضع هذه المصطلحات في دمشق عقب الحرب العظمى الأولى، ثم تناول العراق هذا العمل المجيد وتوسع فيه حتى صار عندهم معجم كبير لتلك المصطلحات.

وإذا انتقلنا الى الجامعة المصرية نجد أن التعليم في بعض كلياتها ولا سيما كلية الطب ما برح يلقى باللغة الانكليزية والقول بأن تعليم الطب وفروعه بلغتنا يدعو الى ابتعاد مدارسنا الطبية عن مثيلاتها في الغرب وعن الثقافة الغربية، قول بعيد عن الصواب على ما أرى. لأنه ما من أستاذ يدرّس بالعربية في مدرسة فنية عليا إلا وله اطلاع كاف على الفرنسية أو على الانكليزية، وما من مخبر من مخابر هذه المدارس إلا وله اتصال بمخابر الغرب وأساتذته أما الطلاب فلا يمكن أن تتدنى ثقافتهم إذا درسوا العلوم والفنون العليا بالعربية ما دامت مدارس التجهيز تزودهم بلغة أجنبية تسهل عليهم الاتصال بمنتجات الغرب إذا شاءوا. وإذا لبثنا نقول بأن لساننا لا يحتوي على كتب كافية في العلوم العالية، ثم أهملنا التأليف بهذا اللسان لأن تلك العلوم تدرّس بلسان أجنبي، نكون قد وضعنا لغتنا الضادية في حلقة مفرغة، ونكون قد جنينا عليها جناية لا تغتفر.

وفي كل سنة تعقد الجمعية الطبية المصرية مؤتمراً طبيًّا في بلد من البلدان العربية،

وتجعل من أسس أعمالها البحث في توحيد المصطلحات الطبية بالعربية . وأتذكر ان اجتماعها في سنة ١٩٣٥ كان في دمشق ، وانني ألقيت في مؤتمرها محاضرة عنوانها « طرائق نقل المصطلحات العلمية الى اللغة العربية » وأن الأعضاء تكلموا وتناقشوا في هذا الموضوع وهم يتناولونه في كل عام . فماذا كانت النتيجة ؟ لقد كانت النتيجة أنهم أحالوا الموضوع الى مجمع فؤاد الأول للغة العربية ولبثت مدرسة الطب في مصر تدرس باللغة الانكليزية .

ولم يظهر في مصر عدد يذكر من العلماء القادرين على إغناء لغتنا بمصطلحات العلوم والمخترعات الحديثة .

ولم يؤلف في هذا الصدد سوى معجم صغير في أسماء النبات للدكتور احمد عيسى ، ومعجم كبير في العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف كثير من ألفاظه تحتاج إلى إعادة النظر فيها .

وقد أفاد مجمع فؤاد الأول لساننا الضادي ببعض قواعد في تسهيل اللغة أجاز استعمالها ، ووضع أو أقر جملة من المصطلحات العلمية لا بأس بها . ولكن أين هذا العمل الضئيل من تحقيق أهم عمل يرتقبه العالم العربي من المجمع المشار أليه وهو وضع معجمين الاول إفرنجي عربي للمصطلحات العلمية والمخترعات الحديثة ، والثاني معجم عربي تعرّف فيه الألفاظ تعريفاً علميًّا ، كمعجم لاروس الصغير مثلاً . ووضع هذين المعجمين يتطلب جهود عشرات من العلماء الاختصاصيين في جميع بلاد العرب ولم نسمع بأن مجمع مصر استعان بواحد منهم ضمن اختصاصه فكلفه وضع الألفاظ المتعلقة بالعلم الذي يتقنه ، بل حصر عمله ضمن دائرة ضيقة فصارت الأيام والسنون تمر دون أن نسمع شيئاً عن هذين المعجمين . ومعجماتنا القديمة لا تصلح لأيامنا هذه . فهي خالية من مصطلحات العلوم الحديثة ، عدا أن كثيراً من ألفاظها قد عرّفت تعريفاً بعيداً عن التعريف العلمي الحديث . وقد ذكرت في مقالاتي في المقتطف وفي مجلة مجمعنا العلمي العربي أمثلة عديدة على هذه النقائص . ولهذا وجب صنع المعجمين اللذين أشرت اليهما . ولكن صنع المعاجم المضبوطة علميًّا في هذه الأيام لايستقيم الا لجمهور كبير من العلماء الاختصاصيين . فمعجم لاروس الفرنسي المصور مثلاً عمل في تأليفه عشرات بل مئات من العلماء والأساتذة . ومعجم لاروس الصغير استنفد جهود عدد كبير منهم . وعددت ٧٥ عالماً ساهموا في معجم لاروس الزراعي الخ ...

ومهما يكن من أمر فالآمال معقودة على مصر في تحقيق هذا الغرض السامي . وعسى

أن تحقق الكنانة آمال أبناء العرب فيها ببذل جهدها في هذه الناحية كما فعلت أخيراً باتخاذها قانوناً يقضي على الشركات الأجنبية في مصر بتدوين أعمالها وحساباتها باللغة العربية . فان في اتخاذ هذا القانون خدمة جليلة للغة الضاد ، علاوة على خدمة عدد كبير من الشبان المصريين بايجاد مرتزق لهم .

وإذا حوّلنا حديثنا الى الأدب والشعر والانشاء في العصر الحاضر نجد أن أدباء مصر وشعراءها وكتابها قد حلقوا وبلغوا الذروة فيما دبجت يراعتهم من مقالات جليلة ، وفيما أطلعت قرائحهم من مصنفات ثمينة . ولاشك أنهم فاقوا في هذا الباب زملاءهم في الأقطار العربية السائرة على وجه الاجماع . ولهذا صار لأدبائهم من مصريين ومتمصرين حق الزعامة الأدبية في البلاد العربية .

ومن أشهر الكتّاب في مصر في أوئل العصر الحاضر الشيخ عبد العزيز جاويش وحفني بك ناصف ومصطفى صادق الرافعي والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي صاحب كتاب النظرات والشيخ علي يوسف زعيم الصحافة المصرية في تلك الأيام وأحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا وهم من الكتّاب العلماء .

أما الشعراء فأشهرهم أحمد شوقي وحافظ ابراهيم وخليل مطران . وقد برز هؤلاء الثلاثة وفاقوا غيرهم فكانت الامارة لأولهم ، وهو أخصب شعراء العصر فكراً وأوسعهم خيالاً وأقدرهم على النظم في مختلف الأغراض الشعرية . وكان حافظ ابراهيم شاعر السياسة والشؤون الاجتماعية على الأخص ، كما كان من أكبر الكتّاب الناثرين . ولخليل مطران فضل تزويد الشعر العربي بالوصف الرائع والأخيلة الواسعة التي يتذوقها المتأدب في روائع الشعر الاوربي ، وهو ممن ملكوا اللغة العربية فأجادوا في النثر كما جوّدوا في الشعر .

وظهر في مصر عدد كبير من الشعراء من طبقات مختلفة ، وكان ولي الدين يكن من أرق الشعراء . أما اليوم فقد بدأ نجم علي محمود طه يتألق . وهو صاحب قصيدة «الجوندول» وله قصائد كثيرة نحا فيها مناحي الأوربيين واستلهم الشعر من رياضهم دونما عجمة . ولولا أنه يجب ذكر العقاد في رهط الناثرين المبرزين لوجب ذكره في هذا المقام .

ومن أشهر الكتّاب والأدباء الأحياء الذين قبضوا على ناصية البيان ، رهط درسوا في الأزهر ثم تثقفوا بالثقافة الاوربية فجمعوا بين الحسنيين أمثال طه حسين عميد كلية الآداب سابقاً ، وأحمد امين عميدها اليوم ، واحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة .

ومن الأدباء الذين ذاع صيتهم واستفاضت شهرتهم إبراهيم عبد القادر المازني والشيخ عبد العزيز البشري بالنقد والفكاهة والأحكومة ، وعبد الحميد العبادي مدير كلية الآداب في الاسكندرية وعبد الوهاب عزام بالأدب المدرسي ، وعباس محمود العقاد وزكي مبارك بشتى نواحي الأدب . وكانت الآنسة ميّ أوسع الأديبات خيالاً وأغزرهن علماً ، وكانت دارها ندوة الأدباء . ولا مشاحة في أن يعقوب صروف أحد صاحبي « المقتطف » كان صاحب أجود قلم يعالج العلوم العصرية ويترجمها الى لساننا الضادي . أما اليوم ففي مصر عدد من الكتّاب يكتبون العلوم بأقلام لا بأس بها ، وأكبر عقبة في هذا الضرب من الكتابة افتقار الكتاب الى عدد كبير من المصطلحات العلمية المضبوطة ولهذا قلّ من يجودون فيه .

ولا عجب أن ينبغ عدد من الأساتذة اللغويين في بلد تدرّس فيه دقائق اللغة وآدابها . في مثل الأزهر وكليته العربية ، وفي مثل كلية الآداب ومدرسة القضاء الشرعي وكلها معاقل لهذا اللسان المبين . ومن أشهر هؤلاء الأساتذة الشيخ أحمد الاسكندري وكان يدرس العربية في مدرسة دار العلوم ، والشيخ ابراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربية في الازهر ، وأحمد العوامري المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف ، والشيخ حسين والي من اللغويين المشهورين ، وعلي الجارم مفتش اللغة العربية بوزارة المعارف والشيخ محمد الخضر حسين أحد أساتذة الأزهر ، وجميعهم أعضاء في مجمع فؤاد الأول للغة العربية . وفي الحقيقة صار يوجد اليوم في مصر عشرات من اللغويين المطلعين على دقائق آلات هذا اللسان .

أما التمثيل فقد أحسنت الحكومة المصرية بتأسيس فرقة قومية له لا تمثل الا بالفصحى . ومن دواعي الأسف انتشار التمثيل في مصر باللهجة المصرية العامية مما يغمر بالفصحى وتخفي نكاته على معظم ابناء العرب في الاقطار العربية السائرة .

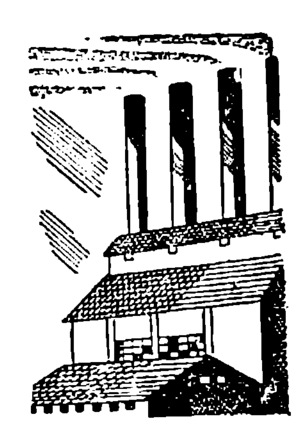
ويتضح من هذه الخلاصة بل اللمحة بل الاعماضة التي يجب أن أبلغكم اياها بسرعة الراديو في اقل من عشرين دقيقة ، أن في مصر اليوم عدداً عظيماً من الأدباء المبرّزين ، والعلماء الاختصاصيين بشتى العلوم ، واللغويين الذين قبضوا على أعنة اللغة ، والصحفيين الذين سمت لغة صحفهم وموضوعاتها ، والاساتذة الذين يدرسون الآداب والعلوم والفنون في مدارس عديدة عصرية راقية . فلا غرابة بعد هذا أن تعد مصر ، من حيث الثقافة العربية العامة ، في طليعة الاقطار العربية .



المخترعات المرتقبة

في النصف الآتي من القرن الحالي

— ٣ —



للأستاذ عوض جندي

٩ — ﴿ وسائل الطبخ المرتقبة ﴾ وحينئذ يصير الطبخ أمراً تذكارياً فحسب ، تتردد ذكراه في أذهان الناس الطاعنين في السن . ويقل عدد المتعنتات اللواتي يصررن على شي الدجاج بالمشواة «الشباك» على نار الفحم الحجري. أو اللواتي يشغفن بشيٍ ساق الخروف مثلاً على النيران المكشوفة . لأن الخبراء قد يكونون اخترعوا وسائل جديدة من شأنها تثليج قطع اللحم المطبوخ في الفرن طبخاً خفيفاً، تثليجاً بالغاً . وحتى الحساء واللبن يصبح تقديمهما إلى الآكلين على شكل قوالب مثلجة .

وفي ذلك العهد تنتشر حرفة تثليج الأغذية . وينجم عن تغير عادات الناس المتأنقين في طعامهم ، ضرورة تركيب المواقد الكهربية الفنية في كل بيت . وهي ثمرة من ثمار الحرب العالمية الثانية. فتقتني ربة الدار موقداً منها لتستطيع به في ثماني ثوان، تذويب الثلج عن شرائح اللحم المشوي نصف شي. ثم استكمال نضجها في دقيقتين أخريين فتقدم للأكل . فيتسنى لكل سيدة على هذا المنوال في زمن لايزيد على نصف ساعة اعداد أكلة متقنة متعددة الأصناف.

١٠ — ﴿ الأغذية المصنوعة بالوسائل الكيميائية ﴾ وسوف يكون بعض الطعام الذي تبتاعه ربة البيت طعاماً مصنوعاً صنعاً كيميائياً ، كما نسميه الآن . وهذه التسمية سوف تصير خاطئة في أواخر القرن الحالي . لأن علماء الاحصاء سبق أن تكهنوا في منتصف هذا القرن نفسه ، بأن الخلق سيموتون جوعاً لأن موارد الطعام حينئذ ستعجز عن مداد سكان العالم الذين يزيدون دائماً زيادة هائلة على هاتيك المصادر الطبيعية .

وسوف يقوم العلماء قبل سنة ٢٠٠٠ بمباحث طريفة واسعة النطاق ، يتوخون بها

oldbookz@gmail.com

استغلال القواعد التي كانت فطيرة في الربع الأول من القرن الحالي ، استغلالاً خطيراً . ومن ثمة يتاح تحويل نشارة الخشب وعجينه أغذية حلوة الطعم . كما يمكن تحويل الاخونة والمشش الورقية المستعملة، الشبيهة بالكتانية ، وكذا الثياب الداخلية المستعملة التي تنسج من الحرير الصناعي ، إلى حلوى تنتجها المصانع الكيمائية .

١١ — ﴿الراديو المصور لخدمة التجار وأرباب البيوت﴾ ولسنا نرتاب في وجود أجهزة الراديو المصورة في بيوت المستقبل . ولكن هذه الأجهزة ستكون متصلة بأجهزة التليفونات وأجهزة استقبال الاذاعة اللاسلكية المركبة في المساكن . وذلك لكي يستطيع رب الدار حينما يرغب في محادثة تليفونية مع صديق له في مدينة نائية ، رؤية أحدهما الآخر في آن واحد .

١٢ — ﴿المخترعات الكهربية الأتوماتيكية﴾ أما المخترعات الكهربية الاتوماتيكية التي يخيل للمرء أنها على جانب من الذكاء ، فتقوم بتوحيد الانتاج الصناعي توحيداً من شأنه جعل الآلات جميعها التي يحويها المصنع تؤدي أعمالها كوحدات ، لما هو في الواقع جسم واحد ضخم ومثال ذلك، إن في مصنع أوريول للطائرات العمودية الارتفاع-الهليكوبتر- بضع آلات من هذا الصنف مخصصة لمنع تعب العمال ، تستجيب للمصابيح التي تضاء بغتة على لوحة خاصة عندما ينطفي الصمام الكهربي أو يحدث خطأ في الدائرة الكهربية . وتوضح كل عملية من العمليات الضرورية لصناعة الهليكوبتر بوساطة ثقوب تثقب على رزمة من الورق . ثم تقدم هذه الرزمة المثقبة لآلة تصدر الأوامر فعلاً الى الآلات الأخرى جميعها التي في المصنع . والثقوب التي تثقب في الورق تبين بالضبط مقدار التوسيع الذي ينبغي أن يقوم به البرغل « آلة التوسيع والتنعيم التي تعمل في باطن الاسطوانة » تماماً كما تمرر آلة من آلات صوغ ألواح المعادن ، لوحاً من الأليومينيم ، الى جارتها قصد احداث ٢٢ ثقباً في مواضع معينة . وهناك مفاتيح انكليزية ميكانيكية تقوم من تلقاء نفسها بربط المسامير اللولبية « البرمة » بالصواميل وهذه تكف عن عملها حالما تثبت المسامير في مواضعها . كما توجد مقصات كبيرة تقص ألواح المعادن وفق الحاجة تماماً . وبالجملة فان كل عملية، تعمل في ذلك المصنع بالطريقة الأوتوماتيكية الكهربية .

١٣ — ﴿آلة كهربية تتنبأ بالتقلبات الجوية﴾ ومن أشهر الآلات الكهربية التي يتوقع العارفون تحسينها قبل سنة ٢٠٠٠ ، آلة سوف ينفق عليها مئات الالوف من الدولارات في غضون الربع الأخير من القرن الحالي . وذلك من مال الدكتور فلاديمير

زوريكين وزميله الدكتور جون ڤون نيومان . ونعني بها آلة أوتوماتيكية تتنبأ بما يطرأ على الجو من التقلبات تنبؤات صادقة ، وهذه سوف تجمع بين آلتين — هما آلة حاسبة وأخرى متنبئة . فتقوم أولاهما بحل ألوف من المسائل الحسابية المفردة في دقيقة واحدة . على حين تنفذ ثانيتهما تعليمات أختها الحاسبة وتتنبأ بتقلبات الجو من ساعة الى أخرى[1] .

والمعروف أنه حتى سنة ١٩٥٠ لم يكن الوقت متسعاً لعلماء الظواهر الجوية ورصدها ، لأجل التنبوء بما يحدث من الظواهر الجوية قبل ٢٤ ساعة كاملة . وذلك عندما تزيد هذه الظواهر على خمسين ظاهرة بما يتبعها من عويص المسائل الحسابية التي ينبغي حلها لهذا الغرض .

١٤ — ﴿ كيف يمكن إتقاء ضرر العواصف ﴾ وذلك على حين أن المقترحات التي اقترحها العلامة زوريكين وزميله ڤون نيومان تقضي بأن العواصف يتاح قمعها إما كثيراً وإما قليلاً وهما يريان أنه من السهل جداً اكتشاف العاصفة في مهدها عندما تهب في ربوع المحيط القريبة من خط الاستواء عند شاطىء أوريقية . فينبغي قبل سنوح الفرصة لتقويتها وتفاقم سرعتها نحو الجهة الغربية ، قاصدة الى فلوريدا ، أن يسكب الزيت المعدني على مياه البحر ويشعل . فيتولد من اشعاله حينئذ تيار هوائي علوي . فيأخذ الهواء المحيط بالمنطقة المجاورة لهاتيك الآفاق التي تشمل العاصفة المتفاقمة في اقتحام ذلك الفراغ ليشغله ، إذ يتكثف الهواء المرتفع تكثفاً من شأنه جعل بعض الماء الذي تحويه العاصفة ، ينزل مطراً .

وعندما يتيسر تحويل العواصف تحويلاً لا ينشأ عنه أي ضرر كان ، تغدو الملاحة الجوية لا يعوقها أي عائق البتة . فيسهل على كل انسان وقتئذ الارتحال كيف يشاء الى البلاد الأجنبية اكثر مما كان يفعل حتى سنة ١٩٥٠ .

١٥ — ﴿ الطائرات التي تطير بسرعة تفوق الصوت ﴾ وقبل حلول سنة ٢٠٠٠ سوف تظهر الطائرات التي تفوق في طيرانها سرعة الصوت إذ تقطع الف ميل في الساعة . وتستهلك وقوداً كثيراً باهظ الثمن . وهذا مما يجعلها فادحة الأجور . فيستطاع حينذاك لاحدى هاتيك الطائرات قطع المحيط الاطلنطي في ثلاث ساعات . ولا غرو فرؤساء الشركات وأرباب

(١) «المقتطف» : يسرنا أن نذيع أن مصلحة الارصاد في مصر بدأت باستخدام الآلات الحاسبة الحديثة لاستخراج المعادلات والجداول الاحصائية ، وهذه الآلات تستخدم لاول مرة في تاريخ الارصاد الجوية بمصر والشرق . وقد رأت المصلحة ايفاد الاستاذ ابراهيم علي البرلسي مراقب قسم المناخ فيها الى انجلترا في زيارة علمية لمدة خمسة أشهر يدرس خلالها طرق استخدام هذه الآلات ، والاطلاع على النظم المتبعة في قسم المناخ بمصلحة الارصاد البريطانية .

المصارف المالية وسفراء الدول وغيرهم من الأثرياء يؤثرون ركوب الطائرات الصاروخية التي تقطع الف ميل في الساعة . ولا يضير كل منهم أن يدفع ٥٠٠٠ دولار أجرة سفره الجوي من شيكاغو مثلاً الى باريس . أما غير هؤلاء فيركبون الطائرات النفاثة لأنها أرخص أجوراً .

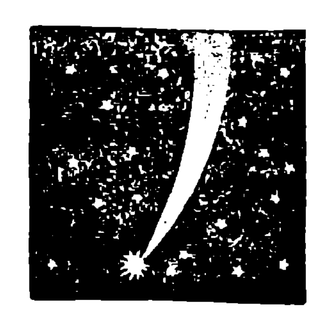
١٦ – ﴿ استخدام طائرات الهليكوبتر ﴾ وسيعقب اتساع نطاق النقل الجوي ، سهولة توزيع السكان على أنحاء العالم توزيعاً مرضياً ، غير ميسور الى الآن ، حيث تطيب الاقامة . وحينئذ يصبو كثيرون من أهل المدن المكتظة بالسكان ، الى سكنى الضواحي الأنيقة . ويفضلون ركوب طائرات الهليكوبتر . وسوف تقتني كل عائلة طائرة منها ترابط فوق سطح مسكنها ، بدلاً من استعمال السيارات الحالية التي سيكون استخدامها مقصوراً على التسوق أو الرحلات التي لا تزيد على عشرين ميلاً .

١٧ – ﴿ منقولات السكك الحديدية في آخر القرن الحالي ﴾ أما السكك الحديدية فسوف تصير في سنة ٢٠٠٠ ضرورية للنقل والانتقال . كما كانت إلى آخر سنة ١٩٥٠ فتنقل على خطوطها ثقال البضائع وأضخمها ، مما تعجز طائرات البضائع عن نقله . أما الركاب الذين يرغبون في السفر بالسكك الحديدية فيكونون قليلين . وحتى حملة التذاكر الكيلومترية يفضلون حينئذ السفر الى المدائن التي تبعد عن مساكنهم مئات الأميال ، وذلك في أوتوبيسات جوية ضخمة تسع كل منها ٢٠٠ راكب . بينما يقطع تلك الرحلات مئات الألوف من الركاب مرتين كل يوم في طائراتهم العمودية الارتفاع .

١٨ – ﴿ الطائرات اللامروحية لنقل البريد ﴾ وسوف تصير الطائرات اللامروحية « النفاثة » والصاروخية ، الخاصة بنقل البريد ، منافسة أبلغ المنافسة ، لشركات التلغراف في العالم بأسره . إذ يمكن حينذاك في دقيقة واحدة نقل وتلقي رسالة مكتوبة طبق الأصل ، مؤلفة من خمس صفحات من الورق ذي الحجم التجاري المألوف ، وذلك بنفقة قليلة

١٩ — ﴿ ارتقاء المستشفيات ﴾ وسوف تصير المستشفيات أرقى منها الآن من كل الوجوه فاذا أصيب امرؤ بأي مرض كان ، قصد إلى الطبيب في المستشفى . فلا يكاد ذلك الطبيب يرى المريض حتى يضغط زراً كهربياً ، فيسارع اليه مساعدوه أجمعون حاملين المعدات اللازمة لفحص العليل واسعافه .





البطليوسي[1]

للدكتور محمد يوسف موسى

وهذا مفكر متفلسف إسلامي آخر ، لم ينل الحظ الذي كان أهلاً له من ذيوع الاسم وبعد الصيت في تاريخ الفكر الاسلامي ، فقد أغفله مؤرخو هـذا التفكير ، كما أغفلوا آخرين كثراً كان يجب العناية بهم وبنتاج تفكيرهم ، نعني به عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ، الذي ولد بمدينة بطليوس عام ٤٤٤ هـ ، وتوفي ببلنسية عام ٥٢١ هـ ، وكلتاهما من بلاد الأندلس كما هو معروف .

لقد كان هـذا المفكر فقيهاً ، عالماً باللغة بصيراً بالعلوم القديمة ، وله جهد مشكور في ناحية التوفيق بين الدين والفلسفة ، وطريقتـه في علاج هـذه المشكلة جملته مرضياً عنه من معاصريه . ها هوذا الفتح بن خاقان يقول عنه في كتابه قلائد العقيان : « وله تحقق بالعلوم الحديثة والقديمة ، وتصرف في طرقها القويمة ، ما خرج بمعرفتها عن مضمار مشرع ، ولا نكب عن أصل للسنة ولا فرع » : ويذكر عنه الأستاذ العلامة الشيخ محمد بن زاهـد الكوثري ، الحجة في العلوم والدراسات الاسلامية والذي يعيش بعصر هذه الأيام ، بأنه أبان هـذه المسائل الفلسفية وكشف عن حقائقها ، إبانة خرّيت ، مع عنايته ألا يحيد قيد شعرة عن حدود شرع الله[2] .

(١) يجب أن نذكر هنا أن الكلام فيما يتصل بوجود الخلاف والوفاق بين الدين والفلسفة ليس مشكلة التفكير الفلسفي في العصر الوسيط فقط ، بل ان هـذه المشكلة لا تزال قائمة حتى اليوم لدى كثير من المثقفين المسلمين ، وبخاصة في الازهر . لهـذا لا يعتبر الحديث في هـذه الناحية حديثاً لا عناء فيه ، بل هو حديث له دائماً جدته وضرورته ، بل هو حديث يعني كثيراً من علماء الدين وفقهائه الذي لا يزال كثير منهم يرى ما كان يراه أسلافنا في العصر الوسيط من وجود عداء بين الدين والفلسفة . ومن ثم ترى هذا الفريق يجعل بين عقله وبين فهم الحقيقة حجاباً كثيفاً يمنع من التفكير الصحيح ومن الافادة من جهود الفلاسفة .
فإلى هؤلاء وأمثالهم نسوق الحديث عن فقيه عالم باللغة ، ولم يمنعه ذلك من أن يكون بصيراً بالفلسفة أيضاً .

(٢) مقدمة كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العالية ، ص ٤ ، طبعة القاهرة عام ١٩٤٦

ونستطيع أن نقدر بأن تفكير البطليوسي الفلسفي يظهر لنا بوضوح في معالجته مشكلة ما بين الدين والفلسفة من صلات ، ولا عجب ، فبيان هذه الصلات هو — بحق — معقد الفلسفة الاسلامية وطرافتها . وقد خصص البطليوسي لهـذه الناحية مؤلفاً كاملاً من مؤلفاته العديدة ، وهو كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة الذي ظهر بمصر لأول مرة عام ١٩٤٦ م . وتكاد محاولته التوفيق بين هذين الطرفين ، الدين والفلسفة ، تقوم على ما يأتي :

ا — تقرير حدوث العالم ، وبيان كيف صدر عن الله وحاجته له في حفظه وبقائه موجوداً .

ب — بيان أن الله يعلم نفسه وغيره وكل ما خلق ، مخالفاً بذلك الفارابي وابن سينا ،

حـ — تحبيب الفلاسفة القدامى (اليونان) للمسلمين ، بتاكيده أن سقراط وأفلاطون وأرسطو . كانوا موحدين ، وأنهم في أرائهم عن الله حين تفهم على حقائقها لم يخرجوا عما تقدره شريعتنا .

ء — بيان أن النبي أعلى من كل إنسان آخر ، حتى الفلاسفة .

إلى غير ذلك من الآراء التي رأى فيها عوناً للوصول الى الغاية التي أرادها .

الله والعالم

هنا نجد البطليوسي يذهب الى نظرية فيض الموجودات عن الله باعتباره العلة الأولى لها ، وإن كان علة مباشرة لأول موجود وغير مباشرة لما بعده ، كما نجـد عنده نظرية العقول العشرة ، وهـذا وذاك على النحو الذي نعرفه عن الفارابي وابن سينا . إلا أن البطليوسي ، في سبيل توضيح ما يقول ، يمثل ذلك لنا بوجود الأعداد عن الواحد ؛ فكل عدد معلول لسابقه لا يوجد الا بتوسطـه ، وإن كان الواحـد علة لها جميعاً ، إذ كان لا يصح وجود الأبعد إلاّ بوجود الأقرب[1] وهـذا معنى ما يقال من أن الوحد علة العلل وسبب الأسباب »[2] .

ثم يمضي في التمثيل ، تمثيل وجود العالم عن الله بوجود الأعداد الى ما لا نهاية عن الواحد ، لينتهي من ذلك إلى حل مشكلات قدم العالم أو حدوثه ومنها وجوده عن مادة أولى قديمة كما يقول الفلاسفة ، أو عن لا شيء كما يقول الدين ، ومنها مشكلة كيف تصدر

(١) كتاب الحدائق ص ٧ — ٨ (٢) الكتاب نفسه ص ٣٥

الـكثرة عن الله ، وهو واحد من كل وجه ، بغير تكثر في ذاته . ولهذا يقول : وكما أن الأعداد كلها اقتبست الوجود من الواحد من غير حركة ولا زمان ولا مكان ، ولم يحتج الواحد في إيجادها إلى شيء آخر غير ذاته ، فـكذلك حدوث الموجودات عن الباري تعالى، بغير حركة وبغير زمان وبغير مكان وبغير أدوات ، ومن غير أن محتاج في إيجادها إلى شيء غيره . وكما أن الواحد لا يوصف بأنه تقدم الأعداد بالزمان ، ولا يبطل ذلك أن تكون الأعداد محدثة عنه ، فكذلك الباري لا يوصف بأنه تقدم العالم بالزمان ولا يبطل أن يكون العالم محدثاً عنه . وكما أن الواحد لا يتغير عن الوحدانية بكثرة ما حدث من الأعداد عنه ولم يوجب ذلك تـكثراً في ذاته ولا استحالة في جوهره ، فكذلك حدوث العالم وكثرته لا توجب تغير الباري في وحدانيته ولا تـكثراً في ذاته »[1] .

وكذلك يمضي في التمثيل ليصل الى أن العالم محتاج في وجوده ودوامـه لوجود الله ، فلو ارتفع لارتفع ، وأن الأمر ليس بالعكس فلو ارتفع العالم لم يرتفع الله ، كما هو الحال بالنسبة للواحد والأعداد الموجودة به . ومعنى هذا ، « أن وجود الله وجود مطلق لأنه لا يحتاج في وجوده الى غيره ، ووجود الموجودات كلها وجود مضـاف لأن وجودها مقتبس من وجوده وفائض عنه[2] » . أو بعبارة أخرى ، إن سريان الوحدة من البـاري تعالى ، التي بها قوامه وتميزه ممن سواه للأشياء هو الذي كونها ، وأفاض الوجود على مراتبها وصيـّر بعضها عللاً لبعض ، وهو تعالى علة وجود الجميع ، ولذلك سموه علة العلل والفاعل المطلق والفاعل بالحقيقة ، لأن فعل غيره إنما هو فعل بالمجاز[3] » .

بهذا ، في هذه الناحية ، يرى البطليوسي أنه وفق بين الشريعة والفلسفة ، وذلك بالقول بالله الخالق للعالم من لا شيء ، وإن كان ذلك بطريق العلية المباشرة لأول موجود وغير المباشرة لسائر الموجودات الأخرى . وكذلك بالقول بأن حدوث العـالم عن الله لا يقتضي تقدم الله عن العالم بالزمان كما هو الأمر بالنسبة للواحد والأعداد الموجودة به . وهذا ما لا يستقيم أن يقول بخلافه ، ما دام الله هو العلة الأولى لوجود العالم ، والعلة لا تتقدم بالزمان على معلولها كما هو معروف ومسلم عقليـّا ومنطقيـّا .

علم الله

في هذه المسألة نجد البطليوسي ينتقد من ذهب من فلاسفة المسلمين إلى أن الله لا يعرف غيره كالفارابي مثلاً ، أو أنه يعرف كل شيء ولـكن على نحو كلي لا تفصيل فيه كابن سينا

(١) كتاب الحدائق ص ٣٦ — ٣٧ ، (٢) الكتاب نفسه ص ٣٦ (٣) الكتاب نفسه ص ٣٧ — ٣٨

مثلاً ، بمعنى انه يعلم الكليات لا الجزئيات ، كابن سينا مثلاً ، مستندين الى قول الفلاسفة القدماء : « إن الله لا يعرف إلا نفسه » . ثم يصف هذا الفهم لكلام القدماء أي اليونان بأنه جهل وسوء تأويل لكلامهم ، فانهم براء مما توهم هؤلاء عليهم [1] .

وبعد أن اجتهد في شرح هذه العبارة المأثورة عن الفلاسفة القدماء على أربعة أوجه ، وكل وجه ينتهي الى هذا المبدأ : « اذا علم نفسه فقد علم كل وجود تابع لوجوده » [2] ، أخذ في التدليل على ان الفلاسفة أرادوا إذاً بذلك أن الله عالم بكل شيء ، إذ هو عقل مجرد عن المادة التي تمنعنا من إدراك الأشياء [3] ، وأن القول بغير ذلك يكون تأويلاً سيئاً لعبارة الفلاسفة السابق ذكرها . ولكن ينتهي من هذا ، نراه يعني بابطال رأي القائلين بأن الله لا يعلم إلا ذاته ، والآخرين الذين ذهبوا الى أنه وإن كان يعلم الأشياء كلها ولكن ذلك على نحو كلي لا جزئي مفصل [4] ثم يستند في مناقشة هذه المذاهب الى ما جاء في القرآن من آيات تثبت علم الله الشامل لكل شيء : الكبير والصغير والكلي والجزئي ، مؤكداً أن ما جاء في هذا من أقوال الفلاسفة المتقدمين يطابق ما وردت به الشريعة [5] .

تحبيب الفلاسفة اليونان للمسلمين

وهنا نرى من الخير أن نكتفي بالاشارة الى ما حاوله في المسألة السابقة مسألة علم الله ، من أن الفلاسفة اليونان كانوا يرون أن الله يعلم بكل شيء ، وأن ما قيل عنهم غير ذلك ليس مأتاه إلا من الجهل وعدم حذق علومهم وفهم كلامهم . ثم نشير الى ما ذكره في أثناء عرض رأيه ، أو بالأحرى الرأي الذي ارتضاه من الفارابي وابن سينا في مسألة وجود العالم عن الله ، من قوله : « فهذا مذهب أرسطوطاليس وأفلاطون وسقراط ، وغيرهم من مشاهير الفلاسفة وزعمائهم القائلين بالتوحيد » [6] كما يؤكد ، عند الكلام على خلود النفس وعدم فنائها ، ان هذا مذهب سقراط وأرسطو وأفلاطون وسائر زعماء الفلاسفة [7] .

ولسنا هنا في مقام بيان تخطئته في نسبته القول بالتوحيد وعلم الله الشامل لكل شيء الى سقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس ، فلعل له عذره في أنه حكم بذلك بحسب الذي وصله عنهم ، ولكنا نشير الى أنه يرى بذلك أن يجعل الفلاسفة القدامى وآراءهم محببة الى المسلمين ، لأنها كما زعم لا تختلف عما جاء في الشريعة .

للبحث بقية

(١) كتاب الحدائق ص ٥١ (٢) الكتاب نفسه ص ٥١-٥٤ (٣) الكتاب نفسه ص ٥٥ (٤) الكتاب نفسه ص ٥٨-٦٠ (٥) الكتاب نفسه ص ٦٠ (٦) الكتاب نفسه ص ١٤ (٧) الكتاب نفسه ص ٦١

◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎

حلم الحكومة العالمية

بين الخيال والواقع

— ٢ —



للأستاذ صلاح الدين الشريف

◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎

يذهب المنافحون عن قضية الحكومة العالمية، من كتّاب السياسة وفقهاء الاجتماع، في هـذا العصر، إلى وجوب الدعوة إلى « دستور عالمي » والتبشير بقانون أساسي موحّد يحكم المجتمع الدوليّ الذي ستنضوي أمم كافة تحت لوائه وتأتمر مختارة راضيـة بسلطانه وأحكامه، فيكون مثلها مثل المجتمعات الوطنية في خضوعها لأحكام دساتيرها القومية على تباين صورها وألوانها.

وكما أن الدستور الوطني يهدف أول ما يهدف إلى الحـد من كل سلطـة أو طغيان للافراد أو الهيئات أو الطوائف، يخشى منهما على الحريات الفردية أو الحقوق المدنية العامة، فان هذا الدستور العالميّ الموموق سيهدف أول ما يهدف إلى الحد من سلطان السيادات الوطنية المتنازعة، أو إلى محاولة اختزالها لتصل إلى الحـد النسبي الذي يمكن معه أن تندمج فيما يجوز تسميته بسيادة عالمية واحدة تمنح لهـذا الدستور العالميّ، أو بالحريّ لهذه الحكومة العالميـة الجديدة التي سيكون لها هيمنة عليا لا تعلو عليها هيمنـة أخرى من أي لون من ألوان السلطان، فتطمئن كل دولة مهما تكن صغيرة في عدد السكان محدودة في نطاق الموارد، إلى حقوقها الدولية في ظل هـذا الدستور الذي ينظـم تنظيماً جماعيـاً حدود هذه الحقوق والحريات. على أنه لا يجمل آن يفوتنا أن الاستقراء السليم للواقع التاريخي في متعاقب مراحله وأدواره، منذ أقدم العصور إلى اليوم، يجب أن يكون سنادنا الأول في رسم الحدود والاحتمالات والخطوط الأساسية لكل تخريج جديد لأي نظام من النظم أو أية مرحلة تشريعية من مراحل التطور التشريعي المرتقبة، سواء في الميدان القوميّ الضيق أو في الميدان الدوليّ الفسيح.

هـذا الاستقراء ذاته لا يزال يؤكد بأدلته المادية من اجتماعيـة واقتصادية، بل وسيكولوجية، وهي أدلة كلها واضحـة وناصعة، أن الانكار المطلق لسلطان السيادات

في هذا العصر المتشابك العلائق والصلات موصولاً بمنطقة «اليوتوبيا» المبتغاة ، وليس بمصيد الواقع الملزم للناس بقوة حقائقه ودوىّ أحـداثه ؛ ومن ثمّ فإن أي دستور عالمي يقوم على مبدإ إنكار السيادات القوميـة للاعتراف بسيادة عليا واحـدة ، أو الأدالة من مدى سلطانها الحاضر تمهيداً لأدماجها في سيادة عالمية واحدة ، مثل هـذا الدستور يعد بحكم منطق الاستقراء التاريخي السليم حلماً من الأحـلام البعيدة التحقيق هو الآخر ، لا في الحاضر فحسب ، بل وإلى مستقبل زمنيّ بعيد .

وليس تخريج كهذا التخريج ضرباً من التشاؤم الممقوت ، بل هو « واقعيـة » أمينة واستملاء صادق من صميم الاتجاه الحضاري الراهن الذي تنحوه البشرية اليوم وسط خضم زاخر من مشكلاتها وفوارقها وعديد أهوائها ، بالرغم مما حاوله الرأي العام العالمي — إن جاز هذا التعبير — في عقبى حربين عالميتين زلزلنا قوائم النظم السياسية والاجتماعية فيه ، أن يغطي على هذه الحقائق السافرة ، بمثالية دولية قوامها هذا البريق الخلـب ، بريق العدالة العالمية ومنظمات الأمن الأممي « المساح » ، على عهد العصبة السابق وعهد هيئة الأمم المتحدة الذي نعاصره ونشهد على مضض مهازله ، كما شهدنا مهازل سلفه من قبل .

فلم يحدث إذن في أي دور من أدوار التاريخ السياسي المتلاحق المقدمات والنتائج ، مثل هذا النكران الخيالي لسلطان السيادة ، بل الذي حدث وثبت هو العكس ، إذ ظلت سيادات الحكومات الوطنية تبرز تدريجاً إلى الوجود ، وتتحدد معانيها وأصولها ، بعد أن انبعثت هذه المعاني والأصول من صميم السلطان المضمر في وعي الجماعة أو في ضميرها الجمعي ؛ وأخذت تبرز بسلطانها المادي في مظاهر خارجية بارزة ومحددة . وقواعد السيادة ومناشؤها التي يحدثنا عنها علم القانون الدولي ، تكفـل علم الاجتماع بطريقته التحليلية الخاصة بتبيان الأدوار والمراحل التي مرّت بها فكرة السيادة في المجتمع الانساني ، منذ أن كانت السلطة الأبوية هي معيار الأحكام والقيم في المجتمع ، قبل أن تتلاشى في المرحلة التالية التي عُقدَ فيها لواء السلطان للأم ؛ وهكذا ظلت فكرة السيادة متدرجة المراحل والصور من مجتمعات ما قبل التاريخ حتى بلغت أوضاعها الراهنة في مجتمعات الحضارة ، وتحددت قواعدها وأحكامها في الفقه الدولي الحديث .

ويحدثنا التاريخ أن المجتمعات التي يبلغ فيها التنظيم السياسي ذروته لا تألو جهداً في اقحام العنصر العسكري وسياسة النفوذ والقوة في مناهج حياتها الخارجية أو سياستها الدولية . ومثل هذه المجتمعات في هذه الناحية مثل المجتمعات البدائية أو المتخلفة نسبيًّا في مضمار التحضر ، فالدولة ما أن تتوحد عناصرها ويشتد ساعدها وتحس قوتها ، لا تلبث أن تطمح إلى سياسة خارجية توسعية فتحاول أن تمد سلطان سيادتها على رجع ... المستضعفين

لتسيطر عليهم بعد أن تقضي على سيادتهم بتمامها أو تحد منها إلى أبعد حد بحيث تصبح مجرد مظهر أو صورة ؛ كذلك مجتمعات أو أمم الهمجية والبربرية لا تعرف لنفسها سلطان السيادة إلاّ بعد أن تقضي بجحافلها وجموع همجها على سيادات غيرها من الأمم لتبني بعد ذلك سيادتها وسلطانها الأمبراطوري ، دام هذا السلطان كثيراً بعد ذلك أم لم يدم .

فالحد من سلطان السيادة أو محوه جملة لا يمكن أن يأخذ غير طريق واحد هو دائماً طريق غير مباشر، إذ أن هذا الحد أو المحو لا يمكن أن يتحقق إلاّ عن طريق فرض الدولة ذات السيادة قوتها وسلطانها على دولة أخرى فتفقدها سيادتها أو تحيل هذه السيادة كما قلنا مجرد صورة أو مظهر، بحيث تفقد هذه الأمة المسودة شخصيتها الدولية تماماً . أما أن تتنازل الدولة عن سيادتها جملة أو أجزاء ، عن طواعية ورضا ، فهذا ما لا يجوز تصوره بحال ولم يحقق إلى اليوم !

وأما أن يتم هذا الالغاء ، أو هذا التحديد لمدى سلطان السيادات ، عن طريق ادماجها جميعاً في ظل سيادة عالمية واحدة تمنح لدستور أممي عام ، فهذا أيضاً خيال من قبيل نظرية « العقد الاجتماعي » ، وإن يكن التعاقد ليس بين أفراد في هذه الحالة ، بل بين حكومات . ففي كلا الحالين لا يعدو الأمر حدود الخيال النظريّ العقيم الذي لا يستطيع أن يثبت أمام الواقع ، أو يتماسك عند عرضه على محك التطبيق العمليّ . ولا يمكن أن يحتج في مثل هذه الحال بأن دستور الولايات المتحدة الأمريكية يعد مثلاً مصغراً لهذا التعاقد الموموق بين الحكومات ، إذ أن الحالة الأولى قد تم فيها خلق حكومة المجتمع القوميّ خلقاً بتعاقد إرادات فردية ، أما في الحالة الثانيـة فان حكومة المجتمع الدوليّ ستخلق خلقاً بتعاقد حكومات كانت لها نظمها السياسيـة ، الأمر الذي لم يتوفر ، بتمام المعنى الاصطلاحيّ الحديث المقصود بكلمة حكومة ، في سلطات الولايات الثلاث عشرة التي تألفت من مجموعها حكومة اتحادية ذات نظام دستوريّ معين ، بعد مراحل من التطور السياسي والاجتماعي .

هـذا إلى أنه فات هؤلاء المفكرين والباحثين أن الدستور في المجتمعات القوميـة يستلزم حالة من التماسك والاستقرار السياسيّ ، بله التضامن الاجتماعي و « السيكولوجي » بين أفراد المجتمع الواحد حتى يمكن أن تسري قواعده وتقدس مبادؤه إلى حد التضحية في سبيله . ومثل هذا التضامن الوثيق لا وجود له بالمجتمع الدوليّ ، ولن يكون له وجود ملموس في ظل الحقائق الراهنة التي لا نستطيع أن نجحد دلائلها الحاسمة .

فاذا قلنا إن حكومة عليا أو سلطة اتحادية عالمية من الميسور إنشاؤها أو تحقيقها بسبيل من التعاقد الاراديّ الحر بين حكومات العالم كله المشتركة في المنظمات الدولية اليوم ،

أطياف هذا الحلم الجميل ، وتتمثل في هذا الانشقاق المروع بين مبدأين رئيسيين يتقاسمان اليوم مصير الحضارة ، ويخلقان جوّاً مشحوناً بالتوتر والقلق والريبة اصطلحنا على تسميته بالحرب الباردة ، هذه الحرب التي بدأت تنفجر عن عدة أحداث جسام في الشرق الأقصى تنذر الانسانية وشيكاً بحرب عالمية ماحقة تندلع بين الشرق والغرب .

فالمبدأ الديمقراطيّ الحر الذي تنضوي تحت لوائه عشرات من الأمم السائرة اليوم في مدار السياسة « الانجلو أمريكية » والمنجذبة الى هذا المدار بوحي من ثقافته القائمة على المبادىء النيابيـة الحرة ، هـذا المبدأ إذا استطاع يوماً أن يجند هذه الأمم كلها، ليحقق بمجموع إراداتها الحـرة تلك النقلة الدولية الجبارة التي تحيل نظام هيئة الأمم الحاضر إلى نظام سياسي آخر ، له سلطان الحكومة العالميـة ذات الاقتدار العسكريّ والتنفيذي المهيمن على الحكومات المندمجة فيه وعلى مصاير ميراثها الحاضري المشترك ، فأنه لا يستطيع مع ذلك أن يجتذب إليه حكومة الاتحاد السوفيتي التي تخالف سائر هذه الأمم في جوهر النظام السياسيّ وفي طبيعة التوجيه الاقتصاديّ والاجتماعي لمقدرات وموارد الشعوب .

وما انشعابات الرأى الدائمة وأوجه الخلاف الجوهرية التي تثور من وقت لآخر حول موضوعات رئيسية وثانوية، بين الكتلة السوفييتية الشرقية والكتلة الديمقراطية الغربيـة في جلسات مجلس الأمن وفي أدوار انعقاد هيئة الأمم ، إلاّ دليل بيّـن وبرهان ساطع على أن طبائع الأشياء ذاتها ومنطق الحوادث في المجتمع الدوليّ الراهن ينحو بهـذا المجتمع منحى آخر لا يتوافق البتـة لأحلام هؤلاء اليوتوبيين من دعاة الدستور الدولي الواحد والحكومة العالمية الواحدة .

وإن ننسَ من الأشياء شيئاً فاننا لا نملك أن ننسى تهديد الاتحاد السوفييتي تهديداً جديـاً بالانسحاب من هيئة الأمم ، ومعه سائر الدول المنضوية تحت لوائه ، إذا مس حق « الفيتو » بتعديل أو تحوير ، ولو كان ذلك التحوير مقصوداً به صالح الهيئـة وضمان حسن اضطلاعهـا بأعبائها الضخام في حفظ السلام والأمن الدوليين ؛ مع أن الحـد من سلطان هذا الحق ومن مدى استغلاله للصالح الشخصي للدولة بات في طليعة المعضلات التي تتطلب من ساسة العالم وقادته المبادرة إلى علاجها بشجاعة وحزم يحفظان على الهيئة هيبتها ويصونان لهذا العالم الوجل مؤسسته السلمية الـكبرى . فاذا كان هذا شأن روسيا وسياستها من قضية انسانية بحتة تهدف إلى خدمة السلام ورعاية حرمانه ، فـكيف يكون شأنها وموقفها من مشروع حكومة عالمية موحدة تسلبها سيادتها لتندمج ، وهي الوحيدة في نظامها ومنهجها الاجتماعي ، وسط كتلة أو سلطة حكومية عالمية يكون فيها مصيرها

الرأي هزيلة الشخصية إزاء غالبية ساحقة من الدول الأخرى الأعضاء في مثل هذه الحكومة؟

وافتدار حكومة كهذه على الهيمنة العالمية المطلقة على مرافق العالم الاقتصادية وسياساته النقدية تعد في طليعة المهام المفروض اضطلاعها بها كوظيفة من وظائفها الرئيسية، لتجنيب العالم شدة أزماته وويلات حروبه وثوراته. فهل هذا أيضاً ميسور التحقيق في ظل الحقائق المؤلمة التي تسود المجتمع الدولي في مرحلته الراهنة والتي جعلت الاتفاقات التجارية الدولية وتوجيهات المؤتمرات الاقتصادية العالمية حبراً على ورق، مما نعتَ العملات النقدية لكثير من دول العالم الهامة بأوصاف عجيبة تتفاوت بين التعقيد واليسر أو بين السهولة والصعوبة؟

من الطبيعي أن الجواب على هذا لن يكون إلاّ النفي القاطع، فكما ان العالم منقسم اليوم على نفسه من ناحية المبادىء السياسية والمناهج الدبلوماسية والقيم الاجتماعية، فانه لا يزال منقسماً على نفسه كذلك من ناحية مذاهبه الاقتصادية وسياساته المالية والنقدية.

وخلاصة البحث في مثل هذا الموضوع تتركز في حقيقة واحدة هي أن القاعدة القانونية وحدها لا تستطيع كما ذكرنا أن تخلق نظاماً حكومياً دقيقاً وثابتاً بفضل تكامل أو تناسق أجزائه، فالسلطان في المجتمع السياسي يجب أن يكون انعكاساً أميناً لشخصيته وإرادته وتجسيداً صادقاً لضميره العام، فالمجتمعات السياسية هي التي تخلق كما قلنا الحكومات وليست الحكومات هي التي تخلق بمجرد وجودها المجتمعات السياسية. والسبب في هذا ظاهر بيّن، فكما أن مجرد التشريع والصياغة الفقهية الفنية لا يكفيان وحدهما لخلق نظام مرهوب الجانب أو سلطان دائم الاستقرار، كذلك الشأن بالنسبة للقوة المسيطرة، فانها وحدها — كائنا ما كانت طبيعتها أو وصفها — لا تكفي لخلق نظام كامل ودائم.

لم تبقَ إذن إلاّ قوة المجتمع، أي قوة الرأي العام للجماعة، أو بالحريّ قوة الارادة الكلية للمجموعة التي تسيطر عليها مشاعر وتقاليد متجانسة. هذه القوة هي التي تستطيع وحدها خلق النظام القانوني وسلطته الحاكمة. أما سبيل الطغيان والدكتاتورية فحفوف دائماً بالمخاطر والصعاب، ولا تستطيع أية حكومة أو أي نظام قانوني يستند إلى مجرد القوة القاهرة أو الطغيان الغالب أن يصمد للعوارض المختلفة الناجمة عن رد الفعل الحتمي الذي يحدثه الطغيان أو القهر في نفسية المجتمع المغلوب على أمره المنكوب في حقوقه وحرياته.

وفي هذا يقول الباحث السياسيّ الكبير «إريك كاهلر»: «إن خلق حكومة عالمية مستندة إلى دستور عالمي كامل يكون جماع السلطات في المجتمع الدوليّ، عملية تشابه في عالم الأشياء الطبيعية عملية البناء المعماريّ، التي تتطلب عند التنفيذ إرساء طبقة الأساس السفلية لتقام عليها الجدران مستقيمة الأبعاد متوازية الزوايا. ومثل هذه الطبقة — أي

طبقة الأساس — تتمثل ، في المجتمعات الوطنية ، فيما سميناه بالنسيج الاجتماعي Social Tissue المتجانس الذي يخلق عناصر الوعي الجمعي : وهو الوعي الذي تصدر عنه الارادة العامة الموجدة للسلطات في المجتمع . فأين هي هذه الطبقة ، أو أين هو هذا النسيج ، الاجتماعي المتجانس في المجتمع الدولي ؟ نعم إن المجتمع الدولي لايزال يمر بأدوار نشوئه الأساسية ، فمن غير الطبيعي إذن أن تتوشج خيوط هذا النسيج ، وهذا المجتمع لايزال في بداية تكونه ، وهذا حق ؛ ولكن من الحق أيضاً أن الطريقة أو الأسلوب الذي تصنع به النظم الدولية لا تزال طريقة ناقصة بعيدة كل البعد عن أن تساهم في خلق مثل هذا النسيج بله توشيجه وتأكيد عراه في الأمد الزمنيّ المعقول .

فاذا كانت أسس هذا المجتمع التي تثبت وجوده ، ما زالت تعوزنا ، فلا أقل من أن نحول تيار جهودنا وأنظارنا عن الخيالات والمثاليات البعيدة ، لنكتفي بما في يدنا في عالم الواقع فنعكف على اصلاح وصقل هذا « البرلمان الدولي » الناشيء ذي الدستور الأعرج ، هذا البرلمان الممثل في « هيئة الأمم » بسائر وظائفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، كي نرأب من بنائه تلك الثغرات المعيبة ومواضع النقص الأساسية التي كشفت عنها التجارب الأخيرة المرة ، حتى يستقيم لنا النظام بكامله » .

ترى هل اهتدى ساسة العالم من ديمقراطيين وشيوعيين واشتراكيين إلى هذه الحقيقة وهل تراهم تركوا الخيال والنظريات أو قل الأنانية والتعصب جانباً ، وعكفوا بجد وصدق على اصلاح نظام الهيئة الحالي وتعديل نظامها الناقص بما يتفق وروح الحق والعدل في ظل هذا الواقع وظروفه لتساهم في خلق « نسيج اجتماعي متجانس » لمجتمع دولي يتضامن أبداً في احترام عقائد الشعوب ومذاهبها الخاصة في التنظيم السياسي والاجتماعي ، طالما أنها تهدف الى غرض سام ومرمى مشترك ، وهو المشاركة الفعالة ، وبنية خالصة ، في بناء مجد الحضارة وتقديس ميراثها العام بكل قيمه ومثله ، وضمان السلام والحرية والرفاهية الاقتصادية للشعوب صغيرها وكبيرها على حد سواء ؛ أم أن حرباً عالمية أخرى لا بدّ من نشوبها ، كائنة ما كانت أهوال نتائجها ، كي تتم هذه النقلة التي تنقذ هذا المجتمع الدولي من حالة التفكك والانحلال الراهنة وتحقق له التكتل والوحدة الكفيلتين بمناصرة نظمه العالمية العادلة الحرة ، ورعاية ميراثه الحضاري المشترك . . عندئذ نستطيع أن نوفق بامكان خلق رأي عالمي حر يكون في مقدوره أن يقين عن هدي وبصيرة أي شعوب الحضارة هو المسيء لها عن عمد وسوء قصد لنصرة صالحه الخاص ، وأيها هو الحفيظ على جلال الحق وحامي الذمار والحرمات .



الفلسفة والأدب

للأستاذ عبد السلام رستم

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

بين الفلسفة والأدب وشائج يجمعها صدق الأدراك وسلامة التعبير . وأول ما نشأت الفلسفة نشأت في الدولة اليونانية القديمة، وعبّر عنها « فيثاغورس » بأنها البحث عن الحكمة.

ومن ذاك العهد البعيد صارت الفلسفة ترمز الى كل رأي مبتكر أو علم جديد . وفي نطاقها ترعرعت بحوث العلوم والأديان والمنطق .

وإذا كان « بلاتو » بعد « فيثاغورس » عناها بالاتجاه نحو الكمال ، فان « أرسطو » دلّل عليها بأنها العلم ، وأحياناً أجازها على أنها علم الكائنات الحية Ontology .

وظلت على تداول العصور يشوبها بالابهام والغموض ، حتى أنها اتخذت حجة للملحدين والخارجين على الدولة . وفي صراع النازعين اليها والمطاردين لها ، ذهب كثير من العلماء ورجال الدين ضحية الاتهام والتنكيل ، إما عن عداوة بين الحاكم والمحكوم وإما سعاية أريد بها الانتقام أو فتنة تثار بين الخاصة والدهماء .

وتقدمت العلوم واتسعت آفاقها ، وأصبحت الفلسفة مشاعة تتداولها العقول ، ولم تعد قاصرة على البحث عن الحكمة، بل تعددت مناهلها مع الاستزادة من المعرفة ، وصار ارتيادها والمناظرة فيها يعتمد على البحث عن الحقيقة .

وغلبت على الشرق الفلسفة الدينية كما في الفلسفة الهندية التي بنيت على الحياة بعد الموت . والفلسفة الفارسية كما في فلسفة « ماني » وصراع الخير والشر ، والفلسفة الإسلامية ، كما في فلسفة ابن سينا والفارابي والغزالي وابن رشد وموسى ابن ميمون وغيرهم .

أما في الغرب فيمكن القول بأنها انقسمت مع التطور الفكري الى أربع فلسفات . فلسفة سياسية وهي خاصة بنظام الحكم وقيادة الشعوب ، وفلسفة علمية وتخص جانب العلم المحض ومنها اشتقت علوم شتى كعلم النفس (السيكولوجيا) وعلم الأحياء (البيولوجيا)

وعلم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) وغيرها من العلوم الحديثة. ثم الفلسفة الروحانية وهي الفلسفة الدينية وما وراء الطبيعة. فالفلسفة الأدبية وهي موضوع مقالنا هذا.

وقد نما الأدب على العاطفة وما يحسه الانسان من مشاعر في حالاته النفسية من حب وبغض، وفرح وغضب وضحك وبكاء، وشجاعة وخوف. وإنما دفعه اليها حاجته لسداد « مركب النقص » أو شفاء رغبته المكبوتة.

ويلتقي الأدب والفلسفة في الخصائص الانسانية فكلاهما يخلع على الوجود ما يجلو من خفايا أغواره العميقة المتباعدة. إلا أن الأدب (سواء في النثر أو الشعر) يفترق عن الفلسفة منصرفاً الى الشعور والتخيّل، بينما تتجه الفلسفة إلى التنقيب والتأمل.

ومتى كان الفيلسوف صاحب نظرية خاصة يعمل على تمحيصها وتحليلها بالمنطق والبرهان، فان الأديب لا يعلق بفكرة معينة. لأنه أبداً زائغ البصر، يعشق الشيء وضده، ويكره ما كان يحب ويحب ما كان يكره. فهو في جذوة مضطربة غير مستقر، لا يرى إلا بعينيه ولا يهدف إلا لما يهواه.

فطبيعة الفيلسوف الغوص وراء المجهول، وطبيعة الأديب التطلع الى ما يوحى اليه من أنماط وألوان.

ولقد عاش « شوبنهور وجوته » في عصر واحد وفي بيئة واحدة فشقي الأول بحياته وملكته عبادة « القوة » وأغرت الثاني الخيالات والأحلام فاستبدّت به عبادة « الجمال ».

ومن الشعراء من تتسلط عليه روح الفلسفة والحكمة عندما تطول به السن وتصقله تجارب العمر. ومنهم من انغمس في الفلسفة إما بدافع نفسي كأن أصيب بنكبة جارفة قلبت الأوضاع في نظره، كما حدث للشاعر الايطالي « دانتي الليجيري » أثر وفاة معشوقته بياتريس «، والشاعر الفرنسي فولتير » بعد قطيعة العاهل الألماني « فردريك ». والشاعر الانكليزي « جون ملتون » عقب فقد بصره وعزلته في الريف في أعقاب ثورة « كرومويل ». والشاعر العربي الحكيم « أبي العلاء المعري » بعد فشله في « بغداد » واضطراره للقفول الى مسقط رأسه بالمعرة في الشام رهين المحبسين. وإما بدافع خارجي كعدم توافق الشاعر والبيئة التي يعيش فيها أو تحامله على الوالي كما حدث للشاعر الفرنسي « فيكتور هوجو » والشاعر الانكليزي « لورد بيرون » والشاعر العربي العظيم « أبي الطيب المتنبي ».

على أن النزعة الفلسفية تظهر في قصائد الشاعر قبل أن تتمكن منه ويتغلغل فيها، كما ظهر في قول المعري وهو لا يزال يافعاً. ومن ذلك قوله في رثاء أبيه:

جهلنا ، فلم نعلم على الحرص ما الذي يراد بنـا ، والعلم لله ذي المنّ
إذا غيّب المرء استسر حديثه ولم تخبر الأفكار عنه بما يغني
تضلّ العقول الهبرزياتُ رشدها ولم يسلم الرأي القوي من الأفن
وما قارنت شخصاً من الخلق ساعة من الدهر إلاّ وهي أفتك من قرن
وجدنا أذى الدنيا لذيذاً ، كأنما جنى النحل أصناف الشقاء الذي نجني
وخوف الردى آوى الى الـكهف أهله وكلف نوحاً وابنـه عمل السفن
طلبت يقيناً يا جهينـة عنهم ولم تخبريني يا جهينُ سوى الظن
فان تعهـديني لا أزال مسائلاً فإني لم أعط الصحيح ، فأستغني

وقد كان مثل هذا الشعر في وقته يعتبر جديداً في معناه وعده النقاد نوعاً من الغريب وإنما استساغته الافهام لخلوه من صيغة التعقيد التي برز فيها شعر البعض فجاءت أشبه بالنظم المرصوف . ولا يفهم من هذا أن أبا العلاء هو أول من استنبط هذه المعاني الفلسفية بل سبقه من قبل « بشار بن برد » و « أبو تمام » و « ابن الرومي » وغيرهم .

ومع ما في شعرهم من لحولة ورصانة فان العامة لم تألفه في زمانهم واعتبرته شيئاً بعيداً عن الشعر . وفي هذا يقول أبو تمام يخاطب الوزير الأديب محمد بن عبد الملك الزيات في قصيدته التي أولها : —

متى أنتَ عن ذهلية الحي ذاهل :

أبا جعفر ، إنّ الجهالة أمها ولود ، وأم العلم جدّاء حائل
أرى الحشو والدهماء أضحوا كأنهم شعوبٌ تلاقت دوننا ، وقبـائل
غدوا ، وكأن الجهل يجمعهم به أبٌ ، وذوو الآداب فيهم نواقل[1]
فكن هضبة نأوي اليها ، وحرّة يعرّد[2] عنها الأعوجي[3] المناقل[4]
فان الفتى في كل ضرب مناسب تناسب روحانيـة من يشاكل

وفيها يمدح الوزير في أبياته المشهورة : —

لك الخـلوات اللاء لولا نجيها لمـا احتفلت للملك تلك المحافل
لك القـلم الأعلى الذي بشبـاته تصاب من الأمر الكلى والمفاصل

إلى آخر القصيدة .

---

(١) نواقل : ج ناقلة — القبيلة تنتقل الى أخرى فتبقى اليها (٢) يعرد : يهرب
(٣) الأعوجي : فرس منسوب الى بني هلال (٤) المناقل — سريع العدو .

زلال الحمل

للدكتور عبده رزق

إذا كنت تريدين يا سيدتي - وأنت - تريدين بلا شك أن تحتفظي بصحتك، وتبقي سالمة صحيحة وتقطعي مرحلة الحمل مطمئنة الفكر خالية البال دون أن يحدث لك ما لا تحمد عقباه، فنصيحتي اليك أن تعملي بما نشرحه في هذا المقال وتعيريه الاهتمام الذي يستحقه. والموضوع الذي أريد أن احدثك به اليوم من أهم المواضيع التي يجدر الانتباه اليها بالنظر لخطورتها، كيف لا، والزلال الذي لم يؤبه له أو لم يلتفت اليه ويعالج العلاج اللازم في حينه، مصيره السيء ولا ريب حدوث الارجاج النفاسي[1] Eclampsie الذي هو عبارة عن تشنجات مخيفة شبيهة بتشنجات الصرع والهستريا، مع حدوث عوامل أخرى وخيمة العاقبة كالنزف وراء المشيمة وغيره مما يعرّض حياتك وحياة جنينك إلى للخطر.

فوجود الزلال في البول أبان الحمل—ذاك الذي يتسبب خصوصاً من وجود الجنين

---

(١) يحدث الارجاج أو التشنجات النفاسية مرة واحدة تقريباً على ٥٠ ولادة، ويغلب حدوثه بنوع خاص عند البكارى وعند اللواتي أرحامهن عادة متمددة وانقباضاتها شديدة ويساعد على حدوثه في أثناء الحمل وجود الزلال والتورم. ويظهر المرض في معظم الاحيان ساعة الوضع، وقد يظهر في مدة الحمل أو على اثر الولادة. وقد يكون ظهور الارجاج أيضاً من غير أن تسبقه اعراض منذرة.

ويستنتج من بعض الاحصاءات الرسمية ان لكل ٣١٦ حالة من هذا المرض عند الحوامل ١٩٠ منها كان حدوثها في أثناء الوضع، و ٦٤ على أثره. ومن النادر أن النساء اللواتي أصبن بالارجاج مرة يصبن به أيضاً في الولادات التالية. هذا وللوراثة بعض التأثير في احداثه. فقد ذكروا أن عائلة بكاملها قد أصيبت به (الام وابنتاها أولا)، ثم الابنة الثالثة من نفس العائلة وهي في الشهر السادس من الحمل وقد نالت الشفاء. وأخيراً الابنة الرابعة: وهذه لم يظهر عندها في أثناء الحمل أية علامة لوجود الزلال في البول، لكنه ظهر عندها فجأة قبل الولادة بخمسة عشر يوماً بنسبة عالية مما أدى الى وفاتها نتيجة التشنجات التي حصلت عندها في بداية الوضع.

في أحشاء أمه — من العوارض المهمة الخطيرة التي يجب الاهتمام بها والعمل على ملافاتها قبل أن يستفحل أمرها ويتعذر شفاؤها . فقد تكون السيدة مصابة بزلال عرضي يأتي من الحمل يزول بعد الولادة ، أو بزلال كان موجوداً عندها قبل الحمل كمرض برايط مثلاً Maladie de Bright مرض مثل هذا المرض يكون للسيدة وذويها علم به من طبيبها المعالج وتبقى مستمرة على اتباع المداواة نفسها كما كانت قبل الحمل . أو تكون مصابة بزلال منشأه التهاب أو مرض آخر في الكلى يعود سببه إلى البرد أو إلى الاصابة بالحمى القرمزية أو عدوى أخرى وقعت قبل الحمل أو في أثنائه . فهذه الحالات لا تهم كثيراً ، غير أنه يجب الالتفات اليها لأنها تزيد عادة في وطأة الزلال عند الحامل . ولكن أكثر حالات الزلال خطورة هو الذي يتسبب ، كما قلنا ، من وجود الجنين في أحشاء أمه ، وتبدو حينئذ نتائجه الوخيمة سواء قبل الوضع أو في أثنائه ، ومنشأ ذلك كله امتصاص الدم للسموم التي تسبب تلك التشنجات . والزلال نفسه نراه يزداد في أثناء الحمل في البداية إلى النهاية ويساعد على حدوث نزف دم غزير عند الحامل مما يضع الطبيب المولد في مأزق حرج ولا يدري ماذا يعمل في غالب الاحيان حيال هذه الحالة ولا سيما حيال اعراض التشنج المشار اليها.

﴿أعراضه المنذرة﴾ أهم العلامات التي تنبئنا بوجود الزلال في البول بصورة لا تقبل الجدل هي أن تشكو الحامل من تعب زائد في جسمها وصداع مستديم وأوجاع في أسفل البطن وفي منطقة الفقرات القطنية ، واختلاجات عضلية ، ودوار ، وتشوشات الرؤية ، والتقزز وفقد الشهية إلى الطعام ، والقيء ولا سيما إذا ظهر تورم في الوجه والجفون واليدين والرجلين مع ازدياد في ضغط الدم فيجب حينئذ أن تشك في أمرها . ثم تأتي بعدئذ نتيجة فحص البول الايجابية فيتأيد لك إذ ذاك أن السيدة المشار اليها مصابة بالبيلة الآحينية Albuminurie

وليس ضرورياً أن تكون جميع هذه العلامات موجودة للاستدلال على وجود الزلال في البول ، بل ان علامتين أو ثلاثة منها تعتبر كافية لتحذيرنا وتنبيه فكرنا للقيام بالعلاج السريع .

ومما تجب الاشارة اليه هو أن زلال الحمل لا يرافقه في أغلب الاحيان أي اذى أو التهاب في الكلى ولذا نجهل السبب الحقيقي لوجوده في البول : هل ذلك عائد إلى استعداد خاص في مزاج المصاب ، أو إلى رداءة حالته الصحية ، أو إلى وجود عائق ميكانيكي عنده (ورم مثلاً) أو أخيراً إلى ضغط دم ؟ الخ ... والغالب أن امتصاص الدم

السموم ابان الحمل ، كما قلنا ، هي التي تسبب تلك الحالة الخطيرة عند بعض الحوامل .

﴿سيره﴾ يختلف هذا باختلاف حالة المريض ، ففي بعض الأحيان يكون الزلال عرضياً وتزول أعراضه بفضل المداواة والعلاج وان كان يعتري الحامل احياناً بعض أدوار خطرة نسبياً . وفي احيان أخرى يأخذ المرض شكلاً متقطعاً وتظهر فعلاً على الحامل امارات التحسن أو الشفاء ، لكنه يعاودها أو يهاجمها في كل حمل جديد ، فهذه الحالة هي التي يلاحظ فيها خصوصاً موت الجنين خارج الرحم ، وإذا ولد هذا فيكون هزيلاً ضعيفاً ناحلاً . ومع ذلك فهو ينمو ويترعرع في المستقبل كالاطفال الآخرين.

﴿علاجه﴾ تدابير واقية يتحتم على كل حامل مهما تكن حالتها الصحية أن تفحص بولها فحصاً منتظماً حينما تشعر بحملها للتثبت من وجود الزلال فيه أو عدمه ، وتستمر على هذا الفحص طيلة مدة الحمل دفعاً للمفاجآت وعواقبها الخطيرة المعرضة لها ، وبذلك تبقى في حرز حريز من غوائل هذا الداء وتصون حياتها وحياة طفلها . وانه لعمر الحق أمر بسيط جداً في حد ذاته لكنه ضروري في أهميته. ولحسن الحظ نرى كثيرات منهن يدركن هذه النقطة الهامة ويبادرنَ حالاً لمراجعة الطبيب لمعرفة ما إذا كان يوجد عندهن زلال في البول مهما تكن أسبابه وبواعثه . وعلى كل يجدر بكل حامل أن تراجع الطبيب في مدة الخمسة أشهر الاولى مرة في كل شهر ، وفي الشهرين السادس والسابع مرتين شهرياً ، وفي الشهرين الثامن والتاسع مرة واحدة في كل اسبوع وتستمر على ذلك ما دام الزلال موجوداً . وعندما تكون نسبة الزلال عالية في البول فعليها ألاّ تتناول سوى اللبن الحليب لمدة ثمانية أيام وتتجنب جميع المواد الزلالية كالبيض واللحوم . وإذا كانت نسبة الزلال في البول خفيفة فتبقى مستمرة على تناول الحليب كالعادة ويسمح لها في الوقت نفسه بأ كل الخضر والبقول واللحوم البيضاء (كالاسماك والدجاج ولحم العجل والحمام) والفواكه بكثرة ، وتشرب الشاي والقهوة الخفيفة ، وإذا تعذر عليها تناول اللبن الحليب وحده فيمكنها أن تستعيض عنه بماء افيان أو ماء فيشي وغيرهما من المياه المعدنية ، أو أن تتناول اللبن الحليب ممزوجاً بالمياه المعدنية . وتتحاشى كذلك الأطعمة المملحة مهما تكن نسبة الملح فيها ضئيلة . وتحترس خصوصاً من البرد ، وتستعمل المسهلات بين وقت فآخر ، وتكون حياتها مريحة هادئة .

فاذا اتبعت ياسيدتي هذه الارشادات بدقة وعناية تبقى في مأمن من ويلات هذا الداء الذي طالما أودى بحياة الكثيرات من بنات جنسك نتيجة الجهل والاهمال



باب المراسلة والمناظرة

أرتريا الجديدة

للدكتور أحمد زكي أبو شادي

إن روح الاسلام في صميمها جمهورية اشتراكية. وقد أبى نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم ملك الاسلام حينما عرض عليه ، وفي الواقع كان بدء الانحلال في المسلمين (وإن بقي زمناً طويلاً مستوراً) منذ استبدلوا النظام الجمهوري — نظام الانتخاب الصحيح — بالنظام الملكي الوراثي . ومن شاء زيادة الاطلاع فليقرأ سيرة الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري ، وليطالع بإمعان كتاب (من هنا نبدأ) لفضيلة الشيخ خالد محمد خالد المعدود من أحصف علماء الدين المستنيرين بمصر. وهو كتاب يجب أن يكون بين يد كل مسلم متعلم في ارتريا ، بل جدير بأن يكون دستوراً للمصلحين الاجتماعيين والدينيين فيها .

وقد كنت أتمنى أن أكون في طليعة المهنئين لاخواني الارتريين باستقلالهم وبجمهوريتهم المدنية الجديدة المؤسسة على أحدث المبادىء العصرية

أما وهذه الأمنية الجميلة لم تتحقق فلي أن أهنئهم على الأقل بنجاتهم من شر التقسيم الوبيل الذي كان سيقضي على وطنهم العزيز ويجعله نسياً منسيًّا ، والذي لم يعضده أي وطني بصير نزيه .

وإذا كان النظام الفدرالي الذي أقرته (هيئة الأمم المتحدة) هو في اعتقادي وفي اعتقاد كل منصف دون ما تستحقه ارتريا ، إلا إنه مع ذلك يعطيها استقلالاً داخليًّا كاملاً يضعها في مستوى أحسن مما كانت عليه مصر حتى سنة ١٩٢٢ . وإذا أحسن الزعماء الارتريون الاستفادة من هذا الاستقلال الداخلي وحرصوا على نزاهة الحكم وعلى الوحدة الوطنية وسابقوا الزمن في ادخال الاصلاحات الحديثة من اقتصادية وتعليمية فلا مشاحة أنهم سينهضون بارتريا نهضة عظيمة تجعلها في الصف الأول بين الأمم الاسلامية .

وأولى هذه الخطوات أن يكون لارتريا دستور علماني صرف مثل الدستور الامريكي ،

وأن لا ترتكب الغلطة الفاحشة التي ارتكبتها مصر حينما لم تفصل الدين عن الدولة فمزقت بذلك وحدتها الوطنية .

أما ثانية هذه الخطوات فالنهوض باقتصادياتها، وهذا يعني إدخال نظام الري والاصلاح الزراعي الحديث والصناعات الميكانيكية والكهربائية . ولتحقيق ذلك لابد من الاتجاه الى ثلاثة أقطار . الولايات المتحدة الأمريكية للانتفاع ببرنامج « النقطة الرابعة » المنسوب الى الرئيس ترومان وللاستفادة من خبرائها الفنيين القديرين ، وباكستان ومصر للاستفادة من مهندسي الري فيها المتمرنين على حل مشاكل مثيلة لما تواجهه ارتريا الآن وهذا يعني إرسال بعثة اقتصادية اسمية تزور هذه الأقطار الثلاثة للتفاهم على العون المطلوب وهذا أمر لا يتعارض مع النظام الفدرالي لأنه لا يمس الشؤون الحربية ولا السياسية الخارجية بصورة من الصور ولابد من الاهتمام بحسن تصريف حاصلات ارتريا مع زيادة منتوجاتها جنباً الى جنب.

أما ثالثة هذه الخطوات فتعميم التعليم المدني العصري في القطر . وللمعاونة على تحقيق ذلك أقترح إرسال بعثة ملائمة الى وزير المعارف المصرية الدكتور طه حسين باشا ، فان هذا الرجل « الانسان » لن يبخل باعارة ارتريا الرجال الفنيين اللازمين ، وكذلك قد تفعل الباكستان . وربما تمكن الدكتور طه حسين باشا من تأسيس معهد أو مدرسة ثانوية في أسمرا نظيرة للمدرسة الثانوية المصرية في الخرطوم . هذا الى جانب تعليم الحرف والصناعات والتعليم التجاري مما لا غنى للأمة عنه .

والى جانب الجهود الرسمية يجب على جماعة المثقفين الارتريين أن تهتم بنشر المؤلفات الصغيرة المفيدة على جمهرة الشعب كما تفعل (دار العلم للملايين) في بيروت مثلاً ، حتى يمكن رفع مستوى الشعب الفكري رجالاً ونساء بأسرع ما يمكن ، ولابد من اصدار مجلة أدبية راقية مثل مجلة (البشير) في باكستان أو مجلة (العرب) في الخليج الفارسي أو مجلة (الكتاب) في مصر أو مجلة (الأديب) في لبنان.

وخير ما يمكن الانتفاع به من بريطانيا هو دراسة نظامها الاشتراكي المعتدل وكذلك نظام الجمعيات التعاونية والاقتباس منهما ، فهما يتفقان وروح الاسلام التقدمية . ومن الحكمة كل الحكمة تجنيب ارتريا الجديدة ويلات الرأسمالية حتى لا تنتقل من استغلال سياسي الى عبودية اقتصادية .

وأخيراً أقول لاخواني الارتريين الأعزاء :

ولطالما بنت الشعوبُ حياتها بثباتها ، وهوى الردى بحرابه

إن الزمان حليفُ كل مجاهد والصبرُ قبل السيف من أحبابه

التقويم الزراعي

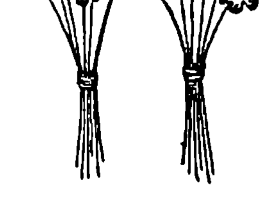
لشهر مارس ١٩٥١

---

(١) — ﴿ الحاصلات الزراعية ﴾

البرسيم — يستمر رعيه ويعمل الدريس
الفول — يبدأ في ضمه في أواخر الشهر وبالأخص في الوجه القبلي .
القمح والكتان — يروى وتنقى الحشائش
القطن — تستمر الزراعة والترقيع (والمحربشة) والري
القصب — تستمر زراعة الغرس . كسر المحصول السابق مع حرق (السفير) .
ري الخلفة الأولى فج خطوط الخلفة .
الارز — تجهز الأرض ويعمد المشتل .

(٢) — ﴿ البساتين ﴾



(ا) — الفاكهة : يستمر نقل وزراعة الأشجار . تعزق الأرض خفيفاً لتغطية الشقوق والابقاء على الرطوبة . تسمد الأرض بالأسمدة الأزوتية قبل ازهار الأشجار الري . غرس الشتلات . التطعيم .

(ب) — الخضر : زراعة البقل والبطيخ والشمام والخيار عروات جديدة . شتل الباذنجان والطماطم والفلفل . تزرع عروة مبكرة من بزر الكرنب والقرنبيط (في أواخر الشهر) . يمكن الاستمرار فى زراعة بذور الكرفس

(حـ) — الأزهار : تزرع بذور الحوليات الصيفية . تنقل حقل الأراولة التي زرعت فى ينـاير الى قدور (قصار) أكبر . تتكاثر الأشجار والشجيرات بالبزور والخلفة والعقلة .

(٣) — أهم الآفات : يبدأ نشاط دودة القطن فى البرسيم والدودة القارضة والتربس فى القطن ، ويجب المبادرة بالعلاج.

✡ ✡



مكتبة المقتطف

النشر العلمي للتراث العربي

زبدة الحلب من تاريخ حلب

ألفه : الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله « بن العديم »
حققه ووضع فهارسه : الدكتور سامي الدهان — نشره : المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية
الجزء الاول : ٣٦٤ + ٨٠ صفحة من القطع الكبير وثلاث لوحات — المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٥١

عرض وتحليل : للاستاذ حسن كامل الصيرفي

لم يعد خافياً على نفر من أهل الفكر في الشرق العربي أن من أوجب الفروض عليهم القيام بنشر تراث الفكر العربي في عصوره الغابرة . إذ ليس من الخير لنا أن نقطع ماضينا قطعاً ، وفي ماضينا ما هو خير من كثير في حاضرنا . كما أنه ليس من الفخر لنا أن تكون عناية الغرب منذ قرون بماضينا ، تلك العناية الواسعة التي بذلها السلف الماضي من خيرة المستشرقين باحياء كثير من آثارنا الفكرية في شتى نواحي المعرفة .

نعم ، ليس من الخير أن نقطع صلتنا بالماضي المجيد ، وليس من الفخر أن يقوم الغريب باحياء آثارنا وبعث تراثنا ونشرها نشراً علمياً صحيحاً ، يشترك في ذلك الأفراد والجماعات التي تؤازر هؤلاء الأفراد ، ولا نستطيع نحن ذلك بالتكاسل من ناحية وتقاعس الهيئات التي يجب عليها مؤازرة مثل هذه الجهود من ناحية أخرى ، فلا ينهض بذلك إلا الورّاقون الذين يقفون أمام كل رغبة يبديها المحقق الباحث .

ونحن أزاء ذلك لا نستطيع أن ننكر جهود المستشرقين فيما نشروا وحققوا من مخطوطات نوادر ، ووضعوا الفهارس التي تقرّب للباحث بغيته ، فلا يضل في متاهات البحث .. ذلك كان جهد السلف الماضي من المستشرقين ، أما المحدثون منهم فقليل من

تتبّع الركب الاول في طريقه . فأصبح لزاماً على أبناء العربية أن ينهضوا بهذا العبء ، ولهم من البصر بفهم أسرار اللغة ما كان يؤخذ من أسباب النقص على بعض المستشرقين .
وعندي أن النشر العلمي لكتاب لا يقل في مجده الأدبي عن التأليف إن لم يزد في بعض الأحيان ، فان ردّ أصل مشوّه الى حقيقته وأظهار ما طمس الزمن عليه ليس بالجهد الذي ينكر أو يجحد أو يوضع في مرتبة أدنى من مرتبة التأليف ، ذلك أن في هذا العمل إعادة تأليف الكتاب من جديد ، وطيّا للقرون العابثة بالأثر لنشره نشراً جديداً فيه معاني الخلود .

وأنه لما يبعث على السرور أن ينهض نفر — وان كان قليلاً — من الباحثين بهذا الواجب ، وفي طليعة هؤلاء صديقنا العالم المحقق الدكتور سامي الدهان . فهذا الرجل ذخيرة من شباب وثاب طموح ، وفكر متقد لماح ، وبصيرة نفاذة نقادة ، وعلم واسع الأطراف ، واطلاع بعيد المدى ، وهمة لا تعرف الكلال والملال . فلقد أخرج منذ عامين ديوان أبي فراس الحمداني ، ولم يكد الكتاب يفرغون من درسه والكلام عنه حتى نشر كتاب الوزير أبي القاسم الحسين بن على المغربي « في السياسة » ثم أعقبه بنشر ديوان « الوأواء الدمشقي » الذي ما زالت تتحدث عنه أندية الأدب .

وما كاد العام الحالي يطل على العالم حتى كان الدكتور الدهان يسلم اليه نخبة من تحقيقاته الجديدة ، سنعرض واحداً منها ، وهو الجزء الاول من كتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لابن العديم ، لينشر على الناس بعد حين التاريخ الكبير الذي وضعه ابن العديم لحلب والذي انتزع منه « الزبدة » مرتبة على السنين ، وهو « بغية الطلب في تاريخ حلب » مرتباً على حروف المعجم في أربعة عشر مجلداً . وهذا الى جانب النواحي الأخرى التي يرعاها ويعمل على تحقيقها ، وهي آثار شعراء العهد الحمداني وغيره من النفائس .

ومن أطلع على أول أثر نشره الدكتور سامي الدهان — وهو ديوان أبي فراس الحمداني لهاله ما عنّى به نفسه في المقدمة الفرنسية ، وهي الرسالة التي قدّمها لجامعة باريس فظفر بدكتوراه الدولة ، فانه أشار في تلك المقدمة الى عدد كلمات الشاعر الى جانب بيان عدد أبياته في كل فن من فنون القول . فهذه الاحصاءات تمثل لهذا الجهد نتبين منه بوضوح مدى الاهداف البعيدة التي يضعها نصب عينيه ، بله هذا العدد الضخم من مخطوطات الديوان وقد بلغت أربعين نسخة موزعة في مختلف بقاع الارض ، راجع عليها نصوص الديوان وأخرجه في أتم أصول التحقيق العلمي .

هـذا هو الناشر الذي وهب حياته لتراث خالد ، وهو الذي حمل الآن الراية التي كان المستشرقون يباهوننا بحملها في نشر الثقافة العربية .

•

أما المؤلف الذي أرضى الناشرُ المحقق روحَـه بعد سبعة قرون على انتقاله من الوجود فهو القاضي، العالم ، السفير ، الأديب ، الشاعر ، المؤرخ المولى الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله المولود عام ٥٨٨ هـ والمتوفى سنة ٦٦٠ هـ الذي قال فيه ياقوت « لم يعن بشيء إلا وكان فيه بارزاً ، ولا تعاطى أمراً إلا وجاء فيه مبرّزاً » . وقال فيه ابن شاكر الـكتبي « كان محدثاً فاضلا . ومؤرخاً صادقاً ، وفقيهاً مفتياً ، ومنشئاً بليغاً ، وكاتباً محموداً ودرّس وأفتى وصنـف ، وترسّـل عن الملوك ، وكان رأساً في الخط لا سيما النسخ والحواشي » .

وقد أطلعنا الدكتور الدهان في المقدمة النفيسة التي قدّم بها للكتاب على الجوانب المتعددة من حياة ابن العديم ، فها نحن معه حين ولي التدريس وعمره ثمـان وعشرون سنة في مدرسة شاذبخت ، وهي من أجل مدارس حلب ، وفي تلك المدينة من فيها من شيوخ العلم الراسخين ، ولـكن مكانة ابن العديم الرفيعـة جعلته في مكان الصدارة ، ونراه بعد ذلك قلـد القضاء فكانت مكانته عند الملوك والأمراء والخلفاء لا تقل عن مكانته بين رجال العلم والأدب، فقد « كانت المراسيم تقام للصاحب ، فلا يدخل عليه إلا من يؤذن له ، ويقدم إليه السلطان الهدايا فيوزعها ابن العديم فيمن حضر » .

ثم نراه في سنة ٦٥٤ هـ — على ما رواه أبو الفداء — « رسولاً من الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى الخليفة المستعصم ، وصحبتـه تقدمة جليلة ، وطلب خلعة من الخليفة لمخدومه » . كما نراه مرة أخرى « رسولاً من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار بأنهم قد اقترب قدومهم الى الشام » .

ويعرض علينا الدكتور الدهان رأي الشعراء فيه ، وما مدحه به بعضهم كالجزار والبهاء زهير وغيرهما ليحدثنا بعد ذلك عن شعره الذي رواه ياقوت ، وكان ابن العديم لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، ثم مات ياقوت قبل ابن العديم فلم يحفظ التاريخ شيئاً غزيراً من شعر الرجل يمكن به أن يستدل على طريقته بعد الثلاثين .

على أن الدكتور سامي لم يفتـه النظر فيما نشر من شعر الرجل ، فهو إذ يعرض علينا صوراً من شعره في الغزل ، ينتهي منها الى الحـكم عليه بأن أغراضه في هذا الباب

« كأغراض الشعراء الذين عاصروه سواء بسواء لا يختلف عنهم ولا يختلفون عنه ، رقة ديباجة ومتانة سبك ، وجمال استعارة وتشبيه » .

أما الفخر عنده فهو « الصادق الذي لا تلتمع فيه سيوف ولا تعطى منه دماء ولا تبدو فيه حمر النعم ، فلم يكن أجداده ممن دخلوا الحروب .. وانما هم قضاة تولوا الحكم بين الناس فأناروا سبل الحق ... وهم خطباء فصحاء وكتاب بلغاء . . وهم يستنون سنة الشريعة السمحاء فهم صالحون مخلصون ... وهم الى جانب ذلك كرماء من أسرة شامخة الذرى في العلم والدين والتقوى والندى من بني عقيل » . . ولا يرى « في أسلوب الفخر عند ابن العديم مماطلة في اللفظ ، فهو ينظم في الفخر كما ينظم في الغزل في عبارات سلسة هينة تجري مجرى الشعر الفصيح الرقيق ولا تختلف عن أسلوب النثر الرفيع إلاّ في تحليق الخيال وسمو الموسيقى وجلال القافية في ترتيب وتدرج وتماسك وارتباط مع أن عصره زخر بالنظّامين المتحذلقين » . . هذا في غزله وفخره . أما في إخوانياته ورثائه الذي لم يصل منه إلا قصيدة رثى بها بلده حلب بعد أن مر التتار به « فتركوا على كل بقعة فيه بصمات أصابعهم المجرمة » فهو ينطق في هذين اللونين من الشعر عن شاعرية غير متكلفة ولا متصنعة .

هذا عن شعره ، أما عن نثره فيقول الأستاذ الدهان إن « من قرأ كتب ابن العديم النثرية وجد أنه ناثر بليغ كما وجد في شعره أنه شاعر مجيد ، في لغة قوية وبيان متمكن يقع من اللغة وفصاحتها موقع الفحول المبرّزين » .

ولقد رأينا فيما مر صوراً لابن العديم كقاض عالم واستاذ حجة وسفير حكيم وشاعر ناثر . وبقي أن نرى الصورة التي رسمها له الدكتور الدهان كمؤرخ ، فهو في تاريخه الكبير لحلب « لم يثبت خبراً إلا ذكر المصدر الذي استقى منه ، ولم يورد شعراً إلاّ وصف لنا الديوان الذي وصل إليه أو الكتاب الذي قرأه فيه ، ولم يسرد حديثاً أو حكاية إلاّ قال : سمعتُ ، وقرأت ، وأخبرنا ، وحدثنا ، وحضرت وشاهدت ، وأنبأنا ، وقال لي عمي ، وقال لي الوزير ، وقال ابن العجمي ، ووقع إليّ من كتاب فلان ، وسيّر إليّ القاضي أبو محمد الحسن بن ابراهيم الخشاب أوراقاً بخطه ذكر أنه نقلها من فلان وفلان ... إلى أقصى ما يستطيع أن يصنعه رجل ثقة ومؤرخ حجة ومحدّث ثبتٌ وقاضٍ منصف حين يعمل التاريخ » .

ولقد كان ابن العديم « منصفاً في تاريخه ، حياديّاً في تآليفه ، ذكر المسلمين عا فيهم

من عيوب وما لهم من فضائل ، وبسط الأمر في المكارم وفصله في انتصارهم ، لم تقع له على مدح متجاوز أو قدح مفرض ، ولم نرَ في أسلوبه أثر العاطفة الدينية والسياسية والاجتماعية » حتى أنه لم يأخذ عليه واحد من المستشرقين الذين نظروا في كتاب الرجل «تحزبه أو تعصبه أو خروجه عن حدود التأريخ العلمي ، فهو يروي حوادث الصليبيين في حياد — وهو قاضي المسلمين — كما يرويها مؤرخوهم حين ينشدون وجه الله والحقيقة »

وإلى جانب هذه الفضائل في ابن العديم المؤرخ فان له فضيلة أخرى « ذلك أنه مؤرخ حقًّا ينقل لنا العبارات المتداولة واللهجات السائرة ، والأقوال والحوار كما جاءت في القديم ، فهو بذلك مرجع لمن يريد أن يدرس اللغات واللهجات على مر القرون واختلاف البقاع والمناطق والأديان والمذاهب »

ذلك هو المؤلف الذي شهد أثره بعثه على يد مواطنه « سامي الدهان » بعد سبعة قرون بعثاً فيه كل معاني القوة والحياة والخلود .

وقد ذكر الناشر في مقدمته القيمة مؤلفات ابن العديم لخلل ما حفظه الزمن سليماً — ومنه ما هو نادر الوجود حصل الناشر نفسه أو اطلع على مخطوطه النادر - تحليلاً دقيقاً وأشار الى المفقود منها إشارة تكاد تقربه الى أعيننا .

•

أما الكتاب الذي نشر على الناس كاملاً فهو فنٌّ من فنون التأليف الذي برع فيه العرب وسبقوا به كثيراً من الأمم ، وانقطعنا نحن عن متابعة أسلافنا في هذا الفن ، وهو التأريخ لبلد ما والترجمة له ، فالخطيب البغدادي يؤرخ لبغداد ، وابن عساكر لدمشق ، وابن العديم لحلب وابن اياس الأزدي للموصل ، وابن تغري بردي للقاهرة ، وغير ذلك . وألف ياقوت معجم البلدان ولم يكتف بتحديد موقع البلد والتعريف به بل أنه ليذكر من نشأ في كل بلد من مشاهير الأعلام وما قيل من الشعر في ذكر البلد . ونحن في أشد الحاجة الى البحث عن آثار السابقين من أعلامنا في هذا الباب ونشرها على الناس اذا لم تكن لدينا الرغبة في الانقطاع الى التأليف فيه .

« وزبدة الحلب » هي ثاني كتابين ألفهما ابن العديم عن موطنه أراد بها الرجل «أن يصف موقف حلب السياسي بين المنازع السياسية المختلفة في ذلك العهد والتيارات المتباينة طوراً تدفع المصريين عن حلب ، وطوراً تدفع الروم ، وحيناً تخرج على الخلافة ببغداد وحيناً تخضع لها ، ويصف الهدايا والرسائل التي كانت تقرب بين الملوك ، ويذكر أسباب

النزاع والتخاصم ، وشروط المدنة وأخبارها » .

فأما الجزء الأول الذي نشر من أجزاء الزبدة الثلاثة فيبدأ بالكلام على المدينة في قديم الزمان ، وذكر تسميتها واشتقاقها . وذلك من لدن كان ابراهيم الخليل يضع أثقاله على تل قلعتها ، ثم ذكر من بناها ، ويظل المؤلف يساير موكب التاريخ في خطواته الى الفتح الاسلامي،فنرى البطل الاسلامي خالد بن الوليد يشق للمسلمين الطريق الى حلب بعد حرب عنيفة مع الروم ، ثم يمر بها ما يقرب من قرن من الزمان وهي تشهد عصر الأمويين حتى يسير مروان بن محمد — بعد مبايعة أبي العباس السفاح — منهزماً حتى عبر الفرات من جسر منبج ، ويبدأ عصر بني العباس وتظل المدينة الخالدة تشهد بعد قرن آخر معارك دامية بين جيوش أحمد بن طولون وولده من ناحية،وبين العباسيين من ناحية أخرى الى أن تنتهي الدولة الطولونية وتبدأ الدولة الأخشيدية ثم يشرق على المدينة عهد زاهر حين يقوم الأمر لبني حمدان ، ونرى هذه المدينة وقد دخلها سيف الدولة الحمداني في سنة ٣٣٣ هـ ، فتعود حروب الاسلام مع الروم متجددة ، ويظل لحلب مجد خالد يرفع شأنه الصارمان : السيف والقلم، حتى ينطوي عهد الحمدانيين وتقع في قبضة المغاربة المصريين ، والمؤلف ينتقل بنا من عصر الى آخر حتى ينتهي الجزء الأول من كتابه بعد الكلام على المرداسيين حتى استيلاء محمود بن نصر بن صالح بن مرداس على المدينة في سنة ٤٥٧ هـ .

ومن يقرأ أسلوب الرجل التاريخي في هذا الكتاب يعجب للروح القريبة كل القرب من الروح العلمي الحديث في تناول التاريخ ، ولذلك لم يكن عجيباً أن يهتم المستشرقون بالرجوع الى ابن العديم حين ترجموا من « البغية » و « الزبدة » ونقلوا عنهما ، وحين نشروا سنة ١٨٨٤ قسماً غير قليل من « البغية » في مجموعة الحروب الصليبية .

ولقد لقيت « الزبدة » من عنايتهم حظاً أوفر مما لقيته البغية ايسر الحصول على نسختها الموجودة في باريس وتفرق أجزاء « البغية » في مكتبات العالم . وقد أوضح الدكتور الدهان مختلف أطوار العناية التي لقيتها الزبدة ، ولكن ما نشره المستشرقون من فصول اقتطعوها منها ، وما ترجموه الى اللاتينية أو الفرنسية أو الألمانية أصبح نادراً يعسر الحصول عليه علاوة على أن المنشور مبتور ، فدعا الحافز الوطني من ناحية والرغبة العلمية من ناحية أخرى ابن حلب الوفي ناشر الكتاب ومحققه الى العناية بهذا الأثر ، فبحث عن أصوله فكانتا مخطوطتين إحداها في لننغراد تاريخها سنة ٨٦٣ هـ ، والأخرى في باريس تاريخها سنة ٦٦٦ هـ وهي أقرب الى زمن المؤلف إذ كتبت بعد وفاته بست

نقطت على الكثير من محاسنها وصعبت قراءتها فاضطر الناشر الى الرجوع الى كتب التاريخ يستمدها كمال النقص وسد العيب وتصويب الأسماء الأعجمية والعربية والموازنة بين جمل المؤرخين وعباراتهم وبين عبارة ابن العديم ، وأثبت كل ذلك في ذيل الصفحات ليثق « القارىء بما يقرأ ويؤمن بما يرد في الكتاب » .

حتى إذا بلغ الخرم الواقع بالنسخة ووقفت أمامه عبارة مكتوبة بخط متأخر « من هنا مفقود كراسة » حار ولم يستطع الحصول على نسخة لينفراد ، فرجع إلى مقدمة المستشرق فريتاغ لما نشره من الزبدة فوجد أنه قد وقع في مثل هذه الحيرة وانه أراد أن يتحرى كمال هذا النقص في نسخة لينفراد أيضاً فلم يوفق لأن النقص واقع فيها كذلك مما يثبت أنها منقولة عن نسخة باريس . ومع كل هذه الصعوبات فان الدكتور الدهان لم ييأس وعاد الى الكتب المتأخرة التي نقلت عن ابن العديم فصوّب عنها وأكمل منها ما نقص بما لا يختلف عن لغة الرجل وأسلوبه وسياق تاريخه .

ومن هذا يتجلى مدى العناية التي بذلها ومدى المشاق التي اعترضته فذللها حتى رد الى الكتاب روحه وبعثه الى الوجود قوياً سليم الروح مستريَ الملامح .

ولم يقف الأمر عند نشر نص الكتاب فحسب ولكن الناشر المحقق أضاف اليه هوامش متعددة لما يقابل الأخبار الواردة في الكتاب حتى يكون أمام القارىء عرض شامل لما كتبه المؤرخون ، إلى جانب الفهارس العديدة التي ذيل بها الكتاب .

وتحقيقات الأستاذ الدهان لما نشر من الكتب وما ينشر دروس جديرة بالالتفات اليها ، ولعل الجامعات المصرية تنتهز فرصة وجود هذا الرجل في مصر فتنتدبه لالقاء عدة محاضرات في أصول النشر الحديث ، ينتفع بها الطلبة فيقبلون على نشر المطوي من آثارنا والمدفون المجهول من روائعنا .

حسن كامل الصيرفي

التربية في الشرق الأوسط العربي

للدكتور أمير بقطر — صفحاته ٧٤٦ صفحة من قطع المقتطف وطبع بالمطبعة العصرية بمصر

الدكتور « أمير بقطر » قطب من أقطاب التربية الحديثة ، ونجم من نجومها المتألقة في الشرق العربي .

ومركزه كمدير لكلية التربية بالجامعة الامريكية بالقاهرة ، يجعله ضابط اتصال بين الشرق الناهض المتوثب ، وبين مهد التربية الحديثة في أمريكا زعيمة الثورة التربوية في العالم واخلاصه لفنه ، وتوفره على عمله يجعله يترصد كل شاردة من النظريات الحديثة ، يقتنصها ليقدمها إلى قراء العربية ورواد التربية في هذه البقعة من الشرق .

وكتاب اليوم ليس كتاباً بالمعنى المعروف ، ولكنه سجل دقيق حافل للحركة التربوية الناشئة في هذا الشرق العربي ، وبقدر ما فيه من الدقة والضبط والاحكام ، فقد استوعب كل ما يمكن أن يعرف عن الجهاز التعليمي ، والأداة الثقافية في هذه البلاد على شتى نزعاتها وتباين مصادر التوجيهات التي تحدد أهداف الثقافة فيها .

ولهذا الكتاب قصة تبدأ فكرتها الأولى في أمريكا وتكتب فصولها ستة بلاد عربية ثم يرفع الستار عنها هنا .. في القاهرة .. فما قصة هذا الكتاب ؟ وكيف ظهر في الوجود؟ لقد طلبت الحكومة الأمريكية أن يكون لديها سجل واف عن الطلاب العرب الذي يبعثون اليها من مختلف بلاد الشرق العربي ، ليكون أساساً يهتدى به في وضعهم مواضعهم من جامعاتها ومعاهدها ونبراساً ترسم في ضوئه سياستها في تبادل الطلاب بينها و بين تلك البلاد

فكلفت مجلس التعليم الأمريكي بواشنطن القيام بهذا العمل فعهد الى الدكتور «رودريك ماثيوز» أستاذ التربية بجامعة «بنسلفانيا» ، والدكتور «متى عقراوي» مدير التعليم العالي بالعراق والمنتدب للعمل بقسم التربية «باليونسكو» ، يؤازرهما الأستاذ امام عبد الحميد من موظفي الجامعة العربية — فقاموا بدراسة مستوعبة لهذا الموضوع.

وفي سبيل ذلك «قطعوا ألوف الأميال ، وزاروا مئات المدارس واتصلوا بعدد كبير من موظفي الحكومات ، وحصلوا منهم على معلومات إحصائية ، وصور من اللوائح والقوانين ، والمناهج الدراسية ، وتحدثوا إلى المعلمين ، ووقفوا على أحوال الطلبة ومدى استجاباتهم للتعليم ، وطرق التدريس ، والمعاهد ومقدار كفايتها من الأساتذة والأدوات والمعامل .. »

واستمروا قرابة سنوات ثلاث يدرسون ، ويناقشون ، ويقارنون حتى تعمقوا هذه الدراسة ، وخرجوا بهذا التقرير الضافي الذي أصبح أساساً ثابت الدعائم للتعاون الثقافي الدولي ، ومرجعاً حافلاً ممتعاً لدراسة التربية المقارنة في البلاد العربية دراسة خصبة منتجة تتيح الفرصة لتقريب وجهات النظر ، وتوحيد الأهداف الثقافية في هذه البلاد المتقاربة النزعات والعواطف ، المتحدة الأهداف والآمال.

وتستطيع أن تتبين ما يعنيه هذا الكتاب حين تقرأ سطوره الأولى : — «لما كان الفرد بالتربية ، والأمة بأفرادها ، فان نوع التربية التي يتلقاها النشء في العالم العربي اليوم ، ينبىء بنوع العالم الذي سيعيش فيه غداً . وما يفكر فيه زعماء الأقطار العربية ، وما

يطمحون إليه اليوم — خصوصاً فيما يتعلق بنوع التعليم وقوانينه — يلقي ضوءاً ساطعاً على المستقبل الذي نتوقعه ، وتدل هذه اللوائح والقوانين على شدة العناية بالتربية ، سواء بالكم أو بالكيف . على أنه لابد من التسليم بأن تحويل المطامح إلى ضرائب لتحويل التعليم عملية بطيئة في البلاد التي تعيش على الزراعة » وما تكاد تتنسم من ثنايا هذه الكلمات تلك الرائحة التي تمتعض لها أنوف الشرقيين — رائحة التدخل في شئونهم التي يمقتونها ويأنفون منها .. حتى يكون البحث صريحاً واضحاً ، ينفي عن نفسه التهمة ، ويرد اعتبار الشعور العربي بهذه الكلمات الصريحة الواضحة : —

«ولما كانت هذه البلدان (العربية) ليست صاحبة الفكرة في هذه الدراسة ، فقد رأى القائمون بها أن يكون الكلام عن التعليم فيها وصفياً عارياً عن التقدير ، مجرداً من النقد ، حريصاً على تجنب كل ما يشتم منه وزن النظم المختلفة في الموازين ، أو قياس المدارس بالمقاييس أو التعرض لتقديم مقترحات بشأن هذه أو تلك . . » .

ثم يمضي الكتاب نحو الهدف المرسوم ، فيدرس في هذه البلاد : نظم التربية وإداراتها ، والتعليم العام ، والتعليم الثانوي والفني ، والتعليم العالي والبعثات التعليمية ، ومعاهد اعداد المعلمين ، والمدارس الحرة والمؤسسات الأجنبية وأثرها في الثقافة الوطنية.. كل ذلك في تدرج منطقي سليم تدعمه الأرقام المستقاة من أصدق مصادرها ، مع أحدث الاحصائيات مفرغة في جداول دقيقة تؤيدها الصور والرسوم التوضيحية والبيانية . حتى إذا انتهى من كل ذلك الى الغاية المرسومة ، واستوعب هذه النظم في مصر وسوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن وفلسطين كتب فصله الأخير عن « التعليم والتطور الثقافي في العالم العربي » وهو فصل أقل ما يقال فيه « إنه جدير أن يكتب بماء الذهب » .

هذا البحث الدقيق المستفيض لم يقدر لكاتب أو مرب أو هيئة علمية في البلاد العربية أن تقوم به ، أو تفكر فيه ، لقلة الرغبة وانعدام الوسائل ، ولأن الحقيقة المرة المؤسفة : إن أي مفكر عربي لو فكر في مثل هذا المجهود ، فلن يلقى الوسائل التي تشد أزره ، وأخصها المادة ، وإن وجد فلن يقوى على احتمال المصاعب ، وإذا احتمل فلن يظفر بمعونة المسئولين في البلاد العربية ، وإذا ظفر فلن ينجو من الاتهام المغرض !

ولكن مجلس التعليم الأمريكي قد استطاع أن يصنع المعجزة ، فخرجت على الناس في هذا السفر القيم ، وكان من حق القراء في الديار العربية ان يتأملوا صورهم في هذه المرآة ، ومن حق المكتبة العربية ألا تحرم هذه الدرة الغالية — على ندرة ما فيها من مراجع في

هذا الموضوع — فما يزال مكان هذا السفر خالياً في مكتبة التربية العربية وهنا يجيء دور المترجم الفاضل ، فيتولى نقل هذا العمل الجبار الى اللغة العربية بأسلوبه السلس الرصين ، فيحدثنا — في تواضع — أنه « قد تمشى مع الأصل جملة جملة ، وسطراً سطراً ، .. وكلمة كلمة كلما استقام له المعنى » وعلى الرغم مما صادفه في عمله من صعوبات أقلها اختلاف المصطلحات العلمية ، والتسميات المتباينة للمدارس ومراحل التعليم وأسماء الامتحانات والشهادات باختلاف مصادر الثقافة العربية الحديثة — فقد جاء الأصل والترجمة « كالحسناء وخيالها في المرآة » . فما أجمل الحسناء ، وما أبدع خيالها .

وقد علق عليه المترجم تعليقات قيمة ، تشير إلى بعض المراجع ، أو توضح ما غمض أو تتابع التطورات السريعة التي تمت بعد كتابة هذا البحث ، غير أن بعضها لم يكن دقيقاً بالقدر الذي عرف عن الدكتور « بقطر » ، بل على العكس كان الأصل في بعض الأحيان أدق من التعليق وأخص بالذكر مركز كلية « دار العلوم » ، فالأصل يشير الى أنها « قد ضمت إلى جامعة فؤاد كإحدى كلياتها » ص ١١٩ ، ولكن الدكتور يصر على أنها قد ضمت إلى كلية الآداب ، وهو خطأ مع سبق الاصرار ، إذ يذكره في صحيفة ٢٨ ، كما يكرره في صحيفة ١٢٣ ، وبالرغم مما فيه من خطأ فإنه يغضب أبناء دار العلوم الذين جاهدوا جهاد الأبطال حتى اعترفت الجامعة بها كلية مستقلة لدراسة اللغة العربية والشريعة الاسلامية » وهي لا تمنح خريجيها « بكالوريوس » كما يدعي الدكتور ص ٨٧ ولكنها تمنحهم « ليسانس في اللغة العربية والدراسات الإسلامية » . وأنا أخشى أن يعتبر « الدرعميون » هذه الأخطاء مقصودة من الدكتور فيطالبوه بالتعويض .

وكنا نود أن يتابع تعليقاته على الأصل في بعض المواضع ولكنه تركها عند الحاجة اليها ، ففي صحيفة ٨٠ يزعم الأصل أن ليس للبنات أي نوع من التعليم التجاري على حين أن التعليم التجاري (التكميلي والمتوسط للبنات) سابق لتاريخ هذا البحث .

كما ترك الأصل على تخليطه واضطرابه فيما يختص بالجامعة الأزهرية ، وشؤون الأزهر وهيئة كبار العلماء . وكما أن بعض الجداول والاحصاءات والرسوم التوضيحية قد بعدت في بعض الأحيان عن مواضعها الطبيعية التي جاءت لتوضيحها .

وبالترجمة بعض الأخطاء اللغوية التي كان لا بد أن يند عنها النظر في كتاب ضخم كهذا وهي لا تبلغ أن تسمى أغلاطاً ، لأنها تظهر للنظرة العابرة ولا تخفى على القارىء العادي .

ويكفي أن يعرف القارىء أن هذا السفر يضم بين دفتيه ٧٤٦ صحيفة من القطع الكبير

وبه ٤٧ صورة و ١٤ رسماً مصوراً و ٩٢ جدولاً وأنه مطبوع طبعاً أنيقاً .. وأنه.. وأنه حتى يفسح صدره لما قد يفلت من أخطاء صغيرة . وهو لكل هذا مرجع لا بد منه لطلاب التربية ومعاهدها في العالم العربي وضرورة لاغنى عنها للمكتبات المدرسية والعامة، ومتعة المثقفين عامة والمشتغلين بالشئون الثقافية والعربية بنوع خاص .

ولا أستطيع في هذه العجالة أن أجول بالقارىء في ثنايا هذا السفر الممتع فأتركه ، وأترك معه صفحات المقتطف لرجال التربية في البلاد العربية ، يتناولون منه ما تضطرب به ديارهم في مواكب الثقافة ، وقوافل الفكر . رضوان ابراهيم

درجات الناس عند الملوك

تاليف فضيلة الشيخ طه الساكت — صفحاته ١٦٠ — طبع بمطبعة أمين عبد الرحمن بمصر

هـذا كتاب لا أكون مغالياً إذا قلت إنه فريد في اتجاهه وتأليفه وتنسيقه وجمعه فمؤلفه الفاضل.. استاذ عالم عامل مجد،له مواقف مشهودة في الدفاع المخاصر عن هذا الصرح العتيد الذي عد بحق من جنده المخلصين الذين يجدون لذة في هـذا الجهاد الخصيب الممرع الذي يفيد الاسلام ويعتز به بنوه الذين سيذكرون ما للمؤلف من أثر بارز في هذا اللون من ألوان البحث الشائكة التي تحتاج الى مال ووقت وكد ونصب في سبيل ابراز ما يعتمل في فكر الباحث المدقق الى الوجود الذي سيحمد له ما لاقاه في بحثه من أهوال وصعاب . . فالشيخ الساكت قد عرض في هذا المؤلف النفيس جانباً من آثام الأمم وما حلّ بها من النكبات والنقم ، وضرب أمثلة شتى من مختلف الصحف وأقوال الباحثين والذين تعنيهم هذه الناحية ووصف أدواء مختلفة لهـذه العلل وتلك الكارثات التي كثيراً ما تعصف بالأمم وتحاول أن تفل من بنيان الاسلام الأشم . . !

وإن تعجب فاعجب لصنيع المؤلف الفاضل فقد أبت نفسه الكريمـة إلاّ أن يهدي كتابه هذا الى الملوك والعلماء والقادة متحملاً فوق طاقته العلمية ما أنفقه في سبيله من مال وجهد،وحق له أن يفعل هذا «لأنه أفنى فيه زهرة عمره ومهجة فؤاده فما كان له بعد ذلك أن يبيعه بعرض من الدنيا — كما قال— والاّ كان أخسر التجار صفقاً ، ولا أن يهديه لغير أهله والاّ كان أسفه الناس رأياً».

وفق الله مؤلفه الفاضل إلى ما فيه الخير وأرشده الى الصواب وجعله نبراساً يضيء أمام الذين يريدون الخير لهذه الأمة التي يجب أن يكون لها من بنيها مرشد مخلص، وهاد أمين ، يبعث ذلك التراث السامق ، ويمسح غبار الزمن عن هذا المجـد الذي نعيش له ونجاهد من أجله ، ونموت دونه.

أبو طالب زيان



كشف أثري بالواحات الخارجة

الرياح تكشف عن مدينة رومانية

من عهد الامبراطور ماركوس اوريليوس

يلاحظ المتنقل بين فيافي الواحات كثيراً من الكثبان الرملية الناعمة ، تتحرك وتتنقل من جهة الى اخرى ، نتيجة لهبوب الرياح . كما أن قرى الواحات كثيراً ما تحاصرها هذه الرمال فيهجرها أهلوها الى مكان آخر .

« الغرد » ويطلق سكان الواحات على هذه الرمال لفظ « غرد » وأخيراً لاحظ حارس الآثار خلال مروره بمنطقته ، وجود مبان ظاهرة على سطح الأرض في ارتفاع بسيط لم يسبق له ان رآها في دركه . وذلك في بقعة تبعد نحو ١٨ كيلوا متراً من الواحات الخارجة في اتجاه قرية المحاريق بمنطقة قاحلة في وسط الصحراء تسمى التراكوة ، وكان ظهورها نتيجة لتحرك الرمال عنها وانتقالها لجهات أخرى .. وبعد مئات السنين .

« قاعات أثرية » وقد أسرع الأستاذ راشد نوير ، كبير المفتشين والأستاذ ابراهيم عبد العزيز مدير الأعمال بمصلحة الآثار المصرية ، الى هذا المكان اذ كانا يزوران الواحات في ذلك الوقت ، لأن قسم الهندسة يقوم بترميم معبد هيبس الكبير بالواحات الخارجة منذ ثلاث سنين . وبمساعدة الريس حبشي وعماله أمكنهم إزاحة الرمال عن المباني في جو عاصف ، فتبين أنها عبارة عن ثلاث قاعات مستطيلة بأسفلها قاعات أخرى يحتمل أن تكون مقابر . وهذه القاعات جميعاً بنيت بالحجر الرملي الأصفر ، وبها نقوش هيروغليفية يدرسها الآن الأستاذ راشد ، كما عثر في حائط احدى القاعات على كوة مستطيلة الشكل ، في هيئة بوابة معبد كانت مخصصة لوضع تمثال أو بعض القرابين فيها . أما أبواب هذه القاعات فكانت مسدودة بأحجار وبلاط .

« مدينة ومعبد » وبالرغم من صعوبة المواصلات في هذه البقعة النائية ، فقد أمكنهم الكشف عن فناء كبير أمام هذه المقاصير ، ثم على بعد نحو خمسين متراً منها عثر على بوابة كبيرة (بيلون) من الحجر الرملي مطمورة في الرمال ، وهذه

وابة لابد أن تكون مدخلاً لمعبد ، خاصة أنها تشبه احدى بوابات معبد بس كما ثبت أنه توجد هناك مدينة ومانية تحت الكثبان يمكن ملاحظتها من رج سطح الرمال وتشكله .

« القصر » ومن أهم المباني التي كشف ها بالقرب من المعبد ، قصر كبير من طوب اللبن ، ذو أعمدة ضخمة مربعة قود تحمل قباباً من الطوب أيضاً تشبه طريقة انشائها وتكوينها المعماري مباني بجوات (القبوات) المشهورة المقامة على ضبة عالية بالواحات الخارجة ، كما عثر على ج في القصر يفضي الى دور سفلي .

« سور ضخم » ويرجح أن تاريخ هذه مدينة الرومانيـة يرجع الى أواخر القرن اني وأوائل القـرن الثالث الميلادي يحتمل أنها من عصر الامبراطور الروماني الفيلسوف مرقص اوريليوس، أكثر الاباطرة حكمـة واتزاناً ، والذي اشتهر بتواضعه وميله للتقشف ومما يذكر أن بالواحات الخـارجة بعض آثار عليها أسماء لملوك من عائلة هذا الامبراطور ، منهم انطونيوس التقي وكومودبوس ابنه .

*

« الآثار بالواحات » ولا شك في ان هـذه المدينة المكتشفة حديثاً هي احدى المدن الكثيرة المطمورة في الصحراء الغربية وازدهرت كثيلاتها ، في وقت من الاوقات كانت فيه الواحات مناطق خصبة ومراكز هامة للتجارة ، ولقد زاد اهتمام مصلحة الآثار المصرية بآثار الواحات فأنشأت بها قسماً لبحوث الصحراء يرأسه الاستاذ أحمد فخـري ، كما أن سعادة شفيق غربال بك زار آثار الواحات غير مرة .

آلات مصورة تكافح أمراض القلب

اخترعت حـديثاً آلتان مصـورتان كاميرا » يتوقع الخبراء أنهما ستعاونان لانسان ، على مكافحة أمراض القلب . فتقوم مداهما بتسجيـل الأصوات التي يولدها قلب البشري ، تسجيلاً منظوراً .

ونقصد بهـا الأصوات الخافتـة التي تستطيع اذن الطبيب سماعها وعندما يقصد طبيب استعمال هذه الآلة ينبغي أن يضع ميكرفوناً صغيراً فوق قلب المريض فيلتقط ذلك الميكرفون ، الأصوات الناجمـة عن قلب المصاب فيضخمها ثم يحولها أشعـة ضوئية . وذلك بصمامات كهربية مشحونة بكهربة سلبية . وفي الآلة شريط متحرك يسجل مسير الأشعة المشار اليها . فينتج من هـذا ، صورة تموجية لصوت قلب المريض . أما الآلة المصورة الأخرى

فتوصل بجهاز الالكتروكارديوغراف حيث تصور نبضات القلب أي الارتفاع والانخفاض اللذين يحدثان في التيار الكهربي القلبي ويسجل هذا العمل كله على فيلم يستجلى ويثبت ويغسل ويجفف في أربع ثوان. فينتج منه سجل عاجل مطبوع يبين حالة قلب المريض

جهاز جديد لمساعدة العميان

ابتكر الدكتور هينز كالمان من نيويورك جهازاً جديداً يساعد العميان على السير في الطريق بدون الاعتماد على عصا أو كلب بل يستغل في جهازه الاضاءة التي ترسلها الأشياء فتدل الأعمى على ماهيتها ومدى بعدها أو قربها منه. ولا يتجاوز حجم هذا الجهاز حجم أداة تصوير صغيرة ومن الميسور تصغيرها ليتيسر حملها في الجيب

وفي أول الأمر كان التفكير يتجه الى تقليد الخفاش في حاسته التي تخطره بأي شيء في طريقه فان الخفاش وهو طائر يعمد الى الصراخ فيحدث صوته موجودات اذا صدمت جسماً عادت الى الخفاش مرة ثانية فعرف أمره وحاد عنه.

وفكر الخبراء في استغلال هذه الخاصية بأن يحمل الأعمى جهازاً يرسل موجات راديو أو ضوء تعود اليه مجسمة بجهاز آخر فتخطره بمكانها، ولكن الدكتور كالمان رأى أن مثل هذا الجهاز لا يمكن تصغيره وحمله بسهولة ولهذا فكر في الاستعانة بالأضواء التي ترسلها الاجسام نفسها.

وأهم أجزاء هذا الجهاز عدسة جامعة تحدد مكان الشيء بالضبط تبعاً لوضوحه منها فتعكس هذه الموجات الى أصوات تختلف باختلاف بعد الشيء عنها وترسلها الى أذن الأعمى فيعرف ما حوله.

ومن الضروري لاستخدام هذا الجهاز أن يعرف الأعمى لغته ويتدرب على فهمها ويقول مبتكرها أنها تستخدم ٨ أصوات تبين الأشياء التي في متناول اليد أو على بعد ١٥ قدماً من الجهاز ومنها ما يرشده في حالة صعود السلم أو هبوطه.

٭

ومن مساويء هذا الجهاز أنه لا يرى في الظلام ويمكن استخدامه باضاءة شمعة أو مصباح كهربائي صغير ويقدر ثمنه بنحو ٢٥ دولاراً وكل نفقات تشغيله بطارية لتشغيل جهاز الصوت وهذه تكلف مستخدم الجهاز نحو ١٠ سنتات في الشهر.

وقد أعلن كالمان أنه مستعد للتنازل عن حقوق الاختراع أو الربح من جهازه فكل ما يرجوه هو خدمة العميان الذين يبلغ عددهم ٢٥٠،٠٠٠ أعمى في أميركا وكل ما يرجوه ان تعاونه شركات انتاج أدوات ضبط المسافة للعدسات في توفير هذه الأجهزة لمصلحة العميان

زرق العيون وسرطان الشمس

هـذا تحذير يسوقه الدكتور فالنشر ..ل من جامعة كاليفورنيا الى الشقر ذوي ..يون الزرق ، فهم أكثر تعرضاً للسرطان ..اما لفحتهم الشمس من غيرهم ذوي العيون ..سود أو العسلية . وقام بدراسة عميقة .. مائة شخص حتى خرج بهذه الصلة بين ..سرطان ولون العيون ، ثم قال في تقريره ..هم « تدل الشواهد والملاحظات على أنه ..ا كان اسلاف المرء ذوي عيون بنية فاتحة ..نوا أمنع على الأشعة التي تسبب السرطان. ..ا الأطفال زرق العيون الذين انحدروا ..ن اسلاف يماثلونهم في هذه الزرقة ، ..ؤلاء أضعف مقاومة وأكثر تأثراً ..تعرضاً للسرطان ، لكن الكثيرين من هؤلاء اذا ما دبغتهم الشمس ، دون أن يتكرر لفحها وحرقها ، يكتسبون من المناعة والمقاومة ما يحفظهم من شر هذا المرض اللعين .

آلة تصور باطن العين

يستطيع الأطباء الآن تصوير باطن العين وذلك بآلة تصوير فوتغرافية « كاميرا » فائقة السرعة تصور صوراً ملونة أو سوداء أو بيضاء تبين دقائق شبكية العين وخيوط أعصابها وغيرها من العناصر الداخلية لحاسة البصر . ولهذه المصورة عدسة بؤرية مستطيلة جداً أشبه بتليسكوب .

كرة من البلاستيك تتنبأ بالجو

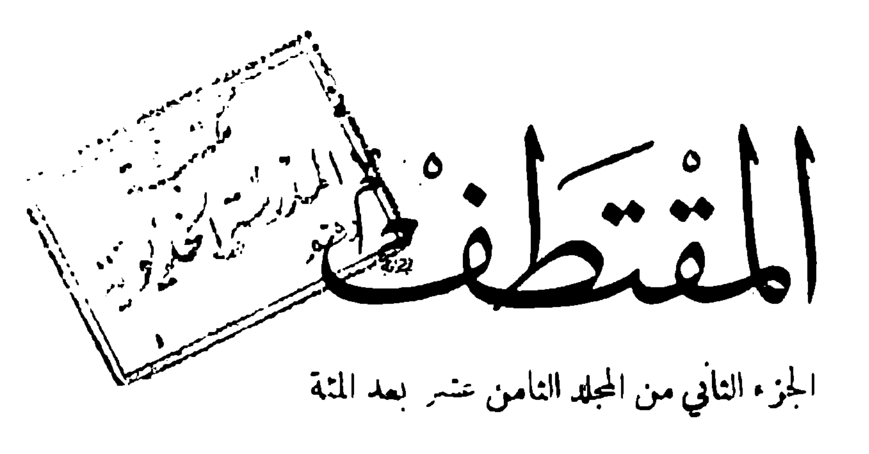
في مدينة مينابوليس بأمريكا يستطيع ..اس أن يعرفوا الجو وتقلباته بمجرد ان ..موا النظر الى كرة من البلاستيك مضيئة ..تقع عالياً فوق المدينة . فلقد زودت تلك ..كرة في داخلها بأنابيب من النيون تلمع ..ضيئة بألوان مختلفة ، ولكل لون ما ..نيه وما ينبيء عنه ، تضيء باللون الاحمر ..تدل على موجة حرارة قادمة ، وتشع ..لون الابيض فتنذر بالبرد ، وهي خضراء ..اهية اذا لم يكن هناك ثمة تغيير في الحالة الجوية أما اذا ارتعش الضوء وخفق فتلك دلالة المطر والجليد .

ولقد جهزت الألوان ونظمت على أن تتفق مع التقارير والنشرات التي تصدرها مصلحة الارصاد الجوية بالمدينة . وتلك الكرة التي تعلق بها أبصار الناس في غدوهم ورواحهم انما رفعت على مصرف كبير في المدينة ، استطاع بتلك الوسيلة أن يجذب الأعين والاهتمام ، فكانت طريقة جميلة مبتكرة للدعاية والاعلان .

✡✡

الفهرست

للجزء الثالث من المجلد الثامن عشر بعد المئة



الجزء الثاني من المجلد الثامن عشر بعد المئة

١٥ مارس سنة ١٩٥١ — ٧ جمادى الثاني سنة ١٣٧٠

الفيلسوف والالم

للدكتور جميل صليبا

﴿ تمهيد ﴾ لمصور الفلاسفة وفيلسوف المصورين (تبشين) صورة ذات قسمين ، يمثل أحدهما عدداً من النساء في أوضاع مختلفة ، اختطفت أطفالهن فبدت عليهن علامات الحزن والضنى واليأس ، ويمثل الثاني عدداً من النعاج في أوضاع موازية لأوضاع النساء ، اختطفت خرافها فظهرت عليها دلائل الألم والرعب والذعر . وفي كل قسم من هذين القسمين معانٍ جميلة ورموز لطيفة . فاذا تأملنا هذه الرموز وهذه الاشارات وجدنا تحت كل صورة انسانية صورة حيوانية مشابهة لها ، ورأينا الحيوان والانسان يتشابهان في الاحساس بالألم ويختلفان في التعبير عنه .

إن هذه الصورة الرمزية توحي بكثير من المعاني ، وتشير إلى كثير من الآراء الفلسفية فهي تدل أولاً على أن الألم ظاهرة طبيعية مقارنة لوجود الانسان والحيوان ، وهي تدل ثانياً على أن نمو القوة المدركة عند الحيوان يزيد شعوره بالألم . فالجماد لا يحس بالألم ، والنبات يكاد يكون عديم الاحساس به ، أما الحيوان فان درجات شعوره بالألم متفاوتة ، فكلما كان أرقى كان شعوره بالألم أشد ، وكلما كان أدنى كان شعوره بالألم أخف . وأما الانسان فهو أكثر الحيوانات شعوراً بالألم لنمو مداركه العقلية ، ولو فرضنا أن هناك عالماً آخر فوق عالم الانسان له نصيب من المعقول ، ونمطه في الوجود شبيه بالنمط الذي نحن

فيه لكان شعوره بالألم أشد من شعور الانسان به . فكأن العقل عن النعيم صاد ، وللسعادة مضاد ، وكأن العلم سبب من أسباب الشقاء .

ثم إن صورة (تبذين) هذه ترمز أيضاً الى مذهب التشاؤم ، لأن العقل في نظر صاحبها يولد الحزن والألم والشقاء ، والجهل يولد القناعة والرضى . ومن الصعب أن تقف أمام هذه الصورة الفنية دون أن نتساءل : ما هي أسباب الألم ، لماذا وجد الألم ، هل يتألم الانسان أكثر مما يتألم الحيوان . ما هي علاقة الألم بالعلم ، هل يزداد الألم بازدياد العقل والثقافة . ثم إذا كان العلم يشقينا فهل من الخير لنا أن نعلم ، أم نحن حقيقون بأن ننعم في الجهل ، وان نفضل الظلمات على النور . ثم كيف السبيل الى شفاء النفس من الألم ، هل يستطيع الانسان أن ينقذ نفسه من براثن الشقاء . ما هو الخير وما هو الشر ، وما هي شروط السعادة ؟

هذه أسئلة طالما رددها الفلاسفة ، وحاولوا أن يجدوا لها حلاً ، وهي غير مقصورة عليهم وحدهم وإنما هي اسئلة يرددها كل انسان في كثير من مواقف الحياة . فاذا اشتدّ المرض عليه صرخ من أعماق قلبه لماذا أتألم . وإذا فارقه حبيبه وشعر بالملال والضجر بعده ودّ لو يفارق الحياة . واذا مات له عزيز ضاقت الدنيا في وجهه . فالفتى يشقى بأحلامه ، والشيخ يبيع حكمته بشبابه ، والفقير يصرخ يا رباه حتى متى تحكم البؤس فيّ وتضع الشوك على رأسي والغني يقول لقد أوقر المال بالهمّ حياتي فاستعبدني في صباي وشيخوختي حتى جنى على صحتي جناية الشوك على الورد . ويكفي أن يدخل الانسان مستشفى من المستشفيات ، أو ملجأ من ملاجيء العجزة ، أو سجناً من السجون المظلمة ، أو بيتاً من بيوت الفقراء المعدمين ، أو معملاً من المعامل الكبيرة التي سخرت الانسان للآلة ليشاهد ألواناً من العذاب وصنوفاً من الألم والشقاء . فالانسان يسعى جهده طيلة حياته محفوفاً بالمتاعب والمصاعب ، وغاية ما يحصل عليه بعد هذا العناء الطويل ان يحافظ على حياته البائسة ، بينما الموت ماثل أمام عينيه في كل لحظة وفي كل فعل . أفلا يدفعه هذا كله الى الثورة والتمرد ، أفلا يدعوه الى البحث عن أسباب ألمه . لماذا يتألم الإنسان ، ولماذا يسعى ويشقى ، لماذا لا تكون حياته لذة كلها وسعادة كلها ، أجل ، لماذا - هذه كلمة ثورية لا يقولها إلاّ الانسان ، هذه صرخة سماوية لا تنبعث إلاّ من أعماق القلب . أليس الانسان شبيهاً (بأوديب) التائه الذي ذكرته الأساطير ، يمشي في طريق الحياة الوعر ، حتى يلتقي في أحد منحدراتها بذلك (الاسفنكس) العجيب الذي يطلب منه الجواب عن لغزه المحتوم ؟ فإذا حلّ هذا اللغز نجا من الموت ، وإذا عجز عن حله وقع في الهاوية .

١ — الألم في نظر الشعراء

لقد حاول كثيرون من الشعراء أن يحلوا هذا اللغز وأن يقبضوا بيمينهم على كلمة السر، فثار بعضهم على الألم وأذعن الآخرون للشقاء الذي خلقوا له .

فمن الذين ثاروا على الألم ثورة عنيفة أبو العلاء المعري ، وعمر الخيام والشاعر الانكليزي بيرون .

فأبو العلاء قد رأى الشر والألم في كل شيء ، وشبه الناس بركاب سفينة تتدافعها أمواج البحر ، وقال وملء جو نحه الرعب واليأس

ينهال التراب على من ثوى فآه من النبأ الهائل

وعمر الخيام رأى أننا ألاعيب أطفال ، وأن الفلك هو اللاعب بنا ، فذمّ الحياة ، وأفاض بالنقمة عليها ، وقال ان محصول الانسان منها لم يكن إلاّ الألم وعذاب النفس ، فطوبى لمن خرج منها أو لم يجيء إليها .

وبيرون ثار على الألم ثورة عنيفة فقال في خطابه لابليس على لسان قابيل : « لمَ وجدت ، ولماذا شقيت ، ولمَ أحاط الشقاء بكل موجود ، يجب أن يكون الخالق هو الآخر شقيًّا ما دام قد خلق هذه الكائنات البائسة » .

ومن الذين أذعنوا للألم واستسلموا لصروف الحياة الشاعر الفرنسي (دوفيني) فهو يزفر زفرة عميقة هادئة هي أقرب ما تكون الى زفرة المحتضر . ثم تنتهي زفرته هذه بالاذعان والاستسلام الوديع

ومنهم أيضاً (الفرد دي موسيه) الذي أعلن أن الانسان متعلم والألم معلمه وأن الإنسان لا يعرف حقيقة نفسه إلاّ إذا تألم ، وأن لا شيء كالألم العظيم يجعلنا عظماء .

تلك هي آراء بعض الشعراء . وذلك هو موقفهم من الألم . لقد وقفوا من الألم موقفاً ثنائيًّا في وجهه الأول ثورة وفي وجهه الثاني اذعان واستسلام ، إلاّ أن آراءهم لا تؤلف مذهباً فلسفيًّا محكم الاجزاء دقيق التركيب ، وإنما هي معان تخيلوها فلاّوا منها شعرهم . رأوا أشعة النور ، ولكنهم لم يستضيئوا بها ، وأدركوا الظواهر والنتائج ، ولكنهم لم يكشفوا عن الحقيقة ولا قبضوا على كلمة السر ، وانما بدا العالم لهم مسرحاً من الصور والألغاز ليس بين أجزائه ارتباط ، ولا بين ظواهره ترتيب ، ولو فاجأهم الاسفنكس في طريقهم وألقى عليهم لغزه العجيب لعجزوا عن حله ، ولوقعوا فيما وقع فيه غيرهم من الاضطراب والقلق

سرٌّ قديمٌ وأمرٌ غير متضح فهل على كشفنا للحق اسعاد

لنترك إذن هؤلاء الشعراء ، إنهم في كل وادٍ يهيمون ، ولنطلب من الفلاسفة أن يوضحوا لنا هذا السر ، ان الفلسفة كما يقولون هي العلم بحقائق الأشياء ، فما هو الألم في نظر الفلاسفة ، ما هي أسبابه وما هي غايته ؟

٢ – الألم في نظر الفلاسفة

إن لمسألة الألم في نظر الفلاسفة وجهين : الأول هو تعليل الألم ، والثاني هو التحرر منه، ومعنى تعليل الألم ادراك حقيقته وفهم أسبابه ، ومعرفة غايته . ومعنى التحرر من الألم الكشف عن طريقة عملية للخروج منه ، ومعرفة السلوك الذي يجب علينا ان نتحلى به عند مواجهتنا إياه أو شعورنا به .

إن كل مسألة من هاتين المسألتين متصلة بالأخرى ، لأنك لا تستطيع ان تهتدي الى طريق التحرر من الألم إلاّ اذا عرفت أسبابه ، كما أنك لا تستطيع ان تعرف كيف المخرج منه إلاّ اذا عرفت حقيقة سلوك الانسان ، وهل هو مسيّر أو مخيّر . فاذا تبين لك ان الانسان مسيّر حكمت جازماً بأنه لا حيلة له في الثورة على الألم ، وان شاء أو أبى ، مدفوع بحكم الاضطرار الى مصيره المحتوم واذا تبين لك ان لارادة الانسان تأثيراً في توجيه سلوكه حكمت جازماً أيضاً بأن في وسعه أن يتجنب بعض أسباب الشقاء . فمن الضروري إذن ان نبحث عن أسباب الألم وشروطه قبل ان نبحث في امكان التحرر منه والتغلب عليه

إن أقدم المذاهب الفلسفية التي نجد فيها حلاً لمشكلة الألم هي الابيقورية والرواقية . فقد حاول أصحاب هذين المذهبين ان يعللوا لنا حدوث الألم ، ويبينوا لنا غايته ويرشدونا الى طريق الخلاص منه .

ا – « الابيقورية » – ماذا يقول الابيقوريون ؟ يقولون إن اللذة وحدها غاية الانسان ، وهي وحدها مصدر الخير ، أما الألم فهو الشر . والحكيم كل الحكيم في نظر (ابيقوروس) من سكّن آلامه بتذكر اللذات الماضية ، وتأمل لذات المستقبل ، فيرفض لذة عاجلة لأنها تستتبع ألماً أكبر منها ، ويتحمل ألماً عاجلاً لأنه يستتبع لذة أكبر منه . إن الألم ينشأ عن كثرة الحاجات . فخيرٌ للانسان اذن ان يقلل من حاجاته ، وأن يطرد من أفكاره كل ما يبعث على الألم ، وعلى قدر ما نتجنب هذه الأفكار المنافية ونحافظ على الأفكار الملائمة نكون سعداء . وسبيل ذلك بساطة العيش والاعتدال ، وابتهاج النفس ، وهدوء البال ، والسيطرة التامة على الرغبات حتى لا تدفع بنا في طريق الضلال . وكثيراً ما كان

ابيقوروس يصف نفس الحكيم بهدوء البحر او بالسماء الصافية ، بل الحكيم في نظره هو الذي يكتفي بالقليل من الخبز والماء ، ويصبح باعتداله أسعد من (جوبيتر) ، فيتذرع بالصبر ، ويجد اللذة في احتقار اللذة ، ويتألم من غير أن يشكو ، لأن شكواه لا تنفع إلاّ في زيادة آلامه وأحزانه . وهذا كله حق ، لان التذرع بالصبر قد يعين الانسان على التحرر من الآلام الخفيفة ، ولكن كيف يستطيع الانسان ان يتغلب على الآلام الشديدة ، كيف يستطيع التغلب على الموت ؟ يقول (ابيقوروس) : لا تخافوا من الموت ، انكم لن تجتمعوا به ابداً ، فما دمتم في قيد الحياة ، لا تلتقون بالموت ، ومتى فقدتم الحياة فقدتم الاحساس . وفي هذا القول كما ترون مسكنات كاذبة لقلقنا ومخاوفنا . إني اخاف من الموت بالرغم من هذه المسكنات . ان نفسي لا تسكن كسكون البحر ، ولا تصفو كصفاء السماء ، وانما هي شبيهة ببحر متلاطم الامواج ، أو بسماء متلبدة بالغيوم . وهذه المسكنات الابيقورية لا تزيدني إلاّ قلقاً واضطراباً .

ب — « الرواقية » — ثم ماذا يقول الرواقيون ؟ إنهم يقولون عليك ان تقوم أولاً بواجبك لأن قيامك بالواجب هو وحده في متناول يدك . وهو الذي يحرر نفسك من الألم ، واياك ان تفكر في غير الواجب ، بل طمئن نفسك دائماً ، واخضع للقانون العام الذي يسيّر الكائنات كلها بدون حب . نعم بدون حب لماذا ؟ — لأننا اجزاء محبوكة في دولاب الكون . قد تكون الحوادث التي تمر بنا شراً ، وقد تكون خيراً ، ولكن هذا الأمر لا يهمنا أبداً ، لأن المهم قبل كل شيء ان يكون في الوجود نظام . وإذا كان نظام الوجود يقتضي أن يتألم بعض الناس ، ويفرح بعضهم الآخر ، فما على الانسان إلاّ أن يتقبل ذلك كله بنفس راضية مرضية . لقد كان (ابيكتيت) عبداً رقيقاً وكان سيده يعذبه كثيراً ، فلما لوى له رجله قال له (ابيكتيت) في هدوء : « ستكسر رجلي » فلما انكسرت رجله قال في غير جزع : « قلت لك انك ستكسر لي رجلي » . وهذا المثال يدل على أن السعادة في نظر الرواقيين انما تعتمد على قوة المقاومة . وما نجده في الحياة من آلام ليس سوى تمرين رياضي نصل به الى ضبط النفس وكبح جماحها . لتمر بنا الآلام ، ولنغمر حياتنا كما تغمر أمواج البحر الصخرة الصماء الراسية على الساحل . إن سعادتنا هي أن نتحد بنظام الكون وان نعتقد أننا جزء من أجزائه المركزة بعضها على بعض ، وأن نقول بهدوء وثبات وتجلد ما أنت أيها الألم الا كلمة خرساء .

ولكن ألا ترى معي أيها القارىء الكريم أن في هذا الثبات ، وفي هذا التجلد

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والصبر تمرداً على الطبيعة ? كيف ينكر الرواقي الالم ، والالم ملء جوانحه ! كيف يرضى عنه وهو ينخر عظامه ، ويمزق أحشاءه ? لا يكفي أن يسلم المرء بأن نظام الكون يقتضي وجود الالم حتى يكون سعيداً ، لان الحكم بأن الالم نتيجة طبيعية لنظام الكون لا يمنع المرء من الشعور به وما خير الحياة بلا سرور ، لا بل ما فائدة هذا النظام العام إذا كان من لوازمه أن نعيش على خطر وأن نخترم عن الحياة قبل التمتع باللذات ، وأن تبقى سكين الجلاد مسلطة على عنق الذبيحة ? قد تكون التضحية بالفرد عدلاً بالنسبة الى الكون ، ولكنها على كل حال ليست بالنسبة الى الفرد إلاّ منتهى الظلم والجور . يقول لي الرواقيون لو لم تعتقد أن في مصيبتك شراً لما تألمت ، فألمك ناشيء إذن من رأيك . نعم لو اعتقدت ذلك لما تألمت ، إلا أنني لست معتقداً ذلك ما دمت أتألم ان تحدي الالم لا يميت فينا هذا التطلع الى حياة أسمى من الحياة الواقعية . إننا نريد أن نعيش طويلاً ، إننا نريد أن يكون عيشنا رغداً ، فيا عجبا للرواقي الذي يخدع نفسه ، كيف يستطيع أن ينكر الالم ، لا بل كيف يستطيع أن يتحداه ، إنه يكذب على نفسه ، ويكذب على الناس لم يرض بالواقع الأليم إلاّ ليأسه ، ولم يزهد في الحياة إلاّ لعجزه عن التمتع بلذاتها .

ح — ﴿ الوضعية ﴾ — لنترك الآن هذه المذاهب القديمة ، ولننتقل الى الفلسفة الحديثة . لنسأل الفلاسفة الوضعيين ما هو رأيهم في الالم ، وما هي الوسائل التي يرون الاخذ بها للنجاة منه . ان هؤلاء الفلاسفة لا يتجاهلون وجود الألم ، ولا ينكرونه ، ولا يستسلمون له ، بل يكافحونه ويحاولون اتقاءه . فهم يقولون إن سلاح الانسان هو العلم ، وهذا السلاح يعينه على كل شيء . لنخضع الأرض لحاجاتنا ، ولنضيق ساحة الألم ، ولنفتح أمامنا أبواب الفرح واللذة . ولنملأ حياتنا قوّة ونظاماً . إن في علم الصحة وسائل للوقاية من المرض ، كما ان في علم الطب أساليب للشفاء منه . وفي تنظيم الحياة الاجتماعية على أسس عقلية وسائل كثيرة لمكافحة الفقر والجهل واحقاق الحق واقامة العدل

لقد كان أثر هذا المذهب الوضعي في عقول الناس عميقاً جدّاً ، لانه يعتمد على العقل والتجربة ويؤمن بالتقدم . ويعتقد أن العلم هو الوسيلة الوحيدة لاسعاد الناس . ألم يكشف العلم عن أسرار الطبيعة ، ألم يخفف أعباء الانسان . ان العلماء قد اخترعوا كل شيء ، فهم قد سيطروا على البر والبحر والسماء ، وقصروا المسافات ، وحفروا الجبال ، وسخروا قوى الطبيعة لأغراضهم ، وأخرجوا ثمرات الارض ، وحطموا الذرّة ، وعرفوا أسباب المعالجات ، ومدوا في حياة الانسان وربما كشفوا في القريب العاجل أسراراً كثيرة غير هذه تسير بالانسان في طريق التقدم حتى يبلغ سدرة المنتهى .

ولكن هل استطاع العلماء أن يخففوا الحزن ، ويزيلوا الشر المحدق بالإنسان ! هل أدّى التقدم البشري الى اسعاد الناس وانقاذهم من الهم والغم ؟ إن الإيمان بالتقدم لا يمنع المرء من الشعور بالألم . وقد يكون أشد الغم عند الانسان في سرور يتيقن انتقاله عنه ، أو يتوهم بقاءه وهو زائل . لقد وصف لنا الفيلسوف (فوييو) هذا الإيمان الوهمي بالتقدم بعبارة لطيفة . قال : « عرفت فتاة ساقها جنونها البريء الى الاعتقاد أنها مخطوبة وانها تزف كل يوم الى خطيبها الخيالي . فكانت ترتدي عند نهوضها من النوم ثوبها الأبيض ، وأكليلها الفضي ضاحكة مستبشرة ، قائلة في نفسها سيأتي الخطيب في هذا النهار . فاذا جاء المساء ولم يأت الخطيب المنتظر غلبها الحزن ، ونزعت ثوب عرسها ، ثم تعود الى ذلك في اليوم الثاني عند مطلع الفجر قائلة سيجيء الخطيب في هذا النهار ولم تزل كذلك تفرح في الصباح وتحزن في المساء ، ترتدي ثوب الأمل راضية باسمة ، ثم تنزعه واجمة باكية ، فتنتقل من يقين متوهم ، إلى شك محقق ، حتى أورثها الموت » . إن البشرية تشبه هذه الفتاة المسكينة ، فهي تنسى في كل عصر ما أصيبت به من خيبة الأمل في العصور الخالية ، وتنتظر دائماً تحقيق مثلها الأعلى لقد مرّ على البشرية مئات السنين وهي تقول سيجيء الخطيب غداً ، وكل جيل من الأجيال يرتدي ثوبه الأبيض ، إلاّ أن هذا الخطيب المسحور لم يجيء حتى الآن .

لنفرض الآن أن التطوّر ظلّ سائراً قدماً الى الأمام حتى وصل الى نهايته . ولنتصوّر أن البشرية استطاعت بعد جهود طويلة أن تتغلب على جميع العقبات ، وأن تحقق لكل فرد حرية الاستمتاع بلذات الحياة فهل يقنع الإنسان بذلك ، وهل يكتفي بما بلغه من أسباب اللذة ، ووسائل الصحة والرفاهة . لا لعمري . إن الانسان يطمح دائماً الى أسمى من ذلك . إنه ينظر دائماً الى فوق . وكلما بلغ درجة من التقدم تطلع الى حياة أرقى من حياته الواقعية . وهذا الميل الى تحسين الحياة ، هذا الطموح الى اجتياز حدود الامكان ، هذا النزوع الى ما وراء الواقع ، لا يقف عند حد . ولو أعطي الانسان كل خيرات الدنيا ونال كل ما يتمنى ، وانقلبت أحلامه كلها الى حقائق لما اكتفى بما أحرزه من الثروة والصحة والجمال والقوّة ، ولسمع صوتاً يناديه دائماً من أعماق قلبه : ان وراء هذه الحالة حالة ثانية أرقى منها . وما دام الانسان لم يدرك بعد هذه الحالة ، فهو يشعر إزاءها بالحرمان . وأي ألم هو أعظم من ألم الحرمان . لا بل أي شقاء هو أكبر من شقاء الفراغ والنقص . إنه ألم أصم ، لا بل هو ألم مؤلم . وهكذا فالواقع لا يكتفي بنفسه ، وكل أمر متخيل إذا أصبح واقعياً لم يكتف الانسان به ، بل طمح دائماً بنظره الى أمر آخر هو

الآخر متخيل ، وهكذا دواليك . ان جنة كهذه الجنة الوضعية التي ليس وراءها شيء هي وادٍ من أودية الدموع ، وكهفٌ من كهوف الحزن واليأس . وأي معنىً للحياة في هذه الجنة التي لا يرفرف في سمائها مثل أعلى . إن مصير الانسان فيها مظلم ، لا بل ان حياته تشبه تلك الدمية المعلقة بين السماء والأرض . تهتز ، وترقص ، وتتخبط ، وتقاتل وتعارك حتى يدركها الموت وتوارى في اللحد . فلأي شيء هـذا التخبط ، ولأي شيء هـذا الكفاح والعراك . نعم لأي شيء يمثل الإنسان على وجه الأرض هذه المأساة التي لا نهاية لفصولها ! إن كل فلسفة تريد أن توضح لنا أسباب الألم دون أن تبين لنا غايته هي فلسفة ناقصة ، لا بل هي برق خلب ووهم باطل . فالثورة على الألم توهم ، وتخدير الآلام بجميع المسكنات الطبية خداع وعجز ، واحتقار الحياة ، والاعراض عنها والزهد فيها كذب ورياء . والاعتماد على العلم وحده لتحرير الإنسان من الألم تمويه .

٤ — ﴿ المتشائمون ﴾ — فأنت ترى أن هذه المذاهب الفلسفية لم تقبض على حقيقة الشر ، فهل تستنتج من ذلك انه يجب على الانسان أن يذعن للشقاء ، وأن يقطع كل رجاء ! ذلك ما فعله بعض المتشائمين الذين زعموا أن الألم أساس الحياة . فما قاله الفيلسوف الألماني (شوبنهور) ان الارادة هي الحقيقة النهائية لكل شيء ، وهي مصدر الشر .

فالعالم شر لأن الارادة تتطلع دائماً إلى أعلى مما تظفر به ، فاذا تحققت لنا رغبة من الرغبات وجدنا الى جانبها عشرات الرغبات قد أعوزها التحقق . والعالم شر أيضاً لأن في كل فردٍ منا حوضاً من الألم يستحيل أن يظل فارغاً ، إننا لا نزيح عن صدورنا عناءً مضنياً إلاّ لنحل مكانه عناء آخر . والألم هو الدافع الأساسي لكل فعل . وهو وحده إيجابي ، أما اللذة فهي سلبية لأنها لا تحصل للنفس إلاّ عند خروجها من الألم

والحياة شر أيضاً لأن ارضاء الحاجاتِ لا يكاد يسمح للانسان بشيء من الراحة حتى يشعر بالسآمة . وكل ما علا الإنسان في سلم الارتقاء ازداد ما يعانيه من ألم . ومتى ازداد قسطه من المعرفة ازداد شقاؤه . والحياة شر أخيراً لأنها قتال لا ينقطع ، فأينما توجهت ألفيت جهاداً وقتالاً ومنافسة وعذاباً . إنك لو أخذت أكبر المتفائلين الى ملاجيء المرضى، وغرف الجراحة ، وأوكار العبيد وسراديب الفقراء ، وساحات الحرب لعلم هـذا المتفائل الساذج أن أقدامه لا تطأ إلاّ أرضاً مبتلة بالدموع . فنحن تعساء إذا اعتزلنا الناس ، تعساء اذا خالطناهم ، وما الحياة إلا مأساة مبكية وملهاة فاجعة . يقول شوبنهور : يدخلونك وأنت صبي مغزل قطن أو مصنعاً آخر ، فتظل منذ تلك الساعة تذهب الى مصنعك كل يوم فتقضي فيه عشر ساعات أو أكثر تؤدي اثناءها عملاً آلياً لا يتغير ،

وأنت مضطر الى هذا العمل لكي تشتري به أنفاسك التي ترضي به ارادة الحياة . فليس التفاؤل إذن أمام هذه المصائب إلا سخرية من سخريات الدهر .

إن الزمان يغرينا بالآمال ولا يرعى لنا عهداً ، ويلوّح لنا بالسعادة ثم يهبط بنا الى مهاوي الشقاء . وما أشبه الحياة كما يقول (شوبنهاور) بمبلغ من المال تدفعه درهماً درهماً نقوداً صغيرة ، فلا تسلم به إيصالاً إلا بعد الانتهاء من دفعه . أما النقود التي تدفعها فهي أيام حياتك وأما الايصال الذي يعطى لك في النهاية فهو الموت .

إن هذه الآراء التي جاء بها (شوبنهاور) قريبة من آراء الشعراء المتشائمين . وهي ترجع أسباب الألم الى ارادة الحياة ، أي الى تلك الفاعلية العمياء التي لا تعرف غايتها . ولو كانت هذه الارادة عاقلة لأدركت أن عملها لا يغطي نفقاته .

ولكن كيف السبيل الى الخلاص من الألم ، كيف السبيل الى الخروج منه . إن المتشائمين الراسخين في تشاؤمهم لا يضعون هذا السؤال ، لأن في مجرد وضعه مخالفة لأصول مذهبهم . فكيف نقول إن الوجود شر لا حيلة لنا في اجتنابه ، ثم نفكر بعد ذلك في امكان الخلاص منه . إن إرادة الخلاص من الألم تدل على الايمان بالتفاؤل . وكل فيلسوف متشائم يرغب في الشفاء من الألم يناقض نفسه بنفسه . ثم لماذا هذا التشاؤم من الحياة . أليس في التشاؤم كثير من الأنانية . إن تسجيل شرور العالم في دفتر الانسانية لا يستلزم الوقوف منها موقفاً سلبيًّا لأن هذا الموقف السلبي لا ينفع إلا في زيادة الخطر المحدق بالانسان . لماذا نلقي تبعة ما نحس به من سخط ومن غضب على الكون نفسه ؟ إننا نستطيع أن نبتسم عند مواجهة كل خطر ، ونستطيع أن نملأ قلوبنا رجاء عند اشتداد كل ملمة . إن هذا الرجاء هو خير الذخر في كل شدة ، لا بل هو خير معين لنا على تحمل مشاق الحياة . ولو أنعمنا النظر في ألوان الحياة لوجدناها أقل ظلاماً مما وصفها به (شوبنهاور) ان أصحاب الأجسام يستمتعون بكثير من اللذات الجسمانية ، كما أن أصحاب العقول يدركون كثيراً من اللذات العقلية . ففي ضياء الشمس ، ورائحة الزهر ، وتغريد الطير ومشاهد الطبيعة نفحات من السعادة ، كما أن في تفهم الحقيقة وادراك الجمال وتأمل الخير دلائل على اللذة . إنه من حمق الرأي كما يقول (كارليل) أن نلعن الشمس لأنها لا تشعل لنا السجاير . ومع ذلك فلعلها تشعلها لنا لو أوتينا العلم والذكاء . وكل أمر من أمور الحياة يمكن أن يكون سارًّا ومؤلماً حلواً ومرًّا معاً . فاذا كنا سعداء وجدنا كل شيء جميلاً ، واذا كنا حزانى وجدنا كل شيء قبيحاً .

ﻫ - ﴿ البوذيون ﴾ وما يقال على مذهب شوبنهور يقال أيضاً على مذهب البوذيين. لقد زعم هؤلاء المتشائمون أن هناك قوة عمياء تسير حياة الافراد دون أن تفكر في مصيرهم وقالوا إن حقيقة الحياة هي الشر والفساد، وان الوجود هو الألم. يظن الجاهل أن وجوده حقيقي فيعمل ويسعى ويولد هذا السعي في نفسه رغبة وألماً. لذلك كان خير سبيل للخلاص في نظر البوذيين أن يميت الانسان ما يشعر به من رغبة وأن يحطم وجوده الفردي يقول (بودا): اعلم أيها الانسان إن الميلاد والشيخوخة والمرض والموت كلها آلام. وسبيل الخلاص من الألم أن تميت حياتك الفردية، وتتحد بالوجود الكلي.

ولكن هل في وسع الانسان أن يميت حياته الفردية، هل في وسعه أن ينسى ذاته، وينام ملء جفونه. إن كثيرين من الذين أتعبتهم مصائب الحياة يعالجون همومهم بالنوم انهم يريدون أن يناموا لينسوا كل شيء، يريدون أن يناموا طويلاً حتى لا يروا شيئاً، ولا يسمعوا شيئاً ولا يحسوا بشيء. هذه الامنية هي أمنية الكثيرين من الحزانى الجبناء. ولكن لماذا يريد البائس أن ينام؟ انه يريد أن ينام ليسكن آلامه بأحلامه. النوم هدنة يلجأ اليها البائس ليستعيد قواه فاذا استيقظ من نومه عاد الى متابعة آماله ورغباته. إن البوذي يريد أن يغرق في بحر (النيرفانا) الهادىء، ولكن موقفه من الحياة ليس على التحقيق موقفاً سلبياً خالصاً لانه كلما أفاق من نومه، رغب في العودة الى (النيرفانا) باحثاً عن السعادة الوهمية التي يعلل بها نفسه.

٣ — غاية الألم

فأنت ترى أن جميع المذاهب التي عرضنا لذكرها هنا لا تخلو في بعض نواحيها من النقص. ان الخلاص من الألم لا يكون باقتناص اللذات، لأن اللذة ليست غاية الحياة. وكل من جعل غايته من الحياة طلب اللذة عاش في قلق دائم وهمٍّ مقيم. ثم أن الخلاص من الألم لا يكون بالزهد في الحياة، ولا بالاعراض عن الدنيا، لأن هذا الاعراض عن اللذات لا يدل إلاّ على البلاهة والعجز والكذب والتمويه. ثم ان العلم وحده لا يكفي لاسعاد الانسان، لانه آلة قد تستعمل للشر كما تستعمل للخير، وأخيراً أن فلسفة التشاؤم لا تنفع إلاّ في زيادة آلامنا وأوصابنا. إننا في حاجة إلى أن نرتفع، اننا في حاجة الى أن نقاوم اننا في حاجة الى العقبات لنرهف بها قوانا. والعاقل من فهم سر الحياة، وعلم أنها مزيج من اللذات والآلام وخليط من الخير والشر، بل العاقل كل العاقل من علم أن اللذات والآلام أمور اضافية، لا معنى لأحدها إلاّ اذا نسب إلى الآخر. فقد نجد الالم فيما يسر

غيرنا، وقد نجد الخير فيما يجده غيرنا شراً. إن الذين يقولون إن الحياة خير كلها أكذب من الذين يقولون انها شر كلها . ولو كانت الحياة خيراً خالياً من الشر ، أو شرا خالياً من الخير لما كانت واقعية . إن الحياة الواقعية لاذة ومؤلمة ، لطيفة ومخيفة ، حلوة ومرّة معاً ، انها تشبه كما يقول (اناطول فرانس) مهرجاً ارتدى ملابس كثيرة الألوان، فهذا يراها حمراء وذاك يراها زرقاء ، ولو وضع كل انسان نفسه في موضع الآخر لرأى اللون الذي يراه . إن ألوان الحياة كثيرة وهي لا تكذب متشائماً ، ولا متفائلاً . ولكن المهم في ذلك كله أن نسمح لجارنا بأن يكون سعيداً عندما نكون حزانى .

*

قرأت مرة كتاباً صغيراً يصف فيه صاحبه مدينة فاضلة لا يشعر أهلها بأية لذة ولا بأي ألم . فلما انتهيت من قراءته أحببت الحياة الواقعية ، لأن فيها ألماً ولذة ، وبغضاً وحباً ويأساً وأملاً ، ان الحياة مع رجال يناضلون وينتصرون ، ويكافحون ويقاومون أسعد من الحياة مع رجال لا حس لهم . ولو خلا الانسان من الحس لأصبح كالحجر الأصم لا يتلذذ ولا يتألم . ان اللذة الحقيقية الكاملة هي أن تشعر بما يشعر به غيرك فتحبه وتواسيه وتعزيه . فكما ان الشجرة الطيبة اذا شقّ غصنها نشرت حولها رائحة طيبة ، فكذلك آلام الناس تفجر من نفوسنا ينابيع الرحمة والفضيلة . ان الذين يريدون ان يزيلوا الشعور بالألم من نفوس الناس يميتون فيهم كل شيء ، لأنهم لا يستطيعون ان يزيلوا الشعور بالألم ، إلا اذا أزالوا معه الشعور باللذة .

فسبيل الخلاص من الألم هو ان نحب الحياة ونعترف بقيمتها ، وان نتقبلها كما هي ونعمل على اصلاحها ، وان نبتسم عند مواجهة كل مشكلة من مشكلاتها . اننا إذا وقفنا هذا الموقف الايجابي من آلام الحياة خففنا كثيراً من وطأتها وفي ارادتنا الخيرية وشعورنا بالحرية والحب والكمال عون لنا على ذلك . انني استطيع أن أتصوّر حالة بشرية يجد فيها الاطباء أدوية لجميع الأمراض ومسكنات لجميع الآلام ، ووسائل صحية تطيل عمر الانسان ، وأستطيع أن أتصور أيضاً حالة اجتماعية يسودها العدل والانصاف ، ويكافح فيها العوز والفقر والجهل، وتنتظم فيها أمور الناس على مبادىء التقدم والعدل والرحمة فهذه الحالة تخفف بلا ريب وطأة الآلام البشرية ، ولكنها لا تستطيع ان تزيلها . والوسيلة الوحيدة للتغلب على الآلام هي ارادة الانسان ، أي شعوره الداخلي بامكان الخلاص وعزمه عليه.

إن كثيرين منا كما قلت يريدون ان يسكنوا آلامهم بالنوم أو بالمخدرات ، ولكن هذه الخطة السلبية لا تفيدهم شيئاً ، بل تزيد في احزانهم وهمومهم . ولو واجهوا الآلام بنفس راقبة وقلوب مطمئنة ، وملأوا حياتهم بالنشاط والعمل لوجدوا في ذلك خير عزاء لنفوسهم

ولكنني اسمع الآن شكوكاً تدب في قلوب القراء . انهم لا يزالون يقولون لماذا لا تكون الحياة لذة كلها.لماذا هذا الشعور بالالم.ألم يكن في وسع الله وهو الخير المطلق ان يخلق حياة خالية من الالم . لماذا جعل الحياة ثقيلة الأعباء ، لماذا جعلها ناقصة وجعلنا فيها غرباء : الجواب على ذلك ان العالم لم يخلق للانسان المتناهي وحده ، بل خلق للانسان ولغاية أسمى من الانسان . ولكن الانسان المتناهي يريد بالرغم من تناهي حدوده ان يحيط بالكمال واللانهاية . إنه يتصور الكمال وينظر الى نفسه فيجدها ناقصة، انه يتطلع الى الخير ، فينظر الى الاشياء فيجدها محفوفة بالشر ، ولولا هذا التطلع الى الخير والكمال لما كان الانسان انساناً . ولو توهمنا اننا ادركنا ذلك كله لكنا كالحمقى المصابين بجنون العظمة . إن توهمهم بأنهم قد ادركوا الكمال يمنعهم من العمل . إن شعورهم بأنهم قد بلغوا غاية الجهد يصدهم عن الجهد ، ويخرجهم من الوجود الحقيقي . ان الفعل هو شرط الوجود ، لا بل هو علته الحقيقية ، وهو مقرون بالانفعال أي باللذات والآلام . ولا يبلغ الكون غايته إلا اذا قام كل موجود بالفعل الخاص به فالشمس تضيء ، والطير يغرد،والعود ينشر الطيب ، والانسان يبذل الجهد لا ليملك العالم ولكن ليملك نفسه ، وينغلب بحريته على ضرورات الطبيعة ، ويتحرر بارادته من قيود الزمان والمكان .

*

هكذا يقطع الانسان مهامه الحياة في صبر وتجلد ، هكذا يرتقي الى اللانهاية في فرح ورجاء . هكذا يصبح الكون بالنسبة اليه معملاً من معامل الجمال . وفي هذا العمل من الجمال يصهر الانسان شخصيته الفردية ، ويتحد بالوجود الكلي ، ويشعر بالعدل والرحمة والرأفة والحب . واذا ما شعر الانسان بالحب قلب لذته الى طرب ، وأدرك ان في كل طرب انتصاراً على الشقاء . فاذا اردنا اذن ان نكون سعداء فلنخرج من قيود الحياة الضيقة ، ولنحرر من الانانية ، ولنؤمن بوحدة الوجود ، ولنحقق لانفسنا حياة مفعمة بالجهد والمقاومة ، اننا اذا فعلنا ذلك ادركنا معنى الحب ، وفهمنا حقيقة الحياة ، وشعرنا باللذة تفوح من خلال الشقة،وبالسعادة تنبجس من نفحات الصبر والرجاء.

(دمشق)

نحن واللغة العربية

اللغة العربية من النهضة الحديثة في القرن الماضي الى عصرنا الحاضر

— ٢ —

للأمير مصطفى الشهابي

قلت في الحديث السابق إن عهد الأتراك العثمانيين كان أشأم العهود التى مرّت على اللغة العربية وآدابها فقد اتخذوا اللغة التركية دون غيرها لساناً رسمياً للدولة حتى في البلاد العربية . فكان التدريس بالتركية في مدارس الحكومة . وكانت العربية نفسها تدرّس بالتركية في تلك المدارس . وأذكر أنني قضيت سنة من عمري في المدرسة الاعدادية أي مدرسة التجهيز بدمشق فكان معلم اللسان العربي في صفنا (فصلنا) رجلاً تركياً لا يفرق بين المذكر والمؤنث ، يدرّس العربية بكتاب تركي ، فعندما يريد السؤال عن تعريف الفاعل مثلاً لايقول لنا : ما هو الفاعل ؟ بل يقول : فاعل نه يه دير لر ؟ وعلينا أن نجيب عن سؤاله بالتركية ، حفظاً عن ظهر قلب ، من كتاب تركي سقيم لتعليم اللغة العربية

وكانت التركيــة لغة المحاكم أيضاً : فالمرافعات والمحاكمات كلها تدوّن بهذا اللسان دون غيره . وهو لسان الجندية ولسان الحكومة في جميع دوائرها . فالعربي لا يستطيع أن يكون موظفاً ما لم يعرف هذا اللسان أما معرفة اللسان العربي أو الجهل به فسيان .

ولم يعترف الأتراك العثمانيون بوجود قوم إسمهم العرب ولا بقوميــة إسمها العربية ، ولا بكيان سياسي لهـذا الشعب الذي كان يتألف منه نصف الدولة ، بل كان يجب علينا أن نسمي نفسنا عثمانيـين ليس غير . ولم تكن هذه العثمانية ويا للأسف شيئاً يستطيع أن يُعتز به حتى العربي الذي أنكر قوميته العربية لأنه بينما كانت أوربة في عهد الدولة العثمانية تتقدم بخطى جبارة في جميع مناحي المدنية من علم وأدب وفلسفة وصناعة وزراعة وتجارة وفنون مختلفة ، كانت الدولة العثمانية مثال الجهل والانحطاط والجمود حتى لقبوها بالرجل المريض .

وشاء الله ألا تقضي تلك الأيام السود على لغتنا الضادية فلبثت تدرَّس تدريساً حسناً في بعض الجوامع كالأزهر في مصر ، وفي بعض المدارس الأهلية الاسلامية والنصرانية في ديار الشام . ويجب الاعتراف بأن مدارس نصارى الشام تمسكت بلغتنا ولم تهملها منذ أن تأسس معظمها في القرن الماضي الى يومنا هذا .

وإذا أنعمنا النظر في نهضتنا الادبية الحديثة نجد أنها بدأت في مصر والشام ، وامتدت منهما الى سائر الأقطار العربية . ففي مصر يعزى بدء النهضة الى حملة الفرنسيين عليها في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد . ذلك أن نابليون جلب معه الى مصر طائفة جليلة من العلماء الفرنسيين أسسوا معاهد علمية فرنسية ومجمعاً علمياً مصرياً ومدرستين وجريدتين ودار كتب ومراصد جوية ومختبرات كيماوية ومسرحاً للتمثيل . وجلبوا معهم مطبعة عربية كانت أولى المطابع في مصر . ودرس هؤلاء العلماء نباتات القطر وحيواناته وجيولوجيته وآثاره ومياهه . ومنهم من عكفوا على دراسة العربية وآدابها . ومنهم من أسسوا معامل للورق والأقمشة وغيرها . ولم يألوا جهداً في اطلاع المصريين على أسس المدنية الأوربية ولا شك أن اليقظة في مصر بدأت من ذلك الزمن . ولكن هذا العهد لم يطل كما هو معروف في التاريخ وتأثيره كان صغيراً . ولهذا يعد محمد علي الكبير أب النهضة الحديثة في القطر الشقيق .

فهذا الرجل العظيم أدرك بثاقب فكره وحدة ذكائه أنه لا يمكن تأسيس دولة ثابتة الأركان إلا باقتباس أسباب المدنية الحديثة . ولهذا جعل همه نشر العلم والثقافة في الشعب على أحدث الأساليب الأوربية المعروفة ، واستعان على ذلك بعلماء من الفرنسيين خاصة ، ففتح بضع مدارس للعلوم الحربية ، ومدرسة طبية ، ومدرسة للطب البيطري ، ومدرسة هندسية ، ومدرسة زراعية ، ومدرسة للصناعات والفنون ، ومدرسة للألسن والترجمة ، وللادارة الملكية والحسابات ، وأوجد أول جريدة عربية هي الوقائع المصرية

وبعث الى فرنسة خاصة ٣١٩ تلميذاً يدرسون فيها العلوم المختلفة فعاد منهم الى مصر عدد كبير من العلماء والاساتذة ، بعضهم تولوا مناصب الدولة الكبيرة وآخرون درسوا في المدارس المصرية . وكان محمد علي حريصاً على نشر اللغة العربية وآدابها . وكانت جميع الدروس التي يلقيها الأساتذة الفرنسيون تترجم الى العربية . وطبع كثير منها في مطبعة أسست في ذلك العهد .

ولم يكن الخديوي إسماعيل دون محمد علي في نشر العلم فأسس المدارس وأرسل البعثات الدراسية الى أوربا وطبع الكتب العلمية والأدبية . وقد زهت اللغة العربية في أيامه لأنها

كانت لغة الدولة الرسمية ولغة التعليم في جميع مدارس الحكومة على اختلاف درجاتها وأغراضها . ونشط إسماعيل الصحافة فظهرت في أيامه عدة صحف أصحابها مصريون وشاميون وأشهرها جريدة الاهرام وجريدة المحروسة .

ولبثت المدارس المصرية تدرس بالعربية في عهد الاحتلال أي بعد سنة ١٨٨٢ من الميلاد إلا بعض المدارس العليا كمدرسة الطب فقد جعل التدريس فيها بالانكليزية . أما الصحافة في ذلك العهد فقد تقدمت لأن أكبر ممثلي انكلترا في مصر وهو اللورد كرومر (على ما يؤخذ عليه في السياسة) كان نصيراً لحرية الصحافة ولم تكن انتقادات الصحف تزعجه . وفي تلك الأيام صدرت جريدة المقطم سنة ١٨٨٨، ثم جريدة المؤيد . وصدرت مجلة الهلال ونقلت مجلة المقتطف من بيروت الى مصر وأنشىء بعدئذٍ عدد من الجرائد والمجلات المختلفة ما برحت تتقدم بلغتها وبموضوعاتها حتى بلغت مقاماً جليلاً في أيامنا هذه، وحتى غزت الأقطار العربية السائرة لأنها فاقت صحف تلك الأقطار إجمالاً .

وترجع طلائع النهضة الحديثة في الشام الى ما أسسته الأرساليات الدينية من المدارس في القرن الماضي في بيروت ولبنان ، وما أسسته الجمعية الخيرية من المدارس في دمشق وأنحاء الولاية أيام الوالي الشهير مدحت باشا في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة . ثم كثرت المدارس الأهلية ولا سيما المدارس الطائفية النصرانية ، ولكل بطريركية مدارسها في أنحاء القطر ، وكلها تعني عناية كافية باللغة العربية . ولم يشذ عن ذلك الا مدارس الحكومة كما أشرت اليه . وكان التعليم بالعربية بادىء ذي بدء في الكلية الاميركية . وألف أساتذتها المشهورون فان ديك ، وبوست وورتبات، كتباً عربية ثمينة في بعض العلوم التي كانوا يدرسونها . ولو لم يجعلوا التعليم بعدئذ بالانكليزية لكان للجامعة الاميركية فضل جد كبير على لساننا العربي . وكان التسابق على أشده في مدارس الأرساليات الدينية وهي تنتمي إلى دول مختلفة، والى طوائف مختلفة . وقد تثقف فيها عدد كبير من رجالات الشام نخدم بعضهم ثقافتنا العربية خدمات لا تنكر، وضلّ آخرون منهم فتنكروا للغتهم ولقوميتهم . ومع هذا فقد كانت هذه المدارس أصلح لنا من مدارس الدولة التي كانت تحارب في السر لغة القرآن وليس فيها مدرسة واحدة يستطيع المرء أن يتثقف فيها ثقافة عالية.

وسبق الشاميون غيرهم الى الطبع بالأحرف العربية . وظهرت الطباعة في حلب في أوائل القرن الثامن عشر . وأنشئت المطابع في لبنان وبيروت خلال ذلك القرن . ثم أنشئت المطبعة الاميركية والمطبعة اليسوعية في بيروت في القرن التاسع عشر وهما اليوم أكبر مطابع هذا القطر . اما الصحافة المستقلة فقد سبق الشاميون غيرهم فيها فأصدروا في القرن التاسع عشر

بضع جرائد ومجلات علمية وأدبية . وانتقل عدد من الكتاب الشاميين الى مصر أيام اسماعيل وبعدها ، فكان لهم تأثير كبير في نهضة الصحافة في القطر المصري.

ونتج عن هذه اليقظة تأليف جمعيات أدبية كثيرة في مصر والشام في القرن التاسع عشر كالجمعية السورية والجمعية العلمية السورية في بيروت وغايتهما واحدة وهي نشر العلوم الحديثة ، وكجمعية زهرة الآداب في بيروت وهي تعنى بالخطابة والبحوث العلمية . وألفت جمعيات خيرية للتعليم الاهلي كجمعية المقاصد الخيرية في بيروت وهي ما برحت قائمة بأعمالها الخيرية التعليمية ، وكالجمعية الخيرية في دمشق وهي التي أشرف إليها ، ذهبت بذهاب مدحت باشا من هذه الديار . أما في مصر فقد كانت حركة الجمعيات والمجامع العلمية أسرع وأقوى منها في الشام . فما اشتهر منها المجمع العلمي المصري أسسه نابوليون أثناء حملته وهو ما برح حيًّا له مجلة تنشر بحوثاً علمية جليلة تتعلق بمصر وبالثقافة العربية معظمها بالفرنسية وبعضها بالانكليزية والعربية ، وله نشرات في حجم الاسفار فيها بحوث ودروس عظيمة الفائدة . وفيه عدد غير قليل من العلماء المصريين .

ومنها الجمعية الجغرافية ، والجمعية الزراعية ، ومعهد الحشرات ، والجمعية الطبية ، وجمعية المعارف لنشر الكتب ، وجمعية الترجمة ، وجمعية العروة الوثقى الاسلامية ، والجمعية الخيرية الاسلامية الى كثير غيرها من النوادي الادبية ، وجمعيات التعليم والدراسة .

ومن بدائه الامور أن ينتبه العلماء ورجال الدولة الى المخطوطات العربية القديمة والى تأسيس دور كتب تُحفظ فيها الكتب المخطوطة والمطبوعة قديمة كانت أم حديثة . وكان أجدادنا في القديم من أحرص الناس على جمع الكتب . وقد حوت بعض دور الكتب أيام العباسيين في العراق ، والامويين في الاندلس ، والفاطميين في مصر ، مئات الالوف من المجلدات . ونيّف عددها في بعض الدور على مليون كتاب بين صغير وكبير . وقد ضاع معظمها ويا للأسف في الحروب والفتن الداخلية ، وفي استيلاء المغول على العراق شرقاً ، واستيلاء الاسبان على الاندلس غرباً . ولما انتبهنا لجمع البقية الباقية منها في القرن التاسع عشر ، كان الاوربيون قد سبقونا الى جمع عدد كبير من هذه البقية ، في دور كتب باريس ولندن ، وبرلين ، واكسفورد ، وليدن ، والاسكوريال ، وكمبردج ، وغيرها . وبدلاً من أن تساعدنا الدولة العثمانية على تأسيس خزانات للكتب والمخطوطات العربية القديمة في الولايات العربية ، فانها نقلت إلى إسطنبول ما همت همتها المتقاعسة الى نقله من تلك الكتب والمخطوطات . ولم يحسن إلينا في هذا الصدد إلا الوالي الشهير مدحت باشا الذي أسست دار الكتب الظاهرية في دمشق في أيام ولايته .

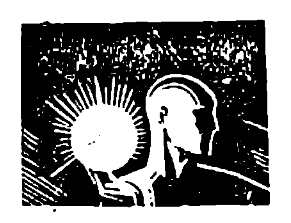
ولبث كثير من الكتب هنا وهناك في بعض الجوامع والكنائس والمدارس وعند محبي الأدب من الأفراد ، كالخزانة الأحمدية، والخزانة المارونية في حلب ، وكالخزانة الخالدية في القدس ، والخزانة الأميركية والخزانة اليسوعيـة في بيروت ، وخزانات المرجانيـة ، والحيدرخانة ، وآل الكيلاني ، وآل الآلوسي ، وغيرها في بغداد ، والخزانة الصادقية في تونس وبعض الخزانات في مراكش .

أما مصر فهي أغنى البلاد العربية بدور الكتب العامة . فقد أسست فيها دار الكتب الخديوية في القرن الماضي . وتسمى اليوم دار الكتب المصرية . وهي أعظم الدور في الشرق الأدنى . ولا يخلو جامع كبير أو مجمع أو بلدية أو مدرسة عالية من خزانة كتب كبيرة أو صغيرة كالأزهر، والجامعة المصرية ، وكلية الطب، وكلية الحقوق، والمجمع العلمي المصري وبلدية الاسكندرية الخ . وأما الخزانات الخصوصية فهي في مصر كثيرة . وأشهرها الخزانة التيمورية لأحمد باشا تيمور ، والخزانة الزكية لأحمد زكي باشا . وقد نقلتا أخيراً الى دار الكتب المصرية .

ولا عجب أن تستفيد لغتنا الضادية فوائد جلى من النهضة الأخيرة في القرن التاسع عشر . فقد صنف بعض العلماء معجمات سهلة المنال اختصروا فيها المعاجم القديمة كمحيط المحيط للمعلم بطرس البستاني ، وكأقرب الموارد للمعلم سعيد الشرتوني . وألفت كتب مدرسية في آلات اللغـة من صرف ونحو وغيرها فأزالت كثيراً من المصاعب التي يلقاها الطالب في الكتب القديمـة . وزاد الاقبال على تعلم العربيـة في المدارس الحكومية والخصوصية في مصر ، وفي المدارس الخصوصية في ديار الشـام . ونقل الى لساننا المبين عدد لا يستهان به من كتب العلوم الحديثـة . وأوجدت جملة لا بأس بها من المصطلحات العربيـة في العلوم والمخترعات الحديثة . منها ما هو اليوم مشهور كالسيارة ، والطيارة ، والباخرة ، والقطار ، والمحرك ، والجريدة ، والمجلة وغيرها كثير . وعكف المستشرقون على مدارسة كتبنا القديمة فطبعوا منها جملة صالحة بعد ان نقحوها وحققوا بعض ألفاظها وعلقوا عليها وأضافوا اليها فهارس مختلفة . واتبع بعض علمائنا طريقتهم في طبع تراث أجدادنا العلمي والأدبي . ومصر هي اليوم السباقة في هـذا المضمار . وكانت مغبة هذه النهضة الأدبية ظهور بواكير الكتـاب ، والشعراء ، كاليازجي ، والبستاني : والشدياق ، وابراهيم المويلحي ، وعبدالله نديم المصري ، والبارودي ، ونجيب حدّاد وعدد كبير غيرهم ممن أعادوا إلى الانشاء العربي ديباجته المشرقة وبيانه الناصع فكانوا طليعة الكتـاب والشعراء المبرزين في عصرنا الحاضر .



اتجاه العلم



للأستاذ أميل توفيق

يرجع حب المرء للمعرفة الى دافع مزدوج — فالمرء منا قد يتقصى معرفة موضوع ما لأنه يغرم به أو يميل إليه — أو قد يتشوق إلى تحليله والتعرف على جميع عناصره لأنه يرغب أن يسيطر على هذا الموضوع وأن تصبح له سيادة عليه . فالدافع الأول يقود إلى المعرفة التأملية ، والدافع الثاني يؤدي الى المعرفة العملية أو التطبيقية . ولقد كان العلم منذ عهد سقراط ، وأفلاطون ، وارسطاطاليس منحصراً في دائرة تأملية ، وباطراد العلم وتقدمه وتحسن أسلوبه التجريبي انتقل العلم إلى الدائرة التطبيقية وأصبح الدافع السائد للتفكير الإنساني هو دافع القوة في المعرفة ، وأخذ الدافع التأملي يتنحى وتضيق دائرته في الفكر الانساني .

أما دافع القوة فقد تبلور اليوم في متجهين أساسيين هما المتجه الصناعي وأسلوب الحكم يؤيدهما اتجاهان فلسفيان هما البراجماسية Pragmatism والفلسفة العملية Industrialism. وتدور كل فلسفة منهما بصفة عامة على الحقيقة القائلة إن الأفكار التي تختص بموضوع ما إنما هي أفكار حقة طالما أنها تؤدي الى نتائج عملية للفرد أو للمجتمع .

لكن للمعرفة شكلاً آخر غير شكلها التطبيقي وهو الشكل الذي ينتمي إلى بعض العواطف والمشاعر الانسانية . فالمتصوف والشاعر والمتأمل الهائم ، كل واحد من هؤلاء عاشق من عشاق المعرفة ، وإنما يتعشقها لمتعته الجمالية ، ولغذائه الروحي ، ويتقصاها

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لفنائه العقلي — ولهذه المعرفة قيمتها رغم أنها قد تبدو بغير أثر مادي فعال . إنها مؤثرة في أعماق الوجدان وفي ارتفاع قيمة النفس وفي تنظيم مرامي الحياة وغاياتها الروحية. إن في كل لون من ألوان الميل أو الحب رغبة المعرفة تدور حول ما نغرم به أو ما نميل إليه لا من أجل السيطرة ولكن من أجل التأمل والامعان . وحيثما يثير فينا الموضوع خيالاً أو متعة أو سمواً ذهنياً أو عاطفياً فنحن نريد أن نستطلع أسراره بتلك الحاسة الجمالية لأن المعرفة تضفي على الموضوع ألواناً جديدة من الحب كما أنها تعكس أضواء روعة تنوعه وتبهره أمام أبصارنا وتحرك حبا له في أشكال متعددة . ومثال ذلك حب الجنس ، أو حب الفن ، أو حب الطبيعة . وقد تصل المعرفة بطريق الميل إلى حد التصوف . حقيقة يوجد دافع للسيادة ولكن المثير الرئيسي لهذا الشكل من المعرفة ، هو الميل الوجداني ، كما أنه يتغيا غاية المتعة والحب .

* * *

كانت هذه النظرة هي التي تميزت بها نشأة العلم كما تميز بها رواده الاولون من أمثال فيثاغورس ، وأرسطاطاليس ، وجاليليو ، ومن إليهم . لقد اجتذب الكون أبصارهم وسحرت مفاتنه ألبابهم فتأملوا أحداثه وظواهره مأخوذين مشدوهين .

وقد قام علم الفلك على استجلاء أسرار النجوم والكواكب والتطلع الى استكناه أغوار السماء تطلع المحب الولهان .

ولكن التقدم العلمي ، وازدهار تطبيقاته وانتشار تأثيره وفعله المحسوس في البيئة وفي المجتمع — كل ذلك أدى إلى أن تفقد هذه النظرة التأملية قيمتها . وأصبحت المعرفة أداة طيعة للقوة لا للمتعة أو الهيام . ولم يعد عاشق الطبيعة يجد ما يجده المسيطر بقوة العلم من جزاء مادي في الحياة ، وإذا الفكر العلمي يفقد على مر السنين ذلك الجانب الإنساني الرفيع الذي يربط الذهن بموضوعات المعرفة بصلة الميل والحب الصادقين . وإذا الأصوات والألوان — والأضواء والظلال — والأشكال والتراكيب — تفقد محاسنها السحرية ومفاتنها الرائعة في نظر الباحث أو العالم — وإذا بالذهن التجريبي أشبه بالآلة التي تشرح هيكلاً عظمياً لا صلة بينها من ميل أو شعور .

إن بين الفنّان وموضوع فنه . أو بين المثّال وتمثاله حبًّا وولهاً هما سرّ السعادة الداخليـة التي تجمله يرتفع فوق المطامع الدنيوية ، ليستمتع عناصر المغامرة في الفن والإنتاج ، وحسبه هذه المتعة جزاء ووفاء . أما سمة العلم في العصر الحديث فقد جعلت العالِم لا يرتبط بأي رباط وجداني بموضوعات المعرفة التي يتناولها ذهنه ، ومن أجل ذلك طبع العلمُ مجتمعه بطابع القسوة والقوة المادّية والجمود العاطفي وعدم التعاطف بين العقول والقلوب . وهي سمة لا تنتمي الى العلم الصادق الذي يوفق بين الحب والقوّة .

فالظاهرة التي نراها تطبع الإنسانية اليوم — في تيارها المتطرف الذي ينبع من العلم ظاهرة مبنية على القوة وحدها فقد أصبحت القوة غاية في حدّ ذاتها . والذي يزداد قوة يسعى لمزيد منها وفي غمرة النشوة والزهو ينسى المرء نفسه وحاجاته الروحية ولا يقف متأملاً لينصت الى صوت قلبه ، وإلى آمال نفسه ، ولا إلى آلام البشرية من حوله . لقد امتدّت هذه الظاهرة حتى أصبحت القوّة في المدنية الزائفة إلـهاً يعبده الناس ، وأصبحت قيم المعنويات تسير في آخر موكب القيم الإنسانية .

* * *

إن العلم أكبر عون للإنسان ، وأعظم مؤثر في حياته بشرط أن يبقى على المثل العليا التي تتأصل في الوجدان ، وأن يدعم الغايات الإنسانية التي تكمن في الشعور وفي مرامي الفن وغاياته ، وأن يؤيد الولاء في أية صورة من الصور الروحية أو العقليـة وأن يرفع قيمة النفس بهذه المعرفة التأملية التي ينبغي أن تستوعب جهد الإنسان ومغامرته . ذلك أن العلم إذا استطاع أن يهدم — فلا يبني ، وإذا استطاع أن يزعزع — فلا يقيم ، وإذا استطاع أن يحلل — فلا ينظم — فهو علم لا قيمة له . إنما العلم تؤتى ثماره الشهية إذا استطاع الإنسان به أن يوفق بين العقل والشعور ، ويوثق بين التأمل العاطفي والبحث العلمي ، وأن يؤلف بين المعرفة والحكمة ، وبين الادراك وحاسة الجمال .

المرجع : The Scientific Out book — Bertrand Russel

أسس الحياة الجيدة

للأستاذ الياس يعقوب

بعد أن إطمأنّ الانسان إلى حقه الصريح في البقاء، طفق يبحث عن الوسائل التي تعلي من شأن الحياة، وتزيد في جمالها. وهذه الحياة الجيدة التي ينشدها، حالة، أبعد ما تكون عن الحصر ومطابقة الوصف، لأنها لاتتعلق بشؤون العيش وحدها وهي ليست صنع فرد بل مجهود جماعات كثيرة، ولا تحدث في وقت يمكن تحديده. انهـا تشبه التراث العلمي الذي اسهم فيه العالم بأسره. وهذه الحياة الجيدة التي نحاول وضع أسس لها ليست نهائية في سلم التطور، وليست متماثلة بالنسبة للمجتمعات البشرية. لأن هذه متفاوتة في درجات الحضارة، ومختلفة في الخصائص العرقية والمميزات الجغرافية التي تكون عاملاً قويـًا في تنوع الحاجات وتباين أهميتها. وان الاختبارات التي تراكمت تختلف بين أمة وأمة، ولا يجرؤ أحد على القول إن ما يصلح لأمة يكون صالحاً لكل الأمم على السواء.

متى تتحقق الحياة الجيدة؟ — عند ما نتجاوز الأمر الواقع. هناك سبيلان لتجاوز الواقع: العنف والتطور. ان العنف تجـاوز لحدود الثورة. والثورة لا يمكن أن تحدث دون أن تبيح العنف أحياناً. ومهما يعتدل الناس في قيادة الثورة ويصبغوا وسائلها بالااين فانها تظل عاصفة لأنهـا تعبير صحيح عن السخط الكامن في النفوس بسبب تراكم الحرمان والظلم في نفوس الكثرة. ان تحجر بعض الأوضاع يفرض نشوب الثورة لأنهـا أفضل الوسائل للقضاء. على المفاسد ونصرة المبادىء الجديدة. وفي مثل هذه الحـال يتحتم على الثورة الجديدة أن تعلن عن نفسها انها ترغب في اقامة نظام جديد أساسه ضمان الحقوق الشخصية والحريات الأساسية. وهي ليست إلاّ محاولة لتمهيد السبيل أمام حياة جديدة جيدة

ليست الحياة الجيدة ايتوبيا. في الكلام عن المدينة الفاضلة يطغي الخيال الذي ينصرف لتزويق وتنميق عالم سعيد في أرض يتنكر لهـا الواقع الجغرافي بشروطه وأوصافه. إن

المفكر يقبع في برجه العاجي ويفرض قيام هذه المدينة التي انبثقت عن الخيال وحده. إن أفلاطون في جمهوريته لم يُعنَ بأحوال بلاد اليونان أو مدينة آثينا ومدى استطاعتها أو قابليتها لتكون فردوساً للجمهورية المنشودة. أما في محاولة وضع الأسس للحياة الجيدة فاننا نتأثر بالواقع السيء ونسعى لازالته. والحياة الفضلى تقوم على أنقاض هذا الواقع. وان المجتمع السعيد لا يتحقق بمعزل عن مؤثراته الطبيعية، وامكانياته الاقتصادية، وشؤونه الاجتماعية. ولهذا لا تكون الحياة الجيدة على نمط واحد في سائر الأقطار. إن المجتمع المصري، مثلاً، لا يسعد بنفس الوسائل التي يمكن أن تؤدي الى إسعاد المجتمع السوري.

ما هي المميزات التي تختص بها الحياة الجيدة؟ إن المجتمع لا يسعد إلا إذا تمت له سيادته لنفسه وعلى مرافق بلاده. وما دام يرزح تحت سيطرة الأجنبي المغتصب فانه لا يتذوق طعم الهناءة، ولا يجد الفرصة المناسبة للانتاج والبناء. إن هناك شعوباً صغيرة ضعيفة تبدد حيويتها وقواها لزحزحة النير الذي وضعه الأجنبي بدون ما رغبة منها. إنها لا تتذوق إلاّ المرارة، وتنظر إلى العالم كله بعين الحذر والكراهية. إن الشعوب المضطهدة المستعبدة التي يقع العدوان على حقوقها أو أرضها تتمثل العداء والخيانة في كل يد تمتد اليها، وتزول الثقة من نفوسها انها تنظر إلى المستقبل نظرة تشاؤم وقنوط. إن الشعوب لا تحيا إلاّ بالحرية كما أن الانسان لا يعيش إلاّ بالهواء الذي يستنشقه. ولهذا كانت السيادة القومية، سيادة الأمة لنفسها وعلى مرافقها الدعامة الأولى في صرح الحياة الجيدة.

وينبغي أن يحدث نوع من الرضى الناشيء عن القناعة بالحظ الذي يناله كل إنسان، وبالعدل الذي يقضي باحترام الشخصية الانسانية في كل فرد والاعتراف بما لها من حقوق، وهذا التناغم الاجتماعي لا يمكن أن يحصل إلاّ عند فقدان الجور الذي تتمخض عنه كل خصومة وكل حقد، وعند فقدان الفروق الشاذة التي ولدتها الظروف السيئة وهذه الحالة الفضلى لا تكون فردوساً لفئة وجحيماً تشقى به فئة أخرى، إذ في جوها تزول مرارة الحرمان وآثار البؤس. وما دامت هناك هوّة سحيقة بين فرد وآخر من ناحية الثقافة أو الصحة أو المسكن أو جميع شؤون الحياة فلا يرجى حصول الرضى والاطمئنان. ان المواطنين لا يحفرون قبراً للوطن ولا يدقون آخر مسمار في نعشه إذا ما غداهم بخيراته دون محاباة أو تحيز. وان الانسان لا يخلص لوطنه وأمته إلاّ عند ما ينيلانه الرضى والطمأنينة، وعندما يقنعانه عفواً، إن سعادته رهن بقائهما في عز وخير.

ومن مزايا الحياة الجيدة أن يتطوّر تفكيرنا. يجب أن يتجاوز تخوم الانانية وما تثيره

من مشكلات ، لكي نفكر ونهتم بشؤون الآخرين . ان تفكيرنا في غيرنا او الاشتراك مع غيرنا في التفكير بأحوال الجماعة الكبيرة — الامة — يجعلنا نحيي قضاياها الخاصة والعامة ونتضافر لايجاد الحلول الصحيحة لهذه القضايا . ان تفكيرنا ينبغي أن يكون اجتماعياً. فالأنانية والنزعة الطبقية أو المذهبية لا تأتلف والتفكير الاجتماعي وليست من أسسه. في التفكير الاجتماعي خروج من القوقعة التي تنكمش فيها الذات فنحرم لذة الماء ونعمة الضياء ونحرم لذة البذل والعطاء . فيه ندرك أن لغيرنا من الحقوق ما لنا ، وان هذه الحقوق لا قيمة حقيقية لها إلاّ بقدر ما تنال من التقدير والاحترام من قبل الآخرين . القِ هذه البذور تجعل مهمة الدولة سهلة ، وتقضي على النزاع الطبقي ، وتعمل من غير ما قصد على قيام المؤسسات الاجتماعية ذات الأهداف السامية .

ولكي تتحقق الحياة الجيدة في أمة ما ينبغي أن نحس توزيع العدالة بين مختلف الفئات التي تؤلف الهيئة الاجتماعية ونضبط العوامل التي تنشأ عن الحياة ضمن المجتمع . فالسيطرة فيها يجب ألاّ تكون من نصيب طبقة معينة خوفاً من أن يكون هناك ظالم ومظلوم ، وحاكم ومحكوم . فلا تقبض يد على الحقوق وتلقى الواجبات على عاتق فئة أخرى ولا تتفاوت الحظوظ بين المواطنين لدرجة شاذة ومخيفة ، كأن يمعن بعضهم في الارتفاع بينما يمعن بعضهم الآخر في التقلص والاختفاء وتموت فئة من التخمة والكسل والسأم، بينما تموت الكثرة جوعاً ولا تأكل لقمتها إلاّ مغموسة في الدم والعرق والدمع ، وتتمنى لو منحت فراغاً لتتذوّق طعم الراحة .

ولا يتاح لواحد أن يكون في قمة الهرم ، بينما يكون السواد الأعظم في سفحه ، ولا يفسح له المجال لكي يستنزف قوة الجماعة ويستغل ألقابها ليثري ويسمن على حسابها، كما أنه يجب صيانة الفرد خوفاً من أن ينسحق تحت وطأة الجماعة . ولا تجعل المدينة قبلتنا فنخصها بسائر الخدمات الاجتماعية من تمهيد طرق ، وطب ، وعلم ، وتجميل ، وأمن ، ونظافة ، ونور ، وماء ، بينما يرسف الريف في أغلال الجهل ، ويحصد المرض أبناءه ، وتضني أهله الأسفار الطويلة واضطراب الأمن وفقدان كل أسباب الراحة والهناءة، إن الشعار يجب أن يكون الخير الأعظم للسواد الأعظم .

وكيف يتسنى للمرء أن يتذوّق اللذة في الحياة إذا لم نعمد إلى إزالة المضايقات ؟ هناك نوعان من المضايقات التي تظل مصدر شكوى وقلق ومنافية للإطمئنان وراحة البال : المضايقات التي تأتي عن الطبيعة ، وتلك التي تنشأ عن الحياة الاجتماعية .

إن الإنسان لا يتمكن من استئصال المضايقات الطبيعية وإزالتها من الوجود ،

لكنه يستطيع أن يتلاءم معها ويكيفها ، إلى حدٍّ بعيد ، حسب المقتضى . وإن سعادته تتآخى في الأماكن التي يستطيع أن يتغلب فيها على هذه المضايقات : فتتسع الرقعة الصالحة للزراعة والمواصلات والعمران بتجفيف بعض المستنقعات ، أو ردم البحيرات بغية توسيع الأرض، وصد غزو الرمال، وتطهير بعض المناطق من الحميات والأوبئة . يمكنه أن يغرس الشجر في بقاع كثيرة تصد تلطيف الجوّ أو تثبيت التربة ، ويستثمر المناطق الصحراوية بوساطة شبكة من الأقنية أو باستخراج المياه الجوفية . وهكذا فانه يسام في زيادة مواد التغذية ، ويوجد أرضاً جديدة يتوجه الانسان المهاجر إليها بدلاً من الأطماع التي تحرك الجماعات للسطو على أرض الجار . ويمكنه أن يكافح الجفاف بوساطة الخزانات والسدود ، ويقضي على المجاعات بإقامة شبكة متقنة من خطوط المواصلات التي تضمن نقل المؤونة بسرعة إلى الأماكن التي اجتاحها القحط وانتشر فيها الجوع . ما أكثر المدن والقرى التي تشكو الظمأ بينما يجري الماء الى البحر دون ما نفع ، فلماذا لا يعمد الى جر المياه أو الى رفعها من مجراها المنخفض لنقلها إلى أماكن أكثر ارتفاعاً ؟ إنه لا يستطيع إطالة النهار أو استمراره لكنه لا يعجز عن تبديد الظلام الذي لا يزال يغشي المدن والقرى . ان التلاؤم مع الطبيعة من خصائص الانسان الراقي ، أما التأثر بأحوال الطبيعة فانه من صفات الانسان البدائي الذي تجرد من كل قدرة على تكييف الطبيعة .

وهناك مضايقات ليست ناشئة عن الطبيعة بل منبثقة عن التنظيم السيء وانحطاط المعاني الأخلاقية . أن الانسان ينهشه همان : العوز والخوف ولا يزال يبذل الجهود المستمرة ليتحرر منهما .

إن انعدام العدل في توزيع الخيرات على وجه صحيح يجعلها تتراكم هنا وتندر هناك . إن القلق لا ينفك يساورنا ويستبد بنا ما دمنا لا نستطيع الحصول دائماً على ما يلزمنا من كساء وغذاء وسائر الوسائل التي تحقق سلامة الجسم من الأمراض وتؤمن له امكانيات القوة والنمو . ان هذه الأمور ليست كل شيء في حياة الانسان ، لكنها حاجات اساسية لا يمكن الاستغناء عنها . ان توفرها يضمن لنا مستوى مرضيًّا للحياة ينتج من جراء المنافع المادية التي تتمكن أسرة من الحصول عليها لقاء اتعاب تكبدتها أو خدمات قامت بها . وان هذه الوسائل التي تكوّن مستوى الحياة لا تقف عند حد من ناحية المقدار أو التنوع ، بل إنها ذات قابلية للتطور في الاتجاه الذي يسلكه المجتمع . فهي في مجتمع زراعي مختلف وتتبدل إذا ما انتقلنا الى مجتمع صناعي أو بدوي إن التنظيم الناحية

الاقتصادية يتيح لكل إنسان أن يصبح منتجاً بطريقة من الطرق ، فيشعر ويتلذذ بالكرامة والحرية عندما لا يرى نفسه كلاً على سواه ، ويتطهر قلبه من أدران الحقد والحسد اللذين يقلقان راحته ، ويدفعانه الى معاداة بعض الناس الذين ارتفعوا فوقه .

*

ومم يخاف الإنسان ؟ إن الطب قد صانه من الأوبئة الفتاكة ، وأوجد علاجاً لمعظم أدوائه . وان قوى الأمن المنظورة وقوة القانون غير المنظورة تسهر على راحته وتحفظ له مخزنه ومعمله وبستانه وحقله وماشيته حينما يكون منصرفاً للهوه أو غارقاً في نومه . إنه يقبع الآن وراء جدران كثيفة ومتينة ، وفي طبقات عالية يرتد عنها الطرف كليلاً ، ويعز على السحاب أن يبلغ ذراها وعلى الرغم من كل ما ذكرت فانه ما برح فريسة للخوف وهذا الخوف يقض مضجعه ويشيع الهموم في نفسه ، ويحول دون استجابتها لرغباتها أو انطلاقها على سجيتها وما دام الخوف مخيماً على جوّ نفسه فلا قيمة حقيقية لكل الضمانات المادية التي تبذل له على حساب أمنه النفسي . إنه يريد أن يحيا حرّاً ، حرّاً في أقواله وآرائه ، حرّاً في معتقده ، حرّاً في أعماله التي لا يمكن أن ينشأ عنها خطر يلحق غيره . لا لأنه ينشد حياة خلت من كل قيد أو نظام ، وخلت من قوانين تحدد الحقوق والواجبات ، وتشير الى الجائز وغير الجائز ، بل لأن المغالاة في تطبيق القوانين ، أو المحاباة في تطبيقها ، قد أرهقته . إنه لا يريد ، كما يجري في بعض البلدان الدكتاتورية ، أن تمتد أصابع القانون الى أقداس النفس ، وتنفذ عينه وسهامه إلى ما ندعوها بحقوق الانسان الأساسية. انالحياة لا تكون سعيدة ما لم يمارس حق الحرية على وجهه الصحيح وعلى أوسع مدى دون عائق . لأن القيم والمثل العليا ، وهي اجتماعية ، لا يمكن أن توجد وتنمو إلا في جوّ من الحرية ، ولا توجد إلاّ بالحرية إن الانسان ينشد حرية الكلام والنشر والمعتقد

ومن المؤسف أن يحجر على الحرية في هذا العصر مثلما يحجر على المصابين بالأوبئة . ومن العار أن تنشب الثورات أولاً في سبيل الحرية ، وتتركز قوة الشعوب ضد الطغيان والاستبداد المطلق ، بينما تدخر القوّة والسلاح للحد من الحرية واستئصال جذورها من رأس الشعب .

وإذا كان الإنسان ينتسب لأمة معينة ، ويقر لها بالولاء ، ويعمل لها بإخلاص ، يجب

ألاّ يحول بينه وبين تجاوز التخوم فيسافر أنى شاء ، وبالوسيلة التي يشاؤها ، ويقطن حيث يحلو له إننا لا نستطيع وضعه في قمقم . ولا يمكن أن يسمد إذا تحولت أرض الوطن الى سجن كبير يسجن فيه المواطنون . لماذا لا يسافر ليرى العالم بعينيه ، ويتعرّف اليه بادراكه وحسه ، ويدركه على حقيقته . انه يعرف أن هناك شعوباً متمدنة وأخرى متأخرة ، ومناطق حارة وأخرى باردة ، وان هناك غابات وجبالاً وبحيرات ... فلماذا لا يسافر ليرى كل شيء في موطنه الأصلي دون أن ينهض حائل ؟

وان الأمور داخل المجتمع ليست دائماً ترضي ، بل كثيراً ما تهدر القيم والمثل ، وكثيراً ما يحدث شذوذ ، فلماذا يحرم عليه ، كمواطن ، أن يشير إلى الخطأ ، وينبه ويرشد الى ما هو أكثر صواباً ؟ هل الحق كلمة سر لا يعرفه إلاّ فئة معينة أوتيت العقل والحكمة والرشاد ، أم أن كل ذي عقل منير يتمكن من معرفة الحق ؟ انني لا استطيع أن أتصور مجتمعاً بشريـاً ينعدم فيه التمايز الفكري والتنوع . إن التمايز لا أثر له في مجتمع بدائي وفي مجتمع حكومته بوليسية .

*

في جو الحياة الجيدة المرتقبة لا أثر للارهاب أو الاستبداد . إن حرية الفكر مباحة بشرط ألاّ يقصد إلاّ الخير ، خير الجماعة التي نكون منها وإليها ، ولا نروم إلاّ اصلاحها . إن هذا الخير وهذا الاصلاح لا يتمان إلا إذا أفسحنا المجال لصراع العقائد والمبادىء . إن العقائد لا تحارب بالحديد والنار ، ولا بالضغط والارهاب ، بل بعقائد أفضل وأجمل . وكل سلاح يستعمل في معركة الصراع غير هذا السلاح يخل بشرف الصراع وينتقص من قدره . إن اللجوء إلى العنف لتقييد حرية الرأي بربرية من طراز جديد . إن العقائد لا يمكن أن تتجلى قوتها أو ضعفها إلاّ إذا خضعت للنقد والمقارنة والتمحيص ، فان خرجت سليمة من جميع هذه المعارك أمكن الحكم عليها بالصحة . لقد أصبح الفكر الحر في هذا العصر ، في بعض البلدان ، لعنة تصيب صاحبه . وان جواً كهذا الجو الخانق لا يساعد مطلقاً على ولادة أفكار جريئة جديدة . وإذا لم يقدر للآراء المتوارثة أن تتشذب وتتهذب أو تلقح بمصل مبادىء فتية جديدة فانها تشيخ وتفسد . وإن جلال القدم وأبهة الماضي غير كافيين لابقائها مستمرة .

إن الحياة الجيدة لا تكون في تحقيق المساواة المطلقة ، وهو أمر مستحيل ، كما انها

لا ترمي إلى صوغ الناس صياغة واحدة كي ينشأوا نسقاً واحداً . بل إنها لا تكون إلا في التنوع الذي يدوم وينمو . من يجرؤ على القول إن الأرض تصبح أجمل مما هي عليه الآن لو أزلنا التضاريس ، أو لو تماثلت الفصول ؟ يجب أن يخلي بين الناس والأساليب التي ثبت صلاحها بالاختبار . ومن ثمَّ فان التنوع في انماط الحياة لا يكون إلا من خصائص المجتمعات الراقية التي سمت نظرتها الى الحياة والكون . وكلما انحدرنا في سلم الحضارة تعذّر علينا العثور على النماذج المنفوقة الفذة إن الناس يختلفون في أذواقهم ، وهذا يتجلى فيما يستقبحون أو يستحسنون من الشؤون . وانهم يختلفون كذلك في الطبائع والخصائص وكما اننا لا ننجح إذا حشدنا جميع أنواع النبات في منطقة مناخية واحدة ، لأنه يستحيل أن يجد كل نبات ما يلائمه من حرارة ورطوبة في مثل هذا المناخ . فهكذا نرى أن جو الحياة الواحد لا يوفر جميع الشروط لنمو النفوس وتفتح المواهب .

*

ليست الحياة الجيدة من مستلزمات الأمم التي تعرّق الهرم إلى بنيتها ، وأصبحت عوامل الفناء تعمل فيها أكثر مما تعمل عوامل البناء : بل من مقتضيات الأمم الفتية ، التي تتدفق حيوية ، وتتطلع الى الخلود والعز ، وتمضي قدماً إلى الأمام . وانها تودع الحياة الجيدة عندما تشعر انها أصبحت بدون رسالة ولا غاية ، فتخاذل وتتفسخ ، لكن السير المطرد الى الأمام ، لا يتطلب السرعة بل ينشد الاتقان . لأن الاسراع في البناء الاجتماعي قد يكون خطراً يجب تجنبه أو كسر حدته ، لأنه يخشى في مثل هذه الحال أن يصاب الصرح الاجتماعي بصدمة عنيفة فيتصدع ويتوقف عن التقدم ، لأن الآراء التي لا تتبلور أولاً في النفوس تظل عرضة للطرح . أما إذا تركزت وأصبحت بمثابة العقيدة فانها تكون وقاء يقي التطور من الانتكاس فالفشل . والتقدم لا يمكن أن يتم إلاَّ بولادة إرادة عامة ، موحدة القصد والمصير ، وبتوازن تام بين كفتي الحقوق والواجبات وهذا التوافق الكلي لا يحدث إلاَّ إذا آمنا أن مصلحة الأمة فوق مصالح الأفراد جميعاً . وكل مجتمع لا يمكن أن يتطوّر إلا إذا شاء أبناؤه ذلك . وانهم لا يحسون دبيب الحياة في نفوسهم إلاَّ عندما يدركون انهم مدعوون لأداء رسالة نبيلة ، ويشعرون انهم لا يخرجون من مهاوي الذل إلى قمم العز إلاَّ إذا حققوا هذه الرسالة . وكل حركة لا يحدوها أمل ولا تنشد هدفاً لا تصيب النجاح .

(سورية)

اليها ..

للأستاذ حسن عبد الله القرشي

شرق الكأس بالرؤى فاغنمي متعة الصباح

*

ها هنا الروض ضاحكاً ها هنا الزهر والأقاح

ها هنا فرحة الخما ئل في نشوة الصداح

غرد الفجر حالماً مالئاً مسمع البطاح

هوذا الورد ينفث الـعطر في غير ما جناح

والأماني رفرفت ثم خفاقة الجناح

*

إسقني خمرة الهوى ودعي المين والمزاح

وخذي الناي وانشدي أغنياتي مع الرياح

قد كفى القلب ما دها ه من اليأس والجراح

قد كفى الروح ما شجا ها من الجهد والنواح

قد كفى الجسم سقمه وتلظيه بالطماح

*



إغنمي بسمة الحيا ة وترنيمة الصباح
فلكم صدري المشو ق على صدركِ استراح
ولكم نهدك النفو رُ شكا غلة الوشاح
ولكم قد رشفت من ثغرك العذب كأسَ راح
فدعيني أصل من متع الروح ما يباح

*

أنا طير مقيَّد مثقل أبتغي السراح
اطلقيني على المدى في جنانِ الهوى الفساح
اطلقيني على الربى أملأ الكون بالمراح
ودمي نبضة الغرو ر وأوهامه الشّحاح
فغداً تثلج العرو ق ويستعبر الصداح

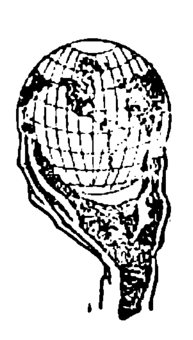
*

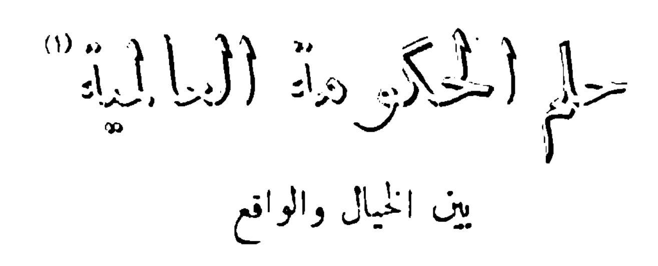
شرِقَ الكأس بالرؤى فاغنمي متعة الصباحْ



استدراك : كلمة أصل التي في السطر الخامس صحتها : أصل

من بحوث السياسة الدولية :





للأستاذ صلاح الدين الشريف

لا غرابة أن يحار الباحث السياسي في هذا العصر عندما يحاول أن يهتدي الى رأي سواء أو حلّ وسط لأزمة الحضارة التي تكاد تستعصي على كل حل في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل التاريخ الحديث . فأيما باحثٍ في مشكلات الاجتماع والسياسة مزدحم الذهن أبداً بشتيتٍ من صور التفكير و « التلفيق » إزاء غلبة هذا الفيض الزاخر من عديد المشكلات والازمات التي تزحم اليوم الأفق الدولي ، ويلاحق بعضها بعضاً في سلسلة عجيبة تتشابك حلقاتها على نمط فذّ وغريب . نمطٍ يجعلها تأخذ على مسرح الأحداث العالمية الراهن مسحةً خاصة من التعقيد والتميع في وقت معاً ، إلى حدّ تكاد تطبع معه — أي هذه المسحة المتغلغلة — عصرنا الحضاري كله بطابعها العجيب الرهيب .

والحق إنه إذا كانت أية محاولة جدية للاهتداء الى رأيٍ « واقعي » عملي يستقيه الباحث السياسي من صميم هذا المحيط المليء بأحداثه ، أمراً عسيراً ومطلباً مريباً يبعث على مزيد من التأمل والعجب والحيرة ، فكم بالحري يكون أثر هذا الارتباك وصدى هذه الحيرة في دنيا الفكر السياسي ، وبالتالي في محيط الواقع المادي ، بشتى أوضاعه وسياساته ونظمه ، إذا اصطبغ التفكير السياسي للباحث المفكر بصبغة خيالية ظاهرة ، تحاول أن تجاوز دائرة التفكير المجرّد لتواجه بحلولها العرجاء وتلفيقاتها الظنية والنظرية

(١) للمقتطف : هذا المقال ملخص كتاب ظهر حديثاً للعلامة كاهلر ونشرته مجلة Foreign Affairs الاميركية في عددين متتابعين

مع ـ ترك « الواقع » بأحداثه المتراكبة ذات الدلائل المادية التي لا تـُجحد ؛ وكم بالحري يكابد هذا العالم ويعاني من جراء هذا اللون من التفكير الخيالي ، وكم يحق لهذا العالم أن يتشاءم من مصيره ، ما دام قصارى رأي فلاسفته السياسيين وغاية جهدهم أن يصدروا في تفكيرهم أو في تقصّيهم للحلول الممكنة لمشكلات الحضارة عن اندفاع إيديولوجي محلق أو عن نزعة مثالية مسرفة ، قوامها خيالٌ عقيم لا يـُغني ولا يـُسمن . خيالٌ لا يكاد يتقيد في انسراحاته البعيدة المضللة بقيد ولا ضابط !

ويحلو للباحث « الواقعي » في أصول هذه المشكلات ، أن يستعرض على لوحة ذهنه أمام زحمة هذه الاحداث المدوّية في آذان العالم اليوم،وأمام حاجة هذا العالم الى ليوتوبيا دولية جديدة — يحلو له أن يستعرض أهم الجوانب الواقعية ومعها أيضاً تلك العناصر الخيالية التي تشكل أو تصورٌ في الذهن فكرة « الحكومة العالمية » أو بناءها النظري ، وهي الحكومة العليا التي كانت ولا تزال حُلـُمَ الانسانيـة الاكبر منذ مطالع تاريخها الحديث ولسوف نرى كيف يتكشف مثل هذا البحث الاستعراضي الموجز ، في هذا الموضوع الرئيسي من موضوعات الفكر والحضارة ، عن مدى العقم أو القصور الذي تنطوي عليه كثير من المحاولات الذهنية التي يطلع بها على الرأي العام العالمي ، بين وقت وآخر بعض فقهاء الاجتماع وكتّاب السياسة في العصر الحديث !

إن الطابع « التراجيدي » أو الفاجع لهذا العصر العجيب ، يتجلى في ازدياد شعور الانسان العصري بالقلق الدائم على مصيره ومصير الحضارة ، فضلاً عن إحساسه العميق المتأصل ، إزاء عديدٍ من المخاوف التي تتجاذبه متلاحقة في عنف وقسوة ، بأن مستقبله ومستقبل هذه الانسانية التي تجمعه وإياها جامعة الجنس محروم إلى أبعد حدٍّ من كل عوامل الاستقرار والثقة والأمن . فهذه المبتكرات والمستخدمات العلمية التي كان أبناء الجيل الماضي يعتقدون اعتقاداً غريزيّاً أنها قادرة على إنقاذ الحضارة من عادية كل سوء أو شر أو عقم تستهدف له ، أضحت هي نفسها مصدراً أصيلاً من مصادر هذا الشر وباعثاً جهنميّاً من بواعث ذلك القلق ؛ إن لم تكن عاملاً من عوامل زيادته ومضاعفة آثاره وظواهره في محيط الاجتماع .

ومن ثمّ اكتسبت مشكلات الحضارة ، عن طريق هذا التقدّم العلمي والفني المسلّح بكل أساليبه ومستحدثاته ، طابعاً بارزاً من التعقيد والاستعصاء ، وهذه نتيجة عكسية لما كان يرجوه أبناء جيل أو جيلين مَضَيَا من خيرات ونعم تـُغرق في فيوضها الثرة بني الانسان ، وترحض عنهم مناكر عيشهم السالف.

ولسنا ننكر مع ذلك أن هذه المستحدثات الفنية التي تلاحقنا بها قوى التوليد والاستنباط الكامنة في صميم الحضارة ، قد أفلحت في خلق أو تكوين مجتمع دوليّ « بدائي » إن صحّ هذا التعبير ، أي مجتمعٍ لا يزال في أول أطوار نشوئه وتكوّنه . ولكن هذه القوّة الخلاقة المولـدة لم تستطع بشتى مستحدثاتها وفنونها أن تسدّ ثغرات النقص أو تقوّي نواحي الضعف في هيكله ، لتكمّل له مشخّصاته الضرورية ، دعائمه اللازمة لارساء كيانه من النواحي القانونية والسياسية والأخلاقية كافةً

على أن هذه القوة المبدعة أفلحت في خلق دول أو مجتمعات قومية يعتمد بعضها على بعضها الآخر ، ولا يستطيع واحد منها أن يرد نفسه عن دواعي هذا الاعتماد ومطالبه ، وإن تفاوتت نسب ذلك بتفاوت مجتمعات الحضارة من حظوظ الموارد والمرافق والاقتدار العلمي والفني على الاستنباط والاستغلال ؛ فالعيش في عزلة اجتماعية كاملة ، أو حتى شبه كاملة ، عن سائر المجتمعات الأخرى قاصيها ودانيها ، لم يعد أمراً ميسوراً كما كان الحال فيما سلف من عهود التاريخ .

ولكن حقيقة هذا الاعتماد أو « الارتفاق » الحيويّ المتعدّد الأطراف والحقوق جديرة بالتأمل والتبصّر ، فهو على ما طَوّعَ لدول الحضارة من أسباب التبادل والتعارض في شتى منافع الحياة ، لم يستطع مع الأسف أن يطوّع القيم الأخلاقية الرفيعة التي لا غناء عنها في تبادل خلائق الصداقة والثقة والتوقير وحسن الجوار ، وهي مقوّمات جوهرية لا يقوم بغيرها مجتمع دولي له قانونه وجيشه ونظامه المحترم .

والتعاون الدوليّ لا بد له أن يبلغ ، بادىء ذي بدء ، مرحلةً من التناسق والتكامل يبلغ عندها تمامه وعنفوانه ، ليستحيل بعد ذلك ومن تلقاء نفسه ، صورةً نظامية متجانسة ترقى بجهد فقهي يسير إلى مجتمع عالمي ، أو بالحرىّ إلى حكومة عالمية ؛ ومثل هذا الجهد الفقهيّ يعد بمثابة التسجيل التشريعي ، وبالتالي الاعتراف الواقعيّ لهذا الطوْر الارتقائي الموموق من أطوار الحضارة .

وبغير هذا الأفق الأعلى من التعاون الكامل والتضامن العالميّ الوثيق في تأكيد حرمات انسانية ومُثل أخلاقية وقانونية دولية ودعمها بالجزاء الاجماعيّ الرادع عند الاقتضاء ، لا يكون من وراء اطراد التقدّم في سير هـذه المستحدثات والفنيات إلاّ العمل الدائب على زيادة عوامل التنازع والشحناء والمنافسة الاقتصادية المحتدمة بين شعوب الحضارة ، وهذا حقيقٌ أن يؤدي بدوره إلى انكماش ذريع لهذه المُثل التي تمهد لقيام مجتمع دولي له حكومة عالمية ، لتقوم على أنقاضه مجتمعات « الاكتفاء الذاتي » المتوجسة المتحاربة ، وبهذا

تتسع على الأيام تلك الفجوة أو الوهدة العميقة التي تفصل بين طرازين من العالم، عالم اكتملت له فنيانه ومخترعاته ومستحدثاته، وعالم لا زال يحبو كالطفل من ناحية المعايير الخلقية الدولية، فتتعدد تبعاً لذلك انقساماته وانشعابات عقائده ونظراته في النظم السياسية والاقتصادية على السواء.

ويذهب المسرفون في التفاؤل من مصير الحضارة الانسانية إلى أن هذه الفجوة المشئومة من الميسور تخطيها أو سدّ فراغها الرهيب عن طريق واحد لا سبيل إلى سواه، هو العمل الدائب على إقامة مجتمع دولي موحّد النظم في ظل دستور أعلى تستظل به حكومة عالمية تستطيع بإمكانياتها الدستورية أن تسيطر على مصاير هذا المجتمع الدولي وتوجّهه لخير الإنسانية العام لا فرق بين أجناسها أو ثقافاتها أو مناسيب ارتقائها.

على أن هذا الأمل الوهمي، أو بالحري هذا الخيال النظري الخصيب، هو الذي يُسبغ على مشكلات العالم الحاضرة طابعاً فاجعاً يزيد في عمق الاحساس بمأساة هذه الحضارة التي عجزت عجزاً شائناً عن حل مشكلاتها، ولم تكتفِ بهذا العجز الذي عَقّدَ أمورها جميعاً بل أضافت إلى أفق هذه المشكلات المظلم جوّاً أشد إبهاماً وبلبلة قوامه بريق زائف من الأوهام والخيالات!

ووهمٌ كهذا لا يخدع فريقاً من فلاسفة الأخلاق وفقهاء السياسة فحسب، بل لعله ملء اليوم فريقاً آخر ممن تُسعدهم ظروفهم ومراكزهم للاطلاع في يوم قريب أو بعيد، بتصريف شئون السياسات الدولية في الأمم ذات النفوذ الغالب في مجال هذه السياسات، فيظلون يتخبطون في وضع وتنظيم برامج سياساتهم الخارجية، ذات التوجيه والأثر العالمي، لأنهم ينسون الواقع ومشكلاته العاجلة التي تتطلب حلولاً عملية عاجلة وعادلة، ليحلقوا بأبصارهم المخدورة إلى آفاق المُثُل البعيدة ذات الوميض البرّاق! ولكنهم بهذا إنما يخدعون العالم إذ يخدعون أنفسهم، ويحيلون الأمر في علاج مشكلاته الضخمة المتعقدة الى مجرّد حلول مثالية بلهاء تقرب في هذا الطور الحضاري على الأقل، من حدود الاعجاز.

إن كل بحث أو جدل يدور حول هذا الموضوع يستند في صميمه الى فرض بسيط خلاصته أن مجرد الرغبة الاجتماعية في تحقيق نظام عالمي تخضع له أمم الحضارة، تكفي بذاتها لتأكيد القدرة على تحقيق حلم الحكومة العالمية!

والاستقراء السليم لظروف العالم وأحداثه الحاضرة، يؤكد مع الأسف الشديد عكس هذا الفرض أو ظنيته، فهو يثبت بأنصع الأدلة عجز العالم، من الناحية الاخلاقية ومن الناحية السياسية، عن إقامة حكومة عالمية بالمعنى الاصطلاحي المقصود رغم رغبته

الاجماعية ، مع ذلك ، في إقامة نظام عالمي كامل تخضع له الأمم كافة !

إن حكومة كهذه لا يكفي في تحقيقها ، باعتبارها عملاً نظامياً أو قانونياً كبيراً ، مجرد نزوع ارادي للأسرة الدولية نحو استملاء قواعد الفقه الدولي ومقرراته كلها لصياغة الشكل المطلوب ، كما تنبت ظروف العالم من ناحية أخرى ، عجز حكومة كهذه، حتى على فرض نجاح العالم في تحقيق فكرتها في العقود القادمة ، عن جمع شمل الدول كلها إلى حد تكتيلها في مجتمع دولي متجانس المصالح متحد المنافع متساوي الحقوق والواجبات إذ ليس ثمة بعد ما يمكن أن نسميه بـ « النسيج الاجتماعي الحي » لمجتمع كهذا ، مع انه شرط جوهري ، بل مقوّم لا غناء عنه من مقومات الحياة لكيان كل مجتمع . ويؤكد فقهاء الاجتماع أن هذا « النسيج » أسبق وجوداً ، في مراحل التطور الاجتماعي ، من نظام الحكومات ذاته .

ويذهب فريق من المتحمسين عن فكرة الحكومة العالمية إلى فرض آخر بعيد ، يزعمون فيه أن الأمم ليس عليها إلا أن تتبع ، في تحقيقها لهذه النقلة الجبارة لعجلة الحضارة ، خط سير التاريخ الاجتماعي للأفراد ، عند محاولاتهم الأولى تكوين مجتمع انساني منظم فهم قد كتلوا إراداتهم جميعاً لتنصب في صورة اتفاق رضائي عام يكون بمثابة السلطان الممثل للشريعة والنظام في المجتمع وهو السلطان الأعلى الذي ارتضت هذه الارادات كلها الخضوع له والتقيد بأحكامه وجزاءاته .

وأيّاما كانت مذاهب الجدل ومدارسه المتباينة التي قامت لمعارضة فكرة المجتمع الانساني القائم على التعاقد الجمعي أو الارادي للأفراد ، فان ثمة حقيقة تاريخية بارزة لا يجمل أن تغيب عن بالنا في هذا المجال .

وهذه الحقيقة لها الأرجحية في كل قياس أو مقارنة تعقد بين سلوك الأفراد الاجتماعي في تكتلهم لتأليف مجتمع قومي وبين سلوك الدول أو محاولاتها ، منفردة ومجتمعة ، لتأليف مجتمع عالمي . إن كل مقارنة من هذا القبيل تؤكد إذن هذه الحقيقة ، وهي أن تقديس الحقوق الفردية في مجتمع قومي يعد سليقة غريزية هي أقدم في التكوّن والنشأة من أي نظام قانوني وضعي عرفته « الجماعة الانسانية » على مدى تاريخها ، وبالتالي فإن قداسة الحق الفرديّ أعرق أصولاً من كل تقنين فني اهتدى إليه المجتمع بعد تطوره من مرحلة العرف والعادة إلى مرحلة النظام السياسي المفصّل والتقنين المنسّق لنصوص القانون الموضوع .

ولن تكون قوة « الجبر الاجتماعي » Contrainte Sociale التي تمثل سلطة الإلزام

في المجتمع ذات أثر حاسم وفعال ما لم تكن ممثلة للإرادة العامة للجماعة تمثيلاً صادقاً، بأن تكون صادرة عن ضميرها العام منبثقة من وعيها الجمعي Conscience collective

ومعنى هذا أن مجرّد الالزام أو السلطان لا يرقى في القدرة إلى حدّ أن يصنع الحق صنعاً، فضلاً عن تأكيد قداسته وغرس احترامه في النفوس. والمجتمعات الوطنية لا يُقاس مدى رقيها وتضامنها إلا بمدى فهمها لروح القانون واحترامها لأحكامه وصدق تمثيلها لتطوّراته كافة، وليس بمقياس خشيتها الظاهرية لبأس هذا السلطان المرهوب، مهما تكن قوة إلزامه المستمدة من صراحة أحكامه وجزاءاته.

وما يصدق على المجتمع الوطني يصدق كذلك على مجتمع « الأسرة الدولية » فكما أن القانون وحده لا يصنع الجماعة ولا يخلق روحها، بل هي الجماعة التي تخلقه وتصوغه روحاً ونصاً ولا تني تعدل فيه ليوائم حاجياتها المتطوّرة على الزمن، فان هذا القانون بكل ماله من جلال وسلطان وهيمنة، لا يتأتى له أن يخلق بمجرّد تقنين فني للنصوص أو صياغة محكمة للمبادىء والأحكام، مجتمعاً دوليًّا متجانس الميول موحّد النزعات متعادل الحقوق والواجبات، ينتقل في مرحلة تطوّر خاطفة، تقاس بشهور أو بأيام حسبما تستغرقه صياغة النقلة، الى اعتناق وتحقيق نظام الحكومة العالمية!

بعد هذه المقدّمات المحدّدة، نستطيع أن نحصر أوجه الاستحالة العملية في إنشاء حكومة عالمية في هذين المبدأين الرئيسيين:

أولاهما: أن الحكومات، قومية أو عالمية، لا يمكن أن تخلق بمجرد الرغبة أو بمحض المشيئة؛ وإن كان من الجائز كما أثبت التاريخ السياسي للأمم خلق حكومات وطنية أو إقليمية بأرادة فردية غاشمة قوامها قائد فاتح أو طاغية قاهر أو من كان في حكمها. بيد أن مصير هذه الحكومات كان ولا يزال معلقاً بمصاير موجديها لا بمصاير الشعوب المقهورة التي اضطرت إلى الخضوع لها أزماناً محدودة.

ثانيهما: إن الحكومات كمنظمات إدارية وقانونية، لها أثر جدي محدود في صناعة أو خلق مجتمعات موحدة أو متجانسة.

فلا القانون إذن يكتفي بمساندة الحكومات له إلى حدّ أن يستغني بهذا السناد « الرسمي » عن رضا الجماعة ذاتها، فلا يكون مظهراً واقعيًّا لروحها وانعكاساً صادقاً لقيم ومثل ضميرها ووعيها الجمعي، ولا هو بقادر على أن يصنع، بمجرد قواعده المسطورة من العدم وجوداً، ولا من مجموعة من الأمم المتباينة نهوضاً وثقافة ومصالح مجتمعاً عالميًّا توحدت أهدافه ومطالبه وتجانست قيمه وأمانيه.





نهضتنا الثقافية

وبوادر الاهتمام بها

للأستاذ محمد سيد الشوباشي

مما قصر فيه ذوو القدرة وذوو الكلمة النافذة في مصر أنهم لم يولوا نهضة بلادهم الأدبية بعض ما تستحق من اهتمام ورعاية ، فلسنا نعرف كبيراً من كبرائنا اهتم بالأدب إلاّ إذا استثنينا أولئك الذين يختار كل منهم أديباً يظهر له شيئاً من العطف ، ويبذل له شيئاً من العون على نحو ما كان يفعل السراة الأقدمون ، ويحسب أنه آزر الأدب بمؤازرته ذلك الأديب المختار، جاهلاً أن هـذا النوع من العطف الفردي على أديب ، يزري في هذا العصر بالأدب والأدباء على السواء .

وكم من حزب سياسي من أحزابنا وضع برنامجاً لسياسته ، وحرص على ألاّ تفوته ناحية من نواحي النشاط في الحياة المصرية ، فشحنه بما يراه من وسائل النهوض بالتجارة والصناعة ، والزراعة ، والصحة ، والتعليم والدفاع الوطني وغيره من شئوننا العامة ، ولكن حزباً واحداً لم يفكر في تخصيص سطر واحد من صفحات برنامجه لوسائل دعم نهضتنا الأدبية والفنية ، أي أن أحزابنا لم تتعمد إهمال نهضتنا الثقافية ، ولكن أمر تلك النهضة لا يخطر لها ببال حتى في الوقت الذي تكدح ذهنها فيه لوضع برنامج إصلاحي شامل.

أما كبراؤنا المحترمون فإنهم يبذلون وقتهم الثمين ومالهم النفيس في تشجيع النوادي و الجماعات المختلفة من رياضية واجتماعية ، وقد يعطفون في بعض الأحايين على هيئات علمية . ونحن لا نأخذ عليهم ذلك ، بل نقدره كل التقدير . ولكن الذي نأخذه عليهم ، أننا لم نسمع بأن واحداً منهم فكر في معاونة الأدباء على إنشاء مؤسسات أدبية على غرار المؤسسات

التي ذكرناها تلم شملهم، وتخلق لهم الجو الأدبي الذي يعين ولا شك على تطور الأدب وتقدمه. بل أن واحداً منهم لم يخطر على باله أن هناك شيئاً اسمه أدب وان ذلك الأدب هو في نظر ذوي الرأي والبصيرة أساس التقدم الحضاري، وحافزه الاول، وقد يكون عذر المعرضين عن تشجيع الأدب أنه في غير حاجة الى تشجيعهم لأسباب سمعنا صداها يتردد في الأيام الأخيرة. ولذا نعرض لها فيما يلي : —

ما يؤخذ على تشجيع الأدب

يرى بعض أهل الرأي أن النهضات الأدبية تقوم على كواهل النوابغ من الكتّاب، وأن هؤلاء في غير حاجة إلى تشجيع الحكومة أو ذوي النفوذ من الأفراد لأنهم موهوبون، فالنزعة الأدبية فيهم سجية لا يملكون منها فكاكاً. فهم لا يبدعون حين يشجعون، ولا يعيبهم العقم حين يهملون، وقد يسفر تشجيعهم عن عكس الغاية المرجوة، ذلك لأن العقبات التي تعترض سبيلهم كثيراً ما تحفز هممهم وتصقل مواهبهم. فالفشل قمين بأن يستحثهم على مضاعفة الجهود في سبيل التجويد، وقديماً قال الشاعر

لا بدّ من فشل من بعده فشل   حتى يجاب إلى العلياء داعيها

في حين أن التشجيع يسفر على الأغلب عن نجاح سهل سريع يفعم نفوس الناجحين غروراً، ويدخل في روعهم أنهم وصلوا إلى الغاية وأصابوا الكمال، فيصرفهم عن بذل الجهد الجهيد في سبيل التجويد. وآخر ما يقال عن التشجيع إنه يغري الادباء بتملق مشجعيهم والعمل على تجنب سخطهم وكسب مرضاتهم، وتسخير أدبهم في سبيل الاشادة بأولئك المحسنين إليهم، وتحقيق أغراضهم فيصبح الأدب تابعاً لا متبوعاً، ويرسف في قيود الرق والعبودية في حين أنه لا يترعرع ويزدهر إلا في طلاقة الحرية.

وسائل تشجيع الأدب

قبل أن نضع الآراء المشار إليها في الميزان، ونتبين فيها وجه الصواب من وجه الخطأ، نذكر أن تشجيع الأدب نوعان، نوع عرفه الزمن الغابر، إذ كان أكثر الادباء من شعراء وكتّاب يلوذون بأصحاب الجاه والمال من الخلفاء والامراء والاشراف والحكام، فيطبلون لهم ابتغاء رفدهم، ويحوطون بعضهم بهالات من المجد الوهمي، فيوطدون بذلك سلطانهم، ويعينونهم على تحقيق مآربهم. وما وثق أولئك من مضاء سلاح الأدب حتى شجعوا

أربابه بكل ما اهتدوا إليه من حيلة ... ونوع آخر عرفه العصر الحديث ، وهو يختلف كل الاختلاف عن التشجيع الماضي في وسائله ومراميه ويعتمد على إقامة المباريات ونشر الثقافة العامة . ولعلَّ هذين النوعين في حاجةٍ إلى زيادة إيضاح ولذلك نفصل ما سبق إيجازه فيما يلي :

تشجيع الأدب في العصر الغابر

لم يكن الأدب مربحاً ، بل أنه لم يكن يقيم أود رجاله قبل الاهتداء إلى آلة طباعة الكتب فاضطرَّ المعوزون من الأدباء الى طرق أبواب الموسرين من الحكام والأمراء كما سبقت الاشارة الى ذلك . واعتنقه غير هؤلاء من هواته الذين لم تكن بهم حاجة الى احترافه، فطرقوا منه أبواباً لم يكن ليطرقها المحترفون ، وأبدعوا فيه فنوناً بعد فنون ، وعلى الرغم من انهم خلفوا لنا مصنفات قيمة ، فقد كانوا قلة ليست بذات خطر .

ولكن أدباء الغرب الأقدمين كانوا أوفر حظاً من أقرانهم الشرقيين ، لأنهم عرفوا دون هؤلاء لوناً من الأدب درَّ عليهم بعض الربح فشجعهم على المضي في تجويده . ذلك هو أدب المسرح الذي صار فيما بعد عماداً لمختلف ألوان الأدب الغربي . ولسنا ننكر ما لبعض أدباء العرب من فضل في نقل قطوف من الآداب الاجنبية إلى اللغة العربية ، وما لبعض سادة العرب من فضل كذلك في حثهم الأدباء والعلماء على وضع بحوث مستفيضة في مختلف العلوم والفنون ولكن الجهود التي بذلت في تلك السبيل كانت فردية متفرقة .

ومن المعروف أن الحكومة الفرنسية قد درجت منذ مستهل العصر الحديث على منح كل عالم أو أديب ظهر فضله وعمَّ نفعه معاشاً سنويًّا دون أن تكلفه عملاً أو تفرض عليه رأياً ، أو تحاسبه على حركاته وسكناته . وكان الشاعر الفرنسي موليير من بين أولئك الأدباء الأفذاذ الذين قدرتهم دولتهم وأجزلت لهم العطاء لتمكنهم من التفرغ لاداء رسالتهم الادبية بدل تضييع وقتهم هباء ، وجهدهم بدداً في سبيل تحصيل القوت . فكسبت الأمة الفرنسية لقاء مبلغ زهيد من المال تلك الذخائر الأدبية الخالدة .

ولم تكتفِ الحكومة الفرنسية بمد يد العون الى الأدباء من أبنائها بل جاوزتهم الى حملة الأقلام من الأجانب . وكان من بين هؤلاء هايني الشاعر الألماني الذي كتب كتابه « ريزبيلدر » وغيره من روائع آياته في فرنسا .

وقد أنشأت تلك الحكومة « الأكاديمية الفرنسية » التي شجعت الأدب بتتويج كتبه الممتازة والتنويه بمؤلفيها . وعملت على نشر الثقافة بإعانة الجمعيات والنوادي الثقافية ،

وناشدت أساتذة المدارس أن يعملوا على ترغيب الطلبة في الاطلاع على كتب الأدب، فتوطدت بذلك أركان النهضة الأدبية الفرنسية .

وقد رأى دزرائللي وهو على رأس الحكومة الانجليزية أن يقوم هو أيضاً بنصيب من تشجيع الأدب فعرض على كل من توماس كارليل ومستر تينيسون أسمى أوسمة دولته، ومعاشاً سنويًّا جزيلا، فرفض أولهما العرض لأسباب سياسية، وقبل الثاني اللقب دون المال، فصار يلقب اللورد تينيسون

وإذا كانت حكومة انجلترا لم تسخ سخاء الحكومة الفرنسية في تشجيع الآداب، فإن صفوة المجتمع الانجليزي تولت عنها هذه المهمة السامية، وسدت النقص على خير وجه فلم تضن بجهد في سبيل نشر الثقافة العامة ودعم صرحها .

تشجيع الأدب في العصر الحاضر

تبذل وزارة المعارف العمومية جهدها في سبيل تشجيع التأليف وتتذرع ببعض الوسائل للوصول الى تلك الغاية، فهي تمحص كل كتاب ثقافي يصدر في مصر أو في البلاد العربية الشقيقة وتشتري منه عدداً مناسباً من النسخ في حالة التثبت من صلاحيته للاقتناء، وتوزع بعض هذه النسخ على مكتبات المدارس والمعاهد العلمية، وتهدي بعضها الآخر للنوادي والجمعيات والمؤسسات الثقافية . وهي تقيم المباريات في مختلف فنون الأدب والعلم، وتجيز الفائزين وتنوه بمؤلفاتهم، وتقوم على طبعها ونشرها في بعض الأحوال ثم انها تمنح المؤسسات الثقافية منحاً ماليًّا لتعينها على الاضطلاع بالمهمة الثقافية التي أخذت على نفسها الاضطلاع بها، وتكافىء بعض المؤلفين على كتب لايتوقع لها الرواج بين جمهور القراء لدسامة مادتها .

ويشارك المجمع اللغوي وزارة المعارف في تشجيع الأدب باقامة مباريات أدبية دورية، وقد عول أخيراً على تتويج الكتب الممتازة ليرشد القراء من ناحية الى خير ما يقرأون، ويشجع الكتّاب تشجيعاً أدبيًّا من ناحية أخرى.

ولسنا نعلم كما سبق القول إن أحد رجالاتنا اهتم بالأدب اهتماماً جديًّا، وخصص جوائز مالية للمتبارين في حلبته، اللهم الا إذا استثنينا تلك الجوائز المخصصة للطلبة الممتازين في بعض كليات جامعتينا . وما من شك في أن أي مشروع عام لا يمكن أن يكتب له النجاح الا إذا أيده الشعب، وأخلص في العمل على نجاحه. ولن تصيب وزارة المعارف ذروة النجاح

في مهمتها الا إذا عاونها الشعب على ذلك معاونة جدية . وسنحاول في مقال تال أن نرسم وسيلة تلك المعاونة لعل المخلصين للأدب في هذا البلد أن يهتموا بالأمر ولا يضنوا ببذل الجهد في سبيل الوصول الى الغاية التي ينشدها كل مصري مخلص .

عود على بدء

وإذ محصنا أوجه الاعتراض على تشجيع التأليف ، وقومناها على ضوء ما قدمنا من بيان ، وجدنا أن وسائل التشجيع الحديثة تكاد تخلو من عيوب الوسائل القديمة وتسلم من كل اعتراض . فالتشجيع الحاضر يهدف الى خلق بيئة تساعد على نمو النهضة الأدبية وازدهارها دون التعرض لتوجيهها وجهة خاصة .

أما القول بأن الأدباء في غير حاجة الى تشجيع فهو مناقض لطبيعة الأشياء ، لأن التشجيع بشطريه المادي والأدبي يحفز الهمة ، ويحث على مضي الأديب في طريق الخلق والابداع . وكل كاتب كبير بدأ حياته كاتباً مغموراً واحتاج في أول عهده بالكتابة الى المؤازرة والمعاضدة والمباريات العامة لا تتيح للكاتب نجاحاً سهلاً ، ولكنها ترفع من شأن المجيد دون المخفق ، وإذا قام بالتحكيم أدباء عرفت لهم الامة قدرهم ، فان من الاجحاف أن يساء فيهم الظن ، أو أن يفترض فيهم الغرض .

إن تشجيع الأديب لن يحول بحال دون قيام العقبات في سبيل وصول النشء من الكتاب إلى ذروة الشهرة . فهم لا بد معرضون لفشل من بعده فشل حتى تتحقق آمالهم ، ولن يعدموا العبرة والفائدة في المركب الوعر الذي يركبون .

أما شبهة خضوع الكتاب لمشجعيهم واهتدائهم بهديهم ، والسعي إلى إرضائهم والعمل على تحقيق أغراضهم ومطامحهم ، فلم يعد له مجال اليوم فانه ظاهر من وسائل التشجيع التي ذكرناها أن المشجعين الذين يلتمسونها لا يتصلون بالأدباء ، ولا يوجهونهم ، ولكنهم يمهدون للنهضة الادبية تمهيداً عاماً شاملاً لا يرمي إلا إلى الغاية السامية التي يتوخاها كل مخلص .



قصيدة

يوم الجزيرة

قصدا الجزيرة على جناح شراع — للاستاذ محمد فهمي

جزيرة الذهبِ — يا فتنة المُهَج

في العمر لن أنسى — يوم الهوى البهج..

☆

يا عُشّ النفسين — طارا على الثَّبَج (١)

روحاهما رفا — في النسم والارج

جسماهما شفا — كالنور كالوَهَج..

☆

جزيرة الذهبِ — يا فتنة المُهَج...

النيل قد غنّى — للزورق الاسنى

يختال تيّاها — يسري به لحنا

والموجة الوله — باحت بما نُحنا..

يا عرس روحينِ — أفراح قلبينِ

في رقص أضواء — تختال للعينِ

كم راعنا ماسٌ — يضوي بشطينِ

☆

رحنا بعمرانا — نُفضي بنجوانا

في أذنها همسي — كم هاج تحنانا

والوجد جياشا — أبدى خفايانا

☆

جزيرة الذهب — لما بلغناك

صاحت من الطرب — يا حُسن مغناك!

يا طيب ما ذُقنا — لما افترشناكِ

الحسن قد لبى — والصبّ لبّاكِ

قصة

الركاز [1]

للأستاذ ابراهيم الأبياري

كانت طريقاً عامرة بالسابلة ، لا نكاد نمضي فيها بعيداً حتى ترى عن الشمال أو اليمين أزقة ناشطة [2] والى المتصف منها منقبة [3] غير نافدة ، تنشط من تلك الطريق الرئيسية ، تقف بعد خطوات قليلة فيها تجاه نشز يعلو الأرض بأشبار ، قد استوى من لبنات وأحجار ، هي كل ما خلفه الهادم من منزل صغير ، كان هذا النشز رقعته .

وإلى زاوية يحتضنها جداران قد نقرت الثقوب والثغر فيهما أفواهها ، جلس الفتى « محمود » على قطع من فرش مختلفة لا يمتّ بعضها الى بعض بصلة . فهذه من حصير ، وتلك من ثوب خلق ، وثالثه من فراء . أما تلك القطعة التي كان يخص بها نفسه في جلوسه ، فكانت كما يحكي ، عزيزة عليه . أليست البقية الباقية من تلك الطنفسة التي كانت تحت سرير أبيه والتي ورثها أبوه عن جده؟ وهي دليل عنده على أن الأسرة كانت على شيء من الثراء ومثله من الجاه .

وفوق الفتى « محمود » عريش قد اصطنعه ، يمنع عنه الشمس . أما المطر فما كان لذلك العريش بدفعه يدان ، ولم يكن أمام « محمود » مع صبيب الماء إلاّ أن ينحدر الى مدخل بيت الى جانبه ، يجد فيه مستكنه حتى تنقشع السماء .

كان هذا الركن على هذا النشز تحت هذه الظلة حانوت « محمود » وسكنه ، يستقبل فيه مع الصباح جماعات الأولاد والنساء والرجال بمواقدهم « البترولية » للاصلاح ، أو للافادة من خبرته التي ذاعت وشاعت .

ويهجع فيه مع الليل بعد أن ينفض السامرون من حوله ، وقد سمعوا شيئاً من قصص الأبطال وأحاديث الشجعان ، التي كان « محمود » يحتفظ بالكثير من كتبها في صندوق

---

(١) الركاز : المال المدفون (٢) الناشطة : الطريق يأخذ من الطريق الاعظم (٣) المنقبة : الطرق الضيقة بين دارين .

صغير، جعل منه من النهار مقعداً، إن ألمّ به زائر ذو بال، ومع الليل مكاناً لمصباحه الصغير، يقرأ في ضوئه لهؤلاء الذين يقصدون اليه ويجلسون محدقين به واعين صاغين. حتى إذا ما انتهى إلى حيث يريد طوى الكتاب، وأدار عليهم أكواب الشاي، فشربوا وانصرفوا.

كان الفتى كسّاباً كما كان متلافاً، ما انضمت يده على شيء بياض النهار إلاّ صفرت منه قبل مطلع الشمس الثانية، وكان كريماً مع صرفائه،فما قصدته رقيقة حال إلا عادت بدرهم في يمناها والموقد معافى في يسراها. وكان حمى الأنف يأبى أن يعمل لمن يحقر من شأنه ويهون من أمره. وكان متفلسفاًله في الوجود رأي فيه غلو واغراق، ولكنه كان مقبولاً من مثله.

ولو أن الدراسة امتدت به، ولم يقطع عليه موت أبيه الطريق، لرأيناه في غير هذا المكان وقد حذق الحرفة في عام وبعض عام، وعال أمه أعواماً على قدر ما أوتي من قوة وحيلة فانت عنه راضية. ولم تنس قبل أن تسلم روحها أن تفضي اليه بخبيئة نفسها.

ورث الفتى البيت وحيداً، وكان يغل له الى حرفته قروشاً من حجرات كان يسكنها أسرتان أو ثلاث. ولم يشفق الجيران على الفتى كثيراً، فقد كان في حسبانهم مجدوداً. ورث الدار بما فيها، وهو إلى ذلك ممتهن تفيض عليه يده والدار بما يكفل له حياة فوق حياتهم.

رأى الجيران الفتى بعد موت أمه لا يبرح الدار الى عمله، فظنوه حزيناً، وقدروا لذلك أياماً تنقضي. فلما انقضت الايام ولم يبرح، دهشوا.

ورأوه يطلب الى القطان في رفق أن ينزحوا عن الدار، ولما لم يجيبوه الى ما طلب أعنف لهم، فدهشوا.

ورأوه ينقض البيت لبنة لبنة، وكلما كوّم كومة باعها. فظنوه يريد ان يستبدل بالدار داراً مكانها اجمل وآنق. فلم يدهشوا.

ورأوه بعد ان أتى على الدار كلها قد تخذ لنفسه من بقايا اهدامها ذلك النشز يجلس الى ناصية منه، فخالوا به مسّاً من جن. ولم يعيدوا عليه السؤال بعد مالقي بعضهم منه أذى وضرّاً في ذلك. فرضوه على حاله تلك ورضيهم. وكان سخي اليد، فمدوا إليه أيديهم بالعون.

وما غبر الفتى ان بنى لفتاة غريبة عن المدينة، قذفت بها الايام إليه، فأنس بها وأنست به، وحملت عنه عبء الضيفان، ومؤونة كان يحملها الجيران. وزاد الفتى في بيته فأسدل

ستراً من أثواب مرقوعة . ومضى فيما هو فيه . ولم يرَ الناس جديداً غير هذه الزوجة . وما هي الا أيام حتى عرفتهم وعرفوها ، وجلست إليهم وجلسوا إليها ، وجرت الامور على العهد بها من قبل ، ما احتجب عنهم الفتى ، ولا قلق بهم مجلسه ، ولا أرضى ستره دونهم ليلة.

غير أنهم رأوا للفتى نشاطاً جديداً تصحبه فيه زوجه . رأوهما في الهزيع الاخير من الليل يتحسسان الجدران المحيطة ، ويتحسسان أماكن منها ، فذكروا أيامه الماضية يوم بدأ يخلص من داره فاستعاذوا بالله وسألوه للفتى رشداً ، مخافة أن ينال جدرانهم بسوء ، فيهدم عليهم دورهم بعد أن هدم داره .

ولكن عجوزاً في الحي استطاعت أن تخلو إلى الزوج ، وكانت قد لزمتها في الوضع أياماً ، فعرفت منها ما يخفيان وما يعملان له سواد الليل ، منصرف الناس عنهما .

لقد انطوت صدور الجدر على سر قديم حمله الأبناء عن الآباء جيلاً بعد جيل . ولم يحاول أحد أن يستنطق الجدر عما ضمت ، ولم تخرج هي عن صمتها فتبوح بذات نفسها .

طمعت العجوز فيما طمع فيه الفتى والزوج ، وباتت ترقبهما على خيفة ، تلقن عن الزوجة وتسارها كلما أصابتها في خلوة ، وتحذر الفتى ولا تتصل به ثم يغريها الطمع فتصمد للجيران تزجرهم وتنهاهم عن الخوض في شأن الفتى ، أو عن أن يعرضوا له بسوء .

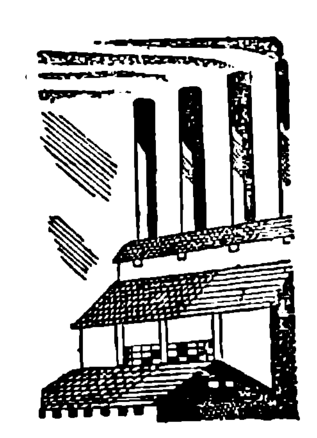
وامتدت يد الفتى في بعض ما امتدت له إلى حجر ليس بالصغير ، في تلك الزاوية التي يهجع إليها هو وزوجه وصغيرها ولم يدر أنه حين فعل ، خلى بين الحجر وبين السقوط .

كانت ليلة النصف من شعبان . واجتمع السامرون بالفتى فقرأ لهم ما قرأ . وشربوا معه الشاي بعد أن ذاقوا قطعاً من الحلوى. وقبل أن ينصرفوا سألهم أن يقرءوا معه الدعاء فقرءوه. وكانوا يعرفون الفتى لا يدين، فتركوه مغتبطين بجديد أمره ، ولكل في هذا ظن وتأويل .

آوى الفتى إلى جانب زوجه ، ومن بينهما صغيرها . وهو يرى أن هذا الكنز الذي أجنته بطون الجدر قد آن أوان كشفه ، وأنه لم يبق عليه إلا أن يتحسس ما دون الحجر في مساء غد وحسبه ما عانى في هدم الدار وسكنى العراء . وأخذ يعود باللوم على أب وجد لم يحملا عنه هذا العبء ، ولم يرزقا مثل شجاعته . ذلك ما هجست به نفس الفتى وأخذ يحدث به زوجه وكان الاعياء قد بلغ منه كلاماً ، ومنها استماعاً ، فغرقا في نوم اتصل بنيمة القبر . استيقظ الجيران فرأوا مأمومين[1] بحجر ، ورأوا صغيراً عند قدميهما يعبث بقطع من الذهب البراق وسرعان ما قضى الصغير بعد أيام ، لأن الذهب الذي أعيا أباه ، لم يكفل له من يرعاه .

(١) مأموم : أي أصاب الحجر أم رأسه





المخترعات المرتقبة

في النصف الآتي من القرن الحالي

— ٢ —

للأستاذ عوض جندي

وصفت في الجزء السابق من المقتطف « المحرك الشمسي » وتاريخه وأطواره، ومستقبله وصفاً مستفيضاً . وهو أول المخترعات التي يتوقع العلماء اتقانها في الربع الآتي من القرن الحالي . وهأنذا أسرد في هذا المقال التالي إيفاء لوعدي السابق لحضرات قرائنا الكرام، سائر المخترعات العصرية التي يطمح العلماء الى إبلاغها حد الكمال في غضون السنين الخمسين المقبلة : —

٢ — ﴿الشموس الكهربية﴾ سوف تضاء المدن الكبرى بمصابيح تسمى « الشموس الكهربية » تتدلى من أذرع تنصب على منائر فولاذية يبلغ ارتفاعها ٢٠٠ قدم . وتكون مشابهة في اشراقها وتعدد ألوانها لأمثالها المشحونة بالغازات النادرة التي تبهر أبصارنا في كل شارع من الشوارع الكبرى . بيد أن الطريقة التي ستتبع في توليد ضيائها ستكون أقرب شبهاً لما يحدث في الشمس . إذ تنطلق على الذرات التي تحويها صماماتها الكهيربات وغيرها من القذائف الدقيقة الاحجام . وعلى هذا الأسلوب تتهيج الذرات تهيجاً كهربيًّا فتضيء ضياءً رائعاً جدًّا .

٣ — ﴿الطاقة الشمسية تدير آلات المصانع﴾ وحينئذ لاتدور مولدات الطاقة الميكانيكية أو الكهربية بالطاقة الذرية كما يخيل الينا الآن لاننا نكون وقتئذ قد أدركنا منذ ١٩٥٠ أن الجهاز الذي يدار بالطاقة الذرية لابدَّ أن يكون أكبر من زميله الذي يدار بالوقود المألوف ، وانه يفوقه فيما يتطلب من النفقات . وما من شك أن مثل هذا الجهاز الذي يكون مدار على الطاقة الذرية ، تتحقق منافعه في كل من كندا وأميركا الجنوبية والشرق الأقصى . أما في بلدان المنطقة الحارة فهو لايستطيع منافسة الطاقة

الشمسية لأن المهندسين سوف يثبت لهم في سنة ٢٠٠٠ قطع الأمل في ادارة أية آلة كانت ادارة مباشرة بقوة الذرة . وإن أقصى ماسوف يكون في وسعهم هو استخدام الحرارة التي تتولد من تحويل اليورانيوم إلى بلوتونيم . إذ يتسنى استخدامها في ادارة الآلات البخارية . وهذه تستخدم في دورها لادارة مولدات الطاقة الكهربية . وعندئذ يجب استعمال مقدار ضخم من الثوريوم لندرة وجود اليورانيوم عيار ٢٣٥ . ومثال ذلك أن حكومة الولايات المتحدة الاميركية شرعت جاهدة منذ سنة ١٩٤٩ في بحث امكان استخدام الأشعة الشمسية . وذلك بدلاً من توظيف أموال باهظة في استعمال اليورانيوم أو التوريوم لذلك القصد . إذ المعروف نظرياً أن الأشعة الشمسية التي تنزل يومياً على الفدان الإنكليزي من سطح البسيطة تساوي طاقة ٥٠٠٠ حصان بخاري وإنها سوف تجعل المحركات الشمسية ذات منافع شتى في سنة ٢٠٠٠ حيث توجد الأراضي الرخيصة لأن تلك الآلات تتطلب مساحات كبيرة . والأراضي البور لا تتوافر الا في الصحاري . وفي الإمكان إعادة أزدهارها ولا سيما في المناطق الحارة حيث ينعدم مادة وجود الفحم الحجري أو الزيت المعدني . ومع ذلك ففي الولايات المتحدة الأمريكية الآن مزارع كثيرة تدفأ ليلاً بأشعة الشمس كما تطبخ هنالك بعض الأطعمة بحرارة الشمس أيضاً .

٤ — ﴿ بواخر كبرى تسير بالطاقة الذرية لنقل الركاب والبضائع ﴾ وينتظر في سنة ١٩٧٠ إمكان تسيير البواخر الكبرى التي تنقل الركاب في المحيطات ، بالطاقة الذرية وسوف يتحقق هذا المشروع كنتيجة للتجارب السرية الكبيرة الفادحة النفقات التي ستقوم بها وزارة البحرية الأمريكية في هذا الموضوع . وستكون البواخر المرتقبة ، في ظواهرها غير مختلفة اختلافاً كبيراً عن الباخرتين الفاخرتين «كوين ماري[1]» و «كوين اليزابت» بيد أنها ستكون أوسع نطاقاً من تينك الباخرتين ، لنقل البضائع والركاب ، نتيجة لاستغنائها عن حمل الوقود البالغة زنته ١٢٠٠٠ طن

٥ — ﴿ التربينات الغازية ومنافعها ﴾ وقد أسفرت البحوث التي دارت في صناعة المعادن ، عن إمكان استخدام التربينات الغازية لإدارة أجهزة توليد الكهرباء وتسيير بواخر المحيطات ، عن انقلاب كبير في الهندسة المدنية وهندسة المباني كلتيهما . فأصبح استعمال الصلب مقصوراً على صنع الأدوات القاطعة والآلات الضخمة . إذ حلت محله المعادن الخفيفة بمقادير كبيرة .

---

(١) الكاتب — وصفنا هذه الباخرة العظيمة في مقتطف ابريل سنة ١٩٣٦

٦ — ﴿تقوية المعادن للانتفاع بها في المباني﴾ واخترعت وسائل فنية حديثة يتيسر بها تغيير الكون الحبي للمعادن تغييراً من شأنه تقويتها إلى أقصى حد بحسب الدرجة المطلوبة وجعلها أضعف من ذلك في النواحي الأخرى. ومن ثمة يصير إنشاء دعائم مكاتب الأعمال ودوائر الصناعات أو مخادع السكنى « الشقق » تكاد تشبه شبكة معدنية ويرجع الفضل في ذلك (أولاً) الى مزج المعادن المختلفة بعضها ببعض و (ثانياً) الى العجائن الكيمائية وغيرها من المواد المصنوعة. فتغدو مساكن المستقبل، مختلفة عن مساكننا الحالية جدّ الاختلاف. وتصير البيوت ذات حيطان من خفاف المعادن لا تزيد ثخانة كل حائط منها على أربعة قراريط. أي انها ستكون ألواحاً من مادة عازلة ثخنها قيراط واحد أو قيراطان. ويحيط بها من الداخل والخارج غلاف مكوّن من معدن ملفوف مضغوط طبقات يعلو بعضها بعضاً.

وسوف يكون هذا البيت المنتظر مكيّف الهواء. بيد أنه لا يكون مبنيًّا من قبل، بناءً اجماليًّا طبقاً لمواصفات معيّنة لأجزائه المختلفة الكبيرة الحجم اتجمع وتركب عاجلاً في مقره. ولو أن أجزائه كلها تصنع صنعاً إجماليًّا. أعني أن المعادن وطبقات العجائن الكيماوية والخزف المملوء بفقاقيع الهواء، « ليماثل الإسفنج المتحجر » يجب تقطيعها في المكان الذي يبنى فيه البيت قطعاً بحسب الأحجام المطلوبة. وتقام في وسط ذلك البيت المكوَّن من ثماني حجرات، وحدة تشتمل على مرافق الدار جميعها. وهي أولاً — جهاز تكييف الهواء — ثانياً — جهاز للحم الحديد والرصاص — ثالثاً — حمامات — رابعاً — مرشات (دشات) خامساً — موقد كهربي — سادساً — مصارف كهربية. وحول تلك الوحدة المركزية، تضم أجزاء البيت بعضها إلى بعض. وقد يكون بعض تلك الأجزاء عجائن كيماوية مسكوبة سكباً متقناً لتصير كالبلاط مثلاً.

٧ — ﴿متى يبطل استعمال مواد البناء المألوفة﴾ وقبل حلول سنة ٢٠٠٠ سوف يبطل استعمال الخشب والطوب والحجر، وذلك لفداحة أسعارها. ويتميز ذلك البيت المنشود بكونه رخيصاً مع أنه مستوفى المفروشات والأثاثات. ولو أنه لا يكلف صاحبه أكثر من ٥٠٠٠ دولار.

ومع أن هذه الدار لا تؤثر فيها العواصف أو التقلبات الجوية، فقد تصلح للسكنى زهاء ربع قرن. لأن ما من إنسان في سنة ٢٠٠٠ سوف يصبو إلى بناء دار تبقى قرناً كاملاً. وسوف يكون كل ما تتطلبه بالدار المرتقبة، مصنوعاً بالتأليف الكيمائي صنعاً تامًّا.

٨ — ﴿ وسائل التأنق في المعيشة القادمة وطرق تنظيف المساكن ﴾ وعند ما يستيقظ ساكن تلك الدار من نومه صباحاً ، يستعمل من فوره مادة لنزع شعر لحيته وذقنه ، تؤلف من الكبريتور [1] ، فيستغنى بها عن الصابون وشفرة الحلاقة . وقد لا تستغرق إذالة الشعر بهذه المادة الكيمائية أكثر من دقيقة واحدة ثم يمسحها هي والشعر المنزوع ويمسح وجهه بالماء فقط . وسيكون هذا المنزل المنتظر غير محتو على آلات ميكانيكة متعددة ، خلافاً لما نتخيله الآن . وذلك نتيجة لدرجة الارتقاء التي سوف يبلغها حينئذ علماء الكيمياء الصناعية . فيخلو البيت مثلا من الآلات التي تغسل الأطباق . لأن هذه إما يستغنى عنها وتنبذ قصيًّا حالما يتم استعمالها مرة واحدة . وإما تلقى في حوض ذي بالوعة ، حيث تسكب عليها مياه بالغة السخونة فتذيبها . ولا عجب فثمن كل حزمة منها ، مؤلفة من (٢٤ طبقاً) دولار واحد . لأنها من العجائن الكيمائية القابلة للذوبان . فتذوب في درجة حرارة ٢٥٠ فرنهيت . ولذلك يمكن أن يقدم فيها للآكلين ، الحساء الساخن لدرجة في الغليان وكذا اليخنات من دون خطر . وتصنع هذه الأطباق من عجينة كيمائية تؤلف من خامات رخيصة مثل قشور بزور القطن وقشور الزمير والخرشوف وعجم الفواكه والبسلة [2] الصينية ومصاصة القصب وعجينتي القش والخشب . وعندما تريد ربة البيت تنظيف بيتها المرموق ، ما عليها الا توجيه خرطوم المياه ، إلى الشيء المراد تنظيفه . لأن الأثاثات والمفروشات والسجاجيد والسجوف والأرضيات الخالية من الخدوش ستكون جميعاً ، إما من المنسوجات المصنوعة صنعاً كيمائياً ، وإما من العجائن المسيكة أي المشمعات التي لا تنفذ منها المياه . وتنطلق مياه الغسل عقب التنظيف إلى بالوعة في وسط أرضية المنزل . وحالما تنصرف المياه تغطي ربة البيت ، تلك البالوعة بسجادة من الخيوط المصنوعة صنعاً كيمائيا . ثم تطلق تياراً من الهواء الساخن لتجفف به كل أداة تم غسلها . وتحتوي المياه التى تستعمل للغسل على مادة منظفة لتذيب أي وسخ كان مقاوماً للذوبان وتكون الأخونة « مفارش السفرة » وفوط اليد مصنوعة من نسيج الورق المغزول الرفيع ، المتقن الصنع . فتبدو لناظرها غير الخبير ، كأنها كتانية . وحينما يتم استعمال هذه الأدوات تجمع ربة الدار الملوث منها وتلقيه في محرقة حيث تحترق وتتحول رماداً . أما الشراشف « الملايات » فتنسج من نسيج أمتن منه في المشش « الفوط » والمفارش . ومع ذلك فان تنظيفها لا يكلف صاحبتها أكثر من تعليقها وغسلها بخرطوم مياه في أثناء تنسيقها لحجرة نومها .

(١) مزيج الكبريت بمادة كيمائية أخرى (٢) الكاتب وصفنا هذه البسلة الصينية اي فول الصويا في مقتطف يونيو سنة ١٩٣٨ وفي غيره من السنوات التالية للمقتطف .



فقه اللغة العربية

— ٢ —

للاستاذ عبد الله أمين

أما محاضرات فقه اللغة العربية لكلية اللغة العربية في الجامعة الأزهرية فهي محرّرة تحريراً جيداً غير أنها ليست في فقه اللغة العربية بالمعنى الذي أريده وبحوثها مع أرقام صفحاتها هي —٣— اللهجات . معنى اللهجة — ٤ — نسبة اللهجة إلى اللغة -- ٥ - تكوّن اللهجات وأسباب اختلافها — ٦ — أسباب اختلاف اللغات — ٧ — بطلان أنّ اللهجات نشأت عند بناء بابل — ٧ — لا يمكن أن تبقى لغة محتفظة بوحدتها — ٩ — لهجات العربية - تقسيم اللغات العربية — ١٠ — لغة الجنوبيين أعربية هي أم لا — ١٢ — صيرورة اللغة الجنوبية من عربية الشمال — ١٣ — الموطن الأصلي للعربية — ١٣ — دلائل تعدد اللهجات العربية - ١٦ — تكوّن اللهجات العربية — ١٧ — كيف كان لسان اسماعيل دون القحطانيين أصل العربية — ١٩ — تغالب اللهجات العربية — ٢٠ — عوامل تغلب القرشية — ٢١ — ما أفادته القرشية بعد تغلبها - ٢٣ — القبائل العربية — انقسام القبائل العربية الى عدنانية وقحطانية — ٢٤ — فصحاء القبائل وسبب فصاحتهم — ٢٦ — أفصح القبائل قريش وسبب ذلك — ٢٧ — الفصيح من اللهجات — مصدر التعرف على اللهجات — ٣١ — مظاهر اختلاف اللهجات — ٣٢ — أهم ما ترجع إليه مظاهر هذا الاختلاف .

وهذه البحوث يمكن أن يكون بعضها تحت عنوان : تاريخ اللغة، وبعضها الآخر تحت عنوان : تاريخ العرب وليس شيء منها في فقه اللغة بالمعنى الذي أريده

٣٣ — الابدال — الابدال واختلاف اللهجات — ٣٦ — الأحوال التي يكون فيها الابدال من عمل القبيلة الواحدة — ٣٩ — الأدلة على أن الابدال في غير ما تقدم ينشأ

من تعدد القبائل — ٤٢ — الابدال في الحركات وأمثلة على ذلك — ٥٢ — الابدال في الحروف — ٥٥ — قانون الابدال في الحروف — ٥٧ — أمثلة الابدال المطرد في الحروف — ٨٥ — أمثلة الابدال غير المطرد — ٨٧ — الامالة — ٩٠ — التفخيم والترقيق — ٩١ — الحروف بصدد التفخيم والترقيق — ٩٢ — الاخفاء والاظهار — ٩٣ — الاخفاء والاظهار في الحروف — ٩٤ — الاخفاء والاظهار في الكلام — ٩٦ — الفك والادغام — ٩٧ — ما اتفقوا على إدغامه أو فكه — ٩٧ — ما اختلفوا في فكه أو إدغامه — ١٠١ — الاختلاف في الاعراب — اختلاف العلماء في التوجيه الاعرابي — اختلاف العرب في مواضع الاعراب — ١٠٥ — الزيادة والنقصان — المراد من الزيادة والنقصان هنا — ١٠٥ — أمثلة النقصان — ١٠٨ — أمثلة الزيادة — ١١٢ — القلب — ما يفهم من لفظ القلب — ١١٣ — بعض أنواع القلب المكاني — ١١٣ — آراء العلماء بصدد هذا النوع — ١١٤ — الرد على آراء العلماء هذه — ١٦٠ — ردّ الكلمات المنقوصة والمزيدة — رد الكلمات المنقوصة — ١٦٢ — رد الكلمات الرباعية والخماسية — ١٦٣ — تعارض اشتقاقين لرد الكلمة إلى أصلها — ١٦٨ رد الكلمات الزائدة على خمسة — ١٦٩ — رد الكلمات المقلوبة — ١٧٠ — رد الكلمات المبدلة — ١٧١ — رد الكلمات المنحوتة.

وهذه البحوث إلا واحداً منها في قواعد اللغة العربية في الصرف والاشتقاق والتجويد والنحو فليس شيء منها ما عدا الواحد المستثنى في فقه اللغة بالمعنى الذي أريده

١٢٠ — تعدد المعنى للفظ الواحد — ١٢١ — المشترك اللفظي — ١٢٢ — آراء العلماء في المشترك اللفظي — ١٢٣ — التضاد — ١٢٤ — آراء العلماء في التضاد — ١٢٥ — نظرة في التضاد — ١٢٧ — المترادف — مذاهب العلماء في المترادف — ١٣٠ — نظرة في آراء العلماء بصدد المترادف — ١٣٤ — تداخل اللغات — ١٣٥ — ما ينشأ من تداخل اللغات — ١٣٩ — توافق اللغات — المراد من التوافق — ١٤١ — متى تكون الكلمة من المعرب دون المتوافق — ١٤٣ المهمل من كلام العرب ما يمكن تكوّنه من كلام العرب — ١٤٤ — نسبة المستعمل إلى ما يمكن استعماله — ١٤٤ — أعدل الابنية المستعملة وسبب ذلك — ١٤٥ — المهمل من كلام العرب وسبب ذلك — ١٤٨ — صلة الألفاظ بالمعاني — ١٤٩ — مناسبة الألفاظ للمعاني — ١٥٢ — دوران المادة على معنى واحد — ١٥٤ — دوران تقلبات الكلمة على معنى واحد — ١٥٦ — تقارب الألفاظ لتقارب المعاني

وهذه البحوث هي الأخرى إلاَّ واحداً منها من علم اللغة لا من فقه اللغة .

ومن هذا يتضح أيضاً أن المراد بفقه اللغة في هذه المحضرات هو عين المراد به في كتاب فقه اللغة السابق وهو : علم اللغة : نفسه بلا فرق في المدلول وأن علم اللغة علم واسع يتسع الكثير من البحوث التي أخذت كل عدة بحوث منها متشابهة تتجمع وتكوّن علماً واحداً مستقلاً عما عداه ويسمى باسم بلائمه ويتخصص في دراسته علماء .

ولعل أعظم هذه البحوث جميعاً قدراً وأبلغها أثراً في اللغة وأكثرها فائدة وأدقها علاجاً وأوفرها نصيباً وعناية من جهود علماء اللغات الغربيين في العصر الحاضر البحث الخامس أو العلم الخامس من علوم التمهيد السبعة الذي استثنيته منها وقلت فيه : الذي له عندي كل التقدير وهو : البحث في الأصول التي جاءت منها الكلمات في لغة ما الموسوم برقم ٥ في ص ٩ من الكتاب الأول (علم اللغة) طبعة سنة ١٩٥٠ وقد استثنيته منها لأني أراه وحده دون غيره من هذه البحوث كلها الجدير بأن يكون فقه اللغة في العربية وقد شرح الاستاذ العلامة الجليل دكتور علي عبد الواحد وافي هذه الشعبة أو هذا البحث فقال : إن موضوع هذا الفرع هو البحث في الأصول التي جاءت منها الكلمات في لغة ما بأن تبحث مثلاً عن الأصول الاغريقية واللاتينية وغيرها التي انحدرت منها كل كلمة من الكلمات الفرنسية أو الأصول السامية القديمة التي انحدرت منها كل كلمة من الكلمات العربية ويطلق على هذا البحث اسم الاتيمولوجيا (Etymologie) أي أصول الكلمات .

ويختلف هذا البحث عن البحثين السابقين علم الصوت وعلم الدلالة في أنهما يدرسان أموراً كلية ويرميان إلى كشف القوانين العامة الخاضعة لها ظواهر الصوت أو ظواهر الدلالة، على حين أن هذا البحث يدرس أموراً جزئية وليس من أغراضه ولا من شأن دراسته الوصول إلى قوانين فهو يبحث عن الأصول التي جاءت منها كل كلمة من كلمات اللغة على حدتها .

ولكن الصلة وثيقة — على الرغم من ذلك — بينه وبين البحثين السابقين،فدراسته تفيدهما كثيراً كما انه ينتفع كثيراً بدراستهما وذلك أن معرفة أصول الكلمات — (موضوع هذا البحث)يساعد كثيراً على الوقوف على تطور الأصوات وتطور الدلالات وعلى كشف القوانين الخاضع لها هذا التطور في مظهريه ، أي يعين المبحثين السابقين (الصوت والدلالة) على الوصول الى أغراضهما ،كما أن الوقوف على القوانين التي يخضع لها كل من الصوت والدلالة في تطورهما (وهو موضوع المبحثين السابقين) يساعد على معرفة أصول الكلمات،أي يساعد هذا البحث على الوصول الى أغراضه .

هذا ومن أهم شعب أصول الكلمات شعبة تبحث عن أصول الأعلام على اختلاف

أنواعها أعلام القبائل والعشائر والجبال والأنهار والأمصار والناس ونحو ذلك — وتسمى انوماستيك (Anomastique) .

ومن أعظم الكتب العربية في هذا الفرع كتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري ومعجم ما استعجم في أسماء الأماكن للبكري (١)

ويلائم هذا المنحى ما ورد في منهاج فقه اللغة للسنة الرابعة في كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية في الفقرتين (ب) و (حـ) من المادة الأولى من المنهج وهما : —

ب — طريقة رد كلمات كثيرة من اللغة الى أصول قليلة تولدت منها بالاشتقاق والزيادة والقلب والابدال والنحت والتجوّز .

حـ — التطبيق على هذه الطريقة بدراسة عشرين أصلاً وبيان ما تفرع منها مع ملاحظة أنْ تكون الصلة بين الفروع وأصولها بينة معقولة مثل أزّ . بثّ . جرّ . درّ . شبّ . صرّ . عفّ . قظ . لز . قص .

ويلائم هذا الفهم لعلم : فقه اللغة ا فهم عالم باكستانيّ جليل من علماء اللغات له وهو السيد كرامت حسين كنتوري فقد ألّف كتاباً في ثلاثة أجزاء سمّاه : فقه اللسان : اي فقه اللغة ويريد باللسان اللسان العربي ثم نحا فيه نحواً قريباً من هذا النحو وقال في مقدمته ما يأتي :

«أريد أن أذكر في هذه الوجيزة ماهية اللسان العربي وحديث تكون مصادرها وأن أنسب المصادر وأترجمها مميزاً بين المصادر الاصلية والفرعية وبين المعاني الحقيقية لمصادر ومشتقاتها والمعاني المجازية لها باحثاً عن أسباب صورة المصادر الأصلية بصورة المصادر الفرعية وعن علاقات نقلت المصادر والمشتقات من المعاني الحقيقية الى المجازيّة والغرض من البحث ردّ كثير من الكلمات المنثورة إلى قليل من المصادر الأصلية وجعل الوضع أمراً عقليّاً ليهون على طلاب العربية خطبُها ويحلو لهم كسبُها».

وإني لأميلُ كلّ الميل إلى أن يكون هذا الاسم (فقه اللغة) مقصوراً على هذا البحث (أصول الكلمات) دون غيره ولقد آن أن أعرّف (فقه اللغة) فأقول : —

قالوا : الفقه . العلم بالشيء والفهم له والفطنة فيه

وقال ابن الأثير : اشتقاقه من الشقّ والفتح

وقال الراغب الاصفهاني : الفقه التوصّلُ الى علم غائب بعلم شاهد وهو أخص من العلم

(١) هذا الكتاب يطبع الآن بتحقيق حضرة العلامة الثقة المحقق القدير مصطفى السقا الاستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول

وقالوا : العلم اليقين والعلم المعرفة

وقالوا : الفهم العلم والفهم المعرفة

وقالوا : الفطنة في الشيء العلم به والمهارة فيه ومعرفة غوامضه ودقائقه

ومن مجموع هذه الأقوال نستطيع أن نعرف فقه اللغة فنقول : —

فقه اللغة : التوصل الى معرفة غائبها بشاهدها وإلى كشف غوامضها ودقائقها والمهارة في ذلك،والفقه أخص من العلم أو : —

فقه اللغة : معرفة ما خفي من اللغة بما ظهر منها والكشف عن غوامضها ودقائقها

وموضوعه ألفاظ اللغة العربية المفردة

والخفي الغامض الدقيق في اللغة العربية إنما هو الأصول الأولى التي انحدرت منها الكلمات والعلاقات بين ألفاظ المادة الواحدة من ناحية الأصلي والفرعي والحسي والمعنوي والحقيقي والمجازي منها ومن ناحية المعنى الواحد الذي تدور حوله ألفاظ المادة الواحدة ولذلك .

كان منهاج هذا العلم في اللغة العربية : البحث في المادة الواحدة عن أصل لها بين ألفاظها ثم البحث عن المصدر الأول الذي انحدر منه هذا الأصل في اللغة العربية نفسها وفي أصولها اللغات السامية ثم البحث عن الفروع الحقيقية والمجازية التي تتفرع من هذا الأصل مع بيان العلاقات بين كل منها .

وقد قلت في الصفحة الثانية عشرة من العدد ٤٥٨ من مجلة الثقافة الغراء الصادر في ٢٢ من ذي القعدة سنة ١٣٦٦ هـ الموافق ٧ من اكتوبر سنة ١٩٤٧ م ما يأتي تقريباً .

والمراد بأصل الكلمة اللفظ الذي اشتقت منه جميع ألفاظ المادة من أفعال ومصادر ومشتقات قياسية وغير قياسية واشتملت على أحرف الأصل ومعناه بصور مختلفة وأصول الكلمات بهذا المعنى يعرفها علماء اللغات جميعاً الآن. وقد بينها علماء العربية منذ ألف سنة وهي قسمان أسماء الأصوات وأسماء الأعيان فأما أسماء الأصوات فكانت أصول الكلمات في الطور الأول لنشوء اللغة وتكونها وأما أسماء الأعيان فلما ارتقت اللغة وتجاوزت هذا الطور الأول وأخذ الناس يضعون أسماء الأعيان لمسمياتها أصبحت هذه الأسماء أصول الكلمات . وإليك بعض الأمثلة لبيان منهاج البحث في علم فقه اللغة .

اسم الصوت : مثاله .

لَبْ لَبْ : وهو حكاية صوت لحس الشاة ولدها وقد اشتقوا منه فعلاً فقالوا :

لبلبتِ الشاة لبلبةً في اللسان : واللبلبةُ لحسُ الشاة ولدها وقيل هو أن تخرج الشاة لسانها كأنها تقول لَبْ لَبْ .

وإذ كان لحس الشاة ولدها دليلاً على عطفها ورقتها عليه استعملت اللبابة وهي المشتقة من حكاية الصوت : لب لب : للدلالة على الرقة نفسها . في اللسان : واللبلبة الرقة على الولد والفعل منه لبلبت الشاة على ولدها إذا لحسته وأشبلت عليه حين تضمه أي عطفت عليه وأشفقت .

وإذ كان أول ما تستقبل الشاة من ولدها وتلبابهُ أي تلحسه هو الصدر وموضع النحر سمي هذا المكان باللباب واللبب واللبة في اللسان : واللبة : وسط الصدر والنحر والجمع لبات ولبابٌ واللبب كاللبة وهو موضع القلادة من الصدر واللبلبُ النحر :

وسموا الرباط الذي يشد على لبة الدابة والناقة للرحل والسرج ليمنعه من الاستئخار لبباً من هذا في اللسان : واللبب معروف وهو ما يشد على صدر الدابة والناقة للرحل والسرج يمنعهما من الاستئخار والجمع ألباب لم يتجاوزوا به هذا البناء .

ومن اللبة واللبب واللبلب وهو وسط الصدر اشتقوا الفعل لب وألب فقالوا : لب بالمكان وألبَّ به وهو من البروك ووضع البعير لبته على الأرض . في اللسان : ولب بالمكان وألب أقام به ولزمه . ومنه قالوا : ألبَّ على الأمر : إذا لزمه فلم يفارقه في اللسان : وألب على الأمر : لزمه فلم يفارقه : وقولهم لبَّيْك منه : أي لزوماً لطاعتك . وفي الصحاح مقيماً على طاعتك . ولعلَّ مادة رب قد انحدرت من لب بإبدال اللام راء فقالوا : أربَّ بالمكان إذا لزمه في اللسان : وأربّت الابل بمكان كذا : لزمته وأقامت به فهي إبل مرابُّ : لوازم وربَّ بالمكان وأربَّ : لزمه .

واللام والراء متجانسان مخرجاً متقاربان صفة ، فالابدال بينهما كثير جداً مثل صرّ وصلَّ : إذا صوّت وجُلِفَ وجُرِّفَ : إذا ذهب ماله وعرقُ القربة وعلقُها واحد وهو ما تعلقُ منه والسَّدلُ والسَّدرُ إرسال الشعر وسهم أملطُ وأمرطُ : إذا لم يكن له ريش وتدلدل الشيء وتدردر : إذا تحرك متدلياً . وأمثال ذلك لا يكاد يحصى

اسم المين : مثاله : —

لفظ الذهب : وهو المعدن النفيس الأصفر الذي لا يصدأ فقد ورد هو وبعض مشتقاته في الارمية والعبرية والعربية فهو في الارمية (دَاهْبا) أي ذهب واشتق الارميون

منه فعلاً فقالوا (دَهّبه) : طلاه وموهه بالذهب وهو في العبرية (زَهَبْ) وقد اشتق العبريون منه فعلاً فقالوا (زَهِبْ) أي طلا وموّه بالذهب .

وهو في العربية ذهبٌ : وقد اشتق العرب منه فقالوا : ذهّب الشيء يذهبه تذهيباً وأذهبه يذهبه إذهاباً : إذا طلاه وموهه بالذهب فالفاعل مذهِّب ومذْهِب والمفعول مذهَّب ومذهبٌ وشيء ذهيب مموه بالذهب — وهذا معنى حسيٌّ حقيقيٌّ والأصل فيه الذهب وقالوا : ذَهِبَ الرجل يذهب ذهباً كفرح : إذا هجم على ذهب كثير في منجمه فرآه فزال عقله وبرق بصره من كثرة عظمه في عينه فلم يطرف فهو ذهِب وهذا معنى حقيقي معنوي من تأثير الذهب .

ومن زوال العقل لرؤية الذهب الكثير قالوا : ذَهَب في الأرض يذهب بفتح العين فيهما ذهاباً وذهوباً ومذهباً : مضى وانصرف فهو ذاهب وذهوب للمبالغة ومنه في الامور المعنوية : ذهب مذهب فلان قصد قصده وطريقته وذهب في الدين مذهباً أي رأى فيه رأياً والمذهبُ العقيدة التي يذهب إليها الانسان وكل أولئك معاني مجازية فرعية

ولفظ الزفت : وهو القير أو القطران الذي تطلى به السفن فقد ورد هو وبعض مشتقاته في اللغات الثلاث فهو في الارمية (زِفتَا) أي زفتٌ ومنه اشتقّ الارميون فعلاً فقالوا (زَفَتْ سَفِينْتَا) أي زفت السفينة وقالوا (زفّيتا) أي مزفتٌ وهو في العبرية (زِفِتْ) أي زفتٌ ومنه اشتق العبريون الفعل (زافات) أي زفتَ . وهو في العربية زفت وقد اشتق العرب منه فقالوا زفّت السفينة يزفتها تزفيتاً ومزفتاً : إذا طلاها بالزفت فالفاعل مزفتٌ والمفعول مزفتٌ ومكان التزفيت وزمانه مُزَفّتٌ فالأصل الزفت وما اشتقّ منه فروع حقيقية

وإذ كان المراد من طلاء السفن بالزفت سدّ ثقوبها بطلْيها به توسعوا فقالوا زَفَتَ الاناءَ يزفتهُ زفتاً من باب نصر : ملأهُ : هذا قول المعاجم : زَفت الاناء ملأه : بدون قيد غير أنني أذهب الى أنه كان في الأصل مقيداً بلفظ الزفت وكان يقال هكذا : زَفتَ الاناء : إذا ملأه زفتاً ثم كثر الاستعمال حتى صار عامّا : زفت الاناء : ملأه : أي بأي شيء كان الزفت وغيره .

ويقال إن لفظ الزفت انتقل من اللغة الأرمينية الى اللغات السامية وآخرها العربية

ولفظ الإسار : وهو الحبل ونحوه يشدّ به الأسير فقد ورد وبعض مشتقاته في

(تأسر) إذا شدّ بالإسار وهو في العبرية (إِسرْ) واشتق منه العبريون فعلاً فقالوا (أَسَرْ) شدّ بالإسار

وهو في العربيــة إسارٌ : وأخذ منه العربُ أسرهُ يأسره أسراً : إذا شدّه بالإسار فهو أسير ومأسور ثم سمّي كل أخيذ أسيراً وإن لم يشــدّ بالإسار فالأصل الإسار وما اشتق منه فروع حقيقية .

وإذ كان الأسرُ دليلاً على القوّة فقد قالوا : أسرهُ الله أي خلقه ذا قوّةٍ وشدّةٍ في الخلق فهذا فرع مجازي من الأصل ومن مجازه كذلك الأسرَةُ كغُرْفة للدرع الحصينة لما فيها من تقوية لصاحبها وكذلك الأسرة رهطُ الرجل الأدنون لأنهم قوّة وعِزّة له

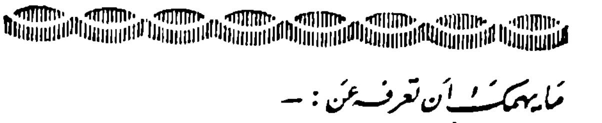
والبحثان اللذان استثنيتهما من بحوث المحاضرات وأحدهما في دوران المادة على معنىً واحد ورقم صفحته في محاضرات كلية اللغة العربيــة ١٥٢ والآخر في ردّ الكلمات إلى أصولها ورقم صفحته فيها ١٦٠ إذا فهم على النحو الذي أوضحته آنفاً كلاهما يُلاحَظ في منهاج فقه اللغة الذي اقترحته قبلاً [(١)]

هذا ما أراه في فقه اللغة ومناهجه وأملي كبير أن يعنى بدراسة رأيي هذا حضرات أساتذة فقه اللغة في المعاهد وجميع أساتذة اللغة العربية وعشاقها . ومما كتبته يتضح أن تدريس فقه اللغة العربية لا بدّ فيه من الرجوع إلى بقية اللغات السامية أو بعضها

ولا يفوتني وأنا أختم هذا المقال أن أقول إن جميع كتب حضرات الأساتذة المحدثين التي ذكرتها فيــه جديرة كل الجدارة بأن يقتنيها كل دارس للغة العربية وبأن تدرس في المعاهد الكبرى وفي مقدمتها كتابا حضرة الأستاذ العلامة الجليل دكتور علي عبد الواحد وافي ولكن بعنوان آخر غير فقه اللغــة الذي أرجو مخلصاً أن يقصر على البحث الذي اخترته له في هذا المقال من بحوث كتاب علم اللغة له

---

(١) يتضح مما تقدم أن علوم العربية فيه عشرون علماً وهي :
(أ) ما يبحث منهـا في الحروف وهو علمان — ١ — علم التجويد وهو من بحوث علم الصوت — ٢ — علم رسم الحروف وهو من علوم الدلالة أو علوم القواعد
(ب) — ما يبحث منها في الكلمات المفردة وهو ثمانيـة علوم — ١ — علم الصرف — ٢ — علم الاشتقاق — ٣ — علم الوضع — وهي جميعاً من علوم الدلالة أو علوم القواعد — ٤ — علم المفردات — ٥ — علم حياة اللغـة — ٦ — علم اللغة المقارن — ٧ — علم فقه اللغة — علم القراءات وهي من علوم اللغة
(ح) — ما يبحث منها في الجمل وهو عشرة علوم — ١ — علم النحو — ٢ علم المعاني — ٣ — علم البيان — ٤ — علم البديع — ٥ — علم العروض — ٦ — علم القوافي وكلها من علوم الدلالة أو علوم القواعد — ٧ — علم الادب — ٨ — علم تاريخ الادب — ٩ — علم القواعد التاريخي — ١٠ — علم القواعد المقارن فهذها عشرون علما .



ما يهمك أن تعرف عن : —

دار الكتب المصرية

رسالتها ونهضتها الحديثة

للأستاذ أسبيرو جسيري

« ورد إلى رئيس تحرير المقتطف سؤال من بعض قراء المقتطف يسألونه عن دار الكتب المصرية وما أخرجته من مطبوعات، والرسالة التي أدتها إلى العالم العربي — وخاصة ما قامت به في نهضتها الحديثة ، وهل في نيتها إعادة طبع المطبوعات التي نفدت منذ سنين » .

والمقتطف لا يسعه إلا أن يتتبع الحركة العلمية والأدبية لهذه الدار وخاصة في عهدها الأخير فيقول : —

﴿نشأة الدار﴾ بعد أن عُيِّن علي مبارك باشا مديراً للمدارس عرض على مسامع المغفور له الخديوي إسماعيل باشا مشروع إنشاء « كتبخانة » كبيرة تحفظ فيها المصاحف الشريفة والمخطوطات النفيسة التي كانت لا تزال باقية في شتى مساجد القاهرة ومدارسها وغيرها من الأماكن التابعة لديوان الأوقاف ، وذلك صيانة لها من أن تعدو عليها العوادي التي ذهبت بالجزء الأعظم منها من قبل . فوافق اسماعيل باشا العظيم على مشروعه . ولما أتم علي مبارك باشا كل شيء عرض الأمر ثانية بصفة رسمية فأصدر الخديوي « إرادة سنية » في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٨٦ هـ الموافقة (٢٣ مارس سنة ١٨٧٠) تقضي بانشاء كتبخانة تتسع لثلاثين ألف مجلد « وتوقف على المنفعة العامة ».

وألحق بها قسم للأجهزة الطبيعية والآلات الهندسية والرسومات وأدوات الهندسة وغيرها مما يلزم للاشغال كما ألحق بها ما يسمى الآن صالة محاضرات عامة سرعان ما تطورت وأصبحت نواة « لدار العلوم ». ولشدة اهتمام اسماعيل العظيم بالمكتبة اشترى لها من ماله الخاص الكتب التي خلفها المغفور له أخوه مصطفى فاضل باشا وقدّمها الى الكتبخانة

«هدية خالصة منه» فكانت هذه الكتب كلها نواة القسم العربي والشرقي بالدار.

﴿مقر الدار﴾ وكان مقر «الكتبخانة» عند إنشائها في شارع درب الجماميز في قصر مصطفى فاضل باشا حيث كانت المدارس الأميرية ودواوين المعارف والأشغال والأوقاف، ووضعت في مكان تجاه سلاملك القصر الذي كان يشغله ديوان المعارف. وبعد أن ضاق المكان بما أضيف اليه من كتب، وخيف على المخطوطات أن تتلفها الرطوبة، نقلت الى السلاملك بعد أن انتقل منه ديوان المعارف. ولبثت فيه إلى أن تمّ إنشاء دار جديدة لها وللآثار العربية التي وضع أساسها سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) ونقلت اليه سنة ١٩٠٤م ولا تزال فيه الى اليوم، إلى أن يحين إنشاء مبنى فسيح لها يتناسب مع ثقافة البلاد ومركزها العلمي، ويحقق لها بعض ما تصبو اليه منهما.

ويسرنا أن ننشر على صفحات المقتطف ما وصلت اليه دار الكتب الملكية المصرية في نهضتها المباركة الحديثة في عهد مديرها الحالى العالم الجليل الاستاذ أمين مرسي قنديل بك، لتكون أعماله الصالحة التي قام بها في نهضة الدار مثالاً يحتذى في الجدّ والنشاط والعمل الدائم والانتاج المثمر

ظهرت بدار الكتب المصرية في عهد مديرها الحالى نهضة مباركة في أعمال صالحة ومشروعات مفيدة ستجعلها بعد ان ظلت سنين متعددة راكدة مبعث النور ومهبط العرفان وتصبح منهلاً سائغاً للقاصد، ومورداً عذباً لكل طالب ومكتباتها الفرعية التي أنشئت في عهده الزاهر يؤمها طلاب العلم ويقصدها محبو البحث والتنقيب لم تشفو من مناهل كتبها النادرة المثال

لقد خطت الدار خطواتها الواسعة في هذا السبيل وأبرزت للملأ من جليل الأعمال ولا سيما ما نشرت من مطبوعاتها النفيسة — ما فيه سرعة إرتقاء للآداب والعلوم ونشر الثقافة الاسلامية

والفضل في كل هذا يرجع إلى الجهود الجبارة التى يبذلها قنديل بك فهو لواسع ع وخبرته العظيمة وشهرته في علم النفس قد هيأ للدار أسباب النجاح وهذه النهضة المباركة ونذكر بعض ما نهضت به الدار في عهده

١ — ﴿المطبوعات﴾ أتمت الدار الجزء ١٧ ـ ٢٠ من تفسير القرطبي ـ والجزء ٢ و ٣ شرح أشعار الهذليين — والجزء ١ — ٤ من فهرست الخزانة التيمورية — والجزء اله من النجوم الزاهرة — وشرح ديوان كعب بن زهير — وديوان سحيم — والجزء الخ

عشر من نهاية الأرب — والجزء الأول من إنباه الرواة للقفطي — والجزء الأول من فهرست مؤلفات ابن سينا . علاوة على الكتب التي تجري طبعها الآن والتي ستكون في تناول يد الجمهور بعد بضعة أشهر وهي : —

الجزء الأول من المنهل الصافي لابن تغري بردي ويقع في ثمانية مجلدات وإعادة طبع الجزء الأول والرابع من كتاب الأغاني — والجزء السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر من كتاب نهاية الأرب — ومن الجزء ١٢ ـ ٢١ من كتاب الأغاني لتظهر دفعة واحدة بعد أن وزع أجزاءها للمراجعة على صفوة العلماء المعروفين بغزارة العلم وسعة المادة في الشعر والأدب .

وقد بذل جهده في ندب بعض حضرات الأساتذة للاستعانة بهم في تصحيح بعض أجزاء الأغاني لانجازها في أسرع وقت ، بعد أن مضى على إذن طبعه نحو ربع قرن — وأعانه على ذلك العالم الجليل والمفكر الكبير زعيم الأدباء معالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف ، فأصدر أمره بنقل حضرات الأساتذة المنتدبين الى الدار بصفة دائمة لاتمام هذا العمل الجليل .

ونعتقد أن هذا المجهود العظيم ليس بالهين أو السهل إذا قورن بما كان يخرجه القسم الادبي من المطبوعات في العهود السابقة .

٢ — ﴿ المكتبات الفرعية ﴾ كان للمدير الحالي الفضل الأول في انشاء المكتبات الفرعية منذ كان وكيلاً للدار سنة ١٩٤٦ ، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون افتتاح هذه المكتبات على يديه وأصبح عددها الآن سبع مكتبات تحوي ٢٩٥٠٠ مجلد،ولا يزال يعمل بجد ونشاط لافتتاح مكتبات أخرى لنشر العلم والثقافة عن طريق تعميم هذه المكتبات في كل مكان آهل بطلاب العلم والتلاميذ ، وكل محب للاطلاع،وهي أمنية طالما نادى بتحقيقها العلماء لافادة أبناء الشعب،ولم تحقق إلاّ بالعزم الصادق والارادة القوية والعمل الدائم والنشاط .

وهذا بيان عن المكتبات الفرعية : —

تمشياً مع حركة نشر الثقافة وتقريب الكتاب من المطالعين ومساهمة من الدار في تعليم الكبار وتمكيناً لها من نشر رسالتها،وضعت الدار خطة تقضي بضرورة وجود مكتبة في كل حيّ من أحياء القاهرة ، وفي كل مدينة أو مركز ليس فيها مكتبة عامة ،

وذلك على أساس أن تكفي المكتبة حاجة عدد معين من السكان، وهذا العدد يقل كلما قلت نسبة الأمية .

وقد إستطاعت الدار أن تنشيء في السنتين الأخيرتين سبع مكتبات فضلاً عن مساهمتها في إدارة مكتبة الأميرة فريال في مصر الجديدة والاشراف على سائر مكتبات الاقاليم وهذه الفروع هي : —

الظاهر — الزيتون — حلوان — شبرا — الفن — مبرة الملك فؤاد — الفاروقية . وهي تسمى بهمة مديرها الحالي لانشاء مكتبة في بنها . ويلاحظ إن هذه المكتبات الفرعية تقع في الأحياء المزدحمة بالسكان مثل : شبرا ، والظاهر ، والخليفة . أو في أطراف القاهرة مثل : الزيتون ، وحلوان وكلها في أدوار أولى وقريبةمن المواصلات العامة ، وهي كلها في مبان مؤجرة . ولعل الدار توفق في وقت قريب إلى أن تكون هذه المكتبات الفرعية في مبان خاصة تبنى لها على أحدث طراز .

٤ — ﴿ مساهمة الدار في الحركات الثقافية الدولية ﴾ ساهمت الدار في الاجتماع الخامس عشر لجمعية المكتبات الدولية الذي عقد في مدينة بال بسويسرا في المدة من ١١ — ١٤ يوليه سنة ١٩٤٩، كما اشتركت بمعروضاتها في المعرض الزراعي العام الذي أقيم في القاهرة في شهر مارس سنة ١٩٤٩ وقد نالت هذه المعروضات جائزة الشرف الأولى . واشتركت أيضاً في معرض (مصر — وفرنسا) بمخطوطاتها النادرة ذات الطابع الفني ، وكذلك بنماذج فنية من تجليد مطبعتها فحازت إعجاب زائري المعرض من الفنانين وغيرهم ونالت معروضاتها هذه مدالية من المعرض المذكور .

هذا وقد ساهمت الدار في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة مرور مائة عام على وفاة المغفور له محمد علي باشا الكبير فأقامت معرضاً للكتب التي طبعت في عهده ونسقته بشكل يبين تقدم الطباعة والنشر في البلاد في ذلك الحين والجهود التي بذلها محمد علي في شتى نواحي الحياة العلمية والثقافية في البلاد .

٥ — ﴿ نشرات الدار ﴾ كانت الدار منذ عهد بعيد تصدر نشرات شهرية تطبع على الجاستتنر ثم انقطع عملها فقرر حضرته إعادة طبع هذه النشرة بالعربية والافرنجية لسنتي ٩٤٨ و ٩٤٩ كل سنة على حدة .

وكذلك إهتم بتزويد قسم التصوير والفوتستات بآلتين قارئتين للمخطوطات التي تؤخذ على الميكروفيلم وتكبيرها .

٦ – ﴿ الاحصاء السنوي لرواد الدار وكتبها لسنة ١٩٥٠ ﴾ تردد على دار الكتب وأقسامها المختلفة ١٤٠٦٠٠، وعلى فروعها ١٢٠١١٩ فيكون مجموع الرواد ٢٦٠٧١٩

الكتب: (ا) وبلغ عدد الكتب التي صرفت للمطالعة داخل الدار ٣١٤٧٥٢

(ب) والتي أعيرت خارج الدار هي وفروعها ٥٠٤٠٢ فيكون مجموعها ٣٦٥١٥٤

(حـ) وبلغ عدد ما اقتنته الدار من الكتب ٢٢٨٨٤ منها: ١٥٩٢٨ مجلداً باللغة العربية واللغات الشرقية و٦٩٥٦ مجلداً باللغات الاوربية. وتدل الاحصاءات على أن إقبال المطالعين على المواد المختلفة سار وفق ما يأتي: —

الأدب والقصص — التاريخ والجغرافيا — العلوم الاجتماعية — العلوم البحتة — العلوم والفنون المعاشيـة — الفلسفة وعلم النفس — الفنون الجميلة — المراجع العامة — الديانات — اللغات.

٧ – ﴿ثروة الدار﴾ وبمقارنة حـركة الكتب التي وردت للدار في الست السنوات الأخيرة بين عربية وأفرنجية يتبين منها مدى تقدم الدار ونهضتها وإلى القارىء الإحصاء:

ورد للدار في سنة ١٩٤٥ — ٤٨١٧ مجلداً وفي سنة ١٩٤٦ – ٤٦٨٣ مجلداً وفي سنة ١٩٤٧ — ٦٨٩٢ مجلداً وفي سنـة ١٩٤٨ — ٧٥٤٤ مجلداً وفي سنة ١٩٤٩ — ٩٥٣٣ مجلداً وفي سنة ١٩٥٠ — ١١٨٤٣. هذا ما ورد للدار في السنوات الست المذكورة. ولا يسمع عن كتاب نادر مخطوط محرومة من اقتنائه الدار إلاّ ويبذل كل ما في وسعه للحصول على أخذ صورة منه بالتصوير الشمسي ليحفظ بها، لا سيما الأوراق البردية. فقد علم أن بمكتبة ما نشستر عدة أوراق بردية يرجع كتابتها إلى القرن الأول للهجرة فبذل كل ما في وسعه لأخذ صورها الشمسية لحفظها بالدار وهي لاتقل عن ٢٧٠ ورقة.

٨ – ﴿فهارس المخطوطات﴾ النادرة المثال العزيزة المنال محفوظة بدار الكتب بدون فهارس وافية تسهل للباحثين ما ينشده في ثنايا سطورها سنين طويلة فأسند إلى لفيف من موظفي الدار ممن عرفوا بالجد والنشاط والمثابرة والجلد والإنتاج إلى عمل فهارس شاملة لتلك المخطوطات لإفادة العلماء والباحثين مما حوته

هذا بعض ما نذكره على سبيل المثال، من رسالة دار الكتب المصرية ونهضتها المباركة الحديثة في عهد مديرها الحالي الأستـاذ أمين مرسي قنديل بك لتحقيق ما يرجوه للدار من خير والنهوض بها ومكتباتها الفرعية الى المستوى الجدير بها حتى تضارع أكبر مكتبات أوربا في ظل حلالة الملك المفدى « فاروق الأول »

نظرات في النفس والحياة

— ٢٨ —

نظرات السير أرثر هلبس

للأستاذ ع . ميش

إن بعض نظرات السير أرثر هلبس تذكرنا قول جوتا : —

« إن الصواب المجهول إذا عرفه الانسان كانت له فجاءة الأمر المتوقع وبغتة الأمر المعروف المنسي » . كما أن بعضها يذكرنا قول جوتا أيضاً : —

« إن الناس يزهدون في الحق لأنه معروف مملول مألوف والألفة تبعث الملل و لا يستطيعون تطبيقه وانجاحه وتحقيقه فهو يشق عليهم في العمل، وان كان لا يشق عليه في الفكر » .

ولقد كان منذ عهد الصغر كثير القراءة والاطلاع وكان يجمع بينهما وبين التفكير يقرأ ، فنشأ عن ذلك انه نشر نظراته في عهد الشباب فدلت على حكمة الكهول وعلى إم الفكر، وكان من أصدقائه أرثر هالام وتنيسون وغيرهما من الكتاب والشعراء . وكان م ثقافة عامة ، فكان قصصياً وكان مؤرخاً وكان كاتباً أديباً وكان سياسياً من الأ المعتدلين، وكان ملماً باللغات وآدابها ، وقد ذكره رسكين في بعض كتبه وقرنه إلى أفلا وكارليل وقال عنه إنه كان ذا بصيرة بالأمور واصالة في الرأي .

وقد نسي الناس قصصه وكتبه التاريخية ولم يبق غير نظراته وأفكاره ورسائله . و نظراته ندع القارىء يحكم عليها أو لها . وهو سيجد فيها فكراً عميقاً وبصيرة با الانسانية، كما سيجد فيها طلاوة الخيال الذي يوضح الحقائق ويفسرها ، وقد تولى ، في المجلس الخاص في عهد الملكة فكتوريا، وكان من المقربين لديها .

وفيما يلي بعض نظراته مع قليل من التعقيب : —

(١) إذا أساء الينا مسيء وكانت لنا سلطة وقدرة عليه وتحكم فيه فاننا قد بالغضب ونظهره أكثر من شعورنا به واظهاره إذا لم تكن لنا تلك القدرة على المسيء

من طغيان الطبيعة البشرية التي قد تسهّل على المرء تحمل الاساءة ممن لا سلطة له عليه، ثم ينفس لنفسه ممن له سلطة عليه، باظهار الغضب والاستسلام له والتمادي فيه.

(٢) كثيراً ما ننسى أن من الناس ناساً يلبسون نفوسهم كمن يلبس ثيابه مقلوبة، فيظهر الوجه الأقل حسناً ويختفي الوجه الزاهي الكثير الحسن.

(٣) من الخطأ أن يقال إن المرء اذا تعود معرفة عيوب معاشريه ونقائصهم لا يأبه لها ولا يحس بها، فالواقع هو أننا نزداد شعوراً بها حتى أننا كثيراً ما نحسب أننا نجدها في حالات لا توجد فيها ولا ترى، وذلك من سوء الظن الذي يلازمنا في عشرتهم.

(٤) ليكن إغتفارك ما تغتفره للناس وما تصفح عنه أشبه بالنسيان منه بالإغتفار، لأنه إذا لم يكن كذلك كان الإغتفار أشبه بالمنّ عليهم والإعتداء الذي يكرهونه، وقد يمقتونك من أجله.

(٥) لا تتوقع أن تسمع من كل إنسان شرحاً مقنعاً لأسباب سلوكه، لأنه كثيراً ما يغفل عن أهمها أو يسهو عنها أو ينساها ولو أن أثرها موجود في نفسه. وكثيراً ما يتقدم المرء للسامع بالأسباب التي يظن أنها راجحة محبوبة عند سامعه وإن لم تكن أسباب سلوكه الحقيقية أو أهمها، وإنما يفعل ذلك تقرباً اليه ورغبة في نيل التزكية منه فتتم تلك الأسباب التي يفسر بها سلوكه عن رأيه في خصال سامعه الذي يزكي نفسه لديه وتفشي رأيه المستتر فيه.

(٦) من الصعب الحكم على أسباب الخصومة لأن ظروفها القريبة قد لا تكون ذات صلة بالأسباب الحقيقية، كما أن مكان المعركة قد لا يكون سبب حدوثها، وكثيراً ما تختفي الخصومة كاختفاء الماء الذي يجري في بطن الأرض ويخرج في مكان سحيق بعد ان تعتوره أحوال عديدة، ولا يدل مكان ظهوره على نشأته.

(٧) إذا تعودت الإستسلام لمحبي أنفسهم من ذوي الأثرة طلباً للراحة من عناء إلحاحهم، فإن ذلك كثيراً ما يؤدي إلى تضييع ما هو أمانة في عنقك من مصالح الناس عامة، وليس بعد تضييع الأمانة إلا إنكارها وإنكار تضييعها والامعان في الظلم وما يجره من الفساد والشرور وسخط الناس.

(٨) لا تجعل غضبك وإمتعاضك مقياساً لخطأ أحد الناس، فان الغضب والامتعاض قد لا يعادلان أساءته أو خطأه، وإذا تعودت ذلك تعودت الظلم وقلة الإنصاف، لأن للنفس حالات تغضب فيها من الخطأ القليل، غضباً أشد من غضبها من الخطأ الكثير في حالات

أخرى أو مع أناس آخرين.

(٩) كثيراً ما يهوى الناس مناقضة الصفات المعروفة في نفوسهم ومخالفتها، فترى الرجل الكثير التغاضب والشراسة يجنح في بعض الأحايين إلى اللطف والدعة والتسمح لكي يضلل الناس إذا أحس أنهم فطنوا إلى شراسة طبعه

(١٠) لو أعطي الإنسان القدرة على أن يتحول بالتمني وأن يكتسب به جمالاً لما تمنى إلا ما يجعله نسخة جميلة لشخصه قبل التمني، وكذلك لو استطاع أن يحول نفسه بالتمني فانه لا يتمنى لها إلا أن تكون نسخة جميلة من صورتها الاولى قبل التمني .

(١١) لو بحثنا ما يسميه الناس الثبات فاننا نجده في كثير من الأحوال الالحاح الناشئ من حب الذات والاصرار الناتج منه فيتزيى، في رأي الناس بزي الثبات على المبدأ ويسمى باسمه.

(١٢) لو استطاع الساخط على إنسان أن يحس كأنه محام يدافع عن المغضوب عليه بأجر يرضيه، لدهش لكثرة الحجج التي يستطيع أن يدلي بها لصالحه، كي يثبت براءته أو عذره وكي يثبت إساءة نفسه في سخطه

(١٣) إن سرورنا بمن نستطيع أن نغير رأيه أعظم من سرورنا بمن يوافقنا قبل الحاجة، وقد يعرف الماكر هذا الامر فيختلف معنا إختلافاً قليلاً ثم يعود فيظهر الاقتناع برأينا كي يسرنا سروراً يدفعنا إلى قضاء حوائجه .

(١٤) إذا استسلمت إلى سوء الظن وجدت غذاء كافياً لسوء ظنك يزكيه، كما أن أذن المؤرق اليقظان يسترعي انتباهها في سكون الليل كل صوت خافت .

(١٥) إن الناس يلجأون إلى الغش ويعدونه أسهل الوسائل وأقربها، مع أن صاحب الغش لا بد أن يكون ذا نفس يقظى وعينين متنبهتين وأذنين سامعتين لكل أمر، كي لا ينكشف غشه فهو في أشق الامور، وأسهل منه الصدق في المعاملة فلا يحتاج الصادق إلى تنبه جوارحه تغطية كذبه .

(١٦) إن الناس يمتدون النصيحة التي ينصحهم بها غيرهم كالضرائب المباشرة المفروضة عليهم كلما إزدادت إزداد مقت الناس لها . وقلما يلتجيء المرء إلى طلب النصيحة من غيره إلا إذا أراد تزكية ومدحاً منه لعمله أو قوله أو فكره . وإذا فطن أن في النصيحة من غيره فائدة لغيره شك فيها وتجنبها حتى ولو كانت فيها فائدة، لنفسه وأضيع النصح أن تنصح انساناً بعمل ما لا يستطيعه .

(١٧) إن ذا الحاجة إذا طلب منك طلباً وكانت في قولك له كلمة يصح أن تحمل على محمل الوعد وان تأول اليه وأن تفسر به فانها تكبر في ذهنه بالآمل حتى تصير كالجني المارد الذي خرج من القمقم في قصة الف ليلة ويقاضيك إياها ويعدك حانثاً كاذباً قليل الوفاء كثير الغدر .

(١٨) من الأمور المضحكة المعتادة أن نرى انساناً يلح على آخر كي يقبل منه عطاء أو هدية أو معروفاً وصاحب العطاء أو المعروف في سريرة نفسه لا يريد من الآخر أن يقبل معروفه أو هديته أو عطاءه، بينما نرى الآخر يقبل العطاء متضايقاً من إلحاح الاول ويخشى أن يجرح احساس ذلك الملح إذا رفض عطاءه أو معروفه ، وهو بقبوله المعروف يزداد مقتاً في سريرة الأول .

(١٩) قد يكون غضب انسان منك ناشئاً من غضبه على نفسه بسبب استسلامه الى هذا الغضب وعدم قدرته على كبحه وقلة تقديرك لهذه الحالات النفسية منه .

(٢٠) إن الأمور النبيلة الجليلة إذا تأملها المرء طويلاً بأنعام ولم يتأمل غيرها فانها قد تجعله غير قادر على تبين الأمور والحكم عليها حكماً صحيحاً، ومثله مثل من ينظر الى الشمس المتوهجة مدة طويلة حتى لا يستطيع أن يميز الأشياء .

(٢١) كما انه من الصحيح في العلوم الرياضية إن يقال إن النقطة الواحدة لا تعين اتجاه خط مستقيم وهي أحرى أن لا تعين اتجاه الخط المموج . كذلك لا تستطيع أن تحكم بعمل واحد يعمله المرء على خلقه بوجه عام. فان خلق الانسان حتى من كان ساذجاً كثير الاعوجاج. ومع ذلك يسرع الناس إلى الحكم على أخلاق إنسان بعمل واحد من أعماله .

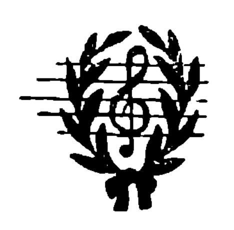
(٢٢) إن من اتقان النفاق والخداع أن يكون صاحبهما عادلاً مستقيماً صريحاً شريفاً في الأمور التي لا تعنيه ولا تعوقه عن مطلبه، ومن أجل ذلك صار المخادع الماهر لا يستخدم خداعه ونفاقه في كل أمر .

(٢٣) يقال في علم الطبيعة إن اعتراض نوعين خاصين من الأشعة ، قد يحدث ظلاماً في نظرك وكذلك اجتماع الحجج المتخالفة في الحاجة للأمر وضده قد يحدث ارتباكاً وظلاماً فلا تستبين الأمور إلا إذا بحثت كلاً منها على حدة .

(٢٤) كثيراً ما ينسب الى الرجل الجاهل أكثر الرذائل أو الفضائل لأن الجهل يبعثه الى سوء الظن وإلى القسوة وحب الأذى وكره الفكر والمفكرين كما انه قد يتبع قدوة الناس من غير فكر فيضل إذا ضلوا ويصيب إذا أصابوا في عمل الخير، وهو في هذه الحالة الثانية يكون معصوماً من ذوي الفضل والفضائل .

تطور الموسيقى في سورية

خلال نصف قرن



للاستاذ ميشيل الله ويردي

الموسيقى جمال روحي يتذوقه من صفت نفوسهم فآثرت على جمال المادة جمال الفكرة، وهذا الجمال لا يعرف جنسية أو وطناً، فالامم الشرقية يستعذب بعض منها موسيقى بعضها الآخر كالامم الغربية، فنحن نستعمل مع الحاننا كثيراً من الحان مصر وتركيا وايران،هذا الى الالحان البيزنطية القديمة، اذن ليس لاية أمة موسيقى خاصة بها الا بالنسبة الى انتاج كل وطن .

والموسيقى لغتان : شرقية وهي التي تنضوي انغامها وموازينها تحت نظرية التناسب الطبيعي . وغربية وهي التي تستند الى نظرية التعديل مجاراة لهندسة الآلات الضخمة التي لم تزل بعيدة عن الكمال . فإذا اهتم البشر بهذه الناحية امكنهم أن يدركوا بسهولة وجه الحق والصواب بين هاتين اللغتين المتناقضتين ، عندئذ تتوحد لغة الموسيقى في العالم كله ، حسب أحكام الطبيعة ، لأن اختلاف صياغة الالحان شكلاً وقوة ، من المعزوفات البسيطة الى السمفونيات ، ومن الاناشيد الخفيفة الى الاوبرات ، لا يسبب اختلاف طابع الموسيقى ، ولا يبرر صبغها بجنسية أو استقلالها بوطن .

والبحث عن تطور الموسيقى عندنا خلال نصف القرن المنقضي ، موضوع واسع متشعب المسالك،فهناك نموّ الفكرة الفنية بين الملحنين ، وتطور قبولها لدى الجمهور ، وتنوع اشكال الاسلوب الانشائي واخراج الالحان بالآلات ، وتلوينها بمزج الاصوات ، ناهيك عن قضية تعدد الانغام والموازين واشكال الاتفاقات (هارموني) مما يسمح للموسيقى الشرقية دون الغربية بالتجدد اللامتناهي ، هذه الصفة التي تلازم ابداع الطبيعة ، وتصورها أصدق تصوير وهناك أيضاً تطوّر الحرب التي شنها بعضهم على الموسيقى ، وتطور النظر اليها كضرورة ماسة في الثقافة العامة ، وكمادة أساسية لبرامج الاذاعة تجتذب اكثرية المستمعين

الى محطة دون اخرى ، فتمكن كل حكومة من نشر آرائها وأخبارها على مقياس واسع .

بزغت شمس هذا القرن ، والموسيقى في سورية مهيضة الجناح محدودة الانتشار ، لأن الاذاعة اللاسلكيـة لم تكن معروفة ، والاسطوانات كانت نادرة ثمينة ، وأجور الفرق باهظة ، فلم يكن يتمتع بالسماع الجيد سوى بعض الاغنياء في حفلات خاصة ، أما الجماهير فليس أمامها سوى المسارح،وقد كانت الموسيقى آنئذ أربعة أقسام : —

اولها — : الموسيقى الدينية وهي عند المسلمين ترتيل آيات الكتاب الكريم ، واشعار المدائح وموشحات الموالد النبوية ، وهذه كلها مازالت تنشد على النهج القديم ، يتناقلها الخلف عن السلف بطريق التلقين ، دون التفات الى ماقد يطرأ عليها من تحريف ،لانها غير مدونة . أما عند المسيحيين فالألحان الكنسية لم تتبدل عما كانت عليه،وأكثرها مدوّن بالنوطة البيزنطية،وبعضها بالنوطة الأفرنجية التي تعجز عن اظهار صفاء الأنغام الشرقية .

أما القسم الثاني فالموسيقى الغنائية القديمة ، وهي تضم مجموعة هامة من الموشحات والأدوار والموالي والقصائد ، كان هواة الفن يتناقلونها بطريق السماع كالموشحات ، لأنها منظومة على موازين موسيقية كموازين الشعر ، وأنغامها ترفل بجمالها الطبيعي الخالي من تشويه التعديل ، وهو السبب الذي لأجله يفضل الكثيرون صفاء الألحان العربية القديمة على اضطراب الألحان الحديثة التي يحاول ملحنها تقليد الأفرنج ،لاسيما عند ما تشترك في عزفها آلات معدلة،كالبيان والأرغن ومجموعة الفنفار . والفارق بين لغة الموسيقى الطبيعية المعروفة بالشرقيـة ، وبين الموسيقى الغربية ذات الأنغام المعدّلة ، كالفارق بين اللغات الفصحى واللغات معالمية المزوجة بالرطانة ، مع العلم بأن الاصوات كائنة في الطبيعة وهي واحدة عند جميع الامم ، بينما الالفاظ موضوعة بشرعة بشرية قضت بها الاحوال الطارئة على كل أمة .

أما القسم الثالث فهو الموسيقى الغنائية الحديثة ، وقد كانت في مطلع هذا القرن مجموعة طقاطيق لا معنى لألفاظها ، ولا فكرة رفيعة في ألحانها التي لم تكن تتجاوز سطرين ، فكانوا يكررون كل لحن عدة مرات ، ومن هنا نشأ ما يتهمنا به الافرنج من المونوطونية وهو الاسفاف مع التكرار ، حتى لا يفقه السامع معنى لما يسمع وبديهي أنه لايجوز أن ننسب الى اللغة العربية ذنباً أو قصوراً إذا حوت أشعاراً لا معنى لها .

وعلى هذا القياس يصح أن نقول : لا قصور ولا ذنب على الموسيقى الشرقية ، وهي لغة الطبيعة ، إذا حوت منذ خمسين سنة ، أي في نهاية عهد الخمود ، كثيراً من الألحان المبتذلة ، التي خلت من أية فكـرة أدبية أو فنية ، لا تدل إلاّ على خلوّ أذهان ملحنيها

وناظميها من الفكرة الراقية ، وقد انتبه الأدباء آنئذ الى انحطاط معانيها فراحوا يتخذون منها اوزاناً ينظمون عليها كلاماً مفهوماً يسمونه قدّاً .

وغير خاف أن تلك الالحان البدائية وما جرى مجراها ، لا تزال متداولة بين الأميين والقرويين. أما المتعلمون والمتفننون فينفرون منها بعد أن لعبت دوراً هامّاً ، لأن الجماهير كانت تسمعها في الحدائق صيفاً وفي المقاهي شتاء ، وهي تصدُر بمسرح أو دكة عالية تجلس عليها فرقة الموسيقيين ، وتتألف عادة من المغني رئيساً ، وضارب الرق معاوناً ، ومن آلتين أو ثلاث كالقانون والعود والناي ، وندر وجود الكمنجة في ذلك الزمان ، وكان الفاصل الموسيقي يستغرق نحو ساعتين ، ويبدأ بالتقسيم فالبشرف ، فالموشح والدور ، والقصيدة على وزن — آه يا انا — ثم الطقاطيق ، وإذا كان هنالك راقصات من الأجانب أو الأتراك تعزف الفرقة بعض القانطوبات أي الرقصات ، التي تكاثرت وتطورت بسرعة ، فصرنا نسمع منها الشيء الجميل الجديد .

أما في المسارح فقد كانوا يقدمون علاوة عما ذكر ، فصولاً مضحكة مع بعض الألعاب الرياضية ، وكانت النساء تشهد ذلك كله في حدائق خاصة يسمونها — سماطات — لا يدخل اليها الرجال ، تنشد فيها مغنيات يحضرنَ من مصر فيدعون عوالم ، أو من دمشق فيدعون مغاني .

أما القسم الرابع فهو الموسيقى الصامتة ، أي التي تعزف على الآلات بدون غناء ، وكانت مؤلفة من التقسيم الذي يشبه الكلام المنثور ، يضاف اليه بعض الدواليب واللازمات البسيطة ولم أعثر على بشارف وسماعيات ، أو معزوفات كبيرة تعود الى نصف قرن ، مما يدل على أن التلحين عندنا في نهاية عهد الخمود ، لم يكن قد وصل الى هذه الدرجة ، التي تتطلب مع الموهبة اللامعة ، معرفة متينة بأصول الموسيقى وأساليب انشائها ، وكلنا يعلم اننا حتى الآن لم نصل الى تأليف الحان تجاري انتاج الافرنج كالسمفوني والسوناتات والاوبرات ، لذلك كان الموسيقيون يستعيرون الألحان الصامتة من الأتراك ، لأن أنغامهم قريبة جدّاً من أنغام العرب ، وبعضها لا يختلف عن المألوف في سورية ومصر. أما الآن فصرنا نسمع بعض البشارف والسماعيات والمعزوفات المتنوعة من تأليف السوريين والمصريين ، وقد جلى الأستاذ توفيق الصباغ في هذا المضمار فأصبحت ألحانه معروفة في أكثر البلاد العربية.

(البحث تتمة)

غرائب الجراحة الحديثة

تبديل القلوب والكلى



للدكتور عبده رزق

هل أغرب على السمع وأدعى الى الدهشة من قولهم إن قلب فلان قد تعطل من حؤول أو ضمور فأبدل به قلب سليم، أو أصاب كليته التهاب حتى عجزت عن تأدية وظيفتها فأبدل غيرها بها، كما يبدل «ذنبلك» الساعة إذا تعطل؟ إنها أمنية يتمناها الناس من قبيل تمني المستحيل ويتعللون بإمكانها كما يتعللون باضغاث الاحلام، على أن بعض الأطباء يشتغل بتجارب يرجو أن يتوصل بها الى هذه الغاية أو ما يقرب منها. وقد نشرت مجلة مكلور الانكليزية تجاربه من هذا القبيل وهذه خلاصتها:

اهتم الدكتور كارل منذ كان طالباً في جامعة ليون بفرنسا باستخدام أعضاء الحيوانات السليمة للتعويض بها عن أعضاء عليلة في الانسان وكان يرى ذلك ممكناً، وقد جاء سنة ١٩٥٠ الى الولايات المتحدة بأميركا وعين في جامعة شيكاغو، وألحق في السنة التالية بمعمل روكفلر، فأخذ يشتغل في اخراج بحثه المشار اليه الى حيز العمل. فاستنبط في خياطة الشرايين والأوردة طريقة جديدة بإبرة رفيعة وخيوط حريرية دقيقة وبرع فيها حتى توصل الى قطع «الأورطي» أي الشريان الأكبر على مسافة قريبة من القلب وخياطته بدقة حتى عاد الى أصله. وقد جرب طريقته هذه في الحيوانات فأتى بالغرائب بنقل الأعضاء أو بعض أجزائها من حيوان الى آخر. فنقل «أورطي» كلب وخاطه بأورطي كلب آخر، وقطع أجزاء من جدران الأورطي في القطط والكلاب وخاطها في غير أمكنتها بسهولة تحت البنج الثقيل، فكان يخدر الكلب تخديراً تاماً ويجري فيه ما يريده من قطع وخياطة، والكلب لا يشعر بألم في أثناء العملية ولا بعدها، ومجروح تلتئم بسرعة ولا يحدث نزف أو التهاب، فلا يلبث الكلب أو الهر أن يفيق من «البنج» حتى يعدو ولا يدري أن دمه يجري في وعاء ليس له. وقد كان عند الدكتور كارل هرة صحيحة الجسم

وخاطها في أورطة كلبه ، ونقل بعض معاونيه قطعاً من شرايين الأرانب والقطط الى الكلاب.

وقد توصل بتجاربه الى استخدام الاوردة في ترقيع الشرايين، لأن الشرايين إذا تعطل أحدها وأريد ابدال شريان آخر به لا يتسأتى ذلك إذ لا يمكن الاستغناء عن شيء منها بدون خطر على الحياة ، بخلاف الأوردة فإن منها جانباً كبيراً يمكن الاستغناء عنه بسهولة فيرقع به ما تعطل من الشرايين . وترقيعها على هذه الصورة ، ويرى الدكتور كارل أن قد تعود الحياة الى الميت . وفي هذا يقول الدكتور كارل : —

يعترف الكثيرون منا بأن القلوب والكلى يمكن اعادة الحياة اليها بحيث ترجع الى عملها بعد أن تكون قد توقفت ومات اصحابها . فإذا استطعنا نقلها وغرسها حالاً في جسم حي يمكن رجوعها الى عملها ، وهذه حقيقة طبية ثابتة . فقد استخرجوا قلباً بعد موت صاحبه بثلاثين ساعة وأعادوا اليه عمله، أي الانقباض والانبساط ، ونقل الدكتور كارل قلب أحد الكلاب ووضعه في عنق كلب آخر ، ووصل بين اورطي الكلب المنقول والشريان السباتي من هذا الكلب بالخياطة الرفيعة ، وكذلك بين الوريد الأجوف والوريد الوداجي فأصبح الكلب وله قلبان يشتغلان معاً أحدها ينبض ٨٨ نبضة في الدقيقة والآخر مئة .

وعند الدكتور صندوق للتبريد يختزن فيه قطعاً من الشرايين والاوردة لاستخدامها في الترقيع عند الحاجة . وقد استخدم بعضها لهذه الغاية بعد حفظها ثلاثين يوماً في الصندوق فأتت بالغرض المطلوب كأنها قطعت بالامس، وكأن الطبيعة تترك بذلك فترة للانسان يفرق فيها بين موت الشخص وموت أعضائه . إذ قد يموت الإنسان واكثر أعضائه سليمة ، فيموت مثلاً بعلة في قلبه وتكون كبده وكليتاه سليمتين ، أو يموت بعلة الكبد وقلبه سليم . فاذا نزعت الأعضاء السليمة ساعة الموت يمكن حفظها في الجليد مدة طويلة لحين الحاجة . وقد تظهر القلوب أو قطع الشرايين المختزنة في الجليد ذابلة جافة وحالما توصل بالحيوان الحي تعود الى الحياة وبقايا صاحبها الاول صارت تراباً . ويرى الدكتور كارل أن دفن الميت برمته إسراف ، والاولى في اعتباره أن تحول المدافن الى مخازن مجلدة تحفظ فيها الاعضاء سليمة بعد موت أصحابها . وقد أخذ في الانتفاع من تجاربه فعلاً فشفى بعض فقراء الدم في الانيميا الخبيثة بنقل الدم الى أحد شرايينهم من شريان بعض الاصحاء ، ويتوقع أن يشفي تمدد الشرايين المتهرئة بشرايين سليمة .

ولا يزال الدكتور كارل يشتغل بهذه التجارب النافعة في معمل روكفلر ومعه معاونوه ، وأكثر تجاربه على القطط والأرانب والكلاب، ولا يشعر حيوان منها بألم لانه يجري التجارب عليها بعد تخديرها، وإذا قدر ومات ذهب ضحية لخدمة الانسانية .





ملحمة « عبقر »

نظم الشاعر الملهم شفيق المعلوف

للاستاذ البدوي الملثم

« إن في عبقر المعلوف (شفيق) روعة الشعر الأبدية، وفيه للخيال والفكر أمثلة نادرة من القوة والجسارة، وفيه من السلاسة والانسجام والاقتصاد باللفظ ما لا تجده في كثير من القصائد المطولة والدواوين الضخام » (أمين الريحاني)

وهبَ الله العلامة المحقق الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف انجالاً شعراء ثلاثة هم (فوزي) – طيّب الله ثراه – صاحب ملحمة على بساط الريح و (شفيق) واضع ملحمة عبقر و (رياض) – صاحب الاوتار المتقطعة و خيالات وغيرهما من الروائع

نشر (شفيق) ملحمة (عبقر) لأول مرة عام ١٩٣٦ في ست أناشيد وبعد أن توفرت لديه المادة الجزلة الخصبة أضاف اليها زيادات جديدة وأضفاها على خزينة الأدب العربي في إثني عشر نشيداً وخرجت للأيدي في اعقاب عام ١٩٤٩ مطبوعة في سان باولو مدينة الأنوال والدواليب والدخان .

وفي هذه الملحمة النفيسة الكبرى مهّد (شفيق) بمقدمة جاءت في خمس وثلاثين صفحة بعد المائة، عالج فيها مباحث أسطورية عن عبادات الجاهلية وخرافات العرب وما شابهها عند الفرس واليونان والرومان والهنود وسواهم من الشعوب التي لها قدم راسخة في دنيا الميثولوجيا .

زعموا أن (عبقر) واد مجهول تقطنه الجنّ وعرفّه أبو البقاء في كتاب (الكليّات): «كل جليل نفيس فاخر من الرجال والنساء ! » وكان العرب يعبّرون عن كل جميل وسيم بقولهم: «كأنه من جن عبقر ! » قال الأعشى: « كهولاً وشباناً كجنة عبقر ! »

وللافرنج – كما روت مجلة (الشرق) الغراء التي يصدرها في سان باولو (البرازيل)

الكاتب العربي النابه الاستاذ موسى كريم طائفة من الأساطير في الشياطين، وأول من صدّقها وتأثر بها الفرس واليونان على ما روى المؤرخ اليوناني (هيرودوت). وكان الشعراء الأقدمون راسخي الإعتقاد بأن لكل شاعر (شيطاناً) يوحي اليه بما يريد قوله ولم يحرم العرب وهم كسائر الامم التي عالجت الشعر، من هذه الخرافات بل نالهم من هذه الأساطير رشاش موفور إما لصلتهم بالفرس والرومان، أو لأن المحيط الذي عاشوا فيه كان لاتساع رقعته وترامي أطرافه، ووحشة فيافيه، يدعو إلى تقوية هذه المؤثرات... ولقد بلغ من تأثير هذه الأوهام على عقلية العرب أنهم كانوا يرون الجنّ في الأمكنة كافةً ويخاطبونهم وجهاً لوجه. وفي رواية الحارث الضبي إنه شاهد جنياً يوقد النار لطعامه فدعاه ذات يوم ليشاركه في أكله فرفض... !

فلما جاء العرب على ذكر (عبقر) في كتبهم وأساطيرهم وخلاصة ما زعموه إنها قرية تسكنها الجن. وينسب اليها كل جليل فائق، وفي (عبقر) التي كشفها خيال الشاعر المجدّ الأستاذ شفيق تناول العرب وخرافاتهم دون أن يغفل حديث الكاهن (شق) وهو الذي قيل إنه كان ذا يد واحدة . . ورجل واحدة ... وعين واحدة ... ثم الكاهن (سطيح) وكان لحماً بلا عظام يدرج كما يدرج الثوب. وقد ولد و(شق) في يوم واحد، واليك بعض ابيات في تصوير كل من هذين الكاهنين: في صفحة ٢٣٣ وفي صفحة ٢٣٥

سطيح :

في هوة الغيلان هل وقفة أرهب منها بين غول وجان
يهبط بي الشيطان بينا أنا مشرّد الأبصار واهي الجنان
أني تلفت بغيطانها تحدجني عينان ناريتان
بسحنة فاغرة شدقها عن أنيب محددات السنان

شق :

والكاهن الآخر ذو خلقة لم يحبس الخالق فيها أحد
قد شق من أعلى إلى أسفل ولم يزل حيًّا بشطر الجسد
يمجد الله على خلقه بشق وجه وبرجل ويد

إلى أن يقول الشاعر في صفحة ٢٣٦

يا أحكم الحكام في عالم نصبتما الدهر عليه رصد
يا كاهني (عبقر) هل حكمة أعدها للغد بين المدد ؟
أرسلها فوق رؤوس الورى منثورة على غمام الجلد
بلغني موج التقادير أو أكتبها بالنار فوق الزبد

ويستهل الشاعر ملحمته الشعرية في طريقه إلى (عبقر) بتصوير اليقظة التي تستحوذ على الشاعر ساعة الوحي ثم يصوّر لنا شيطان شعره بهذه الابيات : صفحة ١٤٨

في فمه من سقر جذوة منها يطير الشرر الثائر
ووجهه جمجمة راعني أنيابها والمحجر الغائر
كأنما محجرها كوة يطل منها الزمن الغابر

وما أن ازمع شيطان الشاعر أن يريه البقعة التي جاء منها واصطلح البشر على تسميتها عبقراً إذا به في (البلد المرصود) قرية الجنّ التي يصورها لنا وقد غطتها الغمامات الزرق وانبلج النور على جدران منازلها وملأ عزيف الجنّ إبراجها ووقف الابالسة حراساً على هذه الأبراج وإذا به إمام غرفة عبقر وقد لفت على وسطها ثعباناً وانبعث الدخان من شعرها والشرر من مقلتيها ، وهنا يبث الشاعر رأيه في الناس وفي مدنيتهم على لسانها بقوله : في صفحة ١٦١

ويحك يا انسان
الق عصا سحرك
ذعرت فينا الجان فعذن بالشيطان
من شرك
وددت يا غادر لو انني أطلقت ثعباني لا ينثني
عنك فيرديك ، ولكنني
أخشى على الثعبان من غدرك
في نابه السم كان وصار في صدرك
فليس هذا الصل بالأفعوان بل أنت يا إنسان
فارجع الى وكرك

ولا تزال (العرّافة) تلقي عليه سخرية بالناس ومدنياتهم حتى يضيق صدره فيطلب الى شيطانه أن يرحل به عن هذه البقعة فيطمئنه طالباً منه أن يصغي الى أميرة الجن التي أبرمت قبائل الجن بعصيانها وهي ترتل أغنيتها وماكانت هذه الاميرة إلا الشهوة الجامحة الساخطة على عالم الارواح وهنا نستمع للشاعر وهو يصورها لنا أروع صورة في ص ١٧١

جنيّة تمعن في وثبها كأن شيئاً حولها راعها
حلتها كالضوء شفافة عن بشرة تزيد اشعاعها
كأنما الشمس التي كوّرت من حلقات النور اضلاعها

القت الى الأرض بما أبدعته ليكبر العالم ابداعها

ثم ينتصب روحها أمام الشاعر فيصيح : صفحة ١٧٣

ويحي من يشبع فيّ النهم أكلما استلقت على معصمي
روح فقربت اليها فمي تملصت فلم أقبل ولم
أضم إلاّ عدماً في عدم

وبعد أن تصف عالم الأجساد حيث لا تعدم الشهوة وسيلة لإطفائها تقول متحسرة : في صفحة ١٧٥

فنحن والهني بنات الظلال لسنا وقد حمنا على أرضنا
غير خليط من طيوف ضئال كقطع الغيم .. إذا بعضنا
تعانق اضمحلّ في بعضنا

وتشتهي عالم الأجساد وتتفانى في شهوته الى حد التضحية بروحها الخالد : صفحة ١٧٧ و ١٧٨ .

من لي بذي قلب خفوق الج في صدره .. وإن يكن يختلج
لعاصف الموت اختلاج الشعل
يا حامل الجسم ألا أعطنيه وخُذْ إذا شئت خلودي ثمن
روحي لا يبلى فمن يرتضيه أحمل ما في جسمه من شجن
وشاهي الناريّ من يشتريه فانني أبيعه بالكفن..

وهذا شيطان الحروب الذي يخطط الحدود بين الأوطان بسياج من النيران ثم يبعث الغرور في الصدور فتستمر الحروب وكلما انتهت حرب كللّ رؤوس الغزاة بالتيجان كما يغريهم بإثارة حرب أخرى فأخرى لأن لذته القصوى أن يرى البشر يتناحرون : ص١٩٣

حتى إذا ما الجنود ماتوا فدى الرايات
داس بقايا البنود وطاف بالأموات
فانتزع القيود من أرجل المبدان
ولفها تيجان على رؤوس الغزاة

قالت العرّافة منددة بكبرياء الانسان وأنانيته : صفحة ١٦٣ و ١٦٤

جعلت نفسك أعلى في الأرض من ربك

حسبت عيبك فضلاً فمش على عيبك

*

لا نمض في عجبك فانما الآلهه
ليست على دربك ما دام حب الذات
ينخر في قلبك !

أما نقائص البشر فلا يعلّ الشاعر التنديد بها والدعوة الى التخلص منها ولا يكاد يخلو نشيد من ذكرها والالماع إليها : صفحة ١٩٦ و ١٩٧

فاندسّت الكبرياء تحت حجاب الحسب
وتحت ستر الآباء غلغل وجه الغضب
وانقلب العناد بين الورى حزما
وصار الاستبداد في عرفهم عزما

وقال بلسان الكاهن (شق) صفحة ٢٤٢ ، ٢٤٤

هل تنفع اليدان والواحدة تهدم ما تشيده الثانيه
نطقت من نصف لسان وفم فلم يضرني أي نطق يفوت
تالله قد بلوت دهري فلم أصل الى الحكمة لولا السكوت
وإنّ قلباً بعضه يشعر وبعضه كأنه الجلمد
حسبي منه نصفه النيّر لا كان قلب نصفه أسود . .

وختم نشيد (شق) بهذا التناقض البديع: صفحة ٢٤٤

سبحان ربي وهو رمز الكمال إني لولا النقص لم أكمل ...

ويبدع الشاعر في وصف ثورة البغايا وهن طراز تلك الجنيّة الثائرة المتمردة في الصفحات ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ فيقول:

هذي كؤوس الأمس يحملنها وهّاجة وليس فيها خمور
هل النهود البيض الصقنها من نتف الغمام فوق الصدور
والنقط الحمراء في وسطها أهي من الفجر بقيّات نور
أم بقع منذ عناق الهوى تؤجّ فيها جمرات الثغور

*

فان دنت من الشفاه الشفاه نهزّها هزّا ونشتفّها

كشارب الخمرة يدنيها منه فكم تزيد من لذته
خضخضة الكاسات في قبضته من قبل أن يمتص ما فيها

*

فمن لنا بطاعة الله وهو الذي في وسط العاصفة
زج بنا بالأضلع الراجفة والجسد المستسلم الواهي

لم نسمع قط أن رجحان كفة الميزان هو هبوط وخسارة ولكن الشاعر يرينا ذلك لأول مرة عندما ينصب شيطان المال ميزانه واحدى كفتيه فيها روح والأخرى مترعة ذهباً فتعلو الروح على الذهب : صفحة ٢٠٧

فكفة جوفاء مملوءة من ذهب وكفّة خاليه
شدت بها الأرواح نحو العلى فرجحت بالذهب الثانيه

وأخيراً هاك صورة حية واضحة يصف فيها الشاعر الموت ويصور لنا حقارة الحياة ـ صفحة ٣١٠

وسرت شوطاً فاذا بي أرى جماجماً ورمماً باليات
كأنما الموت وقد قام عن خوانه خصّ الثرى بالفتات
فقلت للشيطان هل مخبري ما هو يا شيطان هذا الرفات؟
فقال لي وقد لوى ضاحكاً هذا الذي تلده الأمّهات !

أما التماثيل والأنصاب التي يقيمها البشر محاولين فيها تخليد موتاهم فإن أرواح الموتى تنبذها وتستصغر شأنها لأنها تجهل من (الأحلام) (أحجاراً) وهذه الأرواح تحمل الشاعر سفارة هامة وهي إبلاغ الناس أمنيتها : صفحة ٣١٨

قل للألى يقرع صدر اللحود أزميل حفارهم
أرواحنا تبني قباب الخلود بغير أحجارهم

*

هذه لمحة عاجلة تناولت فيها ملحمة (عبقر) للشاعر الموهوب شفيق معلوف ولولا ضيق هذه الصفحات عن الأسهاب والإطالة لاستعرضت أناشيدها واحداً واحداً ولئن فاتني هذا التفصيل في المقتطف ، فلن يفوتني في كتابي القادم (الناطقون بالضاد في اميركا اللاتينية) . والديوان من منشورات العصبة الأندلسية بسان باولو بالبرازيل ومطبوع طبعاً متقناً على ورق فاخر

عمان — المملكة الاردنية الهاشمية



تبرير الغناء



للأستاذ السيد كمال الشورى

ثالثاً — ﴿ الادلة الواقعية ﴾ : —

١ — قالوا قديماً (خلق الغناء ليهب الفرح والسرور ، وخلق الفرح والسرور ليهب الغنـاء) فهما توأمان حبيبان لا ينفصل أحدهما عن الآخر . وقد أثبت الطب أن الفرح والسرور يغذيان الجسم ويساعدانه على النمو ، إذ بالسرور تنشـط جميع الأجهزة في داخل الجسم فتقوى المعدة على الهضم ويقوى القلب على التنفس وهكذا . لذلك كرهوا أن ينام الطفل على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب . فقد ثبت بالتجربة أن الطفل يسكن الى الصوت الحسن ، والجمل يقاسي مشقة الاسفار وثقل الاحمال فيهون عليه بالحداء، والركب قديماً كان لا بدّ له من حاد يهوّن عليـه الطريق ، كما أن الخيل كانت تسير وتشرب بالصفير ولذلك قال الشاعر : —

أدرها بالصغير وبالكبير وخذها من يد القمر المنير
ولا تشرب بلا طرب فاني رأيت الخيل تشرب بالصفير

وكذلك النحل يطرب بالغناء وأن أفراخها لتستنزل بمثل الزجل والصوت الحسن قال الراجز .

والطير قد يسوقه للموت اصغاؤه الى حنين الصوت

ومن هذا استنتج الفقهاء دليلا على اباحة الغناء. فقالوا: تغريد الطيور وسماعها مباح فان قال أحد حرام حكمنا بجنونه وإن قال مباح فالطرب من البشر مثله ، وان قال الصوت المطرب يستخرجه الناس من الآلات أو من المغنين قصداً واختياراً قلنا له وكذلك مع الطير يقصد سماعها ولا يحرم عليه ذلك .

٢ — وقد يتوصل بالألحان الحسان الى خير الدنيا والآخرة ،فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق: من اصطناع المعروف وصـلة الرحم والذبّ عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب،وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويرق القلب من قسوته ويتذكر نعيم الملكوت

ويمثله في ضميره . وكان أبو يوسف القاضي اذا حضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور بكاء كأنه يتذكر به نعيم الآخرة فهو بمثابة رياضة روحية بها يصل العابد الى أعلى درجات النسك : ولذلك نجد المتصوفة كثيراً ما يستعينون بالموسيقى (النايات في أذكارهم ويقولون . أغثنا أدركنا . يا منى عيني) . وقديماً قال أبو نواس حين حج مع الشاعر جنان وقد أحرم الشعر الآتي يحدو به ويطرب فغنى به كل من سمعه وهو :

إلهنا ما أعدلك مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك لبيك إن الحمد لك
لولاك يا رب هلك كل نبيّ وملك
وكل من أهلّ لك سبّح أو لبّى فلك

ويقول ابن الفارض :

قلبي يحدثني بأنك منصفي روحي فداك عرفت أم لم تعرف
يا مانعي طيب المنام ومانحي ثوب السقام به ووجدي المتلف
رفقاً على رمقي وما أبقيت لي من جسمي المضني وقلبي المدنف
وحياتكم وحياتكم قسماً وفي عمري بغير حياتكم لم أحلف
لو أن روحي في يدي ووهبتها لمبشرٍ بقدومكم لم اسرف

٣ — وفي أوربا تداوى بعض الأمراض العقلية بالموسيقى . وفي مصر والى عهد غير بعيد كانت مستشفى الأمراض العقلية تدفع أجراً لبعض العازفين ليحضر في أوقات معينة ويعزف بعض القطع على الكمان ليعالج بها بعض المرضى الذين بحسب استعدادهم يعالجون بالموسيقى وقد أثبت الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير أنه من الممكن تحضير بعض الارواح بوساطة موسيقى خاصة .

٤ — وإذا عرفنا أن الجمال تناسب بين أجزاء مركبة سواء أكان ذلك في الماديات أم في المعقولات وفي الحقائق أم في الخيالات ، فان الصوت الجميل نوع من الجمال لأنه يقوم على تناسب بين النغمات

٥ — وكما أن أبيات الشعر قيود المعاني كذلك الألحان قيود الشعر فلا تزال أبيات القريض تتجافى عن الآذان حتى يقوده الصوت الحسن فاذا هو مستودع في الصدور . لذلك نشأت الاناشيد الدينية المختلفة والقصائد العلمية كألفية ابن مالك والأناشيد الحماسية في الحروب ليسهل حفظها ويقوى أثرها في النفوس .

٦ — والغناء فن من الفنون الطبيعية تهتدي اليه النفوس بالفطرة المترنحة في هدير الحمام وخرير المياه وحفيف الأشجار،فهو فن قبل أن يكون صناعة فن،من يوم ميلاده، فن بطبيعته ونشأته . لم يفكر فيه الناس وانما ظهر على ألسنتهم أول الأمر في صورة الحداء فكان الغناء من ذلك شيئاً لازماً للانسان لا غنى عنـه لأنه متصل بالنفس ومشاعرها ومتصل بالحواس وما ينتابها فهو كالروح في الجسد .

ويترتب على كون الغناء فنـاً من الفنون النتائج الآتية .

١ — إن للغناء أهمية نفسية في المجتمع — فهو وسيلة لربط المشاعر بين الناس فهو من أقدم الطرق لخلق روح المشاركة الوجدانية بين الفرد وغيره في المجتمع فبوساطته سجل الانسان مشاعره ونقلها الى غيره في محيطه الذي يعيش فيه وعبـر عن مثله وآماله وغاياته في الحياة

٢ — أهمية انسانية تتمثل في أنه مظهر فطري عام في سائر المجتمعات البشرية على اختلاف أشكالها فنحن نجده عند الشعوب المتأخرة والمتمدينة على حد سواء

٣ - أهمية مادية — وهي أن الغناء متصل بالفنون العملية وهذه الأهميـة هي التي تعطي الغناء قيمته الاجتماعية

٤ — والغناء كفن من الفنون متدخـل ومرتبط ارتباطاً وثيقاً بسائر شئون الاجتماع وظاهراته فهو مثلاً مرتبط بحياة الأسرة فالزواج من مستلزماته إقامة الأفراح التي تستخدم الموسيقى والغناء الخ...

٥ — كذلك يتدخـل الغناء في الحياة الدينية وخاصة في الديانة المسيحية فهي تستخدم الموسيقى والغناء والخطابة للتأثير على متبعيها .

٦— كذلك يتدخل الغناء في الحياة اللغوية فالقطع الغنائية ما هي الا شعر أو زجل حوى من الالفاظ والمعاني ما تنمو به اللغة .

٧ — ولـما كانت الموسيقى والغنـاء في العهود والمجتمعات الحديثة التي تسودها الديمقراطية،كانت الموسيقى والغناء فنـاً ديمقراطيـاً لم تتقدم إلاّ في العهود الديمقراطية التي أقرت حقوق الانسان .

لذلك كله كان للمغنين الشأن الرفيع في مجالس الخلفاء والأمراء والنصيب الاوفر من جوائزهم وصلاتهم ولا غرو في ذلك فسلطان الوجدان كسلطان الاديان.وقد كانت الاصوات عند العرب تنسب الى واضعيها وتسمى بأسماء اصحابها كما هو الشأن في للشعر فيقال صوت إسحاق أو معبد كما يقال شعر مسلم أو بشـار.وكان المغني أحرص على صوته من الكريم على عرضه،فاذا صنع صوتاً لا يسمح لأحد من المغنين بأخذه عنه حتى يغنيه مراراً وتعرف

نسيته اليه كما يفعل اليوم المخترعون والصانعون من أخذ الامتيازات لمخترعاتهم وصناعاتهم.
وكانت مجالس الغناء عندهم تشبه اذ تكون مجالس علم لدراسة هذا الفن وتهذيبه، فكان أحدهم لا يحجم إن رأى في صوت صاحبه عيباً أن يكلمه فيه وان يبين له مواضع الخطأ مهما يعظم شأن المجلس وشأن صاحبه.

وخلاصة البحث : — ان السماع ينقسم الى ثلاثة اقسام وهي : —

١ — حرام محض — وهو لمن غلبت عليهم شهواتهم ولذاتهم وفسدت مقاصدهم ولا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب عليهم وعلى قلوبهم من الصفات المذمومة.

٢ — مباح — وهو فيما أظن لمن قصد به مجرد التلذذ بالصوت الحسن وجلب السرور والفرح أو يتذكر به غائباً فيستريح بما يسمعه.

٣ — مندوب — وهو فيما أظن لمن غلب عليه حب الله والشوق اليه فلا يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة وتضاعف الشوق الى الله واستدعاء الأحوال الشريفة والمقامات العالية، فمن ظهر له ذلك فهو مندوب له مباح وهذا القسم الثالث هو سماع الصوفية أهل الصدق والاخلاص. ويبدو لي ان الغناء لا يحرم إلا اذا كان غالباً على صاحبه بحيث يشغله عن اداء الفرائض لله، أو كان في هوى مذموم، أو كان بمثابة شاغل له عن اداء عمله وواجباته والا فهو جائز.

﴿ استدراك ﴾ : وإذا احتج اعداء الغناء بأن الغناء يميل في هذا العصر الى العاطفة الجامحة فما من أغنية إلا وملؤها الحب والهيام والهجر والخصام الذي يشجع النشء على المجون، فلا شك أنهم محقون في ذلك، لأن مثل هذا الاتجاه في الغناء يسيء اليه كفن له مكانته وعظمته. حقيقةً كان الغناء في مصر منذ عشرات السنين يميل الى المجون بسبب رداءة التأليف

وكذلك كانت الموسيقى المصرية القديمة بدائية هزيلة ليس فيها عمق ولا سمو ولا معنى فكانت أناشيد الأذكار أعمق ما فيها، وكان جمهور مستمعيها من ذوي الجهالة والضلالة وكان الكلام الذي تتألف منه الاغاني محشواً بألفاظ تركية أو ألفاظ عامية ليس فيها ذوق أو جمال مثل : —

ماشفتوش «علي» يا ناس لابس قميص ولباس
وبيلعب السبرجاس عالقنطرة

لكن الغناء في هذه الايام تطوّر تطوراً مشكوراً محموداً فها هو الاستاذ محمد عبدالوهاب يعمل على رقية الشعر وتنقيته بأغانيه فصوّر لهم تاريخ كليوباترا المجيد في

أغنية كليوباترا ويجنبهم الشقاق والخلاف في أغنية (إلام الخلف) ويدفعهم الى المطالبة بحقوقهم الوطنيــة في أغنية السودان ونشـيد العلم وغيرها من الأغاني بل من الدروس الاجتماعية الخالدة وها هي صاحبة العصمة الآنسة أم كلثوم ابراهيم كوكب الشرق تصف الربيع وتغني للعيد وفي هـذه الأغاني وغيرها تسمع غناء شرقي الطبع ، انساني المنزع والغاية وذلك لأنها تختزن في ذاكرتها القوية مدداً لا ينفد من المشاهدات والملاحظات وتطالعنا موسيقاها في أغنية (غلبت أصالح في روحى) بخيال سامٍ وفكر عميق وهي مزيج بديع من العـقل الشرقي في كمال يرتفع عن الشهوات وجمال ما بعده جمال. ثم هي لم تقتصر على الغناء الوصفي بل سبقته الى غناء أسميه (بالغناء الوطني) كما في (أغنية السودان)

هـذا الغناء كله تهذيب وإصلاح لأنه يطهـِّـر العقول من طايش الشباب ونزواته وإنه لمن دواعي الفخر أن يكون لأم كلثوم الفضل الأكبر في (الغناء الروحاني) كما أسميه وهو غناء يُقصد به تطهير القلوب من نزواتها وشرورها وحملها على العبادة وذكر الله فها هي تصور لنا حياة العرب أيام الرسول وما فيهــا من نسك وعبادة وكأنها حين تغني تستحضر صور الرسل والأنبيــاء بما لهم من مهابة وجلال . ذلك لأنها تغني كلاماً هو أقرب الى التصوف والعبادة بل أن في غنائها له تصوف وعبادة لأنها بحسن أدائها وبراعة تصويرها للمعاني تخلق لنا حياة صوفية حية ناطقة . فهي حين تغني ذاكرة خالقها أو مادحة رسوله الكريم إنما تعبر عن إخلاصها وصدق إيمانها وعميق حبها لله والرسول . وها كم مثل من أغانيها الصوفية : —

ولا ينبيك عن خلق الليالي　　كمن فقد الأحبة والصحابا
فمن يغــتر بالدنيــا فاني　　لبست بها فأبليت الثيابا
جنيت بروضها ورداً وشوكاً　　وذقت بكأسها شهداً وصابا
فلم أرَ غــير حكم الله حكماً　　ولم أرَ دون باب الله بابا

وها هي أم كلثوم أيضاً تمدح النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدتها المحبوبة نهج البردة التي جاء فيها :

لزمت باب أمير الأنبياء ومن　　يمسك بمفتاح باب الله يغتنم
محمد صفوة البــاري ورحمته　　وبغية الله من خلق ومن نسم

وكذلك تصور لنا أم كلثوم في أغنية (وُلد الهدى) جمــال الدين وجلاله وعظمة الرسول وكماله إلى غير ذلك من الأغاني الروحية الخالدة .

ورحم الله أحمد شوقي بك الذي نظم هذه الدرر الغوالي التي تغنيهــا أم كلثوم والتي

ازدهى بها الشعر المصري وصار من الخالدين. وإن قصيدة (وُلد الهدى) لأكبر دليل على خلود شعر شوقي بك لأنها تتضمن معاني واضحة كالشمس ثمينة كالدر عطرة كالزهر صاغها في الفاظ مناسبة لهذه المعاني تمام المناسبة حتى تكاد تعلن عن معانيها بمجرد النطق بها. ولست أدري هل كان رحمة الله عليه ينظم شعراً من ألفاظ ومعان أم يجمع أرواحاً من صور ومعان حين قال :

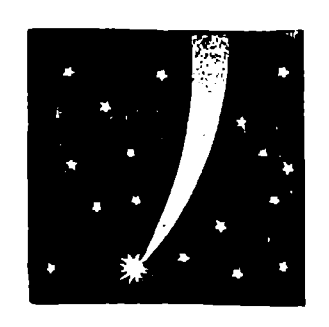
ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ الملائك حوله للدين والدنيا به بشراء

هذه الأرواح وتلك المعاني السامية تغنيها الآنسة أم كلثوم فتضفي عليها من صوتها وفنها ما ينطق هذه الأرواح والمعاني بل إنها بروحها الطاهرة اللغة التي تفهم بها المعاني، أما شجوها .. أما تغريدها فهو المعاني السامية التي نحسها ونلمسها ونشعر بها دون أن نعبر عنها . ولقد رأيت الكثيرين يطلقون البخور ويتوجهون بالدعاء إلى المولى عزَّ وجل حين تغني أم كلثوم (ولدى الهدى) ولما سألت أحدهم عن سبب ذلك قال إنه كاد أن يرى الرسول الكريم في جلاله ومهابته ومن حوله الملائكة يسبحون ويستغفرون .

ربما يعترض البعض علينا بحجة أن الغناء عاطفة . غير أنه أصدق العواطف ما تنزه عن الحاجة والغاية ، ومناجاة الله لا حاجة فيها ولا مقصد من ورائها،فنحن نناجي الله حباً في ذاته الكريمة لا نقصد ثواباً ، ولا نخشى عقاباً.وإذا صدرت عاطفة الحب الصادق عن قلب صادق صارت بذاتها نغماً لا يعادله نغم،كلماته استغفار وأنغامه استرحام،وصداه وحي يوحى إلى القلوب فيملأها نوراً تحيا به الأرواح والأجساد. لهذا كله ارتفع الغناء وبلغ الذروة بغناء أم كلثوم في أغاريدها الثلاث (سلوا قلبي) و (نهج البردة) و (وُلد الهدى) —

وإنه لمن دواعي السرور حقاً ان تراعي محطة الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية النواحي الاجتماعية والخلقية في الأغاني المختارة فهي لا تقبل بحال الأغاني المبتذلة الرخيصة وبعد أفلا ينهج المطربون والمطربات في الوقت الحاضر نهج أم كلثوم وعبد الوهاب في أغانيهما حتى يرتفع الفن إلى درجة النفع والاصلاح .

[المقتطف] : — نشكر كاتب هذا البحث على الجهود التي بذلها في سبيل توضيح تبرير الغناء،غير ان أبيات ابن الفارض المذكورة في صفحة ٢٠٨ ليست نصاً صريحاً بأنها لله ولا يليق أن تكون له تعالى فهي ليست في الموضوع . ثم ان الكلام في الحرام والحلال في الدين أدق موضوع وأصعبه ، فكما لا يجوز ان يحلَّ انسان ما حرَّم الله ، لا يجوز ان يحرِّم ما احلَّ الله فنحن لا نجزم بأن استماع الأغاني حرام.



أندريه جيد
١٨٦٩ – ١٩٥١

توفي في باريس الكاتب الفرنسي الكبير أندريه جيد عن اثنين وثمانين عاماً مخلفاً وراءه ثروة أدبية كبيرة وثروة فكرية غذت العقول وكيّفت الأذهان في قرن من الزمان وسيكون لها في الغد البعيد أثر مذكور ملموس . وقد منح أندريه جيد جائزة نوبل في الآداب في عام ١٩٤٧ تقديراً له على ما أسداه من خدمات للفكر والإنسانية بمؤلفاته الكثيرة ومسرحياته ويومياته وهو عضو المجمع العلمي الفرنسي .

وزار أندريه جيد مصر غير مرة وهو صديق شخصي لمعالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف وقد ترجم له معاليه كتاب «اوديب وثيسيوس» كما نشر له عن دار الكاتب المصري ترجمة لكتابي «الباب الضيق» و«جنة الأفاعي» وقد قام بترجمتهما الأستاذ نزيه الحكيم ، وكتاب «مدرسة الزوجات» الذي ترجمه المرحوم الدكتور صبري فهمي

ولعلَّ من ابرز ما كتبه اندريه جيد «يومياته» وهي تعد تحفة أدبية في منهاجها وقالبها واتجاهها ، غير أنه يؤخذ عليه فيها اتجاهه الى انحراف جنسي في تعبيراته يستغرب كثيراً من مفكر كبير مثله، وأندريه جيد يعد أكبر كاتب في فرنسا وقد وافته منيته على أثر إصابته بالتهاب رئوي حاد صحبه هبوط في القلب فلم تحتمل الثمانون عاماً آلام المرض فقضى نحبه في ليلة التاسع عشر من شهر فبراير ١٩٥١ وكانت الى جواره كريمته الوحيدة السيدة كاترين لامبر وزوجها . وقد زار أندريه جيد روسيا وكتب سلسلة من المصنفات اعرب فيها عن عدم رضائه عما شهده فيها . أما جائزة نوبل التي منحها له المجمع العلمي السويدي فقد قدمت له تقديراً لبحوثه الكثيرة الفنية التي عرض فيها مشكلات الانسانية وأحوالها بغير خوف أو هوى ، وكان محباً للحق مدركاً لشؤون النفس ومشكلاتها .

ومع أن أندريه جيد كان ذا شهرة عالمية إلاَّ أنه كان يعيش عيشة مطبوعة بالتقشف والبساطة والدعة شأنه في هذا شأن برنارد شو . ومن عجب أنه مات بعد شو ببضعة أشهر . ومات بعد سنكلير لويس بشهر واحد ، وكأنما الموت يتربص الآن للأدباء بالمرصاد .

وكان أندريه جيد حتى في أثناء مرضه الأخير يستيقظ مبكراً ليكتب وظلت هذه العادة تلازمه حتى اشتدت عليه العلة وأمسك في فراشه .

✡✡

التقويم الزراعي

لشهر فبراير ١٩٥١

---

(١) — ﴿ الحاصلات ﴾

البرسيم — يستمر في حشه ورعيه

القمح — يسمد للمرة الثانية

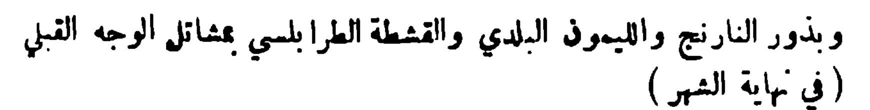
باقي الحاصلات الشتوية — تروى عقب المدة الشتوية وتنقى الحشائش

القطن — يبدأ بزراعته في الوجه القبلي وجنوب الدلتا

القصب — يستمر الكسر والزراعة وري الحلفة

(٢) — ﴿ البساتين ﴾

(ا) — الفاكهة : تستمر زراعة الأشجار ، ويسرع في الانتهاء من زراعة الأشجار التي تبكر في الأزهار كالخوخ والمشمش . اتمام عمليتي التسميد والتقليم قبل تحرك العصارة في الفروع والأغصان بعد فترة الشتاء . زراعة عقل العنب والتين والرمان ،



وبذور النارنج والليمون البلدي والقشطة الطرابلسي بمشاتل الوجه القبلي (في نهاية الشهر)

(ب) — الخضر : زراعة عروات مبكرة من الملوخية والخيار والفاصوليا والقرع والبطيخ والبطاطس الصيفي زراعة عروات من الفجل واللفت والجرجير والرجلة والبقدونس . زراعة عروات متأخرة من الجزر الافرنجي شتل الباذنجان والفلفل (زراعة شهري أكتوبر ونوفمبر) غرس شتلات الخس البلدي والطماطم الصيفية . زراعة بذور الكرفس والكرات أبو شوشة والباذنجان .

(ح) الأزهار: يستمر في تقليم الورد وتنقل الأنواع المطعمة الى الأرض المستديمة ، تجهيز عقل الجازونيا . يستمر في زراعة الأراولة في مكان ظليل . خف الأزرار الزهرية للقرنفل وتجهيز العقل للزراعة . زراعة بذور الداليا والكليوس في أواخر الشهر . تسميد الأشجار والشجيرات .

✡✡





« شاعر وكتاب »

تأليف الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي — صفحاته ٦٤ صفحة من قطع المقتطف

طبع بمطبعة الفاروقية الحديثة بمصر ١٩٥٠

رسالة صغيرة وضعها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي المدرس في كلية اللغة العربية ، للتعريف بالأديب الشاعر النابغة « ابن سنان الحلبي » ، وبكتابه الفريد « سر الفصاحة » .

تناول فيها شخصية الرجل القوية وموهبته الأدبية الممتازة وثقافته الواسعة في ستين صفحة . ودعا الأدباء في آخرها الى العناية بهذا الرجل الفذ والأديب المتضلع . وقد تلونا هذه الرسالة ، فأدركنا الجهد الكبير الذي أنفقه مؤلفها في التعريف بشاعر رصين ، وناقد حصيف من أبناء القرن الخامس الهجري لم ينل حظه من الشهرة الأدبية . وكأن بينه وبين الحظ جفوة وعداء في الحياة وبعد الموت ، كما يقول ابن سنان في جمال :

بيني وبين الحظ داجية　　عمياء لا نجم ولا سحر　　(ص ١٧)

ومع قلة مصاحبتنا للتراث القديم فقد جذبنا المؤلف جذباً للوقوف طويلاً لدى شخصية ابن سنان المتفردة ، ونقده المتزن ، وشعره البديع الذي لمعت فيه أضواء الأصالة .

فابن سنان ، كما أبان المؤلف . رجل ذو إباء وترفع وطموح ، لا يقول الشعر للتكسب كما كان يفعل جلّ شعراء القدامى ، بل للوصول إلى الجاه والرفعة ، وفي ذلك يقول لابن حمدان (ص ٢٦) .

يظن العدى أني مدحتك للغنى　　وما الشعر عندي من كريم المكاسب

أعني على نيل الكواكب في العلا　　فأنت الذي صيرتها من مطالبي

وابن سنان تجمعت فيه سمات الناقد المتزن الحصيف، فهو كما يقول المؤلف (ص ٤١) « منصف في حكمه، معتدل في نقده، يعتمد على الحجة والدليل قبل كل شيء، ويختبر كل شيء بميزان العقل والتفكير. ويرتب كل شيء على أساس العقل واستنتاجه » ومنهج هذا الأديب القديم الكبير في النقد، يماثل المنهج العصري، وهو جدير بالتأمل، والاقتداء، وأنه يبهرنا في بيان منهجه إذ يقول « إنا لا نتسرع إلى نقص الفضلاء، بل ننظر في أقوالهم، ونتأمل المأثور عنهم ونسلط عليه صافي الذهن، ونرهف له ماضي الفكر، فما وجدناه موافقاً للبرهان وسليماً على السّبر، اعترفنا بفضيلة السبق فيه وأقررنا لهم بحسن النهج لسبيله، وما خالف ذلك، وباينه، اجتهدنا في تأويله وإقامة المعاذير فيه وحملناه على أجل وجوهه وأجمل سبله، ايجاباً لحقهم الذي لا ينكر، وإذعاناً لفضلهم الذي لا يجحد »

*

وشعر ابن سنان رقيق، حلو الماء، جزل البناء، يمتاز كما يقول المؤلف (ص ٢٩) «بامتلاء المعاني والأفكار العقلية. وبقوته، وجمال العاطفة فيه، وظهور شخصية الشاعر وغلبتها عليه» وقد أحسن المؤلف بإيراد نماذج من شعره، ووعد بأفراد دراسة مستقلة لديوانه وقد لحظنا في النماذج القليلة التي أتى بها أصالة في صوره الشعرية خليقة بالاعتبار ومن ذلك قوله: (ص ٤٥): —

وقد أتوك بمين من حديثهم يكاد يضحك منه الحبر والصحف

فضحك الحبر والصحف من أقوال أعدائه الكاذبة، صورة شعرية مبتكرة، غير مسبوقة على ما نعلم.

وقوله في عتاب الامير أبي الحسن بن منقذ، (ص ٢٥): —

ومسيري أدب في ظهر عجفاء تبارى أعضاؤها بالهزال

يضم صورة مبتكرة للناقة العجفاء التي يركبها، وكأنما نحافة أعضائها تتبارى مع الهزال.

ولقد خصّ المؤلف لكتاب « سر الفصاحة » احدى عشر صفحة، لخص فيها آراء ابن سنان، في فصاحة الألفاظ المفردة، والألفاظ المؤلفة، والمعاني والفرق بين الفصاحة والبلاغة وما الى ذلك من البحوث وذكر أن هذا الكتاب وعى كثيراً من الآراء الخالدة في الأدب والنقد والبيان، وأنه بحث مفصل في أسرار الفصاحة والبلاغة فهو أثر كبير خالد على الثقافة الأدبية والبيانية (ص ٤٠) ووعد في آخر رسالته نشر كتاب سر الفصاحة

مع صديقه الأستاذ حسن جاد فلعلهما يكونان قد قاما بذلك ليضما الى الذخر البلاغي ، مصدراً من أقيم المصادر .

وأما ديوان ابن سنان ، فإنه يلقى اليوم ، من الأديب السوري اللامع الدكتور سامي الدهان ، أجل عناية في التحقيق والاخراج ، وهو جد جدير بالاضطلاع بهذا العمل الأدبي ، لبصره الحاذق في هذه الناحية .

وببعث هذين الأثرين — كتاب سر الفصاحة ، والديوان لابن سنان ، تعيش بيننا سيرة عربي أديب طموح،نفس عليه معاصروه طموحه ، ولقي حتفه على يد صديق حميم .

ولا يسعنا إلا تهنئة الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي على رسالته الصغيرة ، وأن نبارك جهوده الناشطة في إحياء تراثنا الأدبي النفيس . آملين من المسئولين ، الالتفات الى هذه الجهود ، ومعاونة صاحبها ، وتمكينه من اتقان عمله ، بالتنقيب عن هذا التراث المبثوث في المكتبات الاوربية المختلفة .

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

١ — صور من حياتنا

للاستاذ محمد مجذوب — صفحاته ١٦١ صفحة — طبع بمطبعة الترقي بدمشق

زميلنا الأستاذ محمد مجذوب قد اجتذبته الحقيقة الفنية فصرفته عن واقع الحياة المرير، ونقلته الى عالم آخر يعيش في أبراجه ، لا يعبأ كيف تجري حياة الناس ، وكيف تصاريف الأقدار فيهم ، ولا بما تواضعوا عليه من الاعتراف بالواقع والوقائع ولا بما لزملائه المدرسين من تقاليد قد تصل بهم الى حد الجمود أحياناً . . ولكن لا بأس ، فالخروج على مواضعات الناس شيء مألوف في دنيا المجاذيب ! !

وحسبنا من الأستاذ المجذوب أن يكون مخلصاً لفنه ، فيرسم طريقه في ضوء هذه الحقيقة الفنية التي تتخطى كل الحدود ، لتعبر عن خيال صاحبها وحسب ، غير عابئة في سبيل ذلك بحقائق التاريخ أو الاجتماع أو الطبائع البشرية .

ومن خلال هذه العدسة تتأمل موكبه الحافل تتهادى فيه « صور من حياتنا » كما ينبغي أن تكون ، وقد تخير المؤلف من صور هذه الحياة المثالية عشرين صورة عرضها في ثوب قصصي أو مسرحي جذّاب .

وقد قاس شخصياته على أنماط « المعذبون في الأرض » للدكتور طه حسين باشا ، لنخرج من المقارنة بأن هذه وتلك تجري في حلبة واحدة .

بيد أن شخصياته تعيش في عالمه هو ، وتتصرف بوحيه هو ، وكأنه يمسك بزمامها فيحركها - أنى يشاء - حركات آلية ، وهو بهذا يحررها من عالم الواقعية الجامد ، ليربطها إلى عجلة الفن ، ويضعها في قوالب تضيق بها أحيانا وتتسع أحياناً ، فهو لم يجردها من دائرة الواقع إلى الانطلاق والتحرر ، ولكنه نقلها من دائرة إلى دائرة . وشتان بين الانطلاق في سماء الحرية والتقيد في حدود مضروبة مفروضة ، فرق بين شخصية مثالية تشعر بتفوقها ، وتشعرك بالإعجاب بها أو العطف عليها أو الرثاء لها - وبين شخصية حبيسة (كالموديل) في معرض الأزياء . تلك ذات هدف مرسوم ، تتصرف به وله مهما يكن مغرقاً في الخيال ، فيملؤها هدفها حيوية دافقة ، ويمدها بالدم الفتي الفائر ، النابض بالعواطف والانفعالات ، وهذه ملقاة في مهب الحوادث ، تنتظر أين تتجه لتجرفها في طريقها ..

.. الأولى تقاوم عوامل الأغراء والضعف والوهن ، لتتفوق على ضرورات الحياة ، والثانية تكفيها اللمسة أو الاشارة من أصبع الحياة لتندفع إلى آخر الشوط.

وشخصيات الأستاذ « المجذوب » تجري في هذا المضمار المرسوم تتفاعل في داخلها العوامل الخفية المبهمة التي لا نشعر بها ، ثم تفاجئنا بالانحراف إلى هدف غير معين ، تضيع معه في غمار الناس ، وتعود إلى الحياة التي أراد المؤلف أن يميزها عنها . وتتميز أطوار حياتها بالتحول المفاجيء - عند نقطة معينة - إلى الطريق الذي أراده المؤلف ، تتصرف فيها نوازع الخير والجمال بلا دواع ولا ممهدات ، إلا عواطف الخير التي تبرز فجأة ، وتطفو فتطرد أشباح الشر التي تنصرف صاغرة طريدة بلا نضال ولا ضجة ولا مقاومة .

لكن طلاوة أسلوب الكاتب ، ورصانته وسلاسة حديثه جعلت من هذه الأقاصيص شيئاً ممتعاً حقاً يغري القاريء بمتابعة القراءة ، ويحمله على التأمل في هذه الصور حتى يخرج منها بالمغزى الذي وفق الكاتب إلى إبرازه وتلوينه بألوان عاطفية إنسانية كريمة .

لكن القاريء المصري سيحتاج أحياناً إلى قاموس سوري ليفهم بعض المسميات التي تختلف أسماؤها في البلدين ، كما سيقف - كما وقفت - عند بعض التعبيرات يستوحيها ما تحمل من معان ، ويعصرها عصراً ليستخرج منه المعاني التي تعنيها .

وسيدهش للمحسوبية الصارخة في تفضيل بعض حروف الجر على بعضها الآخر ، كالباء التي تصحبه كثيراً لتعني ما تعنيه (في) و (إلى) ، كذلك سيعثر ببعض الأخطاء اللغوية الشائعة التي لا يدركها إلا الفنيون أمثال الأستاذ « مجذوب »

وهذه الهنات كان لابد منها كالتميمة لهذا المعرض القيم الذي تتجلى فيه صور من حياتنا

متتابعة منسقة في إبداع لا تستطيعه إلا يد فنان واسع الأفق ، متيقظ الحس ، ذي بصيرة نقادة .

وحسب القارىء أن يجد في هذا الكتاب ما يشبع فضوله بالتعمق في صميم الحياة وأن يكشف عن خفاياها المضطرمة في نفوس الأحياء ، أثناء جولاته الموفقة في متحف المؤلف القدير .

٢ — وحي الأمومة

بقلم السيدة روز عطا الله شحفة صفحاته ٢١٨ من قطع المقتطف — طبع بمطبعة صادر ريحاني ببيروت

لاحديث للناس اليوم إلا هذه المظاهرات التي شنتها المرأة المصرية على حكومة مصر وبرلمانها ، وعن هذا الانذار المسلح الذي وجهته لمسئولين ، وستظل مصر — صحافتها وهيئاتها وأنديتها — تتحدث طويلاً ، وتتناول هذه الحركة بالأساليب المختلفة التي تمثل آراء أصحابها حول قضية المرأة ، وفيهم الساخر والمتحامل والمتشائم ، وفيهم المناصر والحايد والمتفائل.

ولقد ارتفعت هذه الاصوات الناعمة بنشيد الحرية ، وهذه الأيدي الناعمة قد ألقت القفاز في وجه المسئولين تتحدى ! !

وبقي أن ننتظر حكم الحوادث ، بعد أن انفجرت هذه القنبلة المعطرة ، فتجاوبت أصداؤها في أنحاء العالم .

هذه الصيحة المدوية في مصر ، يجاوبها صوت آخر من ربوع لبنان . بلد الجمال والحرية ! !

صوت حنون ! لأنه صوت أم تسامت أمومتها ، فوسعت أبناءها ، ثم أبناء وطنها ، ثم أبناء أمتها ، ثم بني الانسانية أجمعين لكنه — إلى ذلك — صوت مجلجل ، لأنه صوت الحق ، عتيد ، لأنه صيحة الايمان ، جريء ، لأنه مزامير الحرية ، مبين ! لأنه دعوة الحياة المثالية للأمة العربية ممثلة في فتيانها وفتياتها ، ونشئها ونسلها . ممثلة في الأساس الجديد لعالم الغد المنشود .

وعلى ما في الحركة النسائية العربية من زيف وبهرج، فان السيدة « روز عطا الله شحفة » صاحبة هذا السفر ، قد ترفعت عن التهريج وتسامت إلى أن تكون داعية حق ، يبشر بنصيب المرأة الكامل في الحياة .

وسبيلها أن تأخذ بيد المرأة العربيـة لتضعها على موطن الضعف في نفسها ، وسبب التأخر في بيئتها ، والجمود في عقليتها — قبل أن تأخذ بتلابيب الرجل ليعترف بأن المرأة قد انقلبت فجأة إلى بطل أسطوري يستطيع ما عجز عنه فحول السياسة والاقتصاد والاجتماع. ولابد لكل منصف أن يوافق السيدة « روز » في الوسيلة إلى هدف المرأة العربية ، فقد علمنا واقع الحياة أن الحقوق لاتستجدى ولكنها تؤخذ ، وأن حقوق المرأة ليست متعاً أو مغانم ولكنها تبعات جسام ، تنوء بها كواهل الرجال

فشاركة المرأة فيها معناها قيامها بنصيبها من أعباء الحياة وهمومها ، والصبر على ممارسة أقسى محنها وتجاريبها .

والرجل — في الحق — لايعارض هذه المشاركة ، ولكنه ينساق مع الطبيعة البشرية الضنينة بكل مسئول مهما يبلغ من الهوان .

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا — إذا قيل هاتوا — أن يملوا ويمنعوا

وسبيل المرأة — التي لا محيد عنها — إلى نيل ما تدعوه حقوقاً ، ونسميه نحن أعباء — أن تحصن نفسها بالثقافة الواسعـة ، والاطلاع المثمر والتمرس بالاعباء الجدية لحياة الأمة، والتسلح بالخلق الكامل والمثالية العالية ، فما قيود المرأة إلا قيود وهمية ، تتحطم من تلقاء نفسها إذا قويت شخصية المرأة وسمت مداركها واتسعت آفاقها ، وقوة المرأة لاتستمد، ولكنها تنبعث من داخلها، فتمهد لها المركز المنشود في الحياة ، وما دام التطور سنة الحياة ، والبقاء فيها للأصلح ، فسيتوسل إليها الرجل - يومئذ - أن تتسلم زمام القافلة، وتقود الحضارة ، ما دام مطمئناً إلى أنها لن تقودها إلى الهاوية .

وللمؤلفة حكمها الفاصل في هـذه القضيـة ، فهى من رائدات النهضة النسوية التي تهدف إلى مشاركة الرجل مشاركة فعـالة ، في احتمال أعباء المجتمع والكفاح في سبيل إسعاده .

وهي من طراز نادر في المرأة العربية ، يجيء ترتيبها في الصف الأول من زعيمات الجيل، أمثال الزعيمة الراحلة «هدى هانم شعراوي »زعيمة النهضة النسائية المصرية ، والكاتبة النابغة « مي » .

ثم هي تسيج وحدها في جهادها ودعوتها إلى حرية كريمة غير مندفعة ولامتهورة .. إلى نهضة مباركة متئدة ، تقوم على أساس من قوة إيمان المرأة بواجبها ، داخل البيت أولاً ، ثم منبعثة خارج البيت مسلحة بقوة الخلق ، وقوة الشخصية ، وقوة العزيمة .

فاذا كان للمرأة العربية دور في النهضة الوليدة ، فمن هنا تكون البداية .. من حيث

تنبثق أشعة الفجر الجديد ! !

وكتاب « وحي الأمومة » يجيء في حينه ليصنع دستور المرأة العربية الحديثة في كلمات :

« فهي تكره الترجل الذي يوجس منه الرجل شراً .. وتمقت الوهن الذي يحلل عقول المغاليات بأنوثتهن .. »

« كما أن عليها مسئولية عظمى عندما تسأل الزواج ، فلا يهمها من الزوج اسمه ولقبه ، وما يسرها من جماله وغناه ، بل لتنظر لمرمى أبعد .. لتنظر لمستقبل بلادها الموضوع بين يديها ، فالشعوب إما أن ترتقي أو تضمحل أمام مذبح الزواج المقدس » .

« الأم ركن من أركان الحضارة ، ولها الحق في تنشئة الطفل ، وبث المثل العليا في نفسه ، وهذا ماينبغي أن تفهمه كل فتاة » .

ثم ليوجه المرأة العربية إلى نقطة البداية :

« أيتها السيدات الحكيمات ، حاملات المصابيح المشعة نوراً ، السائرات بعملكن دون ضوضاء .. أرى أثر الانتصار على التقاليد بثباتكن وعزمكن الذي لم يزعزعه داع من دواعي التفرقة . أثبتن إلى النهاية مؤمنات .. لتقدمن البلادكن دعامة إنسانية سامية » .

وكذلك تمضي السيدة الجليلة حاملة مشعل الحرية الوهاج لبنات جنسها في طريق الحياة الوعر المظلم الشاق ، حتى تؤمنهن عثرات الحياة ، ومتاهات البيداء .

من هذا كان الكتاب سجلا للإصلاح كما تتصوره امرأة مثقفة ، وهو عرض طريف لمشاكل الأمة العربية ، ولذا فهو جدير باطلاع كل فتاة تنشد الثقافة وتبغي الاصلاح ، جدير كذلك بأن تتدبر كل فتاة ، وكل سيدة وكل أم في البلاد العربية ما حواه من آراء ناضجة وأفكار جريئة ، إن لم تحل مشاكلنا ، فقد وضعتها في طريق الحل ، وجدير إيضاً بعناية المشتغلين بشئون الاجتماع في الأمة العربية ، وتربية الجيل الجديد لبناء نهضتها :

وهو موضوعات متفرقة في شئون الحياة عامة ، إلا أنه متساوق الترتيب ، كما تنسجم الأنغام المختلفة لتؤلف أعذب الألحان . ولم يقتصر الكتاب على النسويات بل تناول شتى الموضوعات الأدبية والفنية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية ، تعالجها بأسلوب الأديب المتمكن ، وروح الفيلسوف الهادىء المتزن .

رضوان ابراهيم مصطفى

[المقتطف] يهنىء الكاتبة الفاضلة بكتابها النفيس ويرجو لها اطراد التوفيق والنجاح في توجيه بنات جنسها وبتمنى لكتابها « وحي الأمومة » ما يستحقه من ذيوع وانتشار .

العاصفة – للشاعر وليم شكسبير

تعريب الاستاذ محمد عوض ابراهيم بك — صفحاتها ١١٥ صفحة — طبعت بمطبعة دار المعارف بمصر

لعلي لا أكون مغالياً أو متحيزاً إذا قلت إن الأستاذ محمد عوض ابراهيم بك أول رجل في الشرق العربي يضرب بسهم وافر في هذه الناحية الشائكة من التأليف .

فعوض بك من هؤلاء الرجال الذين أوتوا مقدرة على صوغ العبارات المتزنة المحبوكة في الترجمة التي لا يبزه فيها واحد من اولئك الذين يدعون في كل يوم أن لهم مقدرة على فهم التعريب وباعاً في الترجمة، وكتب هذا الرجل خير شاهد له على تضلعه في هذه الناحية وتفوقه في هذا الميدان الذي هو فيه الفارس المغوار ، وأقرب دليل على قوة هذا الرجل، هذه المسرحية التي عرّبها للشاعر الفذ وليم شكسبير فقد بذل فيها عوض بك جهده في سبيل اخراجها في هذا الثوب الجميل الذي زها بحسن وشيه واختال بما خلعه عليه من رسوم ونقوش.

فالمسرحيـة تمثل حقبـة من أخطر الحقب في تاريخ دوق ميلان الذي كان عاكفاً على دراسات عقليـة ، منشغلاً بها عن الحكم الذي استبد به اخوه واستعان عليه بملك نابولي الذي أصبح ابنه فيما بعد صهراً لدوق ميلان الذي حملته الرياح وصيرته الى جزيرة نائية بيد اخيه المستأثر بالسلطة، المتمتع بالسلطان الذي دارت عليه الدائرة بعد ..وأصبح في حالة من الشقاء لا توصف وهو يتجول في انحاء الجزيرة التي اعمل اخوه المخلوع سحره فيهـا حتى جنحت السفينة اليها تحمل ذلك المستبد وملك نابولي وأخوه وابنه ...

وهكذا يمشي المعرّب تعصف به هذه العواصف الهوج التي يتزلزل من هولها قلم كل كاتب جبار .. ولكن عوض بك يمضي في هذه المسرحية على نسق لم نعهده في جميع الذين ترجموا لهذا الشاعر .. إذ لم يتعمد المترجم في ترجمته الأصل مع ما فيه من تعقيد ونقاط يحسن بالمعرب أن يتزحزح عنها ، حتى يتفادى تلك الكبوات التي تتولد من هذا الأصل المعقد الذي مشى عليه المترجم لا يفارق اتزانه ولا يفلت من يده هذا النغم الذي أشجى به عوض بك كل مطالع لرواياته وبحوثه في هذه الناحية التي تدين له بما بذل فيها من جهد، وما ضحى في سبيلها من مال ووقت ..

وأنا لا أخال المطالع لمسرحيـة « العاصفـة » الخالدة التي ترجمها الأستاذ محمد عوض ابراهيم بك إلاّ معجباً ومثنياً على جهاد الأستاذ ... في هذا اللون من الوان التأليف الذي لا يزال صحـراء قاحلة لا يستطيع ارتيادها الاّ أمثـال هـذا الرجل الذي لا يزال على طول ما عمل في ميادين العمل . وما جاهد في دور التعليم ، يجد لذة في البحث ، ويصادف توفيقاً في مختلف الميادين .

أبو طالب زيان



الانسان في بداية عصره الذري

نقل المواد المشعة من أعقد المسائل التي يواجهها الخبراء . فان نفاذ اشعاعاتها الى الأجسام الحية يعرضها لعدة علل منها الموت المحقق، ولا يستطيع الانسان في بداية عصره الذري أن يتخلى عنها لأنها أصبحت من أهم المواد في علاج ودراسة كثير من مشكلات الصناعة والزراعة والطب

ولهذا لجأ الإنسان إلى وسائل شيطانية تتيح له استخدام هذه المواد كما تقيه شر التعرض لأشعاعاتها

ويذكر القارىء أن مادتي الرصاص والأسمنت المسلح هما أهم وقاية لا تنفذ منهما المواد المشعة ولهذا فان هذه المواد توضع دائماً داخل كتل ضخمة منهما .

فان كانت هذه المواد ثابتة في مكانها شيدت مواد الوقاية حولها وسلطت عليها الآلات لتحريكها بطريقة آلية تجعل الانسان بعيداً عن الخطر .

وقد ابتكرت الآلات البسيطة التي تتيح للانسان استخدام المواد المشعة وهو بعيد عنها

ومن الطبيعي أن هذه الآلات يجب أن تتوفر في اماكن انتاج المواد وفي اماكن استخدامها حتى لا يتعرض سكان أي الفريقين لاضرارها كما تتخذ الاحتياطات حتى لا يضر بها انسان لا يعرف طبيعتها

ومعامل أدك ريدج بأميركا هي أكبر مؤسسة تعني بانتاج المواد المشعة التي بلغ عددها حتى الآن نحو ١٠ آلاف مادة تستخدم في شتى الاغراض

*

ومن أبسط الوسائل التي ابتكرتها الصناديق والآلات اللازمة لنقل هذه المواد من مكان الى آخر، فتوضع المواد المشعة في أوعية صغيرة داخل صفائح ضخمة من الرصاص وقد يكون وزن المادة المشعة بضعة دراهم ولكن وزن الصندوق قد يصل الى طن أو أكثر.

الاشعة الذرية في نقل البترول

من المشكلات التي تواجهها صناعة زيوت الوقود مسألة نقلها . ولتوفير نفقات الشحن تلجأ الشركات الى مد أنابيب تنقل المواد من الآبار الى معامل التنقية ومنها الى مراكز التوزيع في أنحاء البلاد . ومن الميسور نقل الزيوت الخام لأنها من نوع

واحد أما بعد التنقية فان العملية تصبح معقدة فان الأنبوبة تنقل خمسة أنواع من زيوت الوقود كالكيروسين والبنزين والديزل وغيرها.

*

وكانت مهمة فصل هذه الانواع عن بعضها البعض من أشق الأمور وتستلزم ضياع فترات كبيرة من ساعات العمل حتى لاتختلط الانواع ببعضها البعض. وقد تمكن الخبراء أخيراً من حل هذه المشكلة بالاستعانة بمادة الأنتيمون المشع الذي يصنع في المعامل الذرية. فعند أول كل أنبوبة تنقل الزيوت النقية توضع فيها كمية من الانتيمون المشع لتفصل بين انواع الزيوت فاذا سارت الى نهاية الخط فانها تصادف جهازاً ينذر بقدوم مواد مشعة فيدرك العمال أن نوعاً جديداً من الزيوت سيبدأ ويضعونه في الأوعية الخاصة به.

وقد ابتكرت هذه الطريقة وستستخدم قريباً على أحدث خطوط نقل الزيوت في اميركا وهو خط طوله ٥٦٦ ميلاً ويبدأ من مدينة بيرسو بولاية اهيو.

بكتريا للوقاية من القنابل الذرية

من المشكلات التي يواجهها علماء الذرة مسألة المواد التي تتخلف من عمليات التجارب الذرية وتتسلل الى الماء أو مواد الطعام وتنتقل الى جسم الانسان. فبعض هذه المواد قوي الاشعاع وبعضها ضعيف وبعضها يمكن عزله واتقاء شره ولكن بعضها طويل العمر ولا يمكن عزله فاذا دخل جسم الانسان قتل الخلايا المحيطة به وبالتالي انزل المرض أو الموت بحامله.

ومن أخطر هذه المخلفات مادة البلوتونيوم الجديدة فهي تتجمع في العظام وفي الطحال وتعيش مشعة نحو ٢٥٫٠٠٠ سنة فاذا تسرب منها الى الماء جزء واحد من تريليون جزء فانها تعد خطراً على الصحة.

ومن المعروف أن البلوتونيوم من المواد المشعة المستخدمة في القنابل الذرية وقبل أن تلقى هذه القنابل على هيروشيما وناجازاكي والمعامل الاميركية تحضر هذه المادة وتدرس كيف يمكن الخلاص من اضرارها

وأذاع أخيراً المهندسان جون نيوول وكر نستنسن بياناً قالا فيه انهما وفقا الى حل قد يزيل اضرار هذه المادة، وهذا الحل هو نوع من الاحياء الدقيقة التي تتكون في المجاري ومصافي الماء، فلهذه الاحياء شهية غريبة لالتهام وهضم مادة البلوتونيوم المؤذية للانسان

وقد جربا عملية زرع هذه البكتريا والاكثار منها ثم غذياها بمواد قاتلة من البلوتونيوم فتفتحت شهية البكتريا هذه

المادة والتهمت نحو ٩٥ في المئة منها . وقد وضعت هذه البكتريا في عدد من الخزانات التي يمر عليها الماء الملوث بمواد البلوتونيوم المشع فكانت النتيجة ماء عاديا غير ضار بالانسان فقد التهمت البكتريا المواد المشعة وتركت الماء القراح

وفحصت حالة البكتريا بعد هذه الوجبة الخطرة فلوحظ أن المواد المشعة لم تصبها بضرر، فاذا كانت الوجبة ثقيلة عليها فان درجة حرارتها ترتفع قليلاً ولكنها لا تلبث أن تعود الى الدرجة العادية

وتجري البحوث الآن لمعرفة أفضل الوسائل للافادة من هذه البكتريا للخلاص من الفضلات وللاستعانة بها في حالة تلوث بعض البقاع بالمواد المشعة نتيجة لانفجار قنبلة ذرية فيها .

علاج جديد لأمراض الصدفية

أصبح الآن من المستطاع علاج المرضى بالصدفية وغيرها من أمراض الجلد الشبيهة بها بنجاح إذا ما تعاطوا حبوبا تحوي الأوكسيد الدهني الموجود في الحلوى ، فقد كتب الدكتور هنري هاريس بيرلمان في صحيفة اتحاد الأطباء الأمريكية يقول إن تحسناً ملحوظاً في ١٧ حالة من المرضى بالصدفية — بعضهم امتنع عن الهرش والبعض الآخر اختفى هذا المرض من جسمه بعد أن عولج بالدواء الذي استنبطه . غير أن رئيس تحرير الصحيفة ، حذر القراء من التغالي في التفاؤل إذ ما زال البحث في أطواره الاولى ولا يمكن الجزم بشيء إلا بعد مضي وقت آخر ، بل إن الدكتور بيرلمان نفسه يوصي بأن دراسته تحتاج الى وقت آخر كما انه في حاجة الى مرضى آخرين ليقوم بالتجارب عليهم لكي يتمكن من معرفة القيمة الحقيقية لدوائه .

وقد وضع فعلاً لهذا الدواء اسم « انديسلينك اسيد » وقد صنع على صورة مسحوق وصورة مرهم . وكان في الأصل قد اتخذه طبيب من أطباء البحرية لعلاج الأقدام المتنفخة .

وكان ان أدخل عليه بعض التحسين وصنع منه كابسول أعطى لأطفال مصابين بالزائدة الدودية . وقد كان له تأثير حسن ولكنه غير حاسم في العلاج .

ثم اجرى تجارب به على مرضى الصدفية وفيهم من هو مصاب بها منذ سبع وعشرين سنة ومنهم من هو مصاب بها منذ شهرين اثنين . وما أن أعطوا الدواء الجديد حتى اختفى المرض في ثلاثة أو أربعة أيام في بعض الحالات . ولم يختف في حالات اخرى الا بعد اسبوعين أو ثلاثة أسابيع . وبطل الهرش عند المرضى منذ اليوم الثاني أو الثالث . ولكن الهرش ازداد عند بعضهم

اول الأمر ثم أخذ يقل تدريجاً .

وقد اختفى كل أثر للمرض اختفاء تاماً في ثلاثة أشخاص مرضى ، وفي ستة أشخاص آخرين اختفى أكثر من ٧٥٪ من آثار المرض. اما البقية الباقية فقد اختفى منهم المرض بنسبة ٥٠ ٪

انقلاب جديد في عالم التليفزيون

قامت هيئة الاذاعة البريطانية باجراء تجربة جديدة تعتبر الاولى من نوعها في تاريخ الاذاعة التليفزيونية . اذ سيجري تركيب آلات التصوير وأجهزة ارسال تليفزيوني في طائرات تحلق فوق مدينة لندن .وستقوم المحطات الأرضية بالتقاط الصور المرسلة عن طريق الجو وترسلها لاجهزة الارسال التليفزيوني الرئيسية التي ستقوم بدورها بنقلها الى أجهزة التليفزيون التي يمتلكها الأفراد .

ويعلق الخبراء أهمية كبيرة على هذه التجربة وما سيكون لها من أثر في العمليات الحربية في المستقبل . فهي تعتبر من أحسن الوسائل لمراقبة احدى الغارات الجوية . إذ لا شك انه إذا حلقت إحدى الطائرات التي تحمل أجهزة ارسال تليفزيوني خاصة فانه يسهل عليها نقل صورة واضحة عن الهجوم الى مراكز القيادة العليا التي تبعد مسافات بعيدة

ومما يذكر أن أجهزة التليفزيون التي ستستخدم في الطائرة قد ركبت بطريقة لمنع وقوع أي تذبذب محتمل وستنقل الأجهزة في الطائرة صورة واضحة لمعالم المدينة المختلفة .

كنوز من البحار

يرى الدكتور وارنر بجمان الأستاذ بجامعة (ييل) أن ماء البحار والمحيطات سيمد المدينة يوما من الايام بفيض من الأغذية والمعادن لاينضب لها معين .

وهو يعتقد أنه لو تحققت الآمال المعقودة على استنباط الماء العذب من ماء البحار بعزل الأملاح والمعادن الأخرى عنه لأمكن تحويل الصحاري الشاسعة الى مروج نضرة ومزارع خصبة تغل من الخيرات والأقوات ما لا يخطر ببال . قال الدكتور وارنر :

ومع انه قد اهتدى فعلا الى وسيلة لاستبعاد الملح من ماء البحر، الا أنها وسيلة لم تصل بعد الى الحد الذي تصلح فيه لاستغلال اقتصادي على نطاق واسع

أما عن الثروة المعدنية التي يمكن استخراجها من ماء البحار فقد اورد الدكتور أرقاماً في هذا الصدد يقف أمامها

المرء ذاهلاً مشدوهاً فقد ذكر أن مقدار ما في محيطات العالم من ماء يبلغ ٣٠٠ مليون ميل مكعب وانا لو استخلصنا ما يحتويه ميل مكعب واحد من املاح ومعادن أخرى لحصلنا على ما يأتي (١) جبل شاهق من الملح تبلغ زنته ١٧٧ مليون طن (٢) ٦ مليون طن من معدن الماجنزيا (٣) ٤ مليون طن من البوتاس (٤) ٣٠٠ الف طن من البرومين (٥) ٢٢٠٠ طن من اليود (٦) ٢٠٠ الف طن من البوتاس (٧) ٩٠٠ طن من الحديد (٨) ٤٥٠ طنًا من النحاس (٩) ٧٠ طنًا من اليورانيوم (١٠) ١٥ طنًا من الفضة (١١) مقدار قيم من الذهب

هذه هي الثروة الهائلة التي يمكن استخراجها من ميل مكعب واحد من ماء البحر — فان كنت من هواة عمليات الاحصاء واردت أن تستقصي ما في سائر محيطات الأرض من كنوز فما عليك الا ان تضرب كل رقم من هذه الأرقام في ٣٠٠٠ مليون .. !

مخدر جديد

تمكن الأطباء في اميركا من اكتشاف عقار جديد ضد الألم هو من مشتقات المورفين ويؤخذ باطنياً في صورة « كبسولات » وقد أطلقوا عليه اسم « ميتوبون هيدروكلوريك ».

وإن من مميزات هذا العقار انه اقل من المورفين تأثيراً على العمل كالهذيان والارتباك وبعض حالات رد الفعل كالقيء والدوار والاضطراب والعرق والصداع والأحلام غير السارة « الكابوس » ويقال إن قابلية المريض للادمان على هذا العقار بحيث يخف تأثيره عليه أقل من المورفين ومن مميزاته أيضاً أن المريض يستطيع أن يتعاطاه لمدة طويلة دون أن يؤدي هذا الى الادمان .

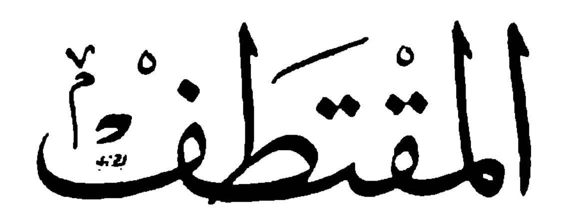
على أن الأطباء يقولون إنه اذا كان قد سبق للمريض تعاطي المورفين بكثرة أو ادمانه عليه فانه لن يكون لهذا العقار الجديد أثر فيه والمفهوم أن الحكومة قد صرحت أخيراً بانتاج هذا المخدر على نطاق تجاري واستعماله لعلاج الآلام العضوية بناء على أوامر الطبيب .

حقن البنسلين بطريقة جديدة

اصبح في الامكان الافادة من البنسلين بطريقة جديدة ، وهي أن يحقن في العضل مباشرة بمقدار يفوق المقدار العادي خمس مرات . وتوضع حقيبة من الثلج على موضع الحقن باعتبار كما يبرد البنسلين خمس دقائق قبل حقنه فاذا حقن أعيدت حقيبة الثلج الى موضعها مع تجديد الثلج مدة ١٢ ساعة وهذه الطريقة تؤخر امتصاص البنسلين ، وتجعل تأثيره فعالاً لمدة أطول. وقد أمكن بهذه الوسيلة علاج ٩١ من مرضى السيلان

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الثامن عشر بعد المئة



الجزء الرابع من المجلد الثامن عشر بعد المئة

April 1951 | ابريل سنة ١٩٥١

سيكولوجية الحنابلة

طبقات الحنابلة [١]

للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

كتاب ترجمة لحياة سبعة وتسعين علماً من أعلام الحنابلة عاشوا في القرنين الخامس والسادس الهجري ٤٦٠ هـ — ٥٤٠ هـ وضعه العالم الثقة أبو الفرج بن رجب (٧٣٦ هـ — ٧٩٥ هـ) وقام بنشره وتحقيقه العالم الفرنسي المستشرق هنري لاووست، والأستاذ السوري النابغة محمد سامي الدهان، وأخرجه المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، في هذا العام.

ويقع الكتاب في ثلاثمائة صفحة، ويشتمل على ترجمة لأعلام الحنابلة في القرنين الخامس والسادس الهجري، وتمهيد مركز بقلم الناشرين عن نشوء المذهب الحنبلي، وأعلام المترجمين لرجالاته من أمثال الخلال والخرقي والفراء، وترجمة لحياة « ابن رجب » وآثاره ومؤلفاته وذيل الكتاب بتسعة فهارس جامعة.

وقد اعتمد المحققان في بعث هذا المخطوط على ثلاث نسخ، كتبت الأولى بعد خمس سنوات من وفاة المؤلف، وكانت عمدتهما في النشر، والأخريان كتبتا بعد نيف وثلاثين سنة، وهذه النسخ الثلاث من أقدم النسخ وأوثقها. (المقدمة ص ٢٨).

(١) الكتاب لأبي الفرج بن رجب — نشر وتحقيق الدكتورين هنري لاووست وسامي

ويشهد المطلع على هذا الكتاب مبلغ الجهد العظيم الذي بذله المحققان في إبراز هـذا المخطوط إلى عالم النور لما قاما به من تصويب للكلمات والنصوص المصحفة والمحرّفة في المخطوطات التي اعتمد عليها ، ولا يسعه إزاء هـذا ، إلاّ أن يحمد لهما صنيعهما لاحياء التراث العربي ، من ناحية ، وتزويد الفكر الحديث بمادة خامة صالحة للبحث السيكولوجي من ناحية أخرى .

وإذا احتفى فريق من الناس بما ضمّ هـذا الكتاب من تراجم كثيرة لرجال أتقياء متزهدين ، وما وعى من أحاديث نبوية ، ومسائل فقهية منثورة هنا وهناك ، وما تحلى به من قصائد في الزهد أو الحب العفيف ، فان احتفاء المصريين ، وفرحتهم به مضاعفة ، لأنهم يقعون فيه على طابع عجيب من الناس ، متغال في الذاتية ، والغ في الانطوائية ، محصور في مثالية روحية ، وهذا الطابع من الناس موجود في كل مصر ، ولكن شخوص هذا الكتاب مجتمعة ، وتبيان سلوكهم ، وتأملاتهم ، وأحلامهم وأشعارهم ، وثوراتهم ، تمد الباحث السيكولوجي بمدد وفير لدراسة هذا الطابع الشعوري الغريب .

فجلهم فار إلى العزلة ، نافر من الحياة ، كاره لما فيها ، متوله بالله . يجد في كنفه راحته وطمأنينته ، وجذله وسعادته وهذا طابع الذاتي المحب لذاته وأهميته .

وبعضهم كان يتكتل حقده على منكرات المجتمع ، فيحمل على ناسه وأحداثه ، بلسانه ، وفي بعض الأحيان بيده ، — فالشريف أبو جعفر — وكان من أعلام الحنابلة كان شديد القول واللسان على أهل البدع ، ينكر المنكرات بيده ولسانه (ص ٢٢) — وأحمد بن الماشي — النقاش يرى مرة في دار السلطان صوراً مجسمة من الاسفيداج ، فيكسرها كلها لأنها منكر (ص ١٣٠) — وأبو سعد البقال — يلقي مغنية خارجة من دار تركي ، فيقبض على عودها ويقطع أوتاره (ص ١٣٣) ، ولمة أخرى كانت تهاجم المواخير وتتبع المفسدات والمفسدين ، وبائعي النبيذ .

ومثل هذه الأعمال العدوانية لها دلالتها السيكولوجية ، ويمكن أن نجد تفسيرها في المركبات الأبوية ، أو الرغبات المكبوتة ، أو الأعراض الذهانيـة ، التي تبدو مظاهرها لدى المضطهدين ، أو المصابين بالميلانخوليا ، أو حالات الفصام .

وكثير منهم عكف على العلم ، واشتغل بفنونه النظرية ، وقضى أكثر ليله ونهاره في التفكير — ومن أذكيائهم ، — أبو الوفاء بن عقيل — ، الذي كان يقول : —

« إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى اذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة ،

وبصري عن مطالعة ، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح ، فلا أنهض إلاّ وقد خطر لي ما أسطره (ص ١٧٦) وقد صنّف مجلدات كثيرة في التفسير والفقه ، والأصول ، والنحو ، واللغة والشعر والحكايات (ص ١٨٨) — وقد بلغ من هيامه بالعلم أنه يخشى على ضياع وقته في أثناء تناول أكله ، فكان يختار سف الكعك وتحسيه بالماء ، على الخبز ، توفراً على المطالعة ، أو تسطير فائدة لم يدركها ! (ص ١٧٧) .

ولم يقف مفكروهم على علم الحديث والعلوم الفقهية ، بل تنوعت اهتماماتهم العلمية ، والأدبية ، فاهتم — أبو الحسن بن الزاغوني — بالمسائل الحسابية ، وله كراسة في عويصها (ص ٢١٨) وبرع — أبو بكر قاضي المارستان — في علوم كثيرة منها الحساب والجبر ، والمقابلة والهندسة ، وله فيها تصانيف (ص ٢٣١) — .

وتضلع — أبو منصور الجواليقي — في علم اللغة ، والأدب ، وصنّف كثيراً في هذه الناحية ، وأمثال هؤلاء العلماء ، والأدباء المتضلعين ، يمثلون الطابع الفكري المنطوي ، المتميز بالتأمل والتحليل ، والعناية بالنواحي النظرية دون العملية .

وإلى جانب هؤلاء المفكرين ، ألمّ كتّاب الطبقات بشعراء ، ينم شعرهم على صفاء ذهن ، ورقة شعور ، والملحوظ في شعرهم ، اتجاهه الى الناحية الانفعالية ، ودورانه حول الزهد ، والآخرة ، والحب العفيف ، وهذا يؤيد طابعهم الشعوري المنطوي ، ومن خير شعرائهم — أبو محمد التميمي — الذي جمع شعره بين الزهد والحب ، فقال في الزهد :

هلموا لنبكي قبل فرقة بيننا ... فما بعدها عيش لذيذ ومجمع

وخل التصابي والخلاعة والهوى ... وأمّ طريق الحق ، فالحق أنفع

وخذ جنة تنجى وزاداً من التقى ... وصحبة مأمون ، فقصدك مفزع[1]

ومن شعره الوجداني المتحرك ، البديع التصوير قوله : —

مررنا على رسم الديار فسلمنا ... وقلنا له : يا ربع أين نأوا عنا ؟!

وجدنا بدمع كالرذاذ على الثرى ... فصُمّ المنادَى فانصرفنا كما كنا

وما ذاك إلا أن رسم ديارهم ... به كالذي نلقى فقد زادنا حزنا

فلما أيسنا من جواب رسومهم ... نزلنا فقبّلنا الثرى قبل أن رحنا

ومن شعرائهم المطبوعين — جعفر السراج — وكان ظريفاً لطيف الأخلاق ، بعكس

أغلب الحنابلة ، وقد نظم كتباً كثيرة ، فنظم في المسائل الدينية كثيراً ، كنظامه في مناسك الحج ، وله شعر وجداني رقيق ، ومن ذلك قوله : —

بان الخليط فأدمعي وجداً عليهم تستهل
وحدا بهم حادي الفرا ق عن المنازل فاستقلوا
قل للذين ترحّلوا عن ناظري والقلب حلّوا
ما ضرّهم لو أنهلوا من ماء وصلهم وعلوا

وكذلك كان — أبو الخطاب الكلوذاني — من شعرائهم الظراف ، وله قصيدة دالية شهيرة في السنة،وله شعر وجداني عذب ، ونوادر شعرية لطيفة ومن شعره الوجداني قوله :ـ

وكم ذا التجني منك في كل ساعة أما لفؤادي من رضاك نصيبُ
لئن كان جنبي عندكم فهو والهوى منيعٌ ولكن الحبيب حبيبُ
وإن كان ذنبي عندكم كلفي بكم فما أنا منه ما حييت أتوب
غرامي بكم حتى الممات مضاعفٌ وقلبي لكم عندي عليّ رقيبُ

ومن لطائفه الشعرية رده على هذه الفتوى : —

قل للامام أبي الخطاب مسألة جاءت إليك وما يرجى سواك لها
ماذا على رجل رام الصلاة فذ لاحت لناظره ذات الجمال لها ؟

إذ كتب على هذه الفتوى يقول : —

قل للأديب الذي وافى بمسألة سرت فؤادي لما أن أصخت لها
إن الذي فتنته عن عبادته خريدةٌ ذات حسن فانثنى ولها
إن تاب ثم قضى عنه عبادته فرحمة الله تغشى من عصى ولها !

والملحوظ أن اهتمام الحنابلة بالعلم النظري أو الأدب كان اهتماماً عارضاً ، وجل اهتمامهم كان محصوراً في علم الحديث والفقه ، وتفكيرهم في هذين العلمين مقصوراً على الأثر ، أي ما يروى عن النبي والخلفاء والصحابة والتابعين ، فهم اتباعيون لا ابتداعيون فأصول مذهبهم ، وفتاواهم الفقهية تنتهي كلها إلى السنة وتأخذ من معينها ، ولهذا تجافوا عن الرأي ، والنظر في علم الكلام وهو العلم الذي يفلسف العقائد ، والفلسفة والمنطق والتصوف وتفكيرهم على مقتضى هذا ، كان تفكيراً قائماً على قوة الحافظة ، والاستنباط ، ولم

يكن لهم هـذا التفكير المنشىء الخلاق القائم على الخيال والاصالة ، وإذا كان قد وجد فيهم كثير من المجتهدين في الفقه ، أمثال الفراء أو ابن تيمية وابن القيم وغيرهم ، فقد كان اجتهادهم ، متصلاً بخيوط الأثرية ، فاذا أخذوا بالقياس أو الاستصحاب أو المصالح المرسلة ، فهو اعتماد على ما كان يأخذ به السلف الصالح عند عدم وجود نص قرآني أو حديث ، ولا نعرف أحداً منهم تحلل من الأثرية إلا النادر ، ونذكر منهم — الطوفي — الذي كان يقدم المصلحة المقطوع بها على النص القطعي [1] وقد كان أكثر اجتهاد الحنابلة موجهاً إلى الاحوال الشخصية والمعاملات، أما العبادات والعقائد فقد كانت آراؤهم فيها نقلية أثرية .

وفي الكتاب الذي بين يدينا ، لا نجد من الأعلام الذين تحدث عنهم - ابن رجب — إلاّ نوادر من المجتهدين ، والمخرجين ، أمثال — علي بن عقيل البغدادي — ، وعبد الله الأنصاري — ، والشريف أبو جعفر — ، وأبو الخطاب البغدادي (الكلوذاني) وقد أورد — ابن رجب — بعض المسائل التي تفرد بها — ابن عقيل ، ومنها : (١) إن النساء لا يجوز لهن استعمال الحرير إلاّ في اللبس دون الافتراش والاستناد ، (٢) إن الربا لا يجري إلا في أعيان نص عليها ، (٣) إن الوقف لا يجوز بيعه وإن خرب (ص ١٩٠) — (٤) التسوية بين الذكور والأناث من الأولاد في العطية ، (٥) الزوجة إذا كانت نضوة الخلق لا يمكن زوجها وطأها إلاّ بجناية عليها ، فأنه يملك فسخ زواجها .

ولأبي الخطاب البغدادي (الكلوذاني) مسائل كثيرة تفرد بها ، وقد أثبتها المؤلف في الكتاب (ص ١٤٧ - ١٥٤) نذكر منها : (١) إن الشاهد لا يجوز له أن يشهد على آخر في كتاب مكتوب عليه حتى يقرأه عليه (ص ١٥١) — (٢) إذا غاب الزوج قبل الدخول ، فطلبت المرأة ، المهر ، فان الحاكم يراسل الزوج ويعلمه بالمطالبة بالمهر ، فان لم يبعث به إلى الزوجة باع عليه ملكه .... (ص ١٥١) — (٣) إذا رأى إنساناً يغرق ، يجوز له الافطار ، إذا تيقن تخليصه من الغرق ولا يتسع المجال لذكر ما تفرد به هؤلاء الأعلام . وفي تضاعيف هذا الكتاب مسائل تشد الالتفات ، منها ما يتصل بالعبادات ومنها ما يتصل بالمعاملات ، ومما جاء في العبادات قول - أبي الحسن بن الزاغوني — (ص ٢١٩ —) : إن المشهور من المذهب ، أن السم نجس ، وفي المذهب ما يحتمل أنه ليس بنجس ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، أكل من الذراع المسمومة .

ومن هـذا المثال الأخير يتضح أن بعض الحنابلة في اجتهادهم ، وإن خالفوا مذهب

(١) راجع كتاب أحمد بن حنبل — تأليف الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة صفحة ٣٠٤

إمامهم ، كانوا يعتمدون على حادث أثري .

والمأثور عن الحنابلة بعامة ، تشددهم في مسائل العبادات وفي المعتقدات ، وتسامحهم في النواحي التي تتصل بالناس كالأحوال الشخصية والمعاملات .

فهم يتشددون في مسائل الطهارة والنجاسة . فسؤر الخنزير نجس ، وكذا الاناء الذي يلغ فيه ، وأكل لحم الابل ينقض الوضوء ، ولم يقل بهذا أحد من الأئمة الثلاثة [1] — وأن المضمضة والاستنشاق واجبان في الوضوء مع أنهما من السنن ، وتارك الصلاة كافر — وشارب الخمر في رمضان يغلظ له الحد ، وإلى جانب هـذا ، فانهم يؤمنون أيماناً مطلقاً بالقضاء والقدر خيره وشره ، [2] ويؤمنون بالمعنى الظاهر في جميع آي القرآن فيعتقدون برؤية الله يوم القيامة ، استناداً على الآية الكريمة : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » فاذا ما ووجهوا بقوله تعالى : « لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » أجابوا بأن المقصود من هذه الآية هو عدم رؤية الله في الدنيا لا في يوم القيامة.

☆

وواضح مما تقدم أن مجال أغلب الحنابلة السيكولوجي كان مجالاً ضيقاً تأثر بعوامل وراثية محافظة ، وبيئية صارمة ، وعقلية مقصورة على ناحية بعينها من التفكير ، وبهذه المؤثرات المختلفة تحدد طابعهم الذاتي الوالغ في الذاتية ، والانطوائي الغارق في الانطوائية ، والسلفي العاكف على الماضي . وكان من آثار هذا الطابع ، أن جانبوا المجتمع، وإذا اضطروا إلى الاتصال بالناس للوعظ أو التدريس ، أو الدراسة ، كابدوا من هـذا ضيقاً نفسيًّا ، ولاقى الناس من بعضهم عنتاً ، لصراحتهم المفرطة ، وابتعادهم عن المداراة ، وقسوتهم ، بل غلظتهم على الناس ، وجرأتهم على الحكام والأمراء .

فهذا — أبو سعد البقال — يعظ الوزير نظام الملك بجامع المهدي يقول : —

« إن من هو على الخليقة أمير فهو في الحقيقة أجير ، قد باع زمنه وأخذ ثمنه » ويقول: « وأنت يا صدر الاسلام ، وإن كنت وزير الدولة ، فأنت أجير الأمة ، استأجرك جلال الدولة بالأجرة الوافرة ، لتنوب عنه في الدنيا والآخرة (ص ١٣٣،١٣٤) وهذا — أبو علي البناء - كان شديداً على أهل الأهواء (ص ٤٢) وهذا — ابن عقيل — يكتب مرة إلى ابن جهير الوزير ، كتاباً جهماً عنيفاً يقول فيه : —

« تُرى بأي وجه تلقى محمداً — صلى الله عليه وسلم . . . ثم كيف تطالب الأجناد

---

(١) كتاب محمد بن حنبل — للاستاذ محمد أبو زهرة ص ٣٥٠ (٢) المرجع السابق ص ١٣٠ .

بتقبيل عتبة ولثم ترابها وتقيم الحد في دهليز الحريم صباحاً ومساء ، على قدح نبيذ، ويبرح العوام في المسكر المجمع على تحريمه ! هذا مضاف إلى الزنا الظاهر بباب بدر ، ولبس الحرير على جميع المتملقين والأصحاب ! »

« يا شرف الدين ، اتق سخط الله تعالى ، فان سخطه لا يقاومه سماء ولا أرض ، وإن فسدت حالي بما قلتُ فلعلّ الله يلطف بي ، ويكفيني هوائج الطباع ، ثم لا تلمنا على ملازمة البيوت ، والاختفاء عن العوام ، لأنهم إن سألونا لم نقل إلاّ ما يقتضي الاعظام لهذه القبائح ، أو الانكار لها ، والنياحة على الشريعة (ص ١٧٩) وهذه الفقرات وأمثالها المثبوتة في كتاب « الطبقات » تفصح عن كثير من سمات الحنابلة ، وصرامتهم في الخطاب وتجردهم عن المداهنة والمراءاة .

وقد ألمّ — ابن عقيل — بسماتهم الجوهرية في الفقرة الجامعة التالية (ص ١٨٤) — والتي صدّر بها الناشران المحققان كتابهما فقال :

« هم قوم خشنٌ ، تقلصت أخلاقهم عن المخالطة ، وغلظت طباعهم عن المداخلة ، وغلب عليهم الجد ، وقلّ عندهم الهزل ، وغربت نفوسهم عن ذل المراءاة ، وفزعوا عن الآراء إلى الروايات وتمسكوا بالظاهر تحرجاً عن التأويل ، وغلبت عليهم الأعمال الصالحة فلم يدققوا في العلوم الغامضة ، بل دققوا في الورع وأخذوا ما ظهر من العلوم ، وما وراء ذلك قالوا : الله أعلم بما فيها من خشية باريها . ولم أحفظ على أحد منهم تشبيهاً ، إنما غلبت عليهم الشناعة [1] لايمانهم بظواهر الآي والأخبار ، من غير تأويل ولا إنكار ... »

وبالنظر لما اتسم الكثير منهم بالصراحة في القول ، وعنف بعضهم على أرباب الموبقات فقد وجدوا من الناس من كان يبسط ألسنتهم فيهم ، ومن كان يرمونهم بالتعصب والكفر والتجسيم ومن كان يؤذونهم ايذاء شديداً ويكيدون لهم كيداً أليماً . فقد جاء في النقل أن أحد أعلامهم — الشريف أبو جعفر — مات بوضع السم في مداسه (ص ٢٩) وورد أيضاً ، أن قوماً زاروا « عبد الله الأنصاري » — ووضعوا تحت سجادته صنماً وادعوا عند السلطان أنه يستحوذ عليه ، ويذكر أن الله في صورته ! فلما نجا من كيدهم أخذوا يأتمرون عليه ، حتى أخرجوه من وطنه (ص ٢٩) .

وعلى هذا الغرار ، لاقى الحنابلة في كل عصر ايذاء من العامة تارة ، وحرباً من الفقهاء البرزين تارة ثانية ، ونضالاً من علماء الكلام ، ومن رجال الدولة أخيراً . ولكنهم لم

(١) أورد الناشر ان كلمة « الشناعة » ويغلب على ظني أنها « القناعة »

يبالوا هذه الحملات المنيفة في الذود عن معتقداتهم متأثرين سيرة امامهم الأكبر — أحمد بن حنبل — الذي ضرب وسجن ليقول إن القرآن مخلوق : فأبى ووقف — كما يقول الناشران في مقدمة الكتاب (م ١٠) عند عقيدته « وهي أن القرآن غير مخلوق » مجاهداً لم ين ولم يفتر ، ولم تتأثر نفسه بما أصاب جسده » ولقد بقي الامام متوجعاً مما أصابه من التعذيب حتى آخر أنفاسه » .

وكما أصاب الظلم أعلام الحنابلة في كل عصر ومصر ، فقد أصاب الظلم سيرهم المكنونة في الطبقات » . فهي لا تزال — كما يقول ، المحققان الفاضلان ، مخطوطة متفرقة في أطراف الأرض منها ما هو في العالم الشرقي، ومنها ما هو في العالم الغربي لا يكاد يُعنى بها الباحثون عناية صادقة ولا يستطيعون فهم العقلية الاسلامية والفرق والمذاهب فهماً عميقاً إلا إذا وقفوا على هذه الطبقات المخطوطة، فأشبعوها درساً وبحثاً وتحليلاً ، وموازنة ومقارنة (م ١٢)»

ولقد أسهم المحققان في إعطاء فكرة كاملة عن العقلية الحنبلية بنشر طبقات ابن رجب وهو أوسع ما وصل إليهما من تراجم الحنابلة ويستطيع الباحث أن يجد فيه بغيته وأمنيته فهو كتاب يطوي تاريخهم ويضم طائفة من الأحاديث مقرونة بالأسانيد المفصلة المتقنة ، كما يحوي مسائل فقهية كثيرة ،وفتاوى عرض منها المؤلف عرضاً غير قليل ، وهو إلى هذا كله جامع لبعض أشعارهم ، (م ٢٧) وكل هـذه النواحي تناولها المؤلف في أسلوب واضح وعبارة سلسة تغلب عليها القوة والمتانة . (م ٢٨) .

وإذا طاب لبعض الباحثين دراسة هذه الطبقات لما وعت من ترجمات ، وما حوت من أحاديث ومسائل فقهية ، فانه يطيب للعصريين دراسة هـذا الطابع من الرجال على ضوء سيكولوجي جديد ، وهو ما حاولناه في هـذا البحث الوجيز كما يشوقهم دراسة نواحي اجتهادهم في المعاملات ، ونظرهم إلى المصلحة كعنصر من عناصر التشريع نظرة رحيبة ، مما دعا المشرعون المصريون إلى اللواذ لآرائهم في تعديل بعض الأحكام الخاصة بالأحوال الشخصيـة ، والوقف ، والمواريث ، والوصية . ولمثل هذه الاتجاهـات التي يأنس بها المصريون ، والتي يجدون مادتها في هذه الطبقات ، يحق لنا أن نسجل للناشرين الجهيرين: الدكتور هنري لاووست والدكتور سامي الدهان — أجل الحمد ، وأعمق العرفان ، لما أنفقا من جهد مقدور وتحقيق بارع صبور ، لبعث هذا المخطوط في أهاب بهي وقور .

وتأميلنا وثيق في متابعة هذين العالمين ، لبعث الجزء الثاني من هذه الطبقات ، وما يقع لهما من المخطوطات الأخرى ، لتوفير المادة . وتهيئة العناصر اللازمة لدراسة النواحي العصرية الجديدة التي ألمعنا إليها .





عصب السلام

للأستاذ الياس يعقوب

لا تنقذ السلام إلا أعجوبة. وإلى أن تحدث الأعجوبة نظل رهن الخوف والقلق والجزع من سوء المصير؛ نعمل للحرب سداً ونتشدق بالسلام جهراً. وكلما تراكمت الأسلحة وتنوعت، نشعر بدنو الساعة التي تدور فيها رحى الموت والخراب.

السلام أمنية الانسان: إن كان في حرب حن اليه، ولا يفارقه إلا موجع القلب باكياً، لأن الحرب إذا ما شبت تجعل النجاة أمراً عسيراً. فريح الموت والدمار تهب من كل صوب والمآسي والويلات تعود لتتكرر. وقد عجز الانسان عن الاستفادة من اختباراته وتجاربه لتشييد عالم جديد على أسس جديدة. لقد استطاع أن يتقن فن الحياة في زمن الحرب، وينظم معيشته وانتاجه تنظيماً دقيقاً، لكن عبقريته أصيبت بالشلل والعقم عند ما واجهت مشاكل السلم، وعجزت عن أن تجد الحلول الصحيحة لها فصح في السلام ما قيل في الزوج، إن الاحتفاظ بالزوج أصعب من الحصول عليه. فالدول التي أحرزت النصر في الحرب فشلت في توطيد السلم العالمي، ولم يتح لها أن تتمتع بهدنة تزيد عن متوسط عمر الانسان. وكل فترة سلام تستمر ما دامت الدول عاجزة عن الشروع باستئناف القتال. وقبل أن تندمل الجراح التي سببتها الحرب الأخيرة ترى البشرية نفسها مسوقة لمواجهة نزاع عالمي جديد. واننا نعلق على هذه الجولة أضخم الآمال وأعذبها، لأنها تستطيع في عرفنا أن تستأصل الشرور وتصفي أسباب النزاع، فتكون بمثابة مطلع فجر جديد لمفاهيم جديدة.

في هذه الفترة العصيبة من حياة العالم، التي تماثل فترة ما قبل العاصفة، وما يسبقها من نذر، غيوم وبروق ورعود، تتردد أصداء مؤتمر للسلم يعقد هنا، ونداء للسلم يصدر من هناك، وهذا الضرب من الدعاية لا يرمي إلى توطيد أركان السلم الحقيقي، بل إن هو إلا وسيلة خفية ماكرة تتوسل بها الدول الكبيرة لفرض السيطرة على الشعوب

الضعيفة ، بعد أن تكون خدرت أعصابها على وقع هذا الغناء الحلو الحنون ، وسممت العقول بما بثت من روح التواكل والتخاذل والانهزام . وإذا ما نزعت بعض الأمم للسلام ونامت على هدهدته ، دون سواها ، آمنت بفلسفة النعومة والسفسطة، وآثرت الاستسلام والاستجداء على الصراع ، فاستشرى بها داء الضعف ، وأضحت لقمة سائغة تلتهمها الشعوب التي ظلت على مبدإ العنف والقوة . إن القوي يبشر بالسلام جهراً ، ويندد بالحرب والذين يدعون لها ، بينما يمد العدة للحرب سراً ، ويعمل لها مادياً ومعنوياً . وإنما يفعل ذلك لتبرير عدوانه ، وللابقاء على ما في قبضته من أرض ذات خيرات كثيرة متنوعة. ومن الطبيعي أن يطلب المستكفي الأمن والهدوء كي ينعم ويتلذذ بما جنت أطماعه إن الدول القوية الداعية للسلام آفة السلام والصفو والطمأنينة ، وربيبة الظلم والعدوان والاستعمار . وليس ثمة سبيل لتوطيد السلم مالم تقم هذه الدول الدليل الصحيح ، وتأخذ على نفسها العهد الأكيد ، إنها لا تفسد جو الحياة على الشعوب المجاورة التي تقل عنها قوة وتختلف عنها أنظمة . وما دام ديدن هذه الدول القوية التوسل بالأيديلوجية لاخفاء المطامع والنوايا السيئة، فان مشكلة السلام في العالم تظل قائمة دون أن تجد حلاً ممكناً .

اننامع رغبتنا الشديدة بالسلام ، وتعلقنا الغريزي بالحياة ، وكرهنا للآلام والمتاعب والدمار ، لم نستطع بلوغ محجة السلام . فحياة البشر كائنة بين مد الحرب وجزرها . ونحن فيما ننشىء من حضارات ، وننجب من نسل ، ثم تشب الحرب فتأتي على كل شيء ، لا نختلف عن الأطفال الذين يلهون على شاطىء البحر : بناؤهم لهو ، وهدمهم لهو . وهم فيما يشيدون أو يهدمون لا أوجاع ولا دماء ولا حسرة . انا لم نحقق السلام لأننا أخطأنا الصراط المستقيم المؤدي إليه ، وأخطأنا في اختيار الحلول التي عولنا عليها لحل مشكلة السلام ، ولم نغمر الى الاعماق لكي نهتدي إلى علة الحروب التي هي أم لكل حرب شبت .

نحن في خلاف حول النظرة إلى السلام في العالم . وهذا الخلاف يعود الى الفروق في الايدلوجية وما ينشأ عنها من تقدير القيم وتصور الحياة المثلى . وتتأثر النظرة كذلك بحكم الموقع الجغرافي ، كأن تكون الحدود طبيعية منيعة ، أو اتفاقية طليقة ، أو تقع الدولة وراء بحار شاسعة تحدق بها من جميع الجهات فتجهل الاحتكاك المستمر والرقابة الدائمة والمنازعات على الحدود . فالسلام في نظر الدول التي استحالت أرضها ميداناً للحروب ، وشهدت مراراً تبدل الحدود الجغرافية ، لا يكون ممكناً ودائماً إلا في العودة الى الحدود التقليدية أو الطبيعية «وان يسلم أعداء الأمة للأمة بحقها» كما يقول «أنطون سعادة».

أما الوضع الراهن فانه لا يصح اتخاذه أساساً لحل مشكلة السلم، لأن كل دولة قوية منتصرة تتشبث بوضعها الراهن وتأبى التقهقر خطوة واحدة. وما لم تتفق الارادات وتتماثل الأغراض فلا سبيل أبداً لاقرار السلام. فلنسأل الآن كيف تتوطد أركان السلام ؟.

بعد أن خرج العالم من المجزرة العالمية الأولى خيل لأصحاب الحل والعقد ان التسلح يقود حتماً إلى الحرب فلصيانة السلام ينبغي اللجوء الى نزع السلاح، أو تخفيفه، أو تحريم بعض أنواعه، والعمل على عرقلة المنافسة في التسليح وصنع معدات الحرب. وقد فاتهم ان الانسان عرف الحرب ومارسها وهو لا يعرف سلاحاً غير العصا. فالقضاء على تقدم السلاح الآني الفتّاك لا يبعد شبح الحرب ويدني السلام. لأن الامبراطوريات القديمة التي قامت على الفتح والسيطرة، لم تعرف وسيلة للتنقل غير الدابة. إن العدوان لا يكمن في السلاح، قلّ أو كثر، بل في اليد التي تحرك السلاح، والفكر الذي يوجّه اليد ويديرها. وكأن الحرب الأخيرة قلبت المفاهيم وتمخضت عن مقومات جديدة للسلم. إذ بات الناس يؤمنون أن القوة دعامة السلام وسياجه ولهذا طفقت الدول تتسابق الى التسلح والسيطرة على المواقع ذات الأهمية الستراتيجية في البر والبحر كي تفاجيء ولا تفاجأ وتضرب دون أن تضرَب. وإلى جانب هذا التهيؤ للحرب تعمد إلى عقد المحالفات وتكوين أكبر كتلة تقف في وقف الكتلة المناوئة. ولتحقيق الغايات المشتركة لا تنتج المعامل إلا ما يفيد في الحرب، وتبقى الجيوش مرابطة في الثكنات أو على التخوم. إن رجال السياسة يعتقدون باصرار ان السلم يولد في الميدان، ومن الحرب يتفجر السلام. والسلام الثابت الدائم هو ما تترسخ أسسه قبل أن تقف رحى الحرب، وما ينبثق من صميم الحرب وتطهره بحور من الدماء والدموع ولاستنباط هذا السلم ينبغي أن تكون الهزيمة التي يمنى بها العدو تامة ساحقة، في جميع الميادين، وتصاب جميع قواته بالشلل والابادة وتدمر كل مرافقه، ويتجرع كأس الذل مترعة. أما بلاده فيجب أن تمزق شر ممزق، وأرضه تقسم ويقترع عليها لتوزع، وينبغي أن يخضع للاحتلال الأجنبي كي تهذبه العبودية وتتحطم كبرياؤه.

إنني لا أدري كيف نستقطر الترياق من فك الأفعى، ونستنبت القمح من الزؤان، ونزرع بغضاء فنحصد محبة وثقة وأمناً ولا أدري كيف نتوسل بالارهاق والاذلال ثم نرجو الحصول على نفوس تتعشق السلام والتسامح والتفاهم. فما دام قلب المنتصر يتنزى غلاً وبغضاً فلا نعجب إذا ما رأينا الحرب تأتي إثر الحرب كالموجة إثر الموجة وهكذا تلقي كل حرب بذوراً لغيرها ونحن لا نختلف عمن يحاول إطفاء الحريق بوساطة المواد المشتعلة.

إن المنافسة في التسلح لا تقف عند حد ولا تبلغ درجة الاكتفاء لأن الدولة ...

تصنع وتكدس تبقى في شك من قوتها ، وتظن أن عدوتها تفوقها في الأسلحة كماً ونوعاً . ولما كانت الأسلحة متنوعة وميادين الحروب مختلفة فلا سبيل للمقارنة بين القوى وتعادلها . وقد لا تتركز القوة في كمية الأسلحة فقط بل تستند الى المواد المحترقة التي هي بمثابة دم لها تبعث فيها الحركة والنشاط . زد إلى ذلك عوامل طبيعية من تضاريس وأنهار وبحار وأحوال اقليمية خاصة تعزز الدفاع أو تقلل من شأنه . فالخوف من اعتداء لم يقع ، والقلق من جراء تكديس المعدات ، وجو الحرب المفتعل الخانق ، ترهق الدول المعنية ، وتستنزف أموالها ، وتخلق حالة من التوتر بسبب ما يبدو من استعداد للحرب .

ويقول آخرون إن السلام لا يتوطد ما دام البشر يتكاثرون باطراد . لأن التضخم في السكان يؤدي الى التنازع على البقاء بين الأفراد والأمم . فلكي نحصل على الاستقرار المنشود ينبغي تحديد النسل . قد يكون هذا صحيحاً فيما لو كانت حاصلات العالم الغذائية تصاب دائماً بالقحط مما يسبب إقلالاً بالغلال ، وفيما لو كانت موارده المعدنية والنباتية لا تتناسب مع حاجته . ليس الاقلال علة القلق السائد ، بل إن العلة كامنة في الجهل بأساليب توزيع الخيرات على الناس توزيعاً عادلاً ، والجشع والاستغلال وقلة المساواة في مبلغ الاستفادة من خيرات الارض ، وانتشار البطالة ، وما ينشأ عن البطالة وعدم المساواة من استياء وتأفف واختلال .

في العصر الحاضر تقوم الحياة السياسية على أساس قومي . وهذا النظام الذي تمخض عنه القرن التاسع عشر قام على أنقاض القرون الوسطى وما ساد فيها من إقطاع ، ونظام طبقات ، والحكم بموجب الحق الالهي .... فقضى على النظام الاقطاعي ، ونقلت السلطة الى الشعب ، وحلت المساواة أمام القانون مكان الامتيازات ونظام الطبقات ، وكفل حرية الفرد في المجتمع ، وصان حقوقه من عبث العابثين ، وأقام التوازن بين حقوق الأفراد وواجباتهم . والقومية تقضي بتقسيم العالم إلى جماعات مستقلة بسبب تمايزها واختلافها من وجوه كثيرة . فهي في ذلك لا تتنافى مع الطبع الذي فطر عليه الناس وهو أن يحيوا جماعات ذات مقومات وخصائص ونفسية معينة اكتسبتها بحكم تفاعلها المستمر مع البيئة في مجرى الزمان . وإن ظهور النزعة أدى إلى تفسخ أمبراطوريات وظهور دول جديدة . وقد ازدادت الكيانات القومية وترسخت قواعدها واكتسبت الصفة الحقوقية بعد الحرب الكبرى الأولى بسبب طغيان الوجدان القومي وظهور مبدأ تقرير المصير . ولما كان يستحيل علينا — عملياً — أن نحدث مساواة تامة بين مختلف هذه الدول ، فلا بد أن تظل الدول الضعيفة ، حسب مفهوم القوة في هذا العصر ، تعيش في قلق

مساحتها ، أو ضآلة عدد سكانها ، أو قلة موارد الثروة فيها ، تقوم إلى جانب دول قوية . وإن في ضعف الأولى ما يغري الثانية بالاعتداء عليها لضمن لنفسها مجالاً حيوياً ، كأن تتخذها سوقاً لسلعها أو مصدراً للمواد الخام التي تفتقر اليها صناعتها . وفي ازدياد هذه الوحدات السياسية تزداد الحواجز ، ويكثر التوتر ، وتتأزم العلاقات بين الدول دائماً .

إلى جانب هذا المظهر السياسي تقوم الحياة الاقتصادية على أساس عالمي . فالتطور الصناعي يختنق إن وقف عند التخوم السياسية المتعارف عليها . إنه يتخطاها إلى سائر أنحاء الدنيا . وان الحاجة إلى مواد خام وإلى أسواق للاستهلاك تزداد بازدياد التطور الذي يطرأ على المصانع الآلية .

إن نظاماً حياً دائم التطور لايمكن أن يتلاءم مع نظام جامد محدود ، ولا بد من أن يحدث اهتزاز يؤدي إلى توتر العلاقات الدولية أو انفصامها . لأن الجندي كثيراً ما يقتفي أثر التاجر ، أو أن المتمول المغامر يجر الدولة أو يزين لها الخروج خارج نطاق الحدود السياسية . وفي ذلك ما يحمل الدول على الاستجابة لأنها أكثر ما تكون بعداً عن الاكتفاء الذاتي من الوجهة الاقتصادية .

ليس المسؤول عن الاضطراب العالمي النظام السياسي — الاجتماعي الذي لم يتطور ليصبح عالمياً كالحركة الصناعية وآثارها الاقتصادية . بل إن المسؤولية العظمى تقع على كاهل الاقتصاد الحديث الذي يتصف بالجشع المادي في مظهريه الشيوعي والرأسمالي ، وكلاهما يتطلعان الى الاستعمار والاستغلال وإن اختلفت الوسائل والاعذار . إن الاقتصاد الحديث لا يخضع لمقاييس القيم الأخلاقيـة أو لقانون خلقي إنه لا يتحسس إلا بالسوق التي تؤله الربح ، ولا تعرف مبدأ غير القيم المالية . وكلا الاقتصادين لا يرمي إلى انتاج أفضل السلع بأفضل الأسعار ، ولا يقوم على مبدأ اجتماعي يرمي الى توفير الرفاهيـة وتأمين الحياة المثلى . وبهذه النظرة المادية الفاسدة تلجأ الدول مسوقة إلى بسط السيطرة على المجتمعات الانسانيـة الضعيفة واخضاعها لمآربها وامتصاص خيراتها . وان هذه الدول الاستعمارية لا تساعد على توطيد السلم وتماسك شعوب العالم وتحابها ، فضلاً عن أنها تؤخر ركب الحياة في الأمم الضعيفة وتفسد نظرتها وإصالتها بحكم طبائع الاستبداد .

إن التقدم البشري وزيادة المواصلات ورقيها جملة ، عوامل أبرزت لنا صورة جديدة للتعاون على حل أزمات العالم في مجتمع جديد أعضاؤه الدول القومية وكما ان الدول القومية منذ إنشائها حتى الآن لم تفكر بإزالة الوحدات الادارية في الوجود ، ولم تأب

الاعتراف بمميزات اقليمية خاصة ببعض المناطق، وبعضها ذهب بعيداً في منح الحرية لهذه الوحدات الادارية في تصريف شؤونها الداخلية، فليس من السهل أو من الخير التعامي عن واقع الامم وتمايزها والتفكير بالانتقاص من سيادتها. لا بد من احترام السيادة القومية حتى تستمر في عملها على زيادة الرخاء العالمي والمساهمة في بناء الحضارات. لكن احترامنا لهذه السيادة لا يفرض علينا تحريرها من قيد أو سلطة عليا خوفاً من التصادم وسحق الامم الصغيرة الضعيفة تحت عجلة الامم القوية المعتدية.

ان تنظيم العالم على هذا الأساس — التسامي بالشعور القومي والتوازن التام بين دوله — يمكن أن يكون عاملاً فذّاً في توطيد أركان السلام. لقد بذلت محاولتان لايجاد سلطة واحدة مسؤولة عن العالم أجمع: تمثلت المحاولة الأولى في عصبة الامم والثانية في هيئة الامم المتحدة. أما الأولى فقد فشلت في مهمتها الأساسية وهي صيانة السلم العالمي. أما الثانية فانها لا تزال قائمة وإن كانت أعمالها لا تبشر بخير عظيم، وان عوامل الضعف والموت صاحبتها منذ نشأتها.

ان إنشاء كلتا المؤسستين في أعقاب حربين عالميتين مهلكتين يعود الى الفكرة القائلة إن المنازعات التي تقع بين الدول لا يمكن حلها على أساس قومي خوفاً من تحكم القوي بالضعيف الذي لا يقوى على مجابهته وان كان مسلوب الحق. ولهذا يستحسن — دفعاً للأذى والغبن، وخوفاً من امتداد الشرارة — فض كل نزاع عن طريق المفاوضات والتحكيم. وكما ان الدول القومية تستمد سلطتها من الشعب، وتكون قوية بنسبة ما يمنحها الشعب من ولاء وتحمس واندفاع في سبيل صيانتها. فان كل مؤسسة عالمية لا ترتفع كلمتها فوق كل كلمة بقدر القوة العسكرية التي تعتمد عليها، بل بمقدار ما يمنحها أعضاؤها من ولاء وينظرون من تأييد وثقة واستعداد لحل كل نزاع بالطرق السلمية. وإذا لم ننجح في تكوين المنظمة التي تفوق سلطتها سلطة كل دولة، فقد كتب علينا أن نقتتل دائماً، ونحتكم إلى القوة، ونعود القهقرى قروناً ونخضع لشرعة الغاب. إن الامم الضعيفة تجني كثيراً من الفوائد إذا ما عملت على احياء ودعم المنظمات الدولية لأنها أكثر عرضة للأخطار وأكثر ما تكون محط أنظار الدول القوية الطامعة. إنها في دخولها في محالفات كالاتفاقيات الاقليمية التي تضم عدة دول اتفقت مصالحها وأهدافها تخسر شيئاً من سيادتها وحريتها دون أن تبعد عنها شبح الحرب. بل ان مجرد انخراطها في هذه المحالفات يشير إلى مخاوفها.

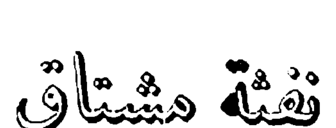
إننا مع القائلين إن الحرب تهدد الحضارة، وتزهق الارواح، وتنشر الخراب، وتفقر

طبيعة لكثرة ما تستنزف من مصادر القوة في زمن قصير ما استغرق تكوينه ملايين سنين . ومع ذلك فانها تستهوي نفوس الكثيرين الذين يرون فيها من الفرص لتحقيق لأغراض أكثر مما يتوفر في زمن السلم . انها تعمل على انتقال الثروات التي تتضخم تتكدس ، وتكسر حدة الفوارق بما توفر للناس من أعمال تتضمن الكسب والنجاح تنشر الرخاء . وعدا ذلك فانها أمنية الشعوب المقهورة التي اغتصبت حقوقها ولم ينصفها سلم فتأمل استرداد هذه الحقوق عن طريق الحرب .

الحرب كوّنت لنفسها أهدافاً وحججاً ومثلاً تدافع عنها وتبشر بها . وسيظل السلم لماً وسراباً بعيد المنال ما لم نشده على أساس جديد ومتين . إن النظرات الاقتصادية لجزئية من رأسمالية وشيوعية لا يمكن أن تضمن لنا السلام لأنها مادية في أساسها . القضايا الاقتصادية ، رغم أهميتها ، ليست كل شيء لأن الدوافع الى الحرب قد تكون معنوية كالروح العدائي الذي يسيّر الشعوب والحسد والخوف ....

لابد لنا من بلوغ النفس البشرية وصقلها وتهذيبها . لقد جربنا وسائل عديدة لتنظيم سلم في العالم ، ألما يئن لنا أن نجرب المحبة كترياق لعللنا ؟ لنمط محبة من قلب محب . ان العالم يحن يشوق الى هذا الخبز أكثر مما يحن إلى الخبز الحقيقي . إن الرغيف يحفظ عليه ينه لكنه لا يجنبه ويلات الحرب . اننا قد نبذل بسخاء ما يعتبر ضرورة جسدية لكن نفوسنا تبقى منكمشة على أنانيتها وحقدها أما النفوس الممتلئة محبة فانها تسعد بالعطاء - أيا كان نوعه — وفي بذل كل شيء لاسعاد الغير دون ما نظر إلى نتيجة العطاء . لمحبة إكسير يحوّل الصفات الخسيسة المترسبة في أعماق النفوس إلى مناقب سامية نقية . نها مفتاح القلوب والشعاع الذي ينير ظلماتها . ومتى قدر للقلوب أن تنفتح ، قدر لناس أن يتفاهموا ويتحابوا . وبدون محبة يستحيل علينا أن نبلغ حالة من التعاون بين الامم ، وتحقيق المساواة . ما اختل التوازن الاقتصادي ، وحصل نزاع على خيرات الأرض الكثيرة ، إلا لأن النفوس أشربت بغضاً وطمعاً . انها تبغي التهام كل شيء وان مات أحوال الغير وأصابهم ضيق وأذى . ليس السلام في تجنب الحرب والاقلال من لتسلح ، بل في الوصول إلى إزالة سوء التفاهم بالود والتصافي . ومتى زال سوء التفاهم انتفت الأسباب التي تقود الى الخلاف الدامي المخرب ، اننا بحاجة إلى نظرة جديدة لمعالجة أزمات العالم ، تقوم دعائمها على المحبة الشاملة التي تستطيع وحدها ، صيانة السلام .

قصيدة



للأستاذ عدنان مردم بك

لا تهيجي لواعج الأشواق   في فؤاد المتيم المشتاق
وتثيري لظى الكآبة في الصدور   وغرب الدموع في الآماق
إنّ نكأ الجراح أسقم للنفس   وأقسى من طعنة الأعناق
حسب هذا المشتاق حرقة وجدٍ   ما تناهت تشب ملء التراقي
ما أشد الشوق المبرح في الصدر   وأشق حقيقة العشّاق

*

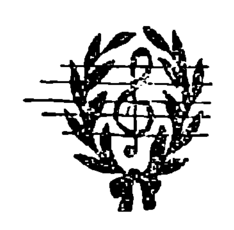
أي داء نفثت في الأكباد   وجراح نكأت في الأعماق
وبجنب المتيم المشتاق   من مرير النوى ونار الفراق
تركته الأشواق نضو شجون   يتلوّى كالصلّ من ارهاق
ينفث الزفرة الكئيبة ناراً   تتلظى من غلة واحتراق
وتكاد الأضلاع يصهرها الوجد   التياعاً من حرقة الأشواق
زفرات كأنها حرق النار   ووجد يحزّ في الأعناق
ويشد الأضلاع شد غريق   لحطام السفين من اشفاق
يا لبؤس القلوب من غصص الشوق   ووجد كالنار غير مطاق
يكتم الصب ما يجشمه الوجد   ويخفي مرارة الاخفاق
والفؤاد الذبيح يخفق شجواً   في حنايا الأضلاع كالأوراق
مثل القلب كالفراشة لما   أبصرت في الدجى وميض ائتلاق
فترامت وما درت أي حتف   إذ ترامت على اللظى ستلاقي !!!



وحدة القصيدة

في الشعر العربي

— ٢ —



للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

نظام القصيدة في الشعر العربي المحدث

ولقد سار أكثر الشعراء في شتى العصور الأدبية على نهج أسلافهم الجاهليين . فالقصيدة عند حسّان أو جرير أو بشّار أو أبي تمام أو ابن هانىء أو المتنبي أو البارودى أو شوقي أو حافظ أو الجارم ، هي هي ، في الغالب مزيج من الأغراض والموضوعات والأفكار والمعاني والعواطف والمشاعر المختلفة . ولسنا نستثنى من ذلك عصراً دون عصر ، ولا طبقة دون طبقة .

ففي قصيدة شوقي في « ذكرى المولد [1] » مثلاً :

سلوا قلبي غداة سلا وتابا   لعل على الجمال له عتابا

نجد مقدمة طويلة في الغزل ، ثم يخرج الشاعر منه الى الحكمة وبيان ما في دين الله من اشتراكية وعدل واخاء ، ويبلغ ذلك في القصيدة نحو الأربعين بيتاً . ثم يبدأ فيذكر ما كان قد نسيه من الاشادة بالرسول العظيم ، وذكرى مولده الكريم ، ويلم به أي بجوهر القصيدة في أقل من خمسة وعشرين بيتاً . وأنتم تعرفون ما في هذا من الأخلال بالتجربة الشعريه [2] وبرسم الفكرة وتوضيحها .

(١) الشوقيات ج ١ ص ٦١—٦٣

(٢) لفظ التجربة هنا ليس معناه المحاولة ، بل ما يعرض للانسان من فكر أو حادث أو احساس أو نحو ذلك (قواعد النقد الادبي ٢٥ — ط ١٩٣٦ بلجنة التأليف) — ويعرفها الدكتور أبو شادي بأنها تأثر الشاعر بعامل معين أو أكثر واستجابته إليه أو اليها استجابة انفعالية قد يكتنفها التفكير وقد لا يكتنفها ولكن لا تتخلى العاطفة عنها أبداً . (ديوانه من السماء ص ٥) وفي كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » للاستاذ السحرتي حديث واف عنها ودراسة شاملة لها

وكذلك صنع شوقي في قصيدته : « مشروع ملنر »[1]

اثنِ عنان القلب واسلم به من ربرب الرمل ومن سِربه[2]

فقد بدأها بالغزل ، ثم تحدث بعد خمسة وعشرين بيتاً في السياسة وموضوع القصيدة، فقال :

ما بال قومي اختلفوا بينهم من مدحة المشروع أو ثلبه

إلى آخر ما قال ..

ومرثية شوقي في مصطفى كامل باشا . .

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما في مأتم والداني

بكى فيها الزعيم ، واستمدّ من خلوده مدداً لحكمه الكثيرة ، التي صاغها بمهارة وحذق ، ثم عدّد مآثر الزعيم ، ووصف موكب الوطن في وداعه ، ونعشه الملفوف بالعلم .

هذه القصيدة المشهورة وحدة الموضوع فيها ظاهرة ، فهي في الرثاء ووقف عليه . ولكن الوحدة الفنية — التي سبق أن تحدثنا عنها ، وجعلناها عنصراً من عناصر وحدة القصيدة — مفقودة فيها ، فهي رغم طولها ليست خلقاً فنيًّا كاملاً ، إنما هي تجارب وعواطف ومشاعر مختلفة ، جمع بينها الوزن والقافية والرثاء .

هي رائعة حقاً من حيث هذه المشاعر الوجدانية الحيّة الرائعة الممزوجة بالحكمة والموسيقى . ولكنها رغم ذلك صورة مضطربة لا تسودها وحدة الشاعرية والفن ، التي نريدها ونطالب بها كل شاعر يؤثر أن يهب شعره للخلود والفن .

وقد نقدها العقاد في كتابه « الديوان » ، فرآها آية الشعوذة والتفكك وانعدام الشعور ، ورأى أن أبياتها أصداف ممتلة كما يقول ، وأنها خالية من وحدة الأسلوب والقصيدة ، فمهما تحذف من القصيدة أو تؤخر أو تقدم ، وبأي بيت تبدأ ، لا يضطرب الشعر ، ولا يختلف المعنى ، ولا تتمنع القصيدة .

ودافع كثير من الأدباء عنها ، فلم يقولوا أكثر من أن فقدان تلك الوحدة وهذا الروح في القصيدة لا يضيرها . وأن حسبها هذه الحيوية والموسيقى وتلك الحكم ، وأنها من عيون شعر الرثاء[3]. وما عدا ذلك من المآخذ ، ومن صلف الشاعر بنفسه وفنه فيها

(١) الشوقيات ج١ ص ٦٤ (٢) الربرب: القطيع من بقر الوحش . السرب بكسر فسكون : جماعة الظباء والنساء (٣) راجع المناصرة للاستاذ السحرتي في الحديث عنها في كتابه « الشعر المعاصر » ص ١٠٩ [illegible] بعدها

لا يضير القصيدة بأي حال [١]

وانتم تعلمون أن صياغة شوقي كما يقول بعض المحدثين لم تكن مستقلة في الغالب ، بل هي « محاكاة للصياغة الكلاسيكية التي ألفت ظلالاً على شخصيته » [٢] . وشعره مزاج من الكلاسيكية العميقة والرومانتيكية الخفيفة والواقعية المحلية » [٣]

هذا النهج الفني العام الذي سار عليه الشعراء الجاهليون والاسلاميون والمحدثون ، هو النهج السائد في القصيدة في الشعر العربي .

ولم يشذ عن ذلك : إلاّ مدرسة شعراء الغزل في عصر بني أمية ، التي وقفت شعرها على الجمال والحب ، وتابع السير في ضوئها العباس بن الأحنف . وممن شذّ عن ذلك أيضاً : أبو العتاهية في زهدياته ، وأبو العلاء في لزومياته التي جعلها وقفاً على الزهد والحكمة والموعظة .. وما عدا ذلك فاتباع للنهج القديم في الغالب ، ومخالفة لهذا التوزع في الفكرة والمعاني والشعور والأغراض في القليل .

ولم تكن دعوة أبي نواس للتجديد في مطالع القصائد ذات أثر بعيد في وحدة القصيدة ، فقد دعا إلى وصف الراح ، من حيث كان غيره يدعو إلى وصف الاطلال والديار ، في مطالع القصيدة :

وقد ضجّ أبو الطيب من بدء القصائد بالغزل ، فقال في مطلع قصيدة له في مدح سيف الدولة :

إذا كان شعر فالنسيب المقدم أ كلّ فصيح قال شعراً متيمُ ؟
لحبُّ ابن عبد الله أولى فانه به يبدأ الذكر الجميل ويختم

ويبدأ أبو الطيب بعض قصائده بالموضوع نفسه فيقول :

لكل امرىء من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدى

ويبدأ بعض قصائده الأخرى بغير النسيب كالحكمة مثل قوله في مدح كافور :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتي ص ١٤٩ و ١٥٠

(٢) المرجع نفسه ص ١٥٧

(٣) [illegible]

أسباب ذيوع هذا المنهج في القصيدة في الشعر العربي

يعلل ذلك أحمد أمين بك بأن العربي لا ينظر الى العالم نظرة عامة شاملة ، وإذا نظر إلى الشيء الواحد لا يستغرقه بفكره ، بل يقف فيه على مواطن خاصة تستثير عجبه . ويرى أن هذه الخاصة في العقل العربي هي السر الذي يكشف لك ما ترى في أدب العرب من نقص وما ترى فيه من جمال : فأما النقص فما تشعر به حين تقرأ قطعة أدبية نظماً أو نثراً من ضعف المنطق ، وعدم تسلسل الأفكار تسلسلاً دقيقاً ، وقلة ارتباط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً ، حتى لو عمدت إلى القصيدة ، وخاصة في الشعر الجاهلي ، فحذفت منها جملة أبيات ، أو قدمت متأخراً ، أو أخرت متقدماً ، لم يلحظ القارىء أو السامع ذلك وإن كان أديباً ما لم يكن قد قرأها من قبل . . ويقول : وهذا النقص تلمحه فيما يكتب في الموضوعات الأدبية ، فأنت إذا قارنت بين ما يكتبه الجاحظ أو ابن عبد ربه أو أبو هلال في الخطابة أو الوصف ، وما يكتبه أرسطو في ذلك ، رأيت الطبيعتين مختلفتين [١] . وفي أكثر ما يقول هذا الباحث جور في الحكم ، وما ذكره من نقص في أدبنا العربي فمنشؤه أن العرب لم تكن من قبل أمة ذات حضارة وعلم وثقافة ، إنما أخذت تنشىء تلك الحضارة والثقافة على مر الأيام .

ويقول الزيات في ضعف وحدة القصيدة في الشعر الجاهلي وفي تعليل ذلك ، ما نصه : يمتاز الشعر الجاهلي بقلة العناية بسياق الفكر على سنن المنطق ، واقتضاء الطبع ، فعلائق المعاني ضعيفة واهية ، ومساق الأبيات مفكك مضطرب ، فاذا حذفت أو قدمت أو أخرت ، لا تشعر القصيدة بتشويه أو نقص . وذلك لأن البدو بطبيعتهم ينقصهم النظر الفلسفي فلا يرون الحوادث والأشياء إلا مجردة ، لا ينظمها سلك ، ولا تجمعها علاقة . ومن ثم كانت وحدة النقد عند أدباء العرب البيت لا القصيدة [٢] »

ويقول بعض أدبائنا المعاصرين في وصف هذه الظاهرة وتعليلها [٣] : « من النادر أن تجد قصيدة عربية تتناول موضوعاً واحداً من أولها إلى آخرها ، لا تخرج عنه إلى موضوع سواه . ولا شك أن بناء القصيدة العربية نفسه يساعد على تعدد الموضوعات ، لأن كل بيت وحدة قائمة بذاتها ، وكثيراً ما يكون كل بيت مستقلاً عما قبله وما بعده . ومن المكروه

(١) فجر الاسلام لاحمد أمين ج ١ ص ٥١ و٥٢

(٢) تاريخ الادب العربي للزيات ص ٣١

(٣) التوجيه الادبي طبعة ١٩٤٠ ص ٢١١ و٢١٢

في الشعر العربي أن يكون في بيت كلمة مرتبطة ارتباطاً نحويًّا بكلمة أخرى في بيت سابق ولاحق. وليس معنى هذا أن يكون كل بيت يتناول موضوعاً جديداً ؛ بل معنى هـذا أن الشاعر الذي يريد الانتقال أو التخلص من موضوع إلى موضوع ، يرى طبيعـة الشعر العربي تساعده على هـذا كثيراً . أضف الى ذلك أن التزام موضوع واحد لا يتناسب تماماً مع التزام القافيـة ، فان تغيير الموضوع يجعـل من السهل ايجاد قواف جديدة ، تناسب الموضوع الجديد . أما اذا التزم الشاعر موضوعاً واحداً فانه لا يلبث أن يستنفد القوافي الى نحو عشرين بيتاً أو ثلاثين . فتنويع الموضوع إذاً يتناسب مع التزام القافية ».

ويجمل الشاعر معروف الرصافي ضعف وحدة القصيدة في الشعر العربي أثراً لعجز الشعراء عن الابتكار ، وغلبة التقليد عليهم ، فيقول : « اتبع أكثر المحدثين خطة واحدة في الغزل والمدح ... ولا شك أن النابغين من الشعراء يخالفون هذه الخطة أو يتوسعون فيها .. ولكن الصورة لا عيب فيها من حيث هي بالذات ، بل العيب في اتباع خطة واحدة والتقيد بها ، كأن مخيلة الشاعر عاجزة عن ابتكار المعاني ، والتوسع في وصف الصور العقلية » . (1)

ويبدو لي أن ذلك يرجع في الجملة إلى ما يأتي : —

١ — ليس ما في الشعر الجاهلي الذي قلده شعراء العربية في جميع العصور — من تفكك واضطراب إلا أثراً لتعدد مناظر الصحراء وألوان الحياة والشعور فيها ، وعدم خضوع الشاعر للمنطق ، أو ميله إلى حبس فكره في ناحية واحدة .

٢ — أنفة الشاعر الجاهلي دعته إلى أن يموّه المدح بكثير من صور عواطفه ومناظر بيئته ، حتى لا يظهر خضوع نفسه لمطالب الحياة وضرورات العيش .

٣ — تقليد الشعراء لمنهج الجاهليين في القصيدة تقليداً شديداً .

٤ — قيود الوزن والقافية في القصيدة ، وطبيعة الشعر العربي نفسه ، وذيوع اللون الغنائي فيه دون القصصي أو التمثيلي إلى غير ذلك من البواعث والأسباب السالفة .



للبحث تتمة

(١) سحر الشعر لرفائيل بطي ص ١١٩ و ١٢٠

تضخم البروستاته

أسبابه — أعراضه — علاجه



للدكتور عبده رزق



«البروستاته» : غدة صغيرة محيطة برأس المجرى البولي عند عنق المثانة. وهي مسطحة مستطيلة الشكل. وتشبه في شكلها ثمرة الكستناء «أبو فروة» الكبيرة الحجم. يحدها من الامام المثانة، ومن الخلف القسم الأسفل من المستقيم، ولها قاعدة ورأس: وقاعدتها أعرض من رأسها وتتجه نحو المثانة، والرأس يتجه اتجاهاً أمامياً وسفلياً. أما من حيث طولها وعرضها فيبلغ كل منهما نحو ثلاثة سنتمترات، كما أن ثخنها يبلغ نحو سنتمتر ونصف. ولوقوع هذه الغدة في العجان périnée، على بعد ٢ — ٣ سنتمترات خلف عظم العانة pubis أي بين الخصيتين من جهة والشرج من جهة أخرى لا يمكن جسها في حالة سلامتها، وهي إلى جانب ذلك مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بوظائف الجهاز البولي التناسلي عند الرجل.

وإذا نظرنا اليها من الناحية التشريحية نجدها مؤلفة من ٤٠ الى ٥٠ غدة صغيرة عنقودية الشكل تسمى حويصلات follicules تفصل بعضها عن بعض الياف عضلية. ولها فصان أحدهما أيمن والآخر أيسر، وبين الاثنين فص أوسط، الذي يصاب بالتضخم عند المتقدمين في السن. وبما اننا قد وصفنا البروستاته وصفاً تشريحياً بصفة كونها غدة في طريق البول التناسلي، وأوضحنا علاقتها بالاعضاء المجاورة لها في التجويف الباطني فينبغي أن نصف التضخم الذي يحدث فيها وهو الموضوع الذي يهم الكثيرين معرفته بالنظر للاصابات المتعددة به وما قد يتسبب عنه من المضاعفات عند المصاب وهذا ما يجب فعلاً الانتباه اليه.

«أسبابه» إن السن التي يحدث فيها تضخم (البروستاته) هو من ٥٥ الى ٦٥ أي بعد متوسط العمر إذ نجد أكثر من ثلث الرجال مصابين به (٣٠ الى ٤٠ في المئة) وذلك بدرجات متفاوتة. في البلوغ يكون حجم البروستاته صغيراً جداً، ومن سن العشرين الى الخامسة والعشرين يكون قد اكتمل نمو تلك الغدة فتبقى على تلك

الحالة حتى الخامسة والاربعين، ثم تأخذ في التضخم تدريجيـا ، وهذا يبلغ أشده ، كما قلنا ، بين سن ٥٥ الى سن ٦٥ ، ويكون حدوثه في الفص الأوسط من الغـدة ، وقـد يصيب أحياناً أحد الفصين أو كليهما ، لكن التضخم يقع غالباً في الفص الأوسط ، ويكون الفصان الجانبيان مسطحين بسبب تضخم الفص الأوسط ممتدين إذ ذاك نحو الأطراف . أما أسباب تضخم البروستاتة فتعزى ، طبقاً لآراء المؤلفين الحديثين ، الى اضطراب يحدث في مفرزات الغدد الصم (الغدد ذات الافراز الداخلي . غير أن السبب الوحيد ، الأكيد لحدوثه هو كبر السن . لأن هذا المرض لا يشاهد قبل سن الخمسين .

﴿ أعراضه ﴾ يتميز تضخم البروستاته ببطء التبويل وعسره مع ثقل وزحير [1] في المستقيم Tenesme rectal بحيث يتوهم المريض أنه مصاب بالبواسير . ففي بدء الأمر يشعر بميل شديد الى التبول ، وبخاصة في الساعات الأخيرة من الليل ، ويجري البول إذ ذاك بدون جهد أو عناء لكنه يكون بطيئاً متقطعاً . ومع ازدياد حجم الغدة يصير خروج البول بالتدفق والتقطع ولا يستطيع المصاب حينئذ افراغ مثانته افراغاً كاملاً فيبقى فيها جزء من البول . وكلما ازداد التضخم يكثر في المثانة احتباس البول فيفسد ويصير نوشادري الرائحة ، وكثيراً ما يكون كدراً فينجم عنه التهاب المثانة cystite . ويعتري المصاب في هذه الدرجة من المرض عسر حاد في التبول مع ميل شديد اليه بحيث لا يقدر أن يبول فتمتلىء المثانة وتمتد وترتفع الى أسفل البطن . وقد ينقطع البول تماماً في بعض الأحيان نتيجـة حدوث انقباضات شديدة تدفع الفص الأوسط المتضخم من الغدة نحو عنق المثانة فيزداد امتلاؤها ويشعر بها عند اللمس على هيئة ورم صلب . وقد تلتبس أعراض تضخم البروستاته باعراض حصوة المثانة فلا يسع المصاب حينئذ إلاّ الالتجاء الى جراح متخصص لتشخيص العلة وازالة السبب — وقد تبدو فجـأة أعراض التضخم إذ يقضي المريض ليلته معتقداً أنه ممتع بما يروم من الصحة والعافية ، فاذا هو يستيقظ صباح اليوم التالي مصاباً باحتباس البول ، وكثيراً ما يكون قد تجرع في يومه السابق مقداراً كبيراً من السوائل ، أو من المشروبات الكحولية فأحدثت له شللاً يعوقه عن التبول فتراه يأخذ أوضاعاً مختلفة حينما يشعر بادرار البول ، وغالباً ما يمنع نفسه عن هـذا الاضرار بسبب الألم الذي يعتريه ، فتزداد كمية البول في المثانة ، وهـذه الزيادة مع ما يصحبها من تنبيه أعصاب جدران البطن تفضي إلى حدوث تشنجات في الجدران مما يسبب ضغطاً في البروستاته فتكون نتيجـة ذلك شدة احتباس البول وتراكمه في المثانة حيث يصبح فاسداً

مما يصيب المثانة والكلى بالتهابات خطيرة يعقبها حدوث التسمم البولي .

﴿ المضاعفات ﴾ : أهم المضاعفات التي تحصل في الاصابة بتضخم البروستاته ما يلي : -

(١) التهاب الكلية مع حوضها الذي يحدث على أثر حبس البول في المثانة ، مصحو بانحطاط في قوى المريض .

(٢) احتمال صيرورة التضخم المشار اليه سرطاناً غشائيـاً Epithélioma في بعض الأحيا

(٣) حدوث بول دموي Hématurie من المثانة، وهذا حدوثه في الأدوار الأولى للمريض ويكون مقتصراً على خروج بضع نقط من الدم عند نهاية التبول ، أي حين لايستطيع المصاب بتضخم البروستاته افراغ مثانتـه افراغاً تامـاً — وهذا مما يؤدي الى الاصا بفقر دم يزعج المريض وأهله .

﴿ العلاج ﴾ : إن البرء من هذه العلة المؤلمة والمضعفة لنادر ، وانما يمكن تأخير سير باتباع الطرق الصحية ، وانتظام المعيشة ، واجتناب البرد والتعب ، مع تليين الأمعاء ، التبول في أوقات معينة وما الى ذلك من التدابير المفيدة الواقيـة التي ينصح بها الطبيب المعالج . ويمكنا أن نلخص هذه الأمور في النقاط التالية : —

أولاً — ﴿ التدابير الصحية ﴾ :

﴿ المشي ﴾ : على المصاب بتضخم البروستاته أن يمشي كثيراً ويقوم بنزهات خلو قصيرة تتخللها فترات راحة كافية . ويفيده المشي على الأخص قبيل النوم ليلاً مدة نص ساعة الى ثلاثة أرباع الساعة حتى ولو كان هذا المشي في البيت .

﴿ الرياضة ﴾ : ويفيده كثيراً فائدة كبرى اجراء بعض التمارين الرياضيـة بانتظام الصباح والمساء لمدة عشر دقائق ، وعلى الخصوص التمارين التي تؤدي الى ثني الفخذين الحوض في أثناء الوقوف . وعليه أن يمتنع عن ركوب الخيل والدراجة .

﴿ الجـلوس ﴾ : يمتنع المصاب أيضاً عن الجلوس الطويل ، لاسيما الجلوس على مقعد حار محشو بالقطن أو بالصوف تلافياً لاحتقان الأعضاء في التجويف البطني .

﴿ ركوب العربات والسيارات ﴾ : يحظر كذلك على المصاب ركوب العربات والسيارا والاسفار ، وإذا كان لا بد من ركوب القطار مثلاً فيجب اجتناب الجـلوس الطويل المقعد ، وإنما يقف من آن الى آخر لمدة بضع دقائق في أثناء السفر .

﴿ المكتب في الفراش ﴾ : النوم الكثير مضر جداً للمصاب بهـذا المرض ، وحد النوم سبع ساعات . ويجب أن يكون فراش النوم خشناً قاسياً محشوا بالشعر وليس بالقط أو بالصوف وعليه أن ينام على الجانبين بالتناوب لا على ظهره .

﴿ الطعام والشراب ﴾ يعنى المصاب عناية خاصة بموضوع الطعام والشراب ، فيقلع بتاتاً عن المشروبات الكحولية والقهوة والشاي كافة ويكف أيضاً عن تناول الأطعمة المتبلة والمهيجة واللحوم المحفوظة والطيور والسمك واللحوم المقددة والمملحة والجبن المملح. ويستحسن الاقتصار مدة عشرة أيام كل شهر على تناول الأطعمة النباتية دون غيرها.

أما شرب الماء الكثير فيضر بالمصاب ضرراً بالغاً لأنه يسبب له احتقان البروستاتة ، والأفضل الاقلال من شرب الماء بقدر المستطاع .

﴿ الامساك ﴾ : من أضر الأشياء التي يجب مكافحتها، فيأخذ قدر عشرة جرامات من (ملح الانكليزي) صباح كل يوم على الريق مذابة في نصف قدح ماء ساخن .

﴿ ادرار البول ﴾ : إذا شعر المصاب بالحاجة الى التبول ، لا سيما في الليل ، فعليه أن يلبي الحاجة دون انتظار أو مقاومة . فاذا شعر بصعوبة في البدء فعليه أن يمشي بضع خطوات داخل الغرفة ليسهل عليه ذلك. ويمكنه أن يعوّد نفسه على التبول كل ساعتين أو ثلاث ساعات فتصبح هذه العادة طبيعية عنده .

أما الثقل الذي يشعر به المصاب غالباً من ناحية المستقيم (ويكون ذلك غالباً من احتقان البروستاته) فيمكن تخفيف وطأته باستعمال المغاطس الفاترة على العجان (أي بين الاست والصفن) ، ثم بالحقن الشرجية بالماء الساخن (١٥٠ الى ٢٠٠ غرام بدرجة ٥٠ مئوية) وينبغي أن يظل المصاب محتفظاً بهذا الماء في داخل شرجه بقدر الامكان .

ثانياً — ﴿العلاج الطبي﴾ : يقوم هذا أولاً — بتمسيد أو تدليك موضعي للبروستاته المتضخمة بيد أحد مهرة الجراحين وهذا أحسن علاج . ثانياً — يجب إدخال مجس أو قثطرة بهدوء وتأن ، بوساطة الطبيب أو الجراح أيضاً في حالة احتباس البول أو نقصه ، خصوصاً إذا كان المريض متضايقاً . أما إذا كان خروج البول سهلاً من المثانة ، فلا حاجة لادخال المجس . ثالثاً — إذا تعذر ادخال المجس أو كان إدخاله صعباً فيجب استعمال مجس خاص ، يبقى ثابتاً في المجرى البولي ، وبوساطته يمكن افراغ المثانة في أوقات منتظمة اراحة للمريض . وإذا لم تأت هذه الوسائط بالفائدة المطلوبة ، وكان حجم الغدة كبيراً فيلجأ عندها الى استئصالها جراحيًّا Srostatectomie . وتجري هذه العملية سواء من ناحية العجان أو أسفل البطن أو من الطريقين معاً وهذه من متعلقات الجراحة . وقد دلت الاحصاءات الرسمية على أن نسبة الوفيات بعد اجراء هذه العملية عن طريق العجان قد هبطت الى ٤ أو ٥ ٪ ، أي ربع ما كانت عليه قبلاً كما أثبت بعض خبراء الجراحين .



على هامش مشاكلنا الثقافية



الكم والكيف
في نهضتنا التعليمية

للأستاذ رضوان ابراهيم مصطفى

ما كان عجباً أن تخطو مصر خطواتها الواسعة في سبيل الثقافة بعد أن دفعتها تيارات الحياة الدولية، ومركزها من هذه الحياة . . وبعد هـذه الرجفة العالمية التي أخذت جوانب المعمورة، وأحدثت شيئاً — غير هين ولا يسير — من التحول في تاريخ البشرية. وصحت مصر على الهول، تتلمس الطريق نحو حياة متكاملة متسامية، تلائم بها بين غابرها في الحضارة، ومكانتها في الغد المنتظر.

وتلفتت تستجمع قواها للنضال، فألفتها مفككة الأوصال، مبعثرة الأعضاء، ورأت الغفوة الطويلة التي منيت بها، قد أشاعت الفتور والتراخي في أعصابها، ورأت موكب الزمن قد سرى بالحياة والناس بعيداً بعيداً، بينما تخلفت عن الركب، ونامت على هدهدة الذل والاستكانة حتى فاتها القطار، وهيهات أن تدرك !!

•

.. ما كان عجباً — إذن — أن تشعر بهـذه الهوة التي تفصلها عن الحياة المتقدمة إلى أمام، فتسارع إلى إعداد نفسها لهذه الحياة، واستكمال النقص، واتخاذ الأهبة.

وكان الجهل أبرز الثغرات التي تعتور بناءها، وتوشك أن تصدعه، فتوثبت لسدها، وحشدت لها السواعد والكواهل وأعلنتها على الجهل حرباً عواناً لا تعرف المهادنة.

واستجابت الدولة لدواعي الحياة، فنزلت إلى الميدان، تحمل الراية وتقود الكتائب لهجوم قوى مركز.

استعدت الدولة ، وبارك الشعب استعدادها ؛ فما أن أعدت الحكومة مشروعات تعميم التعليم ، وإتاحة الفرصة لكل فرد في الأمة ان يصيب منه – على قدر ما هيأته له مواهبه وكفايته واستعداده – نصيباً يتيح له حياة حرة كريمة ...

ماأن اعلنت هذه المشروعات حتى سمعت رنين التصفيق ، ودوي الهتاف يتردد بحياة الديمقراطية !!

لكن المسألة – فيما يبدو – وقفت بالشعب عند حد الأعجاب والاستحسان،فما أن جاء دور التنفيذ ، وتلفتنا نتساءل : إلى أي مدى تطيق إمكانيات الدولة هذه الطفرة ؟ وإلى أي حد سيشارك الشعب في التنفيذ ؟ وما الموقف الايجابي الذي سيقفه الأغنياء ؟ وما دورهم في تسليح هذه النهضة المباركة ؟ ...

.. ما أن وصلنا إلى هذا الحد ، حتى رأينا تناقضاً عجيباً ..رأينا الدولة تندفع بحماسها المتدفق،والشعب يكف عن التصفيق والهتاف ، ثم يرتد على أعقابه ، ويخلفها وحيدة في الميدان ، وكلما تغالت الدولة في حماسها ، كلما أمعن أثرياء الشعب في الفرار من الميدان ، وكأنما كان دورهم فيها دور المتفرج وحسب .وكان آخر الانباء أن تكفلت الدولة بنفقات التعليم العام وجعلته حقاً مشاعاً لكل أفراد الأمة ، جاعلة هدفها ألاّ يقل المستوى الثقافي لأى فرد في الدولة عن هذا القدر من التعليم الذي يستطيع في ضوئه أن يرى الحياة كما هي .

كما كان آخر الخطوات المتخاذلة من الحلفاء الأعزاء ، الانسحاب من المعركة ، والانكماش عن المعونة ، والاحجام حتى عن الهتاف والتصفيق .ولقد أدار الأغنياء ظهورهم حينما دعتهم الدولة أن يؤازروها في تثقيف أبنائهم ، ورفع مستوى أمتهم ، ونحن لا ندري لماذا وإن كان سلوكهم من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى تعليل أو تدليل . لقد استجابوا للدعوة حينما كانت الاستجابة كلاماً يلقى بلا تبعة ، وآمنوا بها حينما لمحوا من خلالها النفع الشخصي ، وتراءت لهم في ثناياها أشباح الغنى والثروة ، أو مظاهر العظمة الشخصية الكاذبة .

فلما عنتهم الدولة بدعوتها ، ورأوا أن ثمن البطولة غال ، وضريبة العظمة فادحة – تنكلوا عنها ، وتراجعوا عن نصرتها ، ووقفوا منها موقف أبي خالد الذي قال فيه شاعره : –

يحب المديح أبو خالد ويهرب من صلة المادح

. . . .

ومهما يكن من رهق وإعنات ، فقد سارت الدولة في طريقها غير مترددة ، ولا متخاذلة ،

فعممت التعليم ، وقررت المجانية ، ويومئذ أشفق المشفقون . المشفقون على موارد الدولة إن سارت إلى نهاية الشوط ، والمشفقون على كرامتها إن هي تراجعت عن وعودها التي ارتبطت بها أمام العالم .

لكنها لم تتراجع ، بل أصرت على أن تواصل التجربة إلى النهاية،فكان أن أرهقت ميزانيتها ، وما بلغت بغيتها مما تريد.لا ننكر أنها قد استطاعت – بكثير من الضغط العنيف – أن تغتصب لكل طالب مكاناً ما ، في مدرسة ما .. !! ولكن مشكلة التعليم لا تحل بإيجاد مكان ما ، في مدرسة ما ، وإنما هي أبعد وأخطر من ذلك . ولكن ماذا تستطيع الدولة أن تصنع ، وهي لا تملك غير ذلك ؟ علم ذلك عند أولياء هذه الأمة !!

ليس هذا مقام الواعظ الذي يحث الناس أن يتبرعوا لتعليم أبنائهم ؛ فلا يضنوا عليهم بشعاع من النور يلقونه على طريقهم الشاق المظلم الطويل في حياة المستقبل ، وأن يصوغوا من أموالهم الزائلة دعائم خالدة ثابتة في صروح الوطن والانسانية .. وليس مقام المستجدي ، الذي يناشد الناس عطفهم على النهضة التعليمية الوليدة.

ولكنه مقام النذير الذي يفتح العيون والآذان على الخطر المحدق ويبصّر بسوء النتائج منذ البداية،ما دامت المقدمات التي لديه تؤكد سوء المصير .

•

هل الأمة شاعرة بحاجتها إلى التعليم ، جادة في تثقيف أفرادها ، إن كانت مؤمنة بذلك فلا مناص من المشاركة في هذه النهضة مشاركة فعّالة تدفعها إلى الأمام ، ولا بد من تقديم العون الفعّال الكفيل بنجاحها – لا بدّ من الأموال الكافية والأماكن المعدة الملائمة وكفى الحكومة أن تجهد جهدها في تقديم الفنيين ، ورسم الخطط وإعداد المناهج،ودعم النهضة وتوجيهها ، وتثبيت أركانها .. وان كانت الأخرى – وأعيذها بالله من شرها – وكانت الأمة غير مؤمنة بالتعليم ، وإنما ارادتها جعجعة بلا طحن وألفاظاً ذات رنين أجوف وخيل اليها أن الدولة قادرة أن تمس أبناء الأمة لمسة سحرية ، فاذا هم – في طرفة عين ... متعلمون ، وضغطت ضغطها على حكومة تستدعيها نهضة البلاد أن تعني بجميع المرافق العامة على السواء ، ومالية ترهقها المطالب الحيوية الفعّالة في مستقبل حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ... إن أبت الأمة الا هذا ، فلا مفر للحكومة أن تخادع الناس وتخادع نفسها ، فتحشر التلاميذ في المدارس وكفى ، ثم تخرج الى الأمة باسمة بسمة النصر ، لا لأنها استطاعت أن تحل مشكلة التعليم ، بل لأنها سخرت من عقول الناس وسترتهم من

حل المشكلة ، ثم ترضى عن نفسها : ويرضى الناس عنها ؛ لأنها أوجدت لأبنائهم أماكن في المدارس ، ويرضى عنها التلاميذ ، لأنها وضعتهم في مدارس لايتعلمون فيها ، بل يقضون جزءاً من يومهم في العبث والتسلية ، ويرضى عنها البرلمان ، لأن ضغط الوسطات والشفاعات من أولياء الأمور على النواب والشيوخ قد تخلخل أو تلاشى .

*

وإلا فماذا تصنع المدرسة التي تستوعب عشرة أمثال ما تحتمل مبانيها ومرافقها وأدواتها ؟

وماذا يصنع المدرس لخمسين أو ستين تلميذاً يتكدسون في حجرة الدراسة بلا نظام ولا ترتيب ؟

وكيف تستطيع إدارة المدرسة أن تشرف على هذا الحشد الحاشد ، نفسيًّا ، واجتماعيًّا وخلقيًّا ، وصحيًّا وثقافيًّا .. على ما فيها من نقص في العدد ، والوسائل ، والكفاية في غالب الأحيان ؟

وماذا تصنع الوزارة إزاء ضغط الشعب وإرادته ، وقد ارتبطت في سياستها برغائب الشعب وإرادته ، حينما اصطنعت الديمقراطية أساساً للحكم وارتضت تكاليفها ؟

وما هي النتيجة المرتقبة بعد كل هذا ؟

جواب ذلك كله عند القادرين من أبناء الأمة . والوزارة إن فعلت ذلك فهي مضطرة أن تفعل ؛ مضطرة أن تلائم بين حاجة البلاد إلى الثقافة ، وحاجة الثقافة إلى الوسائل ، وممالأة الأمة — مصدر السلطات — في فكرتها الخاطئة ، التي تحتم تقديم الثقافة لأبناء الأمة بلا وسائل ، ولا معدات .

بيد أن الوزارة التي ترضى لنفسها أن تستجيب لرغبات الشعب على حساب مستقبل الوطن ، وتسكت صيحاته ، وتحل مشاكله على هـذا النحو — مقصرة في ذات نفسها ، ومقصرة في حق هذا الشعب أبلغ التقصير .

والشعب الذي يطالب الوزارة أن تحشر أبناءه في المدارس حسب .. الشعب الذي يريد أن يأخذ ولا يعطى ، ويرى أنه أفلح في انتزاع حقه من الحكومة بهذا الأسلوب ، وأنه غلبها حين استبد بها فأرغمها على قبول أبنائه في المدارس بالمجان .. ذلك الشعب يقامر بمستقبل الوطن ، وإن ذلك صفقة خاسرة ، غبن فيها نفسه أولاً ، والوطن ثانياً ،

والضحية فيها – أولاً وأخيراً – هم الأبناء الأبرياء ، وهو مستقبل الوطن المنكود الذي ينتظر جيلاً مثقفاً ثقافة حقة يبني عليها مجداً ثابت الأساس ، ويتخذ منها نوراً هادياً يمشي به في الناس .

•

من واجب وزارة المعارف أن تبصر الناس بالخطر المحدق الذي ينتظرهم ، وقد أعذرت حينما استنهضت همم الناس فلم تنهض ، ثم استدرت عطفهم فلم يدر ثم أنذرتهم فلم يسمعوا . ومن واجب القادرين الغيورين على مستقبل الوطن أن يحوطوا النهضة ويباركوها قبل أن تذوى وتتبدد ، وتصبح خبراً مؤسفاً يستدر الدموع أو يلهب الحسرة .

•

إننا من المؤمنين بالطفرة المتوثبة في وسائل الأصلاح ، مهما يحف بها من أخطار وأهوال ومخاوف !! .. وماذا يفعل المتخلف العجلان إلا أن يقفز القفزات السريعة العاجلة حتى يدرك ركب الحياة !!؟ ونحن كارهون أبلغ الكره أن نتراجع عن خطوة خطوناها ولو في طريق وعر ، أو نجلو عن شبر من أرض كسبناها ولو في مملكة الجن .

لكن الوضع القائم لدينا أننا شدنا صرحاً ضخماً على أرض غير متماسكة ، فأما ثبتنا الاساس ودعمنا الاركان وإلا تداعى فتهاوى ، فعاد أنقاضاً تحت أسماعنا وأبصارنا ، ويومئذ نصلى نار الحسرة على ما فرطنا في حقوق وطننا ، وعلى ما بدا منا من حمق وتخاذل .

وأنا أستعيذ بالله أن تبلغ بنا الغفلة والحمق أن نعيد قصة الأحمق الذي أطلق الذئب الاسير :

يحكى أن ذئباً سكن أحد بساتين وزارة الزراعة ، وكان يغير على فلاحيه ليلاً فيفجعهم في أغنامهم وطيورهم وشاء الله أن يعر الذئب ليلة ، فيمد رأسه في جرة الماء ليشرب ، وينحشر رأسه في عنق الجرة ، ويظفر به الفلاحون في الصباح على هذا الوضع المضحك ، فيفرحون ، ويتشاورون في ابتكار حيلة طريفة للقضاء على هذا العدو ، تشبع فيهم رغبة الانتقام ؛ بالتشهير والتنكيل ، ثم التمثيل وبينما العقول تكد في ابتكار الطريقة ، انبرى أحمقهم ، فأهوى بعصاه على رأس الذئب ، فأصابت الجرة فحطمتها ، وفر الذئب ناجياً بسلام

والجهل عدونا الألد ، وقد ظفرنا به أيها الناس ، فلا تدعوه يفلت من قبضتنا الحديدية ، حتى لا ينبعث في كياننا هائجاً فتاكاً مدمراً وحسبه منا الملايين المعبدة

من ضحاياه ، وحسبنـا منه ما أرهق من كواهلنا ، وما أزهق من حضارتنـا ، وما أذل من أعناقنا .

*

بقيت مشكلة الـكم ، وهي مشكلة يضج منها المعلمون والنظار والمفتشون والمراقبون ويشكو منها الفنيون والاداريون ويشكو منها كل مشتغل بالتعليم وكل مهتم بشئونه، وكل مشفق عليـه . يتضح ذلك من التقارير التى تسجل النقائص والمعـايب التي تشوب حركة التعليم ، وتـكاد تودي بجدواه من جراء تـكدس الطلبة في الفصول ، وتـكدس الحصص في جداول المدرسين وعدم كفـاية المقاعد والأبنية والأفنيـة والأدوات والمعامل والأساتذة والمشرفين .

وما زالت الحال تزداد سوءاً على سوء ، وما زالت التقارير تترى منذرة بالخطر، محذرة من سوء المصير الذي ينحط إليه التعليم نتيجة لذلك الضغط المتزايد ، وقد اتفقت الآراء على أن ذلك مهدد لـكيان النهضة التعليمية ، معوق لها عن بلوغ الهدف، مصيّرها الى وهم من الأوهام ، وستار جامد من الرسميات يخفي وراءه العيوب والمآسي .

*

وما زال المسئولون يرفعون هذه التقارير وتلك الشكاوى يوماً بعد يوم ولـكن إلى من يرفعونها ؟ إلى وزير المعارف ؟ إنه هو الآخر يشكو سوء الحال ، ويشفق على مستوى التعليم أن ينزل إلى درك أحط ، ويسجل أرقاماً جديدة في الانحدار .

ولـكن الذي لم يشك من هذا الموضع هم أولياء أمور الطلبة ، لا لأنهم مطمئنون إلى كل هذا ، بل لأنهم يجهلون كل هذا كما يجهلون نتائجه ، ولو اطلع أولياء الأمور على ما يعانيه التلميذ ، وما يكابده المعلم ، وما تشقى به الادارة ، لآثروا أن يعفوا أنفسهم وأبناءهم ومعلميهم من هذه المهمة الشاقة المضيرة القليلة الجدوى ، ولـكنهم لن يفعلوا ، لأن المسألة في نظرهم : شيء خير من لا شيء ، ووجود أبنائهم داخل المدارس بلا تعليم ، خـير من بقائهم خارج المدرسة لما يستتبعه من تبعات مادية وأدبية .

إن سياسة إلقاء الوزر على الحـكومات ، وتحميلها كل تبعات الحياة ، لم تعد سياسة صالحة لهذا الزمان ولا لذاك المـكان ولـكننا ما زلنا نصطنع هذه السياسة التي أضرت بنا أبلغ الضرر، فأولياء الامور يحسبون أن واجبهم ينتهي عند ما يقذفون بأبنائهم إلى

المدرسة . . بداية التعاون على خلق الجيل الكامل الذي سينقذ الوطن مما تورط فيه ، مشكلات،سببها الجهل لذي تخلف بنا قروناً عن قافلة الحضارة التي صرفنا زمامها يوماً .

إن المسألة أخطر من كل هذا . ليست لهواً يديره أولياء الأمور مع وزارة المعار ولا هو خدعة ترشو بها الوزارة هذه الأصوات المرتفعة ، لا ! ولا هو لافتات توضع بناء نشير إلى أن هنا مدرسة ، ولا فصول تزاد في المدارس القديمة على حساب مرافق وملاعبها وأفنيتها ، ولا مقاعد تحشر في الفصول أو تلصق بالجدران ، ولا أعداد تتضخ على حساب النظار والمعلمين والمشرفين والمعامل .. إن هـذا هو السرطان الهدام في كيا التعليم ، والمعوق عن الثقافة .

والنتيجـة ؟ .. النتيجه المؤكدة أن هذه الأرقام التي تتضخم وتمتد على طول الخط تعود فتنكمش وتتضاءل عند ظهور نتائج الامتحانات — على فرض صلاحيتها مقيا للثقافة — والنتيجـة المستتبعة أن ترتفع قبل الامتحان أصوات خافتة تطالب بتخفيف المناهج،وبعدهأصوات عالية تطالب الحكومة بتحسين النتائج ، كما تعهدت بفتح المدارس واستيعاب الصالح وغير الصالح من أبناء الأمة ، ويومها تلقى التهم إلى المسئولين ، ويلق المسئولون التبعة — بدورهم — إلى المدارس ؛ بإداراتها ومعلميها .

وينصب السخط واللعنات على رءوس المعلمين ، ويرمون بأشنع الاتهامات ، ويلج أولياء الأمور إلى أبغض الحلال يومئذ ، وهو الدروس الخاصة ، وتروج هـذه السو التي أفسدت الطلبة والمعلمين وأولياء الأمور معاً ، وأوجدت من الحقد بين هذه الطوائ ما بين مصر وإسرائيل والعياذ بالله مرة أخرى ، ثم ينتهي الأمر بأبغض الحلال والحرام معاً ، وهو محاولات الطلبة أن ينجحوا بأي طريق ولو على أسنة الرماح ، ونسج التقريرات الرسمية حالات وحالات من الغش أو محاولاته أو الشروع فيه .

وتسري هـذه التيارات المدمرة بين الشباب المائع الذي يريد أن يأخذ الحياة بقو السواعد فيما لا تجدي فيه القوة ، وبالعبث واللهو فيما يستوجب الجد والبذل والكفاح

ثم ماذا ؟ ثم تتحول هـذه الهزلية إلى مؤامرة محبوكة الأطراف ، الضحية فيها ه الوطن المنكود بشبابه ؛ لأن هؤلاء يخرجون إلى واقع الحياة الوطنية بأسلحة زائفة يهزلون بمسائله الكبرى ، ويلعبون بمصائره ، ويهزأون بتيماته فيضربون بأعبائه عرض الطريق ، ويعبثون بمقدساته ، ويخونون أماناته ، وينقضون مواثيقه .

وما الفساد والرشوة والاختلاس والاهمال والفوضى والجرائم المتفشية في أخط

وأقدس التبعات الوطنية — إلا نسل عاق لهذه التربية اللقيطة .

وما ظنك بأستاذ مقدر له ، بل مفروض عليه أن يتبنى طلابه ويخالطهم ، ويبصرهم بالمثل العليا ، ويربيهم تربية مثالية ، بالاضافة إلى تثقيف عقولهم ، مع ما يتطلبه ذلك من دراسة نفسياتهم ، وعلاج مشكلاتهم ، وتقويم الشواذ منهم ، ليجعلهم مواطنين صالحين ...ما ظنك به وقد يمضي العام كله فلا يكاد يعرف أسماء طلابه ولا سماتهم ، ولا عاداتهم ؛ إذا حياه أحدهم في الطريق ، فكر وقدر وأجهد فكره سائلاً : أين قابلت هذا قبل اليوم؟ وله العذر كل العذر ، ما دامت ذاكرته تضيق عن حصر المئات من هؤلاء الطلاب وينسيه أولهم آخرهم .

*

لا فكاك لنا من هذا الخطر إلاّ بأن نكون واقعيين ، نواجه الحقائق ولا نتعامى عنها ، ونؤمن بما آمن به كل إنسان ؛ وهو أن الأساس الذي ندفنه في الأرض ونهيل عليه التراب هو الدعامة التي يقوم عليها البناء شامخاً متطاولاً ، وبدونه يصبح البناء وهماً من الأوهام واقتصاد حصاة من الحصيات ، أو البخل بقرش واحد على هذا الأساس قد يكون معناه خسارة محققة في القروش وآلافها ، وفي الحصيات وأحجارها .

ليفتح سادتنا عيونهم وخزائنهم ، وليعلموا أن معالم السيادة قد تغيرت وحال حالها ، فما عادت تجويع الشعب ، أو تركه يعيش في الظلام أو سوقه سوق القطيع ، إنما سيادتهم الحقة مستمدة من سيادته ، وسيادته تعتمد على عقلية مثقفة تغذي انسانيته وتمكن لها .

وخير لهؤلاء السادة أن يعتمدوا على انسانية هذا الشعب بدل أن يعتمدوا على القوة البهيمية المسخرة لتمهيد الحياة الناعمة الوادعة لهم . فانه ليوشك أن تجمح هذه البهيمية فلا تبقي ولا تذر .

وخير لهؤلاء المترفين أن يؤدوا « ضريبة الفكر » مختارين حتى ينشأ الجيل الذي يفكر لهم في استمرار هذا الترف وهـذا النعيم في عصر الأثير والذرة بأساليب الذرة والأثير .

*

أيها السادة.. لقد حكمتكم المادة أجيالاً وأجيالاً فأفسدتكم وأفسدت بكم الحياة ، فمهدوا لحكم الفكر والثقافة ، ثم قارنوا واحكموا : أي الفريقين خير مقاماً وأسعد مآلاً ؟!!

نظرات في النفس والحياة

— ٣٠ —



تتمة نظرات السير أرثر هلبس

للأستاذ ع . ح . ش

(٤٣) كثيراً ما يكون المرء حتى من كانت عنده شجاعة خلقية كبيرة أداة يحركها غيره أو قرباناً وضحية على مذبح الخداع كما يحدث في عالم السياسة أو في الحياة اليومية المعتادة وينبغي للمرء أن يمضي في عمله وفكره لا يبغي تمجيداً ولا حسن ذكرى غير آبه لمدح الناس أو ذمهم فان طاعة الناس ابتغاء مدحهم قد تكون هزيمة لشجاعته الخلقية .

(٤٤) إن الرجل العملي على كثرة مدحه في هذا العصر الحديث كثيراً ما يتقدم بفكرة واحدة غالبة عليه ليهدم مبدأ عظيماً فيكون مثله مثل من يقطع بخيط وجرأة رباط عقد ثمين لأنه لا يستطيع أن يسلك فيه حجراً يمده من الأحجار الكريمة وقد يكون زائفاً غير كريم فينقطع العقد وتنتثر حباته وقد تضيع بعض أحجارها الغالية الثمينة .

(٤٥) إن الأسباب التي يتقدم بها اليك انسان لتفسير سلوكه كثيراً ما تغطي رأيه المستتر فيك فانه يتقدم بالأسباب التي يظن انها توافق أخلاقك وترضيك .

(٤٦) مما يزيد في تواضعنا تتبعنا سلسلة الحوادث الماضية في حياتنا حتى نصل الى السبب الأول فنجد سبب سعادتنا أو تعاستنا سوء تفاهم تافه أو تأخر طارفة صغيرة أو أشباه ذلك من الحوادث التي تدل على سخر الحياة إذ أن السعادة أو التعاسة ليست مؤسسة دائماً على أسباب هامة كبيرة .

(٤٧) يشعر الناس بنوع من الغرور والاعجاب بالنفس يدعوهم الى الغرور بشراستهم والاعجاب بقلة أدبهم اذ يحسبون ذلك فضيلة فيهم تجعل الناس تهابهم فيمعنون في الشراسة وقلة الأدب ويعتبرونهما ميزة لهم وحقاً.

(٤٨) إن القرد يحاكي لمهارته في المحاكاة والأغنام تحاكي لأنها ليس عندها عزيمة وعقل ولكن الانسان هو المخلوق الذي قد يحاكي الأمر الذي يكرهه وما يعرف أنه خطأ خشية لوم الناس

(٤٩) مما يدل على جلال الصدق وضرورته ان الانسان إذا كذب مرة تحايل بالكذب

مرة أخرى كي يثبت أنه كان صادقاً في المرة الأولى فيمعن في الباطل كي يخفي كذبه ويكون كالحيوان الذي يحفر جحراً عميقاً كي يختفي فيه عن الناس، وعمل الانسان هـذا قد يكون سببه الرغبـة في الظهور بالكمال أو قد يكون مؤسساً على اعتباره أن الكذب مكروه متساو في شناعته فاذا كذب كذبة صغيرة شفعها بأخرى كي يخفيها، والعاقل من يعرف ان كل انسان به شيء من الباطل فلا يجـد داعياً لأن يتورط في الباطل، فيكون شبيهاً بمن ريق الحبر على ثيابه كي يخفي بقعة منه عليها .

(٥٠) إنك إذا أكرمت انساناً وكان اكرامك اياه يجلب لك منفعة ومسرة فانك لا تستطيع أن تنال دائماً اعترافه بجميـل ما صنعت، لأنه قد يحمله على محمل ارادتك المنفعـة والمسرة لك، لا نفعه وإكرامه بالجميل الذي صنعت معه.

(٥١) إن الناس كثيراً ما ينفرون ممن لا يخطيء أبداً ويسيئون به الظن، كما ينفر الناس ممن عنده ذلاقة يستطيع أن يثبت بها أنه دائما على حق .

(٥٢) اذا خدعك من حولك كثيراً فاعلم أنك خليق بأن تخدع، إما لضعفك وتصديقك كل ما يقال لك ، وإما لطغيانك وعدم السماح لهم أن يسمعوك ما تكره سماعه .

(٥٣) إن من الضعف أن تخفي عمن تستشيره فيه خشيـة أن تطلعه على اسرارك التي تود أن تبقى خافية ، وأضعف من ذلك أن تأخذ برأيه ونصيحته عند ذلك، لأن رأيه يكون مؤسساً على ما أبديت له دون ما أخفيت عنه .

(٥٤) لا تطلع أحداً على سر قد يضره كتمانه اذا عرف أنه كان يعرفه، فان الحذر كثيراً ما يدعو الى افشائه تجنباً للضرر، ولا تحسب ان طلب العطف والمعاونة يسوغ إطلاعك إياه عليه، ولا تطلع أحداً على سر يزداد عظمة وربحاً بافشائه، فان حب العظمة أو الربح كثيراً ما يغلبان الامانة.

(٥٥) كثيراً ما يأخذ المرء بالفكرة الشائعة من غير تمحيص أو بحث، ثم يجادل ويدافع عنها بكبر وازدراء كأنه أفنى عمره في تمحيصها وبحثها .

(٥٦) قد يُصر الرجل بعد غضبه على صدق كلمات قالها في حالة ثورة غضبه ولم يكن يريد الأخذ بها لولا ذلك الغضب، فيكون مثله مثل من انتقل من حالة هذيان مؤقت الى حالة جنون دائم

(٥٧ من الغريب أن الناس لا يتقاتلون ولا يتعادون كما يفعلون ذلك في الامور العويصة الغامضـة التي لا تدركها عقولهم مثل أمور ما وراء الطبيعة، مع أن عدم فهمهم اياها كان

(٥٨) ليس في الناس مخدوع مثل من يخدع نفسه بمعرفة أصف خداع المخادع وهو يظن أنه يعرف كل نواياه ومقاصده .

(٥٩) إن كلمة (الناس) كثيراً ما يقصرها المرء على طائفة قليلة حوله أو على إنسان أكثر منه ذرابة ومنطقاً وهذا ما يصنعه اذا فعل شيئاً أو قال قولاً يريد تأييده فيقول إن الناس يريدون ذلك أو يفعلونه — وهذا مثل كلمة (الشعب) التي كان المتطرفون في عهد الثورة الفرنسية الأولى يطلقونها على حثالة الرعاع من الباريسيين .

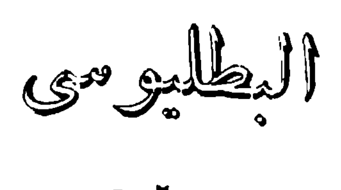
(٦٠) إن عبد العادة القديمة قد يسخر من عبد الأمور المستطرفة الحديثة السارية وكلا الأمرين رق ما دام عقل المرء مغلول بما يتبع .

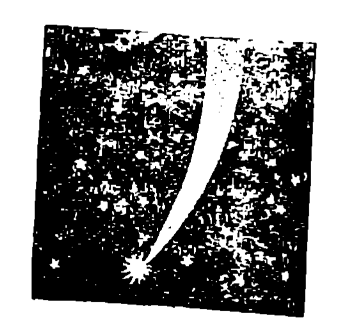
(٦١) كثيراً ما يمقت الناس من يدعي الفضل ويخافون ممن يحاول الظهور به ويحسبون إن ذلك إساءة اليهم وتحقيراً لهم ، مع أنه قد يحاول بما يظهر به التقرب اليهم وإيناسهم وطلب العطف ونيل الرضا . وقد ننسى أن الرجل قد يقول السخر وتحت ذلك السخر قلب رحيم . كما قد ننسى أن كثيراً من الناس مختلفون عنا فليس عندنا وسيلة للحكم عليهم .

(٦٢) لكي يمنع الانسان كبح نفسه عن الرذائل من أن يبعث فيه الغرور وما يجره الغرور من الآثام ينبغي أن يتأمل الهاوية التي كان على وشك ان يقع فيها لو أنه لم يكبح نفسه عن الرذائل بدل الشعور بالكبر والغرور واضطهاد الناس .

(٦٣) الصدق هو أعم مظهر من مظاهر أنكار الذات وأكثرها تنوعاً لانه كثيراً ما يعترض بين المرء وبين ما يحب، ولكن المرء كثيراً ما يخفي بعض الحق حتى ولو كان صريحاً ببعضه إذ يرى أن إخفاء القليل الذي يعده تافهاً قد يؤدي الى كسب محقق أو يتفادى باخفائه خسارة يرى أنها محققة فيخفيه استهانة بتفاهته، حتى ولو أدى ذلك الى سوء فهم للأمور، وقول الحق لا يكون الا بعقل متزن لأن التضليل قد يكون سببه المبالغة التي تكون طبعاً في النفس. أما الاندفاع في القول فهو تضليل غير مقصود ولكن ذلك لا ينقص من ضرره. وقول الحق ينبغي أن يؤدي الى أن يزداد المرء معرفة بنفسه كما ينبغي أن يؤدي الى قدره غيره قدراً صحيحاً . ولو عرف الناس نفوسهم لتسامح بعضهم مع بعض وبطل الاضطهاد .

(٦٥) إن الطبع يجمع بين الصراحة في القول والحذر والاحتياط من أن يفهم السامع أكثر مما يعني بقوله لا يتهيأ إلا لمن كان سليم المقاصد والأعمال، وكان يقدر قدراً لطيفاً دقيقاً احساسات غيره. وهذه صفات تدله على ما يجوز أو يحكي عن أمور نفسه وما يجوز أن يتحدث به من أمور غيره بصراحة مقرونة الى الحذر والاحتياط





البطليوسي

— ٢ —

للدكتور محمد يوسف موسى

كان لا بد للبطليوسي وقد تصدى لمسألة التوفيق بين الدين والفلسفة ، أن يعالج ، بعد المشاكل التي تحدثنا عنها في العدد الماضي ، مشكلة الصلة بين العقل والوحي ، ومشكلة النفس وخلودها وعلى أي نحو يكون هذا الخلود في الدار الأخرى ، وهذا هو موضوع مقال اليوم ، ثم يعقب هذا كلمة نقدية عن قيمة عمله وتقديره .

«العقل والوحي» بتحديد البطليوسي لخواص النفس الفلسفية ومهمتها ، وخواص النفس النبوية والدور الذي لها [1] ، نستطيع أن نفهم أن لكل منهما حدوداً خاصة ، وان العقل محدود القدرة ، فهو يقف عاجزاً أمام بعض الأمور التي تجيء عن الوحي .

دور العقل ، أو النفس الفلسفية كما يقول ، هو معرفة الحقيقة التي تنشدها الفلسفة ، ومعرفة أسباب الأشياء وعللها . ومهمة الوحي ، أو النفس النبوية ، هي الاتصال بالعقل الفعّال وتلقي الوحي ، واكمال الفطر الناقصة بوضع السنن والتشريعات ، وتعليمنا ما يعجز العقل عن علمه ومعرفته . وهنا يسوق قولاً لأفلاطون عن عجز العقل عن فهم ما جاءت به الشرائع ، وآخر لأرسطو عن وجوب التسليم لما جاءت به [2]

من هذا نفهم أنه يذهب إلى علو مرتبة النبي عن الفيلسوف ، بل إنه ليؤكد بصراحة أن النفس النبوية أشرف النفوس ، وأنه لا يتفق أن توجد إلا في ذوي الفطر الكاملة [3] كما يؤكد بعد هذا أن النبوة إلهام لا اكتساب [4] . وهذا وذاك ، أي أن النبوة ليست اكتساب ، وأن النبي أعلى من الفيلسوف ، ذهاب صريح إلى ما تقوله الشريعة في هذه الناحية . وبذلك صح فيه ما قاله الفتح بن خاقان ، من أن بصره بالعلوم القديمة ما خرج به

(١) كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة ، نشر عزت العطار بالقاهرة سنة ١٩٤٦ ، (٢) نفس المرجع ص ٢٠ (٣) نفس المرجع ص ١٩ (٤) نفس المرجع ص ١٩

من السنة والشريعة .

﴿ خلود النفس والبعث ﴾ هنا ، أخيراً ، نجد البطليوسي يعني بذكر جملة من البراهين الفلسفية على بقاء النفس بعد مفارقة الجسد ، وهذا ما لم ينازع فيه أحد من علماء الدين ، وهو — كما يزعم — مذهب سقراط وأفلاطون وأرسطو وسائر زعماء الفلاسفة الاغريق !

والمقام بطبيعة الحال ، لايحتمل ايراد هذه البراهين كلها . ولكنا ، مع هذا ، نشير من ذلك إلى ما يراه في البرهان الثاني من أن الجسم ليس حيّاً إلاّ بالقوة ، ولا يصير حيّاً بالفعل إلاّ بجوهر آخر غيره هو حيّ بالفعل ، وهذا الجوهر الآخر هو النفس ؛ وإذاً ، تكون النفس حية بالفعل ، وما هو كذلك لا يعدم الحياة . وكذلك نشير إلى البرهان الخامس الذي يتلخص في أن الانسان مركب من جوهرين : جوهر حي بالطبع وهو النفس ، لأن في طبعها قبول المعارف والعلوم ؛ وجوهر موات بالطبع وهو الجسم إذ ليس في طبعه قبول شيء من ذلك . فاذا افترق هذان الجوهران بالموت ، خلص للجسم الموت المحض الذي هو طبعه ، وفارقته الحياة العرضية التي كان استفادها من النفس ؛ كما يخلص للنفس الحياة المحضة التي هي طبعها ، وفارقها الموت العرض الذي كان عرض لها بسبب استقدارها في الجسم في الحياة الأرضية (١)

هذا ، ومن المهم هنا أن نشير إلى أن البطليوسي احتفل في رسالته هذه (كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة) باثبات خلود النفس بأدلة فلسفية ، لأن البراهين الشرعية لا تليق بهذا الموضع كما يقول . ونعتقد أن البطليوسي احتفل بهذه المشكلة والتدليل عليها لأهمية القول بخلود الروح ليكون لها جزاؤها الآخر (٢) كما جاء في الدين ، ولأن الفارابي تردد في القول بذلك فأثار كثيراً رجال الدين .

ونحن نقول بأن الفارابي استمر حقيقة طول حياته متردداً بين الذهاب إلى القول بخلود الروح ، أو الى القول بفنائها بفناء الجسم ما دامت هي صورة له . إنه يرى من الخطأ أن ننسب إلى أفلاطون القول بخلود الروح استناداً الى ما جاء في محاورة « فيدون » ؛ لأن أفلاطون في رأي الفارابي حكى هذا عن سقراط لمناقشته ، وهذا ما لايعتبر دليلاً على أن أفلاطون نفسه يرى خلود الروح (٢)

على أن أفلاطون وإن شك في بعض محاوراته الأولى في خلود الروح ، فقد عاد فأكد الخلود . بل إنه في محاورة فيدون نفسها ، يجعل الخلود شرطاً لابد منه المعرفة ، كما يجعلها

(١) كتاب الحدائق ص ٦٤ — ٦٥ (٢) مجموع فلسفة الفارابي ، طبعة ليدن ، ص ٣٠

في الجمهورية أساساً للحياة السياسية والأخلاقية . أما المعلم الثاني (الفارابي) فقد ظل طوال حياته متردداً في هذه المسألة ، ولذلك نقده بشدة بعض فلاسفة المسلمين كابن طفيل وابن سبعين على ما هو معروف ؛ الأول في روايته الفلسفية حي بن يقظان ، والثاني كما يذكر الأستاذ « ماسينيون » في كتابه : نصوص لم تنشر ص ١٢٩ .

وإذا كان عيب على الفارابي تردده بل تناقضه ، فان تلميذه ابن سينا لم يجد بعد أن ذهب إلى جوهرية الروح وروحانيتها — أي عناء في التدليل على خلود الروح بعد فناء الجسد الذي هو آلة لها ، إذ لا يلزم من فناء الآلة فناء الروح الذي تستخدمه [1] ولأن النفس لاتقبل الفساد بطبيعتها ، لأن كل ما هو كائن قابل للفساد نجد فيه مبدء من : الحياة بالفعل ، والفساد بالقوة ، ومن هنا يعتريه الفساد بعد الكون . أما النفس ، وهي بطبيعتها جوهر بسيط ، فلا تقبل الفناء ، أذ ليس فيها أي عنصر من عناصره [2]

﴿ خاتمة ونتيجة ﴾ هكذا نرى في الاندلس البطليوسي ينهض قبل ابن طفيل ، بل أيضاً قبل ابن باجه ، ليحاول التوفيق بين الحكمة والشريعة ، وهكذا نراه قبل ظهور الغزالي بالمشرق ، يخالف الفارابي وابن سينا فيما ذهبا اليه خاصاً بعلم الله تعالى .

ثم نراه أحس ، كما أحس ابن رشد من بعد ، ضرورة تحبيب فلاسفة اليونان المسلمين حين زعم أن سقراط وأفلاطون وأرسطو من الفلاسفة القائلين بخلود الروح وبالتوحيد وحين اعتقد أن محاورة « طيماوس » هو التعبير الحق عند فلسفة أفلاطون في خلق العالم ، نذهب إلى أن أفلاطون يرى علم الله بكل شيء وأن العالم محدث [3]

ثم نراه أخيراً يؤكد علوّ النبي على الفيلسوف ، وأن النبوة إلهام لا اكتساب . ومذهبه في هذا صريح متماسك ، على غير ما نعرف عن الفارابي من أن مثل هذا الرأي لا يتفق مع مجموع فلسفته النظرية كما يرى دي بور في كتابه تاريخ الفلسفة في الاسلام .

وختاماً ، لسنا نزعم أن البطليوسي كان طريفاً فيما ذهب اليه من وجوه التوفيق بين الفلسفة والشريعة ، بل غرضنا هنا — كما كان بالنسبة للسجستاني من قبل بالمشرق — أن نشير الى أنه من الواجب على مؤرخ الفلسفة الاسلامية أن يدخل في دائرة بحثه مفكرين من هذا الطراز ليسوا حتى الآن معروفين في دائرة التفكير الفلسفي ، وألا يقصد كما جرت العادة حتى الآن — ببحث الفلاسفة المشهورين أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد .

(١) النجاة طبعة المكاوي والكردي بمصر عام ١٣٣١ ﻫ ، ص ٣٠٢ — ٣٠٦

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٠٦ — ٣٠٩ — الاشارات ص ١٣٨ نشر ليدن سنة ١٨٩٢

(٣) كتاب الحدائق ص ٥٦ — ٥٧

عجائب المخلوقات

عروس البحر

أو الجنية في عرف الريفيين المصريين

للاستاذ عوض جبندا

حيوان بحري يتغذى بالحشائش البحرية المغذية التي تنبت تحت سطح المـاء . و
لطيف ، سهل الاستئناس ، لذيذ اللحم . وتسمى أنثاه « حورية الماء أو بقرة البحر
وهي من الحيوانات الأليفة اللبون . وتشبه عجل البحر في طول جسمها . وليس لها أط
خلفيـة ، بل ذنب عريض مستدير ، يقوم لها مقام المقذاف فيدفعها إلى الأمام
تسبح . وجلدها صفيق . وتبلغ ثخانته نحو قيراط « بوصة » ويختلف طولها من ١٥ ق
الى ١٨ قدماً . وتقوم أعضاؤها الأمامية مقام اليدين . فتحمل بها الأنثى صغارها
ارضاعها اياها .وعندما تظهر فوق سطح الماء لتتنفس تبدو كامرأة تستحم في الماء .

ونحن نكتب هذه السطور وأمامنا في المرجع الانكليزي صورة ابن البحر . وذلك نا
عن رسم قديم رسمه المؤرخ امبروزينوس . وهو يمثل ذكر بقر البحر أوفى تمثيل . و
هـذا الصدد يقول المؤرخ نفسه « كان سكان الأقاليم المحيطـة بالبحر الأحمر ، يزعمون
حوريات الماء ، هي من فلول جيش فرعون ، التي نجت من الغرق في البحر الأحمر ، ح
كانت تقتفي آثار بني اسرائيل »

فبنت البحر إذن ، هي المصدر الحقيقي للأساطير الموضوعة بشأنها . ومنها زعم بعـ
القدماء أنهم شاهـدوها خارجة من البحور ، رابضـة على الصخور . فاذا هي امرأة جـ
ذات رأس بشري وذنب حرشفي كذنب السمكة . وانها كثيراً ماترى وهي تمشط شعر
الذهبي أو اللؤلؤي المسترسل الجميل . بينما تمسك بيدها مرآة لتعكس بها صورتها الجـ
على الأمواج . ومما قالوه أيضاً « إن عرائس البحر يفتن عشاقهن فيستدرجنهم الى جو
البحر حيث يلاقون الموت الزؤام . وانهن يغادرن مأواهن في المحيطات ليتزوجن بالبشـ

ثم تنتهي آجال بعولتهن بفواجع . وقد رويت كذلك بعض الروايات على ذكور بقر البحر . ولكن ليس لهؤلاء شأن عقايم في الأساطير ، مثل أناثهن أي بقرات البحر . »

وعروس البحر ذات وجه يشبهه في عجل البحر . ويكاد يضارع وجه البشر في هيئته . ومتى أرادت أناثها إرضاع صغارها ، أبرزت عضوها الأمامي من الماء وحملت عليه رضيعها وأرضعته مثل الأم الآدمية . وروى كولمبس أنه رأى ثلاثاً من عرائس البحر . وذلك في سياحته الأولى الى جزائر الهند الغربيـة ، قصد اكتشافه لأمريكا . غير أنها لم تكن بارعة الجمال كما كان يعتقد من قبل . وروت جريدة المقطم في ١٠ يناير سنة ١٩٢٨ خبراً فحواه أن رجلاً يونانيـاً وصل الى بورسعيد ومعه سمكة غريبـة جزؤها الأسفل على هيئة سمكة طولها ثلاثة أمتار ووزنها ٢٥٠ أوقة . اصطادها من خليج دلجوى بجنوب أفريقيـة وقال إنه سيعرضها في بور سعيد والاسماعيلية والقاهرة والاسكندرية ثم يعرضها في أوربا .

والقصص التي الفها المـكتشفون الأوائل الذين اكتشفوا جزائر الهند الغربية وشبه جزيرة فلوريدا ، وذلك في موضوع عرائس البحر وذكورها ، تدور جميعها على الأوصاف الأولى الخاطئة الخاصة بها . وفحواها أنها مخلوقات نصفها بشري ونصفها الآخر سمكي .

ويذكر جيداً كاتب هذه السطور أنه في طفولتـه منذ ستين سنة ، شاهد عروساً بحرية جلبها أحد الصيادين الأجانب الى القاهرة وعرضهـا في معرض صغير بشارع السبتية بالقاهرة وكان ذلك في حانوت قديم مواجـه للمبنى الجديد القائمـة فيه الآن مطابع السكة الحديد . وكان عمـاله يعلنون عنها صائحين قائلين « تفرج وشوف عجائب البحر ، حيوان نصفه سمكة ونصفه بني آدم » فـكانت المارة تقبل على مشاهدتها أفواجاً من كل حدب وصوب . وكنا نرى في رأسها خصلات من الشعر .

ولا تستطيع عروس البحر مغادرة المياه التي تعيش فيها لأن تركيب جسمها التشريحي لا يتيح لها ذلك . وهذا فضلا عن كونها ليست لها أداة تدافع بها عن نفسها ، حيال بطش الوحوش البحرية والبرية . التي تصادفها فتراها تلجأ الى المياه الضحلة خشية اغتيالها .

وقال العلامة الدكتور الـكسندر بل « لقد كانت هذه المخلوقات الدمثة ، غير المؤذية تحتشد في مياه أنهار شبه جزيرة فلوريدا وخلجانها ومستنقعاتها ، حيث نزل البيض في أمريكا أول مرة . ولا شك أنها تكاد تنقرض كما انقرضت من قبلها الجواميس . إذ لم يبق منها الا قطيع واحد يأوي الى مياه نهر ميامي ، حيث حجز وقاية له من الفناء . ولذلك اتخذ ولاة الأمور هناك ، الوسائل الفعـالة لحراستها وزيادة عددها . فأصبحت مصدراً

عظيماً من مصادر الغذاء لسكان فلوريدا . وسوف يحل زمن ينتفع فيه العالم بهذا الحيوان العجيب ، النفع المنشود».

وبناء على ذلك اشترعت حكومة فلوريدا ، شرعة تقضي بفرض غرامة قدرها مائة جنيه انكليزي على كل شخص يتعمد قتل عروس بحر . ولا غرو فلحمها يشبه لحم أضلاع العجل « الكستليتة » أو لحم الخنزير أو لحم البقر الغض . وقد أجمع الخبراء على الاطناب في بياضه ولذته وجودة نكهته . وإذا ملح صار كلحم الخنزير الفاخر ، وظل صالحاً للأكل زمناً غير قصير . وكثيراً ما يملح الذنب ، ويؤكل بارداً . وهو يعد من ألذ المأكولات . وطبقة شحمها الصفيقة تعادل زيت كبد الحوت ، بل تفوقه في خلوها من كراهة الطعم ، ورداءة الرائحة . وهذا فضلاً عن خلوها من عنصر اليود . أما عظامها فتينة جدًّا وكثيفة وخالية من التجاويف . فتحل محل العاج في الصناعة .

قلت : ليت أولي الأمر في حكومتنا المصرية يعنون بالحصول من حكومة فلوريدا الأمريكية على ذكر وأنثى من عرائس البحر قصد تربيتهما في معهدنا الخاص بالأحياء المائية فنجني منهما خيرات جزيلة .

ويصيد أهالي الشواطىء الشمالية في أستراليا عرائس البحر للانتفاع بلحمها ، إذ هو كما سلف القول، من ألذ الأطعمة وأدسمها وأنفسها . ومتى ملح لحمها ، غدا كلحم أو شحم الخنزير المملح . فيلذ أكله للجنس الأبيض من بني البشر . ومنه يستخرج زيت يستعمل مقوياً للجسم ، يفضل زيت كبد الحوت وكانت عرائس البحر في غابر الزمن ، تصاد بالحراب . فكان يقتل منها كل سنة ، طائفة كبيرة . أما الآن فقد أصبحت تجفل منها . فيصيدها الصيادون بشباك طويلة متينة . ومع كون عروس البحر تعيش في الماء ، فهي ليست سمكة ، بل حيوان لبون كالعنبر وعجل البحر .

ويتوقع الباحثون أنه لا ينقضي زمن طويل على العناية بها ووقايتها من الانقراض، حتى تعمّ منافعها ، وتقدم لحومها في كثير من الأقطار ، على الموائد ، بدلاً من لحوم البقر البري وغيره .

ولعروس البحر يدان كأنهما زعنفتان . وموطنها البحار الاستوائية ، بين البحر الأحمر واستراليا . والعرب تصيد عرائس البحر من البحر الأحمر . وتتخذ من جلدها نعالاً للجمّالين .

وجاء في كتاب عجائب المخلوقات ، في وصفها : — أنها ذات وجه كوجه الانسان وبدنها


عروس البحر

كبدن السمك . وعلى وجهها نقط . وتظهر على وجه الماء . ويقال لها الأطم . وعليها شعر غزير وليس لها حراشف . وتوجد في بحر الصين . ولها فرج كالمرأة . ووجهها كوجه الخنزير .

وذكرت جريدة « أخبار اليوم » في نسختها بتاريخ ١٠/٧/١٩٤٨ الخبر الآتي —

ظهرت حديثاً حوريتان من حوريات البحر على شاطىء أفريقيـة الجنوبي . بمدينـة الكاب فاصطاد أولاهما صياد بشبكته . وكانت تنظر للصياد بوجهها الذي يكاد يشبه وجه الانسان ، بينما كان باقي جسمها يتلوى يميناً ويساراً . ثم أرسلت الى نيروبي حيث تحنط ويحتفظ بها في متحف الأحياء المائيـة . أما الثانية فان صياداً زنجياً كان يجوس خلال الساحل حين رأى وجهاً كوجـه الانسان يتطلع إليه من فوق سطح المـاء . ثم لم تلبث الحورية أن رفعت رأسها وقفزت من الماء ، فظهر صدرها الأبيض الجميل الذي يكاد يشبه صدر الفتاة العذراء . فهمّ الصيادّ يريد اقتناصها . ولكنها لم تلبث أن ولت هاربة واختفت وسط الأمواج . وقد أبصر كاتب هـذه السطور ، حورية بحر محنطة وذلك في القسم الشرقي للمعرض الزراعي الصناعي السادس عشر الذي كان يطلق عليه اسم « جناح وادي النيل » وروت جريدة الأساس بتاريخ ٣١/١/٤٩ أن رجال محطة البحوث المائيـة في الغردقة عثروا في شهر ديسمبر ١٩٤٨ على جثة إحدى عرائس البحـر . وكانت طافيـة فوق سطح المـاء . وبعد جذبهـا بالشباك الى المحطة حنطها المتخصصون ووضعوها في مكان خاص بالمتحف الملحق بالمحطة. قلت وأظنها هي العروس البحرية نفسها التي كانت معروضة سنة ١٩٤٩ في المعرض الزراعي الصناعي ، بين معروضات البحر الأحمر .

الربيع

للأستاذ محسن جاد حسن

ملأ الأفق بهجةً وبهاء   وكسا الأرض زينةً ورواء
ضاحكٌ مشرق المباسم طلقٌ   يتهادى من حسنه خيلاء
طاب إصباحه فراق صباحاً   وصفا ليله فطابَ مساء
باكرت راحَه الطيور فراحت   تفعم الدوح فرحةً وغناء
وتناجت به الخمائل سكرى   شربتْ من رحيقه الأنداء
وكأن الربى عرائس هبّت   من كراها تطارد الاغفاء
فتنةٌ تُجتلى وظل ظليل   وعبير يعطر الأرجاء
يا حبيبي هذا الربيع فهيّا   نغتنم صفوه وننسى الشتاء

***

موعدُ المنى يفيض رغاباً   وشبابٌ يجدد الأحقابا
كلما روّع الزمانَ مشيبٌ   عاد في ظله الزمانُ شبابا
هو روح تنساب في كل شيء   نفساً عاطراً ولحناً مذابا
وحياة تدب في الأرض حتى   كاد أن يفصح الجماد الخطابا
وهو للروض زينة من حلاها   يرتدي بعد عريه جلبابا
روضةٌ للأرواح تُستاف ريّا   ها وساقٍ يشعشع الأكوابا
يا حبيبي وافى الربيع نداما   هُ ظماءً وباكر الأحباء
وأنا ظامئ الأماني فهيّا   نبتدر ماءه وننسى السرابا

***

أين أيامنا البواسم أينا   والربيع الضحوك يحنو علينا

نتناجى والنرجس الغض غيرا ن يسجّي عيناً ويفتح عينا
والورود الحسان تسمع نجوا نا وهمس النسيم في أذنينا
رقّ من شجوه لرقة شكوا نا اعتلالا فراح يسري الهوينى
والغصون المدانفراحت تحاكيـــنا فتذكي الغرام في مهجتينا
ربّ غصن أسر نجوى لغصن فاستحى الورد منهما واستحينا
وانسياب الرقراق في الروض يشجينا فنصغي له ويصغي إلينا
وكأن الطيور تبتدع الشد وَ جديداً كـكل شيء لدينا

***

عاد آذارُ كالضحى إشراقاً يترع الـكأس للندامى دهاقا
عبقرُ الفن يلهم الشعر عُلويـــّـا فيطوي خيـاله الآفاقا
ولقد أيقظ القلوب الغوافي عن هواها وجدّد الأشواقا
يسكر الروحَ والنواظرَ مرآ ه كما يسكر النـدى الأوراقا
هام قلبي في أفقه الطلق نشوا نَ يباري طير الروابي انطلاقا
يا حبيبي هذا الربيع بساطٌ للتـلاقي يجمّع المشـاقا
تتفانى القلوب فيه سلاماً وتذوب الأرواح فيه عناقا
سامرٌ مؤنس الرؤى غير أني يا حبيبي أفنيتـه إطـراقا

***

لا أحس الربيع إلا بنفسي مجتلي بهجةٍ وجلوةَ عرس
وبروحي أراه لا بعيـوني مطلعاً للمنى ومشرق شمس
ما الربيع الضحوك إلا أمان مشرقات تجلو غياهب يأسي
وعبير تهفو به نسمات إن سرت فتّحت مغالق نفسي
يا حبيبي كل الربيع ندامى تتساقى الهوى وقد جف كأسي
كل الف بالفـه في صباح وأنا موحش الخواطر ممسي
الصبابات لاهفات بشوقي والأماني معطـرات بهمسي
فأعد لي الربيع أنساً وألحا نا فما أنت غير لحني وأنسي



نحن واللغة العربية

— ٤ —

اللغة العربية في العصر الحاضر : ب . [في العراق]

للأمير مصطفى الشهابي

لم يكن حظ العربية في العراق أيام الدولة العثمانية بأجود من حظها في الشام . فقد كان العراق يومئذ ولايات عثمانية،لغة الحكومة ، ومدارس الحكومة فيها هي التركية . ولم يكن في ذلك القطر العربي مدارس الارساليات الدينية ولا مدارس أهلية كافية ، ولهذا كان دون مصر والشام من حيث انتشار العلوم العصرية والأخذ بوسائل المدنية الحديثة . وكان معظم المتعلمين من أبنائه يدرسون في مدارس الدولة العسكرية فيصبحون ضباطاً في الجيش العثماني . وقليل منهم درسوا الحقوق أو الادارة في مدرسة اسطنبول الملكية . أما الأطباء والصيادلة والأساتذة في مختلف العلوم ورجال العلم من صحفيين وكتّاب وأدباء وشعراء فقد كان عددهم قليلاً .

ولكن الله لم يرد للغة القرآن شراً في العراق فقيض لها معقلاً في النجف هو عند الشيعة كالأزهر عند السنة . وهو مركز مهم لمدارسة اللغة العربية وتدريسها عدا العلوم الدينية . وعلى الرغم من الانحطاط العام الذي شمل البلاد العثمانية في ذلك العهد فقد نبغ في العراق أفراد في الشعر والأدب كالكاظمي أعظم من ارتجل الشعر البليغ ارتجالاً في هذا العصر . وقد كنا نكذب الكتب القديمة القائلة بأن بعض الشعراء الأقدمين كانوا يرتجلون القصيدة الطويلة حتى سمعنا الكاظمي يرتجل في مناسبات مفاجئة شتى فاذا بموهبة الارتجال حقيقة لا شك فيها .

ومن الشعراء المشهورين الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي ، ومنهم معروف الرصافي بذّ الجميع في أوائل هذا العصر وسكت في أواخر أيامه . ومنهم الشبيبي رئيس نادي العلم له شعر متين الحوك في ديوان طبع حديثاً . ولعل أشهر الشعراء العراقيين عند الشاميين هو أحمد الصافي النجفي نزيل دمشق فان في شعره حيوية وشاعرية ورقة ودعابة .

واشتهرت الأسرة الآلوسية في العراق بعلوم الدين واللغة والأدب . ومن أشهر

علمائها في القرن الماضي محمود بن عبد الله الآلوسي له مصنفات كثيرة وابداع في الانشاء ، ومنهم في القرن الحاضر محمود شكري بن عبد الله الآلوسي ومن أشهر مصنفاته المطبوعة « بلوغ الأرب في احوال العرب » حقق في تأليفه رغبة لجنة اللغات الشرقية في استكهولم وفاز بجائزتها . وله مصنفات أخرى كثيرة .

ومهما يكن من أمر هذه الجهود الفردية ، فان ظهور عدد كبير أو قليل من الأدباء والعلماء واللغويين لا يدل على انه كان يوجد نهضة ثقافية في العراق ، في القرن الماضي وفي أوائل القرن الحاضر . والحقيقة أن النهضة الحديثة في هذا القطر الشقيق لم تبدأ إلا بعد خروج الأتراك العثمانيين منه عقب الحرب الكبرى الماضية . وأبو هذه النهضة المباركة وباعثها ومزجيها فيصل بن الحسين طيّب الله ثراه .

فقد كان في بغداد أيام الدولة العثمانية مدرسة حقوق فتحت في أواخر أيام تلك الدولة ، ومدرسة إعدادية ومدرسة عسكرية متوسطة وبضع مدارس ابتدائية . وكان في كل من ولايتي البصرة والموصل مدرسة اعدادية وعدد صغير من المدارس الابتدائية . وجميع هذه المدارس الحكومية كانت تدرس بالتركية . وكان التعليم فيها موجهاً الى اعداد ناشئة تتقن التركية ، وتدين بالجامعة العثمانية ، وتخدم إما في الجيش العثماني وإما في وظائف الحكومة الثانوية . وكانت اللغة العربية لغة ثانوية تدرس بالتركية ، كما كانت القومية العربية تحارب من قبل المعلمين الأتراك والمتتركين .

ويتضح من ذلك ان العراق عندما انفصل عن الدولة العثمانية بعد الحرب الكبرى الماضية وبدأ يمارس استقلاله ، وجد نفسه في حاجة قصوى الى نشر التعليم على أنواعه ، وإلى توجيه وجهة القومية العربية الصحيحة ، والى إعزاز اللسان العربي لسان الشعب والدين والدولة . ولم يقصر القائمون على شؤون العراق في هذه النواحي الثلاث . ففتحوا حتى سنة ١٩٣٥ من المدارس الابتدائية ٧٤٧ مدرسة كان مجموع تلامذتها ٨٦٠٠٠ . وكانوا ٩٠٠٠٠ في سنة ١٩٣٧ أما في سنة ١٩٤١ فقد اربوا على مائة ألف تلميذ وتلميذة . وفتحوا ٤٧ مدرسة متوسطة تحتوي على الصفوف الأولى من الدراسة الثانوية ، و١٤ مدرسة ثانوية تشتمل على الصفوف العليا من الدراسة الثانوية . وبلغ مجموع التلامذة في هذين الفرعين من مدارس التجهيز عشرة آلاف تلميذ . ووجهوا عنايتهم الى إعداد معلمين ومعلمات للمدارس الابتدائية ففتحوا لهذا الغرض أربع دور معلمين منها اثنتان للذكور واثنتان للاناث ، وكان فيها سنة ١٩٣٥ ألف تلميذ وتلميذة . أما في سنة ١٩٤١ فدار المعلمين في الرستمية وحدها كان فيها نحو ألف تلميذ .

الطب والصيدلة وكلية للحقوق . أما المدارس الفنية فقد أسسوا منها بضع مدارس للفنون الحربية على مختلف أنواعها ، ومدرسة للهندسة ومدرسة زراعية ومدرسة صناعية في بغداد وأخرى في الموصل الخ ... ولم يأنف العراق من استدعاء أساتذة مصريين وشاميين وبريطانيين للتدريس في مدارسه ، وهذا ما يفعله كل شعب ناهض في بدء نهضته وسيستغنى عنهم رويداً رويداً بازدياد المتخرجين من دور المعلمين العراقية ، وبازدياد العراقيين الذين يتخرجون في كل سنة من جامعات ديار الشام وديار الغرب

والعربية هي لغة التعليم في مدارس الحكومة العراقية عدا مدرستي الطب والهندسة، فان معظم الدروس فيها تلقى بالانكليزية . ولا أرى لذلك سبباً جوهريّاً .

ولا تزيد المدارس الأهلية في العراق على سبعين مدرسة فيها نحو عشرين ألف تلميذ . أما المدارس الأجنبية فهي اثنتا عشرة مدرسة تضم ألف تلميذ . ويدلُّ ذلك على ان الدولة في العراق هي التي تسيطر في مدارسها العديدة على تعليم الأحداث وعلى تربيتهم وعلى توجيههم وجهة واحدة . وهذه الوجهة تستهدف الاحتفاظ بتراث العرب الأدبي والروحي ، واقتباس المفيد من علوم الغربيين وأساليبهم العلمية ووسائلهم المادية . أما المبادىء القومية فهي تبث في جميع مدارس الدولة على شكل يدعو الى الارتياح .

ومع ان ميزانية وزارة المعارف في العراق تكاد تبلغ تسعمائة ألف دينار وهو مبلغ لا يستهان به في قطر لا يزيد سكانه على نيف وأربعة ملايين نسمة ، فما برح أمام الحكومة مجال واسع لنشر التعليم الابتدائي خاصة ، لأن تلامذة المدارس الابتدائية وتلميذاتها لا يبلغون جميعاً ربع الأولاد الذين هم في سن التحصيل الابتدائي . وثلاثة ارباع الأحداث أو أكثر يلبثون أميين . والحكومة جادة لتقليل عدد الأميين ، وهو عمل يحتاج الى كثير من المال والى مرور زمن كاف لتخريج عدد كبير من الشبان الذين ينهون دراستهم في دور المعلمين وينصرفون الى تعليم الأحداث .

ويلخص من هذه اللمحة عن التعليم في العراق أن لساننا الضادي في هذا القطر الشقيق أصبح له المقام الأول في مدارس الدولة ، وانه صار يدرس فيها تدريساً حسناً ، كما صارت تؤلف به كتب مدرسية كثيرة في العلوم المختلفة . وقد لاحظت أثناء رحلتي الى العراق في أواخر سنة ١٩٤٠ ان لغة دواوين الحكومة لا بأس بها ، وأنها ليست بأسوأ من لغة دواوين مصر والشام إجمالا .

ومما يثلج الصدر أن اللجنة التي كانت ألفت في دمشق بعد الحرب الكبرى الماضية لوضع مصطلحات عربية في الفنون الحربية ، لم يذهب عملها هدراً ، بل داوم العراقيون

معجم لتلك المصطلحات يشتمل على بضعة آلاف لفظة . وهكذا سهل تعلم الجيش العراقي بالعربية سواء في المدارس العسكرية المختلفة أم في الشكنات .

ولم يكن في العراق أيام الدولة العثمانية صحافة تذكر . أما اليوم ففي العراق جرائد ومجلات عديدة ، تقدمت كثيراً عن قبلُ بلغتها ، وبموضوعاتها الأدبية والعلمية . ومن المجلات الراقية التي اطلعنا عليها مجلة « المعلم الجديد » تصدرها وزارة المعارف ، ومجلة « العالَمْ الاسلامي » تصدرها جمعية الشبان المسلمين . أما الصحف اليومية في بغداد فليست دون صحف دمشق أو بيروت . ويلاحظ الانسان أن في العراق كما في الشام إقبالاً على اتخاذ الصحافة مهنة سهلة . ولهذا صار يصدر في بغداد وحدها عشر صحف يومية أو أكثر وهو عدد كبير إذا قيس بعدد القراء في العاصمة وفي الأطراف . وقد تأسس في بغداد ناد يسمونه نادي القلم أعضاؤه لفيف من الكتّاب والأدباء والأساتيذ واللغويين . وهم يجتمعون من حين إلى آخر ، ويتذاكرون في الأدب واللغة ، ويلقي أحدهم عليهم محاضرة بموضوع داخل في نطاق اختصاصه . وهذا النادي يمثل ناحية بارزة من نواحي الثقافة العامة في العراق.

أما المصطلحات العلمية ففي العراق أفراد قليلون يعنون بها . وأشهرهم الأب أنستاس ماري الكرملي ، كان يصدر في بغداد مجلة لغوية مفيدة اسمها « لغة العرب » ومما يدعو الى الأسف انه اضطر الى حجبها عن الناس لأسباب مالية . وكانت هـذه المجلة تتضمن نقداً لأغلاط الكتاب والمؤلفين ، وجملة صالحة من الألفاظ العربيـة في بعض العلوم والمخترعات الحديثة . ولبث الأب العلامة يكتب في مجلة مجمعنا العلمي العربي وفي بعض المجلات المصرية على ما نعلم . وله معجم كبير مخطوط سماه المساعد .

واشتهر في العراق الدكتور مصطفى جواد أحد أساتذة دار المعلمين العليا بنقد اغلاط الكتّاب ، كما اشتهر الدكتور داود الجلبي بألفاظ العلوم الطبية . ويعد الدكتور أمين باشا المعلوف اللبناني المنشأ والعراقي التابعية أفضل علماء العرب في مصطلحات الحيوان في أيام الناس هذه . وله معجمان مطبوعان وهما معجم الحيوان ومعجم اسماء النجوم .

والعراق أول من سن تشريعاً بأن تكتب لوحات المتاجر باللغة العربية فوق أي لغة أجنبية أخرى وهو أول من لبى دعوة حكومة مصر الى عقد مؤتمرات لتوحيد الثقافة في الأقطار العربية .

ويتضح من هذه الكلمة الموجزة أن نهضة العراق التي بدأت عقب الحرب الكبرى الماضية وتناولت جميع نواحي الحياة العامة من تعليم وعمران واقتصاد واستقاء ورياضة وغيرها ، قد شملت لغة الضاد أيضاً فأخذت تتقدم وتزدهر في دواوين الحكومة ومدارسها وفي النوادي الأدبية والصحافة الحرة ، وما برح أمام العراق مجال واسع لبث الثقافة العامة .

ولكن هذا القطر العربي في عرف الطريق الصالحة فسلكها وكل من سار على الدرب وصل .



ما يهمك أن تعرف عن : —

العناصر المعدنية



ماهيتها وخواصها في جسم الانسان

— ٢ —

للأستاذ سمير وجيري



الاكسجين والايدروجين

« وجعلنا من الماء كل شيء حي »
« قرآن كريم »

﴿ الماء ﴾ يقول علماء الطبيعة إن الأكسجين والايدروجين هما العنصران المهمان للحياة وبدونهما لا يكون ماء في الأرض ، لأنه باتحادهما يتكون الماء ، وبدون الأول ينعدم الهواء ، ومتى فقد الماء والهواء فلا يحصل خصب ولا نار ، وكيف تحيا الأجسام بلا هواء تتنفسه ، وبلا ماء تشربه .

والماء عنصر أساسي في تكوين أجسام الكائنات الحية من حيوان ونبات ، لأن جميع الخلايا والأجهزة والعصارات والسوائل من دم وخلافه ، كل هذه دون استثناء يدخل الماء في تركيبها .

والنباتات التي نراها وسط الصحراء ويخيل للانسان إستحالة وصول الماء اليها ، تحصل عليه مما تمتصه جذورها الغائرة في باطن الأرض ، من الماء الموجود في جوفها . وهناك بعض الحيوانات لا تشرب الماء ، ولكنها كثيراً ما تحصل عليه من عصارة الحشائش التي تأكلها .

وهذه الآلة البشرية العجيبة التي ندعوها الانسان، هي كناية عن اتون تتأجج فيه نار الحياة ولا يلطف من حرارتها أو يعدّلها إلا الماء الذي نشربه ، ونحن لا نستخدمه لتعديل حرارة أجسامنا فحسب ، بل لتحيل ما نتناوله من المواد الغذائية نسجاً بدنية ولتسهيل كل حركة نقوم بها ، فلولا الماء لاصطدمت مفاصل الجسم وأعضاؤه بعضها ببعض كلما سرنا أو جلسنا أو تحركنا .

لقد وصف بعضهم الجسم البشري باسفنجة متشربة ماء وهو وصف حقيقي، لأن أكثر من ثلثي وزن الجسم يتركب من الماء . فالماء يدخل في تركيب الدم والخلايا وجميع النسج والسوائل التي بالجسم ، وهو ضروري لحدوث الهضم والافراز ، وكثير من العمليات البيولوجية والكيمياوية التي تجري على الدوام في جميع الأعضاء .

والحكمة من وجود الماء واضحة ، فجسم الانسان يحتوي على أملاح كثيرة ، فاذا لم يكن هناك ماء لتذوب فيه هذه الأملاح ، فقدت النسج عنصراً مهمّاً من عناصرها الأساسية . وبما ان الماء سهل الانتشار فله القدرة على إذابة عدد كبير من المركبات . وهو كذلك وسط صالح لنقل الأملاح والمواد المذابة من بعض أجزاء الجسم الى الاجزاء الأخرى . كما أنه يساعد على نقل المواد المهضومة من القناة الهضمية الى الدورة الدموية ، ومن ثمّ الى جميع نسج الجسم ، كما أنه ينقل المواد التالفة من النسج الى الدم ، ثم الى الأعضاء الخاصة بطردها خارج الجسم وتقدّر كمية الماء التي تفرزها هذه الأعضاء بنحو ثلاثة لترات كل ٢٤ ساعة .

ويحتاج الانسان البالغ يومياً الى شرب لتر ونصف لتر الى لترين من الماء بما في ذلك ما يحويه الطعام منه ، وإذا لم نتناول الماء بكمية وافية فالدم يخثر ويغلظ ويصعب سريانه في الجسم فينشأ الاختلال . ثم ان للماء مهمة عظيمة تتوقف عليها حياة الجسم ونموّه ، اذ انه يوصل الغذاء الى كل خلية من خلايا الجسم في أية ناحية من نواحيه لتستسيغه وتأخذ منه ما تحتاج اليه وترد الفضلات فيحملها الى مخارجها ومواضع افرازها ، كما إنه يكوّن جزءا مهمّاً في تركيب العصارات الهضمية والمفرزات المختلفة .

وكذلك بوساطة الماء يتخلص جسم الانسان من نفايات الغذاء ومن المواد الضارة التي تتخلف عن عمليات الهضم ، كما ان الادران والسموم تذوب فيه وتخرج من الجسم في البول والعرق، وان ٩٠ ٪ من دم الانسان ماء كما ان ٥٠ ٪ من العظام ماء كذلك

ويفرز الجسم بعض الماء بوساطة الجلد والرئتين والكليتين وغيرها ولكن عليه أن

يستعيض عن الماء الذي يفقده بغيره،أو بتناول الأغذية التي تحتوي على الماء . واذا نقص الماء الموجود في البنية بمقدار ١٠ ٪ من كميته فقد تتحمل البنية هذا النقص وتعوّضه بسهولة . واما اذا وصل ما يفقد منه الى ٢٠ ٪ فان هذا النقص يؤدي الى اعراض خطرة قد تعرضه لخطر الموت . ومن أسباب هذا النقص شدة الاسهال وغزارة العرق وكثرة التبول والقيء والنزيف .

واما اذا قلّ افراز الماء من الجسم فقد يؤدي ذلك الى « الارتشاحات » في أمراض القلب والكلى وغيرها .

واليك نسبة الماء الذي يفرزه الجسم .

٥٠ ٪	من الماء في الجسم تفرز بوساطة الكلى
٢٥ ٪	« « « « « « الجلد
١٧ ٪	« « « « « « الرئتين
٤ ٪	« « « « « « الامعاء

﴿ الجلد البشري ﴾ في جلد الانسان مسامّ دقيقة لا تحصى يتنفس منها الجسم،فلو سدّت أو طلي الجلد بمادة تمنع الهواء عن الجسم لهزل وأدركه الموت .

وللجلد أربع وظائف حيوية : —

١ — إدخال الأكسجين الى الدم واخراج الحوامض الكربونية بوساطة الأوعية الشعرية.

٢ — اخراج المواد السامة التي يفرزها الجسم بالعرق. وهي تقدر يومياً بكيلوجرام.

٣ — حفظ التوازن بين الحرارة الداخلية والحرارة الخارجية .

٤ — الاحساس وبدونه لا نشعر بشيء لان الجلد يحس بأدق الاشياء متى لامسته .

﴿ العرق ﴾ أهم وظيفة للعرق تنظيم درجة حرارة الجسم الطبيعية في جميع الظروف والاحوال.فعندما يكون الجو بارداً يقلّ افراز العرق وبذلك يحتفظ الجسم بجزء كبير من الحرارة التي يولّدها .

أما في أشهر الصيف الحارة فان المرء يفرز كمية كبيرة من العرق الذي يمتص عند تبخره جزءاً كبيراً من حرارة الجسم. وبذلك لا ترتفع درجته عن المتوسط . وعندما يفرز العرق بكثرة ينبغي للانسان ان يشرب الماء لكي يعوض به ما فقده الجسم بسبب عمليات التبخر .

كما انه من المعتاد ان تنقص قابلية الانسان للأكل في أشهر الصيف .

أما كمية الماء التي يحتاج اليها الانسان فتتوقفة على الجهود التي نقوم بها — فكلما زاد مجهودنا البدني زاد عطشنا — وحسب كثرة البول والعرق وقلتهما ووجود امساك أو اسهال. وكذلك حسب حرارة الجو الذي نعيش فيه، ومقدار جفافه أو تشبعه بالرطوبة أو غير ذلك من الظروف الطبيعية والصحية والمرضية .

﴿ ماذا تشرب في الحر ﴾ اذ لذعك الحر الشديد فلا تطفيء حرارتك بالماء المثلج بل بالساخن .

هذا ما يقوله أحد أساتذة الطب ويعلل قوله للأسباب التالية : —

إن ١٢٥ جراماً من الماء الساخن تبرّد الجوف أكثر من ٢٥٠ جراماً من الماء المبرّد الى درجة عشرة فوق الصفر . ولهذا فالماء المثلج في الأيام الشديدة الحرارة فضلاً عن اضراره الجمّة وعواقبه الوخيمة لا ينقع الغلة بل تزداد بعد دقائق معدودة .

وإن ٥٠٠ جرام من ماء درجة حرارته ٣٨ أو ٤٠ لا تبقى في المعدة أكثر من سبع أو ثماني دقائق ثم تجري في الجسم بعد ١٤ دقيقة . وهذه الكمية نفسها من الماء البارد لا تخرج من المعدة قبل ١٥ دقيقة ولا تجري في الجسم في أقل من ٣٠ دقيقة .

﴿ المشروبات المثلجة ﴾ أما ضحايا المشروبات المثلجة فعديدة لا سيما في فصل الحر ، فننصح كل من يتناول المبرّدات ويشعر بضررها ان يبادر حالاً الى شرب شيء من المشروبات الساخنة . وإذا كان الشخص ضعيف الارادة ولا يمكنه الامتناع عن شرب المشروبات الباردة في الحر، فعليه أن يتناولها على جرعات متعددة لا جرعة واحدة ، وان يحفظ كل جرعة في فمه قليلاً فتصل الى القناة الهضمية أقل برودة . وبذلك يتقي الضرر ، لأنها تسبب رطوبة النسج وتزيد العرق وترخي العضلات ، كما تزيد عدم القدرة على المقاومة الحيوية . والمشروبات المثلجة خطرها شديد جداً وخاصة على الأطفال فانها تسبب لهم الاسهال والحميات .

وشرب الماء الكثير أو العطش الزائد ينجم عن تناول كميات كبيرة من اللحوم والمملحات . كما أن الغذاء الذي يحتوي على كميات كبيرة من المواد الزلالية يقتضي شرب الماء الكثير لتحليله في الجسم وافرازه ، أكثر مما يحتاج الغذاء المكوّن من المواد الدهنية والنشوية

ويعتقد بعض الناس أن شرب الماء بكثرة يفيد الجسم لأنه ينظف [illegible] الخلايا

ولكن هذا الاعتقاد خاطىء ، إذ أن عملية التنظيف والتطهير في الجسم هي عملية كيماوية تقوم بها الخلايا الحية . والطريقة الوحيدة لتنظيف النسج وتطهير الخلايا هي الصوم والامتناع عن الأكل فترة من الزمن ، لأنه في تلك الفترة تمدثر الأغشية والخلايا المريضة والملتهبة ، وذلك يعمل على حفظ النسج في حالة صحية جيدة .

وأحسن طريقة لتنظيم عملية شرب الماء هو أن يقلل الانسان من أكل الأطعمة النشوية المركزة ، والامتناع أو الاقتصاد في تناول ملح الطعام والتوابل . والاكثار من تناول الفاكهة والخضر ، لأنها تحتوي على كمية كبيرة من الماء في حالة صالحة للجسم .

﴿متى نشرب﴾ وقد اختلف الناس في تعيين الأوقات الصحية الصالحة لشرب الماء . والخلاصة ان أحسن الأوقات هي قبل الافطار صباحاً وعند النوم مباشرة ، لأنه يساعد على تخليص الجسم من النفايات . ولا ريب في ان الذين هضمهم ضعيف وعصاراتهم المعدية قليلة لا يحسن بهم ان يكثروا من شرب الماء مع الطعام ، لأن الماء يخفف العصير المعدي . وعلى ذلك يجب ان نشرب قبل الأكل بنصف ساعة أو بعده بساعتين أو أكثر ، أي بعد تمام الهضم تقريباً ، لأن شرب الماء في أثناء الأكل أو بعده مباشرة يؤثر تأثيراً سيئاً في عصارة المعدة فيضعف الهضم .

غير أن الدكتور النابه محمد علي بدر الدين بك له رأي آخر نشره في مجلة الدكتور الغراء لشهر مارس سنة ١٩٥٠ إذ يقول: «من الاخطاء الشائعة عدم شرب المياه أثناء الأكل بدعوى أنها تسبب تمددا في المعدة وأنها تخفف من قوة الحامض المعدي ، فينشأ عن ذلك عسر في الهضم ، وقد فات القائلون بهذا الرأي أن المعدة لها من القدرة على استبقاء الغذاء دون المياه ، التي ينساب معظمها الى الأمعاء وتبقى المعدة على القليل منها لضرورته في الهضم . والدارس لعملية الهضم في المعدة يجد أنه من العسير أن تؤدي وظيفتها كاملة اذا لم يكن فيها مقدار مناسب من السوائل .

فاشربوا المياه أثناء الأكل ، دون اسراف طبعاً ، ففي ذلك فائدة محققة» .

•

وأما الكلام عن فوائد المياه وضرورتها لنظافة الجسم من الخارج ثم أنواع المياه والعلاج بها فهذه ليست موضوع بحثنا اليوم ، ولكننا سوف نفرد لها مقالاً خاصاً موضوعه « الحمامات منافعها وأضرارها . ان شاء الله .



الزراعة

في أندونيسيا

للأستاذ احمد طه السنوسي

اندونيسيا قطر زراعي أخضر ؛ فالانتاج الزراعي فيها يزيد على أي إنتاج اقتصادي أو حيوي آخر ، كما أن ظروف الزراعة في أراضيها ظروف طيبـة ؛ فمن وفرة في الأيدي العاملة،إلى خصب واتساع وجودة في الأرض،الى غير ذلك من المزايا الهامة .

ونحن لو نظرنا إلى اندونيسيا والى أقطار الجهات الجنوبية والشرقية من قارة آسيا ، رأينا أن الأرز هو الغذاء الرئيسي هناك ، فلا غرو إذن أن يوجّـه الاندونيسيون عناية خاصة الى زراعة الأرز لتنتج أرضهم منه ما يسد عوزهم الغذائي ، فهم يوفرون له الأيدي العاملة ويبذلون الجهد في زراعته الشاقة ، بيد أن الأمر يختلف في مصر كثيراً ، فنجد بها أن الأرز لا يزرع الا ليصلح الأراضي الملحة الرطبة حسب لا ليكون بمثابة الغذاء الرئيسي .

والأرز من الناحية النباتية من فصيلة النجيل ، ويطلق عليه النباتيون اسم (أوريزا ساتيفا) وطبيعته نصف مائية وصارت زراعته تصلح في متباين الأحوال ، فبينما تزرع أنواع منه على سفوح التلال الجافة في الهند حيث ترويه الأمطار،نراه عكس ذلك في الصين حيث يبقى في المياه على الدوام .

ونحن ننتظر لزراعة الأرز في اندونيسيا نجاحاً باهراً ، نظراً للروح التعاونية في زراعته ثم لأهميته الغذائية ولما يستخرج منه من دقيق ونشا وغيره مما يشتغل في الحياة العملية ، كما ننتظر أن يخطو إلى عالم التجارة الدولية فضلاً عن استهلاكه في الحيز الاندونيسي ، ومما لا ريب فيه أن العناية الخاصة بزراعته وبذر بذور الديمقراطية الزراعية في نفوس الفلاحين واستخدام الآلات الزراعية الحديثة خير ما يؤدي إلى نجاحه في الاقتصاديات الخارجية

والاستهلاكات المحلية .

وأحدث طريقة لتبييض الأرز هي (الطريقة المالكية) نسبة إلى مبتكرها (يوناف مالك) وهو أمريكي من أصل فارسي . وميزة هذه الطريقة أنها تزيد من محصول الأرز الناتج وتحدّ من ضياع الكمية الكبيرة التي تذهب هباء في حالات التقشير والتنظيف والتلميع العادية، ثم إنها تحتفظ للأرز بنسبته الكبيرة من حامض البانتوتنيك والثيامين والنياسين ... ويا حبذا لو أخذت اندونيسيا بهذه الطريقة التي أفادت أمريكا كثيراً من الناحية الزراعية .

ويلي الأرز في الأهمية الحبوبية حبوب الذرة ، بل إن هنالك منافسة كبيرة بين الأرز والذرة ، فالذرة محصولها وفير ، كما يتخذ من أعوادها وأوراقها الخضر غذاء للماشية ، هذا علاوة على أن تكاليف تخزينها تكاليف زهيدة . وأنواع الذرة جميعها تدخل في نطاق الفصيلة النجيلية . ويدلي لنا العلماء الزراعيون بأنه من المحتمل أن الذرة تستغل كغذاء للبشرية أكثر من أي انتاج غذائي آخر ، وكما نتوقع للأرز نجاحاً في التجارة الدولية، كذلك نتبع ذلك التوقع بشبيه له للذرة ، وستتخذ مكاناً سامياً من الناحية الاستغلالية الصناعية ، فمنها يستخرج مطاطها المسمى باسمها ، كما يستخرج منها النشاء والورق ونوع من الحرير والكحول أيضاً .

وقصب السكر من أهم نتاج اندونيسيا ، وهو نبات من فصيلة النجيل يدعى في عالم النبات (سكاروم أوفيسيناروم) وأصله من مزروعات القارة الآسيوية حتى أنه ما برح ينبت في بعض جهات من أرضها برياً ، وقبل القرن السادس عشر لم يكن لمادة السكر في أوربا أهمية كبيرة ، بيد أنه بعد ذلك صارت له أهميته الكبرى رويداً رويداً ، ويرجع ذلك إلى الجنس اللطيف في الطبقات الراقية الحاكمة في أوربا ، فقد استعمله هذا الجنس في تطعيم حلواه وفي أكواب شايه وأعمار قهوته . وأكثر بقاع الأرض انتاجاً للسكر جزيرة كوبا التي توجد في أمريكا ، ويليها في ذلك الانتاج جزيرة جاوه ، وكانت أنواعه فيها جيدة جداً ، على أن التحسينات الانتاجية لقصب السكر أدت وتؤدي إلى زيادة المحصول السكري في اندونيسيا كما أن استعمال العلم الحديث واجراء التجربات النباتية للأنواع الحديثة من قصب السكر مما يرقى بمحصوله ومما يجعله يزيد في انتاجه على انتاج النحر . ولعلي أستند في الدعوة الى زيادة الانتاج من قصب السكر الى ما يترتب على ذلك من رواج لثروة اندونيسيا الزراعية الأخرى أمثال البن والشاي والكاكاو والقرفة وغيرها ،

لأن استعمال هذه المنبهات العقلية مقرون باستعمال المادة السكرية .

... ولقد قامت زراعة التبغ في اندونيسيا منذ عهد البرتغاليين الذين أدخلوا زراعته في قارة آسيا في أواخر القرن السادس عشر ، ثم وصلت زراعته من آسيا الى الجزائر الأندونيسية ، ولعله قد انتشر نظراً لانتشار التدخين في أنحاء العالم ، وتنتج جزيرتا جاوه وسومطرا الأوراق الشفافة الخاصة بتغليف اللفائف ، كما أن المناطق الأندونيسية تنتج صنفاً جيداً من التبغ .

وأهم فاكهة تزرع في اندونيسيا هي الموز ، وهو ثمر يطلق عليه النباتيون أسماء (موزا سابنيتم وموزا كافنديش وموزا پراد سياكا) وقد قيل إن الموطن الأصلي للموز في جنوب القارة الآسيوية بيد أنه اليوم يزرع في جميع المناطق الحارة تقريباً ، إذ أن زراعته سهلة واضحة وفوائده جمة، وإذا لم تحض أشجاره من تأثير الريح وبالأخص إذا كانت قائمة في مكان دان من شاطىء البحر فان الريح الشمالية الشديدة ربما تذرو نتاج عام في يوم واحد

وللموز أهمية كبيرة في قارتي آسيا وأمريكا تفوق أهميته في افريقيا ، وتتكاثر زراعة الموز الوطني في جزائر كناريا وجزائر مادورا ومدغشقر وغينيا وغيرها . والأندونيسيون يستخدمون الموز بطرق شتى ، فاذا لم يرقهم أكله على طبيعته حين جنيه أخذوا في طهيه بالقلي أو بالشي ، واذا لم يعجبهم ذلك جففوه وسحقوه ، واذا أرادوا أن يتشبثوا بالدورة الصناعية يقطرونه ليستخرجوا منه كحولاً ، ثم هم يستخدمونه في تغذية مواشيهم ، وهنالك نوع من الموز يتخذون من أوراقه غلافاً للفائف التبغ الوطنية .

وتاريخ الموز في العالم قديم ، فقد ذكره اليونانيون والرومانيون ، وفي اللغة الهندية القديمة وجدت فواكه أطلق عليها العرب اسم الموز ، وعرفته تبعاً لذلك التاريخ شعوب العالم ، ولم يسلك سبيل التجارة الدولية إلا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، وأخذت أوربا وأمريكا تستهلكه نتيجة للمجهودات والمشروعات الجبارة التي بذلت في سبيل رقيه .

وفاكهة المانجو تلي الموز في الانتاج والأهمية والتجارة الدولية ، وأصلها من شبه جزيرة الهند ، بل ان المانجو قد عرف في الهند منذ سالف العصور .

للبحث تتمة

التقويم الزراعي

لشهر ابريل ١٩٥١

---

(١) — ﴿ الحاصلات الزراعية ﴾



البرسيم — يستمر الحش وعمل الدريس. ويبدأ في حجز الرباية

الفول — دراس وتذرية

الكتان — يبدأ القلع والتربيط

القمح — يروى المتأخر

الشعير — يؤخذ في الضم والدراس والتخزين

القطن — ترقيع وري وخربشة وخف وأول عزيق

القصب — يتم كسر المحصول القديم وحرق السفير، ويؤخذ في التسميد الاول للزراعات المبكرة. وفج خطوط الخلفة والمسح.

(٢) — ﴿ البساتين ﴾



(ا) — الفاكهة : تزرع في أوائل الشهر بزور النارنج والليمون والقشطة والجوافة والكمثرى البرية إذا تأخر زرعها مع ملاحظة تظليلها اتقاء لحرارة الشمس.

يمكن الاستمرار في نقل فسايل النخيل من المشتل

يستمر في تطعيم أصول الموالح، ويعاد تطعيم ما لم ينجح تطعيمه في الشهر الماضي وموالاة الأصول بالري لنجاح التطعيم.

يمكن فصل سرطان الزيتون عن أمهاتها وزراعتها في خطوط المشتل. يبدأ في (تزرير) الزيتون الشملالي المفرد بالقصاري من العام الماضي بأصناف الزيتون المختلفة.

ري أشجار الفاكهة ريًّا خفيفاً منظماً حتى لا تتساقط الأزهار من العطش.

تسميد الأشجار التي تأخر تسميدها. خف ثمار التفاح البلدي والمشمش حتى يزداد نمو الثمار الباقية على أشجارها ويتحسن لونها.

(ب) – الخضر زراعة اللوبيا والبطاطا والبامية والقرع العسلي والكوسة وسائر أصناف المقات (البطيخ والشمام والخيار والقاوون والعجور) والقلقاس والملوخية والرجلة والفجل والكرات في عرمات جديدة .
شتل الباذنجان والفلفل والطماطم والكرفس والكرات بشوشة .
تزرع بالمشتل عدمات مبكرة من بزور الكرنب والقنبيط الكرات بشوشة .

(حـ) – الأزهار تجمع بزور الحوليات الشتوية . يستمر في زراعة بزور الحوليات الصيفية ودرنات الداليا وعقـل الليبيا والنخيل . يستمر في زراعة بزور الأشجـار والشجيرات والمتسلقات .
تجهز عقل أنواع الفيكس المختلفة .
يكون الورد والبلارجونيوم في أتم أدوار إزهاره .

✡✡

أخبار زراعية

﴿ فول الصويا ﴾ اتخذ الأمريكيون من فول الصويا نباتاً رئيسيـاً للبلاد صنعوا منه مواد غذائية وكيمائية تفيد الانسان والحيوان ولا تتوافر في محصول غيره .

وتحتوي الحبوب على نسبة عالية من الزيت يصنع منها الكسب الذي تقبـل عليه الماشية ولا يؤثر في صفات اللبن أو منتجاته .

ومن الحبوب يصنع خبز وفطائر يقال إنها تفيد مرضى السكر .

ويستعمل الزيت المستخرج منها في بعض أنواع الحلوى والشيكولاته . والنفاية تدخل في تزبيت الآلات وصناعة الصابون والشمع والجلسرين والكاوتشوك الصناعي وبطائن المنسوجات .

﴿ موطن نبات الخيار ﴾ يقول دي كاندول إن موطن الخيار جبال هيمالايا وانه كان يزرع بالهند لأكثر من ثلاثة آلاف سنة ومنها انتشر في العالم وكلمة خيار مأخوذة من لغة التتار وهو ما يسمى في العربية «القثد»

﴿ موطن الفاصوليا ﴾ موطن الفاصوليا أمريكا الجنوبية ، وقد وجدت حبوبها في مقابر قدماء بيرو ، ولها ١٢٣ صنفاً نباتيـاً مقسمة الى سبع مجاميع .

✡✡



..

المخطوط النفيس

طبقات الحنابلة لابن ابي يعلي الفراء

للاستاذ طاهر النعساني

بينا أنا أقلب النظر في مخطوطات المكتبة الظاهرية في دمشق منقباً عن آثار أسلافنا، اذا بي أعثر فيما اعثر عليه على كتاب الطبقات لابن أبي يعلي المعروف بأبي الحسن محمد الفراء، فطفقت أقلب صفحاته حتى أتيت على آخره وأنا أقول : أليس من المؤسف المحزن ان يظل هذا الأثر النفيس في زوايا الاهمال لم يطبع حتى الآن ؟ ولعل المجمع العلمي يعمل في الآتي إن شاء الله على طبعه وطبع أمثاله من النوادر الموجودة لديه والتي احتوتها خزانة الظاهرية المليئة بالكنوز الثمينة .

وإن آسف لشيء فانما آسف لاقدام المجمع مؤخراً على الرسالة الجامعة للمجريطي تلك الرسالة المشبعة بروح الالحاد ومما لا يسوغ نشره البتة ونحن اذ نكتب كلمتنا هذه نشكر للأستاذ الكبير السيد عارف النكدي عضو المجمع العلمي لموقفه المشرف.

الكتاب في حجم النصف شذرات ٤ — ٧٩ فيه حروف غير معجمة خطه جيد بالقلم النسخي عدد أوراقه ١٥٨ — أسطر الصحيفة ٣١ أوراق الأصل مع الذيل ٣٥٨ المكتوب طولاً ٢٢ سم ونصف سم المكتوب عرضاً ١٣ — سم ونصف سم عرض الحاشية العليا ٢ سم عرض الحاشية السفلى ٣ سم عرض الحاشية اليمنى ٤ سم عرض الحاشية اليسرى من ٢ سم الى ١ سم ونصف سم . طول الورقة ٢٨ سم عرضا مع الحواشي ١٨ سم .

الكتاب مجلد يشتمل على طبقات الحنابلة لابن ابي يعلي وعلى الذيل لابن أبي رجب الحنبلي البغدادي المتوفى سنة ٧٩٥ وأوله : بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله .

حدثنا الشيخ الامام الحافظ أبو العز عبد المغيث بن حرب بن زهير الحربي قال : حدثنا القاضي الامام الأوحد السعيد الشهيد أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن خلف ابن الفراء الحنبلي رضي الله عنه من لفظه وكتابه وذلك سنة أربع وعشرين وخمسمائة قال : الحمد لله العلي العظيم السميع البصير ذي الفضل الواسع والمنن التوابع والنعم السوابغ والحجج البوالغ علا فكان فوق سبع سمواته ثم على عرشه استوى يعلم السر وأخفى ويسمع الكلام والنجوى أنزل القرآن بعلمه وأنشأ خلق الانسان من تراب بيده ثم كونه بكلمه واصطفى رسوله ابراهيم بخلته ونادى كليمه موسى بلغته — ثم قال : هذا كتاب استخرنا الله تعالى في تأليفه وسألناه المعونة على تصنيفه وسطرنا فيه ما انتهى اليه من أخبار شيوخنا أصحاب امامنا الامام الأفضل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن ادريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابه بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل الخ . . .

وآخر التراجم : ترجمة أبي البركات طلحة بن أحمد بن طلحة وجاء في آخره ما يلي :

وافق الفراغ منه يوم الخميس ثالث عشر من ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وثمانمائة وكتبه الياس بن خضر بن محمد بن جبرائيل التركماني نشأه الله نشوءاً صالحاً ووفقه لحفظ كتابه والعمل به والانتفاع بالعلم الموروث من أهله وفقهه في الدين وجعل أمورنا وعواقبها رشداً وخيراً .

وفي المكتبة الظاهرية نسخة أخرى اشتملت على الطبقات والذيل أيضاً ٣٢١ ورقة ٢٧×١٨ سم ٢٣ سطراً ٤ سم حاشية عليها تعليق حرفه الى الكبر أقرب بأقلام مختلفة استعملت الحمرة في آخر النسخة لبعض الأسماء علق سنة ٨٣٠ جلد مستور بالورق وقف عيسى بن طريف على الحنابلة بمدرسة أبي عمر . أما أول الذيل فهو بسم الله الرحمن الرحيم — الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى أزواجه الطيبات الطاهرات امهات المؤمنين قال الشيخ الامام العالم المغربي العامل الزاهد الحافظ المحدث زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الزاهد الامام العالم المقرىء شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسن بن رجب رحمهم الله تعالى برحمته .

هذا كتاب جمعته وجعلته ذيلاً على طبقات فقهاء أصحاب الامام أحمد للقاضي أبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلي رحمهم الله تعالى وابتدأت فيه بأصحاب القاضي أبي يعلي وجعلت ترتيبه على الوفيات والله تعالى المسؤول أن ينفع به في الدنيا والآخرة ... وكره٩٠.

وقد ابتدأ في التراجم من سنة ٤٦٠ الى سنة ٧٥١ على السنين وآخر التراجم ترجمة محمد ابن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزيه المتوفي في رجب لسنة ٧٥ ه وجاء في آخر الكتاب ما نصه : —

وكان الفراغ من تعليقه بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يوم الأحد سابع عشر من شهر شعبان سنة أربع وثلاثين وثمانمائة، وكتبه الياس بن خضر بن محمد بن جبرائيل التركماني وفي الآخر ست ورقات في معنى العلم وانقسامه الى علم نافع وغير نافع لم يذكر مؤلفها ولا كاتبها وقد وجدت على ظهر الذيل ما نصه —

هذا ما وقفه الوزير المعظم والمشير المفخم صاحب الخيرات والمبرات جناب الحاج أسعد باشا والي الشام وامير الحاج على مدرسة والده المرحوم الحاج اسماعيل باشا طاب ثراه، واشترط الواقف المومأ اليه ان لا يخرج من مكانه.

وقد وجدت مكتوباً على ظهر الطبقات ما نصه : —

وقفه وسائر كتبه شيخنا العلامه أبو الحسن علي بن عروة على طلبة العلم الحنابلة انتهى. اختصر الطبقات العلامه شمس الدين بن أبي عبد الله محمد بن عبد القادر بن عثمان النابلسي المتوفي سنة ٧٩٧ وقد قام بطبع هـذا المختصر الأديب الفاضل السيد أحمد عبيد صاحب المكتبة المشهورة في دمشق بعد ان راجع الأصل وقد أفاد بطبعه ايما أفادة

وقد ذكر الطبقات صاحب كشف الظنون فقال : وقد جعل المؤلف هـذه الطبقات على سيرة طبقات الأولى والثانيـة على حروف المعجم وما بعدها على تقديم العمر والوفاه، وانتهى فيه الى سنة ٥١٢ ... أما النسخ الموجودة منه في المكتبات فهي :

١ — نسخة في خزانة بانكي فور مكتوبة في سنة ٦٣٧ تحت الرقم ٢٤٦٥ وهي في مجلدين

٢ - نسخة أخرى في المكتبة العلوية وهي في ثلاث مجلدات

٣ — نسخة أخرى في الخزانة الآصفية مكتوبة بخط جديد وهي من رواية الشيخ الامام عبد المغيث بن زهير الحربي أوراقها ١٧٥

٤ — نسخة منه في مكتبة عاشر أفندي تحت الرقم ٦٧٠

وقد ذكر صاحب كشف الظنون الذيل لابن رجب فقال وصل فيه الى سنة ٧٥٠ وقد أخذ الحافظ بن حجر في الدرر الكامنة أكثر تراجم العلماء الحنابلة من هذا الكتاب .

أما النسخ الموجودة منه في المكتاب فهي فيما نعلم :

١ – نسخة في مجلدين بقلم نسخي بخط محمود صدقي نقلها عن نسخة فوتغرافية مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ٢٥٢٣ وهي مأخوذة عن نسخة مكتوبة بخط المقرىء شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الساوي المكي الحنبلي سنة ٨٧٦ هـ وفرغ من كتابتها سنة ١٣٥١ هـ الموافقة سنة ١٩٣٢ م في ٧٥ و ٣٠٠ ورقة سطورها ٢١ سطراً في حجم الربع ٤٤١١.

٢ – نسخة منه في خزانة يانكي فور تحت الرقم ٢٤٦٦

٣ – نسخة أخرى في مكتبة عاشر أفندي تحت الرقم ٦٦٩

٤ – الجزء الثاني منه في خزانة المكتب بندوة العلماء

٥ – الجزء الثالث في المكتبة السندية ٢٠١ بخط قديم

٦ – نسخة أخرى في خزانة ليبسك

٧ – نسخة أخرى منه في ثلاثة مجلدات مخطوطة في الخزانة المصرية وهي مأخوذة بالتصوير الشمسي عن النسخة الخطية التي كتبها شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف المكي الحنبلي وفرغ منها سنة ٨٣٦ ومحفوظة بمكتبة كوبرلي بالاستانة وبأولها فهرس الأسماء ...
ومؤلف الطبقات هو القاضي أبو الحسين محمد بن الشيخ المذهب القاضي الكبير أبي يعلي محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء الحنبلي ولد ليلة النصف من شعبان سنة احدى وخمسين وأربعمائة وتوفي والده وهو صغير وقد كان والده من شيوخ العلم في عصره حتى انه لقب بالامام شيخ الاسلام . وقد كان ألف كتاب الصفات فأحدث ضجة كبيرة في بغداد وقامت من أجل كتابه هذا فتن عظيمة بين الحنابلة وبعض أهل السنة الذين هم اشعريو المذهب ورموه بالتجسيم . استنفاق صاحب الطبقات على هذه الضجة حول كتاب أبيه والصحب المستمر وتنكر العلماء لأبيه وهاتيك الفتن القائمة بين المذاهب الاسلامية.
ففي سنة ٤٧٥ هبط بغداد الشريف أبو القاسم البكري المغربي الواعظ وكان اشعريٌ المذهب وكان قد قصد نظام الملك فأحبه ومال اليه وسيره الى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويشنع عليهم ويعيبهم ويشدد النكير عليهم بصورة بشعة ثم انه قصد يوماً دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني بنهر القلائين فجرى بين أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت الى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بني الفراء وجلهم ما بين أديب وفقيه ولغوي ومحدث وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات

لأبي يعلي والد المترجم فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ فيشنع به عليهم ويرميهم بالتجسيم ويكفرهم ويقول ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا، وجرى له معهم خصومات وقامت من أجل ذلك فتن لا محل لسردها أساءت الى الاسلام والمسلمين في الأقطار النائية فما هي حال المترجم بعد هذه الفتنة العمياء المضلة التي آثارها أبو القاسم المغربي وبعد غشيان بيته وبيت أبيه وأخذ كتبه ؟ وفيما اعتقد أنه انما عمد الى تأليف كتاب الطبقات وسرد تراجم العلماء الأعلام فيه الذين يدينون بمذهب الامام أحمد رضي الله عنه ممن تقدموه على أثر هذه الضجة التي أثيرت حول كتاب أبيه والمقدمة التي ذكرنا طرفاً منها وصدر بها كتابه هذا وفيها من ذكر الصفات ما يدل على عقيدته وتأثره من أولئك المعارضين الذين ما فتئوا يثيرون العامة ويستفزون العلماء ضد آل الفراء ويرمونهم بالتجسيم، وقد كانوا في القدح المعلى من العلم والفضل على عقيدة السلف .

وبينما كان صاحب الطبقات في داره بباب المراتب في بغداد منفرداً في بيت من بيوتها ينام فيه وحده والى جانبه كتبه وتأليفه ومحونه الثمينة الشيقة اذ نزل عليه جماعة ممن كانوا يخدمونه ويترددون عليه من أصحابه ليلاً فأخذوا ماله وقتلوه ليلة الجمعة سنة ست وعشرين وخمسمائة وهي ليلة عاشوراء ولاذوا بالفرار وصلي عليه يوم السبت حادي عشر المحرم ودفن عند أبيه في مقبرة باب حرب وكان يوماً مشهوداً ويشاء الله ان يعرف بعد ذلك قاتلوه الاثام فيؤتى بهم ويقتلون جميعهم ولم ينج منهم أحد فرحمك الله يا ابن أبي يعلي وأغدق عليك شآبيب رضوانه وأسكنك فراديس جناته .

وله تصانيف كثيرة في الأصول والفروع وغير ذلك منها : ايضاح الأدلة في الرد على الفرق الضالة المضلة — التمام لكتاب الروايتين والوجهين الذي ألفه أبوه ، تنزيه معاوية بن أبي سفيان — رؤوس المسائل — الرد على زائني الاعتقادات في منعهم من سماع الآيات — شرف الاتباع وشر الابتداع طبقات الأصحاب (وهو أصل هذا الكتاب) المجرد في مناقب الامام أحمد — المجموع في الفروع — المفتاح في الفقه — المفردات في الفقه — المقنع في النيات.

هذا ولعل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل السعود أدام الله عزه وأبقاه للعرب والاسلام عماداً يصدر أمره العالي بطبع هذا الكتاب مع الذيل لما فيهما من الفائدة والنفع العام للأمة وبذلك يكون — أمد الله في عمره — قد أحيا أثراً نفيساً من آثار السلف الصالح له مكانته المرموقة بين الآثار وانه لفاعل إن شاء الله . (حلب)



مكتبة المقتطف

تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين

تأليف الدكتور فيليب حتي — صفحاته ٧٤٩ صفحة — الناشر دار مكملان وشركاه بلندن

History of Syria, including Lebanon & Palestine
By Philip K. Hitti — Pub. Macmillan & Co. Ltd. London.

تلخيص : للأستاذ اسبيرو جبيري

وضع المؤرخ الكبير الدكتور الأستاذ فيليب حتي رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأميركا سفراً ضخماً باللغة الانكليزية عن تاريخ سوريا بما فيها لبنان وفلسطين في مختلف العصور التي مرّت بها من العهد اليوناني فالروماني الى أيام النهضة الاسلامية ووقائع الحروب الصليبية والحكم العثماني فالعصر الحديث .

وكتب المستشرقون وكتب العرب أنفسهم المؤلفات الكثيرة عن تاريخ سوريا ولبنان ، وتضاربت الآراء في قيمة هذه المؤلفات ، ولكن كتاب الدكتور حتي الذي بين أيدينا يختلف عن كل ما كتب في هذا الموضوع ، ويمتاز في المادة والاسلوب وطريقة البحث ، فقد تضمن هذا السفر النفيس جميع مناحي الحياة فيها من فكرية ودينية واجتماعية وتجارية وصناعية ، كما تناول في الفصول الاولى الوضع الجغرافي والجيولوجي والأثري لهذه البلاد ، وأفاض في الكلام عن العصور السامية والفينيقية والعبرية وعلاقاتها بمصر وبابل وأشور . وفي الفصل الثالث أفاض في الحديث عن العصر اليوناني الروماني من عهد الاسكندر الأكبر والعصر البيزنطي وتاريخ انتشار الديانة

المسيحية في تلك البلاد ، واسترسل في الحديث عن الدولة الأموية في الشام وما قامت به من أعمال وعن الدولتين العباسية والفاطمية ، ثم تناول الدولة الأيوبية والمماليك كما أفاض في شرح الحروب الصليبية إفاضة وافية، وأفرد باباً للعصر العثماني وباباً آخر لأمراء لبنان الشهابيين . ثم اختتم هذا السفر الضخم بدراسة طيبة للعصر الحديث من الناحيتين السياسية والثقافية .

وقد وفق الدكتور الاستاذ حتي الى أبعد حدود التوفيق في سرد تاريخ شعب سوريا في العصور القديمة الى العصر الحاضر في نيف وسبعمائة صفحة بطريقة طريفة مع الدقة، علمية مع السهولة ، لأن مادته مأخوذة من أصدق المصادر العلمية وقائمة على دراسة نتائج البحوث الأثرية والبحوث الجامعية النقدية الحديثة مما يجعل لهذا الكتاب قيمته العلمية والتاريخية. ولا نبالغ اذا قلنا إنه ألزم عدة لكل من يريد أن يدرس تاريخ هذه البلاد بدون ارهاق لأنه يفي بحاجة الطالب ، وبحاجة القارىء المثقف، كما انه رفيق طيب لأساتذة التاريخ حيث يجدون فيه ضالتهم المنشودة لانه موضوع على نحو علمي صحيح ولا غرو فقد قام الدكتور حتي بالتدريس في الجامعة الاميركية ببيروت وفي جامعات أمريكا، وأعد اعداداً طيباً لاخراج هذا المؤلف ، وأتيحت له فرص للدرس والتحصيل لم ينعم بها غيره ممن كتبوا في تاريخ سوريا ولبنان ، وحسبه فخراً ـ وهو ابن سوريا البار ـ ان ينسب اليه هذا السفر النفيس الذي يدل على علمه الغزير وفضله الواسع .

وقد أهدى المؤلف العالم كتابه الى السيدة الفاضلة زوجه المصون تقديراً لتشجيعها المستمر وعونها له في هذا السبيل.

وليس في اللغة العربية كتاب واحد يضم بين دفتيه تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين على نحو علمي صحيح، ولذا فاننا نهيب بالجامعة العربية أن تتولى ـ بالاتفاق مع المؤلف العالم الجليل ـ ترجمة هذا السفر النفيس الى اللغة العربية حتى يمكن ان يستفيد من بحوثه رجال العلم والتاريخ .

والكتاب مطبوع طبعاً أنيقاً ومزين بكثير من الصور والرسوم الملونة وفيه خرائط جغرافية قديمة وحديثة تسهل الدراسة للباحثين وتشهد للمؤلف بطول الباع في الدقة والتحقيق، وقد قامت دار مكملان للنشر بلندن بطبعه.

فنهنىء الدكتور فيليب حتي بمؤلفه النفيس شاكرين له الجهود الموفقة التي بذلها في سبيل هذا العمل التاريخي المشرف وراجين لحضرته اطراد التوفيق في خدمة بلاده .

الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث

لمصطفى عبد اللطيف السحرتي

وسط التيارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يزخر بها العالم العربي وما يصحبها من حملات نقدية منوعة، هي أقرب الى الجموح منها الى الاتزان، يشق علينا أن نجد نقاداً للأدب العربي المعاصر — وعلى الأخص في مجال الشعر — يمكن أن ينعتوا بالمقدرة اذا وصفوا بالاطلاع الشامل.

إن المقدرة على نقد الشعر تتطلب ثقافة واسعة جامعة بين الأدب والعلم، وتتطلب ذمةً دقيقة في الموازين وضبطاً للنفس، وتجرداً عن الأهواء الخاصة، وقدرة على التجاوب مع الشاعر المنقود، وتذوّق فنون الجمال الشعري جميعها حتى ولو كان الناقد بينه وبين نفسه يتعصب لطراز معيّن منها.

وفي السنين الثلاثين الأخيرة نزغ بين نقاد الأدب العربي في أقطاره قليلون لا يتجاوز عدهم أصابع اليد الواحدة جمعوا بين هذه الصفات التي لا غنى عنها جميعاً لتكوين النقاد الممتازين، فأفادوا الأدب العربي بحسن توجيههم وبأعمالهم المثالية. وكان ولا يزال بين هؤلاء بل في طليعتهم الشاعر الناقد الجهير مصطفى عبد اللطيف السحرتي الذي أتحف الأدب العربي بتآليف شتى في الشعر والنقد والتراجم والتأملات الفكرية والتصوفية، الى جانب تحريره مجلة (الامام — The Leader) الأدبية وقتاً ما. ويحرص خاصة الأدباء على ديوانه الجميل الانساني النزعة الموسوم (أزهار الذكرى) وقد صدر منذ ثمانية أعوام، وسرعان ما نفدت نسخه وأعقبت تساؤلاً متواصلاً عنها امتد الى دوائر الاستشراق في أوربا وأمريكا، فان روحه التقدمية وعواطفه الانسانية وأسلوبه المتحرر وموضوعاته الطريفة خلقت له جاذبية خاصة وجعلت له طابعاً فريداً من الايديالية الرومانسية المتوعبة للتصوف في الطبيعة حتى في قصائده الوصفية.

وقد تولت (المقتطف) — شيخة المجلات العربية — إخراج أثر جليل له هو الأول من طرازه الكامل في اللغة العربية، لا لأنه ثمرة ألمعية نقادة ناضجة فحسب، بل لأنه أيضاً ميزان منصف للشعراء المعاصرين على ضوء النقد العلمي الحديث الذي تبلورت مذاهبه وتجلت ولم تعد ملكاً للغة خاصة ولا لآداب معينة دون غيرها. وقد أدخل في روع بعض الأدباء أن مقاييس النقد الأدبي التي وضعها أعلامه ثم تكيّفت بصورتها

[illegible]

لتغذية القرائح وتنبيهها تاركين النقاد ليتعرفوا بعد ذلك كما يهوون ولا نعرف قضاة الأحكام المرفية ! وليس هـذا من الصواب في شيء كما أثبت السحرتي بكتابه الرائد الذي أصبحت له في غضون ثلاث سنوات منزلة كلاسيكية فريدة .

والسحرتي بثقافته الأدبية والعلمية ، والقانونية ، الدقيقة والانسانية المنوّعة ، أهل لهذه المنزلة التي أنزلته بها آثاره الممتازة ، ولكن الأهم — من وجهة النظر التقدمية — أنه وهو الأديب المنشيء والشاعر المبدع لا تتغلب عليه الأنانية ولا التحزب الشخصي فينسى واجبه كقاض منصف ومعلم مرشد وهـذا شيء جديد بيننا ، وبشير باستمرار نهضتنا دون عوج .

وكما كان على رأس من عنوا بالأنثروبولوجيا ودقائق الدراسات النفسية وبتطبيقها في مجال النقد الأدبي ، تطبيقاً منظماً بديعاً ، نراه منذ ربع قرن بل أكثر على رأس الراسمين لأصول النقد الأدبي في لغتنا ولأوضاعه السليمة ، وأبواب كتابه الممتع دليل على ذلك فقد حفلت بالشواهد العديدة لشعراء ممتازين من أقطار العربية جميعها ، وقد تناولت فيما تناولته الانفعالات الشعرية والموسيقى الشعرية والشعر الرمزي والسريالية الشعرية والمذاهب الأدبية والنقدية المختلفة ، مشفوعة بالنموذج والأمثلة المتعددة ، وقد أبدع في عرضها وتحليلها واظهار نواحي الكمال والنقص فيها بروح فنية صرفة لا تنزع الى غير عرفان الحق وتقدير الجمال .

ولولا السحرتي في كتابه هـذا لبقي كثيرون من شعراء الشباب الموهوبين محصوراً العلم بهم في مواطنهم فحسب ، وربما جهلهم حتى مواطنوهم ، وحسبنا أن نشير الى الشاعر السوري نذير الحسامي الذي يقول : —

أنا للكوخ والسرداب ، لا للقصر فني
ولخفق الريح في الأدغال ترجيعي ولحني
لاحتضار النور في ليل المساكين أغني
ولخلف القوت في بطن الفقير المتمني
ولأنات الحزانى أهدم الدنيا وأبني !

والى الشاعر المصري كمال عبد الحليم الذي يقول : —

كل يوم يمر ليس من العمر اذا لم تعشه يوم كفاح
وحرام عليك أن تبصر الشعب دماء تجمدت في جراح

وحرام عليك أن تبصر القوم عرايا في عاصفات الرياح
يتشاكون بالدموع فتبكي لبكاهم وتكتفي بالنواح !

وبعد — فهذا الكتاب ذخيرة أدبية من الطراز الأول ، ودائرة معارف في موضوعه الجليل ، ودليل ماهد للدارسين ، وقدوة بديعة للناقدين. وقد بلغ حجمه نيفاً وستين ومائتين من الصفحات ختمت بفهرسين مسهبين للموضوعات والاعلام . أما أسلوب المؤلف فن الجزل البليغ المحكم الجاذب النثرة والاقتضاب المخل .

وأخيراً لا ينبغي أن يفوتنا التنبيه إلى أن السحرتي وان حرص على تمجيد الفن للفن ، لا تفوته بدافع وطنيته وانسانيته الاشادة بالعناصر الروحية التي تبدع من الشعر الوطني ومن الشعر الانساني جمالاً خاصًّا يزدهي به أي فن . وقد رأينا أدباء ونقاداً عجزوا عن الاستيعاب والاطلاع الواسع الذي ظفر به السحرتي من أمهات الكتب الأدبية في ثلاث لغات — العربية — والانجليزية — والفرنسية - وفي عصور مختلفة ، كما عجزوا عن تطويع أقلامهم للأصول النقدية المعترف بها عالميًّا ، فراحوا ينادون بالاحتكام الى الذوق الشخصي ، كما ينادون باختلاف الشعر العربي في روحه الفنية اختلافاً كليًّا عن سواه ، وكل هذا ينافي الحق كما ينافي التقدم . ومن ثمة جاء هذا السفر الجليل واضعاً للأمور في نصابها ، معطياً النقد الأدبي في لغتنا حقه من القواعد والأصول ، كما هو حاله في كل لغة حية راقية . وان هذا الجهد خالد عظيم!

دكتور أحمد زكي أبو شادي

(١) فتاوي شرعية وبحوث إسلامية

٢١٢ صفحة من القطع المتوسط — تأليف حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء — نشر دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥١

هذا كتاب جديد حقًّا ، نفيس غاية النفاسة ، ممتع كل الامتاع ، بالغ حدود الروعة والخصب والعمق والوضوح .. لا يستغني عنه المسلمون في شئون دينهم ودنياهم .

وهو جهد كبير ، وثمرة اطلاع واسع ، وفهم دقيق لروح الاسلام ، ومسايرة لأهدافه وغاياته ، وادراك لحاجات المجتمع وضرورات العصر وأصول الدين الاسلامي السمح

وحسبك أنه يحتوي على الكثير من عشرات الفتاوي الشرعية التي أصدرها حضرة صاحب الفضيلة — أستاذنا الكبير في مناسبات متعددة ، في شئون الطهارة والصلاة

والأشربة والمرأة وفي البدع والخرافات ، وفي مسائل اجتماعية وشئون عامة كحكم صناعة التماثيل والصور واتخاذها والصور الشمسية ، وحكم نقل الدم من انسان الى آخر ، والاشتراك في حمل بساط الرحمة ، وبدعة المحمل وتقبيل مقود الجمل ، وفيما سوى ذلك

وقد صدره الأستاذ الكبير بمقدمة جليلة وبحث طريف عن الافتاء في صدر الاسلام ، وعن أمانة فقهاء الاسلام..وروح اليسر ، وعمق الأحكام الدينية ، ونفاذها إلى صميم مرامي الاسلام وأهدافه هو السمة الواضحة في الكتاب من أوله إلى آخره .

وأسلوبه سهل واضح لا تعقيد فيه ولا التواء . . . وبعد فالكتاب درة نفيسة ، وهو بحق ترفع صاحبه إلى رتبة المجتهد والمفتي الأعظم.

وهو صورة واضحة لشخصية الاستاذ الكبير وعمق دراسته للشريعة وفهمه لامور الدين .

(٢) العلماء ثائرون

تأليف الاستاذ جمال الدين موسى — ١٤٤ صفحة من قطع المقتطف — طبع بمطبعة المقتطف بالقاهرة

كتاب قيم نال جائزة الموضوعات المبسطة من العلوم في المسابقة الثقافية التي نظمتها وزارة المعارف المصرية عام ١٩٤٨ .

ومؤلفه الأستاذ جمال الدين محمد موسى ، يحمل بكالوريوس كلية العلوم مع مرتبة الشرف ودبلوم معهد التحرير والترجمة والصحافة من جامعة فؤاد.

وقد نشرت هذا المؤلف الممتع دار المقتطف بمصر ، فخرج في طباعة أنيقة وتنسيق جميل وصورة جذابة .

والكتاب يتحدث عن جهاد العلماء في بناء الحضارة ، وخدمة الانسانية من قديم .

وهو بحوث طريفة عن : أرشميدس اليوناني شيخ علم الطبيعة الأول ، وكوبرنيكس الذي قرر أن الأرض ليست سجينة لا تتحرك بل هي عربة دائبة على الدوران تحملنا معها في مغامرتها الأبدية خلال الفضاء ، وجاليليو الايطالي أرشميدس عصره ، وبحوث الاستاذ الدكتور دوايسي العلمية في معمل سانت لويس ؛ وحديث علمي عن اللدائن ، والبروتين الصناعي ، والكيمياء والطب ، والكيمياء والطعام ، وقصة الالمنيوم ، والفلزات ، وقصة السائل الأسود ، والزجاج الذي لا يتأثر بالاحماض ولا يدخل الرمل في تركيبه ، وقصة البكتيريا ، وطرائف شتى من آثار العلماء في خدمة الانسانية ، وفتوحات العلم المستمرة التي تطالعنا كل يوم بجديد .

دراسات خصبة للغاية ، لذيذة جداً ، عميقة ممتعة مع السهولة والوضوح واللذة ؛ تدل بحق على ثورة العلماء في سبيل المعرفة .

(٣) حلية الفرسان وشعار الشجعان

لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل الاندلسي — تحقيق وتعليق الاستاذ محمد عبد الغني حسن — صفحاته ٣٣٦ صفحة من حجم المقتطف — نشر دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥١

هذا الكتاب هو المجموعة السادسة من سلسلة « ذخائر العرب » التي تصدرها دار المعارف بالقاهرة بتحقيق أشهر الأدباء في مصر وباشراف رجال الفكر والثقافة والأدب .

وهذه هي الطبعة الأولى من الكتاب الذي لم يرَ نور المطبعة العربية من قبل ، وكان المسيو لويس مرسيه قنصل فرنسا في المغرب قد نشر هذا الكتاب بطريقة « الفوتوتيب » عام ١٩٢٢ . فكان نشره على هذه الصورة في فرنسا عديم الجدوى رغم كثرة ما وقع فيه من تحريفات وأخطاء وأغلاط ، إلى أن قيض الله له الأستاذ محمد عبد الغني حسن فأخرجه على هذه الصورة الجميلة الدقيقة .

ومؤلف الكتاب كما يقول الأستاذ من علماء الأندلس في القرن الثامن وتلميذ القاضي أبي القاسم الحسني شيخ لسان الدين بن الخطيب .

وقد ألفه ورفعه الى أمير المسلمين المستعين بالله أبي عبد الله محمد الذي تولى ملك دولة بني الأحمر في غرناطة عام ٧٩٧ هـ .

والكتاب في الخيل وأسماء أعضائها وألوانها وعيوبها واختيارها وتعلم ركوبها والمسابقة بها وأسماء خيل الرسول وخيل العرب المشهورة ، وما أثر من الشعر العربي في ايثار العرب الخيل وافتخارهم بها . وفي ذكر السيوف والرماح وأجزائها وصفاتها وما قيل فيها من الشعر ، وفي القسيّ والنبال والدروع والترسة ؛ وعلى العموم فهو في الحديث عن آلات الحرب وأدواتها من خيل وسيوف ورماح .

وقد جمع الكثير من الفوائد الأدبية واللغوية ، والتاريخية ، والشواهد الشعرية لشعراء المشرق والأندلس ؛ وهو بحق دائرة معارف عامة في موضوعه ، واقتباس من كتب كثيرة ضاعت أصولها ؛ مما يجعل له قيمة كبيرة ، ويجعل المكتبة العربية في مسيس

لذلك كان توفيق الأستاذ ، الشاعر ، والباحث المحقق ، محمد عبد الغني حسن ، في تحقيق الكتاب والتعليق عليه ، وإخراجه إخراجاً علمياً صحيحاً ، وتوفيق دار المعارف في نشره

على هـذه الصورة الجميلة الحسنة ، توفيقاً مزدوجاً ، يعود على العربية وثقافتها وتراثها ومتأدبيها بأجل الآثار .

والكتاب مقسم إلى أبواب كثيرة ، فالأبواب من ١ـ١٤ في الحديث عن الخيل ، والباب الخامس عشر في الحديث عن السيوف ، والباب السادس عشر في الحديث عن الرماح ، والباب السابع عشر في الحديث عن القسي والنبل ، والباب الثامن عشر في الحديث عن الدروع ، والباب التاسع عشر في الترسة ، والباب العشرون في السلاح والعدة على الاطلاق .

ويلي ذلك تعليقات للاستاذ محمد عبد الغني حسن على مصطلحات اندلسية وردت في الكتاب ، وكشف بمراجعه في تحقيق الكتاب ، وآخر بأسماء مؤلفيها ، وفهارس عامة لمحتويات الكتاب ، وللاعلام الواردة فيه ، ولأسماء القبائل والطوائف والأمم ، ولأسماء البلدان والأمصار والأماكن ، وللأشعار الواردة فيه ، وفهرس بأسماء أعضاء الفرس ، وآخر بألوانها ، وفهرس لشيات الخيل ، وآخر لغرر الخيل ، وآخر للتحجيل في الخيل ، وفهرس لأسماء وضعتها العرب لعتاق الخيل وفهرس لعيوب الخيل خلقة ، وعادة ، ولخيل الحلبة ، ولخيل الرسول ، وفهرس لأسماء خيل العرب المشهورة ، وفهرس لأسماء السيوف وصفاتها وبذلك ينتهي الكتاب .

وبعد فللأستاذ محمد عبد الغني حسن الشكر من أبناء العربية على هذا الجهد الذي بذله في إخراج الكتاب والعناية به ، واحياء أثر نفيس من كنوز العربية وتراثها الثمين ؟

محمد عبد المنعم خفاجي

شباب وغانيات

تأليف الاستاذ محمود تيمور بك — عيسى البابي الحلبي وشركاه — الطبعة الاولى ١٩٥١

مجموعة قصصية جديدة للقاص الكبير محمود بك تيمور تضم قصة طويلة تبلغ حجم الرواية ، وست قصص قصار . وتدور أغلبها حول الشباب ، والغانيات ، وتروي بعض مشاهد من مشاهد الحياة المألوفة ، وأحداث قصها من ذكرياته القديمة وأضفى عليها ظلالاً من خياله الخصيب .

فالقصتان «شباب وغانيات» ، و«جنازة حارة» شملت بعض وقائع من تجاريبه الاولى ، وجسدها خياله العجيب ، فالاولى تروي حياة أسرة مصرية ، تجمع بين أخوين الكبير

متمال متعجرف ، والصغير مضطهد مجروح النفس ، مسموم من غطرسة أخيه ، وتزخر بالشخوص الكثيرة ، المتباينة في خلقها ومزاجها .

أما القصة الثانية ، وهي من ذكرياته ، فتروي حكاية خادم مريض ، في أسرة عريقة ، وهو يحتضر ، وقد تجمع حوله خدم الأسرة ، وأخذوا يتحدثون في اقتسام تركته .

أما القصص الباقية ، فهي من مشاهداته العابرة ، وخيرها قصة « شيخ الزاوية » — (ص ١٤٧) وهو يروي فيها حكاية الشيخ « نعيم » هذا التقي الورع الذي اتخذه الناس إماماً .

وارتضى بعض من طلقوا زوجاتهم ثلاثاً ، أن يزوجوه مطلقاتهم ، لتحل لهم من بعده ، وأنه كان يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله — وتيسيراً على عباده ، ثم طابت له إحداهن ، فأبى أن يردها لزوجها ، وزعم أن الله هداه إلى إنقاذها من شر زوجها ، وقد عارضه الزوج ، ولكنه وجد من الناس من يؤيده في فعلته . وهذه القصة تمتاز عن باقي القصص في صناعتها الفنية ، وفي سرعة حركتها ، وفي أنها تعبّر عن ناحية حقيقية من نواحي الحياة .

ونحن ، وإن كنا نعجب بغزارة إنتاج المؤلف ، فإنا لنتمنى عليه أن يوجه جهوده الى ما يعج في الحياة من أحداث جديدة ، وأن يهجر أحداث الماضي ، وذكرياته ، وإنا لنتطلع في شوق ، إلى قصص جديد ملون بدنيانا ، ولعله يحقق رغبة الأدباء الصاعدين .

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

أعلام النهضة في القرن العشرين

تأليف نجيب مسعد — صفحاته ١٤٠ صحيفة من القطع المتوسط — منشورات مجلة الرسالة الخلصية بصيدا

حديث النهضة وروادها حديث محبب الى قلوب الشباب ، والكتاب الذي نقدمه اليوم محاولة لشاب أراد أن يحدثنا عن نخبة من الأدباء المعاصرين .

والذي يتصدى لتأريخ الأحياء إنما يخطر على أشواك دامية ، وتعترضه عقبات ، ان لم تصده عن الغاية عوقته عنها ، وتحف به اعتبارات تنال من قيمة أحكامه على الأشخاص والأشياء ، ويتذبذب معها ميزان النقد ، أو — على أهون الفروض — تدع للتاريخ مجال التعقيب على هذه الأحكام ، فاذا استطاع أن يتسامى على هذه المعوقات لم تسلم له نفسه .

ونجيب مسعد صاحب محاولة من هذا النمط ، فهل سلمت له هذه المحاولة ؟

ن الآن مع المؤلف – معه حقيقة أو قريباً من الحقيقة ؛ فما نكاد نقلب أولى
فحات حتى تطالعنا صورته فتية باسمه مفكرة ، متطلعة الى المستقبل في قلق واهتمام .

وهو يحدثنا عن صفحاته هذه التي لم تكتب للنشر وإنما هي وليدة ساعات الفراغ
بيد قراء الرسالة المخلصية التي نشرت بعضها ... يحدثنا أنها باكورة إنتاجه الأدبي ،
بعض الرأي وبعض الحكم .

وهذه حقيقة تلقي ضوءاً على هذه الفصول ، فهي ليست دراسة بالمعنى المعروف ،
لك سنتجاوز عما يجب لأمثال هذه الدراسات من الدقة والعمق والتحليل .

وسنأخذها على أنها تزجية من فراغ المؤلف لفراغ القراء ، لكنها تزجية مفيدة .

ونحن حين نستعرض هؤلاء الأعلام الذين حشدهم المؤلف يطالعنا من بينهم محمود
ور ومطران وأبو ماضي وجبران ونازك الملائكة والصافي وبولس سلامه،وسعيد عقل
رزي المعلوف واسكندر المعلوف .. وليس هؤلاء فحسب ، بل وعدنا المؤلف بكتابه
ني ، يتحدث فيه عن كتاب العربية وهوسهم .

يغلب على هذه الفصول روح السرد التاريخي لحياة هؤلاء الأدباء والالمام السطحي
اجهم،وعدم التطرق الى مشخصات أدبهم أو مقومات نبوغهم،أو الربط بين البيئة وثمارها

وعهدنا بالدارس يتخذ التعرف إلى البيئة وسيلة لدراسة الأدب الذي انتجته ، ومدى
برها في الأديب ، وتفاعله معها .

لكن الكتاب قد بعد عن هذا المنحى ، وربما صلح مقدمة لدراسة تحليلية عميقة
تاج هؤلاء المفكرين الأفذاذ ، إذا توفر عليها المؤلف،وكان له الاستعداد لهذا النوع
الدراسة المنتجة .

وقد كان على المؤلف أن يسير الهوينا في محاولته الأولى ، فلا يتورط في الحديث عن
رانب الوعرة في هؤلاء المفكرين كفلسفة إيليا أبي ماضي أو التشاؤم عندفوزي المعلوف

وان يتريث في اصدار أحكامه الحاسمة على الحقائق التي لم تستقر بعد كأصل (الف ليلة
لة) وأن يكون دقيقاً في تعبيراته . فلا يجنح الى المبالغة .. المبالغة التي جعلت شاعرية
س سلامه تترك في العالم دوياً كأنها الأغل العشر تداول سمع الدهر !! وجعلت بولس
ب أكثر مما تعذب أيوب ثلاث مرات !!

وجعلت وفاة فوزي المعلوف سبباً في حداد الطبيعة ، وجفاف النيل ، وزلزلة الاهرام

وزمجرة الأرز ، وبكاء الجداول ، وتصدع هيكل الوحي والالهام ! !

. وأن يكون دقيقاً في ايراد النصوص والتعليق عليها تعليقاً ملائماً (٢٩ — ٤١)

. .وان يكون فطناً إلى العبارات التي كررت بنصها مع اختلاف الموضوع (٢٨ ، ٣٨)

كلما سرنا مع المؤلف خطوة عثرنا بالأحجار التي يبعثرها في طريق القارىء فان أمن معها العثرات لم يسلم من المشقة .

فبعض الفصول يتهافت إعياء ، وبعضها يبدو كأنه حبال مفتولة لخنق الشخصيات التي أراد المؤلف تمجيدها ، ويخيل الي أنه لو قدر لنازك الملائكة أن تبدي رأيها الصريح لصرخت محتجة على السلاسل التي كبلها المؤلف بها حتى استحالت شيطانة وهو يريدها إلهة .

ولن نكون حرفيين فنتقصى أخطاء الكتاب واحدة واحدة ، ولكن حسبنا أن ندل على الاتجاه العام لهذه التعريفات التي وضعت في اطار ضخم . ونرجو لمؤلف الشاب أن يكون عند حسن ظن القراء في كتابه المقبل ، كما نتمنى له حياة أدبيـة مزدهرة ، فان البداية — وإن لم تحقق الأمل — بشير بأن يتحقق.

رضوان ابراهيم

الأدب العربي بين الجاهلية والاسلام

تأليف الاساتذة حسن جاد وعبد الحميد المسلوت ومحمد عبد المنعم خفاجي
صفحاته ٣٠٠ صفحة من حجم المقتطف — طبع المطبعة الفاروقية الحديثة بالناصرية بالقاهرة —

كتاب قيم في الأدب العربي في العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام .

وهو دراسات قيمة ، وبحوث خصبة ، وأفكار جديدة .

وفي صدره بحوث جديدة عن أصول الأدب ومذاهبه ونقده والعوامل المؤثرة فيه والمنهج العلمي الذي سار عليه المؤلفون منهج يستند الى أعمق النظريات القديمة والحديثة في البحث الأدبي والنقد والموازنة .

وفيه عرض لأدق مشكلات الأدب الجاهلي شعره ونثره بأسلوب مبسط واضح ، وبحوث واسعة عن الأدب الاسلامي ومظاهره وأثر القرآن الكريم فيه .ويطلب من المؤلفين بكلية اللغة العربية بالقاهرة .



جهاز أوتوماتيكي يكشف عن الأورام المخية

اخترع في أمريكا جهاز أوتوماتيكي ذري يتيح للأطباء تشخيص الأورام المخية وتحديد مواضعها ، وذلك في بضع دقائق ، بوساطة الشعاع الذري . وبهذه الوسيلة يستغنى عن ادخال المريض في المستشفى . (ليقوم الجراحون بشق الجمجمة) وفحوى هذه الطريقة الجديدة ، أن يحقن المريض بعنصر من العناصر ذات الاشعاع الذري « توأم كيائي » فان كان نسيج الورم موجوداً حقيقة ، استقر العنصر الكشاف فيه . ولهذا الجهاز الكشاف ذراعان توضعان على الجمجمة لتدل على مقر الدماء . وتوضح البيانات التي يكشفها الجهاز في ٣٢ موضعاً من الميناء المثبت في الجهاز وذلك بوساطة عداد جيجر الذي يكتشف الاشعاع الذري فيدل على مقر نسيج الورم .

*

وبعد كتابة ما تقدم نشرت جرائدنا المحلية الخبر الآتي : —

جاء من شيكاغو أنه قد اكتشفت في جامعة « نورث وسترن » الأمريكية طريقة جديدة لتشخيص أورام المخ بوساطة الاشعاع الذري . وقد شرح الدكتور لويل ديفز أحد المكتشفين ، هذه الطريقة فقال إنها تقوم بحقن مادة مشعة في عرق بذراع المريض ، فتجذبها نسج الورم . وتستقر فيها محتفظة بخصائصها الاشعاعية ، مدة تتفاوت بين نصف ساعة وساعتين . ويكفي حينئذ وضع جهاز جيجر على موضع الاصابة لتحديد مكان الورم تحديداً دقيقاً .

عين الاعمى

هذه العين الكهربائية هي عبارة عن جهاز صغير يبصر الأعمى ويرشده ويجنبه عثرات الطريق ومخاطره . وهو يرسل أشعة ضوئية تتقدمه خمسة عشر قدماً ، واذا ما صادفت هذه الأشعة أية عقبة في طريقها ، ارتدت ثانية الى الجهاز حيث ترسل موجات يحس بها حامل الجهاز فيحذر ويبتعد ، وقد يكون التنبيه على هيئة أزيز مسموع . وكلما أسرعت علامة التنبيه والتحذير دل ذلك على اقتراب الخطر ودنوه الا أنها ليست جزيلة النفع بل تكاد تعدمه اذا كانت الأخطار متحركة مقبلة في سرعة .

الاستدلال بجهاز الرادار على حصاة المرارة

سيتمكن الجراحون في مستقبل الزمان ، من التوسل بجهاز الرائد اللاسلكي لاكتشاف الحصوات الصفراوية وتحديد مواقعها في البدن . كما يكتشفون به الرصاص وشظايا القنابل وقطع الزجاج أو شظايا الخشب التي تغور في الجسم البشري (وذلك اذا نجحت الطريقة الفنية التي اخترعتها جمعية علماء البحوث الطبية التابعة للبحرية الأمريكية) .

وفحوى هذه الطريقة ، اطلاق طاقة الصوت غير المسموع أي الموجات الصوتية الفائقة التذبذب التي تتولد من قطعة بلور صخري وذلك على نسيج الجسم البشري ، من الآلة المعدة لهذا الغرض ، إطلاقاً مباشراً على الجلد البشري . وعندما تصل هاتيك الموجات الصوتية الى العظام ، تنعكس عنها كما تنعكس عن أية مادة كانت من المواد الغريبة التي تغور في الجسم . حيث تكتسب خواص متمية مختلفة ، من النسج البدنية المحيطة بها . وبهذه الوسيلة تعكس حصاة المرارة أو شظية القنبلة أو الرصاصة أو قطعة الزجاج أو شظية الخشب ، جزءاً من الطاقة التي تصدمها . وتتحول الموجات المنعكسة عن تلك المواد ، الى نبضات كهربية ، فتكبر هذه النبضات وتظهر على لوحة زجاجية من نوع الفلورسنت حيث تشاهد وتسمع كالراديو

*

وعلى هذا المنوال يتجلى أي جسم كان من الأجسام الغريبة التي تظهرها أشعة رنتجن أو لا تظهرها . وذلك على اللوحة الزجاجية ، مثل صدى الصوت ، أشبه بالطائرة التي تطير في الجو وتظهر صورتها على اللوحة الزجاجية لجهاز الرائد اللاسلكي . ومدى بعد الصدى عن النبضة الابتدائية يدل على مقدار عمق المادة الغريبة الغائرة في نسج الجسم . ومخترع هذه الطريقة هو الدكتور جورج لدويج عضو جمعية البحوث الطبية في البحرية الامريكية بالتعاون مع زملائه الجراحين في جامعة بنسلفانيا .

القضاء على الفئران

أعلنت جامعة وسكنسون بأميركا عن سم جديد يقضي على الفئران ويبيدها في مستعمراتها .

*

ويسمى هذا المركب الجديد وارفارين

يفتك بالجرذان فتكاً بطيئاً وبلا ألم أو تعذيب والفأر إذا ما تناوله لا يبدو عليه الأثر سريعاً بل قد يمضي ويقفز في مرح ونشاط ، ثم يغالبه النعاس فتتعثر خطواته ويتخبط في مشيته ثم يلحقه الموت عن طريق ما يسببه

استخدام بلاستيك جديد بدلا من العظام

أعلن ثلاثة من الأطباء الأمريكيين في مجلة جراحة التجميل والجراحة الانشائية ان مادة البلاستيك الجديدة المسماة بوليثيلين « هي بديل طيب جداً » للغضاريف والعظام البشرية المستخدمة في جراحة التجميل . ولقد أدخلت على مادة البوليثيلين جميع التحسينات التجارية أثناء الحرب ومنذ ذلك الوقت شاع استخدامها لصناعة الأدوات المنزلية وفي الأغراض الصناعية .

ويؤخذ من أقوال الدكتور ليونارد روبين والدكتور جورج روبرتسون والدكتور ريموند شابيرو من قسم جراحة التجميل بمستشفى كنجز الأميري ، انه قد أمكن استخدام هذه المادة في اعادة بناء الأنوف والآذان والفكوك بل وأجزاء كبيرة من الجمجمة البشرية بنجاح كبير .

*

ويقال إن البلاستيك يفوق الغضاريف البشرية والعظام بميزات معينة . فيقول الأطباء إنه لا يصيبه الاعوجاج أو التفكك وسرعان ما يلتصق ويثبت مكانه. وقد قلت مضاعفات ما بعد العمليات حينما استخدم بديلاً للغضاريف .... كما انه لا يؤثر تأثيراً سيئاً على نسج الجسم ... . وبرغم ان مرونته أو قابليته للانثناء لا تتغير ، فانه يؤلف « سقالة » مأمونة يبني عليها الجراحون القسمات النهائية الضرورية لاصلاح التشويهات الطبيعية أو الحادثة .

الأذن الكهربائية

تتكون أذن الانسان الداخلية من انبوبة حلزونية أشبه بالقوقع الصغير مليئة بسائل خاص . وحين تقرع الأصوات طبلة الأذن ، يحولها هذا القوقع الى اشارات كهربية تنقلها آلاف من دقائق الأعصاب الى المخ ، والأذن الداخلية تحلل وتميز بين مختلف الأصوات ، من صراخ وضجيج وهمسات وأزيز، وحين تصل هذه الاشارات الكهربية الى المخ يعيدها ويترجمها ويفهم مدلولها .

ولقد قام الدكتوران بودجت وبترسون من معامل شركة بل للتليفون ببناء نموذج كهربي للأذن الداخلية ، وهو عبارة عن شبكة كبيرة من الأسلاك والعدد الكهربية ، تشابه في عملها تماماً ذلك القوقع الصغير في أذن الانسان ، فهي تستطيع غربلة الأصوات وتمييزها كما تفعل أذننا الداخلية . وعلى هذا النموذج الكهربائي يدرسون الأصوات المختلفة فيعلمون كيف تدخل الى الأذن، وكيف تشق طريقها الى المخ: وهي بحوث سوف تفضي بلاشك إلى تقدم كبير في علم الأصوات والانغام والموسيقى.

تأثير الألوان . . .

دلت البحوث التي أجراها « المجلس
بطاني للالوان » على ان للالوان تأثيراً بالغاً
الانسان . فالحيطان الصفر في مطعم تصد
رة الأكل عند الآكلين ، والحيطان
ضاء في مكاتب الاعمال تحد من مقدرة
اتبين على الآلات الكاتبة وربما تثير
ابهم . .

أما ألوان حيطان المنازل فالمجلس ينصح
تكون هكذا (١) المطبخ — من الألوان
اردة (البيضاء وما إليها) لتوائم حرارة
المواقد والأفران (٢) غرفة الجلوس — من
الألوان التي بين الدافئة والباردة أو الفاتحة
قليلاً « كالكريم » وأمثاله (٣) غرفة
النوم — من الألوان المريحة والمهدئة
للأعصاب كالأخضر أو الضارب الى الاخضرار
(٤) غرفة الحمام — من الألوان الضاربة للزرقة
أو الخضرة أو الصفرة أو « الكريم » أو
الوردية (٥) الردهة — من الألوان الدافئة
كالكستنائي أو المسجدي أو ما يقاربهما
لأنها توحي بالترحيب والحفاوة .

العناصر المشعة في الطب

أمكن اليوم استخدام العناصر المشعة
تشخيص وعلاج بعض الأمراض الهامة
شخصية . فاليود المشع ، اذا ما تناوله
انسان على هيئة محلول شهي لذيذ ، انما
رج عن الجسم في البول ، إما مباشرة أو
دأن يمر بالغدة الدرقية . ويتوقف مقدار
يذهب من هذا اليود إلى تلك الغدة على
لها الصحية . ولما كان اليود لا يذهب
أي مكان آخر في الجسم سوى هذه
ندة ، فمن السهل ، اذا ما تناول الانسان
صغيرة محدودة من هذا اليود المشع
اس مقدار ما يخرج منها في البول خلال
٤٨ ساعة ، ان يتعرف على حالة هذه الغدة .
واذ كشف هذا الاختبار عن مرضها وفسادها
فمن الممكن مضاعفة الكمية الأولى مائة مرة ،
حيث يهاجم هذا اليود الغدة الدرقية
ويقتلها دون ان يلحق ضرراً ما بأي جزء
آخر من الجسم ، وهكذا يداوون النمو
الخبيث اذا ما فتك بهذه الغدة . ولو قدر للعلم
أن يوفق الى بعض العناصر المشعة التي لا تمتصها
سوى خلايا السرطان الخبيثة دون أن تؤذي
ما جاورها من الخلايا لأسدى اليد الكبرى
للقضاء على هذا المرض اللعين الذي ينتشر
ويتسع ويستشري مع تقدم الحضارة والعمران

الفهرس

للجزء الرابع من المجلد الثامن عشر بعد المئة

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن عشر بعد المائة

May 1951 — مايو سنة ١٩٥١

أفراح التاج

تاج مصر ، مطمح آمالها ، وعرش مصر ، موئل رجائها ، وشعب مصر المجاهد الطموح ، يتطلع إلى هذا التاج ، كلما داعبته أطياف الأمل ، ويهرع إلى العرش ، كلما مسه طائف الخوف .

ومليك مصر لشعبه زعيم ، ولأمته قائد ، ولوطنه نصير . . .

والفاروق قد تهيأت له عناصر الزعامة الشعبية ، إرثاً عن جده الزعيم الموفق « محمد علي الكبير »

. . وتدفق في أعراقه الدم الشعبي ، حاراً فتياً متوثباً . . .

. . . ووثق في الشعب ، فأشرك في تاجه ، ملكة من بنات شعبه الوفي الأمين . . .

. . . واستجاب الشعب ، فبارك هذه الشركة ، وهتف لها من أعماقه : بالاسعاد والرفاء والبنين ! !

ومليك مصر ومليكتها ، من شعبهما سواد العيون ، وحبات القلوب ، ونغمتان متجاوبتان ، في أغاني الحرية ، وأناشيد السلام !! .

فلم يكن عجباً ، أن يتواكب الشعب في أفراح الملك ، وأن يحتشد هالات حول التاج ، وأن يحوط العرش المفدى بسواعده الفتية ، وأن يتخذ من ذكرى الجلوس ، وفرحة القران ، أعياداً يتغنى فيها بأمجاد الملك ، ويهتف بالأماني المشتركة بين الأمة ورائد نهضتها .

✡

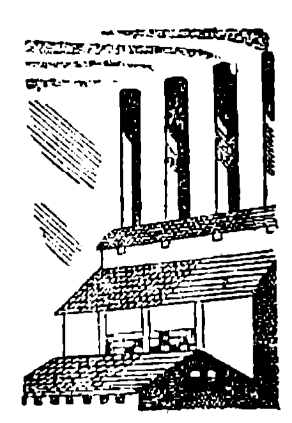
والمقتطف : الذي ولد مع النهضة ، وشب في ملاعبها ، وتابع تطوراتها ، وتفاعل مع أبطالها .

يسعده أن يزف الى تاج البلاد ، أسمى آيات التهاني ، ويبهج أيامه أن يرفع فروض الولاء الصادق ، الى المليكين الكريمين . . . راجياً أن يكون هذا القران الملكي الموفق بشير يمن وخير ، بتحقيق الفرحة الكبرى . . .

فرحة الحرية الكريمة ، للنيل الحبيب .

✡✡





الفرازات ومنافعها الفنية (1)

في مختلف الصناعات العصرية

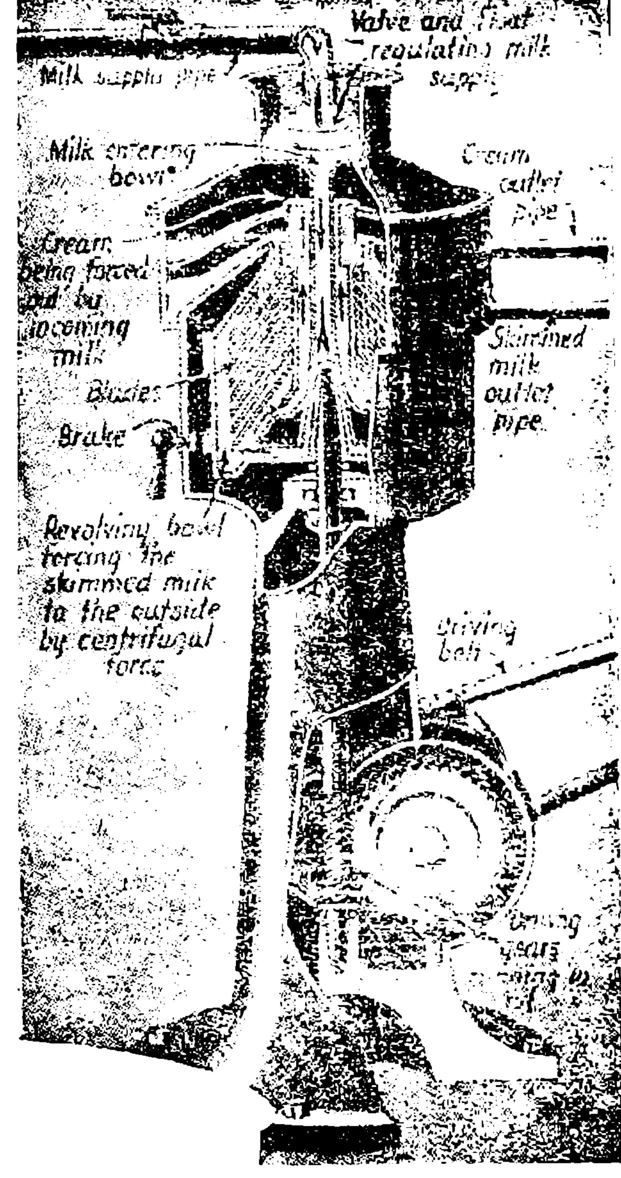
للأستاذ عوض جندي

نشرت احدى المجلات الفنية الأمريكية مقالاً نفيساً في وصف الفرازات ومنافعها ، فآثرت ترجمته فيما يلي: —

﴿ تاريخ المماخض العصرية ﴾ الفرازة هي الممخض أو الممخضة ، وجمعها مماخض أي الوعاء الذي يحرك فيه اللبن حتى يخرج منه الزبد . وتقوم الفرازات الآن بدور عظيم في الصناعات هو خفض نفقات انتاج المصنوعات وتدور الفرازات ، وأشهرها فرازات القشدة ، بالقوة المركزية الدافعة ، فتؤدي أعمالاً جسيمة شتى . ومنها السلع المختلفة الفاخرة ، الزهيدة الأثمان كما تصنع مواد طلي السيارات ، وشمع صقل خشب الأرضية وغير ذلك . ولها شأن خطير في البحث الطبي . وتعد الفرازات من أعجب الآلات المستعملة في الصناعات العصرية .

ومع كون القوة المركزية الدافعة ، هي من القوى الكونية الأساسية ، بيد أن الناس لم يكترثوا لها ، لاستخدامها في مصالحهم الا في القرن الماضي إذ بدأ استعمالها في الطلمبات المروحة ، وفي تجفيف الملابس المغسولة . ولم يتيسر صنع فرازة ذات شكل يكاد يشبهه في الفرازات العصرية ، إلا في سنة ١٨٧٥ إذ درس كارل دي لڤال المخترع الاسوجي مشكلة فصل القشدة من لبنها . ذلك لأن الحليب إذا حلب في محلب ، سواء أكان

(1) لندن في ١٦ مايو سنة ١٩٥١ « و . ا . ع » علم هنا أن معهد الاتصال بالدق في القاهرة ، سيزود قريبا بجهاز لفرازة دوارة ، عظيمة السرعة ، من طراز حديث يبلغ ثمنه ٥٠٠٠ جنيه . ويقوم هذا الجهاز بنحو ٥٠٠٠٠ دورة في الدقيقه . ويعد من أحدث ما أنتجه العلماء في بريطانيا . ولم يسبق استعماله في مصر أو في أكثر بلاد الشام . « جريدة المقطم » .



[فرارة القشدة]

« متردًا » شليـة ، أم طاسة أم سلطانية ، انقضت عليه ساعات عـدة حتى يرسب اللبن ، بتأثير ثقله النوعي ، في أسفل ذلك الحلب. فتطفو القشدة على سطحه لخفتها . (وهذه هي الطريقة التي لا تزال مستعملة في أكثر الأرياف المصرية .

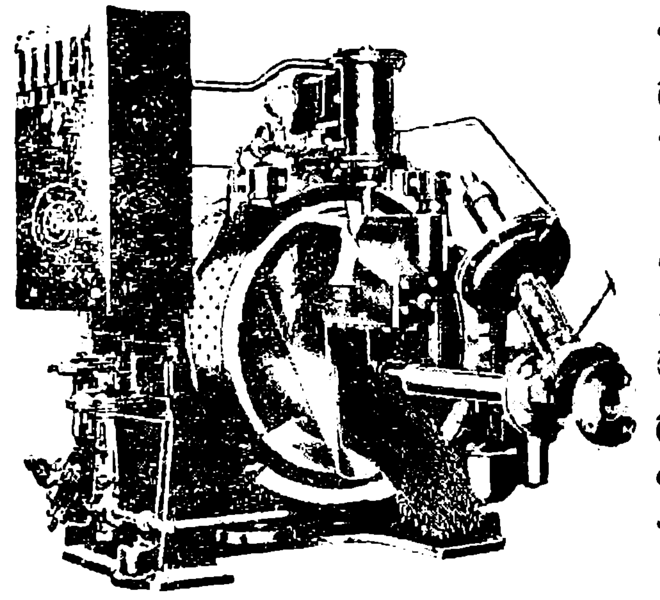
وعُنِيَ دي لڤال ، ذلك الأسوجي العبقري ، ببحث هذا الأمر مليًّا ، فأسفر بحثه عن كون قوة الثقل النوعي ، أصلح لأداء هذا العمل . وذلك عند ما يوضع الحليب في وعاء ، ويدار هذا الوعاء دورانًا سريعًا جدًّا ؛ يبلغ آلاف المرات في هنيهة فينشأ من هذا التمخيض العاجل عـزل اللبن ، في جـوانب ذلك الوعاء الذي يقع عليه الدوران . على حين ترسب القشـدة ، طبقات منها فوق بعض ، قريبة من وسط الوعاء نفسه .

ويجعل للوعاء ، مخرجان ، أحدهما لتفريغ المخيض والآخر لتفريغ القشدة . وبهـذه الوسيلة يتاح فرز القشدة من لبنها في ثوانٍ ، بدلاً من استغراق الساعات .

ولم يلبث العالم المشار إليه ، أن اخترع فرازة القشدة على ذلك المنوال .

﴿ متى انتشرت الماخض الميكانيكية ؟ ﴾ وكان تطبيق مذهب دي لفال ، خارج صناعة منتجات الألبان ، بطيء الظهور فلم يعمم استعمال الفرازات الميكانيكية إلا في سنة ١٩٤٠ ثم أخذت في الانتشار . فصنعت منها كميات كبيرة وزعت في أنحاء البلاد الامريكية وغيرها . وبلغ عدد ما بيع منها حينئذ أكثر منه في السنوات السابقة جميعها.

وغدت أحجام الفرازات تتفاوت بين صغيرة تصلح للمعامل الكيماوية ، وكبيرة تستعمل لتجفيف الجوامد . وهذه الأخيرة يبلغ ثمن الواحدة منها ٢١٥٠٠ دولار وهي تستخدم في استخراج الرطوبة الزائدة من ملح الطعام ، بطريقة التمخيض أيضاً . فتستطيع تجفيف أطنان من الملح في ساعة .



[فرازة تجفف ملح الطعام وتفرغ شحنتها بعد تجفيفه]

وأياً كان حجم الفرازة فانها تصنع صنعاً محكماً ، يفوق أكثر ساعات الجيب إتقاناً . وهذا أمر لابد من مراعاته . لأن دورانها بسرعة قصوى ، مما يجعلها مصدراً للكوارث . لذلك تراها تدور دوراناً سلساً للغاية فأصبحت تعد من أهدأ الآلات في الصناعة . فلا تكاد يسمع لها دوي.

﴿ سرعة الفرازات الحديثة ﴾ وأعجب الفرازات العصرية التي تم صنعها حديثاً هي التي صنعت للتجارب خاصة ، وهذه تدور بسرعة فائقة جداً فتولد قوات ضخمة . وكانت الفرازة التي صنعها الدكتور سفيدبرج ، رئيس بحوث الذرة ، في جامعة أبسالا Upsala في أسوج إحدى الفرازات الفاخرة وحجته في ذلك ، أن الفرازة التي تدور دوراناً عاجلاً كافياً للغرض المقصود منها ، في وسعها توليد أية طاقة تلزم للأعمال المختلفة . فتستطيع حينئذ فصل السوائل التي لم يتمكن أي انسان من فصلها بعضها من بعض في غابر الأزمان ومنها المستحلبات المتماسكة أقصى التماسك . ولهذه الفرازة الفائقة اسطوانة ... طولها ... ويديرها تربين غازي ، وقد بلغت سرعتها القصوى

١٦٠٠٠٠ دورة في الدقيقة .

وتسهيلاً لادراك القارىء مبلغ هذه القوة الضخمة ، ليتاح له مقابلتها بغيرها ، نذكر أن المروحة الكهربيـة تدور في الدقيقـة ١٧٥٠ دورة . على حين تدور فرازة القشدة ٧٠٠٠ دورة في الدقيقة . وبهذه السرعـة ، أتيح لسفيدبرج توليد طاقة تساوي ٦٠٠ طن ، وذلك بثقـل رطل انكليزي . واستطاعت حافة الاسطوانة الرحوية المذكورة آنفاً ، الدوران بسرعة تزيد على ٣٠٠٠ ميل في الساعة ثم قامت شركة شاربلز الأمريكية في فيلادلفيا ، بتحسين آخر فاخترعت فرازات أسرع مما ذكرنا . وهـذه تدور كل منها ١٫٢٠٠٫٠٠٠ دورة في الدقيقة ، أي انها تولد قوة تعادل جاذبية الثقل ٧٫٦ مليون مرة . وبهذه السرعة يتيسر لثقل أوقية واحدة ، توليد قوة دافعة الى الأمام تعادل ٢٣٧ طنـًا .

﴿ فرازات لفـرز توائم العناصر المعدنيـة ﴾ ولـكن العلماء لم يقنعوا بهذا الظفر الفني إذ أعلن حديثاً عالم أمريكي من علماء الطبيعة في جامعة فيرجينيا ، هو الدكتـور جيسي ويكفيلد بيمز ، البالغ عمره ٥٠ عاماً ، أنه استطـاع تعليق اسطوانة رحوية صغيرة جدًّا في وعاء مفرغ من الهواء تفريغاً تامـًّا ، وذلك بالجـذب المـغنطيسي .



[فرازة تفصل توائم العناصر المعدنية بعضها عن بعض]

وجعلها تدور عشرة ملايين دورة في بضع دقائق أي بمعدل ١٦٦٠٠٠ دورة في الثانية .

ومما ينبغي ذكره في هذا الصدد أن بيمز لم يصرح أن بحثه هذا كان القصد منه توليد سرعات متناهية جدًّا للتوصل بها الى فصل توائم العناصر المعدنية . وإنما كان يتوخى الوثوق من امكان تنفيذ هذه التجربة عند الحاجة اليها . فتبين له صدق حدسه . فأصبح من الميسور يوماً ما بهذه الطريقة ، فصل اليورانيوم عيار ٢٣٥ من زميله اليورانيوم عيار ٢٣٨ الذي هو أثقل منه قليلاً . وعندئذ يتسنى الاستغناء عن الطرق المستعملة حالياً

أجل إن السرعات الفائقة جداً ، تزيد على مطالب الصناعات . إذ يكتفي معظمها بخمسين ألف دورة في الدقيقة . لأن الآلات التي تدور بهذه الدرجة من السرعة تولد طاقة تعادل جاذبية الثقل ٦٢٠٠٠ مرة . ولكن يخشى عليها دائماً من الانفجار . فقد حدثت حوادث متعددة انفجرت فيها هاتيك الفرازات ، فطوحت بشظاياها شذر مذر ، حيث اخترقت الحيطان والحواجز كأنها قنابل مدافع صغيرة . وقد يبلغ هذا الخطر أفظعه ، عند انفجار الآلات الفائقة السرعة التي تستخدمها المعامل الكيماوية . لذلك يضطر أصحابها إلى دوام وقاية مستودعاتها إما بألواح معدنية وإما بطبقات من الأبرق « المسلح » كما يتحرى صناع الآلات الخاصة بالصناعات المختلفة ، إعداد حجر خاصة لاختبار تلك الآلات الفرازة تكون حيطانها مغطاة بطبقة من الأبرق تبلغ ثخانتها قدماً كاملة حيث يختبرون الفرازات بزيادة سرعتها مرتين ونصف مرة على السرعة التي تقتضيها الأعمال المزمع أن تقوم بها فاذا تبينوا حينئذ احتمالها هذه التجربة العنيفة ، ثبتت لهم صلاحيتها للصناعات وسلامتها

فينبغي أن تكون الفرازات التجارية رقيقة الغُلْف وحجة صناعها في ذلك ، أنها إذا ما انفجرت ذات مرة في أثناء دورانها ، لا تحدث شظاياها أضراراً جسيمة كالتي تنجم عن تحطيم الغلف الثخينة إذ تنطلق كأنها رصاص شرابنل .

﴿ أعمال الفرازات ﴾ وتنحصر أعمال الفرازات في ثلاثة أنواع رئيسية . هي (أولاً) تفكيك السوائل التي لا تقبل الامتزاج بعضها ببعض . كالزيت والماء (ثانياً) عزل الدقائق الصلبة من السوائل . ومثله — إزالة المادة الغريبة التي تقتم لون دهان اللاكيه الأبيض . (ثالثاً) القيام بعمليات التجفيف ، مثل ازالة الرطوبة الزائدة من السكر أو الملح .

وفي حالات معينة يمكن فرازة واحدة اداء هذه العمليات الثلاث جميعها قصد انتاج مادة واحدة . ومثال ذلك — صنع اللبان . أو تقوم الفرازة بتصفية المداد الذي تطبع به اللفائف ، فتنقية الزيت المستعمل في لف الأوراق الرقيقة التي تغطى بها اللبانة ، ثم نزع الشوائب التي تشوب العصارة اللبنية الجافة التي تتخذ من أشجار السابوديلا [1] وأخيراً تجفيف السكر الذي يذر على ذلك الصمغ .

وفي كثير من الصناعات تسهل الفرازة ، الوسائل العتيقة المستعملة للانتاج ، تسهيلاً

(١) السابوديلا — شجرة ضخمة أبيدة « دائمة الاخضرار » تزرع في جزائر الهند الغربية وأمريكا الوسطى وتفرز عصارة لبنية . وهذه العصارة تشبه العصارة التي تسيل من شجر الكاوتشوك وتستعمل في انكلترا بدلاً عنها .

عظيماً . ومثال ذلك ، جمع الزيوت من ثمار الفصيلة البرتقالية لاستعمالها في تعطير الحلوى والفطائر ، والعطور التي توضع على رفوف المطابخ . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن هذا العمل كان يمارسه في زمن مضى فلاحو جزيرة صقلية بصفة كونه احدى الصناعات الحالية . فكانوا يجمعون قشور الليمون والبرتقال ويعصرونها في مراجل « قصع » مملوءة بالمياه ، فيطفو الزيت على سطوحها فيقشطونه عنها . وما من شك أن هذا العمل كان شاقاً مملاً ، فضلاً عن تفاهة نتيجته . اذ كان الطن الواحد من قشور البرتقال لا يستخرج منه أكثر من رطلين انكليزيين من ذلك الزيت العطري . على حين يستغل من الطن الواحد من قشور الليمون الهندي ، نصف رطل انكليزي ، من ذلك الزيت الليموني . بينما يستخرج من طن قشور الليمون الحامض ، أربعة أرطال انكليزية أما الآن فتقدم القشور ، من المعاصر التي تعصر هاتيك الأثمار لاستخلاص عصاراتها ، وذلك الى مكابس ضخمة ، حيث تتدفق عليها المياه فتستخلص منها الزيوت المنشودة . اذ تصب المياه الدافعة للزيت، في فرازة تدور ١٥ر٠٠٠ دورة في الدقيقة . فتفرز هذه الفرازة ٢٢٠٠ جالون من السائل في ساعة واحدة بينما يسيل الزيت من أحد صنبوري الفرازة ويسيل الماء التالف من صنبورها الآخر .

✽﴿ الفرازات تمنع تجمد الزيت من الصقيع ﴾✽ وللفرازة يرجع معظم الفضل في تسهيل تسيير السيارات في فصل الشتاء . لأنه حينما يتجمد الزيت في أي يوم كان من أيام الصقيع وذلك في علبة عمود الكرنك في السيارة ، تجمداً شديداً ، كثيراً ما ينشأ عن ذلك وقف تسيير محرك السيارة إذ يتحول الزيت شمعاً متجمداً ، من انخفاض درجة الحرارة . فتقوم الفرازات الآن بنزع هذا الشمع . إذ يخفف زيت التزييت ، بالنفط ، فيبرد الى درجة تجمد الشمع . ثم تنزع هذه المادة من الزيت . وبهذه الواسطة يتسنى سيلان الزيت في أية حالة من حالات تقلب الجو .

✽﴿ الفرازة تصفي الورنيش ﴾✽ وينبغي أيضاً الاعتراف بنفع الفرازة نفعاً عظيماً في صنع دهانات اللاكيه البيضاء ، وأنواع الورنيش المختلفة التي تعرض الآن في الأسواق . ذلك لأن بعض المواد تستحيل تصفيتها لكثرة المواد الصمغية التي تشوبها . وحينئذ لا بد من حل معضلة التخلص من تلك الشوائب الصمغية . فلا يحلها الا الفرازة إذ تقوم بأعظم دور في تنقية أنواع الغراء والورنيش واللاكيه وشمع صقل خشب الأرضية .

✽﴿ الفرازة وطحين السمك ﴾✽ وهي نافعة في صناعة طحين السمك كذلك . لأن صناع هذا الطحين ، الذي هو بقايا أجسام سمك الراي والسردين والتونة وأمثالها ، التي تتخلف عقب استخراج زيوتها الشيقة منها ، يطمحون دائماً الى استخراج أكثر ما يمكن من الزيوت

المشار اليها ، فبيل بيع النفايات كطحين لعلف الحيوان أو سماد لتسميد الأطيان . ولهذا الغرض يطحن السمك ثم يمزج طحينه بالماء ويوضع في فرازة فتدور ، فيبرز منها طحين السمك من أنبوب . ويسيل الماء من أنبوب آخر ، والزيت من أنبوب ثالث فيها .

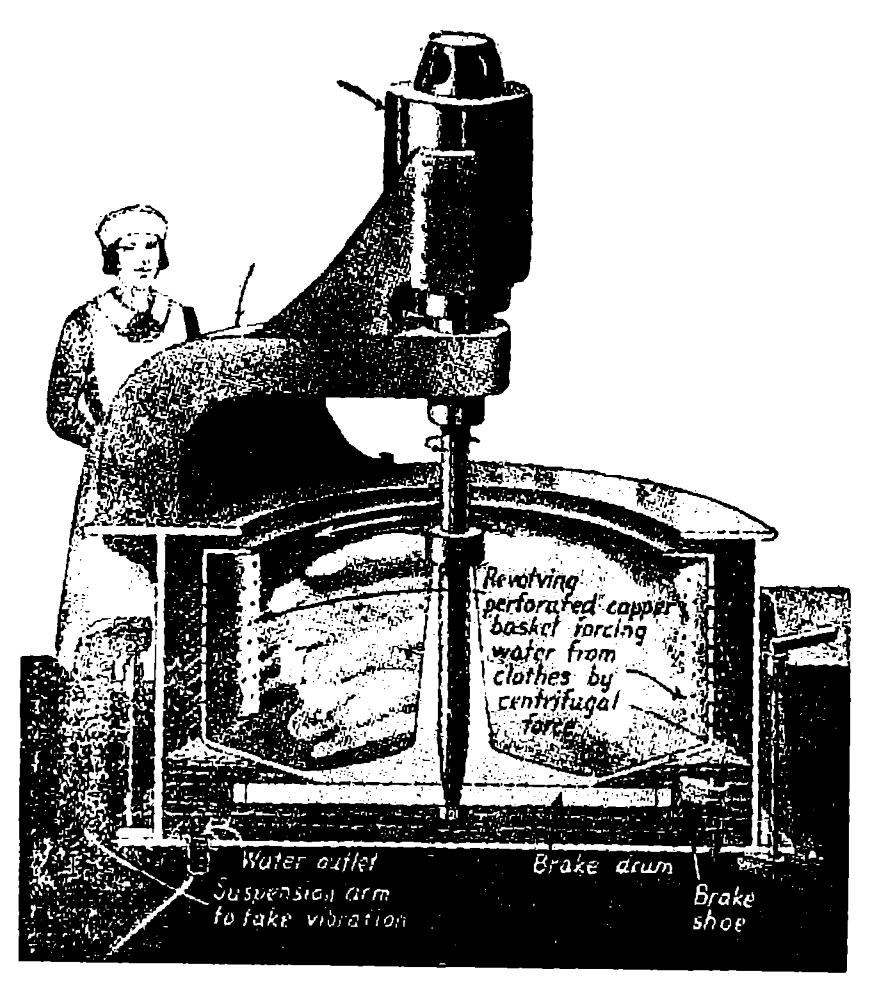
﴿ الفرازة في الأعمال المنزلية ﴾ وتؤدي الفرازة مئات من الاشغال المنزلية ومنها تنظيف المواد الدهنية في مخابز الفطائر المقلية . حيث تستعمل المخابز مقادير كبيرة من تلك المواد تكلفها نفقات باهظة وعندما تستعمل هذه المواد الدهنية في القلي عدة مرات ، تتلوث سريعاً بدقائق العجين المحترق من القلي . فاذا لم تنظف المواد الدهنية مما يشوبها من هذه الدقائق المحروقة ، أصابها التعفن . فتقوم الفرازة حينئذ بهذا التنظيف بكل دقة . وذلك بوضع الدهن القذر في الفرازة ، فتعزل الدهن النظيف إذ يبرز من صنبورها ، بينما تخرج النفاية السوداء من صنبورها الثاني .

﴿الفرازة في صناعات البويات والمداد والخزف الصيني والكاوتشوك وأقلام الرصاص﴾ وللدقائق المادية في شتى الصناعات العصرية أهمية كبيرة . ويصح ذلك في الصلصال الذي يدخل في صنع الخزف الصيني الماخر « الصحون والأطباق » وفي السناج « هباب المصابيح » الذي يطيل بقاء كاوتشوك إطارات السيارات صالحاً للاستعمال . وفي الصبغات التي تدخل في البوية ، وفي الجرافيت الذي هو قوام أقلام الرصاص . كما أن للدقائق نفسها شأناً خطيراً في صناعة المداد المستعمل في أقلام الحبر المستديرة الأطراف ، حيث تعوق دقيقة مداد كبيرة الحجم قليلاً ، رأس القلم الكروي الشكل عن عمله . فالفرازة إذن أصلح الآلات لتنسيق أحجام الدقائق المادية تنسيقاً صحيحاً . فاذا دارت الفرازة دوراتها المحدودة، عزلت الدقائق المادية الكبيرة الأحجام، من الجرافيت وهذه الدقائق هي التي تجعل قلم الرصاص يخدش الورق عند الكتابة به عليه . كما ان الفرازة تنقي البوية والصلصال من الرمل .

﴿ الفرازات تستخرج اللانولين ﴾ ويضاف إلى هذا منفعة أخرى — هي استخراج دهن اللانولين من صوف الغنم . وهو المستعمل لدهن شعور النساء . كما يستعمل في صناعتي الصابون والمراهم . وهو مادة ثمينة وهذا مما يحدو صناع الصوف ، على بذلهم أقصى الجهد في استخلاص كل أوقية منه فتراهم يغسلون الصوف بمياه غزيرة ثم يصبونها في الفرازات . وكلما أديرت هذه الفرازات ، خرجت المياه من أحد صنابيرها وخرج اللانولين من صنبور آخر ، وبرز الوسخ من صنبورها الثالث .

﴿ الفرازات تجمع خمائر البيرة ﴾ والفرازة نافعة جداً لجمع منتجات ثانوية صناعية

أخرى . ونعني بها الخميرة التي تنتج من البيرة . وتستعمل خمائر جمة لتحسين طعوم كثير من أغذية الانسان وأعلاف الحيوان .



[آلة غسل الملابس]

﴿الفرازة تجفف الثياب المغسولة﴾ والتجفيف هو ثالث المنافع الكبرى للفرازات . وأبسط مثال له — الآلة الرحوية مجففة الملابس المغسولة . وتستعمل هذه القاعدة عينها في الصناعات الكيماوية بأسرها . ولا سيما في غسل المواد الجامدة وتجفيفها ، مثل بيكربونات الصودا وسلفات النحاس والاسبيرين والبورق وملح الطعام وكثير غيرها من المنتجات. والآلات التي من هذا القبيل تعمل عملاً متواصلاً . وحالما تفرز الرطوبة

من احدى كميات المواد المقصودة ، وذلك بقوة تعادل جاذبية الثقل ٩٠٠ مرة ، تنزل مدية في موقعها المعين فتقشط المواد الجامدة ، عن الاسطوانة الدوّارة في الآلة . ومتى بنفذ ذلك، توضع في الآلة كمية أخرى من المواد المزمع تجفيفها .

﴿ الفرازات تنقي زيوت التزييت ﴾ [1] وفي خلال الحرب العالمية الثانية كانت الشركتان الأمريكيتان الكبيرتان ، لصنع الفرازات وهما شاربلز في فيلادلفيا ، ودي ليفال في نيويورك، مشغولتين جداً بإعداد لوازم الأسطول الأمريكي، واللجنة البحرية الوطنية، وكانت السفن الأمريكية حينذاك، لا مناص لها من استعمال أجود أنواع زيوت التزييت وهذه كانت وتنفذ عسيرة المنال، أحياناً، في مراكز طلائع الجيوش الأمريكية المنتشرة في أصقاع شتى من العا ولذلك كانت السفن تزود دائماً بفرازات خاصة لتنقية الزيوت التي تحتاج إليها التزييت آلاتها

﴿ الفرازات تساعد على تحضير البنيسيلين ﴾ ومن دون الفرازات كان مستحيلاً مثلاً تحويل الدماء ، إلى كميات ضخمة من المصل والزلال الدمويين ، اللذين ينقذان الحياة البشرية. كما قامت الفرازات في عمل باهر جداً ، إذ حلت معضلة من أعوص المعضلات التي تعرضت لها الصناعات . ونقصد بها انتاج البنيسيلين . لأن في صنع هذا العقار السحري ، تقوم مادة مذيبة ، بامتصاص البنيسيلين من السائل الذي يوضع في الحياض الكبرى الخاصة بتخميره ، حيث ينمو

[فرازة مصل الدم]

(١) ذكرت احدى جرائدنا اليومية في ٣ / ١ / ١٩٥١ أن السلاح الجوي الملكي طلب الى وزا الحربية شراء آلة لتكرير الزيت المتخلف من الطائرات والسيارات لاعادة استعماله . وذلك لـ لوحظ أ من استهلاك كبير من الزيوت

المصل المولد له . فتنتج وقتئذ عقبة أخرى هي استخلاص كميات دقيقة من الفيسيلين
من ألوف الجالونات المديدة المضم من ذلك السائل. فحلت الفرازات هذه المشكلة ، با
تلك العقبة الكؤود .

﴿ الفرازات تقوم بعزل الفيروس ﴾ وللفرازات في أعمال البحث الطبي شأن يذ
فيذكر . إذ مهدت السبيل لعمل عصري عظيم من أعمال المختبرات الكيماوية — هو ء
الفيروس virus أي الميكروبات المتناهية في الدقة التي هي مصدر أمراض شلل الأطفا
والحمى الصفراء ونزلات البرد العادية ، والحصبة . ذلك لأن هذه الميكروبات الخف
تفلت من المرشحات الصينية ، لدقتها المتناهية . مع كون هذه المرشحات صالحة لاقتنا
البكتيريا . ولهذا السبب لا نستطيع المجاهر العصرية رؤيتها .

وكانت هذه الميكروبات الدقيقة مجهولة الى سنة ١٩٣٥ . ولم يكن يثبت وجو
حينئذ إلا معلومات استنتاجية . فقام الدكتور — و . ج . ستانلي ، الطبيب في مع
روكفلر للبحوث الطبية ، باستخراج عصارة من نباتات تبغ كانت مصابة بمرض التبق
تخيل اليه أنه إذا وضع تلك العصارة الخارجة من المرشح ، في فرازة تدور دوراناً عا
كافياً للغرض المروم ، لا بد من طرد الميكروب المشار اليه ، إلى حافة الفرازة نفسها . وت
له بعملية حسابية ، إنه إذا دارت الفرازة بسرعة ٢٥٠٠٠ دورة في الدقيقة، ولدت ق
صد ذلك الميكروب ، تساوي جاذبية الثقل ٤٠٠٠٠ مرة . فكانت هذه النتيجة كافية لانش
مبدأ الفرازة . فمهدت السبيل لعزل ذلك الميكروب البحت . مثلما عبدت الطريق لمكا
الأمراض الأخرى التي تنجم عن أمثال هذه الميكروبات، وأخصها الحمى الصفراء والانفلونز

وأما الفيروس الذي هو قوام لقاح الجدري مثلاً فيربى في أجنة البيض الملقح . لا
هذا الفيروس يحتاج الى غذاء من نسيج حي . بينما تعيش البكتيريا ، على الأغذية « الميتة
مثل مرق اللحم البقري والعصيدة النباتية « الآجار » والسكر . وتوجد الآن فرازا
فاخرة جداً تستخدم في المعامل الكيماوية لعزل الميكروبات الدقيقة التي من هذا النوع
وبعضها يدور دوراناً في أقصى السرعة ، فيولد قوة مركزية دافعة تساوي جاذبية الثق
١٠٠٠٠٠ مرة . وهذه تدور دوراناً مستمراً فتفرز السائل المعصور من أجنة الفرار
المصابة بالعدوى . وذلك من أحد أطرافها . على حين يخرج الفيروس ، على شكل هلا
شفاف ، من صنبورها الأول . ويسيل السائل التالف ، من صنبورها الثاني .

نحن واللغة العربية

— ٥ —

اللغة العربية في العصر الحاضر : ح . [في الشام]

للأمير مصطفى الشهابي

ذكرت في أحد أحاديثي السابقة ان المدارس الاهلية في ديار الشام ، إسلامية كانت أم نصرانية ، هي التي كانت تعني بتدريس لغتنا الضادية ، أيام الدولة العثمانية .

أما مدارس تلك الدولة فقد كانت تعد التركية هي الأصل وتعد العربية لغة ثانوية لاتدرس إلا على قدر حاجة اللسان التركي إلى اللسان العربي .

فلما تأسست الحكومة السورية العربية سنة ١٩١٨ ، وأصبح للشام كيان قومي مستقل سمت همة رجالنا إلى تحقيق الأغراض الآتية وهي : أولاً ـ نقل دواوين الحكومة من التركية الى العربية ثانياً ـ رفع مستوى الثقافة العامة بتزييد عدد المدارس على مختلف أنواعها . ثالثاً ـ تدريس اللغة العربية تدريساً وافياً وجعلها لغة التعليم لجميع العلوم الدراسية في مدارس الحكومة كافة .

وقد تحققت هذه الأغراض الثلاثة فافتتحت المدرسة الطبية وفروعها ، وأسست مدرسة الحقوق ، وتألفت الجامعة السورية من هذا المجموع . وفتحت دور للمعلمين والمعلمات في دمشق وحلب ، ومدرسة تجهيز في كل لواء (محافظة) ، ومدارس ابتدائية كثيرة ، ومدرسة صناعية في دمشق ، وأخرى في حلب ، ومدارس الاشغال اليدوية النسائية ، ومدرسة زراعية في الغوطة نقلت بعدئذ الى سلمية وجعلت العربية لغة تدريس العلوم في جميع هذه المدارس .

ولما مست الحاجة إلى ايجاد مصطلحات علمية للمدارس ولدواوين الحكومة ولا سيما الجيش ، أنشئت لجنة للترجمة كانت نواة للمجمع العلمي العربي بدمشق . ثم لما دخل الفرنسيون البلاد الشامية الداخلية في سنة ١٩٢٠ ، حدثني بعض رفاقنا بإضرارهم بالضاد ، وبدوّهم بمعاداة كياننا القومي ، وخافوا أن يعود هذا [illegible] كذ

عليه أيام الدولة العثمانية من الانحطاط . لكن الأيام أثبتت أن هذا الحذر لم يكن في محله . والحقيقة التي يجب أن تقال هي أن الفرنسيين ، على الرغم من خططهم السياسية السقيمة، لم يحاربوا التعليم ولا اللغة العربية في ديار الشام . بل لبثت العربية لغة دواوين الحكومة في مدارسها، ولغة تعليم الدرك والشرطة في سورية . أما في لبنان فالمدارس الابتدائية كانت تدرس بالعربية ، ومدارس التجهيز تدرس بعض العلوم بالعربية وبعضها بالفرنسية . وأما الدرك اللبناني فكان يتعلم بالفرنسية على حين أن مراسلاته مع الحكومة والأهالي هي بالعربية.

والذي سعى إليه الفرنسيون هو تعليم الفرنسية تعليماً حسناً في مدارس الدولة ، وبث الثقافة الفرنسية في أوساطنا التي تحتاج إلى ثقافة أجنبية . وهذان الأمران لا يسيئان إلينا . لأنه لا بد لكل عربي مثقف ثقافة حديثة من معرفة لغة أوربية غنية بالعلوم والفلسفة والأدب . واللغة الفرنسية من أغنى اللغات بها . فأي ضرر من اتقانها ، ومن التعرف إلى شعبها ، ما دامت لغتنا العربية مصونة الجانب ، وما دامت ثقافتنا العربية محتفظاً بها ؟ أما بعض الجهلاء أوذوي الثقافة المحدودة الذين تسمعونهم يتراطنون كالعبيد بلسان نصفه عربي ونصفه أعجمي ، تباهياً بأنهم يعرفون لغة أجنبية وبأنهم لا يتقنون لغة آبائهم وأجدادهم ، فلا خوف على لغتنا منهم ، لأن عددهم محدود ، لأنهم كمية مهملة في مجتمعنا الثقافي . فالعربي المثقف من أتقن العربية وحرص عليها ، وأتقن معها لغة علوم أوربية كالفرنسية والانكليزية . أما الذين يهملون العربية منا ويكتفون باللغات الأخرى فأقل ما يقال فيهم إنهم مارقون جديرون بالازدراء .

وكانت مغبة نشر التعليم في أيامنا هذه أن زاد عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية للحكومة السورية على خمسة أمثال عددهم أيام الدولة العثمانية ، كما زاد عدد التلميذات على عشرة أمثاله في تلك الأيام . وأصبح تلاميذ مدارس التجهيز ثلاثة أمثال عددهم السابق وتقدم تدريس اللغة العربية وآدابها ، في السنين الاخيرة ، تقدماً يدعو الى الارتياح،سواء في مدارس الحكومة أم في المدارس الأهلية أم في المدارس الاجنبية.وكان لتأسيس البكالوريا السورية والبكالوريا اللبنانية تأثير كبير بهذا الصدد.فقد اضطرت جميع المدارس الحكومية وغير الحكومية إلى العناية بلغة الضاد لكي يستطيع تلاميذها الحصول على هذه الشهادة ودخول المدارس العليا. وأصبح اليوم عندنا أساتذة لهذه اللغة لا عهد لنا بأمثالهم منذ بضعة قرون

وأهم معقل للغة العربية ، وآدابها في ديار الشام هو المجمع العلمي العربي ، مركزه في دمشق وله فرع في حلب . وقد أسس سنة ١٩٢٩ فآوى الى مدرستي الظاهرية والعادلية من جميلات أبنية القرن السابع للهجرة ، وأصدر مجلة بلغت مجلداتها حتى اليوم ١٧ مجلداً .

و٤٠٠٠ في حلب على حين أنه لم يكن في الخزانة الظاهرية عند ما تسلمها المجمع سوى ٢٠١٤ كتاباً [1] وما متحف دمشق اليوم سوى أثر من أعمال المجمع انفصل عنه حديثاً بعد ان كبر . وقد وضع بعض أعضاء المجمع عدداً كبيراً من المصطلحات العلمية ، وصححوا كثيراً من أغلاط الكتّاب ، وقوموا لغة دواوين الحكومة ، ونشطوا الأدباء والمؤلفين ونشروا بعض كتبنا القديمة . وللمجمع ردهة للمحاضرات يحاضر فيها الأعضاء وغيرهم في كل أسبوع وله في دمشق وحلب غرف للمطالعة يؤمها في كل يوم عشرات من طلاب الفوائد.

أما الجامعة السورية فهي كما ذكرت وحيدة في نوعها من حيث اقتصارها في التدريس على اللغة العربية وقد أثبتت أنه بامكان هذا اللسان المبارك الاتساع للعلوم الطبية الحديثة ، خلافاً لما يراه بعض العلماء في مصر والكتب التي الفها أساتذتها بمختلف العلوم الطبية دليل على أنه كان بامكان الجامعة الأميركية في بيروت أن تداوم على التدريس بالعربية لو أتيح لها يومئذ عدد كاف من الأساتذة الذين يجمعون بين العلم واللغة .

ومهما يكن من أمر فالمجمع العلمي العربي والجامعة السورية هما اليوم أجود صلة بين الثقافة العربية والثقافة الأوربية .

وللحكومة الفرنسية في دمشق معهد فرنسي علمي مقره قصر آل العظم الشهير. وقد كانت الحكومة المشار اليها ابتاعت ذلك القصر من آل العظم فجعله القائمون عليه بادىء ذي بدء مقر حفلات وسخافات. ولكن السلطة الفرنسية سرعان ما قلبته الى معهد علمي على غرار معهد القاهرة الفرنسي ، فصار أعضاؤه يتدارسون العربية ويبحثون عن علمائنا وتاريخنا وآثارنا ، وينشرون الكتب والبحوث الجليلة المفيدة . ولهم خزانة كتب فيها ١٠٠٠٠ مجلد ومدير هذا المعهد المسيو لاووست يعد اليوم من علماء المشرقيات المشهود لهم، وقد انتخبناه أخيراً عضواً في مجمعنا العلمي العربي.

وللجامعة الاميركية في بيروت عناية بتدريس العربية . وقد أخذ العرب من أساتذتها يطبعون في السنين الأخيرة بعض كتبنا القديمة كتاريخ ابن الفرات وكديوان ابن الساعاتي كما أخذوا يؤلفون بالعربية أو ينقلون اليها جملة صالحة من الكتب المفيدة ككتب الاستاذ سعيد حماده في النظم الاقتصادية في سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ، وكتاب الاستاذ أنيس المقدسي في العوامل الفعّالة في الأدب الحديث » ، وكتب الاستاذ أسد رستم في

---

(١) أما اليوم فقد أربت كتب الظاهرية وانه دليلة على أربعين ألف مجلد . وفي سنة ١٩٣٨ كنت محافظاً لحلب فشيدت فيها دار الكتب الوطنية ، وكذلك بنيت سنة ١٩٤٤ دار الكتب الوطنية في اللاذقية عندما كنت محافظاً لجبل العلويين . وقد نيفت كتب الاولى اليوم على ثلاثين ألف مجلد ، وكتب الثانية على عشرة آلاف مجلد .

« الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا » ، وكتابي الأستاذ جبرائيل جبور في الشاعر المشهور عمر بن أبي ربيعة الخ ...

أما الجامعة اليسوعية الفرنسية في بيروت فلها على العربية فضل لا ينكر . فقد طبعت في مطبعتها بعض مخطوطات لغوية قديمة للثعالبي وغيره ، وكتاب التهافت للغزالي ، وكتاب تهافت التهافت لابن رشد وهما من تراث الأجداد في الفلسفة . واختصر العلامة الأب لويس شيخو اليسوعي كتاب الأغاني ، وألف في شعراء العرب النصارى ، وأشرف على شؤون مجلة « المشرق » المشهورة . وقد حوت هذه المجلة في مجلداتها العديدة كثيراً من البحوث اللغوية المفيدة . وللأب لويس معلوف اليسوعي معجم « المنجد » وهو أسهل معاجمنا الحديثة تناولاً ولا سيما على التلاميذ . وللأب بلو اليسوعي معجمان مدرسيان الأول فرنسي عربي والثاني عربي فرنسي . ولليسوعيين مطبوعات كثيرة غير ما ذكرت . ولهم جريدة « البشير » من أقدم جرائد بيروت العربية . وعندهم علماء ألفوا بالفرنسية كتباً علمية مفيدة كجيولوجية لبنان للأب زموفن وكتابات سورية لغيره الخ . ويا ليتهم ينقلونها الى العربية .

وتقدمت الصحافة السياسية في العصر الحديث وكثر عدد الصحف السياسية ، وارتقت لغتها ، لكنه تصدى لها المتعلم والجاهل ، والغني والفقير . أما الصحافة الأدبية والعلمية فلم يعش من صحفها ما يسد حاجة المتأدبين إلى المطالعة ، ولهذا انتشرت في الشام الصحف المصرية الغزيرة المادة الرخيصة الثمن كالمقتطف والهلال والثقافة والرسالة والمصور وغيرها : وقد قال لي مرة الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب « الرسالة » ان عدد قراء مجلته في الشام والعراق يفوق كثيراً عدد قرائها في مصر ، مع مراعاة نسبة السكان في كل قطر من هذه الأقطار

وقد فاق الشاميون غيرهم بتصنيف المعاجم اللغوية ، وأحدث معجم طبع في بيروت هو « البستان » للمعلم عبد الله البستاني . وفاقوا غيرهم أيضاً بالمصطلحات العلمية . فألف الدكتور أمين باشا المعلوف معجم الحيوان ومعجم أسماء النجوم ، وألفت معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية . وهو يحتوي على نحو عشرة آلاف لفظة نصف ما يقابلها بالعربية على الأقل من وضعي أو تحقيقي ، ووضع أساتيذ الجامعة السورية عدداً كبيراً من مصطلحات العلوم الطبية نشروها في كتبهم وفي مجلة المعهد الطبي العربي . ويرى طلاب الفوائد مئات من المصطلحات العلمية في مجلدات مجلة المجمع العلمي العربي .

ويتضح من هذه الخلاصة أن لساننا الضادي يتقدم اليوم تقدماً مطرداً في ديار الشام ، شأنه في مصر والعراق . ولكن هذا اللسان في حاجة الى توحيد الجهود في سبيله ، في



ما يهمك أن تعرف عن : ـ

العناصر المعدنية

ماهيتها وخواصها في جسم الانسان



— ٣ —

للأستاذ اسبيرو جبيري



الأكسيجين والنتروجين

﴿ الهواء ﴾ مادة وان كنا لا نراها إلاّ أننا نحس بوجودها ، فالهواء يغمر كل شيء على وجه الأرض ويعلو فوقها أميالاً عديدة ، ثم هو يتخلل أدق المسام ويملأ أصغر الخلايا .

وكان القدماء يعتقدون أن الهواء واحد من العناصر [١] ، وجهلوا أنه مؤلف من غازات عدة ، حتى جاء كيميائيو هـذا العصر فنقضوا هذا الاعتقاد وبيّنوا أن هـذا الهواء الكروي مجموعة من الغازات ، إن كانت تتشابه في أنها لا ترى بالعين المجردة ، إلاّ أنها تختلف بعضها عن بعض تمام الاختلاف في الخواص والصفات .

والهواء كالماء عنصر ضروري جدًّا للكائنات الحية كافة من حيوان ونبات ، لأن الانسان قد يضرب عن الطعام شهراً وعن الماء أياماً ، لكنه لا يستغني عن الهواء إلاّ دقائق معدودة وإن من الحيوان ما يستطيع الامتناع عن الطعام والشراب اضعاف هذه المدة ، كالدب الأبيض وحيوان الرنة ونوع من الجرذان وغيرها ، تمكث في فصل الشتاء عدة أشهر بلا طعام ولا ماء ، ولكنها جميعاً لا تستغنى عن الهواء ، لأنه أساس الحياة ، إذا استثنينا بعض الميكروبات التي تعيش بغيره ، مثل ميكروبات التعفن ، وما ندر من

---

(١) قصة العناصر للاستاذ امبابي أحمد



oldbookz@gmail.com

الميكروبات المرضية . فهذه وإن كانت لا تعيش في جو أو وسط فيه اكسيجين ، إلا انها تستمد ما تحتاج إليه من الاكسيجين من تحليل الموادالتي تتغذى بها. ويعد الأكسجين أهم عنصر فعّال في الهواء ، ضروري لتنظيم التنفس ، فبدونه لا يجري في الانسان أو الحيوان أي نفس ، ولا تشعل نار أو تدار آلة وهو خمس الهواء جرماً أما الاربعة أخماس الأخرى فيشغلها (تقريباً) غاز يعرف بالأزوت أو النيتروجين[1] وهو عنصر الهواء غير الفعّال،

فالهواء اذن ضروري لاشعال الأجسام ، فاذا وضع جسم مشتعل في اناء مسدود انطفأ سريعاً ، لأن احتراق الأجسام هو اتحاد عناصرها بالأكسجين الذي في الهواء اتحاداً كيميائيّاً ، وما اللهب الذي نراه إلاّ نتيجة لهذا الاتحاد . والهواء أيضاً ضروري لحياة الحيوان بأنواعه ، فاذا ما سد أنف حيوان وكذلك فمه حتى لا يدخلهما الهواء مات لساعته . وفي جسم الانسان معمل كيميائي فهو يستنشق الهواء فيتحد أكسيجينه بالكربون الموجود بالجسم اتحاداً كيميائيّاً مكوّناً غاز ثاني أكسيد الكربون (حامض الكربونيك) الذي يخرج من الجسم مع الزفير وينتج هذا الاتحاد الكيميائي حرارة .

﴿ نسبة الأكسجين ﴾ لا يكفي مجرد وجود الأكسجين في الهواء ، بل يجب أن يكون بنسبة معينة ، اذا نقص عنها اضطرب التبادل الغازي في الرئة ، كما يجب أن يكون للهواء ضغط خاص ، إن نقص عنه أو زاد اضطرب أيضاً التبادل الغازي في الرئة .

وكلما ارتفع الانسان وعلا عن سطح الأرض قلّ الضغط الجوي تدريجاً حتى اذا بلغ ثمانية آلاف أو عشرة آلاف متر فوق سطح الماء قل ضغط الهواء بحيث يصبح التنفس مستحيلاً . ويحدث عند تسلق الجبال إلى ارتفاع ٢٢٠٠ متر أن يقل ضغط الهواء وتقل تبعاً لذلك نسبة الأكسجين فيه إلى ١٣ ٪ ، ويتسبب عن ذلك أعراض مزعجة مثل عسر التنفس والغثيان والقيء والهبوط العام ، ولذلك يستعان في مثل هذه الظروف بوسائل صناعية منها ضغط الأكسيجين في أنابيب تفتح عند الحاجة لزيادة كميته في الجو الذي يعيش به الشخص اتقاء للخطر عند الصعود بطائرة إلى ارتفاعات شاهقة ، أو عند نزول الغواصات الى قاع البحر ، حيث يكون الانسان في حجرة محكمة الغلق .

وعلى ارتفاع ٢٠٠٠ متر يتكيف جسم الانسان اذ تكثر ضربات القلب وتزداد حركات التنفس[2] .

---

(١) قصة العناصر للاستاذ اميابي أحمد

(٢) علم ... للدكتور سليمان عزمي باشا .

وكما تحدث الاضطرابات من ضغط الهواء ، كذلك تحدث أعراض مزعجة من زيادة هذا الضغط، واخطر هذه الأعراض يقع اذا انتقل الانسان فجأة من ضغط شديد الى ضغط عادي.

* ﴿ تركيب الهواء ﴾ الهواء الذي يدخل الرئة بالشهيق يحتوي على ٢٠و٩٦ ٪ من الاكسيجين أي خمسه تقريباً وعلى ٠٤ و ٠ ٪ من ثاني أكسيد الكربون و ٧٩ ٪ من الازوت أي « النيتروجين » وغازات أخرى بنسب ضئيلة جداً .

بينما الهواء الذي يخرج من الرئة بالزفير يحتوي على ١٧ ٪ من الاكسيجين و ٤ ٪ من ثاني أكسيد الكربون و ٧٩ ٪ من الازوت « النيتروجين » .

* ﴿ الهواء الفاسد والهواء النقي ﴾ يعد الهواء فاسداً اذا بلغت نسبة غاز حمض الكربونيك « ثاني أكسيد الكربون » فيه واحداً في الألف . وعلى العموم لا يجب أن تزيد نسبة حمض الكربونيك فيه على ٣ في الألف ، وكذلك لا يجب أن تقل كمية الاكسيجين عن مائتين في الألف.

وتعرف الفرق اذا وضعت قليلاً من ماء الجير في كأس وحركت هذا الماء أو صببته من كأس الى أخرى ، فان الماء يمتزج بهذه الطريقة بالهواء النقي ويبقى صافياً كما كان وبعد ذلك خذ أنبوباً من الزجاج وانفخ فيه تجد أن الماء قد صار أبيض لبنيـاً والسبب في ذلك أن الهواء النقي اذا امتزج بماء الجير لا يغير لونه على غير ما هي الحال اذا كان الهواء فاسداً فانه يجعل ماء الجير لبنيـاً

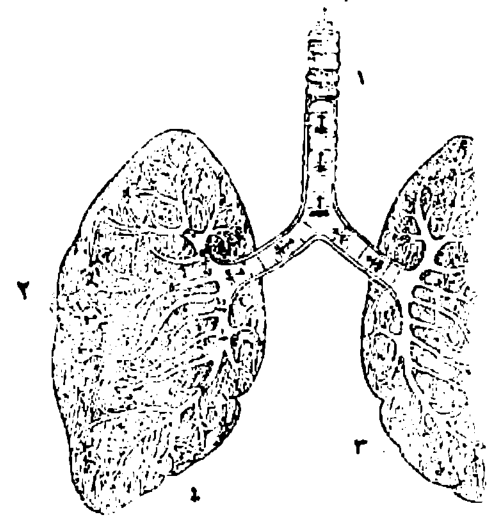
[ينفخ في الكأس فيخرج هواء الزفير ويجعل ماء الجير لبنيـاً]

وزيادة في الايضاح نقول : إن الهواء النقي الذي نستنشقه فيه غاز يسمى الاكسيجين . وإن الهواء الفاسد الذي نخرجه من الصدر فيه غاز يسمى حامض الكربونيك . « ثاني أكسيد الكربون » والاكسيجين لا يغير لون ماء الجير ، لكن حامض الكربونيك يغيره ، ولذلك تراه يصير لبنيـاً اذا نفخت فيه ، ولهذا يكون الهواء الذي نخرجه من الصدر بوساطة الزفير فاسداً لاحتوائه على هذا الحامض « ثاني أكسيد الكربون

* ﴿ الهواء المتجدد ﴾ الهواء المتجدد ينشط الجسم وينبهه ، كما أن الهواء الساكن يحدث هبوطاً، ونلاحظ ذلك اذا خرجنا من غرفتنا إلى شرفة المنزل . ومسألة التهوية قليلة الأهمية

النسبة للحيوانات التي تعيش في الخلاء . أما بالنسبة الى الحيوانات التي تعيش في الغرف ، والانسان الذي يعمل داخل الحجرات ، فان عملية التهوية ذات أهمية كبيرة للمحافظة على دوام الصحة والعافية ، لأن التنفس يفسد هواء الغرفة وخصوصاً اذا وجد بها مصباح بترول أو شمعة أو مواد وقود لها روائح .

﴿القصبة الهوائية﴾ يدخل الانسان الهواء في صدره ست عشرة مرة في الدقيقة آناء الليل وأطراف النهار ، ويدخل الهواء في الصدر إما من الفم وإما من الأنف وسواء أدخل من الأنف أو من الفم فانه يمر خلال انبوب يسمى بالقصبة الهوائية . والقصبة الهوائية أنبوب مفتوح، والذي يحفظه مفتوحاً حلقات غضروفية تمنع انطباقه ويبقى ممر الهواء داخلاً الى الصدر .



[١ ـ القصبة الهوائية ٢ ـ الخلايا الهوائية ـ ٣ و ٤ الرئتان]

وكلنا نعرف أن الطعام ينحدر من الفم إلى المعدة بطريق البلعوم فالمريء وهو ممر خلف القصبة الهوائية . ففي أثناء التنفس يغلق ممر الطعام ، وفي أثناء الطعام يغلق ممر الهواء ، غير أن أجزاء صغيرة قد تخطىء الطريق فتنحدر في ممر الهواء فينتاب الانسان سعال حتى يخرج ما نزل في طريق الهواء .

والقصبة الهوائية [1] في مقدم العنق وتنقسم قسمين ، قسم يذهب الى الرئة اليمنى وقسم يذهب الي الرئة اليسرى ، وبذلك يذهب بعض الهواء الى الرئة اليمنى والبعض الآخر الى الرئة اليسرى .

فاذا دخل الهواء الى الصدر انتفخت الرئتان كما تنتفخ الاسفنجة الجافة بالماء وسطح الرئة جميعه ناعم مندى بسائل فيسهل انزلاق الرئتين أسفل الاضلاع بغير ألم .

﴿التنفس﴾ وعملية التنفس تحدث في الخلايا بتبادل غاز الاكسجين وثاني أكسيد الكربون، هي عملية احتراق بطيء يولد حرارة وقودها ما يصل الى الخلية من الغذاء ، وتأخذ الاكسجين اللازم لهذا الاحتراق من الدم، وهو بدوره ليجدد ما استعمل منه في

(١) الصور الجامعة لجسم الانسان للدكتور محمد عبد الحميد بك .

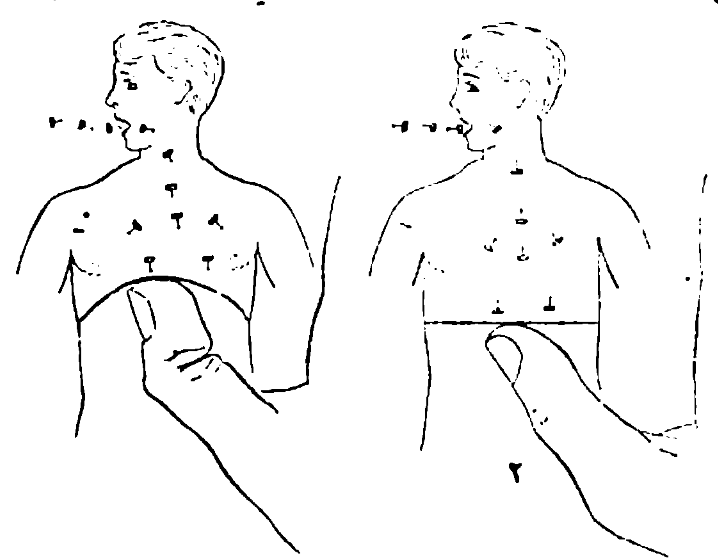
عملية الاحتراق ، يستمد الأكسيجين من الرئة بعملية الدورة الدموية وعملية التنفس في الرئة

ويتنفس النبات أيضاً ويحدث تبادل الغازات في النبات خلال ثغور ومسام على سطح أوراقه وأغصانه وخلال خلايا شعيرات الجذور الشعرية

وإذا توقف التنفس بالاختناق أو الغرق أو لأي سبب آخر زادت كمية غاز ثاني أكسيد الكربون وحدثت الوفاة بالاختناق (الاسفيكسيا) .

ولما كان الدم النقي من أهم عوامل الصحة البدنية في تنشيط الجسم وزيادة قوة مناعته وحفظ نضارة بشرته فالتنفس هو العامل الوحيد في تجديد الدم وتطهيره .

﴿ أنواع التنفس ﴾ التنفس نوعان : التنفس البطني والتنفس الصدري .



١ — خروج الهواء من الصدر — ٢ — دخول الهواء في الصدر

فالنوع الأول : وهو التنفس البطني يكون بارتفاع الحجاب الحاجز وانخفاضه ، وفي هذا النوع يدخل مقدار عظيم من الهواء النقي ويطهر الدم — وهو تنفس الراحة .

والنوع الثاني : وهو التنفس الصدري وفيه تكون العضلات متوترة والتنفس مكتوماً قليلاً من الوقت ويكون التنفس أطول .

فالنوع الأول يجعل بطنك أكبر في أثناء دخول الهواء إلى صدرك لانخفاض الحاجز الى أسفل ودفع المعدة الى الامام . وأما النوع الثاني فلا ينفخ البطن لأنه يقتصر على توسيع

الصدري في أثناء الجري والعمل.

﴿ فائدة التنفس ﴾ يقول الدكتور النابه أحمد عبد الله بك إن التنفس يقوم مقام : —

١ — مدالك للقلب يدفع الدم في الأوردة الكبيرة من الرئة إلى الأمام « الى القلب » .

٢ — عاصر للكبد اذ يدفع الحجاب الحاجز الى أسفل فيضغط الكبد ، فيعصره كما يعصر الانسان الاسفنج فيخرج مفرزاته الى الباب الكبدي بنشاط .

وقال طبيب آخر [1] « تنفس كل يوم مائة مرة تنفساً عميقاً تصبح في مأمن من السل » .

فعلى كل راغب في تحسين صحته أن يراعي شروط التنفس القانونية وخاصة الذين يقضون معظم يومهم بين الجدران ، فعليهم أن ينتهزوا الفرص ليذهبوا الى الحدائق والمتنزهات وفي الجبال والخلوات حيث يستنشقون الهواء النقي ويتنفسون تنفساً عميقاً ، وبما أن طبيعة الأرض المصرية خالية من المرتفعات إلاّ اليسير فيكتفي بالخلوات والمتنزهات.

غير أنه يستحسن إلاّ يمكث الانسان في حدائق مكتظة بالأشجار إلى ساعة متأخرة من الليل أوالنوم فيها، لأن الأشجار تملأ الهواء بثاني أكسيد الكربون الذي تزفره في خلال عملية التنفس (وهو تناول الأشجار للاكسجين وطردها لثاني أكسيد [2] الكربون) وهذا الأخير غير صالح للتنفس ومضر بالصحة

ويخشى الكثير من الناس هواء الليل ، على أن لا ضرر فيه مطلقاً ما دام خالياً من الرطوبة . وكثير من الأطباء يعالجون المرضى المصابين برئاتهم بجعلهم ينامون في الهواء الطلق ليلاً ونهاراً . ولكي تحفظ رئتيك سليمتين عوّد نفسك النوم والنوافذ مفتحة على شرط أن يكون على جسمك من الغطاء ما يحفظه دافئاً

﴿ طريقة التنفس ﴾ والطريقة الصحية للتنفس هي الشهيق في لين وعمق [3] بطيئين منتظمين بوساطة الأنف لا من طريق الفم ، لأن بمدخل الانف شعيرات دقيقة تنقي الهواء من الجراثيم والأتربة والميكروبات وتمنعها من الوصول إلى باطن الأنف والى الرئتين —

(١) كتاب الصحة والقوة الاستاذ مصطفى عبد الحليم ناشد .

(٢) الثقل النوعي لثاني اكسيد الكربون هو ٥٢٩ر١ أي أنه أثقل من الهواء ولهذا يرسب ثاني اكسيد الكربون على سطح الارض حيث لا يرتفع الى أوكار الطيور . ولهذا السبب لا تموت الطيور أو تضعف وهي تسكن بين أغصان الاشجار في الحدائق.

(٣) كتاب الصحة والقوة للاستاذ مصطفى عبد الحليم ناشد .

كما انه مبطن بغشاء يلطف برودة الهواء حتى لا يصل الى الرئتين بارداً ويسبب الزكام والنزلات الشعبية والالتهابات الرئوية — واذا لم تستطع التنفس من الأنف فيكون ذلك لتضخم الفم أو الحلق .

ثم يعقبه الزفير من الأنف أيضاً ويجب أن يكون أبطأ من الشهيق كي يسهل انكماش خلايا الرئتين في أثناء طرد الهواء .

ولقد أثبتت التجارب ان ٧٥ ٪ من الأتربة التي تدخل الجسم في أثناء التنفس تصل الى الجهاز الهضمي ، والباقي وهو ٢٥ ٪ يصل الى الجهاز التنفسي ، وهذا الجزء الأخير مع ضآلته أشد خطورة على الصحة .

ويتخلص الانسان من جزء كبير من الأتربة العالقة في الهواء بوساطة هذه الشعيرات الموجودة حول طاقتي الأنف من الداخل ، فالاقلال من العبث بها قاعدة صحية تجب مراعاتها مراعاة دقيقة ، ونتف هذه الشعيرات كما يفعل البعض مضر ضررين . الأول انها تعود الى النمو فتكون أثخن وأقسى . والثاني ان بصيلات الشعر قد تلتهب فتسبب ألماً شديداً قد ينجم عنه ضرر كبير ، فقصها بمقص حاد أقل خطراً من غيره .

﴿ مرات التنفس ﴾ ومعدل التنفس العميق في أول الأمر ثلاث مرات في الدقيقة ، وفي الامكان أن تطول مدة التنفس « شهقة وزفرة » بالممارسة الى نصف دقيقة أو أكثر

وبالتنفس العميق مع الرياضة البدنية شفي كثيرون ممن أصيبوا بعلل في أجسامهم وشحوب في ألوانهم .

ويحتاج الانسان العادي البالغ الى ما يقرب من ٥٠٠ لتر من الأكسجين يومياً لانتظام تنفسه أي ما يقرب من عشرة آلاف لتر من الهواء . ويخرج نحواً من ٤٠٠ لتر من غاز حمض الكربونيك في اليوم ويجب أن لا تزيد نسبة حمض غاز الكربونيك في هذه العشرة آلاف لتر من الهواء عن ٣ — ٤ لترات ، وتقدر كمية الكربون التي تخرج من الانسان بنحو ٢٠٠ جرام في اليوم .

﴿ الهواء والأمراض الصدرية ﴾ الهواء النقي من أنجع الأدوية للأمراض الصدرية ، فان المصدورين عامة والمسلولين خاصة يجب أن يتنشقوا دائماً الهواء الطلق ليلاً ونهاراً مهما تكن حالة الجو .

والأطباء اليوم يعالجون المصدورين بالهواء النقي المطهر من الميكروبات دون أن

يضطر هؤلاء المرضى الى الذهاب الى الجبال أو المصحات .

وقد فحص الأستاذ هنوك الفرنسوي مناخ برج ايفل [1] فدله الاختبار على أن دم الانسان الذي يرقى سلالم البرج يتجدد بسرعة وتتكاثر فيه الكريات الحمر ويقول إن الهواء ابتداء من الطبقة الأولى من البرج يختلف كل الاختلاف عن هواء شوارع المدينة ، فيقل فيه عدد الميكروبات ويكثر الأزوت والأكسيجين .

وفي أحد المصحات الألمانية في مدينة مكلمبرج يعالجون المرضى بهواء نقي يجري في أنبوب من الفولاذ طوله ستون متراً ويطهر بجهاز خاص وهذا الهواء النقي المطلق يعالج المرضى به ثلاث مرات في اليوم ، وهكذا استغنى العلم عن هواء الجبال الضروري للمصابين بالأمراض الصدرية بهذا الاختراع الجديد .

وسبق لنا أن طالعنا من زمن بحثاً مستفيضاً نفيساً للعالم الفرنسي الدكتور تيمرس نشرته له المجلة الفرنسية Je sais tous موضوعه « الميكروبات التي تملأ الهواء » ومن غرائب الصدف اننا وجدنا ملخصاً لهذا البحث منشوراً في مجلة العصبة البرازيلية فآثرنا نشر خلاصته اتماماً للفائدة .

« إن كل واحد من سكان المدن يبتلع في الساعة الواحدة نحو خمسة آلاف من الميكروبات المختلفة الأنواع . والانسان يستنشق يومياً من الهواء كمية يبلغ وزنها ستة أمثال وزن الكمية التي يأكلها ويشربها . ولهذا يجب أن تكون عنايتنا بالهواء ستة أضعاف عنايتنا بالمأكل والمشرب ، ولكن الواقع عكس ذلك فالحكومات تعنى بالغذاء والماء ، ولكنها لم تعن قط بنوع الهواء الذي نستنشقه ، مع أن الهواء شيء ضروري لا يمكننا الاستغناء عنه لحظة واحدة ، بخلاف الأكل والشرب اللذين نقدر أن نستغنى عنهما أياماً .

تنفق الحكومات الأموال الطائلة على جر المياه الصالحة للشرب من الأماكن البعيدة وعلى بناء الأحواض الكبيرة لخزنها وتطهيرها ، ولكننا لم نسمع أن حكومة ما اهتمت بتطهير الهواء الذي يحمل من أنواع الميكروبات القتالة ما لا تحمله المياه . وهذا قصور يعاب عليه رجال الصحة في كل مكان أولئك الذين يفضلون المهم على الأهم .

إن الماء الذي يعد للشرب يجب أن تكون نقاوته مطلقة ، أما الهواء الذي نحتاج إليه أكثر من الماء فيجب أن يكون أنقى من الماء ، ولكننا بكل أسف نقول إن ٩٠ ٪

(١) مجلة العصبة البرازيلية

منه أقل نقاوة من الماء،فالغبار والدخان اللذان يلازمان المدن ويملآن هواءها يهيجان مجاري التنفس في الناس ويجعلانها بيئة صالحة لنمو الميكروبات المعدية ومعلوم أن هواء الحقول والبحار وكل الأماكن البعيدة عن العمران واحتشاد الناس نقيّ قلما يحمل الجراثيم. وقد فحص عشرون متراً مكعباً من الهواء في عرض البحر فلم يعثر فيها إلا على ميكروب واحد في كل متر. وفحص هواء الصحارى فوجد في كل متر مكعب ٢٨ ميكروباً، فاستدلّ من الفحصين أن هواء البحار أنقى من هواء الصحارى وكلما اقتربنا من العمران فسد الهواء وازداد عدد الميكروبات حتى يبلغ في أسواق المدن الألوف في المتر المكعب ومئات الألوف في المحلات العمومية كالمسارح والمدارس والمكاتب والمقاهي وأمثالها من الأماكن التي يعد هواؤها موبوءاً.

ليس في وسع الحكومات ولا رجال الصحة أن يحولوا دون احتشاد الناس في مثل تلك الأماكن، فالحل الوحيد إذن أن يعنوا بتطهير الهواء كما يطهّر الماء بالمقطرات ونحوها. ومتى عرفنا أن أكثر الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة تنتقل إلينا بوساطة الهواء لا سيما هواء المدن فقد وجب علينا أن نعيره اهتماماً جديّاً قبل اهتمامنا بالمأكل والمشرب، ومن التعديل التالي يقف الناس على مبلغ الأخطار التي تهددنا بوساطة الهواء الذي نستنشقه.

إن عدد الميكروبات في المتر المكعب من الهواء يختلف باختلاف الأماكن، ففي قمم الجبال يبلغ عددها أربعة – وفي الغابات ٤٠ وفي الغرف ١١ ألفاً، وفي المستشفيات ١٢ ألفاً – وفي المدارس ١٥ ألفاً – وفي محطات السكك الحديدية ٣٢٥ ألفاً – وفي المقاهي ٤٥٠ ألفاً – وفي المتاحف ١٢٢٥٠٠٠ – وفي المحلات التجارية مليونين وفي معارض السيارات ٩ ملايين – وفي مصانع الريش ٣٨ مليوناً.

﴿سرعة الهواء﴾ اذا كان الهواء ساكناً كانت سرعة سيرة بمعدل صفر من الكيلو متر في الساعة فاذا شعرنا أنه يلامس بشرة الوجه كانت سرعته بمعدل (٥) كيلومترات في الساعة واذا حرك أوراق الشجر الصغيرة الرقيقة كان المعدل (١١) ك م واذا حرك الأوراق الكبيرة الغليظة كان المعدل (٢٥) ك م واذا حرك الغصون الدقيقة كان المعدل (٣٢) ك م واذا حرك الأغصان الضخمة كان المعدل (٤٧) ك م. والهواء الذي يكسر الأغصان معدله (٥٥) ك م في الساعة. أما العاصفة التي تقتلع الأشجار فمعدل قوتها (٧٥) ك م في الساعة والتي تحطم الغابات وتهدم البيوت (١١٠) ك م في الساعة. ومتى بلغ معدل قوتها (١٠٨) ك م في الساعة فانها تتحول الى أعاصير لا تدرك نتائجها الوبيلة.

نظرات في النفس والحياة

— ٣١ —

نظرات ابن المقفع



للأستاذ ع . ريش

قال الأمير شكيب أرسلان في مقدمة (كتاب الدرة اليتيمة) لابن المقفع — وهو الكتاب الذي طبع في مصر وسمي (الأدب الكبير)ـ «فاخترت طبعها لأنها مع صغر حجمها قد جمعت بين أعلى طبقات البلاغة وأسمى درجات الحكمة وتضمنت من الحكم البوالغ والحجج الدوامغ ما لم يتضمنه كتاب قبلها ولا بعدها » — والأمير شكيب ارسلان أديب مطلع على كتب الآداب العربية فهو لا يرسل القول من غير تمحيص بعد أن قرأ كتب الجاحظ والماوردي وابن مسكويه وابن حزم وابن عبد ربه وغيرهم،ومن المستطاع المنثور على حكمة وبلاغة في كتبهم ولكنها إما مقتبسة من الخطب والأقوال ، وإما انها مع بلاغتها لا تصل إلى ما تصل إليه حكمة ابن المقفع من الالمـام بعادات الناس وطباعهم وأخلاقهم ونزعات نفوسهم وسلوكهم في الحياة مع بلاغة الايجاز ولعل الأمير أرسلان لا ينحو في قوله منحى المقرظين الذين اعتادوا المبالغة والتعميم في كل مدحة،ولعله قارن ووازن وخلص الى هذا الرأي وقد فطن الكتـاب الى تلك الحكمة التي يطريها الأمير شكيب فكان الكتاب في عهد الجاحظ يحاكونها وينسبون مؤلفاتهم إلى ابن المقفع كي تروج كما اعترف الجاحظ نفسه وإلا كان نصيبها الكساد والبوار . أما ترجمة ابن المقفع لكتاب كليلة ودمنة من الفارسية فهي تذكرنا قول جوته : « ان المترجم كالخاطبة في البلاد الشرقية تنقـل محاسن العروس المحجوبة إلى الفتى الذي يريد أن يتزوجها فتشوقه تلك المحاسن » — فالمترجم شريك المؤلف يعرض بضاعته أحسن عرض بما يناسبها في اللغة التي يترجم إليها وإلا ما أجاز ابن المقفع لنفسه أن يضم إلى كتابيه الأدب الكبير والأدب الصغير أقوالاً ذكرها في كتاب كليـلة ودمنة ومعاني كأنها من معانيه ومن أجل ذلك يقول في كتـاب الأدب الصغير : « إذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل وان يقولوا قولاً بديعاً فليعلم الواصفون المخبرون ان أحـدهم وان أحسن وأبدع ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً

وزبرجداً ومرجاناً فنظمه قلائد وسموطاً وأكاليل ووضع كل فص موضعه وجمع الى كل لون شبهه مما يزيده بذلك، وكالنحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيبة وسلكت سبلاً جعلها الله ذللاً فصار ذلك شفاء وطعاماً وشراباً منسوباً إليها مذكوراً به أمرها وصنعتها — ويبقى بعد ذلك ما بين الصانع الصناع والالمعي النجيب وبين الساطي الذي يسرق الكلام كما هو أو يذهب بمحاسنه فهمه».

وابن المقفع على ما في قوله من حكمة وإدراك للأمور لم يعصم في معاملة السلطان الأكبر وهو الخليفة المنصور ولا في معاملة عامله على البصرة وهو سفيان بن معاوية بن يزيد ابن المهلب بن أبي صفرة من هنات تخالف ما رسم لمعاشر السلطان ومخالط الوالي وجليسه من حكمة وأدب فلم ينتفع بحكمته، ونسي قوله إن على من يريد أن يكون إماماً أن يعظ نفسه ويتعظ قبل محاولته وعظ الناس. وقوله إن العالم يبدأ بنفسه فيؤدبها بعلمه ولا تكون غايته اقتناءه العلم لمعاونة غيره فحسب. فكان مثله مثل فرنسيس باكون الانجليزي (لورد باكون) فانه يقول: «إن على القاضي أن لا يتخذ القصاء شباكاً وحبائل يقتنص بها الناس» ثم يكون من أواخر القضاة الانجليز إن لم يكن آخرهم — الذين استخدموا التعذيب وسيلة لانتزاع الاعتراف من نفوس المتهمين ويعظ الناس بالنزاهة ثم يأخذ الرشوة من المتقاضين وينصح المفكرين بالاستنتاج المؤسس على المشاهدة الصحيحة، دون التعلق بالأمور النظرية من غير بحث ثم يرفض كثيراً من الحقائق العلمية الحديثة التي وصل إليها الباحثون بالطريقة التي حث عليها فكانت حكمة باكون في كل هذه الأمور لغيره لا لنفسه كما كانت حكمة ابن المقفع، وعلى من يعيبه ان يبحث أولا في قوله وعمله، فان حكمة أكثر الناس لغيرهم لا لنفوسهم في كثير من الامور ويذكرنا ابن المقفع باكون فيما يولع به كلاهما من التشبيهات والأمثال والقصص التي يجلو بها حكمته، وكانت هذه الطريقة محبوبة شائعة في الأدب الانجليزي في عهد الملكة اليصابات وجيمس الاول، ومن أوجه الشبه بينهما ان كليهما مولع بالأساطير التي فيها حكمة ومغزى.

فألف باكون كتابه في أساطير الأغريق وسماه (حكمة القدماء) وأوضح فيه ما خلف أساطيرهم من حكمة بارعة، كما ترجم عبد الله بن المقفع عن الفارسية أساطير الهند وحكمتهم في كتاب (كليلة ودمنة) وكل من ابن المقفع وباكون ماهر في بلاغة الايجاز. وقد يذكرنا ابن المقفع في وصف آداب السلوك أديباً انجليزياً آخر وهو لورد تشسترفيلد، فان هذا كان همه وصف آداب السلوك كي يهذب ابنه ويصقله. أما أدباء اللغة الغربية فلعله لا يقاربه

ويقرن به إلاّ الجاحظ على ما في الجاحظ من مدح للشيء ومدح لضده، وكتب الجاحظ عالم في الموضوعات المتنوعة فلا غرابة اذا اختلف أسلوبه في كتاب عما هو في كتاب آخر. فنرى أسلوب الجاحظ في كتاب (مناظرة الربيع والخريف) أكثره سجع ومزاوجة وموازنة ومقابلة ومرادفة، بينما هو في كتاب (الدلائل والاعتبار) يكاد يخلو من هذه الأمور ويصدق فيه قول بديع الزمان الهمذاني إنه منقاد لعريان الكلام يستعمله، نفور من معتاصه يهمله « أما عبد الله بن المقفع فأسلوبه على وتيرة واحدة حتى قيل إنه السهل الممتنع وفي بعض الأحيان يستعمل المزاوجه والموازنة ولكن لا كاستعمال الجاحظ لها فان الجاحظ يطيل فيها ويكثر وهي في أسلوب الجاحظ لها وقع السجع في الأذهان حتى ان من لا يلتفت قد يظنها سجعاً . والذي يمتاز به ابن المقفع بلاغة الايجاز ولا نمني أن الجاحظ ليس له من الحكم الجوامع ولكن أكثر أقوال ابن المقفع ولا سيما في كتابي (الأدب الكبير) و (الأدب الصغير) من جوامع الكلم التي تجمع الحكمة في بلاغة وايجاز مع استيفاء المعنى، أو ما يكاد يكون استيفاء وينبغي أن نتذكر أن ابن المقفع كان منكوباً. والمنكوب مخذول في دعاوي الناس مغبون في أقوالهم ومصاب بأكاذيبهم وأباطيلهم، فلا تستطيع الأجيال التي بعد عهده أن تميز الحق من الباطل في كثير مما ينحل من القول وما ينسب إليه من الفعل، إذ هو مهتضم بعد النكبة لا يجد من ينافح عنه بتمييز الصواب فيما ينسب إليه حتى ولوكان مشهوراً محسوداً يحتذي الناس قوله . ولا مناص لنا على هذا الأساس من القول إن حكمته لم تعصمه من الزلل والهلاك ولا نحسب أن كاتباً قديراً مثله كان يستعصي عليه أن يجمع بين شدة المواثيق ولين اللفظ والتحايل، لذلك في كتابه الذي طلب فيه الأمان لعم المنصور الذي ثار عليه وهزم ولا نظن انه كان يجهل ما في بعض أقواله من عبارات يتأذى بها الخليفة ولا يتسامح فيها ، حتى ولو كتبها على لسان أعمامه مثل قوله إذا غدر بعمه (فنساؤه طوالق والمسلمون في حل من بيعته) ولكن المرء قد يجمع الى الحكمة والمعرفة رعونة الطمع وهذا كان داءه إذا صحّ كل ما ينسب اليه مثل تطوعه بالسخر والسفه على حاكم البصرة فكان إذا دخل عليه وسلم قال السلام عليكما يعني هو وأنفه، فأنزل أنفه منزلة الانسان لانه كان كبيراً، وإذا قال حاكم البصرة : ما ندمت على سكوت قط : قال ابن المقفع : « الخرس زين لك فكيف تندم عليه » يعني أنه كان عييّاً وأنه لأمر يدعو الى الحيرة أن يكون الحاكم مهزلة لرجل مثل ابن المقفع مهما يكن أثيراً عند أعمام الخليفة . وعند ما أمر المنصور بقتله قتله هذا الحاكم شر قتلة . ومن الدليل على رعونة طمعه فيما يحكى عنه أنه لما اعتزم الاسلام وكان مجوسي الأصل

يحضر طعام الأمير جمل يزمزم على الطعام على عادة المجوس فلم في ذلك : فقال :
حببت أن لا أبيت على غير دين وهو إما انه اقتنع بالاسلام حتى أراد أن يظهر اسلامه
في غده فهو مسلم بعقله وقلبه فلا معنى لقوله . واما أنه كان غير مقتنع وكان اسلامه
نفاقاً،وقد اتهم بذلك واتهم بالزندقة ومن رأيي أن من حماقة الطبع أيضاً الجملة المشهورة التي
يروونها عنه الكتاب أي قوله « شربت الخطب ريا ولم أضبط لها رويا ففاضت ثم
فاضت فلا هي نظاماً وليس غيرها كلاماً » وهذا سجع شبيه بسجع الكهان ثم لماذا قصر
شربه على الخطب دون غيرها من سائر أنواع النثر . نعم ان للبلاغة نشوة ولكنه في بعض
قوله ينهي القارىء عن جميع أنواع السكر سكر الشباب وسكر العلم وسكر الذكاء وسكر
الجاه وسكر القدرة وسكر المال وهي في بعض قوله بوضع ما في مدح النفس من سماجة.
ومما يروى بصدد ذلك أن الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع العروض سئل عن ابن المقفع
فقال: علمه أكثر من عقله وسئل ابن المقفع عن الخليل فقال عقله أكثر من علمه . ومن
الغريب أن المرء عندما يقرأ كتبه ينسى رعونة طبعه أو يكاد يشك فيما نسب اليه من القصص
التي تدل على ذلك ويعترف انه أكبر كتاب العربية في جوامع الكلم وبلاغة الايجاز والحكمة
المؤسسة على ما يشاهد من عادات الناس وطباعهم وأخلاقهم التي تخبر عنها أعمالهم في ايجاز
واستيفاء للمعنى أو شبه استيفاء ، وهذا هو معنى تقريظ الأمير شكيب أرسلان الذي
ذكرناه وفيما يلي بعض نظراته مع شيء من التعليق على بعضها : —

(١) لا يمنعنك صغر شأن أمرء من اجتناء ما رأيت من رأيه صواباً والاصطفاء لما
رأيت من أخلاقه كريماً فان اللؤلؤة الفائقة لا تهان لهوان غائصها الذي استخرجها .

(٢) إذا كنت لا تعمل من الخير الا ما اشتهيته ولا تترك من الشر الا ما كرهته فقد
اطلعت الشيطان على عورتك وأمكنته من أزمتك . فأوشك أن يقتحم عليك فيما تحب من
عمل الخير فيكرهه اليك وفيما تكره من عمل الشر فيحببه اليك،ولكن ينبغي لك في حب
ما تحب من الخير التحامل والصبر على ما يستثقل منه،وينبغي لك في كراهة ما تكره من
الشر التجنب لما يحب منه .

(٣) انه تكاد تكون لكل رجل غالبة حديث إما عن بلد من البلدان أو ضرب من
ضروب العلم أو صنف من صنوف الناس أو وجه من وجوه الرأي أو ما هو شبيه بذلك،
وعندما يعزم به الرجل من ذلك يبدو منه السخف ويعرف منه الهوى فاجتنب ذلك في كل موطن.


[للبحث تتمة]

وحدة القصيدة

في الشعر العربي

— ٣ —



للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

﴿ ثورة النقد الحديث على النهج الأدبي القديم ﴾ وقد بدأت الثورة على نظام القصيد في الشعر العربي، من هؤلاء الأدباء الذين درسوا الآداب الأوربية، واطلعوا على مناهج الغربيين في شعرهم مثل مطران وطه حسين واحمد زكي أبي شادي وهيكل والعقاد والمازني وشكري وسواهم. فكتبوا ناقدين لبعض القصائد القديمة والحديثة التي لا تخضع لمنطق وحدة القصيدة، وأنحوا باللوم على الشعر العربي عامة والجاهلي خاصة، لقصوره في هذا الميدان.. كما أزرى العقاد بشوقي وقصائده، وعاب الشعر الجاهلي، لأنه في رأيه وفي الغالب: «أبيات مبعثرة، تجمعها قافية واحدة، يخرج فيها الشاعر من المعنى ثم يعود اليه ثم يخرج منه؛ على غير وتيرة معروفة ولا ترتيب مقبول (١)»

وقد جعل العقاد من العلامات البارزة في قصائد ابن الرومي طولَ نَفَسه، وشدة استقصائه المعنى، واسترساله فيه. وبهذا الاسترسال خرج عن سنة النظامين، الذين جعلوا البيت وحدة النظم، وجعلوا القصيدة أبياتاً متفرقة يضمها سمط واحد، قل أن يطرد فيه المعنى إلى عدة أبيات، وقل أن يتوالى فيه النسق توالياً يستعصي على التقديم والتأخير والتبديل والتحوير. نخالف ابن الرومي هذه السنة، وجعل القصيدة كلاً واحداً لا يتم إلا بتمام المعنى الذي أراده، على النحو الذي نحاه. فقصائده موضوعات كاملة تقبل العناوين وتنحصر فيها الأغراض، ولا تنتهي حتى ينتهي مؤداها، وتفرغ جميع جوانبها وأطرافها، ولو خسر في سبيل ذلك اللفظ والفصاحة (٢). يريد العقاد بذلك كله أن الوحدة الفنية كاملة في قصائد ابن الرومي، وإن كانت الجوانب الأخرى من وحدة القصيدة ضعيفة في أغلب شعره، من حيث اشتمال قصائده على عدة موضوعات، ومن حيث إنه كان يقدم كأبناء

---

(١) الحياة الادبية في العصر الجاهلي لمحمد خفاجي صفحة ٣٢٤ (٢) ٢٠٨ ابن الرومي للعقاد

مصره الغزل بين يدي مدحه ووصفه بل وهجائه . يقول ابن الرومي : —

ألم ترَ أني قبل الأهاجي أقدم في أوائلها النسيبا
لتخرقَ في المسامع ، ثم يتلو هجائي محرقاً يكوي القلوبا

ويؤثر الزهاوي الشاعر المنهج الذي سار عليه ابن الرومي ، فينادي بالوحدة الفنية في القصيدة لا بوحدة الغرض والموضوع ، فيقول من كلمة له : « ومن الشعراء المصريين من لايجوز أن تشتمل القصيدة على مطالب مختلفة ، كأنه يفضل أن تكون الروضة قد أنبتت شكلاً واحداً من الزهر ، ولكني لا أرى رأيه ، وأي لوم على من أطال قصيدته وجعلها في مطالب مختلفة ، تربط بعضها ببعض مناسبات بينها وان كانت ضعيفة ، فيتمتع القارىء أو السامع بألوان مختلفة من الأدب في القصيدة الواحدة . نعم إن الشاعر اذا بدأ يصف شيئاً وجب عليه أن يستوفى ذلك الوصف ، ثم ينتقل إلى غيره ؛ وكذلك إذا شرع يروي قصة وجب عليه ألاّ يخرج من الموضوع إلاّ بعد إعطائه حقه [1] » . وكرر ذلك في كلمة أخرى له [2] أجاز فيها للشعراء الخروج على وحدة الموضوع في القصيدة ، فقال : « وهناك شيء يستحبه الذين تشبعت أدمغتهم بالأدب الغربي ، هو وجوب أن تكون القصيدة الواحدة خاصة بفكر واحدة أو وصفاً لشيء واحد ، من غير خروج إلى غير الموضوع . وهذا ليس من الشعر في أصله ، بل هو تابع للأذواق ، ولطريقة الشاعر في شعره . ولا ينوع الشاعر المبرّز في العربية الموضوع في كل قصيدة ، فكثيراً ما يحصر شعره في القصيدة الواحدة في موضوع واحد ؛ واذا نوّع الموضوع فهو يتسلل الى الثاني بمناسبة وبعد فصله من الأول ، مريداً بذلك أن تكون قصيدته كالروضة الغنساء ، محتوية على مختلف الأزهار . وهذا أقرب إلى الطبيعة ، وليس فيه ما يؤخذ عليه غير كونه ينافي ما يفعله شعراء الغرب . ولكل أمة سياق ونزعة ليست لأختها . وأعتقد أن الكتاب الذين يزرون بشعر شعرائنا المصريين لو أتيح لهم أن يكونوا شعراء لما خرجوا كثيراً عن النهج الذي يمشي عليه البرزون من هؤلاء . والسبب هو ما قدمته من اختلاف ألوان الشعور عندنا عن ألوانه عند الغربيين من جهة ، وقيد القافية وإعرابها عندنا وفقدانه عندهم من جهة أخرى . وقد مُ كثير من الشعراء المتضلعين من العلوم العصرية بتقليد الغرب في شعره ، فلم يكن ما أتوا به غربيًّا ولا شرقيًّا ، ولم يوفقوا إلاّ في ألوان من الشعور هي مشتركة بين الامم جميعاً . افرض أن العربية تتسع لألوان الشعور الغربي ، ولكن هل يوجد في أذواق أكثرية القراء هذا المتسع ؛ والشاعر لا يغني لنفسه وحدها : ومهما تمرد الشاعر الكبير على الأساليب

والتصورات في أمته ، فهو لا يستطيع أن يطفر مرة واحدة إلى تصورات وأساليب تخالف ما ألفه شعبه ، فيقطع الوشائج القوية التي تربط الحال بالماضي » .. وعلى ضوء هذا الرأي من الايمان بوحدة القصيدة الفنية دون وحدتها في الموضوع ، كان ينظم الزهاوي شعره . ولكن منهج الزهاوي منهج وسط بين دعاة التجديد والتقليد ؛ وهو على أي حال لا يوافق رأيي الذي أنادي به ، وهو وجوب التزام الوحدة الفنية والموضوعية في القصيدة . وهو رأي يوافقني عليه الكثير من النقاد والأدباء المعاصرين .

﴿الشعراء المعاصرون يؤيدون وحدة القصيدة﴾ : وقد تأثر الشعراء المعاصرون بدعوة النقاد ، وتأثروا بمناهج الغربيين في شعرهم ، ونظام القصيدة عندهم ، ووجدوا في الشعر العربي مدداً من القصائد القوية الجميلة التي تسودها وحدة تامة .

فنظم كثير من الشعراء قصائدهم على نهج جديد ، ولزموا الوحدة الفنية في القصيدة ووحدة الموضوع والفكرة ، واتساق المعاني وانتظامها وتلاؤمها والتحامها ، مع التسلسل والتتابع ، والدقة والعمق والاحاطة ، مما سار بالقصيدة العربية بخطى واسعة نحو الجمال الفني المنشود . لم تقبل أذواقهم هذه الملهلة الغريبة في القصيدة ، وكيف يقبل ذوق شاعر متحضر مرهف الحس أن يوحي اليه شيطانه بأفكار متناثرة في موضوعات مختلفة ؟

ويظهر هذا الاتجاه الفني الجديد في القصيدة العربية في شعر كثير من شعراء العربية المحدثين ، من أمثال : مطران والدكتور أحمد زكي أبي شادي وشكري وميخائيل نعيمه وعلي محمود طه والعقاد وسواهم .

فأنت إذا قرأت قصيدة الدكتور أبي شادي : « شجاعة بطلة » في ذكرى بطل تحرير شيلي التي نشرتها المجلات الأدبية وأذاعتها محطة الاذاعة المصرية قريباً أو قرأت سواها من شعره ، كقصيدته : قبلة ميلادي [1] مثلاً ، والتي يقول منها :

يا نشوة الحب القديم ولهفة الحب الجديد
جمعتكما في قبلة سكرى بغرامي وعهودي
أودعتها ما صانت الأحلام من عطر الخلود
وسكبتها راح الهوى ودما من الشوق الشهيد
ثم استمدت خيالها لحناً تألق في نشيدي
ونظمتها شعري الذي يحيا بأنفاس الورود
وخلقت أي هدية منها لميلادي السعيد

(١) ديوان أبي شادي — من السماء صفحة ٤٥

وكأنما هي نغمة زفّت إلى سمع الوجود

أو قرأت قصيدة « آفاق القلب » لميخائيل نعيمة ، التي مطلعها :

دموع العين قد جمدت وريح الفكر قد همدت
فلمْ يا قلب لمْ يا ملـب فيك النار في لهب

أو قرأت قصيدة شكري :

ماذا دها القلب من الأشجان يوم الأحدِ
حيث الغواني فتنة آخذة بالجلد [1]

أو قصيدته « يا وضيء البسمات » [2] :

يا وضيء البسمات وحيي الوجنـاتِ
ليت لي منك ائتلافاً كائتلاف النغمات
أنت في الدهر ابتسام كابتسام الزهرات

أو قرأت قصيدة الفلاح لشفيق معلوف [3] :

وفى الحياة ديونها كرماً وما وفيت ديونه
ومضى تشق الأرض قبـضته بعزم لا يخونه
هلاّ نظرت جبينه كم فيه لؤلؤة تزينه
ضنّت عليه بالدمو ع عيونه فبكى جبينه

أو قرأت قصيدة الفلاح للشاعر حسن جاد [4] :

مضني يقص الدهر عن كدحه وتسمر الأيام في بأسه
على محياه سطور الضنا قدخطها المقدور في طرسه
مغضن الصفحة يطوي بها دقائق الأسرار عن نفسه
يبيت صفر اليد من عدمه والذهب الأبريز من غرسه
من كلما مس الثرى كفه أحاله تبراً ندى مسه
عي فصيحُ الشكو في عيِّه يبثه لله في همسه
قد خطها شكوى على أرضه ذاك اليراع الحر من فأسه

فستجدون في كل ذلك قبساً من الشاعرية الحقة ، وشعوراً عميقاً بالحياة ، ووحدة كاملة في الصورة الفنية التي يرسمها الشاعر ، وتجاوباً بين الفكرة والخيال والعاطفة والاحساس والموضوع.

[يتبع]

(١) الديوان الاول لشكري ص ١١ و ١٢ (٢) الديوان السابع لشكري ص ١٦ — ١٨
(٣) مجلة العصبة — سان باولو — ١٩٤٧ عدد يوليو (٤) مجلة الازهر والرسالة ١٩٤٦

الفن في العلم والفلسفة[1]

في رأي العلاّمة هافلوك إليس



للأستاذ إميل توفيق

يحدثنا هربرت سبنسر في مقاله على نشوء العلم ، بأن العلم نشأ عن الفن ، وأن التفرقة بينهما كانت ولا تزال تفرقة عرفية . إذ أنه ليس في الامكان أن نقرر متى ينتهي الفن ، أو متى يبتدىء العلم ولقد كان سبنسر في مقاله هـذا يستخدم لفظة الفن بمعنى أساسي وهو أن طبيعته إنما تنصب على العمل أو التدريب .

ولعل الرجل العادي المتزن ينظر إلى العلم كأنه عكس الأوهام والنزهات ، وهو يفهم العلم على أنه التطبيق العملي للحقائق النظرية ، وأما تلك الأوهام فيفهمها الرجل المتوسط الشعور كأنها هي بعينها الفن .

فالتمهيد بينهما تمييز حديث : إذ لم يكن هناك ثمة تفرقة منذ أن عرف العلم والفن . فالعلوم كما نراها الآن — لا كما تصوروها من قبل — هي فنون العقل . ذلك أن في العصور الوسطى كانت الدراسات المتنوعة مثل دراسات المنطق — والقواعد اللغوية ـ والهندسة ـ والموسيقى وما إليها ، تعتبر إما علوماً أو فنوناً . ولقد كان العالم الحقيقي روجر باكون Roger Bacon في القرن التاسع عشر ، يعتبر كل فرع من فروع الدراسات المختلفة نوعاً من العلم . على أن هناك ميلاً إلى الاعتقاد بأن النهضة الرياضية في القرن السابع عشر هي التي بعثت فكرة التمييز بين العلم والفن ، وهي التي أكدت هذه الفكرة تأكيداً لا موجب له .

ويكتب ديكارت حامل لواء تلك النهضة في كتابه Règle pour la Direction de l'Esprit فيقول إن كل العلوم وثيقة الصلة بعضها ببعض ، وأنه أيسر علينا أن نتعلمها جميعاً دفعة

---

(١) « هذا مقال ملخص عن كتاب The Dance of Life وعنوان المقال الاصلي « فن التفكير » للعلامة هافلوك اليس »

واحدة من أن نتعلم بعضها منفصلاً عن البعض الآخر . ويمضي قائلاً إننا قد لا نستطيع أن نقول ذلك عن الفنون ، ومع هذا ففي الامكان أن نفهم معاً العلوم والفنون جميعاً إذ أنها إنما تنبثق من منبع واحد على رغم تباينها من حيث الوسط الذي يلون كلاً منهما بلون خاص ، ومن حيث اختلاف ما يحيط بكل منهما من موضوعات وما يصادفه من أجواء ومجالات

ولم يكن القائمون بشئون التربية والتعليم يميزون بين العلم والفن حتى منتصف القرن التاسع عشر ، ولكنه صار من الأجدى عمليًّا أن يفرق بينهما لا سيما أن تقدم العلم وخاصة العلوم الطبيعية قد جعل حقيقة التمييز حقيقة حتمية . وصارت لفظة « الفن » تطلق على ما نسميه الآن الفنون الجميلة ، وأصبح « العلم » يطلق على كل دراسة يمكن أن توضح عمليًّا ، وأن تقسم منها الحقائق تقسيماً موضوعيًّا ، من حيث النظر إلى حقائق الوجود واعتبر الفن منفصلاً عن العلم أذ اعتبر أنه لعب الدوافع الانسانية للعمل والانشاء .

ولقد أوضح جون سيتوارت مل (J. S. Mill) بحثه في التمييز بين العلم والفن فعرّف العلم بأنه الحالة المظهرية للحقائق ، وعرّف الفن بأنه الحالة الحقيقية أو الحتمية لها أما السير سيدني كولفن (Sir Sidney Colvin) فقد استخلص تعريفاً لكل منهما في الموسوعة البريطانية ، فقال إن العلم هو المعرفة المنظمة للظواهر الطبيعية والعلاقات الكائنة بينهما » « وان الفن يتضمن العمل » — وقد قبل كثير من العلماء مثل السير راي لانكستر Sir E. Ray Lankster هذه النتيجة — وكان ذلك أمراً مقبولاً في القرن التاسع عشر .

بيد أن اطراد التقدم العلمي على مر السنين ، وخاصة « علم النفس » قد جعل من العسير قبول مثل تلك النتائج . ذلك أن تحليل معاني المعرفة قد أوضح أن المعرفة ليست هي مجرد ادراك الحق بطريقة سلبية ، كما كان يتصور العلماء بسذاجة ، ويقر هذه الحقيقة الآن جماعة الفلاسفة ، المثاليون منهم [1] والحقيقيون [2] على السواء .

ويقول الدكتور شارلز سنجر (Charles Singer) المؤرخ العلمي العظيم : إن العلم لم يعد ذلك البناء الضخم من المعرفة المنظمة ، إنما هو العملية (Process) التي تتكون بوساطتها المعرفة .. أو بعبارة أخرى « إنه المعرفة في عملية تكوينها » .. وبمعنى آخر « إنه الحد النامي بين المعروف والمجهول » على أن اللحظة التي ندرك فيها العلم كعملية

(1) Idealists (2) Realists

مكوّنة ، هي اللحظة التي يصبح فيها العلم داخلاً في نطاق الفن .

ولعل مما يؤيد آراء سنحجر هذه هو أن العلوم الطبيعية لا تزال تهمل كثيراً من النظريات العلمية عن المعرفة التي كانت داخلة في نطاقها ، وذلك لأنها ما تزال أيضاً تتعلم أن تستبدلها بنظريات أخرى من المعرفة التي تسعى أن ترى بها الكون بفكرة أشد وضوحاً من سابقاتها .

ولعلنا نرى في ضوء تحليل معرفة الحقائق أو الأشياء – أن هـذا التغير ليس فقط قانونيًّا بل هو عملية لا بد من حدوثها إذ هي عملية فعّالة منتجة مبدعة . ولهذه العملية صفتان مهمتان : إذ أن لها طبيعة العمل كما أن لها طبيعة النمو في المعرفة ، فهي تشتمل على خصائص معينة مشابهة لخصائص العمل .

إن الصانع الذي يصوغ الحقائق الكلية بيديه . انهما لا يختلفان في الأسس الدافعة والمكوّنة تماماً . كما لا يختلف الشاعر عن المثّال . وليس من سبيل أن ينكر أحد الآن أن للعلم طبيعـة الفن ، كما أنه يمكن أن ننظر إلى العالم الحقيقي كأنه فنان ، بتلك النظرة التي تجمع بين الشيء ونقيضه أو بين النهايات المتطرفة للظواهر . ولقد نظر السير وليم أسلر Sir Welliam Osler الى الشاعر والمجنون والموله نظرة واحـدة ، فرأى فيهم جميعاً ظاهرة التركيز التخيلي . ولعل ذلك العنصر التخيلي المبدع هو الذي كان يبعث النشاط والجدة في نيوتن العالم الرياضي العظيم ، إذ كان يكتشف باستمرار طرقاً وعمليات جديدة تغزو منطقة المجهول كما أن الأعمال العظيمة الفائقـة الحد التي قام بها هلمهلتز (Helmholtz ابان حياته العلمية – ذلك الرجل الذي أرجع التقدير الجمالي الى قواعد فسيولوجية علمية دقيقة — نقول إن هذه الأعمال كان يطبعها طابع جمالي شعوري .

وقد ذكر أحد الأساتذة النابهين في الميكانيكا والرياضة « بأنه لا يوجد رجل العلم المجرد عن الخيال ، كما أنه ليس كل من تفرغ للعلم يمكن أن نعده رجلاً له » وهذه العبارة صحيحة تماماً ، وهي لا تنطبق على رجل العلم فحسب ، إذ هي تنطبق على رجل الفلسفـة كذلك . ويقول أحد الفلاسفة الكتاب « إن في كل عمل فلسفي ، لا تبني أنظمة المدركات الكلية على مجرد البحث والمعرفة أو المتعة فيها .. كلا فان الباعث على ادراك تلك الانظمة باعث جمالي (Aesthetic) قبل كل شيء » انه عمل فنان منتج .

ويحدثنا البروفسور جراهام والاس (Graham Wallace) عن أفلاطون ودانتي فيقول إن الحياة الفكرية التي تميز بها كل منهما كان يقومها ما كان يعانيه كلاهما من شعور جمالي . وكان هـذا الشعور الجمالي ناشئاً مما كانا يستنتجانه من علاقات متسقـة بين الحادثات

والنواميس الطبيعية ، أو بين النوع والأفراد ، أو بين المؤثرات ونتائجها .

﴿ فيثاغورس ﴾ : وهـذه الفكرة التي تشير الى القوانين وعلاقاتها المتسقـة بالكون تذكرنا بالرجل العظيم فيثاغورس الذي نعده أول من ابتدأ بالبحث العلمي في العالم الأوربي — وكانت له صفة المبادءة في طريقة هذا البحث . ولد فيثاغورس في القرن السادس قبل المسيح في بلدة (Samos) وكان لموقع بلده كمركز ممتاز للاسفار والملاحة البحرية أثر فعّال في ازدياد معلوماته واتصالاته والتعرف على حكمة العالم القديم وفلسفاته . ويقول شيشرون إن فيثاغورس يعد خالقاً للفلسفـة . ونحن نعده اليوم من الشخصيات البارزة ، ليس في اليونان فحسب ، بل في العالم أجمع من وجهات عدة . فحياته تعد بداية لما نسميه « العلم » أو المعرفة التي يمكن قياسها عند نقطة نموها . إذ هو يمثل المعرفة كما تنبع مما نسميه عرفيـاً « بالفن » أو بعبارة أخرى عثل المعرفة — بامتزاجها بروح الفن — في أشكالها المختلفة حتى تلك الأشكال الضعيفة الهزيلة .

كان فيثاغورس محبـاً غيوراً للموسيقى ، ومن أجل ذلك استطاع أن يخرج إلى حيز الوجود كشفه المثمر بأن درجة الصوت تتوقف على طول السلك المهتز . وأصبح هـذا الكشف بداية للتفكير في قانون عام . وهو الذي وضع الحجر الأساسي للعلوم الرياضية الميكانيكيـة ولم يكن كشفها مجرد الصدفة . وقد عرف ذلك عن فيثاغورس حتى اعترف هيراكليتس Heraclitus أحد معاصريه وخصومه الألداء بأن الرجل قد عاني من البحث واختبر من المعرفة ما لم يعانه أو يختبره انسان . كان رياضيـاً فذّاً وفلكيـاً ممتازاً بل أول من اكتشف أن الأرض كروية وهكذا أزال ذلك الحاجز الذي كان سدّاً منيعاً أمام نظرية كوبرنيكس ، وقد اقتصد جهد العلماء من بعده على بحث مركز الكرة الأرضية في المجموعة الشمسية ، لا على كونها كرة . إننا نعتبر فيثاغورس رجل الفلسفة بحق ، لكنه أحق أن يعتبر كذلك رجل العلم بالمعنى الدقيق . ومع ذلك فقد كان الرجل طوال حياته انساناً فناناً حتى اذا عرّفنا الفن بمعناه العرفي المـألوف ؛ لقد كان يحلق في سماء الخيال والشعور ، فيخطف لبه الجمال الساحر والانسجام البديع ، حتى لقد كان يشعر أحياناً أنه تائه وسط لججهما . فهو الذي أدخل تلك المتعة الجمالية ، للاعداد في الرياضة ، وبذلك عمل على مزج الخيال بالعلم مزجاً غريباً . وخلقت منه تلك الدوافع الفنية قوة رائعة للتعليل والمنطق .

[البحث تتمة]

على هامش مشاكلنا الثقافية



غايتنا من التعليم

للأستاذ رضوان ابراهيم مصطفى

هل نحن سائرون في اتجاه صحيح ؟ وهل لنا هدف في هذا الاتجاه ؟ وإذا كان ... فهل نحن جادون في تحقيقه ؟

.. أسئلة لا بد أنها تدور في خلد كل متأمل في حياتنا العامة وحياتنا التعليمية على الأخص . والاجابة عنها قصيرة غاية القصر ولكنها مؤلمة أشد الايلام ، لأنها إجابة حاسمة صريحة ، لا تحتمل الا شيئاً واحداً هو « لا » ممتدة ذات شعبتين تنشبان في حلوقنا وتطبقان على أعناقنا ! !

الغاية الحقة من التعليم شعبة من شعب السياسة العليا ، يرسمها في كل أمة زعماؤها الراشدون ، الذين يعرفون أين يتجهون بأممهم في معترك الحياة . وفي ضوء هذه السياسة يبتكر الفنيون الوسائل الناجعة الكفيلة بتحقيق الهدف ، وادراك الغاية .

فهل من الحق أن في زعمائنا هذه الكفاية المقتدرة على النظر في مقومات شعوبنا نظرة عميقة بصيرة واعية ، تلائم بها بين هذه المقومات وبين ما ينبغي أن تهدف له حياتنا من مستقبل منير، واضح المعالم متوافق مع طبيعة الزمان والمكان اللذين تشغلهما هذه الحياة

وهل من الحق أنهم قادرون على تكييف حياتنا ، وتجنيد طاقاتها الحيوية المتدفقة من منابع الماضي وينابيع الحاضر — في سبيل جدي معلوم ، لغاية حقيقية معلومة؟

الحق أن هذه منزلة لا يستأهلها إلا قديس ، يؤمن بنفسه أوثق الايمان ، كما يؤمن بأمته ومستقبلها ، ودورها في الحضارة الانسانية ، إيماناً لا تزعزعه أعاصير الحياة مهما

تزأر . . . ويؤمن – من قبل ومن بعد – بقدرة السماء التي لا تقهر !

هذا الايمان كان – ولا يزال – مفتاح المعجزات ، فهراً لكل عقبات الحياة هازئاً بصعابها مهما احتدمت ، وهالت وتأزمت . .

فدلوني على قديس واحد بين زعماء الشرق مؤمن بنفسه وبأمته ولو أضعف الايمان .

.. دلوني على طبيب واثق بقدرته ، مؤمن برسالته ، يضع المرهم على جراح الأمة دون أن يحقرها أو يزدريها ، لأن جراحها لا تنزف ذهباً !

دلوني على الزعيم الواسع الأفق ، المتكامل النفس ، العميق النظرة الذي يتفوق على حاجات أمته ، فيتسامى إلى آفاق الانسانية العليا ثم يمد يده القوية ، فينتشلها من حضيضها الى مجالي السمو ومسارح النور – بدل أن يتنزل هو إلى أرجاسها ، ويتمرغ في ترابها ، ليقال : إنه منها واليها ؟

عزاء للشرق – أول العزاء – في زعمائه وقادته ، فان الزعامة قد عادت حرفة يحترفها بعض المستغلين في الأمم المستغفلة ، ليعيشوا في أبراج من الذهب تاركين الشعوب في الأوحال ساخرين من مصائرها ، هازئين بأمانيها .

ولا أظلم الواقع إذا تراءى لي من خلال الوقائع أن ذلك عن رضى واختيار . لا بل هي مؤامرة مدبرة أن يحافظ الزعماء في الشرق العربي على مستوى من الجهل في الشعوب التي يتزعمونها ، إذ من الخير لهم أن يقودوا قطيعاً ضالاً جاهلاً لا يناوىء ولا يماري ولا يعارض ، لأنه لا يرى واقع الحياة كما يجب أن يراه الاحياء .

هم حريصون على هذا المستوى من الجهل ، ومن هذا كانت سياسة التعليم عندنا غير واضحة المعالم ، ولا معروفة الأهداف ، وإنما هي مسلاة تتلهى بها طفولة شعب غافل في غير وعي ويديرها رعاة مسيرون في غير رعي .

هذه واحدة ، أما الأخرى ، فالعجز عن رسم الاتجاه ، وتوضيح الطريق ، وتحديد الغاية .

ومن هنا حبط ما صنعوا ، لأنهم يتخبطون على غير هدى ولا تبصرة ولا استمساك في هذا الجو المتميع المضطرب .

لم يبق لتوجيه سياسة التعليم – إذن – غير رجال التعليم ، وهؤلاء يجب أن يدخروا لما يسروا له ، من تلوين الصورة وإخراجها على ضوء الخطوط الاولى ، أما أن يكلفوا

تحديد الغايات العليا للأمة ، ويقرروا الهدف الأسمى للتعليم ، وهو الذي يكيف كيان الدولة ، ويتحكم في مستقبلها طويلاً من الأجيال – فذلك ليس إليهم ولا هم عليه قادرون.

ليسوا قادرين ، لأن في ثقافتهم نوعاً من التخصص الذي يميل بهم ذات اليمين وذات اليسار ، مما لا نؤمن معه العثرات ويعوّق عن الأفق الأعلى ، ويترك التعليم يدور في حلقته المفرغة المعهودة .

وليسوا قادرين ، لأن أمور الدولة ليست إليهم حتى يطاعوا ولا رأي لمن لا يطاع .

وهم غير قادرين لأسباب تشرحها طبيعة الحياة التعليمية وظروفها في هذه البلاد بالذات . والأمر – فوق هذا وذاك – تكليف بما لا يطاق ، فاذا لم يطيقوا انصرفوا عن الانشاء الى استعارة قوالب مستوردة من الخارج ، مصنوعة لأمم غير الأمم ، وديار غير الديار ، وهم لا يعنون بأن يؤقلموها أو يمنحوها جنسية بلادنا . ولأن نبقى عراة خير من أن نلبس فضفاضاً من الثياب ، يجرجر أذياله في ترابنا ، فيثير حولنا عجاجات يحسبها الرائي غبار معركة ، وما هو بها .. أو ضيقاً يبرز سوآتنا ، ويعصر أجسامنا ، ويشل حركاتنا وفي ذلك ما يدفعنا إلى تغيير أهدافنا وتبديلها بالسهولة التي نغير بها هندامنا ، وفيه من التعويق والتضليل ما يضيع معه الزمن ، وهو أثمن ما في الحياة الحديثة من مقوّمات .

أهداف التربية في بعض البلاد هي « تكوين المواطن الصالح » فاذا حاولنا استعارتها لبلادنا ، فأي مواطن صالح تكونه تربيتنا ؟

المواطن في كل وطن عضو في هذا المجتمع ، يعرف أهدافه فيندفع لتحقيقها ، وهو بذلك يضع لبنة في هذا البناء العملاق الضخم الذي يعصمه كما يعصم كل المواطنين من العوادي ، فكل خطوة يخطوها الفرد إنما هي انبعاث في سبيل اسعاد المجموع والأفراد على السواء ، لأن الأمة كلها جسم متماسك منسجم متوافق لا يطغى عضو منه على عضو .

لذلك ينبعث الفرد ليحقق – لأمته ولنفسه – مستوى من الحياة ترضى عنه الانسانية ، ثم ينطلق مرتاداً آفاقاً جديدة تجعله قادراً على التفاعل مع الحضارة الانسانية ، مؤثراً فيها متأثراً بها ، متطلعاً الى قيادتها نحو سعادة دائمة فما هي فكرة المواطن عندنا ؟ إنها فكرة عن الوطنية غامضة فردية مستبدة ، مهما تسامى فلن تعدو تحقيق آمال الفرد بنفسه ولنفسه في دائرة مقتطعة عن العالمية والانسانية .

وما نصيب مدرستنا من العمل لهذه الفكرة أو الانحراف عنها ؟ لقد قيل إن المدرسة مرآة تنعكس عليها صورة حقيقية مصغرة لحياة الأمة وآمالها . فأية صورة للحياة هي

مدارسنا اليوم ؟ وما الصورة التي نحب أن نعكسها لحياتنا ؟ أهي الحياة كما نحسها ونلمسها ... حياة الواقع المتناقض المسف الموغل في المادية المثقلة بأوزارها وآثامها ومفاسدها ؟

.. أم هي الحياة كما نتخيلها : كريمة متسامية تهدف نحو المثل الانسانية ، روحية تنتشل الفرد لتطهره من أرجاسه ، وتتصاعد به إلى ملأ أعلى ؟

.. أم هي مزيج مما يسر وما يسوء ، وما يجمل وما يقبح : من المادية الجارفة في طغيانها ، والروحية السمحة في سموها ؟ وهل أفلحت المدرسة في تصوير الحياة — أي حياة — لروادها .

ومن قبل ذلك : أية حياة هي التي نريد أن نطرح ظلالها على المدرسة ؟ أهي حياة أمة زراعية أم صناعية أم تجارية ؟ أمة محاربة أم مسالمة ؟ متدينة أم لادينية ؟ منعزلة أم مندمجة ؟ وما مركزنا في الاندماج ، وما دورنا في الحضارة الانسانية ؟ وأخيراً ما الوسائل التي ننتهجها لابراز هذه الصورة في المدرسة ؟

الحق أن المدرسة قد فشلت في تمثيل هذا الدور فلم تستطع أن تقدم أية صورة للحياة في أي لون من ألوانها ، بل جاءت الصورة التي رسمتها باهتة شاحبة مقلوبة مطموسة ، لا تبين منها معالم ، ولا تتميز فيها ألوان .

آية ذلك أنها تقذف إلى الحياة أشباحاً يتخبطون في واقع الحياة ، ويصبحون أمثلة حية للفشل في مختلف الميادين ، قد اضطربت فيهم الروحية إلى حد الالحاد ، وانعدمت فيهم المادية إلى درجة الخمول ، وتزعزع إيمانهم بأنفسهم ، وإيمانهم بأوطانهم ، وشحبت فكرتهم عن الحياة وتميعت .

هم براهين ناطقة على أن المدرسة بعدت من الحياة بدايتها ونهايتها ، واقعيتها ومثاليتها ، وسلكت وعراً مظلماً من دروب الحياة فأبعدت وأمعنت في التيه .

لم تفلح المدرسة إذن في تصوير أي جوانب الحياة ، لأننا أردناها مثالية تنشىء روادها على ما ينبغي أن يكون الانسان المثالي الذي يهيأ للمجتمع المثالي فما أفلحنا ، لأن تلك حياة لا يحياها الناس في عالم الواقع هنا ، ونحن نكلف الناشئة شططاً من أمرها اذا أرغمناها — في طراوة العود — أن تقاوم عواصف الواقع ، وتمثل ازدواج الشخصية فتجيد التمثيل في البيت والمدرسة .

ثم اننا لم نستطع أن نصور هذا الخيال الجميل في صورة أخاذة تجتذب ولو قليلاً من

الناشئة ، بل وضعناه في إطار من الرهبة التي تشيع القلق وتغري بالفرار .

ومرد ذلك أننا لم نؤمن بعد بأبنائنا ومستقبلهم ، وليس لنا من الاخلاص ما يسبغ على مهمتنا الشاقة لوناً من الجمال يغرينا بالتضحية في سبيلها ، ولأننا — في آخر الأمر — ليس لنا ولا لأبنائنا هدف يغريهم ، ويعزينا عما يصادفنا من عقبات وآلام .

وأياً ما كانت الأسباب فقد فشلت المدرسة في هذا الاتجاه ، وبات عزلها عن الحياة ضرباً من العبث والضياع فاتجهنا مع المتجهين الى تمثيل الحياة ، ونظرنا في حياتنا فلم نجد بها شعاعة من ضوء تنفذ إلى الطريق فنسري على هداها . وفي حنادس الظلام ذهبنا نتلمس أعلام الحياة ومعالمها ممثلة فيمن يسمونهم كبراء وعظماء وزعماء وقادة ، لنتخذهم أمثلة حية ننسج على مثالهم ، ونتدبر أعمالهم ، نغري بها ونوجه إليها وما هي إلا خطوة أو خطوات حتى تضاءلت الأعلام وتهاوت المعالم ، وصغرت الأعمال ، وفي ضوء الحقيقة نظرنا فاذا المعالم ما هي إلا أحجار القبور ، يفوح منها الفساد ، وتنطرح فيها الرمم ، ويعيث فيها الدود . .

وإذا العظائم ضباب هائل ، يغشى الأبصار ، ولكنه لا يعيش مع الضياء ، ولا يقر على الدفء ، فهو هباء ، كان وكأنه ما كان ، ومضى كأن لم يعش .

وإذا هؤلاء العظماء هياكل ، رتعت في لحومها الديدان وقوّض عظامها السوس ، وبليت معالم الانسانية في منافذ وجوهها النخرة .

إن العظمة في الشرق تضليل وخداع وأوهام ، وويل للناشئة إذا فقدت القدوة الصالحة ، وويل للأوطان من أجيالها المتخبطة .

نعم خسرنا الجولتين فلم تعد مدرستنا مثالية ، ولم تعد واقعية لاننا لم نصرف زمامها فى طريق واضح ، ولم نوجهها الى غاية حقة

ونحن طالما صدمتنا الاجابة المؤلمة كلما سألنا طلابنا فى مختلف مراحل التعليم : لماذا يتعلمون ! لأنها اجابة حائرة قلقة ، أو هي اجابة أشد إيلاماً ممن يعرفون أن هدفهم الهين أن يصبحوا موظفين ! فما أتفه الغاية إن كانوا جادين ، وما أحقر الوسائل إن كانت هذه هي الغاية ، لأنها تعود بنا القهقرى الى السلاسل والقيود التي ظننا أننا تمردنا عليها وبرئنا منها .

أما إجابات المسئولين فهي أشد وأقسى ، لأنها أبعد فى الحيرة ، وأمعن فى الضلال إذهم لا يعرفون لهم غاية يدفعون هذه الجياد الهزيلة تتسابق اليها ، أو هي أهداف فردية متنافرة لا تستقيم معها سياسة .

لقد قضينا جيلاً من الزمان ثائرين على السياسة التعليمية الاستعمارية ومع ذلك فلم نتحرر منها ، ولن نتحرر بهذه الوسائل العاجزة .

لن نتحرر منها لأنها كانت سياسة ثابتة الأهداف فكبلتنا بقيودها أما نحن فلسنا ذوي أهداف في التحرر منها ، ولو كنا كذلك — لو أقمنا سياسة مقام سياسة ، ووضعنا أهدافاً بدل الأهداف — لافلحنا في ايجاد ثغرات ننفذ منها خلال القضبان ثم لحطمناها تحطيما .

لقد أصبح لكل عمل من أعمال الحياة فلسفة ، ولكل فلسفة أهدافها فعجيب أن تبقى سياستنا التعليمية خاضعة لتصرفات فردية وأفكار طارئة لا يستقيم معها عمل ، ولا ينجح في سبيلها جهد؟لم لا يكون لنا غاية ثابتة نتحراها في كل همسة نهمسها ، وكل خطوة نخطوها وكل عمل نعمله لنستطيع أن نقيم عليها دعائم ثابتة لحضارة عتيدة تنافس حضارة الغرب إن لم تفقها ، وتعيد لهذا الشرق مجده الغابر ؟

إن فقدان الهدف قد أفقدنا القدرة على ترويض هذا الوحش الكامن في الشباب ، وأصبح التعليم صراعاً بين المعلم الذي يمثل الدليل المضلل في متاهات الحياة ، وبين الطالب الثائر المتمرد الضال .

لقد جمح الشباب شارداً لأن زمامه ليس في أيد موجهة ، وركب رأسه في مجاهل الحياة فتاه وأصبح مرتعاً صالحاً للمبادىء الضارة والآراء المتطرفة ، لأنها ـ في نظره القاصر ـ ذات صورة براقة ، ونهاية سارة .

لذلك استهوت عقولهم هذه الألوان من الأفكار ، وخدعتهم عن أوطانهم تلك الطوارىء من لمعات السراب ، وغزت أخلاقهم هذه الجيوش من الخلاعة ، وبدت رجولتهم مميوعة وطراوة وشذوذ لم تعهد في شباب أمة تواقة إلى مجد طريف ، أو منحدرة من أمجاد تالدة عريقة .

وفشل المدرسة في مهمتها ليس فشلاً فحسب ولكنه كارثة تجتاح الأمة وتمهد لافنائها .

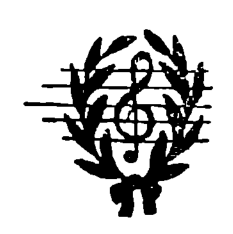
وعلاج هذا الفساد الذي يكاد يجرفنا لا يطامن من سورته إلا أن نكون أمة لها في حياتها مهمة ، ولها من وراء هذه المهمة حقيقة تنشدها وتسير على هديها .

أشعلوا النور ، وأقيموه على سواء السبيل ، وأقيموا على هداه علماً نوفض إليه ، ونتراكض نحوه ، فان أجدر وأجدى ماتشيدون من صرح أمة ناشئة هو الثقافة ، وأول وأولى ما تبنون من صروح الثقافة هو المحور الثابت المركز على أرض صلبة لا تمار ولا تميس .



الإيقاع

في الشعر العربي



للاستاذ ميشيل الله ويردي

للشعر العربي رنة موسيقيـة فاتنة ليس من الوجهة النغمية بل من الايقاعية ؛ هـذه الرنة تسمو به وتميزه من الشعر الأفرنجي ، حتى ان الأجنبي إذا سمعه طرب لنظامه الايقاعي ولو كان يجهل اللغة العربية. اما الشعر الأفرنجي فليست له هـذه الصفة المميّزة ؛ لأنه لا يخضع لنظام الايقاع بل للتوزين الذي يستند الى عدّ المقاطع دون التفات الى اختلافها ، وهي تتفـاوت من جهة مقاديرها الزمنية في كل لغة ؛ لأن كل حرف ملفوظ يستغرق مدة من الزمن كغيره من الحروف .

قال أحد قدماء العرب (الايقاع اظهار مناسبات أجزاء الزمن من القوة الى الفعل بحسب اختيار الفاعل) وقال الفارابي (الايقاع هو النقلة على النغم في أزمنة محدودة المقادير والنسب) وقال ابن سينا (الايقاع تقدير ما لزمان النقرات) . وجاء في كتاب الأدوار ان الايقاع جماعة نقرات تتخللها أزمنة محدودة المقادير على نسب — وأوضاع مخصوصة ؛ ويكون لها أدواراً متساويات الكمية ؛ وربما لا يكون ؛ ويدرك ايقاع تلك الأدوار المتساوية بميزان الطبع السليم المستقيم ؛ كما تدرك به أوزان الشعر دون حاجة الى قانون العروض ، أما اذا لم يكن الطبع سليماً فانه لا يدرك تساوي تلك الأدوار الا بالقانون ، ولا يكون القانون مفيداً لأن ادراك وزن الايقاع في الموسيقى أدق من أدراكه في الشعر ، فمن حصل له الادراك الأول حصل له ادراك الثاني ولا ينعكس .

أما نحن فنرى أن التوزين تعادل أجزاء الكلام والأصوات ، وتساوي مقاديرها الزمنيـة فيما اذا قوبلت ببعضها جملة ، أما الايقاع فهو توازن الأجزاء مع تنسيقها حتى

تقابل بعضها تفصيلاً ، وذلك بترتيبها حسب أحد أشكال الايقاع اللامتناهيـة ، وعليه فان التوزين الشائع في الشعر الافرنجي هو نظم الـكلام بعدّ مقاطعه في كل شطر أو اثنين ، سواء أكانت تلك المقاطع طويلة أم قصيرة. أما الايقاع في الشعر العربي فهو ترتيب مقاطع الـكلام بحيث تقابل بعضها في كل شطرة وبيت أو في كل غصن ، فيقابل المقطع الصغير صغيراً مثله ، ويقابل الـكبير كبيراً مثله، ولزيادة الايضاح نقدم كمثل لفظـة (ملاك) فهي مؤلفة من ثلاثة مقاطع الأول صغير (م) وهو حرف واحد متحرك أي نقرة بسيطة ، يعبّـر عنها في الموسيقى بالعلامة ذات السنين أي دوبل كروش. أما المقطع الثاني من ملاك أعني (لا) فكبير وهو مؤلف من حرفين اللام المتحركة بالألف ، والألف الساكنة بذاتها ، فهذان الحرفان يتحدان معاً ويؤلفان نقرة واحدة مزدوجة يعبّر عنها في الموسيقى بالعلامة ذات السن الواحدة (كروش) وكذلك أيضاً مقطع (ك) من ملاك فهو مؤلف من حرفين هما الكاف المتحركة بالضمة والنون الساكنة التي ظهرت من التنوين ، فهو اذن نقرة مزدوجة تقابل العلامة ذات السن الواحدة ، وعليه فان كلمـة (ملاك) تساوي في الموسيقى ثلاثة مقاطع ، أولها صغير وثانيها وثالثها كبيران ، أي دبل كروش ، كروش ، كروش ، ويعبّـر عن هـذا الترتيب بعلم العروض العربي بقولنا (فعولن) وهي لفظة اصطلاحيـة وجدت أفضل من سواها للتعبير عن هـذا الترتيب ، وقد يقابله أيضاً (مفاعي أو (علاتن) لأن السر في الدلالة على ترتيب المقاطع ليس في اختلاف الألفـاظ ، وعلى هـذا تقاس سائر التفاعيل المستعملة في الشعر العربي ، وأنت تجدها مع علاماتها الموسيقية في كتاب (بدائع العروض) والآن نأخذ كلمة أخرى مؤلفة كالأولى من ثلاثة مقاطع أحدها صغير والاثنان كبيران كلفظة (كامل) — فان وزنها (فاعلن) وهي تختلف عن (ملاك) مع أن عدد المقاطع ونوعها غير مختلف في الـكلمتين ، فتغير ـ الميزان ـ اذن ناجم عن ترتيب المقاطع دون سواه ، ففي كلمة (ملاك) جاء المقطع الصغير قبل الكبيرين، أما في كلمة (كامل) فقد جاء المقطع الصغير متوسطاً بين الكبيرين ، وقس عليه اختلاف الترتيب في سائر التفاعيل، فستفعلن مثلاً تساوي فاعلاتن أو مفاعيلن من جهة عدد المقاطع ونوعها ، ولكن كلاً من هـذه التفاعيل الثلاث تختلف عن الأخرى اختلافاً بيّناً بترتيب المقاطع ، فالمقطع الصغير في مستفعلن جاء بعد اثنين كبيرين ، وفي فاعلاتن جاء بعد مقطع كبير واحد، أما في مفاعيلن فقد تقدم المقطع الصغير على كل المقاطع الكبيرة .

وفي العروض العربية نقرة أخرى هي الطويلة أو المثلثة ، ويعبّر عنها في الموسيقى

بعلامة كروش منقوطة ، كمقطع لاح من قولنا (طلع الفجر ولاح) وهذه النقرة مؤلفة من حرف متحرك واحد يليه ساكنان ، ولا تأتي الا في الأعاريض والضروب اذ لا يصح أن يجتمع ساكنان في اللغة العربية أثناء الكلام .

فاختلاف الترتيب اذن أمر عظيم الخطورة يقوم عليه النظام الايقاعي ، ولكن لا شأن له عند الافرنج الذين يحسبون فعولن مثل فاعلن ، وفاعلاتن مثل مستفعلن ، عملاً بنظرية عدّ المقاطع دون التفات الى طولها أو قصرها من الوجهة الزمنية ، وقد قلنا إن لكل حرف مدة محدودة من الزمن تساوي مدة غيره من الحروف الملفوظة سواء أكان ساكناً أم متحركاً ولا عبرة بالسرعة أو البطء أثناء الكلام ما دام التناسب الزمني قائماً بين النقرات ، هذا هو سر عظمة الشعر العربي في رنته الموسيقية وسر ضياع هذه الرنة في الشعر الافرنجي ، لأن التفاعيل على اختلاف أشكالها تأتلف مع بعضها لتكوّن الموازين الشعرية والموسيقية ، فادعاء الافرنج بعدم الحاجة اليها والاكتفاء بعدّ المقاطع إنما هو ادعاء فاسد قائم على عدم تعمقهم بتحليل جمال الايقاع ، الذي يتمشى بصدق مع قواعد الجمال العامة ، اذ ليست هنالك تراكيب كيفية ، بل أشكال منظمة خاضعة لجمال اللفظ وحسن الاداء ، ويمكن اتباع هذا النظام في أية لغة أجنبية ، ونحن على استعداد لمناقشة هذه النظرية مع من يشاء من علماء الافرنج وشعرائهم لأننا لا نجهل أن بعضهم حاولوا الوصول الى هذه الغاية ، ولكن عدم اهتدائهم الى الطريق الصحيح لم يسمح لتلك المحاولات بالانتشار في عالم الغرب على نطاق واسع .

ولكي نثبت روعة النظم المتبعة في الشعر العربي من جهة الايقاع والتقفية التي تحسنه ، نأتي ببيتين على أساس التوزين حرفناهما وكسرناهما خصيصاً لاظهار هذه الغاية ، هما : —

غيرُ مجدٍ في ملتي واعتقادي نوح باك أو صوت شاد طروب

إن حزنا في ساعة الموت يبدو اضعاف أفراحٍ يومَ ميلادنا

فالبيت الأول موزون على ايقاع بحر الخفيف ، فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن ولكنه غير مصرّع ، فضاعت روعة القافية في مطلع القصيدة ، أما البيت الثاني فان صدره أي شطره الأول من الخفيف ، أما عجزه أي شطره الثاني فمن المنسرح ووزنه (مستفعلن مفعولات مستفعلن) . ومع أن هذا الوزن يساوي بالتمام (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) من جهة عدد المقاطع ومددها الزمنية ، الا أنه يختلف عنها في الترتيب ، فورود هذين الشطرين معاً يخالف قاعدة الايقاع العامة فلا يصح استعمالهما في بيت واحد أو في قصيدة واحدة

من الشعر العربي ، وهـذا الشذوذ الذي ندعوه في قانون العروض كسراً أو تشويهاً أو تحطيماً ، هو نظام التوزين ذاته ، لأن كل شطر من هـذا الشعر المحطم يتألف من اثني عشر مقطعاً دون اكتراث بترتيبها كما هي الحال عند الافرنج ، وأنت ترى جمـال الايقاع واضحاً كل الوضوح موثراً غاية التأثير من مقابلة البيتين المحطمين بأصلهما لأبي العلاء المعري وهو :

غير مجـد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شادي

إن حزنا في ساعة الموت أضعا ف سرور في ساعة الميـلاد

واعتقادي أن هذا الشرح يفي بالمرام ، ويبيّـن فضل الايقاع في الشعر العربي بطريقة عملية ، لا سيما أن اختلاف ترتيب النقرات على نظام خاص في كل شكل من أشكال الموازين الشعرية اللامتناهية يجعل الايقاع فناً واسعاً غير محدود ، فنستطيع بوساطته أن نسبغ على كل لون من ألوان المنظومات،وهي عديدة ، روحاً مناسبة له . وكما أن الموسيقي يعبّـر عن تصوراته بالأنغام ، والمصوّر بالألوان ، هكذا يستخدم الشاعر نظام الايقاع لكي يساعد الألفاظ على اظهار فكرته فالشعر ليس فكرة فنيـة تترك أثراً في النفس فحسب ، لأن العروض في النثر أن يكون كذلك ، والا كان ضرباً من الهراء ، اذن لا فرق بين الشعر أو النثر إلا بأن الشعر منظوم على الايقاع ، وبمـا أن لكل شكل من الايقاع رنة خاصة وتأثيراً في النفس يختلف عن سواه من الأشكال،فمنه ما يبعث على الفرح والحماسة أو الحزن والفتور وغير ذلك ، فيجب على الشاعر أن يختار لمنظومته ايقـاعاً مناسباً لموضوعها فتتقوى الفكرة الفنيـة به ، إذ يساعد على اظهارها ، أما إذا نظم الشاعر فكرته على ميزان لايناسبها فانه يضعفها ويقلل من شأنها .

وكما أن النفوس تجـد في فصائل الأزهار والأطيار ومختلف المناظر والأنغام ما يثير فيها عواطف كامنة ، كذلك أيضاً تجد في أشكال الايقاع المتنوعة ما يمثل مظاهر الحياة ، لأن التناسب البادي في أشكال الايقاع بتنسيق ترتيب النقرات — الصغيرة والكبيرة يماشي التناسب الذي انتظم بمقتضاه جميع ما في الكون ،فهو يولـد الهدوء ويلاطـف الطبائع ويقوّم النفوس ولا أثر لهـذه المزايا في التوزين الافرنجي الذي يهدف الى تعديل النقرات وتوحيدها ، بتطويل بعضها وتقصير البعض ، حتى تظهر متساوية نظريّـا ، مع أنها ليست كذلك ، فالتوزين بدون ايقاع يبعث الفوضى والتشويش في النفوس عدا أنه يفيد التقييد

والتضيق ، بعكس النظام الايقاعي الذي يفيد التحرر والانطلاق شأن جميع الفنون .

وبما أن المقام لا يسمح بالافاضة نسترعي انتباه من يهمهم هذا الموضوع الى دراسة ما أثبتناه في كتاب بدائع العروض ، فهو يقيم الدليل وييسّر السبيل للوصول الى أحسن النتائج وإدراك البون الشاسع بين التوزين والايقاع ، كما أننا ندعو جميع الذين لا يقرون بفضل النظام الايقاعي الى التأمل فيما أوردناه ، ومتى أدركوا سر هذا النظام وعرفوا فضله طبقوه في منظوماتهم ، وهكذا يقترب الناس نحو التفاهم عن طريق توحيد الأذواق بقبول قانون شامل في نظم الشعر ، لأنه مهما تختلف أشكال الايقاع فان السر واضح في الفكرة الأساسية التي تهدف الى النظام والتنسيق والانطلاق بحسب رأي العرب ، وتبتعد عن الفوضى والتشويش والتعقيد حسب رأي أولئك الذين عدّلوا وشوّهوا هذا النظام البديع — بالتوزين المددي . والخلاصة أن الايقاع في الشعر العربي يدل على التأنق البالغ وعلى استخدام التناسب لمجاراة النفوس المفطورة بطبيعتها على حب الجمال والنظام ، فأعجب لقوم لا يرون فيه ما يستحق الاهتمام ، ولعل هذا — الاهمال في كل ناحية ، هو منشأ التفاوت والتباعد بين أذواق البشر ، فاذا كان الناس لا يتفقون على مثل هذه الحقيقة الفنية البسيطة ، فكيف يمكن أن يتفقوا على أمور أعظم خطورة وأشد تعقيداً ، يزعمون أنها أساليب مفيدة لاحقاق الحق وتقريب الأذواق واقرار السلام .

[المقتطف] الاستاذ ميشيل الله ويردي كاتب هذا البحث علم من أعلام الموسيقى ولكتابه «فلسفة الموسيقى الشرقية» دوي كبير في البيئات العلمية حتى أن هيئة اليونسكو اقترحت ترجمته الى اللغات الافرنجية . وتقديراً لهذا الأثر النفيس أعلنت لجنة البرلمان النروجي ترشيح الأستاذ ميشيل الله ويردي لجائزة نوبل العالمية للسلام وهذه هي المرة الأولى التي رشح فيها عالم عربي لهذه الجائزة الخطيرة لعمل مستند الى الموسيقى . ولاشك أن حصول أحد علماء العرب على هذه الجائزة العالمية سيغيّر وجهة نظر العالم فيهم ويظهرهم بالمظهر اللائق بهم بين الشعوب .

ولا شك أن قراء المقتطف يغتبطون بالجهود الكبيرة التي بذلها الأستاذ في هذا المؤلف النفيس وفي سائر بحوثه وكتبه .

ويسرنا أن نهنىء هذا العالم الجليل بالثقة التي نالها من الحكومة النروجية راجين له اطراد التوفيق في خدمة العلم والانسانية ، ونتمنى أن يفوز أخيراً بهذه الجائزة العالمية الكبيرة تقديراً لجهوده المشكورة ؟



الميكروبات

بعض ما عرف عنها

للدكتور عبده رزق

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استعملت كلمة « ميكروب » للمرة الأولى في عام ١٨٧٨ بوساطة الطبيب الفرنسي سيديللو Sedillot وتعني كائناً حيّاً صغير الحجم غير أن درس الميكروبات بوساطة العلامة الفرنسي باستور وتلاميذه قد أبدل أساس الباثولوجيا نفسها وأحدث تغييرات كثيرة في علم الصحة والأمراض .

وتوجد الميكروبات بالملايين على سطح الارض كما هي موجودة أيضاً في الماء والهواء ، وعلى الخصوص في المواضع التي يعيش فيها ـ الانسان والحيوان ـ ومن هذه الميكروبات توجد طائفة تسمى بالبكتريا . وكل منها خاص بنوع الداء المسبب له فتدخل الجسم وتحدث فيه اعراض المرض . وهي عبارة عن كائنات حية ضئيلة الحجم جداً ، لا ترى بالعين المجردة بل لا بد لذلك من الاستعانة بالمجهر ، وتعيش في كل مكان توجد فيه مادة عضوية أي انها تحتاج في حياتها ونموها إلى الغذاء والرطوبة وإلى جو خاص مثلها يحتاج إليه الحيوان أو النبات . أما عددها فيختلف باختلاف تلك المواضع ، وهي تتوالد بكثرة وسرعة مدهشتين بحيث ان ميكروباً واحداً من بعض أنواعها يولد نحو ١٧ مليوناً من النسل . ثم إننا في كل خطوة وكل حركة وكل تنفس نكون في تماس دائم معها لأنها موجودة فينا وحولنا . ومن خواصها المدهشة أنها تعيش آلاف السنين وتظل هكذا مدة طويلة في حالة خمول من عدم التغذية كي تعود وتنشط من جديد إذا كشف عنها وتهيأ لها محيط ملائم لتغذيتها ونموها .

قلنا إن الأرض والماء والهواء مأهولة بالميكروبات التي لا تحصى ، أما عددها فيختلف في كل من هذه الاماكن كما نرى فيما يلي : —

﴿ في الأرض ﴾ قد أثبتت الاختبارات العديدة ان الميكروبات تكون أكثر عدداً في الطبقات السطحية من الأرض مما في طبقاتها السفلى ووجدوا أن (جراماً) واحداً من

تراب الشوارع مثلاً يحتوي على مليون الى مليونين منها ، وتزداد نسبة وجودها خاصة في عمق متر واحد إلى مترين حيث تتوفر هناك جميع الشروط الملائمة لتكاثرها ونموها أي وجود الرطوبة والحرارة والمواد الآتية وحيث لا يمكن لأشعة الشمس أن تصل إليها ، وكلما زاد تلوث الأرض كثر عدد الجراثيم فيها . بيد أن عددها يخف سريعاً بازدياد عمق الأرض لدرجة تغدو فيها قليلة جداً بل نادرة وهذا منوط طبعاً بطبيعة الأرض ونوع تربتها . وبوجه عام نجد الأرض خالية تماماً من الميكروبات عند عمق ثمانية أمتار .

﴿ في الماء ﴾ جميع المياه تحتوي على جراثيم بكتيرية تأتي من الهواء الجوي أو من الأرض ، وبوجه عام يكون عددها في المياه أقل بكثير مما في طبقات الأرض السطحية ، وتزداد نسبتها خصوصاً في مياه الأنهر بحيث تحتوي هذه على ٥ الى ١٠ آلاف بكتيريا في السنتيمتر المكعب أو أكثر من ذلك قليلاً في بعض الأحيان — بعكس مياه الينابيع الخالية تقريباً منها عند تفجرها من باطن الأرض (١٠٠ الى ٢٠٠ في السنتيمتر المكعب) ، وهذا ما يفسر لنا سبب تلوث مياه الينابيع وتطرق الفساد اليها حينما تجري وتصير أنهاراً في الوديان والسهول والبطاح حاملة كل ما تصادفه في طريقها من بقايا حيوانية ونباتية ومواد آلية تجعلها غير صالحة للشرب وللاستعمال المنزلي لاحتوائها على أنواع البكتيريا مع الحيوانات الصغيرة المجهرية .

﴿ في الهواء ﴾ الهواء الجوي بلا منازع أقل من الأرض والماء احتواء على الميكروبات، فهو لا يتضمن ميكروبات خاصة تسبح فيه وتأتي من الارض أو من أجسام الحيوانات أو من المساكن وتسقط على الأرض حين يكون الهواء ساكناً ، إنما أغلب الميكروبات التي فيه تفقد حيويتها ونشاطها ، ولذا نجد عدداً كبيراً منها في الغبار ميتاً أو فاقداً سميته .

وإذا أردنا أن نعرف عدد الميكروبات نفسها بالنسبة الى الفصول والشهور نجده يختلف أيضاً بحسب ما إذا كان الهواء طلقاً أو محبوساً . ففي الهواء الطلق قد قدروا عددها من ٤٣٢ الى ١٠ آلاف ميكروب في المتر المكعب من الهواء ، وهذه الأرقام تقل في الشتاء وتزداد قليلاً في الربيع ثم تكثر في الصيف . ثم ان عددها يختلف أيضاً بحسب ساعات النهار والليل . ففي الساعة الثامنة صباحاً والسابعة مساء يكون عددها أكثر من الظهر أو نصف الليل ، ويكثر عددها كذلك بعد هطول الأمطار الحارة في فصل الصيف وفي الهواء القريب من الأرض تكون أكثر مما في طبقات الجو العليا ، وفي هواء المدن أكثر عن هواء البحر والجبال . وقد ثبت أن هواء الجبال لا أثر لوجود الجراثيم فيه على علو ٢٠٠٠ متر ، كما أن الهواء في عرض البحار والمحيطات يعتبر خالياً تقريباً من

الجراثيم أو الميكروبات (٦ جراثيم لكل عشرة أمتار مكعبة من الهواء)، وكلما اقتربنا من السواحل (أقل من ١٠٠ كيلو متر) يأخذ عددها في الازدياد بحيث يغدو (٣٠ — ٤٠ في المتر المكعب الواحد). وعلى كل فالبحر يعد مقبرة للميكروبات لأن هذه تأتي فوق البحر بوساطة الرياح ثم تسقط فيه بثقلها الخاص وتموت .

أما هواء المساكن المحبوس فتكثر فيه نسبة الميكروبات أولاً - بازدياد عدد السكان ثانياً - بقذارة المحلات وما فيها أحياناً من العفونة ، وعددها يتراوح في هذه الأماكن بين ٤٥٠٠٠ الى ٧٩٠٠٠ في المتر المكعب ثم ان الغبار الذي يتراكم على أثاث الغرف يتضمن بدوره عدداً هائلاً من ذات الميكروبات بحيث أن الجرام الواحد منه يحتوي على ٧٥٠ الف الى ٢٫١٠٠٫٠٠٠ ميكروب ، وكلما قل غبار الهواء خفت نسبة الميكروبات الموجودة فيه.

ولننظر الآن في أنواعها وأشكالها . فأنواع الميكروبات كثيرة أيضاً وحسبنا أن نعرف انه يوجد في ذرة واحدة من ذرات الغبار أكثر من اثني عشر نوعاً ، والعلماء في هذا الصدد يواجهون مشكلة دقيقة في فصل هذه الأنواع المختلفة لكي يدرسوا كل نوع على حدته . فهناك نوع منها يحتاج في غذائه الى اللبن ونوع آخر الى مرق اللحم ونوع ثالث لا يتغذى وينمو إلا على البطاطس وبعضها ينمو في الجلاتين والبيض والآخر في الجيلوز، وهناك أنواع تحتاج في غذائها الى الدم وغيره فبطريقة زرعها أو استنباتها في الأوساط السائلة أو الجامدة في المعامل البكتريولوجية يمكننا التوصل الى معرفة أنواعها وتمييزها الواحدة عن الأخرى مع درس طباعها . فمنها ما يسبب السل الرئوي ، وآخر يسبب الخناق (الدفتيريا) ، ونوع آخر يكون سبباً للحمى التيفية أو للحمى القرمزية وغير ذلك من الأمراض ، وهي تدخل في نسج الجسم سواء عن طريق الفم أو عن طريق فتحتي الأنف وتحدث فيها اضطرابات عديدة .

واذا نظرنا الى أشكالها تحت المجهر نراها في شكل خلايا منفردة وهيئات متباينة . فمنها المستدير أو الكروي الشكل الذي يجتمع على هيئة أزواج كل اثنتين معاً منفردين وتسمى « دبلوكوك » وهي التي تسبب التهاب الرئة والحمى الشوكية المخية والسيلان الخ ، وأخرى كل أربعة سوية ، وغيرها على هيئة سلاسل أو سبحة وتسمى « استربتوكوك » وتسبب التهاب الحلق والخراريج والحمى النفاسية والحمراء وغيرها . أو على هيئة عنقود عنب ويطلق عليها اسم « المكورات العنقودية » أو « استافيلوكوك » وهي التي تسبب البثور والدمامل الخ ، ومنها المستطيلة الشكل وهي التي يكون طولها مساوياً لعرضها وتسمى « بكتريوم » وهذه اذا اجتمعت سميت « البكتريوم المسلسلة » . أما التي لها انتفاخ وتحتوي على بزرة Spore فتسمى « كلوستريديوم Clostridium » ومنها يعوق

كثيراً عرضها (٥ إلى ١٠ مرات) ويطلق عليها اسم (عصَّية) Bacille كعصيات كوخ في السل الرئوي مثلاً .

وهناك أنواع أخرى من الميكروبات على هيئة حلزونات ، ومن هذا النوع جراثيم الكوليرا وجراثيم الحمى الراجعة وجراثيم مرض النوم ، كذا جراثيم الزهري التي تسمى « سبيروختا باليدا » أي الباهتة اللون .

وقد وجد الدكتور كومندون طريقة لتصوير الميكروبات المرضية والجراثيم على الاطلاق تصويراً متحركاً فأصبح العلماء يقدرون على مشاهدة الجراثيم وهي تتحرك في الدم وتتثاقل وتتنازع مشاهدة طويلة يمكنهم فيها أن يدرسوا ما فاتهم درسه من طبائع بعض الجراثيم وحركاتها ، وقد عدوا هذا الاختراع من أنفع الاختراعات لعلم الطب ودعوا الآلة التي تمكنهم من تصوير الميكروبات تصويراً متحركاً يمثلها في معيشتها تمثيلاً تاماً : «هيبرميكروسكوب» وهي تكبّرها عشرة آلاف مرة فتظهر بها البعوضه كأنها بناية ذات ست طبقات ، وقد جعلوا النور الذي يلقى على الآلة لانارة الجراثيم بغية تكبيرها وتصويرها منحنياً لا أفقياً على موازاة محور الآلة كما يفعلون في المجهر لكيلا يحتاجوا إلى تلوين المادة المراد مشاهدتها ، بل يبقي لها لونها الطبيعي وتبقى جراثيمها حية ، والسينماتوغراف يصورها بحسب ألوانها . وصيانة للجراثيم من الهلاك إذا أطيل تعريضها للنور جعلوا لها آلة تديرها وتخفيها هنيهة عن النور في أثناء التصوير لابطال فعله فيها ، فضلاً عن جعلهم النور ينفذ خزاناً فيه ماء قبل نفوذه إليها فيضعف تأثيره عليها وهي في كل حال لا تستمر معرضة للنور إلا نحو نصف ثانية

ورسمت صورة نقطة من دم عصفور ملقح بجراثيم داء فكنت ترى فيها كريات الدم الحمر ظاهرة ، وتشاهد ميكروبات داء الدجاج البرازيلي بشكل خيوط وتراها أمامك تتحرك صاعدة هابطة بسرعة ، أو متأخرة ، متصادمة ، متداخلة بعضها في بعض ومتصلة ، وتارة تصطدم احداها بكريات الدم الحمر فتغوص فيها وتحاول التخلص ولا تستطيع فتبقى سجينة وتارة أخرى تغوص في كرية حمراء فتنقذها وتخلص . وقد ترى في الزاوية إحدى الكريات البيض تتقدم ببطء وهي ملتفة حول نواة . وقد تصادف هذه الكرية في طريقها كرية حمراء اصطدم بها ميكروب الوباء فجرحها وكاد يتلفها فتحيط بها الكرية البيضاء وتشرع في افتراسها . فهل نشاهد قريباً جراثيم التدرن الرئوي والكوليرا والطاعون وغيرها من الأمراض والأوبئة التي تجتاح البشرية ممثلة حياتها بالصور المتحركة تمثيلاً علمياً فنراها أمامنا كما تكون في أبدان المصابين بها .

للبحث بقية

الانفعالات

وكيف نحد من ثورتها



قد يدفع الانفعال ضربات القلب الى الاسراع ، ويزيد في ضغط الدم ، بسبب تقلص العضلات كما أن التقزز الشديد قد يعرض الفرد للقيء . وقد يغمى على الشخص بسبب الخوف .

وحتى الكثير من تعبيراتنا اليومية ، كقولنا «هذا أسقمني» أو «لقد أتعبني» أو «انك كسرت رقبتي» تدل بوضوح على أن الناس عرفوا منذ زمن بعيد ، أن الانفعالات تؤدي الى اعراض جسمانية .

ولو أن ، مثل تلك الأقوال معبّرة ، إلاّ أنها أيضاً مضللة ، فليس الآخرون هم الذين يسببون لنا المرض أو التعب ولكنها انفعالاتنا الشخصية ورد فعلها . فالآخرون لن يمكنهم اثارة انفعالاتنا ما لم نحنق عليهم ، أو نغير منهم ، أو نشفق على أنفسنا منهم .

ولطريقة تفكيرنا أهمية عظمى . فاذا ركنا الى موقف ما وأدركنا كيف أنه غير عادل أو أنه سيء ، أو نظرنا الى ما قد يتبعه من نتائج خطيرة فلا شك أننا نثير قدراً كبيراً من انفعالاتنا ، ولكنا لو رجعنا بتفكيرنا إلى ما يمكن اتخاذه من الاعمال في مثل هذا الموقف ، لوجدنا أن انفعالاتنا لا تحتمل الزيادة .

والانفعال ليس بضار ، لانه يعد الجسم للعمل في عدة نواح . كزيادة الدورة الدموية في العضلات ، وانطلاق السكر في الدم لزيادة النشاط . وما لم تثر انفعالات الفرد ، فلا يمكنه أن يخطب بزلاقة . وكذلك لا يمكنه أن يجري على أشده ما لم يحفز لذلك .

وعلى أية حال ، فالانفعال يفيدنا فقط ، اذا نشطنا للتفكير مقدماً ، في كيف نعالج الموقف ، وكيف نهجم عليه عندما يجابهنا . وما لم يعبّر الانفعال ، بمثل هذا السلوك والتفكير

المستمر ، فانه قد يطغى لدرجة أن يؤدي الى الاضطراب العقلي أو أعراض العجز .

ولعل أغلب أسباب اثارة الانفعال ترجع الى نوع من التهديد — لفقد عزيز لدينا أو ضياع الصحة أو المال أو ترك العمل أو البيئة المنزلية . كما تبدو كل المواقف والحالات الجديدة ، أنها تهددنا ، اذا نقصتنا الثقة في قدرتنا على مواجهتها . وحتى الحصول على الشهرة قد يهددنا . اذ كنا موسوسين جداً . كما نشعر أيضاً بالتهديد من بعض الدوافع الغريزية التي تتعارض مع مثلنا العليا . والتهديدات المتكررة ، تؤدي الى الاثارة ما لم يجد الانفعال المتولد من كل تهديد ، منطلقاً للتفكير والعمل المنتج .

فاذا توقعنا أننا نواجه تهديداً معيناً ، فيجب أن نتصور أنفسنا ذاهبين اليه ومتخذين أي اجراء قد يحتاجه . وعندما نتعرض للتهديد ، يجب أن نمرّن أنفسنا على أن نفكر ونعمل بأسلوب الهجوم . فالهجوم على التهديدات يجب أن يكون شعار كل شخص . وهذا السلوك يربي فينا حالة عامة يمكننا أن نسميها بحالة (مهما يحدث ، فلا بد أن أواجه الموقف) والتي تخالف حالة (أرجو أن لا يحدث شيء) .

فحالة (مهما يحدث ، فلا بد أن أواجه الموقف) تربي فينا السكينة والرصانة وتخلينا من المزيد ، على أن أمراً قد يحدث . لأننا على استعداد تام لمواجهته في أي وقت . بيد أن حالة (أرجو أن لا يحدث شيء) قد تكون وجيهة ولكنها تشعرنا بعدم الاطمئنان ، وان لم يحدث شيء لمدة طويلة . لأننا نستمر في الشعور بعدم الاطمئنان ، لاستمرار بقاء الفرصة لحدوث شيء . ومثل هذه الحالة تسبب القلق والتعب وغير ذلك من الأعراض الناجمة عن القلق . وتزداد حدة القلق في الحالات التي توقظ الشعور لأي حدث ، كالوجود في الأماكن المزدحمة أو الغرف المغلقة .

وقد تنمو حالة (أرجو أن لا يحدث شيء) بطرق مختلفة . فالمتوحشون مثلاً ، يضربون أنفسهم ارضاء لبعض الأرواح ، على زعم أنهم بذلك ، انما يحافظون على محاصيلهم من البوار ، أو لدفع سوء الحظ عنهم . كما أن الخرافة القائلة بأن حسن الحظ تسوق الى سوء الحظ كثيرة الانتشار . ومثلها الخرافة بأن الانسان يمكنه منع سوء الحظ ، بأن لا يترك نفسه سعيداً أبداً . وقد تتخذ ضده الخرافة دون وعي منا ، في وقاية أنفسنا ، لو كانت لدينا حالة (أرجو أن لا يحدث شيء) .

وبالاختصار لن يلاءم الشخص رد فعل صحي أزاء التهديدات المختلفة ما لم تتغلب عنده حالة (مهما يحدث فلا بد أن أواجه الموقف) على حالة (أرجو أن لا يحدث شيء) ولو نسبياً .

وهناك أفراد لا يمكنهم مقاومة الانفعال مما يظهر عليهم أعراض جسمانية كسرعة ضربات القلب وسوء الهضم . وفي البعض الآخر يسبب الانفعال توتر العضلات أو التعب أو رعشة الجسم .

ومشكلة الشخص الكثير الانفعال ، كمثل الذي يركب حصانا أصيلاً . فالحصان عرضة لأن يجمح أو يتراجع ، ولكنه في نفس الوقت يمتاز بالسرعة ومهارة القفز . واذا تعلم صاحبه أن يقوده بحكمة فسيكون خير عون له . فيجب أن يهدىء من روع الحصان اذا جمح وأن يعوّده على أداء اللازم مهما يظهر في طريقه . وبالاختصار يجب أن يتعلم كيف يركب حصانه الأصيل . وبالمثل يجب أن يتعلم ذوو الانفعالات كيف يوجهون انفعالاتهم .

ولما كانت الأعراض العقلية والبدنية الناجمة عن الانفعالات سببها التوتر العضلي دائماً ، كان من الواجب أن نصطنع الارتخاء بطرد هذه الأعراض . فالارتخاء له تأثير نفساني ملطف كما أن ارتخاء العضلات يكسبنا الشعور بأن (كل شيء على ما يرام) . وكأنه رسالة تلغرافية من المخ لكل عضلات الجسم بالهدوء .

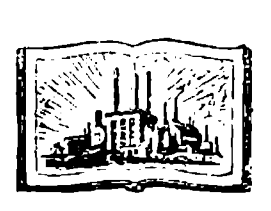
والواقع أن الكثيرين يجب أن يتعودوا القدرة على الارتخاء . ولتربية القدرة أو التعود على الارتخاء ، يمكن للفرد ان يخصص يوميًا بضع دقائق ليريح فيها كل عضلة وليتصور أنه في حالة هدوء تام ، وأحسن الأوقات لذلك عند الذهاب للنوم ، أو قبل النهوض من الفراش .

وعندما يذهب الانسان ليتمدد على الفراش ، ينحصر كل عمله في أن يريح كل عضلة في جسمه وان يترك السيطرة على عقله : فلا يركزه على أية فكرة بل يتركه على سجيته ، يذهب من فكرة لأخرى دون الركون لفكرة معينة . وبذلك يستريح عقله سواء أكان نائماً أم مستيقظاً ، كما يستريح جسمه وهو مرتخ تماماً .

وليس عمق النوم ضروريًا ولكن الراحة واجبة . اذ يمكننا أن نستريح تماماً دون ان نغط في نوم عميق لو تعلمنا كيف نستريح .

(مترجمة عن ساينس دايجست) ✡ ✡





طباعة الأقمشة

للأستاذ حسن محمد السكري

تستخدم في طباعة الأقمشة أكثر من طريقة ، بين آلية ويدوية ، لعل أهمها ما يأتي :ـ

(١) القوالب - وهي عبارة عن رسوم بارزة على قطع من الخشب أو أي معدن خفيف ، تشبه تماماً حروف الطباعة .

(٢) التفريغ — أي الاستنسل — وفيها تفرغ الأشكال على ورق خاص ، أو رقائق من الزنك أو النحاس . واليابانيون ، أشهر من يجيد العمل بهذه الطريقة .

(٣) الحرير — أي الشابلونات — وهي نوع من طريقة التفريغ ، وقد أصبح استعمالها أكثر شيوعاً لمزاياها

(٤) الآلي — وفيه تنقش الرسوم على اسطوانة معدنية ، يرقد تحتها حمام اللون وتمر فوقها لفائف القماش مضغوطة بوساطة اسطوانة أخرى .

الطباعة بالقوالب : أما المعدات اللازمة لعمليات الطباعة اليدوية بالقوالب فهي : —

(١) القوالب (٢) الختامة (٣) طاولة الطباعة (٤) المطرقة .

(١) القوالب — وتصنع من أي خشب متوسط الصلابة كخشب الجميز . وسمك القالب ٥ ر ٢ — ٣ بوصة . أما مساحته فتتوقف على مساحة القماش الذي سيطبع . فمثلاً اذا كان عرضه ٥٠ سم وجب أن يكون القالب جزءاً صحيحاً منه . فيمكن أن يكون ٥ — ١٠ — ٥ ر ١٢ — ٢٥ سم ليمكن تكرار الشكل ١٠ — ٥ — ٤ — ٢ من المرات في عرض القماش . أما طول القالب عمودياً ، فحسب الرغبة . وعلى كل حال ، يجب ألا يزيد حجم القالب عن ٢٥ × ٥ ر ١٢ بوصة . ويلاحظ أنه كلما كبر حجم القالب ، كلما زاد وزنه وصعب تصحيح أخطائه . كما أنه كلما صغر حجم القالب زاد عدد عمليات الطبع واضاعة الوقت . والقوالب يمكن أن تكون مربعة أو مسدسة أو بأي شكل يسمح بتكرار العمل

على وجه الدقة . وسطح القالب يجب أن يكون مستوياً وخالياً من الحفر ، لأن هذا العيب لا يمكن علاجه فيما بعد . وعادة لا يزيد بروز الخطوط عن بوصة وتكسى بأكثر من طبقة من غبار الصوف ، بعد دهان سطح الرسوم في كل مرة بالورنيش . ولتكرار عملية الطبع دون خطأ على القماش توضع عند أركان القالب مسامير نحاسية ، تبرز قليلاً عن الرسوم ، لتطبيق القالب على آثارها .

(٢) - الختامة ولا تزيد عن تثبيت قطع من الصوف أو اللبّاد ، على أي جسم صلب ، ثم تشبيعها بعجينة اللون ، ولا بد لكل لون من ختامة خاصة به .

(٣) طاولة الطباعة — عبارة عن مائدة مستطيلة ، قوية التركيب ، يكسوها بطانيات صوف غليظة ، فوقها مشمع ، وحولها حاجز خشب يطبق على البطانيات . ويثبت القماش المعد للطبع اما على المشمع بالصمغ أو بعجينة الدقيق واما بالتدبيس في الحاجز . وفي حالة طبع القماش على الوجهين ، تفرش تحته ملاءة .

(٤) المطرقة — يتركب رأس المطرقة من قطعة رصاص حجم ٤ × ٢ × ٢ بوصة ثم تكسى بقماش الكستور . أما اليد فطولها ٥ ر ٤ بوصة وتكسى بالجلد . والطريقة أن يمسك القالب من جوانبه باليد اليسرى ويدق عليه بالمطرقة وهي في اليد اليمنى

(عملية الطباعة) : تحتاج هذه العملية الى العناية وتركيز الفكر . ويحسن وضع علامة على القالب من الجهة التي ستبدأ بها الطبع ، حتى لا ينعكس وضع الشكل مع سرعة العمل . وبعد أن يثبت القماش تماماً ، توضع مسطرة لضبط أول صف عند تكرار الرسم . وبعد تجهيز اللون تشبع به الختامة ، ثم يضغط عليها القالب ، وينقل الى موضعه تماماً على القماش ثم يطرق عليه وهكذا . ويجب لضم الرسوم بعضها الى بعض وأن تصمم بقدر الامكان بشكل وحدات قائمة بذاتها ، وليست متشابكة الفروع . وأن يتم الطبع بلون واحد ، دفعة واحدة ، قبل البدء في الطبع بلون ثان ويجب أن يجف اللون الاول قبل وضع اللون الآخر ، حتى لا يمتزج اللونان .

(الطباعة بالتفريغ) وتمتاز هذه الطريقة على سابقتها ، بحرية الرسم وسرعة تغيير النماذج وقلة تكاليفها . وورق التفريغ (الاستنسل) عبارة عن قطعة من الورق المقوى ، المشبع بالزيت المغلي . ويمكن طرد الزيت الزائد من ورق التفريغ بضغطه بين قطعتي نشاف ، وبذا يصبح شفافاً نوعاً ومتيناً كما يمكن قطعه أو تفريغه بسهولة . ويلاحظ أن ورق الاستنسل يتغير شكله بمرور الزمن . والسكينة المستعملة في القطع ، يجب أن تكون

حادة جداً ومدببة . ويوضع ورق التفريغ على لوح زجاج عند قطعه كي لا تتشرشر حروف الشكل وعند الانتهاء من تفريغ الاستنسل يعاد دهانه بورنيش الجمالكة ، ليزداد قوة وطرداً للماء . ولا بد من عمل أكثر من استنسل للشكل الواحد ، اذا كان الطبع بأكثر من لون . والعادة أن يطبق اللون بوساطة فرشاة من شعر الخنزير الصلب كما يمكن الحصول على تأثيرات مختلفة في الطبع باستعمال الاسفنج أو البخ . والمهم أن لا ينشع اللون من حروف الرسم . ولذا يحسن أن تكون عجينة اللون المستعملة لهذه الطريقة ، أغلظ قليلاً عن المعتاد . ويجب اتمام الطبع بكل لون على حدة وتجفيفه ، قبل استعمال لون آخر .

(الطباعة بالشبكات الحريرية) وفيها تحضر قطعة من حرير المركزيت ، أو أي نوع من الحرير الذي يحوي ٨٠ – ١٠٠ عين في البوصة المربعة . وتشد جيداً الى اطار خشبي ثم توضع على الرسم المطلوب ، ومنه ينقل على الحرير وبعد ذلك تدهن الأجزاء التي لن تظهر على القماش بورنيش الدوكو ، ويترك الشكل مفرغاً . ومفهوم أن كل لون يحتاج الى شابلون خاص . ويمكن تطبيق عجينة اللون في هذه الطريقة بوسائل عديدة ، منها استعمال الفرشاة ، أو الضرب بقطعة قماش أو بالاسفنج ، أو الرش ، أو تسوية عجينة اللون بقطعة خاصة من الخشب أو أسطوانة . وفي الطبع بطريقة الشابلونات ، يمكن انتاج رسوم بأي حجم مطلوب .

(تحضير القماش للطبع) : العادة أن الأقمشة التي تشترى تكون نظيفة وفي حالة صالحة للطبع عملياً ، ولكن يجب غسل القماش بالماء الفاتر والصابون بسهولة تعمق اللون في الألياف . ومفهوم أن كل نوع من القماش (قطن – صوف – حرير) له طرق خاصة لتنظيفه . وبعد التجفيف يكون القماش معداً للطباعة .

ونصيحتي للصانع الصغير أن يلتزم طباعة قطع القماش التي تصلح للأغراض الخاصة أو الشخصية مثل المناديل الحريرية وخلافه ، لأن ثمن بيعها يكون عادة أضعاف تكاليف انتاجها ، بعكس الحال في الأقمشة العادية التي تطبع بالطرق الآلية إلا يمكن منافستها

(تحضير ألوان الطباعة) : كل معاجين الطباعة ، من الوجهة الفنية ، تسمى ألوان وان لم يكن لها لون خاص ، كأن تحوي مجرد مادة مثبتة . وعلى كل حال ، فتحضير ألوان الطباعة يحتاج الى مهارة وعلم بالصبغات ، وفيما يلي مكونات الوان الطباعة على الأقمشة : —

(١) مذيب – وهو الماء عادة .

(٢) صبغ أو لون – وتشتمل الاصباغ بأنواعها مباشرة – حمضية – قاعدية – كبريتية – حوضية .

(٣) مغلظات وهي الصموغ المختلفة وأهمها صمغ الكثيراء وأيضاً الصمغ العربي

والنشاء والدكسترين . وفائدة عوامل التغليظ هي تسهيل نقل اللون الى القماش ومنع انتشاره من حدود الرسم .

(٤) مثبتات (موردانت) — وهي أملاح معدنية تتحد مع الصبغ بتأثير البخار ، وتكوّن ألواناً لا تذوب وكل معاجين الطباعة بصفة عامة ، يجب تحضيرها طازجة .

تحضير عوامل التغليظ : ٦٠ ٪ من الصمغ ، ٩٤ ٪ من المـاء .

صمغ الكثيراء — ينقع الصمغ لمدة ٢٤ ساعة ، ثم يغلى ويصفى .

الصمغ العـربي — ٥٠ ٪ من الماء ، ٥٠ ٪ من الصمغ يصنع كسالفه .

مغلظ النشـاء — ١٥ ٪ نشاء ، ٨٠ ٪ ماء ، ٥ ٪ زيت زيتون . يغلى ويبرد .

أساليب الطباعة : الواقع أن طباعة الأقمشة نوع من الصبـاغة . والغرض من هذه الأساليب هو معرفة وضع الألوان تبعاً لخواصها على القماش . وهذه الأساليب تقارب ١٢ أسلوباً ولعل أهمها طريقة الطبع المباشر وتعرف بطريقة البخار ، لأنه العامل الأساسي في التثبيت .

عملية البخار : وكانت تتم بلف القماش بعد طبعه ، حول ماسورة بخار محاطة ببطانية صوف لامتصاص الرطوبة من البخار . ولكن عمليـة التبخير الآن ، تتم في خزائن خاصة من الحديد ، يدور فيها البخار قبل وضع القماش . وتستغرق مدة التبخير نحو ساعة أو أزيد أو أنقص حسب الحالة .

عمليات ما بعد الطبع : وتشمل التعتيق والتبخير والتثبيت ، والغسل والترجين والتنظيف والتجفيف والتشطيب . وليس معنى هذا ، أن كل نوع من الأقمشة يحتاج لكل هذه العمليات ، بل ان الاستغناء عن بعضها واجب للصوف والحرير مثلاً .

نماذج للطبع المباشر : وفيما يلي نماذج جيدة لألوان الطباعة بالأسلوب المباشر لأجل الحرير والربون بطرق التفريغ .

(١)

١ — ٤ أوقية صبغ حمض

١ — ٢ رطل يوريا (مثبت)

٥ ر ١ أوقية طرطيرات الحديوم

٣ ر ١ لتر ماء ساخن يضاف الى : —

٧ ر ٢ لتر محلول كثيراء (٦ ٪)

وهـذه الكميات تكفي لانتاج جالون واحد من عجينة اللون

(٢)

١ — ٤ أوقية صبغ مباشر للحرير

١ — ٢ رطل يوريا

٥ ر ١ أوقية فوسفات صوديوم تراب في

٣ ر ١ لتر ماء ساخن . يضاف إلى

٧ ر ٢ لتر محلول كثيراء (٦ ٪

وهذه الكميات تكفي لانتاج جالون

والطريقة العامة أن يطبع القماش ويثبت بالبخار ويغسل .



الاطباق الطائرة

ماهيتها — وبدء ظهورها

للأستاذ أمين عبده

نشرت مؤخراً جريدة « ساندي ديسباتش » الانجليزية عدة مقالات متتابعة لبعض العلماء ممن عنوا عناية خاصة بأمر الأطباق الطائرة التي شغلت أفكار الكثيرين أمداً طويلاً .

ولطالما تساءل الناس عن ماهية تلك الأطباق وما عساها أن تكون أهي حقيقة أم خرافة . أهي طائرات استكشافية أم أسلحة سرية . أم مركبات مرسلة من أحد الكواكب الاخرى القريبة من أرضنا . إن صح أنها مأهولة بالسكان . ولمَ أخذ ظهورها يزداد منذ انفجارات القنابل الذرية عندنا ، وما سبب ترددها على أوربا وأمريكا ؟

هذا وقد قام كل من المستر «دونالد كيهو » Donald Keyhoe والمستر « فرانك أشكلي » Frank Scully وهما من أشهر المعنيين بشئون الطيران . بتأليف كتاب في موضوع الأطباق الطائرة.

وها نحن أولاً موردون أهم ما اشتمل عليه كتاب المستر « دونالد كيهو » الذي كان رئيساً لفرع الملاحة التجارية الجوية بالولايات المتحدة الأمريكية .

قال المؤلف : إن الأطباق الطائرة حقيقة لا ريب فيها ويظن أن أول من أطلق عليها هذه التسمية هو المستر « كينيث ارنولد » Kennith Arnold وهو ملاح جوي عاين تسعة منها محلقة بقرب جبل « رينير » بواشنطون . وان أول من استصوب هـذه التسميـة مزارع بولاية « تكساس » يدعي « جون مارتن » .

وجاء ذكر الأطباق الطائرة منذ الجيل الماضي حيث نشرت جريدة « دنشن ديلي نيوز » Dension Daily News بعددها الصادر بتاريخ ٢٥ يناير سنة ١٨٧٨ ما يأتي : —

« روى المستر جون مارتن » المزارع المقيم جنوب مدينتنا القصة العجيبة التالية —

قال إنه رأى خلال قيامه بنزهة للصيد جسماً غريباً أسود اللون محلقاً في الجو ومتجهاً نحو

الجنوب والذي راعه منه سرعة انطلاقه في الجو . ولما مرَّ من فوقه كان في حجم الطبق وكان على ارتفاع شاهق » .

ولم يأتنا من أخبار الأطباق الطائرة فيما بين عامي ١٧٦٢ و١٨٧٠ إلاَّ النزر اليسير . غير أن بعضهم أشار إلى ظهور أنوار سطعت في الجو لم يعرف مصدرها . وشاهد بعضهم أجساماً ذات أشكال مستديرة ظهرت نهاراً — إلا أن هذه وتلك مشاهد لا يؤبه لها قياساً على ما سنأتي على ذكره فيما يلي : —

ومما لا تفوتنا الاشارة إليه أنه قد تمَّ في هـذه الحقبة من الزمن اختراع التلغراف والتليفون والراديو وهي من وسائل الاتصال بين الأقطار .

وبعد عام ١٨٧٠ أخذت الأخبار تترى عن هذه الأطباق . فقد شوهد جسم مستدير الشكل ظهر على ارتفاع شاهق في سماء مرسيليا بفرنسا وذلك في أول أغسطس من عام ١٨٧١ أخذ في التحرك وظل مشاهداً نحواً من خمس عشرة دقيقة ثم اختفى .

كذا ظهرت في أفق « كانينو » بألمانيا أجسام كثيرة العدد لامعة . قبل شروق الشمس . أخذت في المسير من الشرق إلى الغرب . كما رؤي أيضاً في أفق « نيوزيلندا » شبه طبق بيضي الشكل سريع الحركة وكان ذلك في الرابع من شهر مايو من عام ١٨٨٨ . كما شوهد أيضاً بعد هـذا التاريخ بنحو عامين الكثير من الأجسام المحلقة في سماء الهند الشرقيـة الهولندية كانت ثلاثية الشكل تقريباً

وفي ٢٦ أغسطس سنة ١٨٩٤ أعلن أميرال انجليزي عن رؤيته لقرص كبير ذي نتوء كالذيل وبعد هذا التاريخ أخذ الناس يتحدثون عن أجسام ثلاثية الشكل كانت قد ظهرت في أنحاء مختلفة وهي كثيرة الشبه بالتي رؤيت في الهند الشرقية الهولندية . ثم كثر اللغط والتهكم عن كثيرين من الرجال الرسميين وغيرهم كما زعم غير واحد من الفلكيين بأن مصدر تلك الظواهر الخفية قد يكون الفضاء الخارجي .

ومن ثمَّ أخذت تلك الظواهر في ازدياد منذ عام ١٨٩٧ في سماء الولايات المتحدة الأمريكية . ومن أغرب ما شاهده الفلكيون جسم يشبه السيجار له شبه أجنحة صغيرة في سماء بلدة « ميد وست » على ارتفاع شاهق . وفي عام ١٩٠٤ أعلن مكتب الارصاد الجوية بالولايات المتحدة الأمريكية عن ظهور جسم مماثل لما تقدم ذكره شوهد عند البحر .

كما رؤي في ٢٤ فبراير من عام ١٩٠٤ نور على ارتفاع كبير يسير بسرعة فوق الأطلنطي وفي ٢ يوليو من عام ١٩٠٧ سمع صوت انفجار بالقرب من « برلنجتون » . والذي سمع

الصوت قال إنه رأى جسماً شبيهاً بالطوربيد كان يدور في الجو وبعد ذلك ببرهة قصيرة ظهر جسم آخر مستدير الشكل انبعث منه ضوء الى أسفل ثم انفجر . كما شوهد جسم آخر يشبه السيجار على ارتفاع قليل في سماء « بردجوتر » بولاية « مساشوسيت »

ونشر الدكتور « هاريس » Dr. F. B. Haris خبراً في المجلة الفلكية بتاريخ ٢٧ يناير من عام ١٩١٢ عن جسم أسود اللون رآه يمر على وجه القمر . وبعد هذا التاريخ أخذت التقارير الموثوق بصحتها تذاع بين الفينة والفينة عما يبدو من مثل هذه الظواهر .

عندما كان « نيقولا روبرش » رئيس البعثة الأمريكية الفلكية في بلاد « التبت » بالصين في عام ١٩٣٤ استدعى أحد الحمالين نظرة الى مظهر غريب في السماء حيث شاهدا جسماً بيضي الشكل مرتفعاً منطلقاً بسرعة كبيرة من الشمال الى الجنوب فاستعان « روبرش » على رؤيته بالمنظار فبدا له في حجم كبير جداً . وعندما انعكست عنه أشعة الشمس ظهر كما لو كان من معدن مصقول وتابعه ببصره فرآه قد غيّر وجهته حيث اتجه نحو الجنوب الغربي . ثم اختفى بعد بضع دقائق وكان هذا آخر مظهر قبل الحرب العالمية الثانية .

ومع ما تقدم ظل فلكيو « شيكاغو » على زعمهم بأنها قد تكون نوعاً من الشهب . إلاّ أن الدكتور « جيرار كيلر » مدير مرصد جامعة شيكاغو خالف هذا الرأي معلناً بأنها لا يمكن أن تكون شهباً . وأيده في رأيه الدكتور « أوليفرلي » مدير مرصد « نورثويشترن »

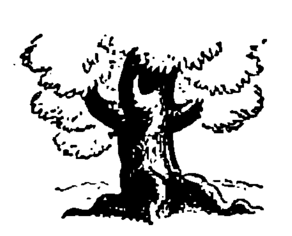
وحدث في مساء يوم ٢٣ يوليو من عام ١٩٤٨ أن ركب كل من الكابتن « كلارنس شايلز » والضابط « جون وايتد » — وكلاهما مشهور بتحري الدقة واصالة الرأي ، وهما من رجال الطيران في الحرب الماضية — طائرة من « هوستون » بولاية « تكساس » وكانت ليلة مقمرة وما وافت الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعون . حتى شاهدا جسماً طائراً أشبه شيء بالسيجار مقبلاً نحو خط سيرها الجوي . وهو يبلغ نحو مائة قدم طولا وقدّر الضابط « جون وايتد » أن قطره قد يبلغ ضعف قطر الطائرة B 29 ولا زعانف له . وقال الكابتن « كلارنس » بأن قمرة هذه السفينة -- إن صحت هذه التسمية — أشبه شيء بغرفة الطيار . إلاّ أنها أشد لمعاناً . ولاحظا أن بها صفين من الكوى (شبابيك) وبها خرطوم شبيه بقطب الرادار . وبعد برهة شعّ منها ضوء شديد أزرق أدكن . كذا شاهدا لهباً خارجاً من مؤخرتها ممتداً الى ما يقرب من ثلاثين الى خمسين قدماً وراءها . قال « كلارنس » ولما حاولنا اللحاق بها اندلع من مؤخرتها لهيب رائع ذو دويٍّ رهيب . ثم أوغلت في الارتفاع فتركناها .



الزراعة

في أندونيسيا

— ٢ —



للأستاذ أحمد طه السنوسي

لا يهمنا أن نعرف متى دخلت هذه المزروعات أندونيسيا بقدر ما يعنينا أن نفهم أن المهاجرين من أوربا وآسيا قديماً وحديثاً يرجع إليهم الفضل في استثمار وانبات هـذه النباتات، وفي ادخالها في الزراعة الأندونيسية .

وتزرع في اندونيسيا أشجار فاكهة الدوريان والرامبوتان ومنجيس وغيرها من الفواكه التي قلما نجدها في جهات أخرى من العالم ، والمـانجو يدخل في صناعة الحلوى والفطائر والمرطبات والفالوذج المانجوى .

وتنتج الأراضي الأندونيسية محصولاً وافراً من الأناناس الذي شق طريقه إلى التجارة الدولية بعد الوصول الى الوسائل التبريدية الصناعية للتصدير الحديث. وأوراق الأناناس تشبه الجوت إذ تستخرج منها ألياف تصير حبالاً بعد غزلها بالكيفية المطلوبة ، وثمّـة نوع من أشجار الأناناس لا ينتج ثماراً وانما يزرع على شكل قوائم وظلال كثيفة لتسوير الحقول والبساتين ، وهو ينمو بسهولة ، والحبال التي تصنع من ألياف أوراقه جيدة ومتينة جدًّا ، وهذا النوع من شجر الأناناس يطلق عليه (أناناس الغابة) وتكثر مزارع الأناناس بصفة خاصة في جزيرة سومطرة وشبه جزيرة الملايو حيث تصدره مدينة سنغافورة معلباً محفوظاً وقد نالت هذه المدينة شهرة عالمية في تصدير الأناناس .

وهناك فاكهة الجامبوزا وشجرها بديع دائم الخضرة يدعى نباتيًّـا باسم (أيوجينيا جامبوز) ويدخل في نطاق الفصيلة الأسيوية ، وهو يوجد على الحالة البرية في اندونيسيا

والهند وغيرها كما أن قارة آسيا موطنه الأصلي ، ولعل الأقطار التي تزرع تلك الفاكهة لها غرض أولي من زراعته وهو جمال أوراق أشجارها ، فهي صفحات زخرفية لها ترتيب هندسي بديع ، كما أن زهورها وثمارها جميلة بديعة أيضاً . وهناك نوع من الفاكهة أشتق اسمه من (الجامبوزا) ويدعى (البرقوق الجامبوزي) بديع الشكل ، وقد أطلق على الجامبوزا اسم (تفاح الورد) طبقاً لرائحته الذكية ، وهو فاكهة لذيذة الطعم تلائم الصحة البشرية .

ونوع آخر من الأشجار يسمى (أشجار المشملة) ويسميه النباتيون (ايربوبا ترياجا بونيكا) وهو يوجد في اندونيسيا كما في الصين واليابان والقارة الاسترالية وسواها من الأمصار ، ولعل اليابان هي الموطن الأصلي له ، وأزهاره بيضاء ذات رائحة ذكية وهو يزرع للزينة إذ أن أوراقه بديعة المنظر دائمة الخضرة .

وفاكهة الرمان تدخل في نطاق الزراعة في اندونيسيا لموافقة زراعتها لظروفها المناخية . والرمان قديم المعرفة ، فقد عرفه القدماء المصريون واليونانيون والفينيقيون وغيرهم ، واسمه النباتي (بيونيكا جرانانوم) ويستعمله الأندونيسيون في مشروباتهم المنعشة في جوهم الحار ليرطب الهواء ، ويستعملون قشوره وجذوره وسيقانه طبيًّا كما يستعملونه في الصباغة ودبغ الجلود .

ولم تخل الفاكهة الأندونيسية من الموالح ، فهي غنية بها فهناك البرتقال بأنواعه المتباينة ، وكذلك يوجد اليوسفي والتمر الهندي والليمون بأصنافه .

وأهم الخضراوات في اندونيسيا البطاطس بنوعيه : بطاطس الطهي والبطاطا للسلق أو للشي وللأكل كمادة سكرية . والبطاطا الحلوة تؤكل رؤوسها مسلوقة أو مشوية ، أما سيقانها الدقيقة وأوراقها فتستعمل غذاء صالحاً شهيًّا للحيوانات ، ويطلق على هذه البطاطا نباتيًّا اسم (ابيوميا بطاطس) وثمة نوع من البطاطا يدعى (أوبي كايو Topioco) ينافس البطاطا الحلوة وهو وافر الانتاج تكثر زراعته على سفوح التلال ويستعمله الأهالي في صناعة أصناف خاصة من الحلوى والأطعمة والفطائر ، كما استعمل في الصناعة باستخراج النشاء منه .

وهناك أنواع متعددة من الخضر اللازمة التي يستهلكها الأهالي ولا يتجر فيها تجارة دولية خارجية كالثوم والفول والبصل وغير ذلك .. ولعلّ البطاطس المورد الأول للمادة النشوية في مجموعة الخضر وتليه أنواع أخرى كنبات (الكاسافا Casseva) والأروروت

والتارو وغيرها ، وقد تقدم فن استخراج المادة النشوية منها ؛ لذا ينتظر خروجها من النطاق المحلي الى النطاق التجاري الدولي .

وأندونيسيا لها الشهرة العالمية في زراعة التوابل ؛ إذ لم تعرف هذه التوابل في سالف الأزمنة إلا من جزائر الملوك ، ونالت تلك الجزائر الشهرة الواسعة حتى أطلق عليها اسم (جزائر البهار) ، وللتوابل أهمية عظيمة في الحياة اليومية في أرجاء العالم . فالفطائر وأنواع الحلوى لاتتم لذتها بدون الفانيليا Vanilla ، وجزيرة جاوه من الجزر التي تنتج (فانليا بانيفوليا Vanilla Panifolia) وهو نبات من النباتات المتسلقة عرف أولاً في بلاد المكسيك ، ويدخل هذا النبات في تجارة أندونيسيا الدولية ، والقرنفل claves لم يعرف قديماً إلا في جزائر تيودور وهيلماهيرا وترناتي وغيرها من جزائر الملوك ، ثم أخذ الاندونيسيون يزرعونه في أنحـاء كثـيرة من جزائرهم ، وهم يستخرجون منه الزيت المسمى باسمـه ، وكان الاندونيسيون أول من عرفوا جوزة الطيب في جزيرة باندا Banda من جزائر الملوك ثم زرعوه في شبه جزيرة الملايو ووصلت زراعته الى بقع أخرى . وعرفت (القرفة) أول ما عرفت في جزيرة سيلان بجنوب الهند ثم انتقلت إلى أندونيسيا فبرعت زراعتها وأنتجت منها انتاجاً وافراً ، ولم تخل الثروة البهارية الأندونيسية من الزنجبيل ، بل ان اندونيسيا تصدره الى العالم الخارجي بعد التجفيف والتعليب ، ومن التوابل الأندونيسية الهامة أنواع ممتازة من الفلفل ما بين أسود وأبيض وأحمر وغيره .

وكان الاندونيسيون في الأزمنة القديمـة يأخذون من الغابات نباتات هامة بدت قيمتها الثمينة إذ ثبت أنها عقاقير طبية نادرة فاستخرج الكينين Quinine من أشجار السنكونا Cinchona وكانت هذه الأشجار منقولة من أمريكا الجنوبية الى الأراضي الأندونيسية في منتصف القرن التاسع عشر ، ونجحت جزيرة جاوة في زراعة الأشجار السنكونية كما برعت في استخراج الكينين وفي تصدير محاصيل وافرة منه كما اتضح للأطباء أن هذا الكينين طب ودواء ناجع لعلة حمى الملارية . وتنتشر في اندونيسيا مزارع لأشجار الكوكا Coca وهي أشجار طبية أيضاً يستخرج من أوراقها الكوكايين Cocaine .

وبعد هذا يمكن القول بأن اندونيسيا بلد هام كل الأهمية من ناحية انتاج المنبهات التي صارت متقاربة مع ضروريات الحياة بل هي منها وعنصر هام من عناصر الحياة في هذه الأزمنة الحديثة .

التقويم الزراعي

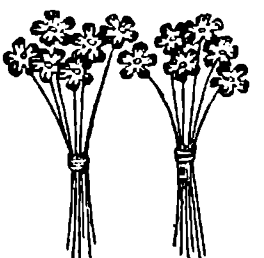
لشهر مايو ١٩٥١

(١) — ﴿ الحاصلات الزراعية ﴾

البرسيم — يمنع ريه
الفول — دراس وتذرية وتخزين المتأخر
الكتان — تقليع المتأخر — تربيط ونشر
الشعير — ضم وتذرية وخزن المتأخر
القمح — حصاد ودراس
القطن — عزق وخف وتسميد بالكيماوي
القصب - عزق وري وتسميد للدفعة الأولى .
الأرز — خدمة وبذار — زراعة المشاتل .

(٢) — ﴿ البساتين ﴾

(ا) — الفاكهة — تطعيم أصول الأشجار التي لم ينجح تطعيمها . يبدأ بتلقيح القشدة صناعيا . يمكن نقل نباتات المانجو من القصاري الى مكانها الدائم مع وقايتها من حرارة الشمس وموالاتها بالري .



(ب) الخضر — زرع البطيخ المتأخر في الدلتا . زراعة عروة جديدة للطماطم والخيار والفاصوليا واللوبيا والكوسه والقرع العسلي والملوخية . شتل الكرنب البلدي والكرات أبو شوشة والطماطم والكرفس والفلفل والباذنجان . زراعة مشاتل جديدة للطماطم والفلفل والباذنجان والكرنب والقنبيط لتشتل منها عروة نيلية في يوليه وأغسطس

(حـ) الازهار - يستمر جمع بزور الحوليات الشتوية وتزال نباتاتها . تجهز الأرض لزراعة الحوليات الصيفية . تنقل الأراولا الى قصاري رقم ٢٥ بها خلطة من طمي النيل الناعم والسماد البلدي . تزرع بزور السينراريا . يمكن الاستمرار في زراعة درنات الداليا اذا ما أريد تأخير ازهارها . كذلك يمكن الاستمرار في

زراعة بزور شجيرات وأشجار الزينة . يطعم الورد . يمنى بري أبسطة النجيل والاليبيا وتنقية الحشائش منها . عزق مسطحات الجازون في نهاية الشهر وتترك الى أكتوبر لزراعة جازون جديد .

(٣) - ﴿ الآفات الزراعية ﴾ أهم الآفات دودة القطن وتظهر غالباً في النصف الثاني من الشهر ويبدأ في تنقية اللطع أولاً فأولاً .

وتظهر كذلك الدودة القارضة والدودة الخضراء ودودة القصب وهناك أمراض تصاب بها الحاصلات كأمراض الصدأ أو الدودة الثعبانيـة والتمم في القمح . والذبول في القطن ، والبرقشة والتخطيط في القصب والبرسيم في الارز . وكل مرض منها له علاجه المقرر في جهات الاختصاص بوزارة الزراعة . ✡ ✡

اخبار زراعية

﴿ منتوجات البن ﴾ تمكن أحد علماء السويد من استخراج كميات كبيرة من مختلف المنتوجات من البن بطريقـة رخيصـة . فاستخلص من ٥٠٧٠ رطلاً من البن الاخضر ، ٥٣ رطلاً من الكافيين و٥٢٩ رطلاً من الدهن و٨٨ رطلاً من التنين و٢٢٧ رطلاً من الاسيتون و ٩٧ رطلاً من كؤول المسيثيل ، ٣٦٨ رطلاً من الزيت الخـام و ٦٧٢ من زيت التشحيم والأمونيا و٥٢٠ — ٥٦٠ ياردة مكعبة من غاز الايدروجين . والزيوت المستخلصة من البن تختلف بين خفيفة جـداً وثقيلة ، وهي زيوت خام تصلح للاستعمال في السيارات أو الطائرات ، ولبعضها قيمة وقودية تزيد على عشرة آلاف سعر .

﴿ الخضر ﴾ — ثبت من التجارب والبحوث أن الأوراق الخضراء الخارجيـة للكرنب والخس والهليون غير المبيّض أغنى في الكالسيوم والحديد وفيتاميني C و A من أوراقها الداخلية البيضاء . وأن الكرفس الأخضر أغنى في فيتامين A عن الكرفس الأبيض .

﴿ موطن عنب الديب ﴾ موطنه أوربا وآسيا وأمريكا ، وهو غني في مادة السولانين السامة ، غير أن سكان الهند الغربية يطبخون أوراقه . وفي غرب الولايات المتحدة يجمعون ثماره ويصنعون منها المربى . وفي مصر يجمع أولاد الفلاحين ثماره من الحقول ويأكلونها .

✡ ✡

باب الأخبار العلمية

نصيحه لعلماء الذرة الأعزاب

جاء من لندن في مجلة اللانست الطبية البريطانيـة تحذير لعلماء الذرة ينهاهم عن الاقتران بالبنات المشتغلات بهذا العلم . وذلك خشية انجابهن ذرية ضعيفة تصبح معرضة للنتائج الوبيلة التي تتولد من الأشعة الذرية التي تكمن في بدني الوالدين من قبل زواجهما وتقول « اللانست » إنها توصلت الى هذه النتيجة بدراسة الحوادث التي حدثت لسكان مدينتي نجازاكي وهيروشيما اليابانيتين وهم الذين استهدفوا للاشعاعات الذرية وكذلك الاضرار التي انتابت علماء أمريكا من الأشعة التي تنطلق من أجهزة فلق الذرة في خلال أعمالهم عـدة سنين في بلادهم . ثم ختمت اللانست نصيحتها في هذا الموضوع . قائلة « مامن شك أن أكثر المشتغلين بالأعمال الذرية يتعرضون لمقادير ضئيلة من الاشعاع الذري . ولكن الرجال والنساء الذين يؤدون أعمالا من شأنها تعريضهم الى مقادير كبيرة من هذه الأشعة . أصوب لهم اختيار شريكات حياتهم ممن لا يباشرن هذه الصناعة .

هل يفكر الطفل قبل أن يولد ؟

إذا نحن سرنا في دراستنا للانسان على النحو الذي سرنا به في دراسة الحيوانات الدنيا ، كان معنى ذلك أن الطفل يبدأ يفكر أو على الأقل ، يبدأ دماغه يهيأ للتفكير ، قبل أن يولد بثلاثة أشهر.

ولقد قام الدكتور لويس فلكسنر من معهد « كارنيجي » بدراسة على الخلايا العصبية في المادة السنجابية في أدمغة خنازير غينيا في مختلف مراحلها قبل أن تولد . فوجد أن هنالك تغيرات عديدة تطرأ على هذه الخلايا العصبية . ورأى أن التنبه العصبي قد أخذ يزداد وأن نواة الخلية العصبية قد وقف نموها . كما لاحظ انه في الفترة السابقة للولادة تنشط الخلايا العصبية نشاطاً كبيراً ، وان هذه التغيرات الكهربية التي تعرف عادة باسم « الموجات المخية » قد أمكن تسجيلها من سطح الدماغ في ثلثي الفترة السابقة للولادة.

ويقول الدكتور فلكسنر فيما يختص بالانسان أن العلم لا يعرف على نحو يقيني إذا كان الطفل يبدأ في تفكيره قبل أن يولد بثلاثة أشهر أم لا ، ويذكر الدكتور فلكسنر لهذه الصعوبة سببين : أننا لا نعرف ماهي الخلايا التي نفكر بها ، وان خنازير غينيا تولد أكثر اكتمالا ونمواً من أطفال بني الانسان .

دواء يخفف من ارتفاع ضغط الدم

قالت جريدة شيكاغو دبلي نيوز إن دواء جديداً لتخفيف ارتفاع ضغط الدم، يتناوله المصاب عن طريق فمه، قد عرض حديثاً على مؤتمر الجمعية الطبية الأمريكية، اسمه Veriloid فريلويد. ولا يتناول العليل هـذا العقار إلا بموجب وصفة الطبيب «الروشتة» وقال الأطباء الذين فحصوه في المعامل الكيمائية في لوس انجيليز انه يخفف ارتفاع ضغط الدم. لأنه يحدث تمدداً في الأوعية الدموية الصغيرة المنتشرة في الجسم «وحجتهم في ذلك أن هذا الدواء قد ثبتت فوائده في أكثر من نصف مجموع المرضى الذين عولجوا به اذ خفف من ارتفاع ضغط دمهم تخفيفاً عظيما. وقد تبين لهم أنه في أغلب الحالات، يخفف الصداع وأمثاله من الآلام المزعجة التي تتولد من هـذا الداء. وفضلاً عن ذلك فانه يؤثر تأثيراً بالغاً في الاصابات التي لم تبلغ الدور الأخير من أدوار ارتفاع الضغط المقترنة بمضاعفاته. وصرح علماء أمريكيون آخرون بأن الفريلويد قد يكون واقياً من مضاعفات ارتفاع ضغط الدم، متى ثابر المصاب على تناوله زمناً طويلاً.

وثبت عند استعماله في بدء ظهوره، وذلك في أحد مستشفيات مدينة بوسطن، أنه يحدث غثياناً اذا أفرط المريض في تناوله جرعاً تزيد عن المقدار المحدد له منه وفي هذا الصدد يقول الأطباء المتخصصون إن هذه الميزة ليست مما يكره لأنها تحول دون خفض الضغط خفضاً يصل الى أحط الدركات، أي تمنع جعله أضعف مما ينبغي أن يكون صالحاً لصاحبه.

والخلاصة: إن الفريلويد كالانسيولين، لا يشفي المصاب من داء ارتفاع ضغط دمه. بل يخفف وطأته. كما سلف القول. فينبغي اذن المواظبة على تعاطيه. ويستخرج هذا الدواء، من جذور نبات اسمه Indian poke الفيتولكه Phytolacca وهي الصباغة أو شجرة المظل أو اسفاناخ الهند. وأوراقها تطبخ كالاسفاناخ وفروعها الصغيرة تؤكل كالهليون. ويستعمل عصير ثمارها في تلوين الانبذة. وجذورها مقيئة مسهلة وتحضر منها خلاصة سائلة وصبغة.

عصا تليسكوبية للمشي

اخترعت في بلاد اليابان عصي خاصة للجوابين الذين يقطعون المراحل الشاسعة سيراً على أقدامهم وفي كل عصا منها تليسكوب التي يلقاها في طريقه. ويمكن تركيب هذا التليسكوب في أية عصا كانت فيصير كمقبض لها حيث يثبت حول رأسها تثبيتاً

السينما القادمة

غداً تذهب الى السينما فلا نشاهد المأساة أو المهزلة على الشاشة ، ترقبها عن بعد ، تتتابع حوادثها أمام عينيك وأنت بمنأى منها ، فالسينما القادمة تجذبك لتشترك في الحوادث وتخوض غمارها ، والممثلون يخرجون عن الشاشة ليجروا حولك ، وكأنما هي سوق حية تكاد تتحسسها وتشاطر فيها ، ترى الضرب عن يمينك فتمتد الايدي فتنأى ، وتشيح بوجهك خشية ان يصيبك بسوء ، وتشتعل النار عن يسارك فتصرخ من حرها وسعيرها ، وتطلق رصاصة فتخالها أصابت منك مقتلاً .

هـذه هي السينما الحديثة تمت تجاربها وكملت خطواتها وسوف تشهدها أمريكا في هذا العام (١٩٥١) . ولقد أطلقوا عليها اسم سينراما Cinerama والشاشـة القادمة تبلغ من الكبر ثمانية أمثال شاشة اليوم ، إذ يبلغ ارتفاعها الضعف وطولها أربعة أمثال ، وليست مستوية مسطحة على الحائط ، بل تلتف في قوس خاص ، فترى الحوادث تجري أمام ناظريك وتشهدها تتتابع عن جانبيك فكأنما أنت في المعمعان والأصوات تنبعث من خمسة ميكروفونات موزعة حول الشاشة ، تسمعها صادرة من كل مكان حولك ، وقد تشهد الموكب تسبقـه الاصوت والترانيم تأتيك من خلف أو من يمين أو شمال ، وتقترب وتعلو حتى يظهر أمام ناظريك .

وتلتقط المناظر بآلة تصوير ضخمة تزن ١٥٠ رطلاً ، ذات ثلاث عدسات متجاورات تميل على بعضها بزاوية قدرها ٤٨ درجة ، فتأخذ لكل مشهد ثلاثة مناظر ، تلتقطه كل عدسة على شريطها الخاص ، ثم تجمع الشرائط الثلاثة لتكوّن الفيلم . وحين عرضه تتفرق هـذه الأشرطة على ثلاثة مصابيح تصب كلها على شاشة السينراما فتتجسم الأشخاص وتحيا الحوداث .

المضغ العاجل أصلح للاحداث من البطيء

ينصح أطبـاء الأسنـان في أمريكا الذين يسأمون من فرط بطء مضغ طعامهم (وفق ارشاد والديهم) قائلين إن المضغ السريع أجود من البطيء . ومنشيء هـذا المذهب هو الدكتور روبرت — هـ — أوكي ، طبيب الأسنان في سنت بول ، حاضرة مينسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية . ذلك لأنه يكفي الآكل أن يلوك لقمته في فمه ١٢ مرة ولو كانت مغموسة بأقسى أنواع الخضر فتصير صالحة للمعدة لأن رؤوس أسنانه المتعددة كفيلة بتمزيقها جيداً وقطعها قطعاً متساوية .

الفرازات تؤدي أعمال حياض ترسيب المواد البرازية

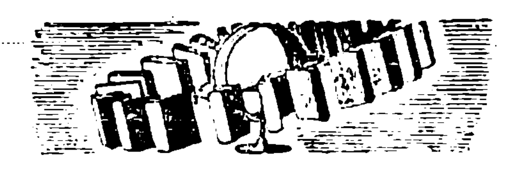
ما برحت منافع الفرازات تنتشر في كل مكان وتستجد في كل آن. ومن أحدثها فصل المواد الجامدة، من المواد البرازية. ويتم هذا العزل حالياً، باطلاق مياه المجاري العامة، في أحواض ضخمة تسمى «حياض الترسيب» حيث تقضي تلك المياه القذرة الواردة من المجاري، عدة أيام حتى تعزل جوامدها. ولا يخفى أن هذا العمل يقتضي مناطق واسعة من الأرض. كما أنه بلا شك يخفض قيم العقارات المحيطة بها. أما في المستقبل فستتغير هذه الصورة البشعة. إذ لا يوجد حينئذ ما يحول دون اقامة أمثال تلك المصانع في صميم المدن حيث يمكنها استخدام الفرازات لأداء ذلك العمل نفسه، بتحويل مياه المجاري العامة الى الفرازات الدوارة، فتفرز المياه الرائقة كأنها نهر فياض. وعلى هذا المنوال يتاح جمع المواد الصلبة وتطهيرها ثم بيعها سماداً تجارياً لتسميد الاراضي الزراعية. وقد شرعت فئة كبيرة من مدن أمريكا في القيام بجمع تلك الرواسب في أحواض الترسيب بهذه الوسيلة ثم بيعها لجمهور الزراع حيث تبسّط الفرازات عملية جمع النفايات الثمينة المشار اليها تبسيطاً عظيماً. فتسنى بهذه العملية حل معضلة عجز السماد التي طالما شكا منها الناس في العالم بأسره. وتيسر تخلصهم من تلك الطريقة القديمة المملة [راجع صفحة ٣٩١]

مظلات لوقاية ضباط بوليس المرور في الشوارع

اخترعت في مدينة روما حاضرة ايطاليا مظلات من العجائن الكيمائية تقي ضباط المرور من العواصف المصحوبة بهطل الأمطار. ولهذه المظلة قاعدة من العجائن الكيمائية أيضاً لا تنفذ منها مياه الأمطار، تدور في مقرها في تقاطع الشوارع فوق قاعدتها مغطاة بوقاء من العجائن الكيمائية كذلك لوقاية ضابط المرور من رشاش الماء الذي يتعرض له.

ثياب من نسيج الرصاص والزجاج للوقاية من الأشعة الذرية

اخترع الدكتور فنسنت — و — أرتشر الطبيب في جامعة فيرجينيا بأمريكا، ثياباً من نسيج الزجاج والرصاص، تقي الأطباء وأعوانهم من ضرر أشعة رنتجن وأشعة بيتا التي تتولد من التشقق الذري. وقد حلت هذه الثياب الحديثة محل سابقاتها التي كانت تصنع من الرصاص والكاوتشوك. وذلك لأنها كانت أضعف مرونة من هذه الثياب الحديثة التي غدت تفوقها بكونها فضفاضة فتغطي الجسم بأسره. فلا يستهدف منه أي عضو كان لتأثير الأشعة المشار إليها.



مكتبة المقتطف

من السماء

ديوان جديد للدكتور أحمد زكي أبو شادي — صفحاته ١٦٠ صفحة من حجم المقتطف — الطبعة الاولى دیسمبر ١٩٤٩ — بمطبعة جريدة الهدى اليومية بنيويورك

النزعات الانسانية العالية، والمواهب الفنية الشاعرة، والشاعرية القوية الأصيلة، والفكر الحر الثائر الجريء، والألحان الجميلة الساحرة، والتجديد الحي في مذاهب الشعر وفنه كل أولئك سمة ظاهرة أخاذة متكاملة، جمعت في هذا الديوان الجديد، القليل النظير في آثارنا الفنية خلال الربع الثاني من القرن العشرين؛ الذي أصدره شاعرنا الدكتور أبو شادي في نيويورك، وسجل فيه آثاره وقصائده في الفترة الحافلة من حياته المديدة؛ وهي الفترة التي تبدأ من عام ١٩٤٢ حيث الشاعر مقيم في وطنه مصر في التاسعة والاربعين من عمره، وتنتهي بنهاية عام ١٩٤٩ حيث هو مهاجر في أمريكا مقيم في نيويورك العاصمة العالمية الكبرى، يسير في عامه السابع والخمسين لاداء رسالته التي حملها وجاهد في سبيلها جهاد القديسين والخالدين، والتي يستمد عناصرها من الفن والفكر والانسانية جمعاء، وتتجمع لتبشر بحياة حرة في عالم حر يغمره الفرح والتفاؤل والخير، وتمشي فيه السعادة والعدالة والمساواة بين الناس كافة، لا تخص غنياً، ولا تحرم فقيراً.

أبو شادي رائد من روّاد التفكير الحر، والتجديد في الشعر والأدب، في عصرنا الراهن، وهو في رأيي زعيم المدرسة الشعرية الحديثة التي خلفت مدرسة شوقي وحافظ ومطران، وشعراء طبقته عبد الرحمن شكري والعقاد والمازني وايليا أبو ماضي

وفي شعر أبي شادي جمال ظاهر، وبساطة واضحة؛ وتتجمع في شعره مظاهر الكلاسيكية القوية، والرومانتيكية العميقة، والواقعية السائدة. وهو في أسلوبه

متحرر ، وفي تفكيره ثائر ، وفي نقده يخضع الأدب لأحدث المناهج النقدية . . يجيد فن وصف الجمال والنسيب والطبيعة وفي التأملات النفسية ، والنقد الاجتماعي ، إجادة تامة .

الجمال الواضح في طبعة هذا الديوان واخراجه ، أول ما يلفت نظر القارىء .

فاذا قلبت بعد ذلك صفحات الديوان راعك الشاعر بأفق تفكيره الواسع ، وبصوفيته في ترانيمه العذبة الجميلة ، وايمانه العميق بالانسانية ومبادئها ، وثورته الهائجة على الظلم والظلام في كل مكان ، وكفاحه في سبيل فنه ووطنه وفي سبيل الحياة والوجود . وأخذت بهذا الوفاء النادر الذي انطبعت عليه نفسيته ، وصيغت منه شخصيته ذات الحيوية العجيبة

وكل ما في الديوان لأبي شادي : من خطرات وتأملات ، ومن صوفية وانسانية ، ومن صور أخاذة للفن والحب والجمال ، ينم عن تجارب شعرية عميقة ، واحساس فني متأصل ، وذوق شاعر موهوب ، وشخصية أدبية مستقلة لا أثر للتقليد فيها من أي جانب من جوانبها العديدة ... ومن ثم كان هـذا الديوان مجمع إلهام الشاعر ووحيه

والتفاؤل والمرح والايمان الدفين ، وعبادة الجمال في شتى صوره . كلها خصائص تنبع من قلب الشاعر ، وتفيض على صورة الشعرية في ديوانه يقول محدثاً عن نفسه :

ترى ألم الأحرار سر وجودهم ومن ذلك الحر الذي ما تألما
طغى كل يوم مأتم بعد مأتم ونفسي تأبى أن ترى الكون مأتما

وليس أصدق من قول الشاعر نفسه عن نفسه :

وما زلت تغزوني المآسي كأننا صحاب وتهواني شراباً ومطعماً
بلا كلفة تحيا على بر مهجتي فآثرت أن أفنى وأن أتبسما

وهو يتعجب لهذا التفاؤل الذي لا حد له ، والذي يلازمه رغم هذه السن الكبيرة :

علام اعتناقي للتفاؤل حينما فؤادي ووجداني به قد تهدما

ولكن ما طبع عليه الشاعر من قوة الاحتمال هو الذي أغراه بالتفاؤل .. فهو لم ييأس بعد من الأرض التي يحبها ويكافح في سبيلها ، مما يصوره خطابه لها في قصيدته « من السماء »

قلت : يا أم لم أبدل هيامي أنت أمي وموئلي وغرامي

فاذا قرأت له قصيدته « الصمود » التي ختم بها الديوان ، والتي يقول منها :

أسفاً أعود إلى السما • كما أتيت بنبع فني

لم ألق في دنيـا الأنا م سوى المهازل والتجني
ووهبتهم أسنى الكنو ز فكافأوها بالتدني

فلا تثق بأن الشاعر قد فارق تفاؤله ، ويئس من الحياة في الأرض . . فانه قد اتخذها أماله ، وهو أبر بها ، وأحنى عليها ، وانما يأسف ويحزن لأن أهل الأرض يعوقون ركب الانسانيـة السائر ، لئلا تبلغ شاطىء السلام والحق والخير .

ومن تفاؤل الشاعر ينبع المرح في كل جارحة من جوارحه ، مما يبدو في تأملاته الحالمة ، حين يلقي الطبيعة الرؤوم ، أو حين يستبد به الحب ، أو حين يتأمل سنا الحسن في مظاهر الكون : فاذا ما سئمت نفسه بعث فيها البشر والفرح بكل وسيلة :

يعالجها بالهوى العبقري ويرفع بالسحر أحمـالها
ويخلقهامن جديدمراراً ويبني ويهـدم أطلالها
ويسعدها ببنات الخيال يحققنَ في زورة فالها

وربما كان مصدر ذلك قلبه الذي لا يزال طفلاً رغم أعباء هذه السنين الطوال :

ما حيلتي في قلبي الـــظمآن للنبع الحبيب
تجري السنون ولم يزل طفلاً تنزه عن مشيب

ويطول بنا الحديث لو وقفنا عند ألحان الشاعر في نفسه ، التي صوّر فيها ملامح شخصيته ومشاعره بوضوح ودقة ؛ والتي سجل فيها غربة فكره في وطنه ، مما دفعه الى الهجرة إلى أمريكا دفعاً شديداً ، ومما يذكره في قصيدتين خالدتين من قصائده : . .

أولاهما : قصيدته « وداع مصر » ، التي وجهها إلى الشاعر الكبير خليل مطران بك في ابريل عام ١٩٤٦ قبيل سفره بأيام قلائل ، والتي يقول فيها :

تبًّا لدنيـا تذيم الحر مغترباً فيها ، وأخرى تناءت عن سرائره
وغربة الفكر في دار يعجدها أقسى على الحر من فقدان ناظره

وثانيتهما : قصيدته « استقبال أمريكا » :

أمانًا أيهـا الوطن السعيد لقد دفن الردى ومضى الوعيدُ
فأمسى مأتم لفـراق أهلي ويومي الحر في نجواك عيدُ

وفي الديوان كذلك قصيدة رائعة طويلة ، يرثي بها زوجته وعنوانها « رثاء زوجتي » :

ماذا تفيدك لوعتي وبكائي هـذا فناؤك مؤذن بفنائي

وهي وصف فريد لذكريات حياته وعيشه الماضي في ظلال زوجته الحنون ، وخلقها ووفائها ؛ وتصوير لأحزانه وهمومه بفقدها . . وهي جديرة بأن توضع مع عيون المراثي في الشعر العربي ، لصدق عاطفتها ، وقوة أسلوبها ، وجلال ذكرياتها ، وعمق تصويرها ، وقصيدة أبي شادي « قبلة ميلادي » في تحية عيد ميلاده ، والتي مطلعها :

يا نشوة الحب القديم ، ولهفة الحب الجديد
جمعتكما في قبلة سكرى غرامي وهجودي
أودعتها ما صانت الأحلام من عطر الخلود

ممتعة خصبة لطرافتها ، وجمال تصويرها وقصيدته « القلب الباكي » وهي باقة نظمها الشاعر في عيد ميلاده في أمريكا عام ١٩٤٨ ، تحتوي على ملكات شعرية عميقة ، ومطلعها :

لو يعلم الناس نجوى قلبي الباكي وما أعاني بأشواقي وأشواكي

وفيها يقول أبو شادي : —

يا مصر لولاك ما فارقت في حرقي أزكى الجنان ، ولا عوقبت لولاك
يا رب مقترب في حكم مغترب وضاحك كل ما في قلبه باك

وله قصيدة في ديوانه ، عنوانها « بسمة الأرض » مهداة الى ابنته « هدى » ، وأخرى عنوانها « قلب والد » مهداة الى ابنته صفية . . وهما فيض من حنان الأبوة

هذا هو حديث أبي شادي عن أسرته الصغيرة ، فاذا انتقلنا الى حديثه عن أسرته الكبيرة مصر ، وجدناه جياش المحبة لوطنه ، قوي الايمان به : —

كل آياتي التي أبدعتها هي بعض من سنا مصر الفتاة

ولا غرابة في ذلك فان حبه لوطنه من حبه لتراث أجداده : —

إذا انطوى خاطري على وطني فذاك حبي تراث أجدادي

فهو دائم الحنو على مصر مهما حاربه بنوها :

أحنو عليها وإن جارت على أدبي وعاقبتني على بري وإنعامي

وقصيدته « الاسكندرية الفنانة » صورة من مفاخر مصر القديمة والحديثة ، وجمال الطبيعة في هذا الثغر الجميل . . وقصائده في تكريم بعض الزعماء وفي رثاء مطران وأحمد محرم وأمثالهما صور واضحة لتعلقه بوطنه . وليس لمرثيته لمطران نظير في الشعر الحديث وأولها :

إلهة الشعر ماد الشاعر السامي الى عوالم لم تحصر بأجرام

ومنها: صحبته في خيالاتي وفي مثلي وفي حياتي، وفي سعيي وإقدامي

وفي قصيدته « عيد النيروز » التي نظمها في أمريكا عام ١٩٤٧ يشير الى القضية المصرية التي كانت معروضة على مجلس الأمن حينذاك، ويدافع عنها.

ولأبي شادي آيات جميلة في النقد الاجتماعي والدعوة الى العدالة الاجتماعية، كما في قصيدته « فن الجحود »، وقصائده: دمعة وابتسامة » التي وجهها إلى الشاعر الكبير خليل مطران بك، و « والخائن الجبار »، و « الموتى المشردون »، وسواها

ولا يخص الشاعر وطنه بحبه فحسب، بل للبلاد العربية نصيب كبير من قلبه، مما يتجلى في تحيته لارتيريا الجديدة، وفي قصيدته « اللاجئون »، وفي مرثيته لحسني الزعيم، وقصيدته «ذكرى المهرجان اللبناني الكبير». ورثاه نسيب عريضة الشاعر

بل إنه ليشرك الانسانية كلها في حبه، فيبكي لآلامها، ويحزن لما قاسته في الحرب العالمية الثانية من أهوال، مما تراه في قصيدته « الفن الضائع »، وهو في قصيدته من السماء يرمز الى قضية السلام الذي انهار في السماء كما انهار في الأرض. وهو قوي الثقة بمستقبل الحياة، مما يبدو في قصيدته « تقتي بمآل الانسانية »، يفرح لما تناله من نصر، كما تصوره لنا قصيدته « نيويورك » الرائعة التي يقول فيها:

كفاح التنافس في الخالدات تخذن الشوامخ عنوانها

والطبيعة في قلب الشاعر وفي ديوانه تحتل مكاناً كبيراً، وعليها وقف قصائد كبيرة ممتعة خصبة، كقصيدته « على صخرة سيدي بشر » التي يخاطب فيها البحر، فيقول

أصغي إليه ولا أمل كأنما أصغي إلى لحن الخلود العامر

لغة الجمال طلاقة بل ثورة والفن يعبد في الجمال الثائر

... وقصائده: « الجدول المسحور » و « الأمواج »، و « قطرات الندى » و « عيد النيروز » و « الصيف في شاطىء استانلي »، وسواها ظل لحبه للطبيعة وعبادته اياها.

وللهوى والجمال في الديوان آيات حسان مثل قصيدته « حوريات الماء »، و « معركة الحب »، و « أنانية الجمال »، و « قبلة غرام »، و « حواء تندم » التي تحدث فيها عن قصة الحب البشري الخالد.. وللشاعر في الغزل معان رائعة، مثل قوله: —

يا للشفاه اللواتي نبضنَ بالحب شهداً

وقوله : ما سيّر الأجرام غير السحب في جذب شديد
أو أبدع الأعجاز غير جماله الموحي البعيد

وقوله : رفت أنوثها في كل جارحة ورف قلبي لها في طي آهاتي
لم تلفح الشمس هذا الجسم عابثة إلا استحال إلى خمر وجنات

وله فيه أساليب وصور ساحرة من البيان الأخاذ ، مثل :

ولي غادة ألهمتها الحياة وقد أبدع الحب تمثالها
حييت أقدسها شاعراً يغني بها ويغني لها

وقوله : أناجيك في دقات قلبي والهاً كأن فؤادي طائر رف في القيد

وقوله : نروي ونحكي وننسى ، ونحن في الحالمين
حتى أذنت بلثم لنور ذاك الجبين

ولأبي شادي شخصية مستقلة في البيان ، تظهر في أساليبه مثل قوله يخاطب البحر :

وضممتني بأشعة فرحانة مثلي كأنك بالأشعة آمري

وقوله : بروحي من أحلام عمري ساعة جلست وموج البحر مثلي في زهدي
على الشاطىء المسحور أنت صخوره وغنت به الأمواج للحجر الصلد

وقوله يحدث الأمواج :

هدهدي بالهدير أيتها الأمواج قلباً الى حماك أطمأنا
واسكبي الراحة الحبيبة فيه ، أنت بره لمثل قلبي المعنى
كم رويت الغرام عن سالف الدهر ، وما زال ما تقصين فناً

وقوله في رثاء أسمهان :

أيندثر الفن ؟ يا للقدر ويجني على الحسن حتى الحذر
ويغرق في اليم هذا الضياء وكم طاف بالكون حتى عثر

وقوله : في قصيدته الفلسفية العميقة « الألوهة والكون » :

أنا فان وفي المدى غير فان وكياني هذا الوجود الرحيب

وبعد فهذه صور عامة ، ودراسات موجزة لهذا الديوان العبقري الجليل « من السماء » الذي صدره الدكتور أبو شادي بمقدمة رائعة في « التجربة الشعرية » ، وهي دراسة ونقد وتحليل وتوجيه . ولا أجد ما أقوله في ختام هذه الكلمة إلا أن أهنىء الأدباء بظهور

١ — حديث العشية

تأليف الاستاذ بولس سلامة — صفحاته ١١٤ صفحة من القطع المتوسط
طبع بمطبعة دير المخلص صيدا — لبنان

هذا الكتاب هو حديث الفكر إلى الناس ، وبين الناس والفكر في الشرق العربي دو مفقود !!

فأية حيلة بارعة تلك التي جعلت الناس يستمعون إلى حديث الفكر في أماسي اذاعة « الشرق الأدنى » ؟ ثم شجعت « الرسالة المخلصية » أن تجمع هذه الأحاديث في كتاب ؟

إنها مهمة شاقة أن ترهق قلمك في تدبيج أحاديث الفكر الكاسدة في السوق العربية ، ثم تحتال لتغري الناس بالاستماع إليها ومتابعة حلقاتها .

ثم إنها شجاعة نادرة أن تثق بنفسك فتذيع ذلك مرة أخرى في كتاب يقرأه من لم يستمعه حديثاً مذاعاً ! ! تلك منزلة لا تتوفر إلا للأفذاذ من رواد الفكر ، وقد تقحمها « بولس سلامة » وكان جريئاً الى أبعد حدود الجرأة حينما طرق موضوعاً أدعى الى الملل ، وأجلب للسآمة . . وكان موفقاً كل التوفيق حين أخرجه طلياً شائقاً مبسطاً ، وخلع عليه من روحه ما جعله محبباً الى مستمعي الاذاعة ، ثم محبباً الى قراء « حديث العشية » .

وموضوع الجزء الأول الذي نقدمه اليوم الى القراء هو « لمحات في الفلسفة » وما شق الفلسفة حتى على المتفلسفين .

يقول فولتير : « اذا رأيت اثنين يتحدثان ، فلا يفهم الناس ماذا يقولان ، ولا يفهم أحدهما ما يقول الآخر ... فاعلم أنهما يتحدثان في الفلسفة !! »

لذلك عجبنا للأستاذ بولس سلامه أن يختار لأحاديثه موضوع الفلسفة .

ولكنها الشجاعة والاعتداد بالنفس ـ كما أسلفنا ، وسر آخر سيلمسه القارىء وهو يتصفح الكتاب فتطالعه فصول هي من حياتنا اليومية في صميمها ، تجري منها مجرى الدم في الشرايين .

ومن من المثقفين لا يشوقه معرفة ما يمكن أن يعرف — في أسلوب واضح سهل — عن : الذاكرة والأخيلة ، والصور ، والأحلام ، والجمال ، والفن ، والوجدان ، والخير ، والمحبة ، والشك والتشاؤم . . الى غيرها من الموضوعات التي تروقنا أسماؤها ، ولكننا لا نجرؤ أن نتعمقها في مراجعها الخاصة المشحونة بالمصطلحات والتعابير الغامضة ! !

وسر ثالث لهذا النجاح : أن المؤلف قدم إلينا هذه النماذج من مذاهب الفكر في

ثياب أنيقة تشف عن جمالها ، ولكنها لا تبتذلها ؛ فهذا الأسلوب العالي المنمق الذي اصطنعه المؤلف هو الأسلوب الودي بين عقل العالم الذكي وبين أفكار الجمهور المتطلع إلى الثقافة في ألوانها المألوفة المقربة .

واذا كان سقراط قد أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض فنزلت — يومذاك — برداً وسلاماً على أرض الناس — فأن بولس سلامة قد ثبت أقدامها بهذه الأحاديث في أرض العرب ، اذ جعل منها أحاديث للمثقفين وأنصاف المثقفين ، حينما خلصها من المصطلحات والمعميات وأخرج للناس لبابها ، وربطها بحياتهم اليومية وترك التفاصيل العلمية ، والاختلافات المذهبية وانتقى من حقائقها الواضح الصريح النافع .

وقد مهد للقارىء الطريق وأخذ بيده حين رسم المنهاج في كلمته عن الفلسفة التي يقول فيها : « كل الناس يتفلسفون وفقاً لاستطاعة كل منهم ، ابتداء من ماسح الأحذية الوضيع ، حتى ديكارت وبرجسون » وإذن فالفلسفة من طبيعة الأنامى ومن مميزات حياتهم ، ولكل أسلوبه في ممارستها .

ولكن «لاريب أن أكثرية الناس معذورون لتهربهم من الفلسفة لأن الذين اشتغلوا بها أوردوا من المصطلحات والمعميات ما يعسر فهمه على السامع » وليس عجيباً أن يكون سدنة الفلسفة هم الذين بغضوها الى الناس بما أضفوا عليها من طلاسم وألغاز ؛ الأمر الذي باعد بينها وبين الناس فأسقطوها من حسابهم حتى « عاب بعضهم على الفلسفة جفافها ، وزعم أنها تورث الكآبة ، وتقتل الخيال ، وهي بريئة من كل ذلك ؛ فهي صحة الفكر والقلب، وينبوع الألهام الحق » هذا المنهج الذي توضحه هذه الخطوط ينير للقارىء سبيله.

الفلسفة جزء من حياتنا ، وهي ليست ملومة على ما بيننا وبينها من جفاء ، ولكنها وعورة الطريق وتضليل الحداة. وسبيلنا إليها التقريب.. والتيسير . هذا ما تلمحه واضحاً في ثنايا الكتاب ، وهذا هو المنهج الذي اتخذه المؤلف في بحث هذه الموضوعات الطريفة .

٢ — الاتصال العلمي في اليونسكو

أخذت الثقافة بنصيبها في تنظيم « عالم ما بعد الحرب » فكانت المنظمة الثقافية التابعة لهيئة الأمم المتحدة « اليونسكو » — من أنشط منظمات الهيئة وأبعدها أثراً وأجداها على الانسانية .

وكان الدافع على تأسيسها « العمل على توفير السلم والطمأنينة بتشجيع التعاون بين الأمم

في التربية والعلم والثقافة » ، وفي سبيل ذلك كان على المؤسسة « أن تصون المعرفة وتنشرها بتشجيع التعاون بين الدول في جميع أنواع النشاط الفكري » ، وقد حض دستورها على التعاون بين الدول لنشر فكرة تكافؤ الفرص في التعليم ، دون نظر إلى العنصر أو الجنس أو أي فارق اجتماعي أو اقتصادي .

مضت المؤسسة تعمل على تحقيق أهدافها بعزيمة صادقة وكان أنشط أقسامها قسم التعاون العلمي ، الذي يتصل اتصالاً وثيقاً بالمشروع الوارد في النقطة الرابعة من برنامج « ترومان » مما يجعله على جانب غير يسير من الأهمية ، ويؤهله للقيام بدور إيجابي في تقديم المعونة الفنية للمناطق الأقل تقدماً .

وكانت مكاتب التعاون الاقليمي هي الخلايا المفعمة بالنشاط الدائب المستمر في تنفيذ هذه السياسة ، وتحقيق هذه الأهداف .

غير أنها — شأن كل مؤسسة نافعة — تعمل بلا ضجيج وتمضي في صمت وتؤدة نحو الغاية .

والكتاب الذي نقدمه اليوم هو حديث سريع متواضع عن هذا الدأب المتواصل في سبيل صيانة المعرفة الانسانية علها تنهض بأعباء السلام والأمن والطمأنينة لبني الانسان . « ووحدة العلم » هي الخيط الذي تتعلق به الانسانية لايجاد تفاهم مستمر بين أبنائها ، بعد أن عجزت وحدة اللغة والدين والعادات والقوميات أن تصدهم عن البغضاء أو العدوان المتواصل

لذلك صدر الكتاب بمقدمة موجزة عن وحدة العلم وصلاحيته أساساً للتفاهم بين العلماء على تباين جنسياتهم وبيئاتهم وأزمانهم .

ثم تحدث عن الاتحادات العلمية الدولية ، ونشأة مكاتب التعاون الدولي وعملها في مختلف الميادين ، وتفوقها على الصعوبات الفنية والمادية التي تعذر تذليلها على الاتحادات الدولية.

واستمر في حديثه عن نشأة اليونسكو ودستورها ومركزها بين منظمات هيئة الأمم المتحدة حتى وصل بنا إلى القمة عندما قدم لنا موضوعه الأصيل وهو الاتصال العلمي ، فحدده وبين وسائله وتنظيمه ، ومكاتبه المنتشرة في أرجاء العالم : في أمريكا اللاتينية وشرقي اسيا وجنوبيها والشرق الأوسط ، مستمدة قوتها من المركز الرئيسي لليونسكو في باريس .

كل ذلك قائم على سواعد رجال الاتصال العلمي الذين يقومون بجهود جبارة في تشجيع انشاء معاهد البحوث العلمية في المناطق المختلفة ، والمساعدة في التعمير العلمي ، ومساعدة العلماء والفنيين في المناطق الأقل تقدماً

يتبع هذه البحوث ملحقات توضح أعمال المكاتب وأهميتها وطرق الانتفاع بها علميًّا وفنيًّا وزراعيًّا وصناعيًّا كما يتضح من الأسئلة والاستفسارات الموجهة إلى المكاتب ، وما يقوم به ضباط الاتصال من زيارات للهيئات والمؤتمرات ، وما يعاونون به المنظمات المختلفة لهيئة الأمم ، بما يعقدونه من المؤتمرات وما يلقى من المحاضرات التي يقومون بها أو يدعون إليها .

كل ذلك في أسلوب لطيف ، وطبع أنيق مزين بالصور والرسوم التوضيحية والخرائط المفصلة ، مؤيد بالاحصاءات الدقيقة ، والمراجع الوافية والجداول المنظمة . مما يجعله جديراً باطلاع الأفراد والهيئات التي يعنيها الوقوف على مدى النشاط الفكري المنظم في عالم ما بعد الحرب الثانية ، قبل أن تعصف به عواصف الأقدار .

رضوان ابراهيم

أغاني القبة — نفحات صوفية

للاستاذ الاسدي م خير الدين — صفحاته ٢١٦ صفحة — مطبعة الضاد بحلب ١٩٥١

كتاب جليل ، يحتوي على نفحات صوفية من الشعر الصوفي المنثور ، مقسمة الى مقطوعات كل مقطوعة منها سورة أي أغنية أوردها على لسان حافظ شيرازي زعيم الصوفيين ، وملهم المؤلف وأستاذه ، وصدر كل سورة بالمصادر التي تأثر بها ونقل عنها واستوحاها وقدم كل سورة بشرح طائفة من المفردات لاغنى عنها في فهم النص .

وإهداء الكتاب رموز صوفية عالية . ونجد من الكتاب : سورة المدرج مسبوقة بشرحها ، وسورة الحيرة مسبوقة بشرحها ، وسورة الجمال مسبوقة بشرحها . . وهكذا إلى السورة السابعة والعشرين (سورة الغناء) .

ومن أمثلة هذه السور ماورد في صدر السورة العشرين : سورة الغيب : —

الحيلة نضيرة لقّاء ، والهواء هفّ بليل

والشراب صاف هنيء ، وكل ما في الوجوه
جميل ، لأنه من نبع الجمال
مشى الصمت إلى ساحة الليل ، ومشى حفيف الخيال
إلى مروج الظلام ، وعلى كل فم مطبق نأمة
الانس والرهبة والجلال .

والكتاب مطبوع طباعة أنيقة ومزين بالصور الفنية النادرة .

وهو مجهود روحي ضخم . فنهنيء مؤلفه على هذا المجهود الكبير ، ونهنيء مطبعة الضاد على ما بذلته في إخراجه من فن وصبر وإتقان ؟

* *

تأملات في الأدب والحياة

للأديب محمد حسن عواد

صفحاته ٢١٦ صفحة من القطع المتوسط — طبع بمطبعة العالم العربي بالقاهرة

هذه فصول بعضها أدبي ، وبعضها فلسفي وبعضها اجتماعي نشرت في صحيفة البلاد السعودية بالمملكة العربية وقد جمعها صاحبها الأديب ... ووضعها بين دفتي هذا الكتاب لترى النور كما يقول . وان كانت قد رأته من قبل يوم نشرت في تلك الجريدة !

وقد تناول المؤلف الفاضل . في هذه الفصول عدة بحوث عن الانسان : والحياة والعمل في سبيل اللغة العربية ، واحترام النفس وأدب الافلاس ، ونظرة عامة في السياسة العالمية ، وغير هذا من البحوث البدائية التي لم تنضج بعد في رأي الأدب ، ولا تستطيع الوقوف لحظة أمام تيار النقد الجارف .. وان كان الأستاذ عواد يقول إن بعض هذه المقالات نشر في افتتاحية الجريدة السعودية ، ولكن الأدب ياسيدي المؤلف لا يستمرىء أن يكون منشوراً فى صدر الجريدة . فلربما يكون ذلك لسبب من الأسباب التي قد تخفى على قراء العربية في شتى البقاع . . فمن المعروف ان النهضة الصحافية في الحجاز لم تنضج بعد والكتاب — وهم قلة في المملكة العربية — لم يدعوا هذا الادعاء من قبل لأنهم اعرف بأنفسهم وأقدر على ضبط هذه الثورات الطائشة المندلعة التي لا تعرف ميزاناً ولا تدرك

معنى النقد ولا قيمة الحياة الأدبية .. ففي مصر أدباء كبار وفي الشرق شعراء فطاحل لم نقرأ لواحد منهم الحكم على بحثه أو قصيدته، ولم يدع كاتب منهم الى تكريمه وعمره لأن كبريات الصحف في الشرق نشرت كلمته في افتتاحتها وانما أدباء العروبة لهم خطرهم ومركزهم وان كان نتاجهم الفذ في ذيل الصحيفة أو صدر الجريدة !!

ومع ذلك فهذه عبارة الأستاذ حسن عواد غير محرفة أو مهذبة انقلها على علاتها لقراء العربية علهم يدركون أثر المؤلف الفاضل في اللغة : ويعلمون أن هذه الكلمة قد نشرت بعنوان «في السبيل» افتتاحية لجريدة صوت الحجاز ..ص « ٧١ » من الكتاب .

« حري بالانسان أن يتعلم الثبات وشق الطرق ممن كان قبله من أساطين الرجال الذين قدموا واجبهم الساطع في نواحي الحياة، اما عن طريق الفكر أو العمل أو أية طريق كانت ، وفي أي دائرة أتيح للعامل الصادق أن يجوس خلالها حيث يكون المدار فيها على قوة الانتاج ، وجمال الخطة ، وجمال المقصود ، فكلنا يشعر ويعتقد أن القصد الجليل والغاية الجميلة والناتج القوي في عالم الأعمال أشياء أصبحت اليوم ضرورية ومقدسة ، فكم هو هائل ومحترم أن يحس المرء بوضوح زائد فرق ما بين الجمال والقبح وما بين القوة والضعف وما بين الجلال والحقارة ، ثم بعد أن تبدو أمام عينيه هذه الروعة الممتعة من المقارنة والفهم يختار لنفسه — اذا وفقه الله — أصلح السبيل وأقومها بقدر اجتهاده ، ولن يفشل ذو جهد مستقيم » .

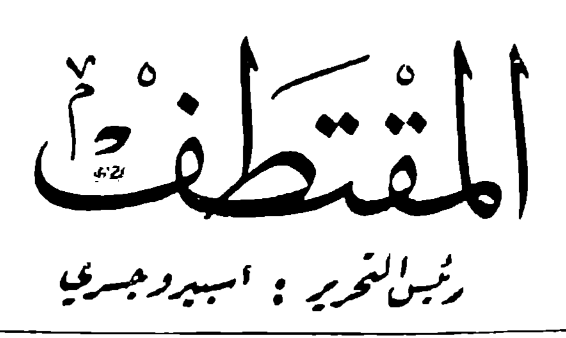
وبعد فهذه صورة غير مدعاة عن «تأملات في الأدب والحياة» للأديب حسن عواد لايجوز أن تكون بحال ما عنوانا على نهضة أدبية نرجو لها الرواج والازدهار في البلاد العربية . اذ كان حريا بالمؤلف الفاضل . . . أن يراجعها مرة ومرة حتى لا تنشر بهذه الصورة الشائهة التي تدل على هذا التفكير الذي يحتاج الى درس وامعان نظر حتى تنهض البلاد العربية السعودية في ظل عاهلها المعظم على يد ذلك الشباب المثقف نهضتها الأدبية المباركة . . .

أبو طالب زيان



الفهرس

للجزء الخامس من المجلد الثامن عشر بعد المائة



رئيس التحرير : اسبيرو جسري

June 1951 | (الجزء ١ — المجلد ١١٩) | يونيو سنة ١٩٥١

حديث المقتطف

في الجو الدولي نذر ملتهبة ، وشرارات تلتمع نحو الهشيم ثم لا تلبث أن تنطفىء ، ودخان الأقدار ما زال قاتماً لا ينجلي عن نور ولا نار .

وفي الأفق سحاب ثقال ، ورعود ، وبروق وأعاصير ، ولكن الصاعقة لما تنقض .

وبين كل خطرة فكر ، أو نبضة قلب ، أو طرفة عين ، ترتجف القلوب ، وتجزع النفوس ، وتهلع الأفئدة مشفقة من الهول ، واجفة أن تحيق بالناس الكارثة ، أو تبغتهم الفاجعة ، أو تصيبهم قارعة ، أو تحل قريباً من دارهم .

وهذه القطعان الآدمية تتساءل حائرة قلقة عن اليوم النكد .. يوم تساق إلى مذبح الشهوات ضحية الأفكار المتذائبة التي تدفع العالم إلى حرب الفناء ، لاهية به ، ساخرة من أمنه وسلامه — هـذه القطعان التعسة تتساءل مشفقة عن يومها المشئوم : « متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريباً !! » .

تلك النذر المرجفـة تعوقنا عن رسالتنا الفكرية ؛ فتضن على أقلامنا بالمدد والمداد ، وتغصبنا الوقود الذي نحرق به ذبالتنا المضيئة طريق الانسانية ، لتحشو مدفعاً ، أو تمون مدمرة ، أو ترسل صاعقة ، أو تدشن بارجة .

فيا للعجب !! نحن — يارب — نشقى بالبناء ، وغيرنا يسعد بالتدمير !!

نحن — رواد الفكر ، ودعاة السلام ، وأحباب الانسانية — نعوق عن الغاية ، ونكبل

دماء الانسانية والمستذلون خليقتك ، والمستغلون العلم والثروة والقوة للقضاء على الانسان خليفتك في الأرض !!

وعزاؤنا أننا نكافح من أجل الحياة الكريمة ، ونعيش للانسانية العزيزة ، ونعمل للفكرة العالمية ، ونسجل الجهود العلمية لخير الانسانية وسلامها ، متخذين من هذه الصحيفة العتيدة رسالة ود وإخاء بيننا وبين إخواننا العرب أينما حلوا من أقطار المعمورة ، محتفظين بود المقيمين منهم في شقيقاتنا العربية مسجلين جهود المهاجرين في توطيد الصلات الثقافية بين العروبة وهذه الأوساط التي يرتادونها .

وهذه المجلة قد عاشت للناس دهراً ، وما زالت ممهدة لكل يد عاملة تخط فيها أسطر النور والعرفان ، مهيأة لكل فكرة علمية تلقى اليها ، غير ناظرة الى جنسيتها أو وطنها !!

ونحن في مصر راجون متفائلون ، ولكننا نتساءل : متى يقدر للمبادىء الانسانية أن تسود ؟ ومتى تخولنا إمكانياتنا أن نمكن لهذه المثل بقوة العلم ، وجهود القلم ؟

السلام . . السلام . . هذه هي أنشودتنا في سبيل استقرار الأوضاع ،وحياطة الكيان الانساني ، ومواصلة الجهود نحو عالم اسمى فيه الجمال ، والخير ، والحرية ، والحب !!

والمبادىء الانسانية النزيهة ، وكرامة الجنس البشري هي سبل السلام ، فعسى أن نظفر بها بين الشعوب الكادحة ، الباحثة عن الطمأنينة ، بعد أن فقدناها في رؤوس أصحاب السلطان ، وذوي النفوذ ، السا كرين بنشوة البغي والاستبداد في مختلف الوانها وسماتها ، وعسى أن يجلجل صوت الشعوب بين صلصلة العتاد وقعقعة السلاح ، وعواء الذئاب .

والأمة العربية ـ حريتها ، ومتانة بنيانها — هي رائدنا . والاتحاد بين مختلف القوى فيها وسيلتها لتكوين كتلة تعترض أنياب الذئاب وتكون أصلب على مخالب المستأسدين يوم تكون الواقعة .

واللغة العربية حاضرها ومستقبلها ، تفاعلها وتطورها وتعاونها مع مجموعة اللغات العالمية لأداء رسالة الانسانية ، والوفاء بمطالب ألوان الحياة المتجددة — مما يعنينا أبلغ العناية — كتاباً ، ومفكرين ، وقراء .

ونحن بهذا العدد نودع قراءنا الأعزاء راجين لهم ما نرجوه لأنفسنا من النعمة والطمأنينة ، آملين أن نلقاهم بعد شهري الصيف بخير ما يتوقعون من جهودنا ، وجميل ما نرجوه من تأييدهم الذي يضيء لنا السبيل .

☆☆



رسالة الكاتب



في مصر

للأستاذ سلامة موسى

الفرق بين الكاتب وقرائه أنه هو أكثر وجدانا منهم . أي أنه يجد نفسه في أبعادها الزمنية والمكانية أكثر مما يجدون هم أنفسهم . ومهمته أن ينقلهم إلى درجة وجدانه .

مهمة الكاتب أن يرفع القارىء من الزقاق إلى الشارع . ومن الشارع إلى المدينة . ومن المدينة ألى القارة ، إلى هذا الكوكب كله . مهمة الكاتب أن يملأ صدر القارىء باهتمامات هي هموم جديدة . هموم بشرية تزيد على همومه الشخصية . كما يملأه بمسرات الحياة بأن يكشف له عن ألوان من الجمال لم يكن يعرفها من قبل في الطبيعة والانسان والفن .

مهمة الكاتب أن يحمل القارىء على أن يأبى أن يحيي حياة الحشرة بهموم شخصية وضيعة : أكل وشرب ومسكن — وأن يكسبه هموماً بشرية عظيمة كالحرية والثقافة والحضارة والفن .

مهمة الكاتب أن يجعل القارىء يحيي الحياة التاريخية ويحس انه انسان عظيم له مشاركة في تغيير هذه الأرض وترقية مجتمعاتها .

مهمة الكاتب أن يقول للقارىء : أنت لست تاجراً تبيع الأقمشة أو البقول . انما أنت انسان عظيم قد احتاجت الطبيعة إلى ألف مليون سنة كي تخرجك من رحمها بعد آلاف التجارب التي لم تنجح في اخراج مثلك . أنت قمة التطور . أنت سلطان هذه الأرض .

وبكلمة موجزة : قيمة الكاتب ومهمته أن يزيل عن القارىء هذا الذهول الذي كثيراً

ما يقع فيه فينساق في عادات فكرية وعقائد تاريخية حتى يتحجر . والكاتب العظيم هو ذلك الذي يصدم قارئه فيوقظه ويرد إليه وجدانه ثم يزيد هذا الوجدان سعة وعمقاً.

الشيزوفريني هو رجل مريض ومرضه هو الذهول: فالحوادث التي تجري حوله، خطير أو حقيرة ، لا تلفته . ولكننا نعيد إليه وجدانه وتعلقه بصدمة كهربائية عنيفة .


[الأستاذ سلامه موسى]

والكاتب العظيم هو هذه الصدمة الكهربائية لقرائه الشيزوفرينيين الذاهلين : وكلنا الى حد ما في شيزوفرينيا طفيفة . ولذلك كثيراً ما نعيش في ذهول .

◆

وأعظم ما يتهيأ به الكاتب كي يحسن حرفته ، ولا نقول كي يكون عظيماً ، هو أن يزيد وجدانه. ولذلك يحتاج الى أن يدرس المعارف والأفكار والعلوم والآداب . وجميع هذه الأشياء تزيد الوجدان . أي أنه سيجد نفسه في ميدان من الوجود أكبر وأرحب مما كان قبل أن يدرس هذه المعارف . وهو لذلك يكون أقدر على التعقل. اذ هو يرى ويحس أكثر . وهو لذلك أيضاً يكتسب الحكمة والبصيرة معاً. فاذا كتب كان ما يكتبه ثمرة لهذه الحكمة وهذه البصيرة.

ولكن هذه المعارف والأفكار والعلوم والآداب لا تشتمل على جميع الاختبارات التي يحتاج إليها الكاتب. ذلك لأن الكاتب يشتغل بشئون الناس فيجب أن يعمل أعمال الناس. ولو كان العمر يمتد حتى يتسع للكاتب ، بحيث تمر به اختبارات مهنية وأخلاقية وروحية ، بحيث يكون ملاحاً في السفينة، وضابطاً في الجيش، ومعلماً في المدرسة ، وطبيباً في المدينة أو الريف ، وسياسياً وصحفياً ، وبحيث تمر به بعض الكوارث كموت الصديق أو الحبس والحرمان أو الفقر والمرض ، وبحيث تتناوبه تلك التطورات الروحية التي تغير عقيدته أو تقويها ، وتحرفه عن وجهته أو تثبته ، لو كان العمر يمتد لكل ذلك لكان في هذه الاختبارات ما يهيء الأديب أعظم التهيؤ لأن يكون عظيماً . لأن هذه الاختبارات تربطه بالمجتمع وتغمسه في الطبيعة وتزيد وجدانه وتبعده عن الذهول الحيواني

ولكن بالطبع هذه الحال محال. ولذلك يضطر الأديب الى أن يستبدل باختبارات الحياة دراسة أحوال البشر والمجتمعات من الكتب والصحف ومن الناس يسألهم ويتعلم من أجاباتهم واختباراتهم .

◆

بعض الأزمنة يحفل بالكوارث فيزداد الوجدان عند الناس عامة وعند الأديب خاصة .

كان جيته الأديب الألماني يشكر الاقدار على أنه رأى في حياته حرب السنين السبع والثورة الأمريكية والثورة الفرنسية وحروب نابليون . وكان يقول إن هذه الكوارث قد زادته حكمة وبصيرة . زادته وجداناً. إذ هي زادت أبعاده التاريخية والجغرافية والروحية.

وزماننا هذا يحفل أيضاً بالكوارث والحروب . وقد نبّه لذلك كثيراً من الذاهلين الاّ أولئك الذين يعيشون في نعاس الموت أو يفصلون بينهم وبين اختبارات الدنيا بفواصل من التقاليد والعادات .

وهذه هي الكوارث والاختبارات العامة . ولكن الأقدار تحابي أحياناً بعض الأدباء بكوارث خاصة فيتنبهون . ويحسنون بذلك تأدية رسالتهم .

ذلك أن الكارثة الخاصة تحدث لنا توتراً قد لا تحدثه الكارثة العامة . فاذا كنا على شيء من الذكاء فان هذا التوتر يبعث فينا غضباً أو حزناً نجعل منه مادة فنية جديدة للقراء . لأن مشكلتنا الشخصية تعود مشكلة عامة للبشر . ومأساتنا الفردية مأساة المجتمع كله .

وكاتب بلا توتر ، وبلا قلق ، وبلا جنون، لايساوي ثمن الحبر الذي يكتب به . ونحن نقلق ونسخط ثم نتوتر اذا كنا نجد في الوسط الذي نعيش فيه من الأخطاء والعلل ما يستحق غضبنا وتوترنا .

ومن أعظم ما يمتاز به الأسلوب العظيم للكاتب العظيم هو الغلواء . وهي لا تتأتى إلا بعد التوتر . والغلواء هي ميزة الشخصية العظيمة . والمثل الفرنسي يقول إن الأسلوب هو الشخصية . وما أسميه غلواء يسميه غيري تطرفاً .

ولكن نوبة القلق ، نوبة التوتر ، نوبة الجنون ، لا تلائم الكتابة .

ولذلك يحتاج الكاتب المتوتر الى فترة من الحضانة أو الاختمار يبدأ عقبهما، فيكتب كما لو كان شخصاً آخر غريباً . أي يكتب في وجدان وتعقل .

إن الأديب يحتاج الى البرج العاجي ولكن لا ليعيش فيه وانما ليتمكن فيه ويلجأ

الى خلوته بعض الوقت كي يتأمل الحوادث ويفكر فيها ويتدبرهـا . واذا كانت السوق هي ميدان الصحفي التي يدرس فيها تتـابع الحوادث فان ميدان الاديب يجب أن يشمل السوق والبرج العاجي معاً . الأولى للاتصال بالمجتمع ودراسة الأشخاص والأشياء، والثاني للتأمل والاستنتاج .

والصحفي ينقل إلينا الحوادث فور وقوعها . ولكن الأديب ينقلها الينا بعد الاختمار والتدبر اللذين يحتاجان الى أيام أو الى سنوات .

وعالمنا في ارتباط أقطاره واشتباك أممه يتطلب من الأديب أن يكون صحفيًّا يرتبط بالمجتمع ويدرس المذاهب السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية التي تفشو فيه ثم ينقلها ، في برجه العاجي ، الى الشعر أو النثر ، الى الأدب .



الأسلوب الحسن هو ثمرة الرجل الحسن . ذلك لأننا نكتب في الكتاب أو الجريدة كما نخاطب أصدقاءنا في الشارع أو الغرفة . فاذا كنا على أخلاق حسنة فاننا لا نغش أصدقاءنا بل هم يجدون منا الصراحة والأمانة والكلمة المكشوفة التي لاتضمر خبيئة . وكذلك الشأن في الكتابة لأن أسلوبنا هو أخلاقنا .

هـذا هو الأساس في الأسلوب . ولكن كما يكون المشي رقصاً ، وكما يكون الكلام غناء ، كذلك يمكن بل يجب أن نتعمد الجمال في التعبير ونهدف الى شيء من الايقاع حتى في النثر .

والأسلوب هو الشخص . هو الشخصية . وأعظم ما يرفع من شأن الشخصية هو ، كما قلت ، هذا الغلو الذي يلازم العظيم في عظمته . الغلو في بيرون الشاعر . في سعد زغلول . الغلو في فولتير . والأسلوب العالي هو ذلك الذي ينطوي على غلو .

ولكننا لا نستطيع أن نفتعل الغلو . ولو فعلنا لما زدنا على التهريج .

واذن يجب أن يكون الغلو أصيلاً في الكاتب . وهو لن يكون أصيلاً إلاّ اذا كان الكاتب يتوتر من المساوىء والكوارث . ثم يحضن بالتأمل هذه المساوىء والكوارث كما تحضن الدجاجة بيضها . أي يتعقل ويكتب عن روية وتدبر .

والكاتب الحسن هو الذي تكثر توتراته أزاء حي بولاق وأزاء الامبراطورية البريطانية . وأزاء عشرات بل مئات المظالم والمقابح التي تملأ عصرنا في وطننا وفي غير وطننا .

والكاتب الحسن لا يختار أسلوبه . بل هو لا يختار موضوعه . ثم ان الموضوع يعين الأسلوب ، لأن الكاتب اذا كان مشغولاً بهموم عصره ، فانه لا يكتب عنها فقط بل يكتب بالأسلوب الذي تمليه عليه التوترات التي أحسها منها . ولذلك نحن نعرف أسلوب الكاتب من الحال النفسية التي نحسها حين نقرأ الكتاب أو عقب قراءته .

والكاتب العظيم لا يبالي بأي أسلوب يكتب . لأنه قانع بتوتراته التي تملي عليه الكلمات والعبارات . وهذا بالطبع بعد تدريب طويل وتربية ذاتية قد تأصل كلاهما في نفسه وذهنه فتعين له منهما مزاج ومنطق . وبعد اختبارات حدت من ذهنه وفتحت بصيرته وأكسبته فلسفة ورسمت له أهدافاً .

◆

وبعد هذا الذي ذكرنا عن الأسلوب نحب أن نصل بالقارىء إلى شيء أصيل في بحثنا هذا . وهو اننا ، كي نتعمق الأسلوب ، يجب أن نعرف الكاتب ، نتعمق حياته وأخلاقه.

لقد قلنا أن الكاتب العظيم يحتاج الى توترات تحمله على الغلو. وان الأسلوب العظيم، مثل الشخصية العظيمة ، يحتاج الى الغلو . وهذا الغلو هو ثمرة التوترات : غلو في الحزن أو الفرح ، طرب الحزن وطرب الفرح ، وغلو في الحب أو الغضب ، وغلو في الاحساس بالجمال أو القبح ، وغلو في نشدان الحق أو مكافحة الباطل .

وأكثر الناس توترات هم مرضاهم وليسوا أصحاءهم . لأن السليم يستطيع أن يتحمل من المكاره والمقابح أكثر مما يتحمل المريض . وخاصة إذا كان مرضه نفسياً . إذ هو يشمئز أكثر وينفر مما لا ينفر منه السليم . وهو مرهف الاحساس كأن أطراف أعصابه مكشوفة جريحة . ولذلك كثيراً ما نجد المؤلف المفكر يشكو لوناً من النيوروز . ولكن هذا النيوروز هو في الأغلب نتيجة ذكائه وليس سببه . أي انه لذكائه استطاع أن يرى أكثر مما رأى غيره . فأحس وتألم . وفاض الالم حتى صار نيوروزاً أو كاد . فكثرت توتراته ودفعته الى ادمان التفكير ثم الاختراع . ولا أكاد أعرف مؤلفاً عظيماً قد خلا من توترات المرض النفسي الذي كان يعانيه . حتى جيته أديب ألمانيا العظيم الذي يبدو سليماً في كل نواحيه لم يخل منه . وكذلك جون روسكين . أما دستوفسكي ونيتشه وتولستوي واندريه جيد وبرنارد شو وولز فأمراضهم واضحة . وهي ترتفع أحياناً الى درجة الجنون المطلق وتنخفض أحياناً الى درجة الشذوذ .

ونعود الى موضوعنا . وهو اننا ، كي نتعمق الأسلوب ، يجب أن نعرف الكاتب ،

نتعمق حياته ونقف على تفاصيلها التي كوّنت أخلاقه وعيّنت أهدافه وخصته بتوتراته . والمؤلف ، كما يؤلف الكتب التي تباع للجمهور ، يؤلف أيضاً حياته . وربما تكون حياته خير مؤلفاته بل هذا هو ما نرى في طه حسين وبرنارد شو وجيته. فنحن نستنير ونتفطن حين نقرأ تراجم حياتهم أكثر مما نستنير ونتفطن حين نقرأ مؤلفاتهم.

ومن حق الجمهور القارىء لهذا السبب ، أن يعرف الحياة التي عاشها المؤلف . كما أن دراسة الأسلوب تحتاج الى دراسة هذه الحياة وصحيح أن المؤلف الفنان يعود الى اختباراته الخاصة ويكتب عفو احساسه العاطفي أو وجدانه التعقلي منها . وهذا حين يخلص وحين يحس أن له رسالة . ولكنه قد يخون احياناً. فيكذب اختباراته وينكر احساسه ووجدانه معاً. ولذلك يجب أن يعرف الجمهور حياته بتفاصيلها . وإذا كان من حق الجمهور أن يعرف مصدر المال الذي يحصل عليه موظف كبير في الدولة ، خشية الاختلاس أو الارتشاء ، فكذلك من حق هذا الجمهور أيضاً أن يعرف مصدر الآراء والعقائد والميول التي يتجه نحوها المؤلف خشية الارتشاء أيضاً . لأن المؤلف الذي يرتشي كي يترك مبادئه هو كالموظف الذي يرتشي كي يترك واجباته . وكثيراً ما رأينا في حياتنا القصيرة كتّاباً ارتقوا وتركوا مبادئهم وكفروا بالحق وبصقوا على الانسانية .

للكاتب أسلوب وموضوع . وكلاهما يعود الى شخصيته. فمن حقنا أن نعرف المعدن الذي صهرت منه هذه الشخصية كما نعرف العوامل التي كوّنتها وعدّلتها وغيّرتها. وعندئذ فقط نستطيع أن نعالل الأسلوب ونقف على ميزاته ونربطها بأصولها .

ومما يتصل بهذا الموضوع أن المؤلفين القصصيين اليابانيين قد نشأوا على عادة قد صارت تقليداً . هي أن المؤلف يروي قصة حياته أو قصص حياته . فهو بطل القصة . يدون اختباراته وينقحها ويتسامى بها ويستخرج منها العبرة . ولكنه في كل ذلك يجعل من نفسه البؤرة والمركز .

◆

رسالة الكاتب المصري في وقتنا هذا أن يرشد وأن يكافح، فأما الارشاد فهو من حيث توجيه القارىء العربي الذي انقطعت جذوره في الشرق ولما تصل الى الغرب . وعلينا نحن الادباء أن نوجه أولئك الذين لا يزالون شرقيين ، وأولئك المترددين بين الشرق والغرب ، وأولئك الزاعمين بأن في الشرق روحية وفي الغرب مادية ، علينا أن نوجههم جميعهم نحو

الغرب . أي نحو الحضارة المصرية . بأن ننقل إليهم الأوزان والقيم البشرية كما هي في أوربا .

وهذا التوجيه هو في صميمه كفاح . كفاح من أجل تحرير المرأة بالعمل ، وتحرير الشعب من الفقر والجهل والمرض . كفاح ضد القرون المظلمة التي لا تزال تخيم على عقول كثيرين منا وأخيراً كفاح للاستعمارية التي تفسق بالعقول وتقتل البشر .

ما هو هذا الذي نكافحه نحن الكتاب المصريين؟

نكافح حي بولاق . ونكافح مصر المجسمة في حي بولاق .

عندما أجول في هذا الحي أحس كأننا قد هيأنا منازله وأزقته وناسه كي نعرضها على الأديب البازغ حتى يعرف رسالته المستقبلة . وهي أن ينقل مصر من الخراب الوعر الى الحضارة المهذبة . واني لأقف بين أزقة هذا الحي وأتلبث فيها كي أملأ حواسي بما تحوي من قبح . وأني لأتأمل رطوبة الجدران وكأنها غنغرين قد تمدد وفسد . وأني لأحس أن الجهل والفقر والمرض لتكمن جميعها في هؤلاء السكان الذين تجردوا من كل ميزات المتمدنين . واني لأسير على ارض هي براز وبصاق وذباب قد عممت في الهواء عفناً وخموماً يملأن النفس كرباً وهمّاً . واني لأتأمل وأتشمم وأتحسس هذه الأزقة ، ناساً وجدراناً ، فأحترق . وأحس رسالة الأديب في مصر .

هذه هي الحال المصرية التي يجب علينا أن نغيرها . فاذا لم نفعل فنحن لسنا مقصرين فقط بل خونة . وحين يفر أحدنا من حي بولاق إلى التاريخ الماضي فيكتب زوجة الرشيد أو عدل المأمون أو حرب علي ومعاوية، فانه بفراره هذا ، انما يخون أدبه . وهو بمثابة الجندي الذي فرّ من الميدان . لأن ميداننا جميعاً ، الميدان الأول ، هو حي بولاق ورمزيته لوطننا .

هذه هي خيانة الكتّاب . واني لأستطيع أن أذكر الأسماء لعدد غير صغير من كتّابنا بدأوا ملهمين يحدثون قراءهم عن تلك الحالات الحميمة للقلب والعقل في دراسة الانسان والطبيعة . ثم طمسوا هذا الالهام وعادوا يكتبون عن الماضي .

لقد تأملت كثيراً في حسرة وألم هذا التخلف أو العجز أو القصور في الأدب المصري الحديث بحيث لا نجد نابغاً أو عبقريّاً يقاس بأولئك النبغاء أو العبقريين في أوربا أو في الهند . وبعد انعام التأمل أجد أن أكبر الأسباب لحالنا هو هذا التردد بين الثقافتين ثقافة الشرق والتقاليد، وثقافة الغرب والابتداع .

وقليل من التفكير السيكلوجي هنا ينيرنا

ذلك أن الشاب حين يقف متردداً بين فتاتين يريد اختيار أحديهما للزواج يحس عنة أي عجزاً جنسيًّا . فاذا ما استقر رأيه على أحديهما زالت عنه هذه العنة .

والاشتهاء الجنسي هو في ذاته اشتهاء ذهني . والقوة الجنسية هي نتيجة هذا الاشتهاء . فاذا تردد الشاب في اشتهائه فقد هذه القوة . وإذا زال التردد عادت القوة .

والأديب الذي يتردد بين الحق والباطل ، أو بين الشرق والغرب ، أو بين الانضواء الى القوى الرجعية أو القوى التجديدية ، يحس احتباساً ذهنيًّا ، عنة ذهنية ، تصده عن الانطلاق الحر في التفكير . وهو لذلك لا يحسن الكتابة والتأليف حتى حين يختار هذا الشرق بتقاليده ورجعيته وهو على وجدان باختياره . لأنه يبقى في أعماق نفسه كارهاً لاختياره كأنه قد رفض الزواج من فتاته الجميلة ايثاراً لفتاة دميمة لا يحبها ولكنه يطمع في مالها .

وأدباؤنا الذين مالوا الى الشرق بتقاليده ورجعيته يحسون هذه العنة الذهنية . بل يحسها القراء منهم ويصدون عنهم . وفي مصر ألوان عديدة من الاغراء تجر الكاتب الملهم نحو الشرق فيفقد الهامه ويحتبس ذهنه . وهو عندئذ لا يحسن حتى الكتابة عن هذا الشرق . ولكنه يسر نفسه ، مع عنته ، على الدفاع عن التقاليد والرجعية لأنه يجد في هذا الدفاع ثراء وطمأنينه ومقاماً . وضميره يهمس اليه بأنه خائن .

وقد سبق أن قلنا إن التوتر هو الشرط الأول للغلو . ولا يستطيع كاتب متردد أن يتوتر ويغلو . ولذلك لا يستطيع أن يحقق النبوغ فضلاً عن العبقرية .

ولكن هناك خيانة أخرى هي تلك القوانين التي سنّها دعاة الاستعمار والاستبداد لتقييد الأقلام وأحياناً لقصفها . وذلك لأنهم يعرفون أن أعلى الأصوات هذه الأيام هو هذا الصوت الخافت الذي يصدر عن صرير الأقلام . اذ هو يزعجهم أكثر مما تزعجهم قنابل المدافع وخاصة في يد الكاتب الذي لا يتعب من الحديث عن حي بولاق وما يعانيه الانسان المصري فيه من قبح وشقاء .

وإن الكاتب الذكي ليحتاج في مصر أحياناً أن يخفي ذكاءه وأن يزعم أنه جاهل خشية الاستبداد الذي يحيق به ويرتب له ألواناً من عذاب الفقر والسجن والاضطهاد . ولكني مع ذلك أعتقد أن الكاتب الذي يخون أدبه ويفر ذهنيًّا ونفسيًّا من حي بولاق إلى منازه التاريخ الماضي ، هو أخطر علينا من أية قيود تفرضها حكومة مستبدة وتمنع بها الكتب أو تقصف بها الأقلام .

وللكاتب المصري مشكلات أخرى. ومشكلة اللغة قد تعد في مقدمة المشاكل الماثلة لنا . ذلك أننا نعالج موضوعات عصرية بلغة غير عصرية وأنك لتجد من كتّابنا من يحاولون الكتابة بلغة الجاحظ مع أنه على الرغم من براعته في عصره لم يعد يلائمنا . اذ هو كان يختار الكلمة التي تجري على السنة الفقهاء والايماءة التي تشير إلى الصحراء . وكان يخاطب الأمراء والوزراء . ولم يرسم في ذهنه جمهوراً من هـذه الجماهير التي نخاطبها . ولم يعالج موضوعاً من هذه الموضوعات التي نعالجها .

ونحن اذ نخاطب جمهوراً ديمقراطيًّا يجب علينا أن نتخذ اللغة الديمقراطية . وإذا كانت كتب البلاغة لم تذكر شيئاً عن اللغة الديمقراطيـة فلأن مؤلفيها لم يعيشوا قط في نظام ديمقراطي. وهي ، أي كتب البلاغة ، لم تذكر أيضاً شيئاً عن اللغة الصحفية أيضاً لأنها ألفت قبل ظهور الصحافة .

إن كتب البلاغة في حاجة الى تصفية وإلى تجديد . بل يحق لنا أن نتساءل . هل نحن في حاجة إلى قواعد البيان والبلاغة ؟ ألا نستطيع الاستغناء عنها ونعترف بالواقع وهو أن الكاتب لا يحتاج إليها ؟

إن قواعد البلاغة تحليلية . والكاتب المبتدىء يؤذيه التحليل أكثر مما ينفعه . إذ هو يربكه ويعرقل حركته . وهو يحتاج إلى ما يؤلف ذهنه وليس إلى ما يحلله .

وقد نجد نحن الكتّاب من المشاق ما هو أشق علينا من الملاءمة بين لغتنا المصرية ولغتنا القديمة . لأن هذه المشكلة تسير إلى اليسر . أما بمصالحة بين اللغتين ، واما بابتداعات جديدة لا تبالي القديم . كما نرى أحياناً في بعض مجلاتنا الأسبوعية حيث يأخذ الكاتب من العامة الكلمة أو العبارة التي لا تؤدي معناها عباراتنا وكلماتنا العربية الصميمة . وهذا كسب كبير بل كبير جدًّا .

في لغتنا العربية عيوب عديدة تعود الى تاريخها الاجتماعي . ولغة الأدب العربي هي قبل كل شيء لغة الفقه الاسلامي . ثم هي لغة الفروسية ، وأخيراً هي لغة المترفين من الأمراء والأثرياء. وما عدا هذه الموضوعات الثلاثة قليل .

وذلك لأن المجتمع العربي كان مجتمعاً أميريًّا اقطاعيًّا . وكاتب اللغة في خدمة هذا المجتمع بجميع ملابساته تؤدي كلماتها أفكاره الاجتماعية . وفي الأحيان القليلة حين كان المجتمع تجاريا كانت اللغة تتغير. ولكن ، لأن الوسط التجاري لم يسد قط الوسط الديني أو الحربي أو الاقطاعي كانت العناية اللغوية الادبية بهذا الوسط قليلة فان الباحث يدل

الوسط الديني الحربي وقد برع وتفوق. ولكن ابن بطوطة، كان من حيث لا يدري، يمثل الوسط التجاري. ولم يبرع.

وفي لغتنا لذلك تبذخ الأمراء والأثرياء والمترفين. ولكنها خالية من كلمات التفطن لمأساة الفقر أو عيش الفلاحين أو الوجدانات الجديدة التي أثمرتها النظم والمجتمعات الديمقراطية. فهي لغة يقنع بها رجل مثل صاحب الفضيلة الشيخ محمود أبو العيون لأنه يجد في كلماتها كل ما يحتاج إليه من المعاني الشرقية التي في ذهنه. ولكن رجلاً مثلي يحفل ذهنه بالمعاني الأوربية والمشكلات المصرية وينبعث بوجدان ديمقراطي، لا يجد فيها حاجاته التعبيرية والفنية. ولذلك اضطررت أنا الى تأليف عشرات من الكلمات التي جرت على أقلام الكتّاب، في حين لم يحتج هو قط الى تأليف كلمة واحدة جديدة.

والكاتب المصري في ظروفنا الحاضرة محتاج الى أن يذكر أن ما سميناه «نهضة» في ١٩١٩ انما كان نهضة سياسية تهدف إلى الاستقلال فقط. ومع أننا لم ننته الى الآن الى نهاية حسنة مطمئنة بخروج العدو من أرض الوطن، ومع أن هذه النهضة السياسية لابستها حوافز من التحرير الاجتماعي، مثل سفور المرأة وتعليمها والاتجاه نحو الصناعة، مع كل ذلك يجب أن نعترف أننا أفسدنا معنى النهضة كما يفهمها الأوربي الذي عرف من النهضة الاوربية منذ القرن الرابع عشر الى القرن العشرين أنها تحرير الشخصية البشرية من التقاليد والغيبيات. وانها اقبال على العلم التجريبي. وانها فصل الدين من الدولة. وانها دعوة للانسان كي يأخذ مصيره في يده ويتسلط على القدر بدلاً من أن يخضع للقدر. وانها انتزاع الخير من الطبيعة واخضاعها وليس الانتظار كي تسدي اليه الطبيعة فضلها ورها

هذه هي المعاني التي لم نفهمها من النهضة في سنة ١٩١٩. ومن هنا هذه الانتكاسات الرجعية السياسية والاجتماعية التى بلوناها في الثلاثين سنة الماضية. وقد فهم الهنود معنى النهضة بأوسع وأعمق مما فهمنا. كما يتضح ذلك من الغاء النجاسة. والمساواة في الميراث بين الجنسين. ومنح المرأة حقوقاً دستورية لا تقل عن حقوق الرجل، وفصل الدين من الدولة والأديب المصري محتاج الى أن يصحح هذا النقص في نهضة ١٩١٩.

◆

وأخيراً رسالة الكاتب في مصر عامة وخاصة.

فأما العامة فهي أن يجعل الأدب وفق المبادىء البشرية. بحيث يغرس الكاتب في القارىء حب البشر والطبيعة والفن والثقافة. لأن الأديب الحق هو عاشق الانسان لا يعرف

التعصب أو العنصرية . ولا يقول بالقسوة أو الحرب والأديب الحق هو الذي يعرف أن مهمة الأدب، مثل مهمة الفلسفة، تغيير المجتمع بحيث يحمل القارىء على السخط ثم الرغبة في التغيير . والأديب الحق هو الذي يطلب المزيد من الحرية . فهو لذلك لا يمكن أن يكون فاشياً أو يرضى بالحكم العسكري الذي يقيد أو ينقص الحريات . والأديب الحق هو الذي يتأنق ويعين لنا مأرباً فنياً في جميع نشاطنا .

وأما رسالته الخاصة فهي خاصة، لأنها تعالج شأناً من شئون مجتمعنا المصري الحاضر مثل تعجيل التطور الاقتصادي نحو الصناعة . ومثل المساواة بين الجنسين ومثل التعليم المجاني العام ومثل التأميم .

◆

وأخيراً على الأديب أن يذكر أن في العالم فريقين

فريق الآراء أو العقائد الآفلة التي تقول بعجز الانسان عن محو الفقر وعن التسلط على مستقبله . وهذا الفريق بتشاؤمه يؤمن بأن الطبيعة البشرية سيئة في أصولها وانها تحتاج الى القيود والحدود . ولذلك كثيراً ما ينساق إلى الفاشية . وإلى القسوة حتى في تربية الصغار أو معاملة المجرمين وإلى سوء الظن بالمرأة والحد من حريتها . وهذا الفريق يؤمن بالوراثة . وانها هي العامل الأول في تكوين الانسان وفي تعيين كفاياته وانها جامدة لا تتغير . وكثيراً ما يرفض التغير ويخشى المستقبل وينكفىء الى الماضي .

وفريق الآراء أو العقائد البازغة التي تقول بالايمان بالمستقبل . والجرأة على اخراج التطور البشري (فضلاً عن التطور الحيواني والنباتي) من يد الطبيعة إلى يد الانسان . وهذا الفريق يؤمن بأن الطبيعة البشرية حسنة لا تحتاج إلى القسوة . وهي لدنة تتغير بالوسط الحسن . وان تراثنا من الطبيعة ليس من الجمود بحيث يمنع التغير والتطور . وان موقفنا السياسي هو موقف الحرية والمساواة للمرأة ومحاربة التفريق العنصري أو الديني . وتعجيل الاشتراكية البارة

والأديب المصري البصير يجب أن يقف في صف هذه الآراء البازغة ويستعجل المستقبل بدلاً من أن يتعلق بالماضي .



الرئة الحديدية (١)



للأستاذ عوض جندي

جاء في برقية من لندن، نشرها المقطم في ١٦ مايو سنة ١٩٥١ أن مصر قد عقدت صفقات هناك لشراء رئات من الحديد لمستشفيات الحكومة. وسيجري ارسال اثنتين منها في الحال. وسيصدر بقيتها في خلال العام القادم.

فينبغي اذن وصف هـذه الرئات، وشرح منافعها لقرائنا. وذلك نقلاً عن مؤلف حديث لعالم مشهور من الانكليز، وعن غيره من المصادر واليك ما قيل في هـذا الموضوع. الرئات الحديدية هي المستعملة لوقاية حياة المصابين بمرض شلل الأطفال، أو لاطالة حياتهم أحياناً مدى بضعة أيام فحسب. والمعروف أن هذا الداء، من أدواء الحبل الشوكي «النخاع» ويتولد أولاً في مخ المصاب به. ويتطرق منه إلي تجويف سلسلة ظهره حيث ينجم عنه فصل زوج من أعصابه، وذلك في كل مفصل من مفاصل عظامه.

وعلى هذا النمط، ينشأ من هذه العلة قطع الصلة بين مخ العليل وعضلاته. وقد سمّي بهذا الاسم لانه ينتاب الصغار عادة. وربما يصاب به الكبار أيضاً. وأشهرهم الرئيس الراحل — روزفلت — طيب الله ثراه.

وتقتصر الاصابة الخفيفة به، على الساقين أولاً. واذا اشتد المرض، وجاوز الحبل الشوكي صُعُداً، شلت عضلات الذراعين والصدر والحجاب الحاجز «العضلة التي تفصل الصدر عن البطن» أيضاً.

فاذا شاء المريض أن يملأ صدره بالهواء، تحرك أضلاعه وقبض الحجاب الحاجز،

---

(١) الكاتب — أنظر مقالنا على «العلم واحياء الموتى» بمقتطف ابريل سنة ١٩٣٥

لكي يخفض الكبد والمعدة، قصد توسيع الصدر لتلك الغاية أي أحداث التمدد في الرئتين اعترضه الشلل التام الحاصل في التنفس، وهو قتّال بلا شك.

ومن أعجب الأمور، أن للقلب أهمية في الجسم تعادلها في الرئتين تماماً. ولكنه لا يعتريه الشلل أبداً بهذه الوسيلة. اذ يظل ينقبض ولو انقطعت عنه الأعصاب المتصلة به كلها. بيد أن العضلات المستعملة في التنفس، تستعمل أيضاً لأغراض أخرى مثل التكلم. ولا مناص لها من الخضوع لسيطرة المخ.

أجل إننا قرأنا قليلاً، على وباء شلل الأطفال. على حين نطلع على مقالات مسهبة في الرئات الحديدية. وذلك يرجع بعضه إلى أن أخبار علاجه الناجع، أحب للناس من أخبار الوقاية منه. لأنه داء عياء قلما ينجع فيه دواء.

والسبب الآخر كونه يتفشّى بالتنفس، ولاسيما في المدارس الغاصة بتلاميذها. وتعد الرئة الحديدية أحدث الوسائط التي اخترعت وأنجعها للتنفس الصناعي، الذي يتوسل به إلى انقاذ الغرقى، من الموت الظاهري. وكانت الوسائل الابتدائية التي أخترعت لهذه الغاية في سنة ١٧٧٤ تقوم بوضع منفاخ في أحد خيشومي المصاب، مع وجوب اغلاق فمه وخيشومه الآخر «فتحة أنفه».

فتبين أن تلك الطريقة لم تكن مجدية كما يرام. وفي القرن التاسع عشر، أخترع ثلاثة من علماء الفيزيولوجيا الانكليز، وهم: — مارشال هول، وهوارد، وسيلفستر، وسائل لعلاج هذه العلة، كانت أنفع كثيراً مما سبقها من الوسائط الطبية. وكانت تعمل من دون أجهزة. ثم أبطلت إذ حلت محلها طريقة شافر Schafer التي أخترعت في مدينة إدنبرة في سنة ١٩٠٣. وهذه كانت تقضي ببطح[1] الغريق الظاهري المراد اسعافه. ثم يجثو منقذه منفرج الساقين، فيضغط الأضلاع السفلى للمصاب، ضغطاً يبلغ ١٣ مرة في الدقيقة. وكانت هذه الطريقة أقل ضرراً للمصاب، من ضغط مقدم بدنه. كما كانت تقضي به طريقة هوارد. وانما كان عيبها استحالة مواصلتها أياماً عدة إلى النهاية.

أما الطريقة الميكانيكية الاولى، المتواصلة العمل فقد اخترعها براج Bragg. وهو الذي صار فيما بعد، رئيساً للجمعية الملكية البريطانية، وذلك بالاشتراك مع زميله بول. وهذه تسمى المنبض Pulstor. وهي تؤلف من كيس يضغط الصدر والمعدة. ضغطاً منتظماً يفيد فوائد جليلة في حالات الشلل الجزئي.

(١) البطح = [illegible]

ومخترع الرئة الحديدية ، عالم أمريكي من علماء الفيزيولوجيا اسمه درينكر Drinker وهي أسطوانة فولاذية ، يرقد فيها المريض ، حيث يتغير ضغط الهواء فيها ، اثنتي عشرة مرة في الدقيقة . ويبرز رأسه منها ، عن طريق طوق مطاط مثبت بها . وعند مايشتد ضغط الهواء الواقع على جسمه في تلك الاسطوانة الفولاذية ، أكثر منه حولها . يطرد ذلك الهواء من رئتيه . وحينما يقل الضغط الهوائي الواقع على جسده عنه في خارج الاسطوانة نفسها ، تتمدد رئتاه مرة أخرى فيجذب اليهما الهواء . وبهذه الطريقة يتاح إعطاء المريض الطعام والشراب اللذين يحتاج اليهما . ولكن في هذه الحالة ، يجب من وقت الى آخر ، دخول إحدى الممرضات في الاسطوانة الفولاذية لتؤدي للمصاب سائر لوازمه .

ومما ينبغي ذكره في هذا المقام ، أن نجل مليونير أمريكي ، عاش على هذا الاسلوب ، ردحاً من الزمن ، وما زال حيـًا يرزق . وذلك في جهاز من هاتيك الأجهزة . وقيل إنه استرد سيطرته على عضلات تنفسه . وما من شك أن الرئة الحديدية لا تقوم مقام الرئتين الطبيعيتين . وانما تؤدي عمل عضلات التنفس . وبما أن القلب مضخة كالرئتين ، فيتسنى نظريـًا قيامه مقامهما . إذ هو وعاء ذو تجويفين مزدوجين ، يعمل عمل المضخة ، بتعاقب انبساطه وانقباضه نحو ٧٥ مرة في الدقيقة الواحدة . وفي التجويف الأيسر منه ، يجتمع الدم الأحمر القاني ، المملوء بالغذاء المستخلص من الطعام الذي نأكله ، وبغاز الاكسيجين الذي نستنشقه مع الهواء . وفي التجويف الأيمن (الأذين) الدم الأرجواني القاتم الممتزج بغاز الحامض الكربونيك ، وغيره من النفايات والفضلات التي تفرزها أجزاء الجسم كافة على أثر انتهاء أجلها . فيندفع ذلك الدم القاتم الفاسد من التجويف الأيمن الى الرئتين ليتطهر . ثم يعود منهما نقيـًا قرمزي اللون ، الى التجويف الأيسر (البطين) حيث يندفع الى شريان كبير (الأورطي) . ومنه يتوزع على الأوعية المتشعبة في أطراف الجسد جميعها .

وقد تم فعلاً قيام القلب بعمل الرئتين وذلك في التجارب [1] التي جربت في الحيوانات غير أن العقبة الكأداء التي اعترضت المجربين كانت تجمد الدم عند ما يلامس المعدن أو

---

(١) روت إحدى جرائدنا الحالية في برقياتها من نيويورك ، في أول مايو سنة ١٩٥٠ النبأ الآتي : — لن يمر أكثر من عام قبل أن يتمكن الاطباء تركيب أجزاء من العجائن الكيمائية في القلب البشري ، عوضاً عن صماماته التي يقضي عليها المرض . وقد جربت التجارب في بعض الكلاب وركبت صمامات من العجائن الكيمائية في قلوبها ، ولا تزال حية الى الآن . وهذه الصمامات على شكل اسطوانات صغيرة توضع في القلب فتحركها عضلاته الحركة المطلوبة لاداء وظيفتها . ويقال إنه لا خطر في اجراء الجراحة اللازمة لتركيبها .

الزجاج أو الكاوتشوك أو أغلب السطوح الأخرى . ويستطاع منع تجمد الدم ، بحقن المصاب بمواد معينة . وإذا تجمد الدم تمكن ازالته بالتشريط . ومع ذلك يتوقع العلماء أن معضلة القلب الصناعي ، ينتظر حلها في الأعوام الخمسين القادمة . وسوف يتمتع أبناء بعض القرون المقبلة ، بالقلوب المصنوعة ، كما يستمتعون في هذا الزمن بالأسنان المصنوعة. وقد نجح العلماء حتى الآن نجاحاً باهراً في الاستعاضة عن الأعضاء الطبيعية التالفة التي تؤدي وظائفها ميكانيكياً بأخرى مصنوعة مثل الأسنان والسيقان ، أو نظرياً كعدسة العين . كما انهم موشكون على ابدال الأعضاء الجسمية التي تؤدي الوظائف الكيميائية كالغدة الدرقية ، بغيرها من صنع الانسان . وذلك لأن القواعد الهينة الخاصة بالأعمال الميكانيكية ، وعلم البصريات ، قد تم اكتشافها في القرن السابع عشر . كما اكتشفت المبادىء الكيمائية في القرن التاسع عشر . ولو سمحت الظروف الاجتماعية بمواصلة تقدم العلوم ، لأصبح في وسعنا الانتفاع بالاكباد والمعد وغيرها من الأعضاء المصنوعة ، كانتفاعنا بالنظارت مثلاً . وكذلك إذا استمر في الوقت عينه ، تقدم علم الطب الوقائي ، قل اقبال المصابين ، على استعمال الاعضاء المصنوعة التي أشرنا اليها آنفاً » .

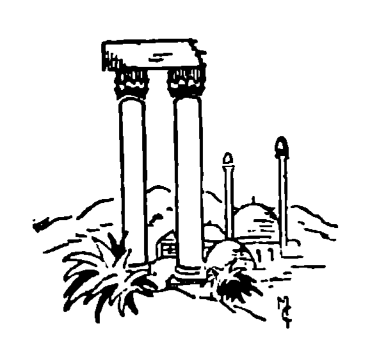
وبعد كتابة ما تقدم نشرت جريدة المقطم الخبر الآتي فأردنا اثباته فيما يلي اتماماً للفائدة تقول وكالة الأنباء العربية من نيويورك إن الطب قد أماط اللثام عن أعجوبة ، هي صنع قلب من زجاج يحل محل القلب البشري ويعمل عمل الرئتين . ويستعان به عند القيام بالجراحات الخطيرة ، على اراحة الأعضاء الاصلية . وصمم هذا القلب الزجاجي ، وصنعه جماعة من العلماء يشرفون على معهد فلز لدراسة دورة الحياة . وهذا المعهد في إحدى مدن ولاية أوهايو الأمريكية .

والجهاز الجديد من البساطة بحيث يستطيع صنعه أي مهندس من المشتغلين بالمعامل . ويبلغ وزن ذلك القلب الزجاجي أربعة أرطال انكليزية . ولا يزيد ثمنه على ٢٠ جنيهاً انكليزياً . ويشتمل على مضخة تعمل عمل القلب . وفيه مغذٍ للاكسجين يقوم مقام الرئتين وفي الطاقة وصله بالدورة الدموية ، وذلك من عروق الساق . فينقي الدم وينفث الاكسجين ومن ثمة ينطلق الدم الى أحد الشرايين . وقد أمكن بهذا الجهاز حفظ الحياة ، لكلب كبير أكثر من ساعتين ، ظل القلب في خلالها يتنفس تنفساً عادياً . ونهض القلب بوظيفته.



العلاقات

بين المسلمين والمسيحيين في الحبشة المعاصرة



للأستاذ زاهر رياض

حاولنا في المقالين السابقين أن نستعرض العلاقات بين المسلمين والمسيحين في الحبشة، منذ أن ظهر الاسلام في القرن السابع الميلادي وأخذ يشق طريقه الى الحبشة، حتى أواخر العصر الحديث. ولا بد - قبل أن يتقدم بنا البحث الى مدى هذه العلاقات في الحبشة المعاصرة - أن نوضح شيئاً لا بد من توضيحه. وهو ان الاسلام الذي أخذ ينتشر في الحبشة كان في أول أمره اسلاماً خالصاً نقيًّا يتلاءم ونوع المهاجرين الأولين. على أن هذا الاسلام لم يلبث ان شابه شيء كثير من الآراء التي أضحت تتنافى وروح الاسلام الحقيقي. فقد اختلط به شيء كثير من غلو الشيعة لأن كثيراً منهم ومن غلاتهم على وجه أخص قد اتخذ من الحبشة ملجأ يقيهم اضطهاد الدولة العباسية وما قام على أنقاضها من دول سنيـة تغالي في السنيّـة. كما أن الحبشة - منذ القدم - المهجر الطبيعي لليمنيين أكثر من غيرهم من طوائف العرب. وقد كانت اليمن موطناً صالحاً لنمو المذهب الشيعي. كما ان الاسلام هنا - اذا كان قد شابه شيء كثير من غلو الشيعة - فقد شابه أيضاً كثير من المعتقدات الدينية الوثنية التي لم يكن من السهل استئصالها من القبائل الحبشية العريقة في الوثنية. خصوصاً ان الاسلام انتشر بين هذه القبائل كعقيدة سياسية وكمبدأ اجتماعي أكثر منه عقيدة دينية، وعلى يد الفاتحين وتجار الرقيق أكثر مما كان على يد المعلمين والمتفقهين في العلم.

لم تلبث الحبشة أن تعرضت في أواخر العصر الحديث لعصر الفوضى الذي جثم على صدرها مدى قرنين ونصف قرن ضعفت في أثنائه قوة الملوك وعمالهم إلى أقصى حد وقامت الثورات على سلطتهم في كل مكان من القبائل المختلفة، واتجهت همة الملوك الى تحطيم هؤلاء الثوار

سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين،عرباً أو صومالاً أو جالاً أو كوراجي أو غيرهم.
وكثيراً ما نجح الثوار في التغلب على الملوك والقبض على السلطة مكانهم فادعوا الالقاب الملكية كما أدعوا السلطة التامة،ولكن ذلك لم يكن سهلاً إذ لا يلبث المنتصر أن يجد من يقاومه بدعوى انه ليس من الأسرة المالكة السليمانية،إذ كان ومايزال الأحباش يعتقدون ان أسرتهم المالكة تنتسب إلى منليك الأول الذي ولدته الملكة ماكيدا من سليمان الحكيم ملك بيت المقدس حينما زارته في القرن العاشر قبل الميلاد وكان من الطبيعي أن يساعد ملوك الحبشة دائماً على رواج هذه القصة التي تؤيد حقهم في العرش وتجعلهم فوق مستوى الشك، وبعيداً عن جميع الطامعين. ولا نستطيع أن تقول إن المسلمين خلال هذه المدة قد لعبوا دوراً خاصاً ولكنهم لا بد أنهم اشتركوا في كل اضطراب حدث في البلاد، وعمل الملوك من ناحيتهم على سحقهم وسحق غيرهم وهدم منشآتهم ومنشآت غيرهم،وقتل رجالهم وغنم أملاكهم كما يقتلون ويغنمون غيرهم . ولكنهم اعتقدوا أن هذا السحق وهذا الهدم وهذا الاضطهاد إنما هو موجه اليهم باعتبارهم مسلمين ، فحقدوا على الدولة المسيحية وجعلوا يتوارثون هذا الحقد من ذرية الى أخرى ومن جيل الى جيل.

ولم تستطع الحبشة أن تخرج من هذه الفوضى الشاملة الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بقوة الامبراطور يوحنا الرابع (١٨٦٨—١٨٨٩) الذي أخذ في اخضاع الحبشة كلها تحت حكمه المباشر خصوصاً بعد اتفاقه مع منليك ملك شوا، ولقد حاولت مصر من جانبها أن تستغل المسلمين لنشر نفوذها في هذه الأثناء خلال حكم الخديوي اسماعيل (١٨٦٣ — ١٨٧٩) فغزت الجيوش المصرية بقيادة منزنجر باشا اقليم البجه المسلم واستولت على كرين كما اشترت اقليم ايلات في الشمال الشرقي من حاكمه وصاحبه الا أن هزيمة الجيوش المصرية غير مرة قضت على المشروع من أحد نواحيه لمحاولته من ناحية أخرى حين كتب الهرريون الى الخديوي يعرضون خضوعهم للحكم المصري،فأرسل اليهم رءوف باشا فدخل هرر في أكتوبر سنة ١٨٧٥

ولقد كان نجاح المصريين في الاستيلاء على هرر وترحيب الأهالي بالجيش المصري مشجعاً لهم على أن يعيدوا الكرة في الشمال ، ولكن سحق الجيش المصري الذي كان بقيادة حسن باشا نجل الخديوي وأسره وفديته بخمس وعشرين مليوناً من التاليرات واضطرار الخديوي الى عقد قرض لدفعها جعل الخديوي يطرح جانباً كل هذه المشروعات مما جعل قبائل البجه تشيح بوجهها عن محاولة طلب المساعدة الأجنبية ، فتظهر خضوعها المطلق للامبراطور . ولكنهم إذا رأوا ازدياد قوة المهدي واستقلاله بالسودان عرضوا

عليه خضوعهم فأغار على تجري واستطاع أن يتغلب على الأحباش في معركة انتهت بقتل الامبراطور يوحنا في ٩ مارس سنة ١٨٨٩ .

فاذا كان الربع الأول من القرن العشرين استطاعت قوة الامبراطور منليك الثاني (١٨٨٩ — ١٩١٣) أن تحطم الثائرين وحلفاءهم وتطرد المهدي وتقيم دولة متحدة فبات المسلمون يكتمون حقدهم الدفين عن رغبة في الانتقام .

ولقد كانت همة الامبراطور منليك تتجه الى جعل الحبشة دولة موحدة العناصر أوربية النظام . فأحسن معاملة غير الامهريين ورحب بالاوربيين فأقبلوا على الحبشة وأكثرهم من المبشرين البروتستانت الذين أفلحوا في نشر المسيحيـة بين قبـائل الجالا والوالو وغيرهم من القبـائل غير الامهرية ، وعلموهم اللغات الأجنبيـة فوجد فيهم الامبراطور الاداة التي تساعده على الرقي ببلاده فاستخدمهم فأخذت عداوتهم للدولة تخف . وتختفي بينما ظل المسلمون بمعزل عن هذا كله، فلم يتعاونوا مع هؤلاء المبشرين ولم يتعلموا عنهم، فلم يدعوا إلى خدمة الدولة في المناصب المختلفة، فاعتقدوا ان هـذا الحرمان يعود الى اسلامهم وأن الحكومة قد أخذت تعطف على من يعتنق المسيحية وتحرم غيرهم، فاذا تولى العرش الامبراطور الشاب لدج باسو حفيد منليك (١٩١٣ — ١٩١٦) ومال إلى المسلمين كل الميل، التفوا حوله حتى زوجوه بمسلمة واشاعوا أنه اعتنق الاسلام، ولم يقصروا أيضاً في استغلال هذا كله لمصلحتهم، حتى لقد دفعوا بعلمائهم إلى اختلاف نسب الاسلام له فنسبوه إلى موسى الكاظم وجعلوه الحفيد الثامن والثلاثين للنبي صلى الله عليه وسلم من ابنته فاطمة وأطلقوا على والده الرأس ميخائيل اسم محمد علي . فأثار ذلك ثائرة المسيحيين عامة والامهريين خاصة، فهبوا بقيادة الأمير تفري أين الرأس ما كونن وبارشاد المطران فدفعوا البلاد الى الثورة على هـذا الامبراطور وأجلسوا على العرش الامبراطورة زاوديتو حفيدة الامبراطور منليك (١٩١٦ — ١٩٣٢) ولم يترددوا هم أيضاً بدورهم عن اشاعة الشائعات المبالغة عن ميل الامبراطور المخلوع إلى الاسلام واستعداده لارغام شعبه على اعتناقه ولكي يضمنوا عدم تدخل الدول الأجنبية في حركتهم بل طلباً لمساعدتهم لو أمكن، كما أشاعوا عنه انه كتب إلى السلطان العثماني يعرض عليه ولاءه له باعتبـاره خليفة ، للمسلمين فلم يسع المسلمين إلا أن يبيتوا على أحقادهم انتظاراً للفرصة المواتية حتى إذا انتوى الايطاليون غزو الحبشة سنة ١٩٣٥ استغلوا هذا الشعور في المسلمين وأوهموهم أنهم ما أتوا إلا لاعادة المسلمين إلى ما يليق بهم (وبكثرتهم) من حق في حكم البلاد فكان هؤلاء عوناً للمحتل . وإذا ما نجح

الايطاليون في الاستيلاء على البلاد فقبضوا على الحكومة في مايو سنة ١٩٣٦، مالوا إلى المسلمين كل الميل وأخذوا في اعطائهم نصيباً كبيراً من المناصب التي طرد منها الامهريون وقرنوا هذا الميل بالاهتمام بالاقاليم التي تسكنها أغلبيات مسلمة كهرر وكافا وولجا، وأخذوا في انهاضها حتى تبلغ مبلغ العاصمة في التقدم ولم يكن ذلك كله إلا تنفيذاً لسياستهم التي كانت ترمي إلى القضاء على الحكم المركزي واقامة حكومات أقليمية متعددة تشعر كل منها بقوتها ولكنها تتشابه في خضوعها للممثلين، وإذا ما أخذوا في دراسة البلاد دراسات تفصيلية كأساس لعملهم فيها، طلعوا على العالم باحصائية لسكان الحبشة واجناسهم ودياناتهم، أدعوا فيها أقلية العنصر الامهري وأقلية السكان المسيحيين بالنسبة لغيرهم من العناصر والديانات .

ولقد وصلت هذه السياسة الجديدة بالايطاليين في أثناء حكمهم القصير للحبشة إلى نتيجتها الحتمية، ورضي المسلمون عنهم وعن حكومتهم . لكن لم يلبث أن عاد الامبراطور هيلا سلاسي الأول إلى العرش في مايو سنة ١٩٤١ وأخذ في اعادة الامهريين إلى سلطتهم ومناصبهم السابقة فاعتقد المسلمون أن دوراً جديداً من الاضطهاد قد بدأ في الظهور فأخذوا يصيحون والدول الأجنبية المغرضة تحاول استغلالهم كما استغلوا اخواناً لهم من قبل . ولكن الأمبراطور الحالي يعمل جاداً على القضاء على روح العداوة بين العنصرين فيرحب بهم دائماً كموظفين في الحكومة ويحرص على استقبالهم في الأعياد الرسمية وسؤالهم عن أحوالهم ويظهر العطف عليهم في مختلف المناسبات بالتبرع لهم من جيبه الخاص التبرعات الكثيرة . فعين المدرسين المسلمين في المدارس الاسلامية وأمر بتدريس القرآن والدين الاسلامي واللغة العربية في هذه المدارس بل لقد طلب من المستشار المصري لوزارة المعارف أن يضع كتاباً قومياً في منهج اللغة العربية لتدريسه بالمدارس الحبشية .

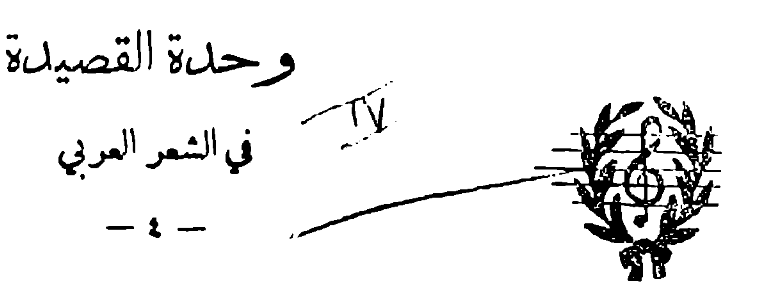
وحينئذ نستطيع إن نقول إن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في الحبشة المعاصرة قد احتفظت بطابعها الذي ورثته عن العصور الوسطى والحديثة في انها علاقات ودية إذا ما حصرت في دائرة الدين ولكنها سرعان ما تنقلب الى علاقات عدائية ممعنة في العداء إذا ما قصد استغلال الدين لتحقيق أي مطمع آخر وكانت هذه العلاقات العدائية تبلغ ذروتها إذا ما حاولت استغلالها قوة أجنبية لتحقيق مطامعها الخاصة كما فعل الاتراك مع الامام أحمد بن ابراهيم ، أو كما فعلوا بعد ذلك مع القائد نور ، أو كما فعل البرتغاليون والكاثوليك بعد عصر فاسيلاداس، أو كما فعل الايطاليون في الأيام الحديثة ، أو كما تحاول الدول الاستعمارية أن تفعل في أيامنا هذه .



وحدة القصيدة

في الشعر العربي

— ٤ —



للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

﴿رأي لناقد معاصر﴾ وهذا الناقد هو الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي مؤلف كتاب «الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث» الذي يمتاز بجدة المنهج الأدبي في النقد وفي تحليل الشعر المعاصر.

فقد عقد فصلاً في كتابه لبحث «الوحدة الشعرية» بإيجاز[1] ... وخلاصة آرائه هي :

١ — وحدة القصيدة هي الرباط الذي يضم التجربة الشعرية والصور والانفعالات والموسيقى والألفاظ في وشاح خفي أثيري .. وبهذه الوحدة يتكامل القصيد

٢ — مظاهر هذه الوحدة يتجلى في دوران أبيات القصيدة دوراناً منطقياً شعرياً. وتنقلها تنقلاً فكرياً .. وهذا الدوران المنطقي يتأتى من توفر التجربة الشعرية، وعرضها عرضاً جميلاً ، وصياغتها صياغة محكمة . فاذا اختلطت التجربة ، أورف عليها اللبس ، اضطربت الوحدة .

وتقوم الوحدة كذلك على اتجاه الصور الخيالية بالقصيدة اتجاهاً موحداً . فاذا تضاربت الصور ، وتضارب اتجاهها ، تذبذبت الوحدة . ومما يزيد الوحدة حركة وتماسكاً : حدة الانفعال الشعري ، وجمال الموسيقى المتوائمة مع معاني القصيد .

ولا يقف هيكل الوحدة عند ذلك ، بل ان للألفاظ ، وتموجاتها ، وتوافقها ، وحرية نظامها ، دخلاً كبيراً في تكوين هذا الهيكل .

وليس شك في أن وضع الكلمات في مكانها الواجب ، ونقاء الألفاظ ، ودقة اختيارها ،

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتي ص ٨٢ — ٩١ طبعة ١٩٤٨

لما يؤصل الوحدة ، ويضفي عليها رونقاً .. وقد تتقوى الوحدة بالألفاظ الطريفة الحية .. وللشخصية أثرها الخفي في بناء الوحدة .

٣ — من الظواهر الجديدة في شعر بعض شعراء الغرب المحدثين : عدم اهتمامهم بالوحدة الشعرية ؛ فهم يرونها لا ضرورة لها ، وأنها نوع من العبودية للتقاليد الكلاسيكية ، والفن كالحياة لا نظام ولا انسجام فيه .

وهـذه الآراء الجديدة في وحدة القصيدة تؤكد ما ذهبنا إليه ، وتقوي رأينا الذي فصّلناه سابقاً . . وهي ولا شك آراء قيمة جديرة بالاشادة والتسجيل [1]

﴿ الدعوة الى التجديد ﴾ وبعد فاننا قد استعرضنا موقف الشعر العربي والنقاد عامة من وحدة القصيدة ، وأبنّا رأينا بوضوح وخلاصة ما ندعو إليه :

أولاً : ضرورة أن تسود القصيدة وحدة فنية كاملة

ثانياً : وجوب التزام وحدة الموضوع في القصيدة

ثالثاً : أن تكون القصيدة كلاً لا يتجزأ ، وصورة واضحـة ساحرة ، لا يحيف عليها تشويه أو دمامة أو نقص أو غموض .

رابعاً : عمق الشعور والاحساس في التصور والتصوير

وهـذا كله هو ما أعنيه من وحدة القصيدة . . إن الطبيعة تصنع الشاعر ، والروح الالهي يوحي إليه ، كما يقول شيشرون « والشعراء من المقربين إلى الآلهـة لأن السماء أعارتهم للبشر» كما يقول أنيوس الشاعر القديم ... فليجل الشعراء هـذه المواهب الالهية التي منحوها ، وليبنوا شعرهم على الحقـائق الخالدة ، وليملأوا أفقنـا الأدبي تجديداً وحياة وبعثاً وثورة . فما علة ضعف الشعر الحديث إلا ضعف ثورة النفس والشعور والعاطفة . وهذه السكينة المطمئنة في نفوسنا ، والاكتفاء باحتذاء القدامى ومعارضتهم والنسج على منوالهم ، كما يقول صاحب ثورة الأدب [2] . ولم يبلغ الشعر الأوربي نهضته إلا بعد أن ثار الشعراء في أوربا على القيود القديمة في القرن الثامن عشر ، وأعلنوا حرية الشعور وساروا به خطوات واسعة حتى بلغ الشأو الذي أدركه اليوم [3] ، وتعددت مذاهبه ، من كلاسيكية ورومانتيكية ، وواقعية ، ورمزية ، وسرياليـة ، ووجودية ، وسواها من شتى ألوان التجديد الأدبي اليقظ المثمر .

---

(١) كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ٨٢—٩١ (٢) راجع ٦٢ - ٧٢ من الكتاب
(٣) نفس المصدر ٧٣

وليس معنى هذا أننا نعيب الشعر العربي عامة ، ونزري به إزراء ، وإنما ندعو الى التجديد ، وفتح آفاق واسعة للشعر العربي تلائم حضارة القرن العشرين وتفكيره ونظراته في الحياة . إننا لا نجحد الشعر العربي القديم والحديث فضله ، بسبب خلوه أو خلو أكثره من وحدة القصيدة ، فان ذلك لو حدث لكان أقرب إلى الجحود والخطل ، ونحن نعرف أن الشعر فن ، والفنون غذاؤها الحرية التي لا تتقيد بقيد ، ونعرف أن بعض الباحثين يربطون بين نفسية الشاعر وبيئته وأثره الأدبي ، ويرون في ذلك لوناً من ألوان الوحدة الفكرية التي تربط القصيدة برباط عام . ولكنا ندعو الى الثورة الادبية ، والتحرر من القيود التي لا يلزمنا بها الأدب ولا الذوق . إننا نلح في الدعوة الى وحدة القصيدة ، ونلزم بها كل شاعر ، ونطالب النقاد بتحكيمها في نقد الشعر المعاصر .. فذلك طريق الى تهذيب الشعر ، والنهوض به واقبال الناس عليه .

إن العقلية الحديثة لم تعد تقبل هذا الاضطراب في الفكرة ، ولا الجمع بين الأغراض المتباينة من غير ضرورة ملحة ، ولا هذه الصور المشوهة التي لا تنطق عن شخصية ، وإن الذوق الأدبي أصبح لا يستسيغ النبو عن أحكام المذاهب الأدبية السليمة ، ولا التقليد الأعمى الضار ، ولا يهضم الاجمال والعموم والغموض والحيرة في الأثر الأدبي .

فلننطلق سراعاً الى ميادين التجديد في الأدب والشعر ، لبعث الحياة والمتعة والجمال فيها ؛ ولندفع الناس إلى الاستماع لقيثارة الشعر الخالدة ، التي غنى عليها الشعراء الملهمون في القديم والحديث في الشرق والغرب . وإلا فان اليوم الذي نباعد فيه بين الشعر العربي وبين ثقافتنا وروحنا وأذواقنا وما جد في ميادين الأدب من نشاط وتجديد لهو اليوم الذي نجد فيه الناس جميعاً قد آمنوا برأي أفلاطون ، من أن الشعر عمل غير جدير بمقام الذكاء البشري [1] وبرأي تولستوي وسواه ، ممن يحطون من مقام الشعر ، وينزلونه من مملكته الالهية إلى حيث النسيان والخمول [2]

والشاعر رسالته — كما يقول كارليل — أن يحمل إلى الناس رسالة الجمال ؛ ولا شيء أدعى إلى الاستمتاع العميق بهذا الجمال الذي يدعو اليه من اكتمال شخصية الشاعر وموهبته وبعده عن التقليد . وكل شيء في الوجود فهو قصيدة من قصائد الله ، والشاعر كما يقول شكري أبلغ قصائده ، فليكن داعية للتجديد وليَسمُ بأذواق الناس الى مستوى الفن الرفيع والجمال المطلق ، والابداع الذي يدنيه الى الامتاع والخلود الأدبي ، ليصل جمال الفن وجمال الموهبة وجمال الرسالة بجمال الحقائق الأدبية الخالدة .

---

(١) أصول النقد الأدبي — ترجمة الدكتور محمد عوض محمد ٧١ (٢) ... الشعر ١٧٢

الميكروبات

— ٢ —



للدكتور عبده رزق



﴿ وسائل مقاومة الجسم ضد الجراثيم ﴾ نذكر هنا في الدرجة الأولى بشرة الجلد التي تلعب ولا ريب دوراً هاماً في وقاية الجسم من معظم الجراثيم الضارة وتؤلف دون دخولها فيه سداً منيعاً . وما دامت البشرة سالمة من كل قطع أو شق أو خدش فالميكروبات المذكورة لا تقدر أن تدخل في النسج التي تحتها . ولا ينكر ان لهـذه القاعدة شواذ أحياناً اذ قد تبين فيما يختص بالعامل المرضي للداء الزهري ولعصيـة الطاعون مثلاً ان الفرك الشديد على الجلد السليم كاف لاحداث العدوى وظهور المرض .

وما تقدم ذكره عن بشرة الجلد يقال أيضاً عن الغشاء الذي يغطي تجاويف الجسم الداخلية وان لم يكن لهذا الغشاء تلك الوقاية التي لبشرة الجلد . واذا نظرنا الى تجاويف الأنف والبلعوم والمسالك التنفسية والرئتين والجهاز الهضمي الخ لانجدها مغطاة في بعض الأماكن إلا بطبقـة وحيدة ورقيقـة من الخلايا ، ومع ذلك فهي تؤلف بدورها سداً منيعاً دون دخول بعض أنواع البكتريا الضارة . وفي هـذه الحالة الأخيرة تصل البكتريا إلى الدم وإلى سوائل الجسم الأخرى وتسبب المرض .

ومن أهم ما ثبت عند المحققين في هذه الأيام ان لمصل الدم عند كثير من الحيوانات ، كما عند الانسان أيضاً ، خواص فعـالة مبيدة للجراثيم . لاننا اذا أردنا أن نزرع مثلاً المصل السائل الذي يمكننا الحصول عليه بعد تخثير كمية من الدم ، ببعض البكتيريا ، ونتتبع الطريقة التي تتصرف بها هذه الكتيريا في المصل المشار إليه نرى أن عددها ينقص جداً وبسرعة فائقة ثم يزول تماماً بعد بضع ساعات ويغدو إذ ذاك خالياً تماماً من الجراثيم الحية ، ففي مثل هذه الحالة يكون تأثير مصل الدم في البكتيريا المشار إليها كتأثير احدى المطهرات

الكيماوية المعروفة — بشرط أن يكون عدد البكتيريا التي تدخل الجسم قليلاً أو متوسطاً، أما اذا كان عددها كبيراً فلا طاقة حينئذ لمصل الدم وسوائل الجسم أن تتغلب عليها .

وهنالك أيضاً مفعول واق آخر هو من الاهمية بمكان عظيم ونعني به خلايا الدم البيض إذ بفضل شعورها وقوة حساسيتها يمكنها أن تدرك عن بعد وجود الجراثيم المرضية التي تكون قد دخلت الجسم وانتشرت في الدم فيحدث إذ ذاك قتال عنيف بين جيش الخلايا الذي يسمونه بـ « الجيش المحافظ » وبين جيش الميكروبات . فاذا كانت الخلايا صحيحة قوية وكافية لمقاومة هذه الميكروبات ، افترستها وأهلكتها وسلم الانسان من غائلتها . أما اذا كانت ضعيفة بضعف الجسد فالميكروبات المذكورة تنتصر عليها وتبيدها وتدور الدائرة على الفريق الضعيف منهما . وما الصديد الذي يحدث أحياناً في الجسم إلا جثث من كريات الدم البيض التي اندحرت أمام جيوش الميكروبات الظافرة تجاه قلة عدد هذه الكريات وضعف مقاومتها . فالطبيعة والمرض عدوان لدودان والغلبة للقوي منهما .

وامتصاص الخلايا البيض للجراثيم ثم افتراسها يكون شديداً بنوع خاص في سير كثير من الأمراض المعدية لدرجة تكون فيها الخلايا مملوءة تماماً منها فيكون ذلك دليلاً على حسن سير المرض وترجيح الشفاء ، وبخلاف ذلك تكون الحالة اذا تغلبت الجراثيم على الجسم في صراعها مع الخلايا البيض .

﴿ الجراثيم الضارة والجراثيم النافعة ﴾ عرفنا فيما تقدم ان الجراثيم أو الميكروبات تعيش فينا وحولنا وأنها كثيرة جداً لدرجة لا يمكننا حصرها ، وتحمل الامراض المختلفة وتنشرها بين البشر . ولكننا نتساءل هنا هل هذه الكائنات الحية المتناهية في الصغر تعتبر كلها أعداء للانسان وتعمل على هلاكه والفتك به ؟ الجواب على ذلك كلاّ ، اذ لو كان الامر كذلك لما بقي على سطح الأرض مخلوق واحد في مدة وجيزة وذلك لأن بينها جراثيم كثيرة مفيدة بل ضرورية لحياة البشر ويستنتج من بحوث العلماء ان أنواع الجراثيم المعروفة تقرب من الألفين : منها مئة نوع مضرة موجودة في أجسامنا وعبثاً نحاول اتلافها ، وفي طليعتها الجراثيم الموجودة في لعاب الفم كالبيتالين Pytaline الذي يساعد على تحضير الطعام للهضم . ولو حاولنا قتل الجراثيم التي في الفم باستعمال المطهرات فان الغدد اللعابية تخرج غيرها للحال ، فمن العبث تطهير الفم تطهيراً كاملاً .

فضلاً عن ذلك فالمناعة الطبيعية عند الانسان مع تحصين الجسم صناعياً تتولد

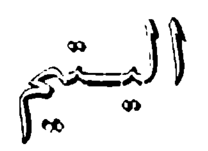
الأجسام المضادة بالطعوم واللقاحات التي تجهز من ذات الجراثيم في المعامل البكتريولوجية من أكبر الوسائل لمقاومة هـذه الجراثيم والاحتياط منها بقدر المستطاع . ويساعد أيضاً على ذلك الوسائل الأخرى التي بين أيدينا وأهمها النظافة الشخصية والعامة ، والمعيشـة الصحيـة والتهوية الحسنة والانتفاع بضوء الشمس وحرارتها . اما محوها محواً تامـاً فذلك أمر مستحيل مهما أوتينا من علم وخبرة وذكاء ، وعلينا اتخاذ الحيطة الضرورية والمعقولة للابتعاد عن أخطارها ومضارها .

ولكن بجانب اضرار الجراثيم البالغة توجد ولا ريب فوائد جمة في كثير من انواعها . فلولاها لاستحالت الحياة على الأرض . فنحن والحيوانات نعيش على النباتات ، وهـذه لا تعيش إلاّ بوجود التعفن ، وهذا لا يحصل إلاّ بالجراثيم . فلو أتلفت الجراثيم لا تحصل التغذية فيموت الناس جوعاً . .

فالجراثيم كما ترى ضرورية للحياة ، كيف لا وهي العامل الأكبر في صنع الخميرة التي لا بد منها في الخبز الذي هو أساس طعامنا ، وهي التي تجعل الجبن لذيذ المذاق ، وتجعل للخمر المعتقة ميزة على غيرها ، وهي التي تجعل اللحم الذي نأكله طريّـاً . بل هي سبب اختمار اللبن وتحويله الى لبن رائب ، وسبب النكهة التي في الزبدة اذ تنشأ فيها حامض اللبنيك . وهي التي تساعد أيضاً على هضم الطعام وتحويل بعض العصارات إلى كحول . ولها إلى ذلك كله شأن كبير في نضج الدخان لتصنع منه سجاير ، والمساعدة على تكوين الفحم والوقود النباتي وعلى صنع الكتان والجلد . والتربة الخصبة هي التي تحتوي على قدر كبير من الجراثيم لأن هذه تحدث انحلال الأجسام في الطبيعـة وتحولها إلى عناصر بسيطة وبذلك تساعد النباتات على تحضير أغذية ضرورية ومفيدة لنموها فنحصل على محصولات مختلفة وافرة من هذه النباتات .

ولا بد من التنويه أخيراً ان في امعاء الانسان مستعمرات كثيرة من الجراثيم لا يصيبه منها أي ضرر ولا تهاجمـه أو تؤذيه في أغلب الأحيان — إلاّ إذا ساءت صحتـه وانحطت قوته وضعفت المناعة البدنية عنده .





اليتيم

للأستاذ حسن جاد حسن

زفرات هذا القيظ من زفراته ... ودموع هذا الغيم من عبراته
ضاق النهار أسى بحمل همومه ... وانشق صدر الليل من أناته
حار تكشف للخطوب فلا أب ... يحنو ولا أم طوت سوءاته
لله واهي الخفق بين ضلوعه ... زادت كوارثه على دقاته
أسوان تدرك شجوه من صوته ... وتحس ذل اليتم من نبراته
وأخو محيا كالخضم مغضن ... يطوي الشحوب أساه في طياته
خط الشقاء عليه قصة يتمه ... إن تلقه تعرفه من قسماته
وطريد كون ضل في آفاقه ... نجميهما – إن سار – من غاياته
وإذا أقام فما يفيء إلى حمى ... يحنو على المشبوب من لوعاته
حمل الفوادح رأسه، ما ضمه ... صدر يلم الشعث من أشتاته
ومشى يئن فما أقالته يد ... مسحت على المكدود من شعراته
عقمت أمانيه ولكن دهره ... أعيا مناكبه بعبء بناته
وارحمتاه لليتيم ومن يصب ... في والديه فيا شقاء حياته

◆

كم حسرة قد أورثتها نظرة ... لمنى الطفولة في وجوه لداته
ويرى البشاشة في مواكب لهوهم ... فيذوق طعم الموت قبل مماته

يا رب طفل صاح منهم : يا أبي — فيكاد يصعقه صدى صيحاته
أو صاح : يا أمي فكانت هتفة — تنشق منها النفس عن حسراته
وكأنه من دهرم تقطيبة — لعبوسه تبدو على صفحاته
وهو أغاريد الحياة شدت بها — شفة الربيع الطلق في بسماته
إن ساجلوه الشدو في أفراحهم — غنى من الأشجان في آهاته
أو رام تنغيم السرور له فم — ماتت أغاني البشر فوق لهاته
أبداً تغالبه الدموع كأنها — خلقت من الأجفان في حدقاته

◆

وإذا أهلَّ العيد في آفاقه — وأشاع في الدنيا سنا بهجاته
وتسابق الأطفال فيه مواكباً — نشوى سقاها العيد من نشواته
وعلى جسومهمو جديد ثيابه — وعلى وجوههمو سنى لمحاته
أبصرتَ مطويًّا على أسماله — يطوي الضلوع أسى على جمراته
حيران ينظرهم فيرجع باكياً — متعثراً في الذل من خطواته
العيد يملأ كأسهم من شهده — ويصب مر الصاب في كاساته
ما العيد للمحزون إلا لوعة — تضني ، وتجديد لظلم حياته
ذكرى لآلام اليتيم مريرة — يعيا بها فيتيه في غمراته

◆

من لليتيم يحوطه برعاية — ويقيله في العيش من عثراته
شدوا عزائمه فرب إساءة — للدهر صارت بعدُ من حسناته
واحموا مواهبه يجئكم في غد — بالمعجزات الغر من آياته
إن الذي خلق النبوغ مواهباً — قد صيّر الأغفال من آفاته
ولربما نهض اليتيم بقومه — وأطلت الآمال من راياته
اليتم أنجب للزمان (محمداً) — فمحا دجاه وكان خير هداته

الفن في العلم والفلسفة

في رأي العلاّمة هافلوك إليس



للأستاذ إميل توفيق

﴿ سقراط ﴾ : أما الصورة الاخرى التي تتهادى أمامنا من خلال التاريخ ، والتي كان لها فضل الاشتراك مع فيثاغورس في وضع أسس الفلسفة والعلم ، والتي بتأثيرها جعلت للفلسفة هيمنة خاصة في العالم ، فهي صورة سقراط الأفلاطوني ، أو أفلاطون السقراطي .

نحن أمام فيلسوف ، ان لم نقل أمام عالم تميز أيضاً بالفن . بل كان فناناً مبرزاً . ونحن اذ نواجه أسطورة سقراط نجدها تجلو لنا شخصية انسانية أعظم جلاء ولكن الفارق بينه وبين فيثاغورس أن صورة الأول ما كان يمكن أن يجلوها لنا التاريخ ان لم تكن قد تكررت في صورة ثانية هي شخصية أفلاطون في حين أن فيثاغورس ما تزال صورته واضحة المعالم كبطل تاريخي فذ ذلك أن كثيرين يعتقدون أن صورة سقراط التاريخية صورة معتمة قاتمة ولولا أنه نحا نحوه أفلاطون لكان من المؤكد أن تطمس معالم تلك الصورة بغشاء مظلم من النسيان . ولكان من النادر حقاً أن يذكر له اسم أو يعرف له فكر . فأفلاطون قد بعث بسقراط الى عالم التاريخ كفيلسوف مؤثر – ولا تزال مشكلة الأسطورة السقراطية موضع بحث المفكرين والناقدين وهيهات أن ينتهوا منه . ونحن لا يمكننا بحال من الأحوال أن ننظر الى هذه المشكلة نظرة سريعة ، أو نلقي بها جانباً دون أن نفهم أنها موضوع هام يمس الى حد كبير تاريخ الفن ومشكلاته .

ولقد نقرأ عن تاريخ اليونان القديم في أحد الكتب القياسية العظيمة مثل كتاب جروت (Grote) فتجد فصلاً كاملاً كتب عن سقراط . ولكنك مع ذلك لا تلقى شيئاً ينصب على النظرة الانسانية حيال هذا الفيلسوف ، فلا يظهر المؤرخ نوعاً من التبرير أو الاعتذار أو التأنيب . وهكذا يكتب التاريخ بل هكذا يدرس التاريخ .. أحداث تمر ، فتسجل ، فتدرس ، مثلما تمر أمام أعيننا البديهيات !

قليل هم الذين يفحصون الوثائق التاريخية بنظرة عقلية ، ناقدة محللة ، ولو أنك فحصت ذلك الفصل عن سقراط بتلك النظرة لألفيت أن حياة الرجل بدأت تنكشف للناس في التاريخ بعد أن ظهر أفلاطون بنصف قرن من الزمان ، بل ان هناك من يؤيد القول بأن حياة أفلاطون نفسها لم تعرف على أكمل صورة ، فلم تكتب سيرته إلا بعد مضى أربعمائة عام على وفاته .

ويبدو أن الصورة التي تتكون لدينا الآن عن سقراط تتألف من هؤلاء الذين تأثروا به أعمق تأثير وهؤلاء هم زينوفون ، وأفلاطون ، وجماعة الروائيين المسرحيين The Dramatists وعلى رغم أن زينوفون ، وهو الفيلسوف الذي أعاد ذكرى سقراط ، في نهجه وطريقته لم تكن لحياته الفلسفية قيمة يعتد بها ، فانه قد أبان أن سقراط مدرسة تدريبية لعلوم البلاغة واللغويات . وأن هذه المدرسة كانت للتعليم والارشاد . ومع ذلك فكثير من الباحثين في تاريخ زينوفون يؤيدون أن تلك الصورة إن هي إلا صورة تخيلية ليس إلا .

أما عن أفلاطون فمن المعتقد أنه كان يستوحي طريقة سقراط ، ولكن مدرسته كانت تختلف في نتائجها اذ تبعه جماعة من الفلاسفة الشعراء الذين ألهموا فناً رائعاً . ولقد كان أفلاطون متميزاً بذلك العنصر الذي اختلف فيه عن غيره وهو عنصر الاخفاء وعدم المصارحة أو المجاهرة . اذ كان أستاذاً عظيماً في التهكم اللاذع ويقول جمبرز (Gomperz) إن المعنى الأساسي للتهكم ما هو إلا اللذة في الاخفاء واشاعة الحيرة . ولم تكن هذه الصفة إلا صفة من صفات عقل نشيط دوار .

على أن بحاث اليوم يرون أن جماعة الروائيين المسرحيين هم الذين يعدون صورة سقراط بمعالمها البارزة ، ويشيعون فيها تاريخاً حياً . فان الأثر الذي أحدثه سقراط على المسرح لأبلغ عمقاً مما أحدثه بين علماء البلاغة واللغة ، وذلك لأن التمثيل كان أقرب اتصالاً بأسباب الحياة ، وأشد تلمساً الى دخائلها . وأبعد نفوراً الى أعماقها . ونحن نتمثل سقراط في هؤلاء المسرحيين مغايراً تمام التغاير لسقراط الأفلاطوني — وسقراط الزينوفوني ؛ انما هو على المسرح واحد من عامة السفسطائيين ، أو واحد من أتباع ديوجين العاديين ، ولكنه مع ذلك كانت شخصيته مبرزة في قوة رائعة تستطيع أن تهز عامة الشعب هزاً عنيفاً ، وأن تسبي أفكارهم وأن تسلب ألبابهم حتى لقد كانوا يحسبون تلك الشخصية المؤثرة شخصية ساحرة متميزة .

لقد كانت صورة أصلية ، تضمنت نقطة التحول للفلسفة — ولكنها تضمنت كذلك

احتمالات مثمرة شتى ، ولا شك أننا نجد بطل المسرح الدراما يتخذ من حقائق الحياة فلسفة لأغراضه الذاتية .

﴿ شيدلي ﴾ ولعلني اذ أقرب الطريقة التي كان يتبعها سقراط ، أجدني ميّالاً إلى التفكير في حيـاة المفكر الاسترالي « شيدلي » (Chidley) . هو رجل من الحواريين المتهكمين ، وكان تهكمه لاذعاً قاسياً . وهو من أندر المفكرين الذين ظهروا في أستراليا ، مع أنه لم يكن في الأصل أسترالياً ، لكنه قضى حياته فيها . كان مدمناً ، ومثل معظم الفلاسفـة كان جهازه العصبي معتلاً مع أنه كان يتميز بقوام عفيّ معتدل . ولقد كان في فجر حياته معرضاً لأسوأ الظروف وأقساها التي جعلته يخضع لها ويستسلم لسلطانها .. لكنه استطاع في ألم وتؤدة أن يسيطر عليها على مر الزمن بفلسفته وحكمته . وقد عرفت عنه عثرات كثيرة ، وسقطات حادة مثلما عرف عن أوغسطين (Augestine) ويوحنا بنيان(Bunyan) وجان جاك روسو . لكن عاطفة الرجل كانت عاطفة انسانية نبيلة فيها ثبات تقشفي ، وفيها نقاء خلقي . وقد استطاع الرجل أن يتعرف على الفلسفات الانسانية التي قرأ عنها ، فالتهمها إلتهاماً . ولكن فلسفته كانت — بتعبير يوناني — فلسفة تنصب على طريقة الحياة ، لا على مجرد آراء أو ظنون . أي كانت رؤية جديدة لهذا الكون ولهذه الحياة الانسانية في سذاجتها وفي ادراكها كوحدة كلية .

كانت فلسفة جديدة ، مع ما كان يشوبها من طرق تخيلية فائقة الحد — لأنها تميزت بايمان وتكريس جادين ، يحملان معهما اقناعاً لكل من يرى رأيه . ولقد كان يرى في شوارع سيدني يباحث الناس بفطنـة حادة وايمان مشوق وحديث جـذاب ، واذا كان قد أقنع القليل بآرائه فقد أثر في الكثيرين تأثيراً بالغاً . وحرك أفكارهم في قوة عظيمة .

وكان حظه بائساً ، فكم كان يضايقه البوليس مضايقـات شتى ويطارده مطاردات متواصلة ، بحجة أنه كان يتعدى حدود اللياقة في الشوارع . لكنـه ظل مع ذلك مثابراً على خطته ، فلما لم يجدوا لهم حجة ألقوه في مستشفى المجاذيب مرات عديدة . ومن خطأ المجتمع أنه يحكم حكماً قاطعاً ، فمن جاوز حدود الاحترام واللياقة عدوه اما مجرماً أو مخبولاً .. ولكن المجتمع لا يلقي بالاً للفيلسوف .. فعصرنا اليوم لا يقر الفلسفة إلا على أنها شكل فكري لا أثر للحياة فيها .. وهكذا عده الناس مخبولاً ، فجهزوا فراش موته وسقوه من الكأس حتى الثمالة . وكأنما كان تصرفهم معه رمزاً مسرحياً لاعدامه كما حدث في اثينا من قبل . ولو أن سيدني كان بها أفلاطون لحفت حياة شيدلي بظلال متمايزة في

التاريخ الحديث . وخلقت منه خشونته وتقلب أحواله ، انساناً متعمقاً في الروح ، ومتغوراً في المعاني الغامضة ، ولصار قلبه ينطق بالحق مفصحاً مبيناً ، ولصار أحد شهداء الفلسفة وأحد قديسيها .

﴿ خاتمة ﴾ والآن اذا لم تكن لسقراط صورة واضحة مهمة في حقيقتها ، فلعل شيئاً واحداً هو الذي أشاع فيها هذه الظلال البارزة وأفاض عليها هذه الأثواب الرائعة ، وهذا الشيء الواحد هو الفن . إنها يد الفنان التي صاغت لنا رسمه على أجمل ما تصاغ الرسوم . وهذا يقال عن أفلاطون الذي صار علم الفلسفة الخفاق للمدنية الاوربية بفضل الفن . وعلى ذلك فنحن اذا تصفحنا تاريخ أوربا الروحي ألفيناه يتكون من تاريخ شهيدين عظيمين : شهيد الفلسفة وشهيد الدين — وهو التاريخ الذي استقر على خيال البشرية وفيها فبعث في هذين الشهيدين نسمات الحياة وأبهاء الخلود ، في قلوب الملايين من البشر . فبينما نرى في الشهيد الأول مفكراً ناضجاً في طليعة المفكرين الاوروبيين ، نلمح الشهيد الثاني بين طبقة من عامة الشعب يقودها نحو الخير ، واذا هي تنمو نموه وتسلك مسلكه ببواعث لاشعوري ، يفوق بواعث الذكاء المدركة . وكل منهما على أي حال قد حمل رسالة خالدة للبشر ، وانما التقت الرسالتان في فكرة خالدة كذلك ، وهي أن النفس البشرية لا لاتحيا إلا بالفن ولا يحكمها إلا الفن ، فهو العنصر الأوحد الذي يستطيع أن يحل الاضطرابات الفلسفية المتشابكة .

ففي الفن نرى فلسفة الحقائق (Realism) ، أو فلسفة اكتشاف حقائق الاشياء ، جنباً إلى جنب مع الفلسفة المثالية (Idealism) ، أو فلسفة خلق الأشياء . فالفن هو النغمة التي تولد الانسجام والتآلف بين هذين المصارعين ، وليس أبلغ رمزاً لروعة الفن وجلاله من حياة هذين الشهيدين العظيمين في تاريخ أوربا الروحي ؛ شهيد الفلسفة وشهيد الدين : سقراط ويسوع المسيح .

ولقد بذّ أفلاطون أستاذه سقراط ، اذ لم يكن من هو أعمق فناً أو أقدر على المسرحية الشعرية من أفلاطون ولعل الفلاسفة من بعده يقرون تلكما العظمة والقدرة اذ يقرون أن اتجاههما الفلسفي كان مشرباً بالفن ، مشبعاً بالشعر فجاء مماثلاً لاتجاه أفلاطون .

ويقول تشيلنج (Schelling) : « لست أدري لماذا نرى الحاسة الفلسفية أكثر اشاعة ، وأوسع انتشاراً من قرينتها الحاسة الشعرية » وهو اذ يبدي دهشته بهذا السؤال، يشير الى اعتباره هاتين الحاستين على نفس المستوى وذات الطبقة من الحياة الشعورية

ويذكر لانج (F. A. Lange) في كتابه تاريخ المادية (History of Materialism) أن الحاسة الفلسفية إن هي إلا فن شعري

وبهذا المعنى يذهب أحد المعاصرين من رجال الفكر الذين يتفهمون فلسفات الشرق الدينية ، حين يقول : « إن الفلسفة هي الفن الخالص » فان المفكر يعمل بقوانين الفكر ، وبالحقائق العلمية تماماً ، بنفس الروح التي يعمل بها الموسيقي بأنغامه ؛ اذ عليه أن يجد العلاقات الوثيقة ، والروابط المحكمة ، والنتائج المتتابعة في سياق منسق منتظم ، في محيط الفكر أو الحقائق العلمية . وهو يوثق الجزء بالكل في علاقة واضحة بيّنة ؛ وانما لا تتم هذه العملية مطلقاً بغير هذا العنصر الرئيسي الذي يلزمها وهو عنصر الفن .

ويؤيد برجسون (Henri Bergson) الفيلسوف الفرنسي هذه الفكرة اذ يعتبر الفلسفة فنّاً ، كما أن كروتشي (Croce) ذلك الفيلسوف الايطالي الذي يعد أكثر من منافس لبرجسون رغم اتصالهما الفكري الوثيق .. يكتب عن الفلسفة فيقول : إننا لا نقرؤها لما تتضمنه من حقائق تاريخية بقدر ما نقرؤها من أجل ما تنطوي عليها من حقائق شعرية .

◆

على أن فكرة كروتشي عما تتضمنه الفلسفة من فن ليست بالفكرة التي يعسّرونها بمثل هذه السهولة وهذا اليسر . اذ هو يعتبر أن الجمال أو الشعور الجمالي يدخل في الفلسفة ، في حين أنه لا يعتبر الفلسفة نفسها فنّاً . انما الفن لديه هو الطبقة الأولى ، بل الطبقة الأساسية من العقل التي تتراكم فوقها الطبقات الأخرى متحدة بها ملتحمة فيها .

فالفن هو أول درجة للفلسفه ، لا من حيث القيمة بل من حيث الترتيب . أو كما يقول في موضوع آخر : إن الفن هو العنصر المتغور في مناحي حياتنا النظرية — أي هو بمثابة الجذر لشجرة الحياة ، وبدون الجذر لا تنمو أزهار ولا أثمار ، ولكن الفن نفسه ليس هو الأزهار وليس هو الأثمار .

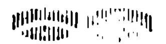
على أن تفسير كروتشي هـذا يجعل أمر أدراك الكليات أو الحقائق المجردة العقلية ، قاصراً على العقل أولاً . أو الافعال الفكرية ، قبل أن يتناولها الفن حيث تكمل حقائقها الفلسفية . ولقد يبدو هذا الامر عسيراً ، حين يعطي كروتشي للفكر آماداً بعيدة للانتشار والتمدد مع افتراض وجوب التفكير في المحسوسات أو الملموسات . ذلك أن هذا التفكير سيصطدم حتماً بدوائر التعبير وهي الدوائر التي تنتمي إلى الشعور أو الوجدان ، أي تنتمي إلى الفن .

ومهما يكن من أمر ، فليس هناك شك اذن في حقيقة العلاقة التي تربط الفن بالفلسفة رباط وثيق متين — وهي العلاقة التي تؤيدها الفلسفتان المصطرعتان في يومنا هـذا — فلسفة المادة ، وفلسفة الروح .

وإذ نرجع قليلاً إلى أواخـر القرن المـاضي لنقرأ ما كتبه السيد ليزلي ستيفن (Leslie Stephen) إلى اللورد مورلي (Lord Morly) .. فإننا نجده يقول : « انني أعتقد أن الفلسفة تتألف من الشعر أكثر مما تتألف من المنطق ، كما أومن بأن القيمة الحقيقية لكل من الشعر والفلسفة لا تكمن في سياق التعليل المنطقي — بل هي تكمن حقيقة في القالب الذي يصاغ به رأي من الآراء في الحياة — أو الشكل الذي تظهر به وجهة من النظر معينة » .

◆

ويكتب جيمس هنتون (James Hinton) أحد المفكرين الأفذاذ فصولاً عن فن التفكير فيقول « إن التفكير فن عظيم — بل هو أعظم الفنون جميعاً وما المفكرون إلا هؤلاء الذين وهبوا موهبة فنية رائعة ، وليس الفن إلا القدرة على التخيل ، رؤية الأشياء التي لا ترى ، والقدرة على أن نخرج أنفسنا خارج الدائرة التي نتأملها ، والقدرة على أن نضع أنفسنا في مواضع نسبية ، أي بالنسبة الى الأشياء الأخري الـكائنة في الكون — فنشعر ونعبّر ونخلق — فقدرة التخيل هذه هي أهم الخصائص التي يتصف بها الانسان المفكر ، هي قدرة الفن .



ما يهمك أن تعرف عنه : —

العناصر المعدنية

ماهيتها وخواصها في جسم الانسان

— ٤ —

للأستاذ اسبيرو جبري

كلورور الصوديوم

« أنتم ملح الارض فاذا فسد
الملح فبماذا يملح » الانجيل كريم

﴿ ملح الطعام ﴾ في جسم الانسان كثير من العناصر المعدنية كالحديد والكلسيوم والصوديوم ، ولكن الانسان لا يستطيع أن يتناول هذه العناصر من الأرض مباشرة ويركبها في جسمه ، بل يضطر الى أن يتناولها من النبات أو من لحم الحيوان الذي تناولها أصلاً من النبات. فان النبات يتناول هذه العناصر من الأرض ويركبها في جسمه ويجعلها في حالة صالحة للدخول في جسم الحيوان . ولا يستثنى ملح الطعام من ذلك ، لأننا اذا أكلناه لا تحله أجسامنا ولا تركبه ، بل يبقى فيها على حاله كما لو أكلنا الحديد أو الكلسيوم .

ومن المؤكد أنه ليس بين المواد المعدنية مادة يأكلها الناس بشراهة مثل الملح ، ويظهر أن البشر كلما تقدموا في الحضارة احتاجوا إلى ملح أكثر في طعامهم . ويقال إن الانسان بدأ باستعمال الملح في جميع مواده الغذائية منذ العصر الحجري ، وانه اعتاد يومئذ أن يلعق الصخور التي يتبلور عليها الملح، قبل أن يعرف بأنه عنصر من عناصر جسمه . فقد وجدوا الملح بقرب جميع الأماكن التي قطنها الانسان قديماً، أو حيث كان يستطيع أن يصل إليه بلا مشقة كبيرة .

والحيوان مثل الانسان في ذلك فان معظم الحيوانات الداجنة مولعة به ، وكذلك بعض الطيور وآكلة العشب تحبأ كله سواء كانت مستأنسة أو برية بنوع خاص. والحيوانات التي لا تحصل على مقدار منه في غذائها تسعى لتعويض هذا النقص بطريقة ما [١] وذلك ما نلاحظه في عادات الحيوانات آكلة العشب Herbivora لأنها تعيش على الخضر الغنية بأملاح البوتاسيوم . فالجاموس مثلاً يقطع أميالاً ليلعق جسماً ملحاً ، والبقر والغنم والمعز اذا أريد تسمينها أضيف إلى علفها شيء من الملح ، فضلاً عن أن لبنها يصبح غزيراً مغذياً ولحمها لذيذ الطعم ويعرف ذلك من يربون هذه الحيوانات .

أما الحيوانات آكلة اللحوم Carnivora فانها تحصل على المقدار اللازم لها من ملح الطعام مما تفترسه وتتغذى به من لحوم الحيوانات الأخرى .

وإذا نقص ملح الطعام في غذاء الحيوان مدة طويلة ، أدى ذلك إلى ضعف عام في صحته وإلى فقر الدم ، وحدوث بعض الاورام والانتفاخات في أجزاء معينة من الجسم .

﴿ تركيبه ﴾ وملح الطعام مركب من عنصري الكلور والصوديوم ولذلك يسمى في اصطلاح الكيمائيين بكلورور الصوديوم. وهذان العنصران يختلفان كل الاختلاف عن مركبهما . فالاول غاز سام خانق . والثاني معدن شديد الألفة بالاكسجين حتى اذا وضع في الفم التهب باتحاده بهذا العنصر. على أن مركبهما من أصلح المواد وهذا من غرائب الطبيعة .

وملح الطعام مادة متبلورة بيضاء ذات طعم ملح لا تعافه النفس ، وهو يذوب في الماء البارد والساخن على السواء ولا يتحلل بالحرارة . ويستخدم في كثير من الأغراض الصناعية المهمة مثل صناعة الصابون وتحضير الكلور والصودا الكاوية وصودا الغسيل وحفظ الجلود ودباغتها واللحوم والسمك .

وهو موجود في كل مكان ، فقد جادت به الطبيعة بلا حساب . فهو يوجد في ممالك الحيوان والنبات والجماد، وفي مياه جميع البحار والمحيطات ، مذاباً بنسبة حوالي ٣ر٥ ٪ ويختلف هذا المعدل باختلاف أقاليم البحار إذ انها في البحر الميت تصل نحو ٢٧ ٪ مما يجعل كثافة المياه كبيرة فلا يغرق فيها انسان . كما يوجد في بعض الرواسب الأرضية ، وفي جوف الأرض في جهات مختلفة ، ويعرف المستخرج منها باسم الملح الصخري Rock Salt ويكون على شكل بلورات مكعبة

(١) كتاب الاغذية للاستاذ حسن عبد السلام

﴿ الملح في الجسم ﴾ يبلغ ما يحويه الجسم من الملح بحسب الاختبارات الحديثة نحو ٢٠٠ جرام موزعة [١] كما يلي : —

٧ جرامات في كل ألف من الدم ـ ونحو جرام في العضلات الطرية ـ و ٧ر١ في الكبد . أما العظام فخالية منه ، بعكس الغضاريف التي تحوي مقداراً وافراً .

﴿ وظيفته ﴾ وملح الطعام ضروري جدًّا لجسم الانسان والحيوان ففي كل يوم يدخل الجسم مقادير بنسبة ٥ر١٢ جم بوساطة ما يتناوله الانسان من الغذاء ، وبدونه لا نستمرئ الطعام ، ولا تستسيغه حلوقنا ، ولا يلذ العيش بدونه . وقد يستغنى الانسان عن كثير من أنواع الطعام والشراب ، أما الملح فلا يمكنه الاستغناء عنه . فهو مادة جوهرية لاصلاح طعامه وتطييب مأكله ، ولأن الحرمان منه يسبب اضطرابات صحية وأمراضاً جسيمة [٢] فهو أولاً — عنصر مهم في تكوين البنية . وثانياً — إننا نفرز منه كميات كبيرة مع البول والعرق ومفرزات الغدد . فالبول يقذف منه يوميًّا نحو ١٣ جراماً (وهذا الرقم يهبط وقت وجود الحمى) ، والعرق يفرز جرامين في كل ٢٤ ساعة ، واللعاب نحو جرام واحد . وهذه لا مندوحة عن تعويضها . ويتحلل ملح الطعام في المعدة ليتكوّن من ذلك حمض الكلوريدريك وهو العنصر المهم في عملية الهضم بالمعدة . وهو يعمل على حفظ الضغط الانتشاري « الأسموزي » Osmotic pressure في معدّل معيّن ، كما انه يعدّل سرعة انتشار السوائل في جميع أجزاء الجسم . فاذا قلّ مقدار ملح الطعام المذاب في السائل الدموي عن حدٍّ معيّن . فان الأعضاء وألياف العضلات وكرات الدم الحمر تمتص الماء من الدم [٣]

أما اذا زاد الملح في الدم على المقدار الطبيعي قلّت فيه الكريات الحمر وسبّب، تيبس الأعضاء المذكورة لحد ما، نتيجة خروج الماء من النسج ، ولذلك يكثر فقر الدم في الذين يكثرون من تناول الملح .

ولا بدّ من حفظ تركيب الدم والخلايا والسائل الليمفاوي في الجسم عند معدّل ثابت . لأن زيادة مقدار الملح الذي يدخل الجسم تستدعي زيادة مقدار الماء اللازم وجوده في هذا الجسم ويتبع ذلك العطش وقد ظهر أن الافراط في تناول الملح يحدث ضعفاً في البصر أو يسبب العمى الفجائي . وللغلوكوما علاقة شديدة بانحراف وظيفة

(١) كتاب المنتخبات الطبية والصحية للدكتور عبده رزق (٢) كتاب على هامش الطب للدكتور سليمان عزمي باشا (٣) كتاب ذخيرة العطار للاستاذ حسن عبد السلام

الكليتين ، ولهاتين الآفتين علاقة شديدة بالافراط في تناول الملح .

ولا يخفى ان الذين يأكلون الأطعمة الكثيرة الملح يعطشون عطشاً شديداً ويكثرون من شرب الماء . وذلك لأن الملح يهيّج أعصابهم فتطلب الماء الكثير لغسلها منه .

والاكثار من شرب الماء يضعف وظيفة الدم ، فلا يعود قادراً على مقاومة ميكروبات الأمراض التي يقاومها وهو في حالته الطبيعية .

وظهر بالتجربة ان الذي يكتفي بما في طعامه من الملح يشرب في السنة نحو ٧٠ رطلاً من الماء، والذي يضيف الى طعامه كمية قليلة من الملح يشرب في السنة ٧٠٠ رطل من المـاء ، والذي يفرط في اضافة الملح يشرب في سنته نحو ٥٥٠٠ رطل من الماء

ومتى أفرط الانسان في شرب الماء صار عرضة للروماتزم والنقرس والنزيف والتهاب الشعب وأمراض المثانة . واذا أكثر من الملح ولم يفرط في استعماله صار عرضة للنورالجيا . وقد ثبت بالتجربة ان أكثر من نصف المواد الجامدة في عرق المصابين بالروماتزم هي من ملح الطعام . وان أكثر المصابين بالأمراض العصبية هم من الذين يكثرون من تناول الملح ، لأن الملح يهيج أعصابهم .

ومن الآفات التي تصيب المفرطين في تناول الملح تكوّن الأكياس المائية تحت العينين ، وضخامة الأجفان والصلع الباكر . واذا كان الشخص نحيفاً شحب لونه وكثرت غضونه ، واذا كان سميناً زاد احمرار وجنتيه ولازمهما الاحمرار مع الاحتقان .

وليس الغرض مما تقدم أن يمتنع الانسان عن الملح بتاتاً ، بل أن يكتفي بما في مواد الطعام منه ، أو يضيف إليه ما يكفي لاصلاح طعمـه فقط . أما الذين اعتادوا تناول الأطعمة الملحة منذ صغرهم، فان أجسامهم تتدرب على التخلص من الملح الزائد على حاجتها ، ولكن اذا لم يكن الجسم معتاداً الملح الكثير في طعامه ، فالاكثار منه يضر حتماً .

وهناك شواهد كثيرة على ان بعض النـاس لم يكن يتنـاول الملح في طعامه . فقد ذكر المؤرخ الروماني سالست Sallust (٨٦—٣٥ ق. م.) ان أهالي نوميديا Numidia كانوا يقتاتون باللبن ولحوم الحيوانات البرية ولم يتناولوا الملح ولا غيره مما يسيغ الطعام ويفتح الشهية . ويقال إن كلمة الملح في لغة أهالي فنلندا مشتقة من الأصل الهندي الاوربي، فاذا صحّ ذلك كان دليلاً على أن أهالي فنلندا لم يعرفوا الملح قبل اختلاطهم بالصقالبة ، وعنهم أخذوا الملح واسمه . وقد ورد في قصائد هوميروس المعروفة بالأوديسيـه ان

العرّاف تيريسياس أمر هوليس بالسفر حتى يصيب قوماً لا يعرفون البحر ولا يأكلون لحماً مملحاً

﴿ الملح في التاريخ ﴾ يذكر لنا المؤرخ الروماني كورنليوس طاشيتوس Cornelius Tacitus (٥٤ — ١٢٠) للميلاد ان حرباً طاحنة قامت بين قبيلتين في أواخر القرن الاول للميلاد طمعاً في امتلاك نهر يتولد منه الملح اعتقاداً منهما ان السماء قريبة منه وانه خير مكان لرفع أدعيتهم وابتهالاتهم الى الآلهة وكانوا يستخرجون الملح من مائه بصب الماء على حزمة حطب مشتعلة فكان الملح يرسب على الأرض. والسبب في تقديسهم ماء النهر اعتقادهم ان الملح من مولدات البحر فاذا تولد من غيره كان ذلك بتوسط الآلهة.

وذكر أبولنيوس Apollonius of Tyana العالم الطبيعي الروماني الذي هلك في انفجار بركان فيزوف سنة ٩٧ للميلاد أموراً كثيرة على الملح في كتابه « التاريخ الطبيعي » وعدّد الأماكن التي كانوا يستخرجونه منها في زمانه وكيفية استخراجه.

وكان الرومانيون يعدون الملح قوام الحياة فتحافظ كل عائلة منهم على المملحة اعتقاداً منهم أنها مقدسة. وعليه قال هوراس الشاعر الروماني في احدى قصائده « إن الرجل المتمتع بالحياة هو الرجل الذي تلمع مملحة أبيه على مائدته » وقال في موضع آخر يخاطب رجلاً من أتباع أبيقور [1] Epicure صاحب المذهب المشهور « لنأكل ولنشرب لأننا غداً نموت » : (إن الخبز والملح يسدّان جوع معدتك الفارغة فخير لك أن تنبذ اللحوم الفاخرة).

والمالحة دليل الوداد وحسن الضيافة عند القدماء والمتأخرين. ولا تزال قبائل العقالبة تكرم الضيوف بتقديم الملح والخبز إليهم. والعربي يستحلف خصمه بالخبز والملح اللذين بينهما إذا اختلفا على شأن من الشؤون. ومن النصائح القديمة قولهم « قبلما تصطنع صديقاً كلْ معه كيلاً من الملح » وقد ذكرها أرسطو وشيشرون في كتاباتهما. وورد في سفر العدد ذكر الملح بين التقدمات التي كانت تقدم إلى الله عند ابرام العهود والمواثيق.

(١) أبيقور فيلسوف يوناني ولد سنة ٣٤٢ ق. م في جزيرة ساموس وتوفي سنة ٢٧٠ ق. م وكان أساس فلسفته أن يسعى الانسان للحصول على أكثر ما يمكن من اللذات غير أنه كان يريد بذلك لذات العقل والفضيلة ولذلك قال فنلون إن الناس أولوا تعاليمه تأويلا فاسداً ورموه بما هو براء منه ومع ذلك فقد صارت كلمة أبيقوري عند الافرنج لكل من يميل الى اللذات الحية والشهوات الخسيسة.

كقوله : — « ذلك عهد ملح مدى الدهر أمام الرب لك ولنسلك معك [١] »

وكان بعض القدماء ـ كبني اسرائيل ـ يضيفون الملح إلى ذبائحهم التي يتقربون بها للآلهة كما نص عليه سفر اللاويين [٢] حيث يقول « وكل قربان من تقادمك بالملح تملحه ولا تخل تقدمتك من ملح عهد الهك على جميع قرابينك تقرب ملحاً »

وكان الرومانيون يعدون الملح ضرورياً لجيوشهم فكانوا يقدمون إلى كل جندي جراية خصوصية منه أو مالاً يشتري الملح به لنفسه ، وفعلوا مثل ذلك مع موظفي الحكومة الذين يرسلونهم في أشغال خاصة . ثم لما صار الحصول على الملح سهلاً استبدلوا به الدرهم ونقدوهم اياه . ومن ذلك اشتقت لفظة « سلري » Salary في اللغات الأوربية ومعناها راتب أو ماهية

ويكثر وجود الملح في أماكن عديدة من شمال أفريقية على بعد من الساحل . وقد ذكر المسيو ديبوى في كتابه «غرائب تمبكتو» أن الملح ذوقيمة عظيمة في تلك الجهات مع كثرته وقال إن الأهالي يتخذون حجارته لبناء منازلهم لا لقلة الحجارة عندهم ولكن لأن هذه أسهل نحتاً ولا خوف عليها من الذوبان لقلة الأمطار هناك .

وقد كانت بلاد شمال أفريقية منذ القدم مستودعاً كبيراً للملح . قال هيرودوتس « وعلى سفر عشرة أيام من طيبة كتل كبيرة من الملح على التلال وفي رؤوس تلك التلال تنفجر عيون الماء الملح . ويقطن تلك البقعة قوم يسمون بالأمونيين وعندهم هيكل جوبتر آمون المشهور . والواحة التي هناك كانت فيما غبر قعر بحيرة من الماء الملح ولا يزال فيها ينابيع الماء الملح إلى الآن » والمرجح ان العقار المعروف عند أهل الكيمياء باسم « ملح الأمونيا» أو ملح النشادر مأخوذ اسمه من اسم البقعة أمون المذكورة آنفاً ، لأنه وجد على حالته الطبيعية هناك .

﴿ضريبة الملح﴾ وليس بين مواد الطعام مادة غالت الحكومات في احتكارها وأجحفت بمصالح رعاياها مثل الملح . فانه لما رأت الحكومات ان لاغنى عنه في طعام الانسان والحيوان اغتنمت تلك الفرصة في فرض الرسوم والضرائب لزيادة مواردها المالية . مما كان سبباً لاندلاع ثورات دامية طيلة القرون الوسطى وقد دامت هذه الفوضى حتى أواخر القرن الثامن عشر ، ثم زالت بزوال وطأة تلك الضرائب عن كاهل الأهلين . فقد كان

(١) سفر العدد — الفصل ١٨ : ١٩

(٢) سفر اللاويين ٢ : ١٣

الرومانيون يأخذون عليه رسوماً واحتكرته الحكومة الايطالية وكان ربحها منه ١٣٠٠ ٪ وكانت ضريبة الملح في فرنسا قبل عهد الثورة تختلف باختلاف مقاطعاتها، وكانت الحكومة تحظر نقله من مقاطعة إلى أخرى وتحتكر صنعه كما كانت تلزم الأهالي الا يتجاوزوا في شرائه قدراً محدوداً بنسبة أفراد العائلة . وتعاقب كل من يخالف قوانين الملح معاقبة شديدة ، اما بالغرامة أو بالجلد، وكثيراً ما كانت تشنق الذين يكررون المخالفة . ولكنها كانت تميّز بعض رعاياها وتهبهم من الملح ما يحتاجون إليه مجاناً .

وفي سنة ١٨٠٤ سنّت الحكومات من جديد قانوناً يقضي بفرض ضريبة على ملح الطعام قدرها ⅛ الفرنك للكيلوجرام وظل هذا القانون معمولاً به الى أوائل هذا القرن في كثير من البلدان ومنها فرنسا حيث لا يمكن ـ بدون رخصة ـ اغتراف لتر من ماء البحر لاستخراج الملح منه، وتسمم الماء الملح الذي تسمح للدباغين بأخذه من البحر لاستعماله في صناعتهم لئلا يدخلوه على طعامهم .

وكانت قوانين الملح في ألمانيا أكثر صرامة منها في فرنسا . وبقيت الحكومة تحتكره الى سنة ١٨٦٧ . أما حكومات النمسا وايطاليا وغيرها فقد كانت تحتكره إلى أوائل هذا القرن . وأما الولايات المتحدة الأميركية فلم تضرب على الملح ضريبة ولا جمعت منه ايراداً لخزينتها ، ولكن لما وضع مجلس الأمة فيها قانون حكومة الولايات الغربية وبيع الأراضي فيها، اشترط أن تبقى مناجم الملح للحكومة، خشية أن يستبد أصحاب الأملاك به ويحتكروه ، فيقع معظم الغبن والظلم على الفقراء من الأهالي .

◆

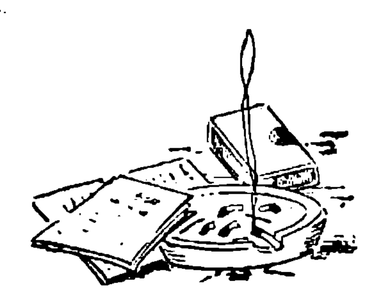
والخلاصة إن الملح في البلدان الحارة من الضروريات وقد يمرض الأطفال أحياناً ويموتون في الجو الحار لافتقارهم إلى كفايتهم من الملح والماء ، كما تتشنج عضلات الوقادين وعمال المناجم لقلة الملح ، غير أن الاكثار منه لا يخلو من الضرر ، والاقلال منه لا يضر بل ينفع وفي ذلك يقول الشاعر العربي .

أفد طبعك المكدود بالهم راحة ... براح وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن ... بمقدار ماتعطى الطعام من الملح

وسنتابع في العدد القادم إن شاء الله دراستنا في فوائد الملح وأضراره .

قصة

مستر سمبسون[1]
(زوج حائر)



الترجمة : للأستاذ سليم الأسيوطي

شخوص الرواية

كاترين ستيفنس　　كارولين ستيفنس　　مستر سمبسون

هذه الملهاة القصيرة الممتعة فتح جديد في القصة ذات الموضوع المثلث النواحي عندما يختصم رجلان من أجل إمرأة أو عندما تتنافس امرأتان في حب رجل ، وتأخذ جمهرة النظار جانب احداهما مهما تكن الدوافع غريبة مختلطة . وفي قصة مستر سمبسون نجد شخصاً عزباً حائراً وقع في غرام اختين تتساويان جاذبية وفتنة ، في نظره على الأقل ، فلا يستطيع أن يقابل بينهما فيختار احداهما ، والقصة تذكرنا بقصة حرية الاختيار « المعروفة بحمار بردبان » الذي وضع بين كومتين من العشب الأخضر على قدر واحد من الاغراء ، وهو على بعد متساو من كل منهما فلم يتمكن الحيوان المسكين من أن يختار لنفسه احداها ومات جوعاً

وملاحظة مستر سمبسون النهائية (كنت أتمنى اني ولدت تركيـاً اباحيـاً) تشير الى أن مذهب تعدد الزوجات قد يكون فيه حل الاشكال ، ولكن هـذه الاشارة يجب ألا تحمل على محمل الجد ، وموضع الفكاهة في الرواية يقع من ناحية في التسلسل المنطقي للسرد القصصي بمـا فيه من مواقف . ومن ناحية أخرى يجيء فيما يلقى به أشخاص الرواية من نكات بارعة غير متكلفة . ولتمثيل الرواية يجب توخي منتهى البساطة مع الحذر .

(١) تأليف الكاتب الانجليزي تشارلس لي

القصة

يمثل المشهد مطبخاً في كوخ ريفي جنوبي انجلترا . وفي مؤخرة المسرح وفي وسطه نافذة ذات (شيش) وضعت في أسفلها أواني ينمو بها نبات الخبيزة الأفرنجية المعروف « بإبرة الراعي » وعن يمين النافذة من جهة نظر المتفرج يوجد باب يتصل بالحديقة الأمامية . وفي الجهة اليسرى توجد ساعة حائط عالية وخلف هذا يوجد صوان ، وفي الجهة اليمنى من المسرح يوجد رف مزخرف بالخزف، وعلى رف آخر يوجد بعض الكتب، وخلف الرف الخاص بأواني المطبخ يوجد باب آخر ، وفي الجانب الأيسر موقد به نار تشتعل .

إلى جانب خوان وضع في وسط الحجرة تجلس كارولين ستيفنس وهي فتاة رقيقة الحاشية . جمة الحياء ، بدينة حلوة الحديث ، بلغت الأربعين من العمر أو أربت عليها بقليل ، جلست ترفو جورباً . تدق الساعة الرابعة عند ما يرتفع الستار وتنظر كارولين الى الساعة في كل لحظة وتبدأ في مخاطبتها كما هي عادة الذين في وحدة عند ما يتكلمون مع القطة أو مع طائر الكناري . واذا ما احتاج عملها إلى عناية خاصة تتوقف عن الحديث بعض لحظات من آن لآخر . وعندما تتشعب برأسها الفكر تردد بضع كلمات وهي حالمة .

كارولين — إنها الساعة الرابعة ياجدي [1] ، لقد تأخرت أختي عن العودة أليس كذلك ؟ إنها لم تعتد مثل هذا التأخير من قبل في يوم السوق وأنت تعرف ذلك جيداً لقد كنت توبخها عليه قبل ذلك وكنت أتمنى أن أسدي النصح إلى نفسي كما أنصحها كثيراً . الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم السبت ولم يبدأ الخبز بعد ، ولم ترف جوارب مستر سمبسون ، يا للعار ! اني خجلة من النظر إلى وجهك ياجدي ، اني ... خجلة ... من أن أنظر إلي وجهك اني لأعجب ما الذي يعوقها لم تتأخر مرة واحدة في السوق مدى السنوات الخمس عشرة الأخيرة ، وقد يجيء مستر سمبسون في أية لحظة ليدفع ايجار سكنه ويخوض معي في الحديث وليس لي من الخبرة في الحياة ما يساعدني على معرفة ما أقول له إن الحديث معك ياجدي سهل يسير ، أما مع رجل حي من لحم ودم يسأل أسئلة وينتظر الرد عليها فهذا شيء آخر ولم أعتد التحدث إليه من قبل ، ان جدي يختلف عنكم جميعاً يامعشر الرجال فهو متأن معتز بنفسه ، وتلك خصالك ياجداه ،

---

(١) تقصد ساعة الحائط التي تناجيها .

كثيراً ما يلتبس على وجهه ووجهك في الاستدارة والحزم ، فهو يهمهم ويدمدم مثلك تماماً ، قبل أن تبدأ دقاتك .... أنت صديقنا القديم ... أقدم الأصدقاء عهداً بنا ياجداه . على أية حال لم تره منذ ثلاثة شهور فلا داعي للغيرة — لا ياجداه لا داعي للغيرة (في تأوه تنتصب قائمة وتتجه صوب النار تذكي أوارها ثم تتركها وتتجه الى النافذة وتنظر منها لحظة وهي ما زالت تتكلم (اذا كان يهمك الأمر لقد مضت ثلاثة أشهر منذ نزل حينا وسكن المنزل الذي يلينا ويمكن اعتبار هـذه الفترة ثلاث سنوات بل هي أقرب إلى أن تكون ثلاثة أسابيع ، وهذه هي الحال والزمن ياجداه وسوف تبقى كذلك أبداً وسوف تظل حالك هكذا ثابتة .. فالحياة اما أن تزحف حولنا كالدودة أو تقفز بنا سريعة كعربة القصاب .... ياويح نفسي ، (تجلس ثانية) إن أختي قد طال تأخرها ياجداه لم أعرف عنها مثل هذا التأخير من قبل إلا اذا كان قد وقع ما لم يكن في الحسبان .

(تنطلق عند سماع طارق بباب الحديقة فتفتح ويظهر مستر سمبسون على عتبة الدار . رجل يبدو عليه الكبر صلب الحركة ، حذر وزين في حديثه ، قد تدلت سوالفه التي وخطها الشيب على فوديه وأحاطت بوجهه المستدير الأحمر . (يغمر الحياء والارتباك كارولين)

مستر سمبسون — (بعد أن يمد حنجرته التي لم تعتد الحديث الطويل) مساء الخير ياسيدتي .

كارولين — مستر سمبسون .

مستر سمبسون — يلتفت حواليه — هل اختك هنا ؟

كارولين — لا يا مستر سمبسون . لم تعد حتى الآن وبدأ يساورني القلق عليها فانها لم تعتد التأخر أكثر من الساعة الرابعة ، وها هي ذي الرابعة والنصف الآن .

مستر سمبسون — إذاً أنت وحيدة الآن ؟

كارولين — (تحس الحقيقة الواقعة) نعم . انني وحيدة هنا (في جهد ظاهر) ألا تتفضل بالدخول يا مستر سمبسون ؟

مستر سمبسون (بعد أن يعمل فكره) لا . شكراً لك . اني مرتاح حيث أنا . ان في وجنتي بثرة كما ترين والبقاء في الخارج يناسبني أكثر من الدخول (في احترام لشير بيده ليفصح عن معنى يجول بخاطره) لقد ظننت اني أسمع حديثاً

عند ما جئت الى هنا ضحكت بأن اختك قد عادت الى المنزل

كارولين — حديثاً ويجيء الى هنا بمفردي أتحدث الى نفسي ، (في حياء وضحك مكبوت) لقد كنت أتحدث مع جدي هنا قليلاً

مستر سمبسون (يتطاول برقبته داخل الحجرة) جدك ، أوه أي ساعة الحائط تتحدثين مع جدك ..... ايه (في ضحكة قصيرة) حسناً ، والآن توجد فرصة لك .

كارولين — (تردد قهقهة في عصبية) هذه حماقة اسمح بها لنفسي ، ولكن غالباً ما أتحدث قليلاً مع جدي عند ما أكون وحيدة (تستجمع شيئاً من الثقة بالنفس) إنه رفيق كريم طيب سمح ، وان اختي كثيراً ما تقول عنها « الساعة » انها تقوم مقام رجل في المنزل وكما ترى يا مستر سمبسون انها التي تضبط روحاتنا وغدواتنا وهي التي ترشدنا الى عمل هذا وفعل ذلك ، طيلة وقتنا ، والآن فلننهض ولنوقد النار ، دعونا نصطلي الشمس ونتناول طعام العشاء حتى يحين الوقت ثانية لنقلب وقود الموقد ، وننفض الرماد بعيداً ثم نذهب الى فراشنا . نعم ، الى الجد هو المنظم لأمورنا في المنزل كما اعتقد ولذا فانه من الطبيعي لأختين وحيدتين منفردتين أن تعتمدا عليها وتفكرا فيها عندما تنشدان العون تشدان به من آزرهما وتبحثان عن السند بظاهرهما . لا توجد ساعة حائط تماثلها في دقة السير أو جمال المنظر في طول البلاد وعرضها .

مستر سمبسون — صديق عجوز عظيم ، اني واثق من ذلك (وقفة يبدل قدميه وهي تنظر إلى أسفل وتخيط غرزاً قليلة) هل هذه جواربي .؟

كارولين — نعم يا مستر سمبسون لقد قاربت الانتهاء (وقفة أخرى) اني أتمنى أن تكون الفطيرة قد نالت استحساناً منك .

مستر سمبسون — لقد كانت فطيرة فاخرة شهية بكل تأكيد (يتقدم خطوة داخل الغرفة) اني أسبب لك أنت وأختك كثيراً من التعب والمشقة يا سيدتي .

كارولين — لا تعب اطلاقاً يامستر سمبسون فهذا أقل ما يجب عمله ، فأنت تقيم بجوارنا وحيداً دون معين يقضي حاجاتك ولست في هذا الميدان بأكثر من طفل صغير

مستر سمبسون — اني أجهل فن الطبخ هذا ما لا شك فيه ، (يتقدم خطوة أخرى) لديّ مقلاة ولكن لا يمكن لانسان أن يعيش بمقلاة فقط اما رتق الجوارب فقد

حاولت ، كان جوربي يشبه شبكة الصياد وكلما رتقت ثقباً تفتحت ثقوب ، ولكن حسناً ، فأنا أنعم بالراحة والاستقرار الآن بصورة لم أحظ بها من قبل .

كارولين (في اخلاص) أنا سعيدة لسماعي هـذا منك ، واني كما تعرف رهن أي اشارة لتأدية خدماتك .

مستر سمبسون — شكراً لك ياسيدتي هـذا جميل منك ، (يتقدم خطوات أخر ويبدو بمظهر الذي يتخذ من آخر موضعاً لسره) فيعود اليها حياؤها في فيض دافق لديّ أمر مهم أود أن أفضي به اليك ، أمر خاص أريد أن أبوح به ، وقد جئت من أجله ، ولكن لما كان الامر يتعلق بكما معاً فاني أفضل الانتظار حتى تعود أختك . (ينتحل الاسباب والمعاذير ليمهد لجلوسه على المقعد) .

كارولين — (في خصة وألم لوجودها في هذه الخلوة) لا أستطيع أن أفهم ما الذي عاقها كل هذا الوقت . لم يحدث قط أنها تأخرت مثل هذا التأخير.

مستر سمبسون — مدام . !

كارولين — هل يضايقك اذا سألتك أمراً قد يكون خارجاً عن طوقك هل يضايقك الذهاب إلى عرض الطريق خطوة أو خطوتين لترى اذا ما كانت في طريقها إلى المنزل .

مستر سمبسون — (يقوم في خفة ورشاقة بادي السرور) بكل تأكيد ياسيدتي اذا كانت هـذه رغبتك . ليس في الامر ما يدعو إلى قلقك فأختك في وسعها أن تعني بنفسها جيداً ومهما تكن الظروف فاني مرضاة لخاطرك وحبّا في راحة بالك سأذهب حتى تقاطع الطرق وأراقب المارة (يذهب) لا تخافي فسوف تعودني سلام.

كارولين — تذهب إلى النافذة وتراقبه وهو يغيب عن بصرها) انه يمشي في صلابة وتكلف ياجداه ، انه لمن العار أن أرده الى الخارج ثانية في اللحظة التي يكون فيها قد استقر واستراح،ولكن ليس بوسعي أن أتصرف إلاّ التصرف الذي أتيت . قد يكون من الصواب بقاؤه إذا ما كانت أختي هنا أيضاً ، ولكني اجلس منفردة في غرفة وبصحبة رجل آخر ، فهذا مالا أرضاه — ولا يمكن أن أفعله حتى ولو كان هـذا ما يجب أن تفعله عـذراء (تترك النافذة وتعود وتسرع في تنظيف الحوان وهي توالي حديثها مع الجد) . أمر خاص يخبرنا عنه ، ألا يجوز أنه يعتزم

مغادرتنا ، أوه ، هذا لغو باطل ، لا تقل هـذا ياجداه ، فما هو بالمتلوّن المتحوّل وأنت تعرف هـذا جيداً ، « اني لم أسعد بالراحة في حياتي كما وجدتها هنا » ، هـذه هي كلماته ، وأنت قـد سمعته بنفسك .. اني لأعجب ماذا يريد (حدث مفاجيء مدهش يخطر ببالها) أوه ، لو كان هذا ... أوه أن هذا مدعاة للسخرية فهو لم يشر اليه قط ، لا تصريحاً ولا تلميحاً في اشارة أو كلمة ، وزيادة على هـذا فاذا كان الأمر كذلك فياجداه ألا ترى أنه لا يريد أن يخبر احدانا دون الأخرى ، مهما يكن شأنها وقد قال انه أمر خاص ، وانه يريدنا معاً ، ليفضي به الينا معاً ، أوه ، حسناً سوف نعرفه بعد لحظة (تذهب إلى الساعة) أوه ياجدي انها الساعة الرابعة وعشر دقائق لا بد وان في الأمر شيئاً (تغوص في المقعد وتنهج) أوه يا كاترين ياعزيزتي (تنحي باللائمة على ساعة الحائط) تك توك تك توك أنت لا تهتمين حتى في يوم الحساب ستوالين دقاتك توك توك الى أن تلتهمك النيران . إن الحقيقة معروفة فما أنت إلاّ صندوق عجلات وما قلبك إلاّ فؤاد عليقة مائية لا أكثر ان لم يكن أقل (يبكتها ضميرها) اني لم أقصد التحدث اليك بتلك اللهجة الجـافة ولـكن أنت تعرفين كيف تكون تصرفات الانسان عند ما تسوء أموره (تكاد الدموع تطفر من عينيها) لقـد دققت سبعة عشر دقة عندما كنـا نقوم بتنظيفك . . . آه ، (تسمع صوتاً في الخـارج فتسرع إلى النافذة) كل شيء على مايرام ياجداه ، فها هي ذي أختي تعود في النهاية ، فشكراً لله .

ينفتح الباب على مصراعيه وتدخل كاترين في عجلة وتجلس منهوكة على مقعد) وهي تكبر كارولين بسنوات عدة ، ولـكن أكثر منها حيوية ونشاطاً . فهي خفيفة الحركة ، كالطائر ، مفاجئة مسرعة ، تكثر من الايماءات والاشارات دون تقييد لحريتها في أثناء حديثها تحمل على ذراعها سلةحوت مؤونة الأسبوع من الغذاء)

كارولين — أختاه ، (تتهالك على مقعدها وتأخذ في البكاء) .



[يتبع]



الاطباق الطائرة

— ٢ —

للأستاذ امين عبده

قال المستر دولند كيهو مؤلف الكتاب قصدت يوماً للقاء المستر « جورج جورمان » معلم الطيران بالجيش الأمريكي سابقاً وهو رجل على جانب عظيم من الصدق ودماثة الخلق . وتناول الحديث ذكر الأطباق الطائرة فقال: قمت برحلة تمرينية بالطائرة F. 51 في يوم أول أكتوبر من عام ١٩٤٨ وكانت الساعة قد بلغت التاسعة مساء . وارتفعت بها إلى ٤٥٠٠ قدم واذ ذاك شاهدت ضوءاً سريع الحركة يبرق تحت طائرتي منطلقاً بسرعة ٢٥٠ ميلاً. فظننته نوراً خلفياً لطائرة ما . غير أني اذ ارتبت في أمره اتصلت ببرج المخابرات بالمطار متسائلاً عما عساه أن يكون . فأخبرت بأنه لا توجد في تلك المنطقة سوى الطائرة « بيبر كلوب » والتي تمكنت من رؤيتها بعد ذلك فاذا هي بعيدة عن هـذا الضوء . ومما يؤيد صحة هـذا المشهد أن عاينه أيضاً مراقب المطار المستر « جنسن » L. D. Jenson إلا أنه لم ير جسماً بقربه . وواصل المستر « جوريان » الحديث قائلاً . واذ ذاك انطلقت بطائرتي نحو الضوء ولما كنت على مقربة منه شاهدت جسماً مستدير الشكل أبيض اللون يبلغ قطره نحو ست أو ثماني بوصات فتبعته وكانت سرعته تتراوح ما بين ٣٥٠ ، ٤٠٠ ميل في الساعة. وقد ارتفعنا نحو ٧٠٠٠ قدم. وعندئذ انحرف انحرافاً شديداً إلى اليمين فصرت مقابلاً له . ـ ولما كنت على وشك الاصطدام به اضطربت فخفضت طائرتي حتى مرّ ذاك الجسم من فوقي . ثم استدار نحو الشمال وانطلق بسرعة وعبثاً حاولت اللحاق به فقد اختفى عن بصري .

وثمة حادث آخر وقع للملازم الاول « كومز » H. G. Combs عند ما كان محلقاً في الجو مع زميل آخر يدعى « جاكسون » S. B. Jackson إذ كانا مزمعين الهبوط الى الارض بطائرتيهما وقد بلغت الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين من مساء ١٨ نوفمبر عام ١٩٤٨ فشاهدا جسماً عجيب المنظر على مقربة من الطائرة ذا شكل كروي أدكن اللون وقد

انبعث عنه ضوء ساطع . فلما انطلقا لمطاردته أوغل في التحليق ثم اختفى

ونشرت جريدة «ساندي ديسباتش» تقرير المستر «دونالد كيهو Donald Keyhoe» عن حادثة مصرع الكابتن «توماس مانتل Thomas Mantell» من رجال الطيران الأميركي اثر محاولة اختبار الأطباق الطائرة . فقد ورد في التقرير المذكور أنه حدث أن كان جماعة من ضباط الطيران مجتمعين في مطار «جودمان Godman» في مساء ٧ يناير من عام ١٩٤٨ في نحو الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين ، إذ شاهدوا شيئاً لمع فجأة من الجنوب بين الغيوم المتناثرة . فبادر ثلاثة منهم بركوب الطائرة P. 51 وكان أحدهم الكابتن مانتل البادي الذكر وانطلقوا بسرعة كبيرة نحو الضوء . وفي لحظة اختفت الطائرة عن الأبصار.

وشاء الرفاق الذين كانوا في المطار استطلاع أمر هذه المغامرة وما ستنجلي عنه . وطفقوا ينتظرون اشارة لاسلكية من رجال الطائرة .

وبينما هم على هذه الحال من القلق اذا باشارة يتلقاها قومندان المطار هذا نصها . «من الكابتن مانتل الى مطار جودمان» — عاينت الجسم الغريب — يبدو أنه معدني — هو هائل الحجم — هو آخذ في الصعود — سأحاول اللحاق به »

وكان المتكلم ذا صوت متهدج . ثم أردف الكابتن مانتل هذه الرسالة بأخرى جاء فيها أن الجسم المعدني أسرع في الصعود بزيادة ٣٦٠ ميلاً عن ذي قبل .

ومضى بعد ذلك من الوقت نحو سبع دقائق رهيبة استمطأ الرجال فيها الكابتن « مانتل » . وأخيراً اتصل الكابتن مانتل بالمطار معطياً اشارة أخرى هذا نصها (ما زال الجسم محلقاً فوقنا بسرعة كسرعتنا أو تزيد - سأبلغ الى ارتفاع ٢٠٠٠٠ قدم — إن لم استطع الاقتراب منه سأرتد راجعاً » .

وكانت هذه آخر رسالة منه .. لأن طائرته قد أصابها التفكك من جراء ارتطامها بقوة هائلة تناثرت على أثرها أجزاؤها على ارتفاع الف قدم على الأرض .

وورد من مطار «فورت نوكس Fort knox» في نفس اللحظة ما يشير الى انهم شاهدوا جسماً كبير الحجم له وميض وهو متجه نحو مطار «جودمان» كما رآه مئات من الناس ممن كانوا عند بلدة «مادپرونفيل» التي تبعد تسعين ميلاً عن المطار المذكور .

وبعد مضي نحو نصف الساعة من هذه الاشارة حلق هذا الجسم فوق مطار «جودمان» ينبعث منه ضوء أحمر متقطع . فأجال الكولونيل «هكس Hix» بصره فيمن حوله فاذا بهم في ذهول مما رأوا .

ولقد كان لمصرع الكابتن « مانتل » أثر بالغ في جميع الأوساط . وكان المظنون أن الأطباق الطائرة ان هي إلا أوهام قامت في الأذهان حتى تحقق أمرها بوقوع هذا الحادث . غير أن حقيقتها ما زالت مجهولة : أهي نوع من الطائرات ؟ أم هي قذائف مسيرة أم غير ذلك ؟ وما مصدرها — وهل مصدرها أرضنا . أو آتية من أحد الكواكب الاخرى كالمريخ ؟ وعلى كل حال فقد استقر الآن في الأذهان ان الأطباق الطائرة حقيقة لاريب فيها.

ومن دراسة التقارير الموثوق بصحتها في هذا الصدد نستخلص الملاحظات الآتية :—

١ — إن عالمنا كان تحت مراقبة شاملة في فترات متباعدة منذ وقت بعيد إلى منتصف الجيل التاسع عشر .

٢ — كانت المراقبـة أكثر تركيزاً على أوربا لتقدمها في المدينة وذلك إلى نهاية الجيل التاسع عشر .

٣ — اتجهت العناية إلى أميركا في أواخر الجيل التاسع عشر حيث بدأ تقدمها الصناعي .

٤ — مراقبة دورية منتظمة لأميركا وأوربا من عام ١٩٠٠ إلى وقت الحرب العالمية الثانية لتقدم فن الطيران .

٥ — زيادة المراقبة في أثناء الحرب العالمية الثانية وخصوصاً بعد أن تجاوز الصاروخ الألمـاني V. 2 منطقة الاستراتوسفير [١]

٦ — اتخذت المراقبة صورة جدية بعد انفجارات القنابل الذرية عندنا في عام ١٩٤٥

٧ — مراقبة الولايات المتحدة الأمريكية باهتمام لأنها زعيمة الدول في الأسلحة الذرية

أما فيما يختص بالحياة في العوالم الأخرى . فقد جاء في كتاب الدكتور « سبنسر جونز » Dr. N. Spencer Jones فلكي المرصـد الملـكي بلندن المسمى (الحيـاة في العوالم الأخرى) ما ترجمته : —

« من المقبول عقلاً ان تكون هنالك في العوالم الأخرى كائنات حية يحتل السليكون Silicon خلايا أجسامها مكان الكربون Carbon من أجسامنا وأجسام كل كائن حي على هذه الأرض . وهذا الفارق الجوهري يحتمل أن يؤهلهم للبقاء في جو ذي حرارة مرتفعة جداً لا يستطيع أي كائن حي على أرضنا احتماله » اهـ .

فيستنتج مما تقدم أن الحياة تكون مستطاعة لهؤلاء في الأجـواء الأشد حرارة وجفافاً من أرضنا كذا في الأجواء الشديدة البرودة كجو المريخ .

وكثيراً ما توارد على الخواطر أن المريخ هو مصدر لتلك الأطباق الطائرة غير أننا نفترض الآن انها آتية من أرضنا الى أن ينبلج الصبح وتمحو آية اليقين شائبة الشك .

(١) راجع مقال « حدود جديدة للارض في الفضاء » — مقتطف مايو سنة ١٩٤٧

باب المراسلة والمناظرة

مملكة العذارى

للدكتور أحمد زكي أبو شادي

دلتنا فلسفة التاريخ على أن الأمم لا يمكن أن تنهض نهضة صحيحة وتصون بقاءها إلاّ اذا حققت شرطين جوهريين : أولهما حماية مقوماتها الشخصية التي تكسبها الترابط والقوة ، وهي تشمل التعليم الصادق الملائم ، والصحة العامة والعدالة الاجتماعية ، وتنمية المرافق الاقتصادية وزيادتها وثانيهما : استيعاب الحضارة العلمية التي هي حضارة انسانية لا يعاديها إلاّ من يشاء الانتحار أو من ينزلق إليه جهلاً ومكابرة .

وبتوفية هذين الشرطين الجوهريين تمكنت الأمم المتمدينة السالفة والحاضرة من بلوغ ما بلغته من عز ومكانة . وباهمالها أو بالتهاون فيهما تعرضت للاضمحلال أو للزوال .

لذلك جهدت - بوصفي أحد حملة الأقلام - في المساهمة الانتاجية نحو هذه الغايات على قدر ما سمح به العمر خلال النصف الأول من هذا القرن : —

١ — كان في مقدمة خدمتي بالتأليف العلمي — إلى جانب التطبيق والعمل — الاقتصاد الزراعي في النحالة والدجانة والصناعات الزراعية ، علاوة على طب المعمل والبكتريولوجيا ، لأني رأيت في ذلك خدمة لمقومات هامة للأمة هي اقتصادها العام وزراعتها وصحتها ونفعها لاحياها خاصة .

٢ — خدمة أدب المقال بتآليفي النثرية المنوعة ، وأدب الترجمة الرفيعة بأمثال ترجمتي « العاصفة » « ورباعيات حافظ الشيرازي » « ورباعيات عمر الخيام » ، نظراً لايماني بأن اللغة هي من أهم مقوماتنا وأن محبتها لا تتجلى إلاّ في خدمتها في جميع أبواب الادب والعلم . ومن هذا القبيل بحوثي اللغوية التي يذيعها (صوت أمريكا) والمصطلحات العلمية الادبية الكثيرة التي وضعتها .

٣ — خدمة التحرر الفكري والديني والاجتماعي بأمثال محاضراتي ورسائلي الموسومة « مذهبي » « وعظمة الاسلام » « ورسالة محمد » « وعقيدة الالوهة » « ولماذا أنا مؤمن ؟ » « والمال في الاسلام » .

٤ — خدمة النقد الأدبي بدراساتي المتعددة التي امتحنت فيها نفسي أشد امتحان، فلم أخسر احترام نفسي لنفسي، وأنشدت مع أستاذي مطران وسط آلامي وتضحياتي : —

وما خفت في آن عتاباً، وان قسا ... به الناس، لكني أخاف عتابي
فما أنا من في كل يوم له هوى ... ولا كلُّ يوم لي جديد صواب
وآنف سعياً في ركاب، فكيف بي ... ولي كلُّ حول أخذة بركاب ؟!
حرام علينا الفخر بالشعر إن تقع ... نسورُ معاليه وقوع ذُباب
وما كبرياء القول حين نفوسنا ... تجاويف أرض في انتفاخ روابي ؟!


[الدكتور أبو شادي]

٥ — خدمة فنّ الشعر الذي كان وما يزال أهمّ فنون العربية، وخدمة رجاله، وتحرير الشباب الشعراء والأدباء من سيطرة الحكام والأحزاب السياسية ومن روح الاحتكار والاقطاعية التي أراد أن يفرضها الشيوخ الأنانيون عليهم إلى الأبد، كما فرضها أمثالهم في ميادين الاقتصاد حتى ما تزال ملكية الأراضي في مصر كما كانت عليها صورتها قروناً عدة قبل الميلاد !

٦ جعلي السلوك الشخصي التطبيقي معيار الاخلاص للمبادىء، واوضاح جميع المبادىء الاعتبار الانساني أي لاعتبار الانسان الهدف الاسمى للحياة الذي نلمسه ونفهمه وهذا معناه رفض المساومة في المثل العليا، والتفاني في نشدان الحرية، والتضحية بكل مرتخص وغال في سبيل الكرامة البشرية. وهذا معناه أيضاً محاربة المهاترة الفكرية، والوصولية التي عبثت بكرامة الأدب والأدباء وقضت على النزاهة والاخلاص والاجادة، حتى أصبح التلاعب بالحقائق والتاريخ براعة وفضيلة !

◆

هذا موجز حساب بسيط أسوقه دفاعاً وعتاباً لمن لم يتورع عن انتقاصي ولم يكتف باغفالي حينما نصب نفسه في مكان القاضي المؤرخ، فخلط أي خلط وأضحك التاريخ الأدبي مما تسطره الأهواء الجامحة وتمليه الأنانية المريضة أو الحزبية الغاشمة.

لم يقل ناقدي أين المعجز في كتابي « مملكة المذارى » ؟ ليذكر أني لم أطلع على المسودات المطبعية لهذا الكتاب الذي أصدرته (دار المعارف بمصر) في مايو سنة ١٩٤٨ والذي وضعته

قبل ذلك التاريخ بثلاث سنوات . وليذكر أن شحّ الورق أرغم الدار على الاختصار في الكتاب دون استشارتي ، نظراً لاغترابي عن مصر منذ منتصف أبريل سنة ١٩٤٦ . وليذكر أن هذا الكتاب — على صغره — حوى الكثير من الفوائد المستمدة من اطلاعي وتجاربي العديدة ، ولذلك لقي إقبالاً عليه . وها أنذا أورد فيما يلي مقدمة هذا الكتاب كما كتبت في حينها وقد أغفلها الناشرون للأسف اضطراراً ، ويصح أن تعد من الشعر المنثور ، وهي :—

«هذه صفحات من كتاب الطبيعة اشترك انسانان وحشرة صغيرة في تأليفها .

وقد اعتاد الانسان أن ينفر من معظم الحشرات وان علمته الطفولة حبّ الفراشات ، ولكنه ما يكاد يشب حتى يسخر من صديقات طفولته هذه ويضرب بها المثل في الهوس والحماقة ، وحتى الانسان الفنان لا يرى في عبادتها النور وتفانيها في ناره معاني مثالية لطيفة وانما يرى الطيش والجنون !

وفي هذه الصفحات تتجلى صديقة من أخلص صديقات الانسان التي صحبته منذ آلاف القرون ، وقدّسها الأرباب كما مجّدها الأنبياء والمرسلون ، واستحقت التنويه بها والتشريف في الكلام المنزل الشريف ، ونقشت صورتها على المعابد في طفولة المدنية ، واتخذت شعاراً لتروتها في أوجها الحالي ، وهذه الصديقة النبيلة الوفيـة للانسانية أول ما تتجلى في تاريخ الحضارة تتجلى في مصر رفيقة الزراعة كأنها أحد رعاتها ومهندسيها ، فهي من مواطنينا الأولين الذين لهم علينا حق الدرس وواجب التمجيل .

تعيش هذه الكائنة اللطيفة في عالم من الأحلام والشعر تستوحيه وتوحي اليه ، تحبها الأزهار حبّـا جمّـا حتى لتأتمنها على أدق أسرارها ، وتكافئها بأحلى سلافاتها التي فتنت بها الآلهة في يونان القديمة شراباً لها . ما مسها رفيق ودود وفهمها وراعاها إلاّ جازته وفاء بوفاء وملأت بيته ذهباً سائلاً وفرشت بستانه نضاراً ، وما عابها إلاّ جاحد أو جهول لم يفهم نفسه فشق عليه أن يفهمها وأساء الى نفسه واليها معاً .

وفي هـذه الصفحات صورة ماثلة لوحدة الطبيعة ولأثرها البالغ في سعادة الانسان بشطريها . نشرتها ذكرى ومتعة وعزاء ، وشاقني أن أدل عليها من هو مثلي في حاجة اليها» .

◆

أما عن الحذف الذي لا بد من استدراكه مستقبلاً اذا كان للكتاب أن يتسم بوسمه الأدبي العلمي الكامل فليس بالامكان التنبيه اليه هنا ، وكل رجائي أن يحين وقت يمكن أن يعاد فيه طبع الكتاب كاملاً حتى يكون مثالا موفقاً للقصة الأدبية العلمية كما أردته أن يكون ، لا مجرد كتاب تعليمي فحسب .

باب الأخبار العلمية

هل تصاب الساعات ببرد؟

قال أحد أخصائيي الساعات الانجليز: إن الساعات كالانسان تصاب بالبرد حين نخرجها ليلاً من جيوبنا الدافئة ونضعها على المناضد معرضة للصقيع يختل نظامها بسبب تعاقب البرودة والحرارة عليها.

وقال: ولبعض الأشخاص تأثيرات مغنطيسية على الساعات. فقد شاهدت ساعات يدوية مضبوطة في أيدي بعض الناس، مختلة عند آخرين وليس أدل على صدق هذا الرأي مما تواردت به الأنباء عن الغابة الأمريكية (لزا كارترز) الملقبة (بالفتاة معطلة الساعات) التي ما دخلت مكاناً إلا تعطلت ساعة فيه. وقد حار العلماء في تعليل هذه الظاهرة العجيبة وان كانت قد فسرت بأن للفتاة خاصية اشعاع مغنطيسي يعبث بأجهزة الساعات.

ومما يذكر في صدد الساعات ان أصغر ساعة في العالم هي تلك التي عرضت بمعرض نيويورك العالمي قبيل الحرب الماضية. وكان طولها نصف بوصة وعرضها ½ بوصة وتحتوي على ٧٤ قطعة واستغرق صنعها ستة شهور.

الولع بالحلوى وتسوس الأسنان

نشرت إحدى مجلات طب الأسنان الأمريكية تقريراً وضعه لفيف من علماء جامعة (ييل) ذكروا فيه انهم في ضوء دراساتهم واختباراتهم ينصحون هواة أكل الحلوى الذين لا يطيقون الاقلال منها بأن يغسلوا أسنانهم بالفرشاة وبالمضمضة عقب أكل الحلوى مباشرة اذا أرادوا اتقاء تسوس الأسنان. وقد بنوا نصحهم على انه مادامت المادة السكرية هي المسببة للتسوس فبديهي ان مدى الاصابة يتوقف على مقدار تركز هذه المادة في الفم وعلى طول مدة بقائها على الأخص وقد وجدوا مثلاً أن كلاً من الكرميلا (الحلوى المعروفة) وعصير البرتقال يخلف في الريق نسبة واحدة من المادة السكرية. ولكن تبين لهم أن المادة السكرية المتخلفة من عصير البرتقال تختفي من الريق بعد ٢٠ دقيقة، في حين تبقى في الريق نسبة كبيرة من المادة السكرية بعد مضي ٤٥ دقيقة من تناول الكرميلا ولكنها بالغسل والمضمضة يزول أثرها من الريق زوالاً تاماً.

طريقة للترويح عن الأطفال عند خلع أضراسهم

في مدينة نيويورك بأمريكا طبيب أسنان اسمه (ريتشرد بيج) اخترع منذ عشرة أعوام حجرة لعلاج أسنان الأطفال. وتحرّى جعلها مثاراً لتسلية روادها الأحداث تلافياً لمكابدتهم آلام علاج أسنانهم وتعذيبهم إذ جعل تلك الغرفة مستديرة ذات شكل مساير للظروف بحيث تختفي في خزاناتها، الأدوات الجراحية التي يذعر الصغار من رؤيتها قبيل علاجهم، مثل مثاقب الأضراس فاذا دخل الطفل المزمع علاجه في الحجرة المشار إليها، أجلس على مقعد ذي وسائد مريحة، تحف به خزانات جذابة. فيضغط الطبيب « وهو واقف على منصات مائية » أزراراً معينة، ترفع الطبيب إلى أعلا أو يخفض المريض إلى أسفل وفق الحاجة.

وحينئذ يدير الطبيب مفتاحاً كهربيّاً آخر فتظهر توّاً أمام الطفل المراد علاجه، مباشرة ستارة عليها صورة متحركة هزلية ناطقة (ميكي موس) ولكن لا يسمع صوتها إلا ذلك الطفل وحده. لأن المتكلمين حينذاك هما سماعتا تليفون كامنتان في مسند رأس المصاب. ويتميز مثقب الأسنان الذي يستعمله الدكتور بيج باحتوائه على أنبوبين دقيقين، يطلقان ماء أو هواء، حول المثقب الدوار. فيقوم الماء بتبريد المثقب. وهذا مما يزيل ألم المصاب. ويطرد الهواء الماء بعيداً. وعلى هذا النمط يستطيع الطبيب مراقبة نتيجة عمله. أما المثقب فانه يخفى في خزانة قريبة، حالما يفرغ الطبيب من استعماله.

جهاز يسجل بريق السماء

ما أجمل وأبهى ليالي الربيع الساحرة الدافئة، إلا انك قد تعجب لو علمت أن سماء الشتاء ببرده القارس وزمهريره أصفى وأبهى من سماء الربيع العذب الجميل ولو انك أبعدت الكواكب المتلألئة من القمر والنجوم، ونظرت إلى صفحة السماء مجردة عن تلك المصابيح لتحققت من صفاء أديمها كلما قرس الشتاء وعنف برده.

ولقد استحدثت معامل البحوث البحرية في أمريكا جهازاً خاصاً يستخدمونه اليوم ليقيسوا به لمعان السماء وبهاءها على مدار السنة. ويأمل العلماء أن يساعدهم هذا الجهاز الحساس على أن يدرسوا ذلك الوميض الهادىء الذي يأتي من طبقات الجو العليا حتى في الليالي غير المقمرة.

✡ ✡



مكتبة المقتطف

الحب الأحمر

تأليف الاستاذ مصطفى هيكل — طبع بمطبعة التوكل — سنة ١٩٥٠

هـذا كتاب عجيب يضم خمس عشرة قطعـة من الشعر المنثور أو الشعر المطلق ، لا أدري ، يصف فيه مؤلفه تجاربه في الحب في أسلوب مباشر متجرد عن الزينة والزخارف الشكلية ، ويعبر فيه عن أحاسيسه في صدق وطبيعية وبساطة عرف بها . وقد اتخذ له « الحب الأحمر » عنواناً رمزيـاً للحب الواقعي ، وهو يحـاول أن يجاهد باتجاهـه الجديد الجريء نزعة كثير من أدبائنا وشعرائنا إلى التهويم في عالم الأحلام ، ودنيا الخيال ، وإلى التصنع في الاعراب عن أوهامهم الغزلية ، أو إلى تلذذ العذاب والآلام في معبد الحب .

وقد أبان رأيه في فاتحـة الكتاب التي وسمها « بكلمة مهموسة » وليس فيها شيء من الهمس ، لأنها كلمة صريحة جهيرة يحمل فيها على التيار الذي « يصف الحب ومواقفه في عزلة خيالية مثالية تفرغ الحب ومواقفه في صور تبعد في الأحلام إلى ما بعد الأحلام، ويغرب في الصور التي ينتزعها من الفكر ويحلق بها في آفاق من الخيال تنقطع بينها وبين عالمنا الصلات » (ص ٥) .

وقـد وفق المؤلف في شرحه للتيار الغزلي الواقعي ، وفي بذر الاتجـاه إلى الصدق والاخلاص والطبيعية في الاعراب عن خلجات النفس ، ولكن هل وفق في التطبيق في هذه القطع التي وعاها هـذا الكتاب ؟ نخشى إن نقول أنه لم يوفق موضوعيـاً إلا في النادر ، أما من الوجهة الفنية فقد خانه التوفيق في جل القطع .

ولا نحسب أنه وفق إلا في قطعة « انتظار » ص ٣٠ — فهي القطعة اليتيمة في كتابه التي يمكن أن نعدها من الأدب الغزلي الواقعي . فقد عبـّر فيها عن خواطره تعبيراً صادقاً حقيقيـاً ، وتنوّعت فيها هواجسه ووساوسه في انتظار حبيبته .

ومن المشجي حقـاً ، أن يقع المؤلف في العيوب التي وجهها إلى الخياليين ، فأدار قطعه

حول الذكريات والقبلات والدموع والمناجاة والعتاب والشجون ، ولم نجد قطعة واحدة تمثل كفاحه في الحياة مع حبيبته ، كما كنا نترقب منه . ولكنه خيّب تأميلنا في توضيح التيار الغزلي الواقعي ، وتحبب الأدباء والشعراء لمتابعته . ومما يثير الأسى أن المؤلف لم يتعمق في الأعراب عن تجاريبه الغزلية ، ولم يفصلها كما هو المعهود في كتاب الواقعية ، ولكنه ، أتى بفكرات عامة وخواطر مألوفة لف حولها ودار ودار كالحجر الدوار الذي لن يصيب عشباً كما يقولون . فلا جرم ، الا نجد في جل قطعه ، لذة فكرية ، أو نشوة شعورية ، أو ريا عاطفيًّا . فضلاً عن أن تناوله الفني لا يرضى الجاليين ولا الواقعيين على السواء ، فالوحدة معدومة ، والعبارات مفككة ، واللغة مهيضة ، والمعاني مكرورة والتجارب غير مشبعة ولا مقنعة . والفكرات مطلقة غير محددة . اللهم إلا في القليل النادر .

وبعد ، فماذا في هذا الكتاب من جديد ؟ اعتقادي أنه لا جديد فيه إلاّ بيانه للمنهج الواقعي بياناً واضحاً ، وجرأته المنقطعة النظير في محاولة تطبيق هذا المنهج بأسلوب مباشر صفي عن الزينة والبهرج — وإذا كان مؤلفه لم يتهيأ التهيؤ الفني للتعبير عن تجاريبه وأحاسيسه ، فحسبه أن ألقي بنفسه في ثبج هذا التيار الجارف ، وكفاه جذلاً أن يجد من أدباء الشرق الموهوبين من يهتف بفكرته ويتجاوب معها .

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

١ — الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث

تأليف الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي — ٢٦٦ صفحة من الحجم الكبير — طبع المقتطف عام ١٩٤٨

السحرتي الأديب الشاعر الكاتب المجدد ، هو بآثاره الأدبية والفنية شخصية جديدة في الأدب الحديث ، وحسبك هذه الحيوية والنشاط والقوة والجدة والطرافة ، ومكانته الأدبية بذلك كله مكانة ملحوظة في حياة الأدب والشعر المعاصرين .

ولكن السحرتي الناقد الحصيف المتذوق ، الدارس للشعر ومذاهبه وأصوله ، وللاتجاهات الحديثة في النقد والمناهج العلمية فيه ، والملم بشتى التيارات الأدبية والنقدية في الآداب الحديثة ، شخصية أخرى لا تشابهها شخصية في تاريخنا الأدبي الراهن .

وإذا كان « لا يستطيع نقد أعمال الشعراء إلاّ الممتازون ، المتزنون ، المجردون من

الأهواء، الدارسون دراسة عميقة، المطلعون على أحدث أصول النقد ومذاهبه . ولا يكفي الذكاء وحده للنقد، ولا رهافة الحس وحدها، ولا البراءة من الهوى، بل لابد مع هذه السمات من الوقوف على مقاييس النقد الفنية والعلمية » كما يقول هو في مقدمة كتابه[1]. وكان النقد الأدبي كما يقول أيضاً[2] « من أشق الأمور وأعسرها، لأنه يتطلب ثقافة واسعة، وموهبة فنية عالية، وتنبهاً وجدانيـاً مرهفاً، وروحاً سمحاً متجرداً من آثار الميل والهوى » . فان السحرتي الناقد قد جمع بحق هذه المواهب كلها في كتابه، ونهض بالعبء كله في دراسته للشعر المعاصر ومذاهبه، وفي نقده وتحليله إياه .

وخطر هذا البحث مع ذلك ناشيء من أنه لم يسبق بدراسة أخرى مماثلة له، فهو عمل جديد في الشعر العربي الراهن . وناشيء أيضاً من صعوبة الاطـلاع على دواوين الشعراء المعاصرين الـكثيرة، وعلى ما كتب حولها من بحوث ودراسات في الصحف والمجلات على اختلافها . وعمل السحرتي إنما يقوم على الاستقصاء والدراسـة العميقة والالمام الدقيق . ومن ثم كان خطر كتابته ودراسته في هذا الـكتاب .

ومنهج المؤلف ليس هو المنهج القديم في النقد الذي يتوخى نقد بيت والخروج منه إلى بيت آخر، وهكذا دواليك . ولـكنه يسير وفق أحدث المناهج النقدية في الأدب ومن ثم ازداد خطر الـكتاب وأثره . درس السحرتي في كتابه مذاهب النقد، سواء منها المذهب الفني، أو الواقعي، أو المذهب الفقهي، دراسة تحليل وشرح .

ثم درس مقاييس النقد الأدبي، فبحث التجربة الشعرية وآثارها في الشعر المعاصر وآراء النقـاد فيها . ثم بحث كذلك الصيـاغة الشعرية وعناصرها، من مواءمـة وخيال وموسيقى ووحدة وتوازن وتناسب وتخيـر فني للالفاظ، وشخصية الشاعر نفسه . . . وتناول الألفاظ الشعرية ببحث مستقل . ثم درس الوحدة الشعرية في القصيدة شارحاً وناقداً، ومبيناً لعناصرهـا، ولاتجاه بعض شعراء الغرب للتحلل منها

ثم درس الانفعالات الشعرية والفكر في الشعر والموسيقى الشعرية ويتحدث اثر ذلك عن الشعر الرمزي، والسريالية الشعرية، ومظاهرها في الشعر العربي المعاصر .

ويفيض في الـكلام على نقد الشعر في مصر، وما ألف فيه، دارساً ومحللاً وناقداً، في إفاضة ودقة تحليل، وعمق دراسة، وسعة اطلاع . ويتحدث بعد ذلك عن المذاهب الأدبية والنقدية المختلفة، من كلاسيكية وابتداعية وواقعية، وأثرها في الشعر المعاصر،

(١) ص ٤ من الـكتاب (٢) ص ٥ من الـكتاب

مصوراً شتى الاتجاهات الشعرية الحديثة. الى غير ذلك من طريف الدراسات والبحوث والنقد والموازنة والتحليل والتوجيه للشعر المعاصر مما يعد تحفة أدبية نادرة في تراثنا الحديث.

٢ — ديوان بشار بن برد

صفحاته ٣٨٦ صفحة من حجم المقتطف — طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٥٠ — نشر وشرح الاستاذ محمد الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة الاعظم في تونس — وعني عليه ووقف على طبعه الاستاذان: محمد شوقي أمين المحرر في مجمع فؤاد الاول للغة العربية، ومحمد رفعت فتح الله الاستاذ في كلية اللغة العربية بالازهر الشريف

بشار بن برد زعيم الشعراء المحدثين المتوفي عام ١٦٧ هـ في غنى عن التعريف، ومنزلته في الشعر العربي والتجديد فيه لا تحتاج إلى بيان. ولكن شعر بشار قد فقد خلال الأجيال الطويلة التي أتت على تراثنا الأدبي، ولقي منها الحيف والاهمال والنسيان

ومن حسن حظ العربية وأدبها أن بقيت نسخة خطية فريدة من ديوان بشار في مائتين وخمس وسبعين ورقة (أو ٥٥٠ صفحة) بخط مصري قديم وبما كان يرجع إلى أواخر القرن السادس الهجري، وتحتوي على ستة آلاف وستمائة وثمانية وعشرين بيتاً من شعر بشار. وقد وقعت هذه النسخة الخطية الوحيدة الفريدة في مكتبة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ العلامة السيد محمد الطاهر بن عاشور، شيخ جامع الزيتونة الاعظم في تونس، فاعتز بها وعني بحفظها وشرحها ومراجعتها عناية فائقة.

وقد اتفق الأستاذ السيد عاشور مع لجنة التأليف والترجمة على نشر الديوان وأودع جميع أصوله لديها، فعهدت إلى عالمين جليلين من فحول أدبائنا بمراجعته والوقوف على طبعه والتعليق عليه، وهما الأستاذان: محمد شوقي أمين المحرر في مجمع فؤاد الأول للغة العربية، ومحمد رفعت فتح الله الأستاذ في كلية اللغة؛ فقاما بالمهمة الثقيلة خير قيام، ونشرا الديوان نشراً علميًّا سليماً على أجمل الوجوه وأدقها وأصحها.. وعملهما في الديوان هو كما يقولان في صدر الجزء الأول: معارضة النسخة الخطية للديوان على النسخة التي أعدها شارح الديوان للطبع، ومراجعة الشروح وتحريرها، والتعليق على ما كتبه الشارح في المواطن التي رأياها تستوجب التعليق، ومعالجة ما في الشعر من تحريف سكت الشارح عنه أو اتجه به وجهة لاح لهما سواها، وتبين ما غمض من لفظ أو أشكل من معنى مما لم يتناوله الشارح، والوقوف على طبع الجزء وتصحيحه، مع الدلالة على أوراق المخطوطة بوضع أرقامها في هوامش المطبوعة، ومع التزام وضع كل ما كتباه في الشرح داخل قوسين،

فصلاً بينه وبين ما كتبه الشارح . وهو عمل علمي ضخم جاء متمماً ومكملاً ومصححاً المجهود الذي بذله السيد ابن عاشور .

وقد ظهر من الديوان الجزء الأول الذي نقدمه اليوم لقراء العربية وأدبائها أثراً فريداً لجهود علمي جليل . فنهنيء الأستاذين الجليلين على عملهما الموفق المحمود ، الذي يعد بحق أجل خدمة علمية لأضخم ديوان من الشعر ، لشاعر من أعظم الشعراء في الأدب العربي .

٣ — هندية

تأليف الاستاذة جميلة العلايلي — صفحاتها ٨٨ صفحة من القطع المتوسط —
نشر مجمع الادب العربي بالقاهرة عام ١٩٥١

الكاتبة الشاعرة جميلة العلايلي ، رئيسة مجمع الأدب العربي بالقاهرة ، وصاحبة الانتاج الأدبي العالي المتعدد الجوانب ، الذي تقرؤه في « مرشد الفتاة » ، و « سعادة المرأة » ، و «النسمات» ، و « الطائر الحائر » ، و « المرأة الرحيمة » ، و « والأميرة » ، و « الراعية » و«أماني» ، و « الحب يهذي » و « أدب الربيع » و « وقضية فلسطين» و « أرواح تتآلف » ، و « إيمان الايمان » ؛ أو في ديوان شعرها الجميل « صدى أحلامي » ، أو في قصتها الممتعة الرائعة « هندية » .

هذه الكاتبة : تعد بحق من شهيرات سيدات الشرق في الأدب العربي المعاصر ، وقراؤها الكثيرون في كل مكان يجدون في أسلوبها الطريف روح القوة والجدة والجمال والمتعة النفسية العميقة ، مما يجعلهم دائماً راضين عن إنتاجها كل الرضا .

وقصة اليوم « هندية » تصور من بعيد هذه المعاني القوية ، والأهداف العالية التي تؤمن بها صاحبتها الكاتبة كل الايمان .. فهي قصة الصراع بين المادية والروحية ، قصة انتصار الروحية في صورة من صور الانسانية العامة .

وبطلة « هندية » فتاة مصرية ، تؤمن كل الايمان بزعيم الهند بل الانسانية الروحي « غاندي » ، وبشاعر الهند الأكبر وفيلسوفها الروحي « تاغور » . ومن أجل ذلك دار محور القصة حول هذا الايمان العميق الذي ملك قلب الفتاة وعقلها ومشاعرها واحساسها .

إن هذه القصة الجميلة تعبير قوي صادق عن أفكار حرة متصوفة تتجه إلى تهذيب العواطف والسمو بالمشاعر وبعث الايمان بالخير والطهر والسمو في قلب كل شاب وشابة .

محمد عبد المنعم خفاجي

١ — مؤلفات ابن سينا

تأليف الاب جورج شحاته قنواتي-باشراف الادارة الثقافية بالجامعة العربية
طبع دار المعارف بمصر-صفحاته العربية ٤٣٦ والافرنجية ٢٠ صفحة من قطع المقتطف

ابن سينا فيلسوف إسلامي ذائع الصيت ، مستفيض الشهرة ، لكنها شهرة ظلت غامضة لأن الرجل متعدد نواحي الاهتمام ، متسع آفاق الفكر ، ممارس كل ضروب المعرفة الانسانية ، فهو — كما يقول الدكتور أحمد أمين بك « يعتبر من كتّاب دوائر المعارف» لذلك لم يهتم المعجبون به — في ناحية من النواحي — أن يتقصوا بقية الجوانب اللامعة الأخرى في شخصيته النادرة .

ولقد أوشك أن ينال حظه من عناية الدول العربية والاسلامية بعد مرور ألف سنة على وفاته ، وكان من مظاهر الوفاء له ما ناله من اهتمام الادارة الثقافية للجامعة العربية ؛ إذ بعثت بعوثها العلمية للكشف عن تركته الفكرية في مكتبات تركيا وإيران والاندلس ، واتصلت بمعظم مكتبات العالم لتجميع الثروة الثمينة لتلك العقلية العلمية الفذة التي بزغت في مطلع الفكر العربي .

◆

وهذا السفر النفيس ثمرة الجولة الموفقة التي قام بها الآب قنواتي في مكتبات تركيا وضمها إلى ما عرف منها في مكتبات العالم من قبل ، نخرج منها بتعريف أكثر دقة واستيعاباً لمؤلفات ابن سينا ، وحقق منها المتشابه ، ونفى منها المكرر بأسماء مختلفة ، وزيف ما نسب إليها خطأ ، ثم صنفها ؛ مرة حسب موادها : كالحكمة والفلسفة النظرية والرياضة والالهيات ، والفلسفة العملية ... ومرة تصنيفاً زمانيّاً مكانيّاً ، مرتباً ما كتبه في بخارى ثم ما كتبه في رحلاته ، ثم في جرجان والري وهمدان وأصفهان على الترتيب .

وقد خص بعنايته مخطوطات ابن سينا العربيـة ، فراح يحصيها ، ويدرسها ، ويصفها وصفاً دقيقاً ، ويعرفها تعريفاً شاملاً ، ولكنه لم يغفل ما كتب عن حياة ابن سينا ومؤلفاته .
وهو بهذا الجهد الموفق يرفع المصابيح المتوهجة على رءوس المسالك والدروب لمن يريدون أن يرتادوها دارسين محققين لتاريخ ابن سينا ، عاملين على إخراج مؤلفاته إخراجاً علميّاً لائقاً بمكانة الرجل بين أعلام الفكر العالمي .

٢ — سان مرتين بطل السلام

تأليف ملاتيوس الخوري — طبع في بونس أيرس — ٢٨٠ صفحة لطع المقتطف

لأخواننا المهجريين في بلاد الدنيا الجديدة جولات صادقة يعاركون بها في أمجاد وطنهم الثاني ، حتى لنكاد نشفق على أنفسنا وعليهم أن يتناسوا أرض الميلاد الحبيبة ، ولكننا عند ما نصحبهم في هذه الجولات نقرأ في تمجيد الوطن الثاني آيات الوفاء للوطن الاول محفورة على قلوبهم أسطراً من نور الوطنية ، والايمان ، ونحس في هذه القبسات المضيئة شملاً وهاجة تلقي أشعة هادية في طريق المكافحين العرب في معركة التحرير .

وهذا واحد من العاملين على بعث الأمة العربية ، الحريصين على توطيد الصلات الثقافية ، والأخوة العاطفية بين الأمم العربية والأمريكية — يهدينا أنشودة في تمجيد البطولة مهما اختلفت مواطنها، ويقدم لبنة قوية لدعم صرح النهضة العربية الفتية.

والأستاذ ملاتيوس الخوري الكاتب الفذ ، والمهاجر السوري في الأرجنتين ، رسول ثقافة وداعية وئام بين الأمتين الناهضتين ، بما يؤلف في اللغتين العربية والاسبانية ويترجم من هذه إلى تلك فيهدي إلى كل منهما خلاصة أفكار الأخرى.

وكتابه عن « سان مرتين » يهدي إلى العرب ليعرفهم كيف يكون تحرير العبيد !! وإلى أبناء الأرجنتين ليكون مشاركة عاطفية نبيلة منه في الذكرى المئوية لبطلهم العظيم .

يتحدث في صدر الكتاب إلى الشبيبة العربية حديث الحرية والكفاح من أجل الاستقلال والسيادة ، ثم يلم بطلائع المدنية الأمريكية ، ثم يصور البيئة الجغرافية التاريخية الاجتماعية التي أنجبت سان مرتين وأطلعته في آفاقها بطلاً خالداً .

والكتاب سجل رائع للحرية ، ودراسة سيكولوجية للنهضة والكفاح والتفوق في أمة تشبه حالها — من وجوه كثيرة — حال الأمة العربية . ولم يبق إلا أن يترسم العرب خطواتها المتوثبة في دروب الحياة المظلمة ، ومسالكها الطويلة نحو فجر جديد .

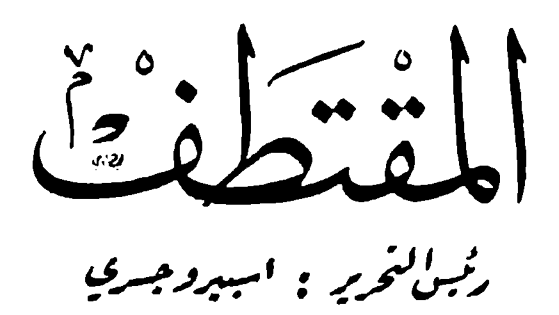
(وبعد) فهذه جولة طوفنا بها في أرجاء مكتبة المقتطف لنعرف تعريفاً سريعاً ببعض ما تيسر لنا من هذا المدد المتتابع الذي يغمرها به الأدباء والمؤلفون، ونرجو أن نكون قد فعلنا شيئاً ، قبل أن تحل بنا عطلة الصيف ويحيق بنا لوم الأدباء .

كما نأمل أن يكون لنا إليها رجع قريب نوفي به العلماء والمؤلفين حقهم من التعريف والنقد .

رضوان ابراهيم

الفهرس

للجزء الأول من المجلد التاسع عشر بعد المائة



رئيس التحرير : اسبيرو جسري

September 1951 (الجزء ٢ — المجلد ١١٩) سبتمبر سنة ١٩٥١

حديث المقتطف

ميدان الشرف هذا الموسم تحتله معركة الصحافة ، والصحافة في الأمة موطن الحساسية ، وإنسان عينها اليقظى ، لا تطرفها قذاة إلا جفلت الكيان العام ينتفض في مهب الأخطار ، ويزرح تحت رحمة المخاوف .

ومنذ كانت مقاليد الشعوب إلى صحافتها الحرة ، بات كل طائف عدوان يمسها ، أو طائش سهم يصيبها — إنما هو إلى قلب القيادة من هذا الركب قد سدد ، وعلى كرامة الشعوب وحقها في حرية الحياة قد وقع العدوان .

وما من شعب رضي لصحافته الحرة أن تستذل ، أو لقيادتها الموجهة أن تستغل — إلا خط بيده سطور هوانه على نفسه وعلى شعوب العالم الحرة أبد الدهر .

لكن الكاشحين من الحكام ، والمعوقين من الأفراد الذين لا يؤمنون بمكانة الصحافة الحرة في بناء الكيان الشعبي ، ما زالوا يصيحون صيحات التهديد — في كبر وعناد — كلما مست منهم الصحافة اعوجاجاً تبغي تقويمه ببنان الرفق أو عصا المؤدب .

❖

ومحنة الصحافة الحرة ليست وليدة هذا الزمان ؛ إذ هي مأساة الرأي الحر المضطهد

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

منذ قامت بأزائه فكرة الرجعية الجامدة ، الجاحدة ، المدافعة عن كيانها البالي بالوثوب على معاقل الحرية .

وليست وليدة هـذا المكان ؛ فلا يزال يطن في أسماعنا صدى صيحة الطاغيـة الذي استمدى طغيانه على دار من أكبر دور الصحافة الحرة في الارجنتين .

وما الغاء بعض الصحف في مصر إلاّ صدى لهذا الطغيان الذي نتسمع في رنينه ضجيج العدوان المنكر . ولا كانت الحبال المفتولة لخنق الصحافة في مصر الدستورية ، إلاّ رجعية تترنح وهي تلفظ آخر أنفاسها . ولـكن عزاء ؛ فليس ما تلقاه الصحافة من كيد في مصر بدعاً إذا قيس إلى بعض الدول القريبة ، ولكنه بهتان عظيم إذا انتسب إلى ما تلقاه من إجلال وتوقير في الأمم الحرة الحريصة على حريتها .

ومهما يكن فقد خرجت الصحافة من محنتها ظافرة تملي شروطها ، وكانت الضحية في هذه الجولة ذلك الفأر الذي اجترأ فحاول أن يضع الجرس في رقبة القط المتوثب .



ومحنة الصحافة عامة والأدبية بوجه خاص — لا تأتيها من طغيان الحـكومات فحسب ، ولـكن من طغيان الحوادث كذلك ؛ فما زالت أزمات الورق وغلاء مواد الطباعة تضيّق عليها الخناق ، وتعوقها عن المضي في أداء رسالتها العلمية والأدبية ، وتقص من أجنحتها كل يوم ما يقعدها عن التحليق .

ومن شأن هذا أن ينال من حماس الأدباء والـكتـاب والمفكرين ، فيصرفهم عن الأدب والفكر إلى حيث يجدون التشجيع ، أو يظفرون بالجاه أو يقعون على الثروة ، ويغريهم بالنزول إلى ميدان الشهرة الواسعة والمال الوفر والعمل المغل . . إلى أدب الدعاية والتهريج .

وإلاّ فلماذا تختفي صحف كان لها في عالم الأدب والفن والفكر صوت مسموع ، ليخلفها هذا السيل الجارف من الأدب الشهواني الذي يتملق الغرائز الدنيا في الشعب ، ويستهوى العواطف البدائية في الجماهير ؟ ولماذا تعيش البقية — التي استطاعت مقاومة الأعاصير — نحيلة هزيلة تخجل من كمها وكيفها ، ينصرف عنها رعاتها ودعاتها واحداً في اثر الآخر ، حتى يبقى أشجع جنودها يكافح الفقـر وينـاضل الجوع والافلاس ؟ وما مأساة مجلة « الأديب » البيروتية التي أرغم راعيها صديقنا الـكريم وزميلنا العزيز الأستاذ البير أديب أن يبيع كتبه ومقتنياته في سبيل استمرارها ودعم أركانها — ما ذلك الخطب عن القراء في العالم العربي ببعيد ، وما كان ينبغي أن يحدث هذا ، ولـكن ما الحيلة ؟

ولا مأساة صحيفتنا التي هزلت وهزلت حتى كادت دفتاها تلتقيان — بخافية على قرائنا الكرام ، ولا نحن ملومون إذا اعتذرنا لهم من هـذا الهزال بعد أن احتملنا ما نطيق وما لا نطيق في سبيل إصدارها بالحجم اللائق بمكانتها وماضيها التليد، فقد تكبدنا من الخسائر الجم الكثير متصبرين متطلعين إلى عنـاية العلي القدير . راجين أن تنفرج الأزمة ، وتنقشع سحائب الدخان المنعقد في أفق العالم . ضحينا في هـذا السبيل متعللين بالأمل حتى صفرت ذات اليد ، ولم يعد لنـا ما نضحي به فرضخنا لسياسة الأمر الواقع وإن كان مراً وأليماً ، ولم يعد في طوقنا أن يتوالى هـذا النزيف من دماء المقتطف ، فأمسكناها على هذا الرمق وجعلناها في ٦٤ صفحة حتى يتأذن الرب بسلام شامل .

ولا تسل عن مآسي الصحف الأدبيـة التي أصابهـا ما أصابنـا في مختلف البلاد العربية ، على ما تنعم به صحف الدعاية والتهريج والتفاهات ، من عدة وعتاد، ومؤونة وزاد ، تمكن لها من مقاتل الفضيلة ، وتخولها العـدوان على معاقل الأخلاق .

فمن الملوم يا قوم؟ أدباؤنا الذين تفرقت بهم السبل وغررت بهم الأباطيل ، فانصرفوا عن الباقيات الصالحات إلى بهرج لا يبقي على الحياة ، ولا يخلد على الأجيال ؟ أم القراء الذين استمرءوا اللهو الفارغ ، وانساقوا في تيار الأدب الحالم، وتمادوا في جو من الخدر والفتور؟

أم الهيئات الثقافية في أقطار العروبة ـ رسمية وغير رسمية ـ تدع الأدب العربي ـ وهو الصلة الباقية من وشائج العروبة ـ يذوى ويضمحل وينتحر على مذبح الاهمال والجحود والنكران؟

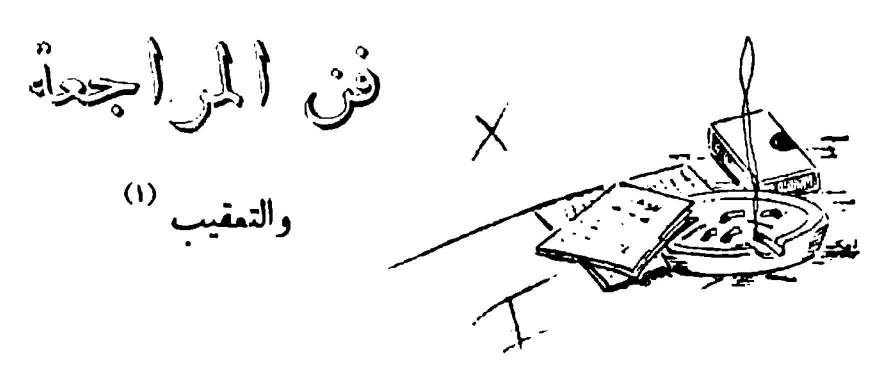
❖

وبعد — يا قراءنا الفضلاء — لقد ودّعناكم في العدد الماضي لنخـلوا الى انفسكم ، وتستمتعوا بعطايفكم ، ولنخلو نحن الى أنفسنا فنجهز لـكم هدية المقتطف الدسمة الشهية لتكون تعويضاً عادلاً عن شهري يوليو وأغسطس من سنة ١٩٥١ .

و « حواس المدنية » — هديتنا اليكم — كتاب علمي أدبي قيم ، ومؤلفه الأستاذ «اميل توفيق» أديب عالم شاب ، بذل في تدبيجه جهوداً يغبط عليها ، فجاء عملاً رائعاً يجمع بين فورة الشباب واتزان العلماء ، ولقد تحدث فيه عن الجمال والفن والتربية حديثاً جمع بين طرافة الأدب وحقائق العلم .

بقي من حق ادارة المقتطف عليّ أن أتوسط لدى القراء والمشتركين الافاضل ، وهم الأمل الباقي للمعاونة على استمرار صحيفتهم المحبوبة في كفاحها ، ومن حقهـا عليهم أن يبذلوا لها ضريبة هذا الود وذلك الإعزاز، ولن نطلب اليهم أكثر من أن يستجيبوا لرجاء الادارة، باداء قيمة اشتراكاتهم في مواعيدها.

**



فن المراجعة والتعقيب [1]

للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

مراجعة الكتب الجديدة والتعقيب عليها ، صنيع حديث في الصحافة يطل منه القارىء على حقل الفكر وثماره المنوّعة الألوان . فهو بمثابة الضوء الهادي لطلاب المعرفة ، والموجة الدافعة للتأليف الأدبي والفني والعلمي .

وهدف المراجعة تزويد القارىء بمعلومات مرشحة عن الكتب الجديدة ، وإعطاؤه صورة واضحة أمينة عن قيمتها، لاثارته إلى مطالعة الصالح والمحبب له وتركه السيء أو غير الملائم لميوله.

فعمل المعقب ، عمل كبير من الناحيتين الخلقية والفنية ، يقتضي الكياسة والأمانة والنزاهة والانصاف ، كما يتطلب الذوق والمعرفة والذكاء ، وأصول الصناعة الفنية .

وهو في ولوجه هذا الباب من الكتابة ، قد تحمّل أمام القارىء أمانة غربلة ثمرات القرائح ، كما تحمّل أمام الفن ، تبعة معايشة المؤلف ، والتحليق في جوّه ، والاستغراق في الكشف عن تجاريبه ، ووجهات نظره .

وهذه العملية الأخيرة ، تماثل عملية المؤلف في ابتداعه ، لأن المعقب يواجه في كل كتاب ، تجربة جديدة ، تدعوه إلى ملاقاة الكتاب في أنس ، والتآلف مع مؤلفه ، والاقتران بأفكاره وعواطفه ، والتعبير عن تأثراته وانطباعاته تعبيراً مؤدباً صادقاً شريفاً ذكياً مستقلاً .

وتتفاوت هذه العملية بتفاوت الفن الذي يعالجه المعقب ، فهي في الصنيع الشعري

---

(١) استعملنا « التعقيب » بمعنى « المراجعة » في هذا المقال من باب التجوز ، والمقصود بها الكلمة الانجليزية Reviewing .

غيرها في الصنيع الروائي أو الدرامي . إذ يتطلب كل صنيع فني من المعقب تهيؤاً سيكولوجياً وفنياً خاصاً .

فالمعقب على الشعر مثلا ، يجهد في التعرف على تجاريب الشاعر ، ومدى طاقته وإخلاصه وسحره في التعبير عنها . والمعقب على الرواية يقبل على قراءتها في شوق ليتعرف أفكار الكاتب وأهدافه ، ويسائل نفسه عما إذا كان قد وجد فيها صورة صادقة من صور الحياة وملامح الناس . والمعقب على الدرامة ، يكشف عن تأثراته وانفعالاته وقدرة المؤلف في بيان مجرى حيوات الناس ، وأعمال القدر ، وكذلك يتتبع الأحداث ، واشعاعات الشخوص ، وصدق الحوار وجو الرواية وما إلى ذلك من مستلزمات الصناعة الفنية .

وفن التعقيب ، له أصوله وقواعده وطرقه الخاصة ، والملحوظ في هذا الفن ، أن يبدأ المعقب بنقطة معينة تجدد شوق القارىء ، وتثير اهتمامه ، ويتبعها بالمعلومات التي يريد اثباتها ، ويرتبها على مقتضى أهميتها ، وتدور هذه المعلومات ، كما يقول روبرتسون في كتابه (مقدمة عن الصحافة الحديثة)[1] حول بيان هدف المؤلف ومدى نجاحه فيما سعى إليه ، ووصف الكتاب ومحتوياته وأسلوبه ، وعقد مقابلة بينه وبين ما وضعه المؤلف من كتب ، أو ما أخرج الغير من كتب مماثلة ، ثم تقدير الكتاب وتقييمه » .

ويجمل بالمعقب اختيار فقرة أو أكثر ، اختياراً سديداً لبيان فكرة من الفكرات الجوهرية للكاتب ، وإلقاء ضوء على أسلوبه ونغمته ، ولا يحق له إذا وجد كتاباً قيماً ، أن يقتطف منه فقرة ضعيفة أو جملة واهنة زحفت فيه ، لمخالفة ذلك لأصول الصحافة النظيفة.[2]

ومن المستحسن عند الانتهاء ، أن لا يبين المعقب النهاية ، بل يدع للقارىء التفطن إلى قيمة الكتاب بنفسه ، والاعتماد على ما قدم المعقب من معلومات في تعقيبه . وفي اخفاء النهاية ، إثارة للقارىء ، إلى المطالعة . ودعوة لاقتناء الكتاب المعقب عليه .

وأهم ما يجب على المعقب ، إن يتحلى في تناوله للكتاب المعقب عليه ، باللطف والأدب بله الكرم ، لأن التعقيب تعريف الكتاب الجديد للقارىء تعريفاً حصيفاً ، وبيان وجهة نظر المؤلف ، وشرحها وتفسيرها فهو ليس نقداً ، وإن كان رافداً من روافده . لأن النقد فحص دقيق عميق ، يباح فيه مخالفة المؤلف في آرائه ووجهات نظره ، كما يباح له مهاجمة المؤلف بل تجريحه فيما كتب بشرط أن لا يمس شخصه .

وليس التعقيب إلا نوعاً من المصادقة للكتاب ، وتقديمه للقارىء ، وتقضي الكياسة

(1) Stewart Robertson — Introduction to Modern Journalism p. 303 — 1930

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٣

عند التقديم ، أن يتحلى المقدم باللطف والتواضع ، وفي هـذا يقول « ج . م . يونج » في كتابه « المقالات الأخيرة »[1] إن لقاء الكتاب الجديد كلقاء الصاحب الجديد ، يجب أن يكون متسماً بالبشر والترحاب والحدب ، لمعرفة خلقـه ، وسبر غوره ، واكتناه سره ، فاذا كان أول ما يلحظ في الصاحب الجديد وجهه وصوته ، والتعرف من حديثه على هدفه ورغباته ، وتكوين فكرة عن خلقه، ثم اصدار حكم قريب من الصواب ، بعد التجارب معه .

فكذا الحال في التعقيب. يبدأ المعقب رقيقاً لطيفاً ، كما يبدأ اللقاء ثم يتناول المعقب تعبير المؤلف ، ليتعرف مواءمة عباراته لآرائه ، أو تفصحه ، وميل عباراته إلى الزركشة وتغطيتها على آرائه. وبمعنى آخر يكشف عما إذا كان حديث المؤلف حديثاً طبيعيـاً بعيداً عن الادعاء والغرور ، حديثاً عذباً مقبولاً لدى القـارىء المثقف والعادي على السواء .

فالمعقب لا يقول ما يشاء ، بل ما ينبغي أن يقال ، وحريته في التعقيب مقيدة كما يقول : هوكنج — في كتابه « حرية الصحافة »[2] « بالمواطنيـة الطيبة ، واللبـاقة الواجبة » والمعقب الذي يصدر في تعقيبه عن خشونة أو غضب ثائر ، والذي تنطوي تعقيباته على إثارة الأحقاد والشكوك والمبالغة في الانفعالات ، لا يحق له أن يمسك القلم حتى يتأدب النفس ، لأن هـذا الأدب كما يقول — روتلدج — في كتابه « سياسات الرجل غير السياسي »[3] ضرب من الثقافة ، وبعض الكتّـاب تنقصهم هـذه الثقافة ، وإن أخرجوا « أدباً ذكياً » ولا مفر مع دماثة المعقب ، من معرفته للمقاييس التي يقاس بها الصنيع الأدبي أو الفني الذي يعقب عليه ، وإلا كان تعقيبه واهناً لا يقوم على أساس صلد ، وفي ذلك يقول « إدجار ديل » في كتابه « كيف تقرأ الصحيفـة »[4] : أن الناقد الحسن أو المعقب لا يقول لنا عما شعر به فقط ، بل أنه يثبت رأيه فيما قرأ . فلا يقول : « أحببت هـذا الكتاب أو هـذا الفلم ، أو لم أحبه ، بل عليه أن يقول لم أحبه أو كرهه ؟ ولمـاذا ارتأى أنه حسن أو رديء ، أنه يناقش قيمة الكتاب » « ولا بد أن تكون لديه تجربة في الميدان الذي يغامر فيه ، ويحكم على هـذا الأساس » « وكثير من النقاد أو المعقبين لم يكوّنوا مقاييسهم الخاصة للحكم على الروايات ، والأفلام ، والكتب ، والقطع الموسيقية » وهذا لا يثمر نقداً أو تعقيباً بصيراً شهياً ، يشوّق الجمهور إلى المطالعة » .

فليس ريب في ضرورة التعقيب الموضوعي ، المجـرّد من نزوات المعقب وهواجسه

(1) G. M. Young Last Essays p. 10' - 1950 (2) Hocking-The Freedom of the Press p. 80
(3) Roteldge — The Politics of the Unpolitical
(4) Edgar Dale — How to Read a Newspaper p. 168, 169.

وبدوانه والذي ينطوي على النظر فقط إلى صفة الكتاب وعلى وجهة نظر كاتبة – ومن الخطأ ، كما يقول – والتر ألين في كتابه « قراءة الرواية »[1] « أن يحمل المعقب حملة غبية على فن جديد لا يتفق مع مذهبه ، وأن يبدى سخطه على أراء مخالفة لآرائه ، بل عليه أن يلاقي الآراء المخالفة له ، في شرف وحياد ونزاهة ، كما يجب أن يلاقى الناس معتقداته وآرائه » . ويستبين ، مما تقدم ، أن التعقيب ليس عملاً سهلاً ، يقوم به كل من حمل القلم ، بل هو عمل فني هام ، ينطوي على الكياسة ، ويقوم على مؤهلات خاصة ، ولا يمكن أن ينهض به إلا كتاب متمرسون يمكنهم أن يتذوقوا الكتاب ويشموه Smell ، ويصلوا إلى جوهره ، ويكونوا عنه رأياً سليماً[2]

ولا يعد من التعقيب ، ما يثور من زبد التهجم على شباة الأقلام ، ولا الادعاء والتعالم ، ولا التنقيب المحض عن عيوب الكتاب ومساوئه ، كما لا يعد منه مجرد التعريف به ، والاعلان عن صدوره وشكله ، والدوران حول موضوعه دوراناً عابراً ، والاستشهاد بفقرة من مقدمته ، لأن هذا النوع من الكتابة هو ما يسمى في الصحافة الحاضرة بالاعلان Notice –[3] والملحوظ أن فن المراجعة والتعقيب يكاد يساير فن النقد في مذاهبه ، فهناك تعقيب كلاسيكي ، يسير فيه المعقب على قواعد ثابتة لا يحيد عنها ، فيتحدث عن كل باب من الكتاب على ترتيب أبوابه ، ويكشف عن محاسنه ومساوئه ، ويهتم بأخطائه اللغوية والنحوية والبيانية ، وغاية هذا المذهب تعليمي ، واتجاهه مدرسي.

وهناك تعقيب رومانتيكي ، تنعكس فيه خواطر المعقب وتأثراته الذاتية ، وتنبثق منه في بعض الأحيان نفثات أصلية واشراقات مضيئة ، وقد تنبعث منه في أحيان ، جمحات مخيفة ، وشطحات شرود .

وثمت تعقيب اجتماعي أو واقعي ، يدور جل اهتمامه حول موضوع الكتاب وهدفه ، وأثر العوامل الاجتماعية في كينونته ، وما يرقد وراءه من خير للمجتمع .

هذه هي المذاهب الثلاثة التي تلحظ في فن المراجعة ، وقد لا يتقيد الكاتب بها ، وينسج مراجعته على مذهبين ، أو يجمع بطرف من المذاهب الثلاثة ، أو ينحو منحى مستقلاً أصيلاً .

[للبحث بقية]

---

(1) Walter Allen – Reading the Novel

(2) Leonard Russell-Literary Criticism (The Kemsley Manual of Journalism p. 267. 1950

(٣) راجع في هذا كتاب « جرانت . م هايد » « الكتابة الصحفية . Grant. M. Hyde
Journalistic Writing. Fourth Edition 1946 – p 302

- Masterbation -

العادة السرية (1)



للدكتور ابراهيم ناجي بك

العادة السرية قديمة جداً ، وقد دلت النقـوش في معابد بعض الأمم القديمـة — كالصين — على أن مزاولة هـذه العادة شيء يرجع إلى أقدم أزمنـة التاريخ . وقد دلت الأبحاث على أنها أمر شائع في الحيوانات على اطلاقها ، شوهدت في الخيل ، والفيلة ، والمـعز ، والغنم ، وأما في القرد فأمرها مألوف . ويقصد بالعـادة السرية ، الحصول على الارواء الجنسي باليد ، بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة ، وأقصد بغير مباشرة الاستعانة بأشياء تشبه الأعضاء التناسلية . وقد فضل الباحثون أن يشمل التعريف أي « ارواء جنسي يزاوله شخص بمفرده » . . . . . واذا استعرضنا تاريخ هذه العادة على مر الأجيال ، علمنا أن سببين كبيرين أو بالأصح عاملين كبيرين كانا دائماً السبب في شيوعها . الاول: عدم الحصول على الوسيلة الطبيعية والاشباع الجنسي بأي طريقة من الطرق . وأهم الموانع ، العزلة والبعد عن الرفيق ، أو وجوده مع صعوبة الحصول عليه . . . هذا هو السبب الأول ويمكن أن نسميه « الحرمان الجنسي » . . . . وأما السبب الثاني: فانتشار الفساد وظهور الاضمحلال في أمة من الأمم . فان الفساد والاضمحلال يقترنان أولاً: باستباحة ما هو غير مباح ، وثانياً: الاستكثار من وسائل اشباع اللذة ، امعاناً في السرور والشرف . والدليل على ذلك ما نعرفه من أمور الدولة الرومانيـة في اضمحلالها ، فقد انتشرت فيها هذه العادة ، وصارت مزاولتها علناً أمراً لا عيب فيه . والأدهى أن حفلات الترف واللهو كانت تقام لتزاول فيها العادة السرية ، يزاولهـا الرجال لأشباع الرغبة الجنسية عن هذا السبيل . . .

المهم انني أعرض سببين لانتشار هذه العادة ـ الحرمان واضمحلال الخلق . . . . ـ

أما الحرمان الجنسي ، فاني أجعله عنواناً يضم تحتـه عدة عناوين صغيرة . . . فكما اننا نحب أن نعالج العادة ، لا كمرض قائم بذاته ، بل كعارض من أعراض مرضية أخرى ، فكذلك الحرمان الجنسي ، وعلينا أن نبحث وراءها . فان هـذا البحث سيصل بنا إلى معالجـة أمور خطيرة . فعلينا اذن أن نبحث من الحرمان ، أو بالأصح عن العزلة التي تساوي الحرمان ، ما أسبابها ؟

هنا نستعرض حياة الطفل ، وحيـاة المراهق ، وحياة الرجل ، فان لكل من هـذه المراحل وجهة خاصة . أما الطفل ـ وقد شوهد أطفال كثيرون يزاولون العادة السرية ـ فان شيئين يستأثران باهتمامنا عنه ، جسمه ، ووالدته أما جسمه فأهم ما فيه بصدد موضوعنا : جلده ، ثم المناطق الحساسة التي بالجلد وخاصة الفتحات كالفم والشرج .

فاذا تهيجت هـذه المناطق بسوء الاستعمال ، باللمس أو المنشفـة ، أو بالأمراض (كالديدان) فنحن عند أول داع لكي يزاول الطفل هذه العادة و الباعث هو التهيج المحض لا الجنس . . . . ولكن الأم . ما دورها هنـا ؟ انها تهجم على الطفل ، وهي تشتبشع ما يفعله وتهدده بحرق يده ، أو بقطع عضو آخر . . . لأنها تجهل ما يحدث أمامها ، وتظن ان ما يقوم به الطفل عمل جنسي لا يليق ، وبتهديد الطفل ، يبدأ دور النواهي ، والمخـاوف ، والعقد ودور الاحساس بالذنب Sense of guilt والأم الجـاهلة تعتقد أنها بهذه النواهي ، والتهديدات قد قضت وطرها ، أو قضت على العادة .

كلا بل انها بدأت بأحداث أكبر عقدة في حياة الطفل — ثم الرجل فيما بعد - ألا وهي الشعور بالذنب . . .

إن هذا الشعور بالذنب يطوي مؤقتاً ، ولكنه دائمـاً في حاجة إلى التكفير . والتكفير له سبل كثيرة منها عقاب النفس ، إما بالفكرة ، واما باساءة الجسد واحداث الألم به . وخاصة إذا هددت الأم طفلها بالقطع فانه يحدث له ما يسمى مركب الخصي Castration Complex وهذا مركب يعلق عليه فرويد تعليقاً كبيراً ، وهو مركب مستقر في العقل الباطن ، يدور حول مخاوف مبهمة عن الاعضاء التناسلية ويؤدي إلى الشذوذ الجنسي أو الضعف التناسلي . ولمـا كانت العادة السرية في طريقة مزاولتها ما هي إلا نوع من العنف عبّر عنه العرب تعبيراً صحيحاً حين دعوا العادة السرية « جلد عميرة » وهي في عرف علماء النفس الحديثين نوع من الاعتداء aggression or frustration فقد اجتمع لنا في الطفولة عاملان هامان هما تهييج الجلد ، وخاصة جلد اليد ، ثانياً تربيـة الاحساس بالذنب وما يتلوه من التكفير في الاعتداء على النفس وعقابها . .

عند ما يأتي دور المراهقة يكون الصبي قد أخذ يفهم ويبدأ السرور بالاداء الجنسي يستيقظ ويكون قد عرف اللذة الحسية . وكذلك ينشط الخيال عنده . كما تنشط الغدد ، وأهم شيء في هذا الدور الخيال ' إذ ليس هناك اتصال جنسي بالمعنى المعروف ، وإنما كل ما يكون انما هو خيال يدور حول الجنس . . . وهنا يجيء دور الأم مرة أخرى وأقول الأم ، متناسياً الأب لأنها هي التي عليها أن تدقق وتلاحظ لأن وقتها يتسع لها . انها تلاحظ في هذا الدور تغيراً في صبيها وتلاحظ انه يحب العزلة والانفراد ، وتلاحظ انه يحاول أن يخفي عنها كتاباً يقرؤه ، أو صوراً يخبئها . . . وتلاحظ كذلك شحوبه وأرقه . ونحن نتصور هنا طفلاً تسبب أم جاهلة في احداث العادة السرية عنده بدون أن تقصد . . . قد صار مراهقاً الآن ، والأم تلاحظه . انها راقبته وقد عرفت سره . انها ليست أما جاهلة فحسب . بل شديدة الرقابة ، شديدة الزجر ، متطرفة في عقائد دينية عنيفة وهي من أجل هذا تمنعه من الاختلاط ، وقد تحبسه وتضربه إذا لمحته في صحبة صبية غريبة . ولكنها أم على كل حال ، فهي قد ارتاعت لشحوبه ، وهي قد صممت على عرضه على طبيب لأنها راقبته فرأته يزاول العادة السرية . ليس لدى الطبيب إلا أن يفحصه ، ويعطيه الدواء المقوي ويزوده ببعض النصائح . أما هي فتخبر أباه ، وقد تخبر أخاه الأكبر ، وقد يجتمعون ليؤكدوا له ان ما هو مارع فيه يؤدي إلى الجنون أو إلى العمى أو إلى الشلل . ويكون المسكين قد زاول هذه العادة خفية مدة طويلة قبل أن يكتشف . فيؤكد لنفسه أنه — حتماً — سائر إلى الجنون أو العمى أو الأعراض الخطيرة . فتضعف نفسه ، وتنهار ارادته ، ويظل تحت أسر العادة بدل أن يستطيع التخلص منها . . .

مسكين هذا الصبي الذي نحسبه يمارس هذه العادة لمجرد السرور الحادث منها !

كلا إن ما يجري ، كالشذوذ الجنسي ، كالمفضليات prolevoe أي المسرات الحسية التي يفضلها الكثيرون عن الطريق الطبيعي . . انما يمارسها نتيجة لأخطاء قديمة في التربية المنزلية ، ولأخطاء في المجتمع المتلىء بالنواهي والجهل الجنسي القائم ، ولأخطاء في الفهم حول هذا الموضوع . . .

عند ما يشب الصبي الذي يزاول العادة (الجنسية) فشيء من اثنين إما أن تشغله العلاقات الطبيعية وتصرفه عن العادة ، وإما أن يستمر فيها ، وقد تحققت — كطبيب — أن استمرار رجل على العادة السرية ، يكون سببه دائماً مرضاً بالبروستاته ، أو الجزء الخلفي من مجرى البول بسبب العادة السرية . وان علاج هذه الأسباب كفيل بالشفاء لأن مزاولة العادة السرية لمدة طويلة يحدث تهيجاً بالجزء الخلفي من مجرى البول يستثير الشهوة الجنسية

التي تدعو إلى العـادة السرية ، التي تسبب بدورها احتقـاناً وهكذا . . وعلاجي لها بسيط ، وهو الديا ثرمي ، والتقطير بنترات الفضة في المجرى الخلفي . . .

قد تكلمت عن الحرمان والعزلة ، وما يفرضه المجتمع الناقص على المراهق أو الشاب . وأعني بالمجتمع الناقص المجتمع الذي سد باب التخفيف ، وعجز عن فتح أبواب أخرى تندى الالحاح الجنسي وقسوته . . إن المراهق الذي يعتزل ، ليروي خياله بمن يتصور أو يحب ، يكون في أول أدواره نحو القلق العصبي Anxiety . فاذا اقترن هذا القلق بمخاوف قديمة ، وبألوان من الندم والرغبة في التفكير والاحساس بالذنوب ، تكوّن لنا انسان اذا تملكته عادة فليس له من سبيل للتخلص منها ، لأنه قد فقد ارادته ، وكلما فقد ارادته صار عبداً لها ، وكلما صار عبداً لها زاد انفراداً بنفسه للحصول على لذة ميسرة سهلة ، وكلما حصل على اللذة السهلة أفرط فيها فأصابته اضرار الافراط لا اضرار العادة . ولست من الذي يهونون اضرارها . ولو أني لا أميل الى التهويل . ان الأضرار النفسية إن لم تكن حادثة من العادة بالذات ، فانها مقترنة بها ، وأعني بذلك أن هناك نفساً مريضة ، أو مهيأة للمرض النفسي ، وقعت في أسر العادة السرية ، التي جاءت نتيجة للمرض النفسي مع عوامل أخرى ، فلدينا اذن حلقه قبيحة كما يقول الانجليز . . .

الخلاصة إننا يجب أن نعد المريض بالعادة السرية ، مريضاً نفسيـّاً ، مريضاً برذيلة علينا أن نخلصه منها فهل يكفى التخويف ؟ كلا انه يضر كما بينا ، هل يكفي أن نقول له إقلع ، وان يقول لنفسه في إصرار عليّ أن أقلع . . . عليّ أن أقلع ؟

كلا ان هـذا لا يفيد . ان هناك قانونا يقول : اذا تصارعت ارادة مع الخيـال فاز الخيال ، وقد شرحت ان الخيال ، خيال المحبوب ، وخيال صورته ، وخياله في أحضان الفكر . . . كل هذا كفيل بأن يقضي على الارادة ، المنهارة من أصلها .

اذن فما النتيجة ؟ وكيف السبيل ؟

أولاً : نفحص المريض جسميـّا لنتأكد من عدم وجود مهيجات .

ثانياً : نفحص عقل الام والأب لمنع تصرفاتهما الخاطئة .

ثالثاً : يعتبر المريض بالعادة مريضاً نفسانيـّـا جديراً بالتحليل .

رابعاً : نعلم اننا لا نستطيع صرف عادة بمحاولة نسيانها ، بل نصرفها باحلال عادة صالحة مكانها ، عادة سارة تشغـل وقت الصبي أو الشاب وأخيراً . . . لا بد من اجتناب العزلة ، لا بد من النزول في زحام الحياة ، لا بد من الاختلاط والانشغال بالعالم وأموره .

نظرات في النفس والحياة

— ٣٢ —

تتمة نظرات ابن المقفع



للأستاذ ع . يش

(٤) لا يوقعنك بلاء خلصت منه في آخر لعلك لا تخلص منه — وقد يخلص الناس من بلاء بوسائل توقعهم في بلاء آخر ويوهمون أنفسهم أنهم ربما وجدوا خلاصاً سهلاً من هذا البلاء الآخر متى شاءوا بعد اتخاذه وسيلة للخلاص من البلاء الأول، وأقرب مثل لذلك الكاذب الذي يخلص من بلاء بكذبة موبقة وادعاء يوقعانه في مؤاخذة لو عرف بطلان كذبه وادعائه ، أو مثل الذي يتجنى على آخر ثم يحاول أن يخلص من عاقبة تجنيه بجناية أخرى .

(٥) لو أن رجلاً كان عالماً بطريق مخوف ثم سلكه على علم به سمى جاهلاً ، ولعله إن حاسب نفسه وجدها قد ركبت أهواء هجمت بها فيما هو أعرف بضررها فيه وأذاها من ذلك السالك الطريق المخوف، ومن ركب هواه ورفض ما ينبغي أن يعمل بما جربه هو أو أعلمه به غيره. فكان كالمريض العالم برديء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقيله، ثم يحمله الشره على أكل رديئه وترك ما هو أقرب الى النجاة والتخلص من علته، وأقل الناس عذراً في اجتناب محمود الأفعال وارتكاب مذمومها من أبصر ذلك وميزه وعرف فضل بعضه على بعضه، كما أنه لو أن رجلين أحدهما بصير والآخر أعمى ساقهما الأجل إلى حفرة فوقعا فيها، كانا إذا صارا في قاعها بمنزلة واحدة ، غير أن البصير أقل عذراً عند الناس من الضرير، إذ كانت للأول عينان يبصر بهما وهذا بما صار إليه جاهل - (وللفيلسوف سقراط رأي في موضوع الخير والشر فهو يقول كما روى أفلاطون عنه إن المرء لا يرتكب الشر ويختاره وهو يعلم أنه شر، ولا يتجنب الخير وهو يعلم أنه خير، ولعله يعني أن الاهواء تغطي على بصيرته، فيصير علمه جهلاً، فتوهمه أن في عمل الشر خيراً أكبر، وفي تجنب بعض الخير خيراً أعظم ، وهذا كما وصف المأمون به العلم، كما رواه الجاحظ في كتاب البيان والتبيين : العلم بصر وخلافه عمى ، والاستبانة للشر ناهية عنه والاستبانة للخير آمرة به) .

(٦) إن في الناس ناساً كثيراً يبلغ من أحدهم الغضب ـ اذا غضب ـ أن يحمله ذلك على الكلوح والتقطيب في وجه غير من أغضبه وسوء اللفظ لمن لا ذنب له والعقوبة لمن لم يكن يهم بعقوبته، وسوء المعاقبة باليد واللسان لمن لم يكن يريد به إلاّ دون ذلك . ثم يبلغ به الرضا ـ اذا رضي ـ أن يتبرع بالأمر ذي الخطر لمن ليس بمنزلة ذلك عنده ، ويعطي من لم يكن أعطاه، ويكرم من لا حق له ولا مودة. فاحذر هذا الباب كله فإنه ليس أسوأ حالاً من أهل القدرة الذين يفرطون باقتدارهم في غضبهم وسرعة رضاهم، فانه لو وصف بصفة من يتلبس بعقله ويتخبطه المس من يعاقب في غير من أغضبه، ويحبو عند رضاه غير من أرضاه، لكان جائزاً في صفته — (وهذا يذكرنا الأمراء الذين كانوا يعاقبون بالقتل رسلهم الذين يبلغونهم خبراً سيئاً، كفرعون في قصة ثيوفيل جوتييه، كما يذكرنا أيضاً دانزيو الشاعر الايطالي الذي كان يمنح من خدمه ومن لم يخدمه من خدم النزل والمطعم مالاً كثيراً لا تسمو إليه همتهم خشية احتقارهم اياه لانه كان به الشعور بالنقص)

(٧) اعلم أن بعض شدة الحذر عون عليك فيما تحذر، وان شدة الاتقاء قد تدعو اليك ما تتقي (وتولع بك ما تخاف ممن تخاف ، لأن الافراط في الحذر قد يؤدي الى الحيرة والارتباك والقلق والتخلق بمظاهر الريبة، والمريب متهم والريبة تجذب عداوة الناس الى صاحبها كما يجذب المغناطيس الحديد)

(٨) قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترىء عليك عدوك، وتذل نفسك، ويرغب عنك ناصرك، ومثل ذلك مثل العود المنصوب في الشمس إن أملته قليلاً زاد ظله وان جاوزت الحد في إمالته نقص الظل — (وفي التذلل للعدو يقول ابراهيم بن العباس صاحب المقطعات الجامعة :

يصبح أعداؤه على ثقة ... منه وخلاّنه على وجَل

تذّللاً للعدو عن ضعة ... وصولة بالصديق عن دخل

(٩) اياك أن يكون من شأنك حب المدح والتزكية ، وأن يعرف الناس ذلك منك فيكون ثلمة من الثلم يتقحمون عليك منها ، وباباً يفتتحونك منه ، وعيبة يغتابونك بها ويضحكون منها. واعلم أن قابل المدح كمادح نفسه، والمرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده، فان الراد له محمود، والقابل له معيب — (أين هذا الأدب من هراء سجع الكهّان في القول المنسوب إليه : شربت الخطب ريّا، ولم أضبط لها رويا، ففاضت ثم غاضت، فلا هي نظاماً وليس غيرها كلاماً)

(١٠) أمور لا تصلح إلاّ بقرائنها : لا ينفع العقل بغير ورع ، ولا الحفظ بغير عقل ولا شدة البطش بغير شدة القلب ، ولا الجمال بغير حلاوة ، ولا الحسب بغير أدب ولا السرور بغير أمن ولا الغنى بغير جود ولا المروءة بغير تواضع ولا الخفض (أي اليسر) بغير كفاية، ولا الاجتهاد بغير توفيق — (وإلا أدى العقل إلى الفساد ، والحفظ إلى الخطأ والبطش الى الانكشاف والانخذال، وكان الجمال سمجاً، وكان ما يمت الحسب دناءة وشراسة، ووراء السرور همّـاً وقلقاً، وكان الغنى بطراً ولؤماً، والمروءة منّـا والخفض عسراً لا يغني والاجتهاد عناء وخيبة)

(١١) إن صحبة الأشرار ربمـا أورثت صاحبها سوء الظن بالأخيار وحملته تجربته في صحبتهم على الخطأ — وأقل ما يكون من ذلك أن الأخيار اذا عاملوه بالكرم والخير واللين حسب كل ذلك منهم نخاً وشركاً يريدون أن يوقعوه فيه — وقد يغالي فيحسب كل بريء متهماً حتى تظهر براءته، بدل أن يحسب كل متهم بريئاً حتى تظهر إدانته ، وبطبيعة عملهم ومقابلتهم للاشرار يميل رجال الشرطة ومن شابههم إلى سوء الظن بالناس .

(١٢) اذا أردت السلامة فأشعر قلبك الهيبـة للأمور من غير أن تظهر منك الهيبة فيفطن الناس لهيبتك ، ويجرّئهم عليك ظهورها ، ويدعو اليك منهم كل ما تهاب . فاشعب طائفة من رأيك لمداراة ذلك من كتمان المهابة واظهار الجرأة والتهاون . وإن ابتليت بمجازاة عدو مخالف، فالزم هذه الطريقة التي وصفت لك، من استشعار الهيبة واظهار الجرأة والتهاون، وعليك بالحذر في أمرك، والجرأة في قلبك، حتى تملأ قلبك جرأة، ويستفرغ الحذر عملك - (وانما يريد بالهيبة ذلك الحذر الذي يصون عمله من الخطأ)

(١٣) ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلمتك ، وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك ، وبقاء عزك : — (وليس لين الكلمة وحسن البشر نقصاً ومذلة كما يعدها ذوو النقص . قال المأمون كما روى الثعالبي : ما تكبّر أحد إلا لنقص وجده في نفسه ولا تطاول إلاّ لوهن أحسه منها)

(١٤) اذا نابت أخاك نائبة من النوائب ، من زوال نعمة، أو نزول بلية، فاعلم انك قد ابتليت معه إما بالمؤاساة فتشاركه في البلية، وإما بالخذلان فتحتمل العار، فالتمس المخرج عند اشتباه ذلك، وآثر مروءتك على ما سواها، فان نزلت الجائحة التي تأبى نفسك مشاركة أخيك فيها فأجمل (أي في معاملته وعند ذكره والتبرؤ منه) فلعل الاجمال يعمك لقلته في الناس (اذ أن أكثرهم ينقلب فيصير عدواً كي لا يقال إنه خذل صديقاً)

(١٥) أعرف عورتك وإياك أن تعرّض بأحد فيما شاركها، واعلم أن الناس يخدعون أنفسهم بالتعريض والتوقيع بالرجال في التماس مثالبهم ومساويهم ونقيصتهم، وكل ذلك أبين عند سامعه من وضح الصبح، فلا تكونن من ذلك في غرور ولا تجعلن نفسك من أهله .

(١٦) من الدليل على سخافة المتكلم أن يكون ما يرى من ضحكه ليس على حسب ما عنده من القول، أو الرجل يكلم صاحبه فيجاذبه الكلام ليكون هو المتكلم، أو يتمنى أن يكون صاحبه قد فرغ وأنصت، فاذا أنصت لم يحسن الكلام .

(١٧) وقّر من فوقك ولمن دونك، وأحسن مؤاتاتك الاكفاء وليكن آثر ذلك عندك مؤاتاة الاخوان، فان ذلك هو الذي يشهد لك بأن إجلالك من فوقك ليس بخنوع لهم، وان لينك لمن دونك ليس لالتماس خدمتهم .

(١٨) إن أمور الدنيا ليس شيء منها بثقة، وليس شيء من أمرها يدركه الحازم إلاّ وقد يدركه العاجز، بل ربما أعيى الحزمة ما أمكن العجزة، فاذا أشار عليك صاحبك برأي فلم تجد عاقبته على ما كنت تأمل، فلا تجعل ذلك عليه لوماً وعذلاً ، تقول أنت فعلت هذا بي وأنت أمرتني، ولولا أنت ولا جرم لا أطيعك، فان هذا كله ضجر ولؤم وخفة وان كنت أنت المشير فعمل برأيك أو ترك فبدا صوابك فلا تمتنّ ولا تكثرنّ ذكره، ولا تلم عليه إن كان استبان في تركه نصحك ضرراً، تقول ألم أقل لك ؟ ألم أفعل، فان هذا مجانب لأدب الحكماء .

(١٩) العجب آفة العقل، واللجاج عقيد الهوى، والبخل لقاح الحرص، والمراء فساد اللسان والحمية سبب الجهل، والأنف توأم السفه، والمنافسة أخت العداوة . — : (فالمعجب بنفسه يزين له عجبه الخطأ فلا يراه خطأ، والكثير اللجاج كثير العناد في الدفاع عن هواه، والبخل يربيه الحرص وينميه حتى يستفحل ويحرم نفسه وغيره مما وهبه الله، والمراء يستدرج إلى بذاءة اللسان، والحمية اذا استشرت كانت من دلالات الحمق، والأنف من التسهل في معاشرة الناس يؤدي الى السفه، والمنافسة في حطام الدنيا كثيراً ما تؤدي الى العداوة بين الآحاد والأمم .)



مكانك يا عزائى !

« افتقد صديقنا الأستاذ حسن كامل الصيرفي والدته البارة ، وما وافى النعي صديقه الحميم الدكتور أحمد زكي أبو شادي حتى فاضت شاعريتـه بهذه التعزية الرقيقة . » [المحرر]

عزائي ! قِفْ مكانَك يا عزائي ! ... فإنّي لا أراكَ سوى المُرائي !

هجرتُك مذ خبرتُ صروفَ دنيا ... تراوغُنـا بألوان الفَنـاءِ

ولستَ بأيّ حالٍ مَنْ تُرَجَّى ... لِتُرْجَى للأخِ الجمّ الإباء

إلى الحُرّ الذي صاحبتُ فيه ... أحبَّ الشاعريّةِ والذّكاء

ومَنْ يطوي الفؤاد على هموم ... ولكنْ في ابتسام الكبرياء

ومَنْ نَظَراتُه للكون نورٌ ... وإن بَعدَ الوجودُ عن الضياء

ومَن عرفَ الحياة وإن تسامت ... فَناءً قد تطوّرَ عن فناء

فحسْبي أن أصوغَ له رجاءً ... من الصبر المُرنّق بالبكاء

ومنْ قلبٍ وفيٍّ لا يداجي ... ومن حُبٍّ صفيٍّ لا يُرائي

بأنْ يحيَا ملاذاً للأماني ... ولو وُئدتْ وضاعت في الهباء !

نيويورك ١٨ أغسطس ١٩٥١ — أحمد زكي أبو شادي

ما يهمك أن تعرف عن : —

العناصر المعدنية



ماهيتها وخواصها في جسم الانسان

— ٥ —

للأستاذ سمير وجيه جبري

٢ — كلورور الصوديوم

كتبنا في مقتطف يونيو الماضي بحثاً عن ملح الطعام، تركيبه ووظيفته في جسم الانسان، وتاريخه وطريقة الحصول عليه والضرائب التي كانت تفرض عليه من الحكومات. والآن نتابع الكتابة عن فوائد الملح : —

﴿ الملح فوائده ﴾ اذا أردنا أن نعرف فعل الملح بجسم الانسان وجب أن نعرف فعله بالأجسام الحيوانية كاللحم والجلد وما أشبه. فأولاً — نرى أن مذوب الملح يخترق النسج الحيوانية ويتخللها كلها، فاذا وضعت قطعة من اللحم في مذوّب الملح اخترقها الملح كلها ووصل إلى قلبها. ثانياً — نرى انه يحفظ النسج الحيوانية من الانحلال السريع أو يجعل انحلالها بطيئاً. ثالثاً — انه يضعف النسج الحيوانية ويقلل مرونتها ويجعلها سريعة التمزق ولو لم يجعلها سريعة الانحلال كما ترى في الأحذية التي تتبلل بماء الملح. رابعاً — إن الملح يهيج الأعصاب ويؤلمها، كما ترى اذا جرحت يدك وأصاب الجرح شيء من الملح.

وللملح فوائد عديدة ومنافع جمة أهمها ما يلي : —

◎ اذا أذبت نصف ملعقة من الملح في نصف كوب من الماء البارد فانها تزيل العطش الشديد وتشفي حرقة المعدة.

◎ اذا أخذت يومياً عند الصباح قبل الأكل ملعقة كبيرة من الملح في كوب من

الماء البارد يشفي من الامساك .

◎ اذا احترق شيء وشممت منه رائحـة الدخان فضع عليه قليلاً من الملح فينطفىء .

◎ اذا التهمت النـار (اللحم المشوي) ممـا يقع عليهـا منـه فـرش على النـار الملح فتخمد .

◎ اذا خلطت جير تبييض الجدران بالملح زاد التصاقاً وتماسكاً .

◎ اذا فركت النحاس بملح وخل بقي لامعاً جميلاً .

◎ اذا فركت بقع الأكواب والفناجين التي تنشأ من الشاي وغيره بالملح الرطب زالت

◎ اذا غسلت السجاجيـد بمـاء الملح ومسحتهـا بقطعـة صوف نظيفـة نظفت

◎ اذا أذبت ملعقة من الملح في كوب صغير تستعملها غرغرة تكراراً تشفي التهاب الحلق

◎ اذا شربت جرعاً أربع ملاعق صغيرة من الملح في كأس ماء تشفي من الاسهال الحاد

◎ اذا لدغ الانسان حشرة من الحشرات ووضع بعضاً من الملح على الموضع أو أذابه في الماء واستعمله غسيلاً آمن شر انتشار سم الحشرة في الجسم

◎ اذا تألمت الرجلان من الوقوف طويلاً فأحسن علاج لهما أن تغسلا بماء ملح حار في كل جالون من الماء قبضة ملح وتفرك باليدين من القدمين إلى الركبتين، ومتى برد الماء تفركان بقطعة صوف . وعمل ذلك صباحاً ومساء قد يشفي من الأمراض العصبية

◎ اذا أذبت الملح بالماء ومصصته بأنفك كثر افراز المخاط منه ، وهو يفعل بالغشاء المخاطي في الفم والمعدة كما يفعل بالغشاء المخاطي في الأنف

◎ اذا أكثر الانسان من استنشاق ماء الملح أصابه منه زكام مزمن في معدته وأمعائه

◎ اذا أذبت ملعقة كبيرة من الملح في كوب من الماء وشربتها ذهبت عنك التخمة

◎ اذا فركت الأسنان بالملح (وهو أجود من كل أنواع المسحوقات التي تفرك بها الأسنان — فأنه يحفظ بياضها ويقوي اللثة ويحفظ حمرتها ويطهر النفس ويجلو الأسنان

◎ اذا رش الملح على أرض المسكن بعد مسحها بالماء وهي رطبة قبل أن تمد عليها البسط والسجاجيد منع العث منها .

◎ اذا أخذ جرعات من ملعقة صغيرة إلى أربع ملاعق في نصف كأس من الماء الفاتر فهو مقيء ولذلك يعتمد عليه في معالجة السموم لسهولة الوصول إليه قبل حضور الطبيب .

◎ في حالة النزيف الدموي البسيط خصوصاً نزيف الفم والأسنان ضع الملح على الجرح

فيوقف الدم ويشفي الجرح

◎ يطهـر ماء الملح ثنايا الجروح بغسل ما فيها من أسباب الفساد ويساعد على خروج الدم من الدم فتحمل من الجرح أسباب الفساد هذه .

◎ يصنع الملح العطري الذي يوضع في الخناجر وتشمه النساء المترفهات بصب ماء اللاوندا على ملح الامونيا لاغير

◎ في أوستـن رود بأرلندا معهد طبي يعالج المرضى بمياه البحر فقط، يستخرجها من أعماقه ويصفيها والجرعة التي تعطي لكل مريض لا تزيد على نصف كوب .

◎ أثبتت التجارب أن مياه البحر تشفي أمراض الاعصاب والروماتزم.

◎ يستخدم محلول ملح الطعام مقيئاً في بعض الحالات ، ويحقن بمحلوله المركز من الشرج لازالة الديدان الخيطية .

◎ الاستحمام في محلول ساخن منه يساعد على التنبيه ويفيد في بعض الأمراض الروماتزمية المزمنة ، وقد يحقن بمحلول دافيء منه في بعض حالات الاغماء .

◎ ماء البحر أو ماء الملح يقوي جلد الرأس، والعينين والأنف وجهاز التنفس وجلد الجسم كله .

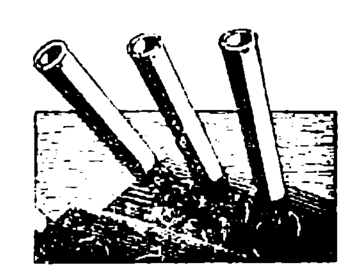
◎ غسل العيون بماء مذوب فيه قليل من الملح ينفع كثيراً البصر المتعب .

◎ يستعمل ملح الطعام سماداً للنباتات التي تعيش في سواحل البحار اذا زرعت بعيدة عنها كقصب السكر والنارجيل ، وقد أثبت بعضهم أنه كان يصب قليلاً من ماء الملح في الحفر التي يزرع فيها عقل قصب السكر لجاد القصب كثيراً .

◎ يشفي من الألم العصبي (النورالجيا) وذلك بأن تأخـذ كيساً صغيراً من قماش الموسلين وتملأه ملحاً وتحميه على النار كثيراً وتضعه على الآلم،ويكون تسكينه للالم على قدر حرارته.

◎ انه يمنع نمو الأعشاب في الأروقة والطرقات وذلك بأن يوضع عليها كثير منه ، ولكن يجب الانتباه لئلا يوضع على شيء لايراد اتلافه.

◎ انه يزيل الزكام وذلك بأن يضع المزكوم ملحاً وماء حاراً في كمه ويستنشقهما كل صباح ، فهذا يذهب بالزكام حالاً .



هل الثورة حق من حقوق المجتمع ؟

للأستاذ الياس يعقوب

الثورات التي نشبت في الماضي جاءت حرباً على الطغيان والفساد، وسعياً وراء الحرية والاصلاح، فهي وليدة الظلم والمساوىء. وهذه الحركات التاريخية العنيفة – مهما يقال فيها – كانت المدماك الأول في بناء عظمة الأمم التي قامت بها، وهي في سيرها لا تنفك تسترشد بأنوارها وتحيا بمبادئها. وهذه الأمم التي ثارت باتت القدوة الصالحة والمثل الأعلى في نظر الشعوب التي تخبط خبط عشواء وتتعثر في سيرها. ولهذا نراها تدأب في نفخ روح الثورة في أبنائها بغية نسف المفاسد ووضع الأسس لحياة جيدة فاضلة. ومع ذلك فأن الثورات لا تزال تلقى المغالين الذين يذهبون بعيداً في مدحها أو ذمها. وتقضي الحكمة أن نتريث قليلاً، وأن نتحلى بسعة الصدر والتجرد عندما نستعرض حياة وأعمال أولئك الذين أقلقونا مدة من الزمن وعكروا أمننا الداخلي، ودمروا وقتلوا أحياناً، فليس ببعيد أن يكونوا محسنين، إن لم يحسنوا إلينا فقد يحسنون إلى الأجيال القادمة التي ترضى عن أعمالهم وتعتنق مفاهيمهم، إن الاضطراب الذي يحدث لا بد من أن يتمخض عن أهداف ونظرات لا تتحسسها إلا فئة قليلة مستيقظة ناقمة.

في أعماقنا ننفر من الثورة ولا نعطف على الثائرين الذين يكرهون الراحة والهدوء. انهم يحاولون تقويض النظام الاجتماعي القائم. اننا نخشى الثورة خوفاً من أن تفاجئنا بضياع القيم الراهنة دون أن تأتي بما يفضلها أو يقوم مقامها. ونخشاها أيضاً لأننا اختبرنا في الماضي الثورات الدامية التي تنشر الذعر والفوضى، وتحدث كثيراً من الخراب في

كافة المرافق ، وتستبيح الأموال والأرزاق وتسفك الدماء البريئة ، وتعرض سيادة الأمة للخطر الخارجي . ويقتضينا الانصاف أن نقول إن الثورة لا تستهدف سوى الأنظمة القائمة التي تعتبرها مكمناً للداء والفساد وهي ككل عمل اصلاحي يحدث انقلاباً لا بد من أن تكون عنيفة أحياناً وان جاءت تلبية لرغبة الجماعة . وبما أنها لا تعمل إلاّ لازالة الامتيازات المتوارثة أو الناشئة التي تتمتع بها أقليه ضئيلة دون سواها ، فهذه الأقلية التي تنكب في مصالحها ترى الثورة عملاً اجرامياً وإن الفئة الحاكمة التي تتولى قمع الثورة تسخر كل قوى الأمة المتجمعة في قبضتها . وهي لا تقل عن الفئة الثائرة خروجاً على القانون وتعريضاً لمصالح الأمة العليا للخطر . فتسمح لنفسها أن تدخل في النزاع دولاً أجنبية تستعين بها على قمع الثورة ، وتنسف البيوت ، وتصادر الأرزاق وتتطرف في الانتقام ممن عصا ارادتها . ان الفئة الحاكمة في محاولتها لا تستهدف سوى الأشخاص الذين خرجوا . ومن دأب الحكومات في كل العصور أن تقاوم الثورات دون أن تقوم بثورة ، وتكافح الأفكار الجريئة دون أن تتولى القيادة .

❖

ليست الثورة نزوة طارئة ، وليست عملاً ارتجالياً ، سطحياً في أسسه ، تافهاً في مقاصده . إن لها أصولاً تتفرع لتفور في نفوس الأفراد وتكيف هذه النفوس وتؤهلها لتقبل حلول جديدة للمشاكل الراهنة . ومن الاقتناع بصواب هذه الحلول ينشأ الايمان الحار بعظمة هذه المبادىء والاستماتة في نصرتها . إن الثورات لا تنشأ إلاّ عن الاستياء الذي يحصل من جراء عجز الأنظمة أو عمقها عن مماشاة سنن التطور فتصبح بعيدة وغريبة عن مقاصد المجتمع ومفاهيمه . وأكثر ما تتجلى القابلية للثورة في الشباب الذي يتصف بالحيرة والقلق ويتبرم من النظم الاجتماعية ، وفيه من القوة والنشاط والطموح ما يشجع على الثورة . وفي المجتمع من المساوىء ما ينفي الطمأنينة من النفوس . ومظاهر البذخ التي تميز بعض الفئات ، والنصيب من الرفاهية التي تنعم بها ، والبطالة التي تورث التراخي والحقد ، كل هذه تغذي الاستياء وتنميه . والبؤس أفضل تربة ينبت فيها الاستياء ويزدهر . ولهذا نرى الثورات كثيراً ما تقوم على أكتاف الذين لا يملكون . ومن المؤلم ألاّ يرى الظلم والفساد الأمن نافذة الفقر ، ولا ينشد العدل الاجتماعي إلاّ من يجرفه البؤس . ولهذا تستصحب الثورات الهدم الذي يشمل النظام والقيم والعمران ، لأن هذه الفئة التي تقبض على ناصية الأمور لأول مرة تنوي الثأر لكل الجماعات التي اكتوت بنار الحرمان . وأكثر ما يخشى من الثورة أن تؤول الأمور إلى الغوغاء التي تطفو وتعفو كالزبد فتتسلم

جميع المقاليد، وتحيل النور ظلاماً والشبع جوعاً والنظام فوضى. على أنه لا ينبغي لنا أن نسرف في الاعتماد على البؤس لنشوب الثورة. لأن البؤس اذا ما استمعل انتفى العزم والقوة. واذا ما انصرف الانسان للحصول على الضرورة فقط لا يستطيع ممارسة الصراع العنيف الطويل. واذا ما اقترن البؤس بالطغيان انسحق الشعب وطلب الاستسلام أو الفرار. وهو في كلا الحالين لا يغير شيئاً من جوهر الامور. والثورات الحقيقية التي تغير وجه التاريخ لا تحصل وتسير وتنتصر ما لم يدفع إليها رجال الفكر الذين يتولون كشف الحقائق وانارة السبيل. وليست القوة المتمثلة في الجماهير الثائرة هي التي تحدث الانقلاب، بل الفكرة التي تحركها وتسيرها.

ألنا حق بالثورة ؟ كل حق في الحرية يستتبع حقاً في الصراع لتحقيق الأفضل. ولا معنى لسيادة الشعب وحقه في تقرير مصيره ما لم يكن له الحق في تجديد وجوده والثورة على أوضاع هرمة خلت من كل ديناميكية، وأصبحت عائقاً يعترض التقدم والتطور. ان هذه الأنظمة العتيقة التي تبغي الثورة استبدالها قد ارتضتها الجماعة في مبدأ الأمر على أنها ضامنة لمصالحها محققة لأهدافها وتعهدت أن تتقيد بها وتحافظ عليها. لكن المشيئة البشرية من طبيعتها أن تتغير. ومتى تطورت المفاهيم أفلا يمكننا الخروج على عقد أصبح ضرره يربو على نفعه ؟ فالمبادىء مهما تكن عظيمة لا يجوز التمسك بها وبذل النفس في سبيلها إذا كانت لا تعمل على ترقية حياة الأمة. لأنها انما وجدت في الأصل لخدمة الشعب ومتى بطل مفعولها فيجب علينا أن نتخلى عنها. قال أنطون سعادة: « ان المبادىء توجد للشعوب لا الشعوب للمبادىء، وإن كل مبدأ صحيح يجب أن يكون لخدمة حياة الأمة ».



من الاعتراضات التي يثيرها أعداء الثورة أنه لا يحق لنا قلب نظام الحكم ما لم تأت الحركة تعبيراً صحيحاً عن الارادة العامة مهما تبلغ الأنظمة في الفساد ومخالفة مقتضيات العقل. لأن شأن المجتمع لا يتعلق بي فقط، بل يهم سائر المواطنين لكن التتبع التاريخي يظهر لنا أن كل ثورة قامت بها فئة قليلة. بيد أن هذه الفئة على قلتها تمتاز ببعد النظر، وتتركز في مبادئها جميع الأماني التي تكمن في أعماق الشعب. أما الاكثرية فمن أبرز خصائصها أن تظل سادرة تتقبل كل شيء وهذه النظرة المحافظة تعرقل العمل الثوري من ناحيتين: انها لا تتحمس له ولا تناصره، وأنها قد تلجأ الى مقاومته. لكن هؤلاء الرواد

قد يتضاعف عددهم مع الزمن ، لأنهم يعملون على تقريب قضيتهم الى الأذهان ، أو لأن الظروف تظهر صلاحها كملاج الازمات . وليس بغريب أن يشقوا طريقاً الى صفوف خصومهم ويجدوا بينهم الأعوان المخلصين .

ويرى البعض الآخر في النظم النيابية مندوحة عن الثورة مهما تكن السبيل اليها ممهدة ، لأن ما يكبد قطرة من الدم لا يعادل ثمنه قطرة واحدة من الدم ، ولأن مساوئها في جميع الحالات تربو على حسناتها . ونستطيع بلوغ النتائج ذاتها فيما إذا اتخذنا التمثيل الشعبي وسيلة ، وعوّلنا على الزمن الطويل الذي يأتي بالتطور البطيء . هذا الرأي صائب عندما يعمق الوعي ويتسع وتصبح النيابة عبئاً ومسؤولية وواجباً ، ويبلغ الشعب درجة عالية من الثقافة وتتهذب النظم القائمة على الاقطاع في البلدان المتأخرة وعلى القناطير المقنطرة في البلاد الرأسمالية ، وعلى الحكومة البوليسية في الدول ذات النظام الاستبدادي وفي جميع هذه الحالات تنتفي حرية الناخب بسبب الاغراء أو الارغام أو الارهاب . من العسير على الشعب أن ينتظر السنوات الطويلة ليتطور ويتقدم . أما اذا وثب فانه يستطيع بلوغ أهدافه بسرعة ويحقق خلال سنوات ما يستغرق تحقيقه أجيالاً . لأن ذوي الرجعية والاستبداد لا بد من أن تتألب وتضع العصي في عجلة التقدم . وإذا قدر لنا أن نسجل بعض المآخذ على الثورة في البلدان المستقرة المتطورة فانها تبدو ضرورية جداً في المستعمرات ومناطق النفوذ الأجنبي ، لأن استتباب السلام يساعد المغتصب على تثبيت قدمه وتماديه في السيطرة والاستغلال .

❖

إن الحكم على الثورة لا يقوم على أساس الفشل أو النجاح الذي تصادفه . فلكي نزنها وزناً صحيحاً ينبغي الوقوف على الغايات التي دعت لاعلانها . فاذا ما ظهر فساد هذه الغايات جرى الحكم ببطلان الثورة . ومن خلال هذه النظرة سيحكم التاريخ على الفئة المحافظة الحاكمة التي قمعت الثورة لصيانة الواقع يقيناً منها أنه أفضل من كل مستقبل غامض ، ويطلق حكمه على الفئة الثانية التي ما سعت للقبض على السلطة إلا لتقيم أسساً جديدة للحقوق والواجبات . ومن الخطأ الحكم على العمل الثوري في الزمن القريب من ظهوره . انما يجب أن ندع مجالاً للزمن كي يزيل في أذهاننا الانطباعات الخاصة ، ونتيح للآراء النظرية أن تتجسد نظماً وأعمالاً وبذلك فقط يظهر صحيحها من فاسدها . إن الحلول الثورية لا تظهر على حقيقتها إلا في السياق الطويل متى تكاثفت كل الفئات عن رغبة

واخلاص للخضوع لهذه التجربة وأيّا ما كانت نتائج الثورة فانها تظل في حرب خارجية قد تأتي على السيادة أو تسبّب خسارة جزء من أرض الوطن. وليست الثورة سوى تعبير عن النيات الحسنة التي تجيش بها صدور المواطنين الواعين في الآمة، إنهم يقصدون انتشالها من الوهدة التي تتردى فيها. وكلما اجتمع في زمن واحد قوتان مختلفتان في خصائصهما واهدافهما تقع الثورة: الأولى محافظة تدين بالاستمرار، والثانية تأخذ بمبدأ السرعة في التطور والتقدم.



ليس الثائر مجرماً فيعاقبه القانون. ان صدره لا يختزن حقداً على الناس ولا يبغي جلب الشر لهم بل ان قلبه عامر بالمحبة لا يبغي سوى الخير لأمته وبلاده. انه لا يعمل في الظلام بل في وضح النهار على أسس صريحة من المبادىء. وهو في محاولاته الاصلاح لا يختلف عن الطبيب الذي يقصد شفاء المريض لا عذابه. لكن العذاب مصاحب لمعالجة. في خلال النظرة التقليدية المحافظة يتراءى كل مشرع وكل مصلح مجرماً. لأنه عندما حاول أن يمهر المجتمع بأنظمة جديدة قد خالف القوانين الموضوعة المرعية وهذه المخالفة تحدث بصدد اصلاح كل نظام سياسي أو اقتصادي أو معتقد ديني.

إن الشعوب، بله الأفراد، لا يتملكها الوعي الصحيح، ولا يستيقظ وجدانها القوي إلاّ متى بنت لنفسها كيانها الخاص، وبذلت في سبيل هذا البناء الكثير من الجهد، والجهد يسبب آلاماً تظهر من الادران. الثورة ولادة شاقة. لكن علينا أن نغوص في بحار من الآلام لنعود بلآلىء الحقيقة الظافرة.

(صافيتا — سورية)

 [للبحث بقية]





الاستمتاع

بأيام العطلة



للأستاذ مبارك ابراهيم

الاستمتاع بأيام العطلة عادة مستحدثة . وإذا نظرنا إليها من وجهة نظر العامة من الناس جاز لنا أن نسميها عادة من عادات القرن العشرين .

وقد أصبح الاستمتاع بأيام العطلة في أيامنا هذه ضرورة من الضرورات . وذلك نتيجة لما ساد الناس اليوم من قلق فكري ، وجهد ذهني ، وانهيار عصبي . ووحدة في سياق العيش تبعث الملل . وهي أمراض ترافق انتشار الصناعات . وتلازم عيش المدن . حيث لا يعرف الناس طعم الراحة والهدوء .

وقبل تقدم الصناعات هذا التقدم الجنوني . ويوم كان الناس يعملون في بيوتهم أو مصانع صغيرة . ويوم كان العمل لا يدعو إلى العجلة . ويوم كان أصحاب . الدكاكين يقطنون فوق دكاكينهم . ويوم كان المصرفيون يعملون ويسكنون في بناء واحد . ويوم كان الفضاء رحباً . والهواء طلقاً . لم يغبره دخان المداخن . ويوم كانت الحقول والغابات قريبة المنال . غير بعيدة الشقة . يوم كانت الدنيا كما وصفنا لم يخطر ببال أحد أن يفكر في أجازة سنوية . ولم تكن بالناس حاجة إلى أوقات فراغ تزيد عن أيام الآحاد . وعن تلك الأيام التي تحددها الكنيسة كأيام للراحة والاستمتاع . ويوم كان الرجل يغزل غزله على نوله الخاص . وفي كوخه الخاص . كانت لديه فسحة من الوقت تتيح له أن يعني بحديقة منزله . ثم كان الأسكاف يعني بالكرنب الذي يزرع في حديقته عنايته باصلاح الأحذية وترقيع النعال .

أما اليوم فقد غاض السرور من حياة عمال المصانع . فهم يعملون أعمالاً صغيرة تتكرر ألف مرة ومرة طوال ساعات العمل . وهي أعمال ميكانيكية لا تشغل عقولهم ولا خيالهم .

ولا نسمح للنابغين منهم أن ينبغوا . ولا نتيح للبارعين أن تبدو براعتهم . ذلك أن النبوغ والبراعة ليستا من مستلزمات الأعمال الميكانيكية . حتى لقد أصبح العمال اليوم أجزاء من الآلات التي يعملون بها . ولا أدل على ذلك من نتائج اختراع مختلف الآلات التي تحل كل يوم محل الأيدي العاملة .

ومثل هذا العمل الآلي يسبب من التعب أكثر مما يسببه العمل الذي يحتاج إلى بذل مجهود وافر من النشاط العقلي أو الجسماني أو من كليهما معاً .

وقد أوضح ذلك والتر راتنو (١٨٦٧ — ١٩٢٢) — وكان زعيماً من زعماء الصناعة في ألمانيا — ومديراً للاقتصاد الألماني أثناء الحرب العظمى الأولى ، في كتابه الذي سماه « المجتمع الجديد » فقال : —

لا يستطيع رجال أو نساء من الصناع الذين يقضون من يومهم ثماني ساعات . وهم يعملون عملاً آلياً . لا يستطيع أولئك الرجال والنساء أن يجدوا وقتاً يقضونه في الترويح عن أنفسهم وفي تجديد قواهم . وهم كذلك ليس في قدرتهم أن يقضوا وقتاً في رياضة السير على الأقدام . أو في قراءة كتاب من الكتب . وهم كذلك لا يستطيعون ملاعبة أطفالهم أو الاستمتاع بالمسرات في بيوتهم . ذلك لأنهم في حاجة الى دافع قوي يجدد من أعصابهم ما بلي وتهدم وهم لا يجدون هذا الدافع إلا في قراءة قصة من قصص القتل كتبها صحيفة من الصحف . أو في فيلم من الأفلام التي تثير المشاعر تعرضه دار من دور السينما .

وأمثال أولئك القوم في حاجة إلى فترات من الراحة أكثر من أولئك الذين يعملون أعمالاً تلذهم وتشوقهم وتلك الفترات من الراحة يجب أن تقضي في ممارسة لون من ألوان النشاط . إذ أن طاقة النشاط المكبوت في نفوسهم — بسبب تفاهة مجهوداتهم يجب أن تجد لها متنفساً .

وإن الباحث المؤرخ ليجد أنه حتى قرب منتصف القرن التاسع عشر . كانت أيام العطلة هي Holidays الأيام المقدسة Holy Days أي الأيام التي كانت تقضي للتقاليد أن يكون العمل فيها حراماً على العاملين . وأن يكون اللعب والراحة فيها حلالاً طيباً للاعبين . أما أيام العطلة التي تحددها فترة من الزمن قد تبلغ اسبوعاً أو أكثر . يتحلل فيها العامل من جولته اليومية . والتي يكون من مستلزماتها أن يغيب العامل عن بيته في رحلة إلى مكان بعيد . فلم يسمع بها قبل عام ١٨٥٠ إلا في « الاجازات المدرسية » .

أما تلك الكثرة الغالبة من الاغنياء القادرين . فقد كانوا بالطبع يغادرون بلادهم

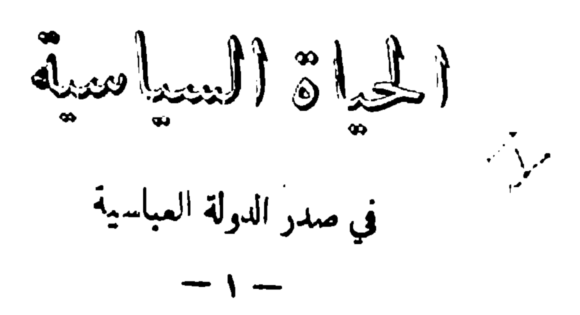
طلباً لتغيير المناظر وتبديل الهواء . ومنهم من كانوا يرحلون إلى بلاد المياه المعدنية تداوياً وعلاجاً .

وكذلك يرى الباحث أنه في مستهل القرن التاسع عشر بدأ الأطباء يعرفون فوائد هواء البحر وأصبح مصيف Waymouth مصيفاً محبباً ذلك لأن الملك جورج الثالث (١٧٣٨ — ١٨٢٠) قد كان يرتاده . وكذلك أصبح مصيف Brighton صاحب خطوة لدى المصطافين . ذلك لأن ابنه الذي أصبح فيما بعد الملك جورج الرابع (١٧٦٢ — ١٨٣٠) قد جعله مستقراً له ومقاماً .

ولكن أفراد الطبقة الوسطى من القوم لم يعتادوا عادة ارتياد الشواطيء في الصيف أو في مستهل الخريف إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر . وذلك ليكسبوا وجنات أطفالهم حمرة أذبلتها رداءة أهوية المدن . وليذوقوا هم طعم الراحة بعد العمل المرهق في زحمة تلك المدن . وكان برنامج المصطافين هو أن يجلسوا صباح كل يوم على الشاطيء بعد أن يستحموا . ثم يقرأوا الكتب والصحف مع الأطفال .

وبعد الغداء ينامون قليلاً حتى إذا حل موعد الشاي شربوه جماعات . فاذا أقبل الليل تمشوا ثم تثاءبوا ثم أووا إلى مضاجعهم مسرعين فاذا انقضت أيام الاجازة على هذا النحو عادوا إلى ديارهم ناعمين . ولا تزال الأسرة الفرنسية ترتاد شواطيء بحار فرنسا مستمتعة بهوائها على طريقة الانجليز . ويزيد بعض الفرنسيين على ذلك شيئاً من الرقص وقليلاً من ألعاب القمار كالروليت والبكاراه .

ثم عرف الانجليز بعد ذلك مصايف فرنسا وألمانيا . ثم مصيف أنتورب في بلجيكا . ومصيفي « أمستردام والهاي » في هولندة . ثم بدأ الانجليز يغزون جبال سويسرا وبحيراتها . ويصعدون جبال الألب . ويبلغون أعلى القمم . ثم يحدون النظر إلى كنائس ميلانو . ثم يمتطون قوارب الجندول في مدينة البندقية ثم يزرعون أرض متاحف الصور في فلورنسا . ثم خطوا خطوة أخرى وهي رحلات الشتاء فوجهوا جوعهم إلى الريفييرا يستمتعون بمياه البحر الصافية الزرقاء . وبالشمس المنيرة ذات الضياء . ومنهم من امتد بهم حبل السفر حتى وصلوا الى مصر . ومنهم من ذهب الى بيارتز أو سويسرا للاستمتاع بألعاب الشتاء . واليوم أصبح شيئاً ، مألوفاً أن ترى جماعات من السياح الاوربيين يسافرون إلى افريقية الجنوبية وإلى أمريكا الجنوبية . أما الأغنياء الذين أولعوا بالسفر والسياحة ، فقد أصبحوا لا يقنعون بما دون الطواف حول العالم .



الحياة السياسية

في صدر الدولة العباسية

— ١ —

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

تنقسم الفترة الأولى من تاريخ الدولة العباسية (١٣٢ – ٣٣٤هـ) الى عصرين : العصر العباسي الأول ، والعصر العباسي الثاني [١]

وإذا كان العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٣٢ هـ) يمتاز بقوة الخلافة وعظمة الخلفاء ومجد الدولة ، وبنفوذ الفرس فيه . فان العصر الثاني (٢٣٢[٢] – ٣٣٤ هـ) يتسم بضعف الخلافة ، وضياع هيبة الخلفاء ، وفساد شؤون الدولة ، وذلك بسبب نفوذ الأتراك الذي بلغ حداً كبيراً في هذا العصر

أول من استخدم الأتراك في الجيش الخليفة المنصور المتوفي عام ١٥٨ هـ ، ولكنهم كانوا شرذمة صغيرة لا شأن لها في الدولة بجانب الفرس والعرب [٣] وألف المأمون فرقة صغيرة منهم لبسالتهم ، ولكنهم كانوا بعيدين عن شئون الدولة وسياستها لميل المأمون الى الفرس أخواله .

وكانت أم المعتصم « ماردة » تركية من السغد ، فنشأ ومعه كثير من طبائع الأتراك مع الميل اليهم لأنهم أخواله ، وشاهد المعتصم جرأة الفرس وتطاولهم على الخلافة بعد قتل

(١) يسير على هذا التقسيم كثير من الباحثين (ص ٩ جـ ٢ تاريخ آداب اللغة لزيدان ، و٥ جـ ٤ التمدن الاسلامي ، ٢١١ تاريخ الادب العربي للزيات) . ويجعل بعض الباحثين العصرين عصراً واحداً (٣ آداب اللغة في العصر العباسي للاسكندري ١٦٦ تاريخ الادب العربي في العصر العباسي لمحمود مصطفى ، ١٦٥ جـ ١ المفصل) (٢) ويرى بعض الكتاب ان ابتداءه الفعلي بقتل المتوكل عام ٢٤٧ هـ

(٣) ١٦٧ جـ ٤ التمدن الاسلامي

الأمين [1] فصار يخافهم على نفسه وضاعت ثقته بهم ، كما ضاعت ثقته بالعرب ، فأخذ يتقوى بالأتراك ويتخير منهم الأشداء يبتاعهم بالمال من مواليهم ، حتى اجتمع لديه بضعة آلاف من قبل أن تفضي اليه الخلافة [2]

ولما مات المأمون سنة ٢١٨ هـ كان هوى الحزب الفارسي مع ابنه العباس ونادوا به خليفة ، ولكن العباس بايع لعمه المعتصم فسكن الجند [3] ، فكان ذلك أيضاً مما زاد من تقريب المعتصم للترك وايثاره لهم .

وفي عام ٢٢٠ هـ استقدم المعتصم عدداً كبيراً من الأتراك ، اشتراهم وبذل فيهم الأموال ، وبلغت عدتهم ثمانية عشر ألفاً [4] ثم ازداد عددهم في جيشه حتى بلغوا السبعين ألفا [5]

ولما ضاقت بهم بغداد ، وكثرت الخصومات بينهم وبين الجمهور ، وبينهم وبين الفرس أتى المعتصم سامرا ، على شاطىء دجلة وعلى مسيرة ثلاثة أيام من بغداد ، فاتخذها معسكراً لجيشه ، وحاضرة لملكه ، منذ عام ٢٢١ [6] هـ ، وأصبحت مدينة عظيمة في مدة وجيزة [7] وصارت من أجل الحواضر الاسلامية وظلت مقر الخلافة حتى عام ٢٧٩ [8] هـ

أسلم الأتراك ، وأخذوا يتعلمون العربية ويتكلمون بها ، وصاروا موضع ثقة الخليفة وايثاره ، وكان ذلك ضربة قاضية على العرب ونفوذهم في الدولة ؛ وكتب المعتصم إلى عماله باسقاط من في دواوينهم من العرب وقطع العطاء عنهم وأنزلهم عما كان لهم من قيادة الجيوش ومُنعوا الولايات [9]

وانتقلت سياسة الدولة من أيدي الفرس إلى أيدي الأتراك [10] ، الذين أخذوا ينكلون بالفرس والعرب جميعاً ، وصمموا في قتلهم ، وموقف الأفشين من أبي دلف وأمره

---

(١) قال طاهر بن الحسين وهو فارسي:

أيسومني المأمون خطة عاجز أو ما رأى بالامس رأس محمد ؟

(١٥٧ / ١ العقد الفريد) . وينسب لدعبل (٢٦٦ / ٧ مهذب الاغاني ، ٥٢ / آداب اللغة لزيدان ، ٣٥٠ الشعر والشعراء) (٢) ١٦٨ / ٤ التمدن الاسلامي (٣) ٣٠٤ / ١٠ الطبري

(٤) ٢٣٣ / ٢ النجوم الزاهرة (٥) ٤ العصر العباسي للسباعي بيومي

(٦) ٩ / ٤ وما بعدها مروج الذهب (٧) ٥٢ و٥٣ تاريخ الحضارة لبارتولد (٨) ١٠٠ / ١ ظهر الاسلام . (٩) ١٤٤ / ٤ التمدن ، ١٦٥ حضارة الاسلام في دار السلام (١٠) ١٧٠ جـ ٤ التمدن

بقتله لولا أن أنقذه أبو دؤاد معروف[1]

ولم يمض غير قليل حتى كان لهم النفوذ والسيطرة على الخلافة والخلفاء، وخاصة بعد فتح عمورية وقتل بابك عام ٢٢٣ هـ ؛ وصار أكثر الوزراء وجميع قادة الجيش منهم ، واشتهر من بينهم الأفشين م ٢٢٦ هـ ، واشناس م ٢٣٠ هـ ، وايتاخ م ٢٣٥ هـ وسواهم ؛ وتغلغل نفوذهم في جميع مناصب الدولة ، لكثرتهم وبسالتهم وتأييد الخلفاء لهم ، حتى ان الواثق (٢٢٧ — ٢٣٢ هـ) استخلف عام ٢٢٨ هـ اشناس التركي على السلطنة وألبسه وشاحين وتاجاً[2] ، وفي عهده نكل بغا الكبير وجيشه بكثير من العرب[3]

ولما مات الواثق عام ٢٣٢ هـ ، سعى الأتراك في ترشيح جعفر المتوكل بن المعتصم للخلافة ، لأن أمه «شجاع» خوارزمية تركية،فتم لهم ما أرادوا،واستبدوا في عهده بأمور الدولة وشئون الخلافة ، واضطهد الخليفة الشيعة وأكثرهم فارسيون ، وزاد في رعاية الأتراك وتقديمه لهم ، فزاد طمعهم في الدولة ، وأصبحوا مصدر قلق واضطراب ، فهم يكرهون الفرس والعرب ، وهم أنفسهم فرق وأحزاب ، وهم كثيرو الدسائس والمؤامرات ، كثيرو الطمع في الأموال ، والعبث بالأمن .

ندم المتوكل على ما فرط ، وأخذ يعمل على كبح جماح الأتراك ، فحبس ايتاخ حتى مات عام ٢٣٥ هـ ، وأراد عام ٢٤٣ هـ نقل العاصمة من سامرا إلى دمشق ، لكن ذلك لم يتم له ، ثم عزم على قتل وصيف وبغا وغيرهما من قواد الأتراك ووجوههم ، ولكنهم كانوا يحكمون تدبيراً آخر لقتل الخليفة[4] ؛ وتقدم باغر التركي حارس المتوكل ، ومعه عشرة غلمان من الأتراك ، ينفذ المؤامرة التي دبرها القواد الأتراك ، ومعهم المنتصر الذي كان أبوه المتوكل يكرهه ويوشك أن يعزله من ولاية العهد ؛ ودخلوا على الخليفة فقتلوه في قصره الجعفري ، وقتلوا معه وزيره الفتح بن خاقان ، وذلك في أواخر عام ٢٤٧ هـ[5]

وكان قتل المتوكل أول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين وكانت هذه الحادثة مصرع الخلافة ومجد الأتراك .

وفي ذلك يقول البحتري :

أكان ولي العهد أضمر غدرة   فمن عجب أن ولي العهد غادره

(١) ٥٤ الاذكياء لابن الجوزي (٢) ١٣٥ تاريخ الخلفاء (٣) ١٢ ج ١١ الطبري (٤) ٦٥ — ٦٧ ج ٤ مروج الذهب

(٥) راجع مقتل المتوكل ومراثي الشعراء فيه في (٢٦٠ — ٢٦٤ ج ١ زهر الآداب) ومرثية يزيد المهلبي فيه في (٣١١ ج ٢ وما بعدها من الكامل للمبرد ، ١٨٦ ج ٢ العقد ، ٢٦٣ ج ١ زهر الآداب)

فلامك الباقي تراث الذي مضى ولا حملت ذاك الدعاء منابره

ويقول المهلبي :

لا حزن إلاّ أراه دون ما أجد وهل لمن فقدت عيناي مفتقد

ومنها : فلو جعلتم على الأحرار نعمتكم حمتكم السادة المذكورة الحشد

ورأى يزيد المهلبي هذا يشبه رأي اسحاق بن ابراهيم المصعبي م ٢٣٥ ه في الأتراك حين شكا إليه المعتصم غدر من اصطنعهم من قوادهم مع وفاء من اصطنعهم أخوه المأمون من الرجال له (١)

ويقول علي بن الجهم :

عبيد أمير المؤمنين قتلنـه وأعظم آفات الملوك عبيدها

بني هاشم صبراً لكل مصيبـة سيبلي على وجه الزمان جديدها

وإذا كان الشعب يكره الأتراك من بدء اصطناع المعتصم لهم ، فان هـذه المـأساة المؤلمة كانت سبباً في زيادة كراهية الرأي العام لهم ، ونقمته عليهم.

ازداد عقب ذلك نفوذ الأتراك في عهد المنتصر (٢٤٧ — ٢٤٨ ه) ، ثم في عهد المستعين (٢٤٨ — ٢٥٢ ه) ، ثم عادوا فخلعوه من العرش ثم قتلوه وأقاموا مكانه في الخلافة المعتز بالله بن المتوكل عام ٢٥٢ ه .

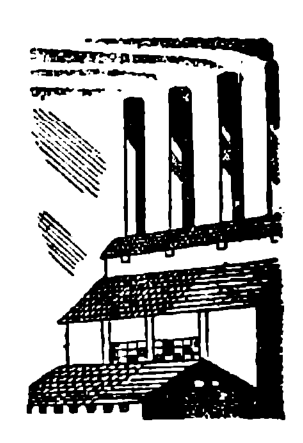
كان المعتز يكره الأتراك ، ويريد أن يثأر منهم لأبيه ، ففي عهده قتل وصيف عام ٢٥٣ ه ، ثم بغا عام ٢٥٤ ه ، وفي مصرعه يقول البحتري من قصيدة مدح بها المعتز بالله : (٢)

أضحى بغاه وأقربوه وحزبه وكأنهم حلم من الأحـلام

طاحوا فما بكت العيون عليهم بدموعها ومضوا بغير سلام

وبعد قليل سار الأتراك إلى المعتز فوبخوه وطالبوه بالأموال ، ثم عذبوه وضربوه بالدبابيس ، وجروه برجله إلى باب الحجرة ، وأقاموه في الشمس حافياً ، وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده ، فخلع المعتز نفسه عام ٢٥٥ (٣) ه ، ثم حبسوه وقتلوه ، وولوا مكانه المهتدي بن الواثق ، الذي لم يعجبهم زهده وورعه وحبه للعدالة ، فخلعوه عام ٢٥٦ ه ، ومات بعد خلعه بأيام .

(١) راجع ٨ حـ ١١ الطبري (٢) راجع ٢٣٤-٢٣٦-٢ ديوان البحتري (٣) ١٦٢ - ١١ طبري



المخترعات المرتقبة

— ٤ —

للأستاذ عوض جندي

٢٠ ﴿الصواريخ التي توجه إلى القمر[1]﴾ أما بالنسبة للصواريخ التي ستوجه إلى القمر دون عودة إلى الأرض . فأن توجيهها يمكن أن يصير مستطاعاً بعد خمسة أعوام فقط .

ولما يستطع أي انسان كان ، الصعود إلى القمر والطواف حوله بطائرة صاروخية مما تحلق في الأجواء البعيدة عن الأبصار . بيد أن هذه الفكرة ليست جديرة بالتهكم .

٢١ ﴿التلغراف المصوّر﴾ وعندئذ لا يفرض على الكتبة في مكاتب التلغرافات ، عند تسلمهم من الجمهور البرقيات المزمع ارسالها إلى مختلف الجهات ، توضيح الكلمات الغامضة المكتوبة بخط رديء بيد مرسلها . وذلك لأن كل برقية ترسل بالتلغراف المصور ، طبقاً لأصلها المكتوب بيد صاحبها ، صحيحاً كان هجاؤها أو خاطئاً ، وسواء كانت حروفها مطموسة أو كاملة النقط أو ناقصتها . ومن ثمة تصبح الأخطاء التي توجد فيها عند وصولها إلى المرسلة اليه ، منسوبة إلى مرسلها نفسه ، لا إلى مكتب التلغراف الواردة منه .

٢٢ ﴿تقدم العلاج بالوسائل الكيمائية﴾ ويتحدث الأطباء الآن « في منتصف القرن الحالي » حديثاً ضافياً فيما تم اختراعه من العقاقير الكيمائية القتالة للجراثيم كالبليسيلين والاستربتومايسين والاريوميسين وأمثالها من الأدوية التي بلغ عددها خمسين دواء . وهي التي استخرجت من الطين والعفن . وقد كان هذا الاختراع فاتحة علم الكيموثيرابي

(١) جاء في جريدة المصري في ٢٥ نوفمبر من لندن في ٢٤ ١١ ١٩٥٠ ما يأتي : — قال المستر كليفر رئيس الجمعية البريطانية للمواصلات بين الكواكب بعد ما ألقى مساء أمس محاضرة في لندن ان ارسال أول الصواريخ بين الارض والقمر سيتم بعد مدة تتراوح بين ٣٠ و ٥٠ سنة . وهو يرى أن أولى هذه الرحلات ستتم في اتجاه القمر والمريخ . وأضاف المستر كليفر قائلا « وأعتقد أن الصواريخ التي يتراوح عدد رجالها بين ثلاثة وأربعة أشخاص تستطيع أن تعود إلى الارض بدون صعوبة .

أي العلاج بالوسائل الكيمائية . أما قبل سنة ٢٠٠٠ فسوف يكون لدى الأطباء مئات من هاتيك الأصناف الكيمائية ، أي قتالة الجراثيم تحت تصرفهم . فيغدو في وسعهم علاج أمراض التدرن الرئوي بسهولة في أدواره جميعها كما يعالج الالتهاب الرئوي في منتصف هذا القرن .

وفي سنة ٢٠٠٠ سوف يستغنى عن استعمال الخلاصات النقية للعفن لمكافحة الاوصاب التي تتولد من البكتيريا . وذلك لأن المواد الكيمائية بأسرها التي تقتل الجراثيم يتسنى حينئذ صنعها بالتأليف الكيمائي في المصانع الكيمائيـة . إذ يمكن وصف تركيبها الذري فتكسب منافع جديدة تضاف إلى منافعها الحالية .

٢٣ ﴿كيف تعالج الشيخوخة في أواخر القرن الحـالي فتطول الاعمار﴾ وإلى سنة ١٩٥٠ لم يكن الأطبـاء يدركون حق الادراك كنه الطريقة التي بها يحول الجسم البشري شريحة من اللحم البقري مثلاً إلى عضلات وطاقة بدنية . أي الوسيلة التي تعرف فنياً باسم « تمثيل الطعام » أو استحالته في الأجسام . ومن ثمـة سوف يستطيع الأطبـاء في سنة ٢٠٠٠ التحقق من أنفع الأغذية لكل مريض طبق حالته . وبهـذه الوسيلة مضافة إلى معرفة الطبيب بالهورمونات ، يسهل عليه معالجـة الشيخوخة باعتبارها مرض انحطاط في القوى . فيصير الرجال والنساء الذين في سن السبعين مثلاً في سنة ٢٠٠٠ كأنهم في سن الأربعين فحسب .

٢٤ ﴿ماذا يتوقع العلماء من منافع الميكروسكوب الكهربي﴾ وقتئذ يعد المرء الجعد الوجه المرتخي الخدين ، اليـابس الجلد ، من المناظر الطريفة أو المشاهد الدالة على اهماله لشخصه . فتطول حياة الناس إلى ٨٥ سنة .

وحتى سنة ١٩٥٠ لم يكن الناس يعرفون في الفيرس ، سوى كونه ميكروباً يبلغ من دقته أنه ينفذ من المرشحات التي تحجز البكتريا الدقيقة التي تتاح رؤيتها بالميكروسكوب البصري . وهذا على حين أن الميكروسكوب الـكهربي الذي يكبر أحجام المرئيات ، من ثلاثين ألف مرة ، إلى مائة ألف مرة . وهو الذي تستعمل فيه شعاعة الـكهيربات ، بدلاً من شعاعة الضوء ، قد غيّـر النظام القديم برمتـه . وفضلاً عن ذلك فقد استطاع العلماء بهـذه الآلة الجديدة اكتشاف أجسام دقيقـة جداً في الفيرسات — هي بلاشك ذرات بروتينية . وسوف يتيسر بضم تلك الذرات التي تكشفت لعلمـاء الكيمياء في تركيب البروتين ، إلى ما يشاهـده علمـاء الباثولوجيا (علم الأمراض وطبيعتهـا) عن طريق

الميكروسكوب الكهربي ، علاج الأسقام التي مصدرها الفيرس كالانفلونزا ونزلة البرد العادية وشلل الأطفال ، وأمثالها علاجاً سهلاً .

٢٥ ﴿ الفلوروسكوب[1] الكهربي بدل آلة تصوير حركات القلب ﴾ وفي القرن العشرين ترى المستشفيات مكتظة بالآلات والماكينات . وستزداد هذه الآلات عند حلول سنة ٢٠٠٠ . وحينئذ سوف يستغنى الأطباء عن الاستناد إلى الصور التي تصورها لهم آلة الالكتروكارديوغراف .[2] وذلك باستخدام الفلوروسكوب الكهربي الذي يطلق أشعة رنتجن الكهربية . فيمكن الطبيب الفاحص فحص كل جزء من أجزاء القلب ، وذلك بالبساطة الكهربية . أما داء السرطان فلن يستطاع علاجه في سنة ٢٠٠٠ ولكن الأطباء يتوقعون تغلبهم عليه فيما بعد قبل مضي حقبة وجيزة .

٢٦ ﴿ كيف تعالج الأمراض العصبية والشلل في آخر القرن الحالي ﴾ وفي سنة ٢٠٠٠ ستصير الأمراض العصبية مرتبطة بالوظائف الحيوية الكهربية الكيمائية اتصالاً مستحيلاً في وقتنا الحاضر . وتمسى الأمراض ، مثل تصلب الشرايين المضاعف أو الشلل ، مما يمكن علاجه . إذ تخترع حينئذ وسائل كهربية كيمائية لتنبيه الأعصاب وتجديد نشاطها تنشيطاً يجعل أحوال المصابين بذينك المرضين، غير باعثة على الأسف . بيد أن أولئك المصابين المعذبين بتلف أعصابهم أو انحطاطها يكادون يشبهون المصابين بداء البول السكري الذين لا بد لهم من تناول الانسيولين بانتظام محافظة على حياتهم . اذ يجب على كل منهم أن يحمل في جيبه جهازاً صغيراً تديره بطارية كهربية لامداد أعصابه بالتنبيه الذي يعوزها .

استدراك : يؤسفني أنه قد سقطت عند الطبع كلمة من السطر الخامس بصفحة ٢٤٠ من مقال « معجزات العلوم والفنون » المنشور بمقتطف نوفمبر سنة ١٩٥٠ . وهذه الكلمة هي (الذرات) فالمرجو من القارىء اضافتها بقلمه ، ليصبح صواب جملتها هكذا :— ثم تدور الذرات مندفعة ساعية في تعويض ما فقدته » فيستقيم المعنى المقصود .

---

(١) الكاتب — وصفنا هذا الجهاز الحديث وصفاً مسهباً وذلك في مقتطف ديسمبر سنة ١٩٤٨

(٢) الكاتب — آلة تسجل التيار الكهربي الذي يتولد من عضلة القلب عند قيامها بوظيفتها الحيوية في الجسم البشري وتستعمل لتمييز — « تشخيص » . الامراض التي تعتري القلب . وقد جاء ذكرها في مقالنا على (العلم واحياء الموتى) المنشور في مقتطف ابريل سنة ١٩٣٥ وفي مقال آخر على الكهربية البشرية نشر في مقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٦ .



من كتاب كليلة ودمنة

القرد المدلل

للأستاذ رضوان ابراهيم مصطفى



قال كليلة وهو يلقن دمنة مبادىء السياسة، ويدرّبه على أعمال القيادة، ويبصره بنواميس الحياة، ويعرّفه بمواطن النقص في الدولة، ويزوّده من حكمته، ويهبه من تجاريبه : —

واعلم يا دمنة أن مملكتنا هذه لا تصلح إلا إذا زاول كل فرد فيها عمله الذي هيء له، وقام فيه كما ينبغي، وآتى كل ذي حق حقه وترك لكل ذي فن فنه الذي هيأته له مواهبه واستمداده، يجيل فيه بصره، ويعمل فيه رويته، وعرف قدر نفسه فوضعها في موضعها، غير متسفل بها إلى حيث تنحط، أو متعال بها الى حيث تزل فتهوى، ولا تزال تهوى. وقد قال الحكماء : إن أول أبواب المعرفة أن يعرف الانسان نفسه، وأن ينزلها منزلتها من هذا العالم، وقالوا : من ذهب بنفسه عن معرفة وجدها، ومن ذهب بها عن جهل فقدها.

واعلم يا دمنة أن المتصدى لما لا يحسن — اغتراراً بنفسه أو تهالكاً على المادة — كالمقصّر في أداء ما يحسن، كلاهما هدم في كيان الأمة، وانحلال في شخصيتها، وإسراع بها في سبيل الفناء العاجل.

وقد قال العلماء : ينبغي العاقل أن يحكّم عقله في ثلاثة أمور : إذا دعى لمناصرة الباطل، وإذا استخدم أداة للشغب، وإذا عادى من هو أقوى منه.

وأن يلتزم ثلاثة أشياء : الاخلاص، والقناعة، والتواضع.

وأن يجتنب ثلاثة أشياء : استخدام الدين للدنيا، والدخول فيما لا يحسن، ومنازعة أصحاب الحق بالباطل.

واعلم يا دمنة أن الله قد خلق خلقه متفاوتين في الذكاء والاستعداد، والقدرة على احتمال الواجب والاخلاص في أدائه، ويسر كلاً منهم للعمل الذي يتكافأ ونصيبه من هذه الموهبة، ليتناسب العمل والعامل، وتنسجم خطا الحياة في سبيل الكمال المنشود، فلا ينبغي لعاقل أن يتورط فيما لم يخلق له، أو يطلب فوق ما يهيئه له احتماله واستعداده وذكاؤه، أو يحاول اغتصاب حقوق غيره بالمغالطة والمكابرة والتبجح، وإلاّ أصابه ما أصاب «القرد المدلل» الذي ساقه غروره وحماقته إلى الحتف السريع من حيث لم يحتسب. قال دمنة: وكيف كان ذلك؟. قال كليلة: —

زعموا أن سفينة أبحرت ذات يوم تبتغي «بر السلامة» وكان الطريق طويلاً شاقاً، وقدقدر ركبانها أنهم سيغادرون المعمورة ضاربين في بيداء المحيط أمداً مديداً، ربما جلب عليهم السآمة، فاستصحبوا معهم قرداً يسليهم بحركاته، أو يرفه عنهم بألاعيبه بعض مخاوف الطريق وسط هذا العباب الزاخر المتقلب.

سارت السفينة يحدوها الرجاء الواسع ويزجيها الأمل البسام، تداعبها الأمواج، وتبسم لها السماء حينا، ويكشر لها البحر وتزأر حولها الرياح أحياناً، وهي ماضية إلى هدفها، تهزأ بالصعاب، وتهزم العوائق، والقرد الخفيف يقفز في أنحائها، ويتأرجح على شرفاتها، متنقلاً هنا وهناك، مقلداً هذا في مشيته وذاك في جلسته وماذا يجيد القرد غير التقليد الأعمى، والقرد إذ يحاول ذلك فانما يقلد لا فيما انتهى إليه الرأى، ولكن فيما انتهى منه الرأي.

وكان بين الركب زاهد حسن السمت، بهي الطلعة، لا ينفك يزاول شعائر الدين، فلا يرى إلاّ ساجداً أو قائماً، وأولع القرد بحركاته فقلدها، وخرج بها إلى الركبان يلهيهم ويستجلب ضحكهم، حتى أطلقوا عليه «القرد الناسك»، وأقبلوا عليه محتفين به معجبين بحركاته، ملقين إليه بفتات المائدة، وقطع الحلوى أحياناً، وظن القرد أن هذا الاكرام موجه إلى شخصه لا إلى حركاته، وأن شخصه جدير بالاعزاز والتبجيل، وخيل له غروره أنه أصبح ضرورة من ضرورات الحياة في هذا الدنيا الصغيرة فتدلل وتاه وتكبر ما وسعته نفسه، وحسب — من فرط الحمق — أن هؤلاء القوم لا يضحكون منه وإنما يهتفون له، وانتفشت أعضاء القرد، وانتفخت أوداجه، وحدث نفسه حديثاً، وقالت له نفسه وقال لها، وأقنعته نفسه بأن في أعراقه دماً غير دم القردة، وسولت له نفسه أن يكون الحاكم بأمره في هذه الدنيا — دنيا السفينة، وماذا يعوقه عن هذا؟ بل ماذا يعوزه من سمات الحكام؟ أليس هؤلاء الأناسى مشتقين من القردة كما يعترف بعض علمائهم؟ لقد تطوروا ولكن منحدرين في طريق النقص والخسة وإلاّ فأين الذيل الذي أختال به؟

وأين هذا الكساء الطبيعي من الشعر الذي يدفئني ؟ وأين . . . وأين ؟

واطمأن إلى أنه في موضع بحيث لو ضرب هـذه السفينة بذنبـه لهوت في قاع اليم ولكن من رحمته بهؤلاء الرعايا المساكين أنه لا يفعل . . !

ووضع القرد أنفه في كل ما وقعت عليه عينـه ، وتغنى على قومه الأماني وما زال يجول ويتحسس ويتلصص،حتى وصل إلى غرفة القيـادة ، حيث الربان منهمك في أداء واجبه الخطير ، فتاقت نفسه أن يقف هـذا الموقف ليزاول هـذه اللعبة اللطيفـة لعبة القيادة ، وعبثاً حاول الربان أن يثنيه أو يقنعه بأن هذا عمل لم يخلق له ، ولـكن بريق هذه الآلات ، وحركتها السريعة ، ودورانها المنتظم قد استهوته ، وكانت تغمره النشوة حين يتطلع إلى هذه الآلات والربان متسلط عليها ، حتى لقد خيل إليه ـ بمجرد النظر ـ أنه أصبح رباناً ماهراً لا ينقصه إلا أن يقف هذا الموقف .

وذات يوم هاجت السفينة عاصفة هوجاء متمردة ، وتذأب الجو الختّـال . وأطبقت سحائبه ثقيلة مظلمة ، وأصبحت السفينة تضطرب بين أكف القدر ، وتتراقص على أصابع الفناء . وبينما الربان يكافح الأهوال ، ويناضل الموت ، ويستعدي أعصابه الفولاذية على الأنواء الجارفة ، والأعاصير الجائحة ، وفي مخيلته أشباح الانفجار والتحطيم ، والتدمير والغرق ، والفناء . و . . — إذا بالقرد يقفز إلى عجلة القيادة ليلعب بها في أحرج الأزمات الفاصلة بين الموت الحيـاة ، ويحاول الربان إقصاءه ، فيصر . ويستمسك . . ويتشبث ويهدد بأن يتحول إلى جانب من السفينة ، فيثقل فيه ، فيخل اتزانها . . فيغرقها . . ويندفع في هذه الثورة الصاخبة ملقياً بنفسه وسط هذه الآلات — المجاهدة الماضية في كفاحها من أجل الحيـاة — يريد تحطيمها أو تعطيلها . . . ولكن هـذه الآلات — المجاهدة الماضية في كفاحها من أجل الحياة — تستمر في دورانها . . ولـكن القرد العنيد يصبح بين لمح البصر الخاطف أشلاء متناثرة ، ولـكن هذه الدماء الغزيرة تسيل على هذه الآلات المجاهدة الماضية في كفاحها من أجل الحياة فتغسلها أو تلوثها

وتهدأ العواصف ، وتبسم السماء ، وتتفتح الآمال ويتفقد القوم القرد المدلل : . فاذا هو أشلاء متناثرة تستثير الاشمئزاز ، ولـكن فعلته الحمقاء تصبح سلوة الركب وفكاهته ، كما كانت حياته تسلية وفكاهة ، وكان الجمهور الذي صفّـق له في رقصه هو الجمهور الذي صفّـق له في حتفه . فهذا جزاء من يغتر بنفسه ولا يقدرها حق قدرها .

قال دمنه : صدقت . وأنا فلو أتيحت لي الفرصة لوقفت على جبل المقطم أعظ الناس هناك بهذه القصة

من الحياة الأميركية

في محكمة الاحداث[1]

للاستاذ منير كريدية

كان من برنامج دراستي في معهد نيويورك ، للخدمة الاجتماعية ، بجامعة كولومبيا أن أقوم ببعض الزيارات لمؤسسات اجتماعية - حكومية وخاصة - وكنت أجد في ذلك فائدة عظيمة ، اذ كان يتاح لي أن أطلع عن كثب ، على كل ما يتعلق بالخدمة الاجتماعية في أميركا ، وأتعرف الى العاملين الاجتماعيين في هذه البلاد ، وأتحدث معهم في كل ما يعني معرفته ، وقد كنت أجد منهم كل مساعدة لتزويدي مما أسأل عنه ، ومما يستلفت نظري ، وكنت في بعض الأوقات اجلس معهم حول مائدة ، ونتناقش في بعض المواضيع الاجتماعية ، وكنت ألمس فيهم رغبة في معرفة أساليب الخدمة الاجتماعية في البلاد العربية ، وكان الحديث عن العاملين الاجتماعيين العرب يهمهم بصورة خاصة .

وكان من جملة هـذه المؤسسات التي قمت بزيارتها ، « محكمة منهاتن للاحداث » ولقد أمضيت فيها يوماً واحداً ، وشاهدت كيفية الأساليب التي يحاكمون بها الاحداث ، وقد جلست بجانب أحد القضاة ، ورحت أستعرض معه القضايا المقدرة لذلك اليوم .

لقد كانت قضايا عادية ، كثيراً ما شاهدت مثلها في محاكم الاحداث ، بلبنان ومصر ودمشق،كانت عبارة عن سرقات قام بها بعض الاحداث ، أو حوادث اجرامية ارتكبوها ، وطبيعي إن هـذا يحدث في كل مكان ، وقد استلفت نظري هنا ان الاحداث ،كانوا يعترفون بالأعمـال التي ارتكبوها بسرعة ، وكانوا بجانب ذلك الاعتراف ، يذكرون الأسباب التي دفعتهم لذلك ، كان يحدث كل هذا بصورة طبيعية ، لا أثر فيها للكذب أو

---

(١) حديث على « صوت أميركا » للاستاذ منير كريدية خص به المقتطف

التكاف ، وكنت أجد القاضي يظهر اهتماماً خاصاً في التعرف الى هؤلاء الاحداث ، وإلى تفهم أحوالهم العائلية ، حتى انه كان يطلب من أولياء أمور الاحداث ، الحضور إلى المحكمة ، ليستعرض معهم مشاكل أطفالهم ويتعاون معهم للوصول إلى العلاج الصالح الذي ينقذ هؤلاء الأطفال ويجعلهم يسيرون في الطريق السوي ، وكان أيضاً يطلب من رئيس « نادي الاحداث » وهي نواد منتشرة في أغلب الأحياء في المدن الأميركية ، ويقوم عليها اخصائيون وعاملون اجتماعيون ، كان القاضي يطلب من رئيس النادي التابع له ذلك الطفل الحضور أيضاً ، ليتعاون معه ومع عائلة الطفل .

ولقد كان يهيأ لي أننا لسنا في محكمة ، بل اننا في مجلس عائلي ، نستعرض مشكلاً من المشاكل وقع فيه طفلنا ، ونبحث في كيفية حله وانقاذه منه ، ولعل ذلك يظهر بصورة جلية في احدى هذه القضايا التي شاهدتها في ذلك اليوم .



تتلخص تلك القضية ، في أن طفلاً في العاشرة من عمره ، سرق من شخص في أحد المقاهي ساعة ، ولقد شاهده أحد رجال الشرطة ، وقبض عليه بالجرم المشهود .

عندما دخل الطفل ساحة المحكمة،ووقف أمام القاضي كانت تظهر عليه علائم الخوف والرعب ، وقد كاد أن يبكي ، ولكن رقة القاضي وحسن معاملته ، خففا كثيراً من عذاب الطفل ، فسريعاً ما اطمئن للقاضي وتحدث إليه كأنه أمام صديق له .

سأل القاضي الطفل عن اسمه،فأجابه هذا انه «جون سميث» ، ويصمت القاضي قليلاً . ثم يقول للطفل — انك تذكرني بصديق لي يحمل نفس الاسم ، انه كان زميلاً لي في المدرسة وكان من خيرة الطلاب ، وبعد أن انتهينا من الدراسة ، انصرف هو إلى اكمال تحصيله في كلية الطب ، وتابعت أنا دراستي في مدرسة الحقوق ، ولقد أصبح فيما بعد طبيباً مشهوراً ، اني أعتز بصداقته كثيراً ، ويسرني أن أقول إني أكاتبه من وقت لآخر .

ثم ألتفت إلى الطفل وقال : صدقني اني جد متأثر من وجودك أمامي الآن ، فانه ليعز عليّ أن أجد شاباً يحمل اسم صديقي الذي أحترمه كثيراً ، واقعاً في مشكل من المشاكل ، ولكني متأكد من اننا — أي أنا وأنت — نستطيع حل هذا المشكل ، وبالتالي اني سأفوز بصديق جديد ، ولكن يتوقف هذا على ما تقدمه أنت من مساعدة لنا فولك بذلك ؟؟ ابتسم الطفل ، وراح ينظر إلى القاضي نظرات بريئة ، ثم قال : صدقني

أود ذلك من كل قلبي : وتقدم من القاضي ، وأخذ من أمامه الساعة ، وسأله : ألا ترى من الخير ان نعيد الساعة الى صاحبها ، فهز القاضي رأسه موافقاً ، ومشى الطفل إلى الرجل وقدم إليه الساعة واعتـذر اليه ، ووعد بألا يعود لمثل ذلك ، فأخذها هـذا شاكراً ، وابتسم القـاضي وقال للطفل : انك قمت بعمل شريف ، ثم التفت القاضي الى رئيس النادي الذي كان بجانبه ورجاه أن يعير الطفل من مكتبة النادي ثلاثة كتب سماها له ، وقال للطفل إني لأرجو أن أتحدث معك في مواضيع هذه الكتب الثلاثة ، بعد أن تكون قد قرأتها ، وهكذا انتهت هذه القضية .



وكان ان اجتمعت الى القاضي بعد أن فرغ من عمله ، ورحت أتحدث معه في بعض أمور تتعلق بالقضايا التي استعرضهـا في ذلك اليوم ، وعندما وصلنا الى قضيـة الطفل «جون سميث» أبديت عجبي لتلك المعاملة التي عامله بها ، خصوصاً وان الجرم ظاهر والطفل قد اعترف به ، اني لأذكر دوماً جواب ذلك القاضي هـذا الجواب الذي أتمنى أن يكون مثالاً يتخذه كل قاض يشرف على محاكمة الاحداث ، وعنواناً لكل من يقوم على اعداد الطفل وتعليمه ، لقد قال لي القاضي : اسمع ياصديقي ، اننا في أميركا نستطيع أن نشيد بناية كالامبير ستيت — وهي أعلى بناء في العالم — في سنة واحدة ، ونستطيع صنع حاملة طائرات في شهر واحد ، ولكننا لاعداد المواطن الأميركي الصالح نحتاج الى وقت طويل ، أننا نحتاج الى عشرين سنة .

نعم ، إن اعداد المواطن الصالح ، يحتاج إلى وقت طويل ، انه يحتاج إلى عشرين سنة كما قال ذلك القاضي ، ان هذا ليس في أميركا فقط ، بل في كل من بلاد العالم ، لقد حان الوقت الذي يجب علينا أن نؤمن فيه ، اننا لاعداد المجتمع الصالح ، علينا أولاً وقبل كل شيء ، أن نتوجه إلى الفرد ، وأن نعده اعداد صالحـاً ، فالفرد الصالح هو الأساس الأول للمجتمع الصالح .



قصة

مستر سمبسون

(زوج حائر)

— ٢ —

الترجمة : للأستاذ سليم الأسيوطي

كارين (تمالك أعصابها في جهد ومشقة) كفي بكاء يا كارولين حتى أقول لك ما يستدعي البكاء ! إن هذا في مقدوري واني أعدك به (تبدأ قصتها في ذلاقة لسان وموقف حزين كاسف) لا بد أنه كان في الأمر شيء في الأسبوع الماضي ، كما يبدو لي عندما رأيت بعض النسوة وقد اقتربت رؤوسهن يومئذ إليّ وجوه كالحة مقطبة — مسز باركن — تلك الحية العجوز وكانت أخري معها ، وجريس بودلي وثالثة التصقت رؤوسهن وكن يتهامسن بعبارات الذم والتعريض ، تأكدي مما أقول ولكني لم أعر الأمر التفاتاً فاني أرفع من أن أعبأ بنظرات مثيلاتهن .
حسناً ، اليوم قد بعت الدجاجات إذ قد ارتفع سعر الواحدة من تسعة إلى عشرة واني سعيدة الحظ حقاً ، فقد بعتها واشتريت الدقيق والسكر واللحم — قطعة طيبة من لحم الخنزير الدسم وقطعة أخرى من اللحم البقري ، بست بنسات ، أخري ، وكل شيء عدا الزبد (تقف وتخلع قبعتها . . . ألخ) إن الزبد قليل جداً هذا الأسبوع ارتفع ثمنه بنسين ، وقد باع الجميع ما معهن عدا مسز باركن ، فكانت الأخيرة التي باعت ما عندها ولها من وجاهة الأسباب ما دعا إلى ذلك .
حسناً ، فقد كان لزاماً عليّ الحصول على بعض الزبد وحتى اذا كان زبدها حزمة مجردة من الأعشاب الجافة وجب أن أشتري رطلاً منها ، فلم أتفوه بكلمة إلاّ بعد ما تسلمته وشممته ، وهي لم تقل شراً ولا خيراً ، إلاّ بعد أن نقدتها الثمن ، وأخفت النقود في جيب جلبابها وأمنت عليها ، ولما ارتاحت إلى ما قد فعلت أولاً — حينئذ قالت إنها زبدة جيدة يامس ستيفن وكان من الجرأة أن

أقول لها إنها ليست جيدة جداً جداً كما تقول كما لم يكن من شأني الكذب لأرضى مثيلاتها ، وتأكدي من ذلك . ولذا قلت : « سوف نصلح من شأنه ، يامسز باركن ، مادام لا يوجد ما هو أحسن منه فانتصبت واقفة وقالت ، ليس من عادتك التدقيق إلى هذا الحد أنت تعرفين أن رجلك المختار له معدة حساسة رقيقة .

كارولين (في ذهول فاجع) رجلك المفضل يا أختاه ! من هو ؟

كاترين (في غضاضة) لايوجد إلاّ رجل واحد يجاورنا وهو الذي أعرف .

كارولين (تتنفس في صعوبة) مستر سمبسون ؟ .

كاترين (تمالك شعورها بصعوبة وبشدة) ذلك هو الرجل ، رجلنا المفضل ، رجلك ورجلي . وعندما تفوهت بتلك الكلمة وهنت قواى وكانت ريشة تكفي لتلقى بي على الأرض ولم يسعفني لساني بكلمة أرد بها عليها ، وشعرت أن حمرة الخجل تخضب وجهي وتسري في كل جسدي . لقد كانت واقفة لتنتظر الفرصة ولم أشك في نية هذه القطة العجوز فاعتدلت وقالت . حسناً أتخجلين يامس ستيفنز اذا قلت لك كلمة ودية يجب عليك أن تسرعي وأختك التى أنضجتها السنون لانقاذ ما يمكن انقاذه وتعملان على أن يختار مستر سمبسون العجوز أحداكما زوجاً أميناً بأسرع ما يمكن (تصرخ كارولين وتخبي وجهها في مئزرها) ويبدو على كاترين البكاء ، ولكنها تمالك أعصابها وتستمر في حديثها ،) بالدمار والخزي لقد كنا دائماً في عزلة لا نبغي صحبة أحد ولم نذكر أحداً بسوء أو فضيحة ، ولكن كيف يتركنا الناس وشأننا (تذهب إلى الموقد وتحرك النار) يجب أن نحسم الأمر دون أبطأ (بعد لحظة تأمل وتفكر) أين هو ؟

كارولين (في عبارات متقطعة وهي ملتفة في ازارها مرتعشة باكية) لقد كان هنا منذ لحظة ، اذكان لديه شيء خاص يريد قوله لنا . . . . ولا يقوله حتى تعودي . . . . لقد خرج ليبحث عنك في عرض الطريق .

كاترين : لقدجئت عن طريق البرارى وهذا ما عاق عودتي . لم أكن متشوقة للقاء أحد في الطريق تحدسين . (تجلس) هم ! عنده شيء خاص يريدأن يفضي به الينا . هل عنده مثل هذا الحديث الذي سمعنا؟حسناً قد يكون عندنا شيء خاص نقوله له

كارولين (تدع مئزرها يسقط من يدها) أختي سوف لا تقولين له شيئاً أبداً ، سأموت خجلاً اذا ما أقدمت على ذلك .

كارين (في صلابة) أنا لا أعرف ، يجب وضع حد لهذه المهازل واذا أمكنني أن أفكر كيف يتسنى لي ذلك . . أن رأسي العجوز المسكين ليحترق ، أن الحيرة تشملني من هامتي الى قدمي .

كارولين (تهم واقفة) أختي البوابة ! لقد سمعت صوت المزلاج ان شخصاً قادم .

كارين (تنطلق إلى النافذة) إنه هو ، سوف لا يدخل إلى هنا — سوف لا تطأ قدمه أرض هـذا المنزل مرة أخرى (تسرع الى الباب وتحكم رتاجه) هناك ! عيناها تثبتان للباب ، ينتظران في صمت بأنفاس خامدة يقرع الباب قرعاً هيناً وبعد فترة من الزمن يرفع الرتاج ونسمع قرقعة البـاب . وقفـة أخرى ثم يسمع صوت مستر سمبسون .

مستر سمبسون : هل جاء أحد إلى المنزل ؟

كارين : (تذهب إلى الباب وتتكلم خلال مصراعيه) اني آسفة اذ أجد نفسي مضطرة لأقولها يامستر سمبسون ، ولكن لا يمكنك الدخول .

مستر سمبسون : كيف ذلك ماذا اعتراك

كارين : لا يمكن أن أقول لك ، ولكن يجب ألا تدخل الى هنا هل تتكرم بفراقنـا يامستر سمبسون

مستر سمبسون (بعد لحظة تفكر) لا — اني أعرف . لن أغادر المكان قبل أن أعرف ما في الأمر . إذا فتحت الباب يمكنك أن تقولي ما تريدين في يسر وسهولة، ولن تطأ قدماي أرض المنزل إلا إذا رغبت في ذلك ، ولكن يجب أن أعرف ما في الأمر .

كارين تشير إلى كارولين وهي فزعة مرتاعة لن يذهب ! وما الذي يمكن عمله (تهز كارولين رأسها في ابتئاس) إذا كان ولا بد من أن أقول له —(كارولين تلوح بيديها في الهواء في فزع) سوف لا يذهب إلا إذا قلت له شيئاً ما سوف أتدبر الأمر قدر المستطاع سوف يسرع في الذهاب عندما يعرف ما في الأمر — سوف لا يواجهنا — اني سأحتاط حتى لا يتم ما لا نود (تتحكم في أعصابها لمواجهة

الموقعة الخاسرة وتسحب الرتاج وتفتح الباب قليلاً وتتكىء بكتفيها خلفه) أرجو البقاء خارجاً فنحن لا نستطيع مواجهتك . نقول لك ذلك لأنه يجب أن نقوله ، ولكن لا يمكننا أن نواجهك مرة أخرى بعد ذلك .

مستر سمبسون: أبلغ سوء الموقف هذا الحد ؟

كارن : نعم لقد بلغ أسوأ وأسوأ من أي حد يمكنك التفكير فيه (في جهد شاق) لقد أصبحنا مضغة في الأفواه يامستر سمبسون

مستر سمبسون: نحن مضغة في الأفواه ؟

كارين : أنت ونحن الحديث عنا ينتشر في طول البلد من اقصاه إلى اقصاه ، حديث عار وخزي . يا إلهي ما كنت أحسب أن يمتد بي أجلي حتى أرى ذلك اليوم .

مستر سمبسون: (في صبر) هلا تتكرمين بتفصيل الأمر ياسيدتي ؟

كارين : (توشك على البكاء) نحن لم نفكر قط في ضرر ما ، ان حق الجوار علينا هو الذي دفعنا إلى القيام بتقديم خدماتنا إليك ، في وحدتك لا معوان لك ولا مساعد ، انها خطيئة وعار أن نقول مثل هـذا القول .

مستر سمبسون: يصبر على مضض أي قول تذكرين ؟

كارين : أقول (في اندفاع) إن الفرصة مناسبة لتختار لنفسك وتتزوج من احدانا (في قلق باد ترتجفان في انتظار النتيجـة التي سرعان ما تجيء في صوت منخفض طويل أولاً ، ثم لدهشتهما البالغة في قهقهة عاليـة لا تخطئها الأذن ، فتتراجع كارين في ذعر من الباب الذي ينفتح على مصراعيه ويبدو مستر سمبسون وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة) .

مستر سمبسون: هذه قصة قديمة تافهة ملفقة سمعتها منذ أسابيع مضت ، ولم أكلف نفسي مؤونة نقلها لكما إذ كان يجدر بي أن أفكر في شيء آخر .

كارين : (ذاهلة) فيم تفكر

مستر سمبسون: (في وداعة) في التقرب منكما بكل تأكيد

كارين: تتنفس في صعوبة أنت لا تقصد أن تقول انك . . .

مستر سمبسون: نعم اني أرمي إلى هذا — هـذان الاسبوعان وعندما جئت يوم الأحد ، أرجو أن تتقبلا زيارتي على هـذا الوضع وألاّ يكون فيها ما يسيء اليكما (إلى كارولين) إن هذا هو الأمر الذي جئت للتكلم فيه وانه لمن الغريب حقاً أن يتطور الأمر هذا التطور .

[للقصة بقية]

باب الزراعة والاقتصاد

العلم يساعد زراع التبغ في أمريكا(١)

للأستاذ سعيد جبرين

إن حديثنا هذا لا يتناول مضار التبغ أو فوائده — انما نرمي من وراء هذا المثال الى ذكر أحدث الأساليب التي يتبعها المزارعون في الولايات المتحدة لتحسين أنواع التبغ وزيادة المحصول منه بأقل كلفة ممكنة — مما يجعل هذه الصناعة، صناعة هامة تعود على القائمين بها بالأرباح الوافرة. وتقدم للمستهلك حاجته بثمن معقول — وتوسل إلى الأسواق العالمية التبغ الأميركي المعروف والسجائر الأميركية الذائعة الصيت.

وزارع التبغ الأميركي، للوصول إلى غايته، لا يترك صغيرة ولا كبيرة في هذا الباب إلا ويلم بها. وهو يستعين بالعلم الحديث ويسترشد بخبرة الخبراء في جميع مراحل انتاج التبغ، من اختيار البذور، إلى عرض علب التبغ والسجائر في واجهات المخازن. وسنكتفي في هذه العجالة بذكر ما يقوم به المزارع في حقل زراعة التبغ وجمع أوراقه وتجفيفها.

ليس من يجهل ما لنوع البذار من تأثير على صلاح الموسم ووفرة الانتاج وجودته. لذلك نجد المزارع الأميركي يدفع المبالغ الطائلة للحصول على البذور المولدة. ولا ينفك يقوم بالاختبارات لانتاج فصائل جديدة تمتاز على ما سبقها. وأغلب التبغ الأميركي هو من النوع المعروف علمياً Nicotinia Tobacium، وتستعمل عادة البذور من فصيلة خاصة، لانتاج التبغ الذي يجفف بالحرارة الصناعية. والذي يستعمل في أكثر أنواع السجائر المعروفة.

ولا يكاد المزارع يؤمن حاجته من البذور، حتى ينتقل الى الخطوة الثانية وهي تهيئة أرض المشتل الذي تزرع فيه تلك البذور.

ويقوم العلم الحديث بدور هام في تهيئة تلك المشاتل فتفحص تربتها وتحلل بدقة، ثم تضاف إليها المقادير اللازمة من الأسمدة التي تحتوي على ما ينقصها من العناصر المغذية

(١) حديث على صوت امريكا للاستاذ سعيد جبرين خص به المقتطف

المفيدة للنبات . ثم تطهر التربة من الجراثيم وبذور الأعشاب الغريبة . ويستعمل المزارعون في عملية التطهير هـذه ، أساليب مختلفة أهمها اثنان : التطهير بالحرارة ، والتطهير بالمواد الـكيماثيـة . وأكثر مزارعي الولايات المتحدة يستعملون الحرارة في تعقيم تربة مشاتل التبغ ويستخدمون البخار عادة في ذلك . فيمر على التربة خزان يخرج منه تيار من البخار الحامي ويتغلغل في التربة قاضياً على كل جرثومة حياة فيها .

وهنالك من يعالجون تربة مشاتل التبغ بالاحراق بالنـار أو بتعريضها إلى حرارة زائدة . والطريقة الأخيرة ليست محمودة لأن احراق التربة قد يضر بها ويقلل من خصبها .

أما موعد تطهير تربة المشاتل فيختلف عليه أحياناً . فمن المزارعين من يفعلون ذلك في الخريف ، ومنهم من يؤجلون هـذه العملية إلى أول الربيع ، وربما كان من الأفضل أن تعقم التربة في الخريف ثم تعاد عملية التطهير في أول الربيع . لتصبح أرض المشتل خالية تماماً من جراثيم الامراض وبذور الأعشاب المضرة .

ورب من يتساءل عن نفقات تطهير أرض المشتل . وهل من ضرورة لدفع تلك النفقات . والجواب على ذلك هو أن مساحة المشتل تكون عادة صغيرة ممـا يجعل تطهير التربة سهلاً قليل النفقة نسبيًـا . ثم ان هذا التطهير يؤمن جودة الشتل وخلوه من الامراض ويوفر على المزارع مشقة « تعشيب » المشتل والقضاء على الأعشاب الغريبة المضرة .

وبعد أن يستوثق المزارع من نظافة أرض المشتل ، يبدأ بزراعة البذور . . يبذرها بمعدل ounce واحدة أو ثمانية دراهم لـكل مائتي قدم مربعة من الأرض ، مما ينتج عادة بين الاربعين ألف والخمسين ألفاً من الشتلات .

وعندما يبلغ علو شتلة التبغ الصغيرة بين الأربع والست بوصات ، — وذلك بعد مضي ستة أو عشرة أسابيع على ظهورها ، عندئذ تنقل مع رفيقاتها إلى الحقل المعدّ لها ، وتغرس على مسافات تختلف باختلاف النوع المراد انتاجه . وفي حالة التبغ المستعمل في السجائر العادية تكون المسافة بين النبتة والنبتة قدمين باربع أقدام . وهـذه الشتلات تنبت بحيث تحمل الواحدة منها عادة بين ست عشرة وعشرين ورقة . ويزاد عدد الاوراق عادة بالتفريد والتنقية .

أما تسميد حقول التبغ فيلعب دوراً هامًـا في تحسين الـكمية والنوع . وأكثر التبغ الذي تنتجه الولايات المتحدة ينمو في تربة رملية . ويتوقف نوع السماد وكميته على نوع ورقة التبغ المراد انتاجها . فمثلاً نجد أن التبغ الذي يجفف بطريق الانابيب المحمّاة وفي

مدة قصيرة ، يحتاج الى كمية وافرة من النتروجين . كما أن مادة البوتاس التي يقدمها سماد الفوسفات أو الكربونات أو النترات — تزيد في الوقت الذي يأخذه التبغ لكي يحترق وبمعنى آخر يجعل عمر لفافة التبغ أطول ، كما أنه يزيد صناعة الأوراق ضد الامراض ، كما أن البورون والمغنيزيوم مفيدان في تقوية الأوراق وحمايتها من الأمراض.

وقد قام العلماء الأميركيون ببحوث هامة عن توليد فصائل من التبغ ذات مناعة ضد الأمراض وقد توصلوا الى ذلك بمزاوجة نبتة التبغ المعروفة مع نباتات من فصائل مقاربة فيها مقاومة طبيعية للجراثيم والآمان وبهذه الطريقة تغلب مزارع التبغ على كثير من أمراض التبغ المعروفة التي كانت تسبب له خسائر فادحة ، وكان يستحيل عليه معالجتها.

أما موعد قطف أوراق التبغ — فبعد مضي مدة تتراوح بين السبعين ، والمائة والعشرين يوماً — على غرس النبات في الحقل ، كما وهنالك طريقتان لجمع الأوراق . فإما أن تجتث النبتة مرة واحدة . وتعلق على حقل خاص لتجف وإما أن تنتزع الأوراق ورقة ورقة حال نضوجها وتنظم في حلقة خيوط بشكل قلائد . وتعد للتجفيف قبل شحنها

وهكذا أصبح المزارع الاميركي — يؤمّن الحصول على أجود أنواع التبغ بتأمين البذور المولدة ، ويرتاح من مشقة تعشيب المشاتل بتعقيم تربتها قبل غرس البذور . ويقرر أكثر خصائص التبغ الذي ينوي إنتاجه بواسطة نوع التربة التي يغرس فيها المشتل ونوع السماد الذي يضعه في تلك التربة . ثم هو ينتظر موعد قطف الأوراق الناضجة غير خائف من الامراض والآفات لأنه قد احتاط لجميع الطوارىء ولم يترك مجالاً للمفاجآت . ثم لا يألو هو جهداً في التعاون مع الخبراء الزراعيين لتحسين أساليب زراعة التبغ ، ولزيادة المحصول من هذه المادة التي فرضت نفسها فرضاً على الناس في العصر الحاضر ، وما زال عدد الذين يتعاطونها يزداد يومياً . وعسى أن تسمح لنا الظروف بعرض ما يفعله المزارعون في المراحل الأخرى من هذه الصناعة .

الزراعة في اندونيسيا

— ٣ —

أندونيسيا من البلاد الهامة في انتاج الشاي ، لأن ما تتطلبه زراعته من مناخ خاص ووفرة في الأيدي العاملة وعناية كبيرة بالزراعة والجني متوفر في القطر الاندونيسي ، ولم

يكن الشاي منتشراً في القارة الأوربية إلا من بلاد الشرق الأقصى ، وكان الصينيون أول من عرفوه وشربوه وأول من نجحوا في تصديره، بيد أن اندونيسيا وغيرها من بلاد الشرق الأقصى قامت بمنافسة الصين وأخذت الصادرات الاندونيسية من الشاي تتضاعف وتتغلب على المنافسة الصينية التي أخذ شايها يقل ويهبط رويداً رويداً . واستطاعت اندونيسيا أن تصدر الى العالم الخارجي ما يقرب من عشرين في المائة من انتاج الشاي العالمي ، ولعلنا ندرك اليوم أهمية الشاي وانتشاره في جميع بقاع العالم حتى انه فاق المأكولات جميعها في بعض أرياف الشرق . . .

وفي جزيرة جاوه وسومطرة مناخ معتدل يلائم زراعة البن ، فلا غرو — إذن — أن نرى تلك المزارع البنية الشاسعة في هاتين الجزيرتين ، وتتخذ الوسائل العلمية الحديثة في زراعته فاذا المحصول سخي كثير ، وأشجاره عالية تبلغ الواحدة من ستة أمتار الى عشرة أمتار . ويجني الأندونيسيون محصول البن كجني القطن في مصر ، بيد اننا نرى في جهات عدة أن ثمار البن تترك على سجيتها حتى تأخذ حظها من شجرتها ثم تسقط على أرض الحقل ثم يتخذ شكلها أكواماً ، وإذا لم تسقط فان الاندونيسيين يعمدون الى طريقة هز الشجيرة واستقبال البن ، وبعد هذا الجني يكون البن مختلطاً بأوراق أشجاره وزهيراته فسرعان ما تتحرك الآلات الحالجة فينفصل البن عن تلك الوريقات والزهيرات ، وبعد ذلك يعرض لأشعة الشمس أو يودع حجرات دافئة ليجفف تجفيفاً يصير بعده صالحاً للتحميص والسحق ثم الاستعمال . ولعل من الطريف أن نذكر أن هنالك أشجاراً من البن لها من العمر ثلاثون عاماً تؤهلها لأن تكون سفراً يحدثك بالحوادث أو يرقب الاحداث ، وهي بعد ذلك لا تكل ولا ينضب معينها . . .

ولم تتخذ اوربا البن من منشطاتها ومنبهاتها إلا عن طريق الهولنديين الذين أدخلوه الى أوربا من بلاد الشرق الأقصى ، وكانوا تبعاً لذلك أكثر دول أوربا شرباً واستعمالاً للقهوة .

ونظراً لعدم تلاؤم أشعة الشمس مع أشجار البن الدقيقة التي تزرع اليوم، نرى الاهالي يفصلون بينها بسقف متين لا يتوقف على البن فحسب ولكن أيضاً على الفلاحين، وأماكن التجفيف بعد جني البن وتخميره وحلجه وافرة في مزارع سومطرا ، ففيها أقيمت مخازن خاصة يحدوها الدفء .. ولعل مشكلة أشعة الشمس وأشجار البن من المشاكل المقضي عليها ، فان في استطاعة الاندونومي أن يزرع بجوار أشجار البن أشجاراً كثيفة على هيئة

حواجز لتظللها فتمنع عنها حرارة الشمس وأشعتها .

وحواجز الأشجار قد فكر فيها رجال أمريكا الزراعيون ، فابتكرت آلة جديدة لغرس تلك الاشجار يستطيع رجلان وجرّار بها أن يغرسا خمسة آلاف شجرة في أربع ساعات ، وأول آلة صنعتها مصلحة الغابات الامريكية وهي تتكوّن من سكين ضخم يحفر في الأرض قناة على شكل أخدود خاص ، ويجلس خلفها رجلان يرميان الشجر ، وتردم القناة عجلات خاصة ، ولهذه الأشجار فوائد جمة منها مقاومة الجفاف وزيادة المحصول والحد من نحات الريح وتوفير الظل وتخفيف أشعة الشمس وحرارتها وا كساب الجمال وحسن الرواء ، كما أنها وسيلة للتغلب على أصوات حركة المرور مما يجعلها ذات أهمية عظمى . . .

ولمحصول الكاكاو Cacao أهمية كبيرة في اندونيسيا ، فهي تصدر منه كميات كبيرة وينتشر شربه في أنحاء العالم ، كما أن الصناعة تستعمله في عمل الحلوى اللذيذة التي تتطلبها الرفاهية العالمية ، وهولندا وانجلترا بوجه خاص تعشقان شرب الكاكاو ، وفي مصر بلغ شرب الكاكاو مستوى شرب القهوة ، وشربهما في المرتبة التي تلي الشاي من ناحية المشروبات المكيفة الخالية الكحول .

وأما من جهة النارجيل وهو جوز (الهند) فان اندونيسيا تنتج منه حوالي ثلاثين في المائة مما تنتج جميع بلاد العالم ، ويكثر بجزيرة جاوة ومدورا وسيليبس والقسم الغربي من نيوجيني، كما لا ننسى أنه الثروة الكبرى والمحصول الأساسي في جزائر الفيلبين ، وكان أهلها يستغلونه في صناعة الخبز قديماً ، بيد أن الحضارة الآن جعلتهم يصنعون منه كثيراً من أنواع الحلوى ، ثم زاد الأمر عن ذلك فانبروا يستخرجون منه زيتاً ليحضروا منه بعض مواد للتجميل . . . ويصدر من جزائر الفيلبين حوالي ثلاثين في المائة مما تنتجه الى الأسواق الخارجية وبالأخص الى أمريكا التي تحظى بمفردها بتسعين في المائة مما تحتاجه من الفيلبين ، ولقد قدر محصول الفيلبين من النارجيل قبل الحرب العالمية الثانية بنحو ثمانية بلايين جوزة كل عام يصنع من أربعة بلايين منها خبز للغذاء ومن عشرين منها يستخرج زيت النارجيل ... وعندما يتم نضج أشجار النارجيل تراها باسقة شاهقة يتراوح طولها بين عشرين وخمسة وعشرين متراً ، مما حدا الأهالي على التراهن على صعودها ...

[للبحث بقية] أحمد طه السنوسي



السمك يشعر بدوار البحر

اثبتت التجارب العلميـة أن السمك يتعرض لدوار البحر كما يتعرض له بعض المسافرين ويصـاب به كما يصابون وهذه حقيقة توصل اليها الباحثون بعد تجـارب طويلة. فقد جاء العلماء بابريق زجاجي ملأوه بالأمواج الصناعية ووضعوا فيه سمك المرجان ولشد ما دهشوا عند ما وجدوه قد أصيب بالدوار بسبب أمواج البحر الصناعية هذه. وثبت للعلماء أن السمك الذي يتراوح وزن الواحدة منه بين رطلين و ٧٠ رطلا الذي نجده في البحر المتوسط قد أصيب هـو أيضاً بالدوار بسبب هذه الأمواج الهائجة التي تصيب المسافر بحراً

*

وفي مقدورنا أن نقول الآن إن السمك يصاب بالدوخة أو بدوار البحر الذي يصاب به أي مسافر أو بحار عند ما تشتد الأمواج وتتلاطم في عرض البحار والمحيطات .

الثلج الجديد

شاب هندي يقطن الولايات المتحدة اسمه جاجان ناث شارما Jagan Nath Sharma اخترع نوعاً جديداً من الثلج أطلق عليه اسم الثلج المثلج أو ثلج .W .T، وهو ليس كأنواع الثلج الأخرى التي تجمدت من مواد غير الماء، كالثلج الجاف مثلاً وهو غاز ثاني اوكسيد الـكربون المتجمد . بل قد تعجب إذا عرفت أن هذا الثلج الجديد يستحضر من الماء. أيضاً وكل ما يتميز به اضافة قليل جداً من مادة كيماوية اسمها فلورسي Fluoresco فتكسبه خواصه الجديدة، فهو أولاً أبطأ في الاسالة . ولهذا كان أطول عمراً وأبعد أثراً في التبريد والتثليج ثم هو إذا تكسر وتهشم لا يعطي تلك القطع المدببة ذوات الحـوافي الحـادة التي تخـدش الخـلايا النباتية الرقيقة إذا ما أريد تبريد الخضر أو الفاكهة . بل ان قطعه أرق على هذه الخلايا وألين على وجدرهـا . وقد جرب في أمريكا في حفظ الخضر والفا كهـة عند نقلها، فصانها طازجة صحيحة أفضـل صيانة في أطول مسافة للسفر .

زجاج جديد للسيارات

اخترعت احدى شركات الزجاج الكبرى بأمريكا نوعاً من الزجاج استنبط خصيصاً لواجهات السيارات ونوافذها . وقد اجتمعت له عدا ميزتي المتانة والامان صفتان جزيلتا النفع هما مقدرته على اضعاف شدة الضوء وعلى مقاومة الحرارة .

ويقول مخترعو هذا الزجاج انه سيحمي ابصار السائقين من البهر الذي يضايقهم من جراء تعرض عيونهم لوهج الشمس وللاضواء الساطعة. كما انه سيدرأ عنهم شدة الحر في ابان القيظ وبالاخص في المناطق الحارة وقد أثبتت التجارب ان من خصائص هذا الزجاج — الذي مزجت مادته بصبغة ملونة اضفت عليه مسحة من اللون الأخضر الضارب للزرقة — مقدرته على صد جانب من الأشعة تحت الحمراء عن النفوذ الى داخل السيارة. فتصان بذلك ألوان اثاثها فلا تحول أصباغها أي (تبهت) .

مخلفات الموالح

تتخلف بين قمامات المنازل والمطاعم بقايا ثمار الموالح بعد استعمالها . وقد أمكن في أمريكا الانتفاع بها في تغذية الماشية أو تسميد الأرض . ولما كان استخدامها في تغذية الماشيه يعرضها للتخمر الذي يسبب اضراراً صحيـة ، فقد استنبطت طريقـة ميكانيكية لتجفيفها دون استعمال الحرارة الصناعية .

وبعد عملية التجفيف تطحن وتحال إلى مسحوق ناعم ثم توضع في أكياس من الخيش ذات سعة واحدة .

*

وقد ظهر من تحليل عينات المـادة المجففـة نقص الأملاح والمواد السكرية فيها الى ما يقرب من النصف . فلجأت بعض مصانع التجفيف الى تعويض النقص في هذه العناصر باضافة العسل الاسود بنسبة ٢٥ ٪ من وزنها .

ثلج قاتل للجراثيم

أمكن صنع ثلج قاتل للميكـروبات Germicide وذلك بأن تمزج بالماء الماء الذي يصنع منه مواد معقمة مثل مركبات السلفا وأزوتات الصوديوم وهذا الثلج أقوى مفعولاً في حفظ السمك واللحوم من الثلج العادي

✡ ✡



مكتبة المقتطف

١ — مسرحية الأب

قام الأستاذ « وديع فلسطين » بنقل هذه المسرحية الى لغتنا العربية وهي من تأليف الروائي المعروف « اوجست سترندبرج » الكاتب السويدي الكبير ، والذي يعد في طليعة كتّاب المسرحية العالميين.

ومسرحية الأب إحدى روائع أدبه ، وإحدى روائع الأدب الانساني كله قوة، وجرأة ، وثورة ، تصوّر حياة أسرة أوربية متحررة ، يعبث الشك فيها بعقل الزوج الضابط العالم . فيشك في سلوك زوجته ، وفي نسبة ابنته اليه ، فيضطرب فكره وتضطرب قواه العقلية كلها ، وينطلق يهذي كالمحموم ، ثم لايلبث أن يرد موارد الجنون ، والهلاك، دون أن يهتدي إلى نور اليقين .

ولست الآن بسبيل تلخيص هـذه القصة الانسانيـة المؤثرة ولكني أجزم — وبعد أن قرأتها مرتين — بأنها آية من آيات التمثيل الحديث ، والعبقرية المبدعة ، يجد القارىء في ثنايا فصولها لذة العقل ولذة الشعور في وقت واحد ، فلقد درس المؤلف شخصياتها درساً متقناً ، وحللها تحليلاً دقيقاً ، واتخذ من فنه سبيلاً إلى البحث والتحليل فأرضى حاجة القلب والعقل والشعور،كما أرضى حاجة العلم والفن والفلسفة . ولست أشك في أن هذه المسرحية ستترك أثرها الفريد في أدبنا وفي تمثيلنا بنوع خاص ـ وعلى هذه الوتيرة يستطيع الأستاذ وديع فلسطين أن يرفع من شأن الادب ، ويجعله خصباً مفيداً مثمراً ، مما يتوج عمله باكليل من المجد والفخار .

وقد اختار الأسلوب لغة قريبة إلي العقول مستساغة إلىا لممثلين فوق خشبة المسرح ، على عمق الفلسفة وجلال الأفكار التي تعالجها المسرحية نفسها — كما قدم للمسرحية بكلمة ضافيـة عن المؤلف : حياته وأدبه ومذهبـه في الكتابة ، وأسلوب التفكير ، مما يعتبر مرجعاً في هذا الباب ويستحق عليه جليل الشكر والتقدير من قراء العربية جميعاً .

X ٢ – شاعر وكتاب

تأليف الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي — وطبع المطبعة الفاروقية بالقاهرة

الشاعر هو ابو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي الحلبي ، وأما الكتاب فهو سر الفصاحة لمؤلفه ابن سنان أيضاً ، وكلا الاثنين ؛ الشاعر والكتاب جد معروف في تاريخ الفكر الاسلامي والأدب العربي ، وكلاهما مشهود له بالأهمية والابتكار والخلق .. وقد كان يمكن للشاعر وللكتاب أن يقفزا إلى الطليعة ويتبوآ مقعديهما في عالم الأدب الحديث ، لأنهما جديران بهذه المنزلة والمكانة الممتازة ، ولكن الأدب الحديث يضيق صدره ولا ينطلق لسانه ، باللباب ، وبغير الكثرة الفاحشة من أدب الرياء والملق والتزلف الرخيص ، وغير ذلك مما تغص به سوقه في هـذه الأيام .

وحياة ابن سنان الخفاجي الحلبي جديرة بالدرس ، وقد آن الوقت الذي يجب أن تأخذ فيه مكانها بين حياة المفكرين والفلاسفة في الاسلام بعد أن طال إهمالها من الباحثين .

كان ابن سنان كما يقول الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي : شاعراً مطبوعاً ، وكاتباً موهوباً ، وأديباً ممتازاً ، وناقداً متذوقاً ، وعالماً جليلاً ، من الذين خدموا البلاغة العربية خدمة لا تقدر بقيمة . .

فأما كتابه « سر الفصاحة » فهو كما يقول الأستاذ كتاب جليل عظيم الخطر ، كبير الأثر ، في بحوث النقد والبلاغة : تكلم فيه الخفاجي على اللغة ثم على الحروف ثم على الألفاظ المفردة وصفاتها ، وأسباب الفصاحة فيها ، ثم على الألفاظ المؤلفة وأسرار فصاحتها ، ثم على المعاني المفردة وما يجب أن تكون عليه في التأليف ليكون الكلام موائماً للعقل والتفكير . . ص ٣٣ »

وابن سنان كما يبدو من كتابه : رجل ذو ثقافة واسعة ، درس كتب الأدب والنقد ، واللغة وكانت من خصائص ومميزات ثقافته هذه الناحية الكلامية التي مهر فيها ، وأسلوبه في الجدل أسلوب قوي من أساليب المتكلمين . وهو فوق ذلك منصف في حكمه معتدل في نقده ، يعتمد على الحجة والدليل قبل كل شيء ، ويختبر كل شيء بميزان العقل والتفكير ، ويرتب كل شيء على أساس حكم العقل ، واستنتاجه . . ص ٤١ .

« وقد نوه ابن الاثير في أول «المثل السائر» بالكتاب وبمؤلفه ، وأشاد به أعظم إشادة ،

وتأثر به في بحوث كتابه « المثل السائر » ونقد بعض آرائه في بعض الأحايين ، وكتب البلاغة المؤلفة في العصور الأخيرة وخاصة الايضاح للخطيب م ٧٣٩ هـ . قد تأثرت بهذا الكتاب ، سر الفصاحة إلى حد بعيد . فهو المصدر الأول للبلاغيين ، كما هو أهم مصدر من مصادر الأدب والنقد . . ص ٤٠ »

وبعد : فقد قصدت إلى عرض صورة خاطفة للأمير ابن سنان ، وكتابه « سر الفصاحة » من هـذا الكتاب القيم الذي صدر حديثاً ، والذي جعلت منه عنوان هـذه الكلمة ، فلعل فيها ما يحفز الأدباء والباحثين إلى انصاف هذا التراث العربي الجليل ، ونشره من جدثه الذي تراكم فوقه غبار القرون الطويلة .

ولقد خلف لنا الشاعر إلى جانب ذلك ديوان شعره ، وقد كتب عليه عنه : الشاعر المفلق الشهير ، والكاتب النحرير ، والخطيب المصقع البليغ ، الأمير أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفي عام ٤٦٦ هـ » .

كما خلف لنا فوق ذلك حياته الحافلة على قصرها بالمخاطرات والعبر والآمال الكبار . . فقد ولي قلعة « عزاز » للسلطان محمود — أمير حلب وضواحيها — فشق عصا الطاعة عليه واستقل بها ، فاحتال السلطان حتى قتله مسموماً على يد أحد أصدقائه عام ٤٤٦ هـ .

حقاً انها لحياة عظيمة ، وما أجدرها بالبحث والدراسة .

محمد علي هرية

بنو خفاجه وتاريخهم السياسي والأدبي

تأليف الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي — وطبع بالمطبعة الفاروقيـة الحديثة بالناصرية بالقاهرة
ظهر منه الاجزاء الثلاثة الأولى في نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير

أهداني المؤلف هـذا السفر القيم ، فأعجبت به إعجاباً شديداً ، لما فيه من أدب وفن وتاريخ ، مما تعجز عن الاحاطة به أسفار كثيرة . . لقد جاب المؤلف التاريخ : قديمه وحديثه ، جاهليـه وإسلاميه ، وتغلغل في صروفه وأحداثه ، وغاض إلى أعماقه ، ونقل صوراً صحيحة لتاريخ قبيلة عربية قديمـة ، ليصل حاضرها بغابرها ، ومعلومها بمجهولها ، ويستنتج من ذلك شتى النتائج والأفكار ، ويدعو في لباقة وظرف شديدين إلى اتحاد الأسرة وتعاونها في سبيل الاحتفاظ بتاريخها .

ولا شك أن ذلك كله جهد شاق مرير ، يعجز دونه أمهر الكتّاب والمؤرخين . . لكن

المؤلف قد وهب حياته الاطلاع والتأليف ، حتى بلغت مؤلفاته سبعة وعشرين مؤلفاً ، ولا يعجزه مثل هذا البحث الدقيق الشامل ، وإن أعجز غيره من سائر الكتاب والمؤلفين

وفي الجزء الأول من الكتاب يتحدث المؤلف عن التاريخ القديم للاسرة في نجد والعراق والأندلس . . وفي الجزء الثاني يتحدث عن تاريخها في الشام وفي حلب خاصة ، وعن أسرة خفاجة بعنوان وأعلامها مثل الشهاب الخفاجي المصري المتوفي عام ١٠٦٩ هـ . وولداه قاضي القضاة المصري

وفي الجزء الثالث يتحدث عن ألوان طريفة من تاريخ الأسرة الحديث في مصر .

وبعد فاني أهنيء المؤلف ، وأدعو الله أن يجعل منه قدوة حسنة لغيره من الكتاب والمؤلفين :

السيد كمال الشوري

الاسلام وحقوق الانسان

صفحاته ١٩٢ صفحة من القطع المتوسط — تأليف الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
نشر دار النشر المصرية بالقاهرة — طبع عام ١٩٥١

كتاب جديد ، تحدث فيه مؤلفه عن رسالة الاسلام ومبادئه، وما منحه للانسان من حقوق ، ونظمه في السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وروحه في التربية ، واصلاحه للأسرة وأخذه بيد المرأة ، ورسالته الانسانيـة العامة . . إلى غير ذلك من شتى البحوث والدراسات التي أضفى عليها المؤلف من روحه وقلمه قوة وجمالاً .

ويقول المؤلف في صدر الكتاب : « هـذا بحث جديد مفصل ، أكتبه لاثبت فيه أن الاسلام وكتابه العظيم أول وثيقـة إلهية ، وأعظم تأييد سماوي لحقوق الانسان وكرامته المعنوية في الحياة ، وأنهما أكبر اعتراف سجله التاريخ طول عصور الانسانية ، بحرية بين البشر جميعاً ، وبتعزيز الرقي الاجتماعي . . الخ » . . . ويقول في خاتمة الكتاب « إن الذين يشايعون المدنية الغربيـة ، وينتصرون لها ، لجد مخطئين جاهلين . فالاسلام هو أعظم رسالات الاصلاح في تاريخ الانسانية حتى اليوم ، وهـذه المبادىء المعاصرة لا تزال تتعثر في طريقها ، وتبتعد عن الغاية . . ولقد كان الباعث لى على تدوين ما دونت ما رأيته من انحراف التفكير عند بعض المثقفين والشبان فينا ، وجهلهم المطلق بكل ما يتصل بالاسلام ، وعدم قدرة رجال الدين على الدفاع عنه دفاعاً مبنيًّا على الدراسة المستفيضة له ولمبادئه وأهدافه وأثره على الحياة والبشرية والحضارة » . . .

١ — سلطان العلماء

تأليف الاستاذ محمد كامل عجلان — صفحاته ١٥٦ صفحة من القطع المتوسط
المطبعة الفاروقية الحديثة بالناصرية ١٩٥٠

الأستاذ كامل عجلان من الأدباء المعروين ، وله في مجال القصة الأدبيـة مواهب ومؤلفات كثيرة ؛ أخرج « صريع المجد » ، و « قادة الهودج » ، و « مائدة السحر » ، و « عشاق العرب » ، وسواها من الأدب القصي الجميل .

وقصة اليوم التي نشرتها المطبعة الفاروقيـة له هي « سلطان العلماء » التي تصور بوضوح وجلاء نفوذ رجال الدين الأدبي والسياسي والاجتماعي في آخر العصر الأيوبي وفي عصر المماليك .

وزعيم العلماء في هـذه العصور البعيدة هو « العز بن عبد السلام » الذي رسم له الأستاذ كامل في قصته صورة واضحـة تمثل نفوذه وسلطانه وبلاءه في خدمة الاسلام ومصر والعروبة ووحدة المسلمين وصد غارات التتار والصليبيين .

ويقول المؤلف في منهجه في قصته التاريخية الحافلة : « وقد حملت قلمي على أن يخضع لصادق الأحداث التاريخية ومأثور الأقوال على لسان الأبطال » .

ومن شخصيات القصة سوى « العز » : ابن الحاجب العالم ، والسلطان بيبرس ، والصالح نجم الدين أيوب ، وابن دقيق العيد ، وأبو الحسن الشاذلي ، وسيف الدين قطز ، وسواهم من أعلام هذا العصر البعيد .

وقد صدرت القصة بكلمة قيمة للمؤلف عن « موقف الأزهر من أدب المسرح » .

فنهنيء المؤلف والناشر بهذا النجاح وذلك التوفيق .

٢ — القسم الأول من كتاب الملل والنحل

نشر الاستاذ محمد فتح الله بدران الاستاذ بكلية أصول الدين
صفحاته ٦٧٢ صفحة — طبع بمطبعة الازهر عام ١٩٥١

مجهود علمي موفق ، يقوم به الأستاذ بدران الآن ، هو نشر كتاب « الملل والنحل » للشهرستاني المتوفي عام ٥٤٨ هـ — ١١٥٣ م نشراً علميًّا منظماً : بتحقيق نصوصه ، وعرض أصوله ، وتنظيم فهارسه ، والانفراد بتقسيمه ، والتمهيد لتخريجه ، والتعليق عليه ، وتحليل الكتاب ، والترجمة لمؤلفه . . وهو نتيجة عمل متواصل نحو عشر سنوات . ولا

شك أن كتاب الملل والنحل جدير بكل هـذه العناية ، لأنه أوفى كتاب في مقالات أهل العالم الدينية والفلسفية من لدن آدم أبي البشر حتى عصر مؤلفه ، ولما أصيب به في شتى طبعاته من تشويه وتحريف ونقص وأخطاء كثيرة

وسيخرج الأستاذ بدران الكتاب في أربعة أقسام ضخمة . والقسم الأول الذي بين أيدينا اليوم هو أول ثمرة لهذا المجهود العلمي الجليل .

ويزيد من قيمة هـذا العمل أن الأستاذ بدران اهتدى لمقالة زردشت في المبادىء التي سقطت من جميع طبعات الكتاب ، ومن الكثير من نسخه الخطيـة ، فأثبتها في موضعها في هـذا القسم : كما اهتدى إلى مقدمة الكتاب التي قدم بها المؤلف كتابه إلى الوزير نصير الدين ، فأثبتها أيضاً في مطلع هذا القسم .

وقد وضع الأستاذ عناوين مختلفـة للكتاب ، وملأ هوامشه بالتعليقات والشروح والمراجعات العلمية الخصبة المفيدة ، اعتماداً على مختلف مخطوطات الكتاب .

ولا شك أن الأستاذ بدران جدير بأن يهنأ على هذا العمل العلمي الفريد ، الذي يعتمد على أساس صحيح من البحث والمراجعة .

٣ — صلوات على الشاطئ

كتاب خصب ، ألفه الأستاذ أحمد الشرباصي الأستاذ بالأزهر الشريف ، ونشر هدية أدبية سنوية لمجلة البعثة الكويتية بمصر وطبع بمطبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة عام ١٩٥١ في نحو ١٢٨ صفحة طبعة أنيقة جميلة .

والكتاب مذكرات أدبية روحية أملاها المؤلف على شاطىء رأس البر ، وقدمها الى شاطىء الخليج العربي ، وأهداهـا الى حضرة صاحب السمو الأمير المعظم الشيخ عبد الله السالم الصباح أمير الكويت .

وإذا كان أدب الطبيعة في اللغة العربية قليلاً محدوداً ، وكان أدب الشواطىء أقل وأندر . فان هذه الفصول جديدة التصوير للطبيعة ومظاهرها ، وللبحر وأسراره ، وللحياة الانسانية وصورها .

ولا شك أنها متعة أدبية روحية عالية ، وأثر طيب من آثار الشرباصي المفعمة بالروحية الصادقة ، والصوفية الطاهرة ، ومختلف المشاعر الحية .

٤ — مشكلة اللغة العربية

تأليف الاستاذ الكبير محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء — صفحاته ٩٦ صفحة — طبع بمطبعة الرسالة بالقاهرة

الأستاذ محمد عرفة عالم جليل ومؤلف ممتاز ، وكتابه « مشكلة اللغة العربية » صورة واضحة لهذه العقلية الواسعة الثقافات .

قرأته حين ظهوره عام ١٩٤٥ ، ثم أعدت قراءته مرة ومرة ، وهو في كل قراءة يبدو، أمام عيني وفكري جديداً ، كأنما كتب ليحل مشاكل الساعة التي أنا فيها ، والتي يلمسها كل ناطق باللغة العربيـة أو واقف نفسه على دراستها . ومقياس الخلود العلمي أن تجد الكتاب الذي تقرؤه جديداً أبداً وألا يشعر قارئه بأنه يقرأ شيئاً مملولاً أو مكروراً، وأن يحتاج إليه الباحث في كل وقت ليستضيء به في حل مشكلات الثقافة والحياة .

وموضوع الكتاب ينم عنه عنوانه « مشكلة اللغة العربية ولماذا أخفقنا في تعليمها ، وكيف نعلمها » . والمؤلف يضع أمام كل قاريء وباحث هـذه المشكلة الخطيرة ، يبحثها ويحللها ، ويبين مناهج تعليم اللغة العربيـة في مدارسنا ومعاهدنا ، وكيف أخفقت وأخفقنا نحن معها في بلوغ أهدافنا المنشودة من ورائها ، ويوضح النتائج الخطيرة لهـذا الاخفاق المؤلم ، ويشرح وينقد كل ما يمكن أن يقـال بدعوى الاصلاح ، منه فكرة ترقية اللغة العامية لتصير أقرب إلى العربية ، ويضع أسلوب تعليم اللغة العربيـة في مصر والشرق في الميزان دارساً وناقداً ، ويضع أصول نظرية جديدة في تعليم اللغة بواسطة تكوين ملكة للمتعلم فيها وتنمية هـذه الملكة وتوجيهها ، ويؤيد هذه النظرية بدراسات واسعة لأسلوب الفطرة في تعليم اللغات ، ولآثار الملكات في حياتنا وثقافاتنا ، ولآراء رجال التربية المسلمين والغربيين في الطريقة المثلى لتعليم اللغات ؛ ويقيم على هذه النظرية الجديدة منهجاً جديداً لتعليم اللغة العربية ، يشرحه ، ويبين فوائده ؛ ويفيض في بيان الآمال التي ندركها من هـذا الأسلوب ، وفي حل كل ما يحيط به من صعاب ، وتذليل كل ما يمكن أن يعترضه من عقبات ؛ مبيناً أن هـذه الطريقة هي طريقة العصور الزاهرة لسلفنا الماضين ، وأنها لم تتغير إلا في عصور الضعف والتأخر العلمي . وهكذا يستمر المؤلف في دراساته وبحوثه حتى نهاية الكتاب .

هذه هي نظرية الأستاذ وما أقام عليها من مناهج لتعليم اللغة العربية تعليماً مثمراً .

وهو يؤمن بأن هذا المنهج الجديد كفيل بأن يجعل اللغة العربية مع مرور الزمن لغة

المحادثة والخطاب بين أفراد الشعب كافة ، دون العامية ، فتصير لغة المحادثة ولغة القراءة والكتابة واحدة ؛ ويستطيع الشعب كله أن يفهم كل ما كتب باللغة العربية من علوم وثقافات وآداب وفنون ، وبذلك نسترد مجد العربية الذي كان لها في مشرق النبوة وفي عهد الأمويين والعباسيين . فضلاً عن غير ذلك من الآثار والمزايا التي ندركها إذا ما مرنا على هذا المنهج الجديد .

ولقد يلوح للباحث في بادىء الرأي أن هذه الطريقة تكاد تقضي على القواعد أو هي حرب عليها ولكنك تستطيع أن تضع الأمر في نصابه حين تقرأ للمؤلف في كتابه :
« لست أبغض القواعد ولا أزري عليها ، بل أنا أحبها وأجلها وأعلم لها مكانتها ، انما الذي ننكره عليها أن يكون كسب ملكة اللغة العربية » أو حين تقرأ له : « ليعلم هؤلاء الذين يحبون النحو والصرف وقواعد البلاغة أننا نحبها أكثر منهم حين ندعو الى تعليم اللغة بأساليب يكوّن ملكة اللغة في نفوس المتعلمين ، لاننا نريد أن نجعل قواعد النحو والصرف والبلاغة فوق العلم بها ملكات لنا داخلة في مناطق اللاشعور فينا » ويروعك المؤلف حين يحلل أسباب انصراف التلاميذ عن القواعد ، مبيناً جنايات المؤلفين المتأخرين على القواعد حين مسخوها وجردوها من أحكامها وعللها وعز عليهم الاستنباط والتجديد والفهم العميق لاسرار العربية وحكمها الجليلة

وفي الكتاب أثر من عقلية الاستاذ عرفة الناقدة الباحثة مما يضيق بنا المقام عن تفصيل الكلام فيه .

محمد عبد المنعم خفاجي

الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي

تأليف الاستاذ عبد العزيز الازهري

لأول مرة في تاريخ الأدب العربي يقوم باحث فيضع بين أيدي الأدباء قاعدة حسابية يستطيعون بها تحديد العصر الجاهلي ، والارشاد إلى زمن أي أثر جاهلي إذا عرف قائله ؛ اعتماداً على سلاسل الأنساب العربية التي كان لها في جاهلية العرب وما تلاها رايات خفاقة ، ولو لا أن المؤلف كان موفقاً حينما عرضه على المجمع اللغوي المصري ، ليبدي فيه رأيه ، وفيما اشتمل عليه من نظرياته الجديدة بل الجريئة لقابل القراء ثورته بثورة أعنف واستنكار جامح رامح ، ولولا أنهم عرفوا بعد هذا أن أعضاء المجمع المحترمين —

ومنزلتهم الأدبية والعلمية لا يمكن أن يتسامى إليها أي شك ـ لم يسعهم إلا أن يكافئوا مؤلفه بالجائزة الأدبية ، ويزكوا نظرياته الجديدة بالتقدير والاعجاب ، ويكرموا حضرته تكريماً رسمياً في الثاني والعشرين من مارس الماضي سنة ١٩٥١ .. لولا كل هـذا ما كان هيناً عند المشتغلين بالأدب أن يسكتوا مشدوهين ، لتلك الآراء التي قلبت معلوماتهم الادبية رأساً على عقب .

وكيف يسوغ لهم السكوت والمؤلف يبرهن في جرأة الواثق ، وثقة المؤمن أن من الآثار الأدبية الجاهلية ما يسبق الهجرة بنحو ثمانية قرون !! في الوقت الذي يتوارثون فيه أن أقدمها لا يسبقها بأكثر من ١٥٠ سنة .



أما نحن فكان موقفنا موقف القاضي النزيه لم نتجهم لتلك الآراء الجديدة ، كما لم نقابلها بالتصفيق أو التهليل ، بل لم نتأثر بذلك التكريم الأدبي والمادي الذي جازى به أعضاء المجمع اللغوي صديقنا المؤلف،فكنا بمنجاة عن الافراط أوالتفريط ، فتصفحنا هذا الكتاب لنرى أساس تلك النظريات فرأينا ما يأتي ، نزجيه بين يدي قراء المقتطف ، ثم نبدي فيه رأينا ، ثم نترك لهم أخيراً حرية الرأي فليس كاصطكاك الآراء في إظهار الحقائق وليس كالحرية في استخراجها من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .

تصفحنا هذا الكتاب فوجدناه يرتكز على عدة دعائم :

(الدعامة الأولى) علم الأنساب عند العرب ، و (الدعامة الثانية) العمر المتوسط لكل شخصية في سلسلة الأنساب وهو ما أسماه (عمر الجيل النسبي) وقد برهن على أن أدق عدد لعمر الجيل النسبي هو ٤٠ سنة ، معتمداً في هذا على اثنى عشر دليلاً بسطها في كتابه ، متوجة بالآية الشريفة في بني اسرائيل : « قال إنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض » ومن الدعائم الأخرى (العشيرة) و (المعاصرة) و (السجلات الملكية) . وهذه السجلات ـ أدق إلى درجة بعيدة ـ من كل دعامة سبقتها ، لأن مدة كل ملك محدودة المبدأ والنهاية،فهي كصمام الأمن ، أو كما يقول صخرة النجاة لأقصى ما يمكن من الدقة لتحديد زمن أي أثر أو أي شخصية في الجاهلية .

وإلى هنا أحس المؤلف كأن صوتاً يهتف به ليجرب نظريته بطريقة تطبيقية واسعة فرأيناه يستجيب لهـذا الهاتف ، ويحقق رغبتنا ، ويطبقها على أربعة أمور كلية هي أم

مظاهر الأدب في الجاهلية :

أقدمية الأمثال العربيـة ، والمقطوعات الشعرية ، والقصائد المطولة ، وبعد ذلك اللهجة التي نزل بها القرآن،ومن رأيه أنها ليست لقريش ، بل هي أقدم منها بأزمان .

(١) وقد رأى أن أقدم الأمثال العربية هو قول الجرهمي : « إن العصا من العصية » وأداه تطبيق نظرته إلى أن هذا المثل سبق الهجرة بنحو ٧٤٠ سنة .

(٢) وانتقل إلى المقطوعات فرأى أن أقدم ما عثر عليه منها ينسب إلى طي بن أود وقد حقق قدم طي هكذا :

متوسط الأجيال من العصر النبوي إلى قحطان ٣١ جيلاً ومن طي الى عصر الاسلام ٢١ جيلاً ، فمن طي إلى العصر النبوي ٢١ × ٤٠ = ٨٤٠ سنة فلو أنه قال مقطوعته في أخريات أيامه لكان هـذا في منتصف القرن الثامن قبل الهجرة .

(٣) ثم انتقل الى أقدميـة القصائد فكان أقدم شعرائها الذين عثر عليهم « ذؤيب التميمي » في القرن الخامس قبل الهجرة .

وبرهن على أن أقدم القصائد وأطولها في الجاهلية هي قصيدة لقيط الايادي :

يا دار عمرة من محتلها الجرعا هيجت لي الهم والأحزان والوجعا

وقد صُلب سنة ٣٠٦ ق هـ بالدقة ؛ معتمداً على أن لقيطا كان يعاصر العاهل الفارسي « كسرى ذا الأكتاف » الذي تولى عرش الفرس سنة ٣٠٩ م (٣٢٣ ق هـ)

أما التطبيق الأخير وهو الرابع فقد كان على اللهجة التي نزل بها القرآن ، وعلى الرغم من أن هـذا البحث شائك ، ومدعاة الى الزلل أمكن المؤلف أن يسير فيه بتؤدة وحكمة مبرهناً على أن هذه القضية ليست من الدين ، ولا من مسائله ؛ بل هي قضية لغوية ، أو أدبية ، أو تاريخيــة ، لا يضير الدين مطلقاً ، ولا يؤذي عقيدة المسلمين أن يصدق قول بعض القدماء إن القرآن نزل بلهجة قريش ، أو قول المؤلف : إن القرآن نزل باللهجة التي كان يتفاهم بها خاصة العرب وزعماؤهم ، وعلى هـذا النمط برهن بأدلة ثمانية آخرها نقض النظرية المشهور على ما ذهب إليه،وقد استدل بتسع من آيات القرآن على أنه نزل بلسان عربي مبين لا قرشي .

وعندي — بعد ما قدمت — أن اسم الكتاب يوافق نظرياته تمام الموافقة ، وعلى أن القاعدة التي ابتكرها أدق ما وجد الى الآن لتحديد العصر الجاهلي ، ولا يحتج بأن

العلماء أو جمهرتهم لا يؤمنون إلاّ بالنقوش ، ومع أن صديقنا المؤلف الأستاذ عبد العزيز الأزهري استدل بأكثر من نقش لتدعيم نظريته ، فانه حذر أن يثق الباحثون بالنقوش ثقة عمياء ، فانها لم تخرج عن كونها خبراً من الأخبار يحتمل الصدق والكذب .

فاذا ساغ لنا أن نهنىء المؤلف بما وفق إليه من تلك النظرية ، ومن نظريته « الجيل الملكي » التي كانت مجهولة لدى المستشرقين أنفسهم فان هذا رأينا بمقدار ما وسعنا، فنرجو ألاّ يتأثر غيرنا بما أبدينا ، ولا بالتكريم الذي توج به المجمع الأستاذ المؤلف .

وما عليهم إلا أن يبحثوا ويسجلوا وكل ما نرجو أن يهتم به الأستاذ المؤلف أن يزيد غيرنا اقتناعاً في الطبعة الجديدة في كل عمق فائدة .

اسبيرو جسري

١ — المملكة المعمورة

لكاتب مسلم كبير — طبع مطبعة الهلال — صفحاته ١٠٢ من قطع المقتطف

هذا كتاب يبدأ بلغز وينتهي بآخر ؛ فمؤلفه لم يكشف لنا اللثام عن وجهه لسبب مجهول وليس لدينا الفرصة ، ولا بنا الحاجة لحل هذا اللغز فنحن بحاجة إلى الفكرة وحسب . أما اللغز الآخر فهو أن المؤلف لم يحاول علاجاً لما شخص من أمراض وما سبر من جراح . والكتاب حياة تصطرع فيها قوى الخير والشر ممثلة في هدي الأنبياء وغواية الشياطين لكنه صحيفة متشائمة تندحر فيها قوى الايمان حتى تتحطم على صخرة الشر العاتية، وبالرغم مما بين فكرة تولستوى في كتابه « مملكة جهنم » وبين فكرة المؤلف من اختلاف ، إلاّ أن ذلك لم يمنع هذه الموجة التشاؤمية أن تستبد بنفس صاحبنا المسلم الكبير .

والكتاب مسوق في مسرحية فصولها خمسة، أولها وآخرها في جهنم ، وثانيها ورابعها في الكعبة ، وثالثها في دار الندوة ، تتحدث عن ظهور الاسلام ، وقوة المسلمين الاولين الذين دحروا جيوش الشر والشرك بايمانهم المتيد ، واندفاعهم بقوة العقيدة وسلامتها إلى بناء الدولة الاسلامية الفتية ، ثم تتابع الحديث عن الاسلام حينما حال حاله بين أهله ، وأصبح حقيقة فارغة من معناها بعدما رجعوا أمة فارغة من مقوماتها فتحايلوا وشعوذوا باسمه ، وخادعوا عن أصوله ، وتاجروا ونافقوا ، وخلطوا حقه بباطلهم فجروا عليه وعليهم الوبال .

ولقد شمل الفصل الرابع الكثير من سيرة الرسول ، العامة منها والشخصية ، حتى لم
مد فصلاً من مسرحية ، بل كتاباً في السيرة ، كما ضمن الخامس أسباب تدهور المسلمين
فيها بث جنود إبليس — كالفتوات — يصطنعون الرذائل الخلقية والاجتماعية والدينية
السياسية والاقتصادية ، ويجعلون منها شراً كالصيد أبناء هذه الأمة حتى عادت توغل
ي مسارب الجاهلية الأولى ، وتتغلغل في أعماقها . أفنحن في حاجة إلى نبوة جديدة ؟

٢ — صور وخواطر في الأخلاق والاجتماع

مؤلفه اميل شوقي — المطبعة التجارية الحديثة — ١٢٠ صحيفة من القطع المتوسط

هذا كتاب من أدب الخواطر الممثل في فقرات قصيرة ، تركز الأفكار وتجمع شتاتها
تصبها في كلمات قصيرة تغني عن المقالات المسهبة .

وقد تحدث فيه المؤلف عن بعض القيم الخلقية والمعنوية ؛ كالأمل والشرف والأمانة
الحب والجهاد والحنان .

وعرض بعض مشاكلنا كالانهيار الخلقي ، والأنانية ، والحرب ، والثورة على
لمدنية .

وألم ببعض الشخصيات مثل طلعت حرب ، وحسن صبري ، وهدى شعراوي ،
أم كلثوم وأميرات البيت المالك ، ومريم المجدلية والمرأة العربية . وغير ذلك مما هو
جدير باهتمام الشباب. غير أن هذه الطريقة كانت تحتاج من المؤلف إلى مزيد من العناية
الاهتمام ؛ العناية بتعمق الموضوعات ، والغوص على الجوهر المستكن في خفاياها ، وإبراز
لخطوط الرئيسية فيها ، والاهتمام بالأسلوب الرائع القوي ، وجمال الأداء الذي يؤدي
التأثير المطلوب باليسر والسهولة والسرعة والتشويق الجديرة بهذا المجال، ويحضرنا الآن
سلوب شوقي المنمق في كتابه أسواق الذهب ، وأفكار حسين عفيف في كتاباته العديدة .

أما وقد أهمل المؤلف هاتين الناحيتين وهما الدعامتان اللتان ترتكز عليهما أدب المقالة
لقصيرة ، فقد جاء الكتاب شبيهاً — إلى حد كبير — بما يكتبه التلاميذ في موضوعات
لانشاء ، أو بما يزجيه الخطباء من عظاتهم في المساجد والكنائس،لكن غزارة انتاج
لمؤلف وتوفره على مهمته تبشر بأنه سيتغلب على هذه الصعوبات في مؤلفاته الكثيرة
لمقبلة إن شاء الله .

رضوان ابراهيم

الفهرس

للجزء الثاني من المجلد التاسع عشر بعد المائة

المقتطف

رئيس التحرير : اسماعيل مظهر

اكتوبر سنة ١٩٥١ (الجزء ٣ — المجلد ١١٩) October 1951

حديث المقتطف

نقف بهذا العدد من المقتطف على القمة الفاصلة بين منحدرات الصيف وسفوح الخريف ، مستقبلين موسم العمل ، مودّعين من الصيف حرارته القاسية وعرقه الثقيل ، وخموله المتثائب ، مستأنفين عهد النشاط المكافح ، والجهد الموفّق ، مجددين القوى والعهود ، مواصلين الجهاد فيما أخذنا به أنفسنا من مثل ، وما ترسمناه من أهداف .

وقبل أن نفتح رئتينا لنعمّ من أنسام المستقبل ، نلتفت لفتة سريعة ، نستودع بها أيام الصيف ، وما ذاب في حرها من آمال وآلام ، ونذكر بالخير لياليه الزهراء ، وما ترعرع في أنسامها من ذكريات وأحلام ، ونجدد معها التهنئة الصادقة لقرائنا في العالم الاسلامي بعيد الأضحى الكريم ، مزجين إليهم تهنئة جديدة في عيد الهجرة الميمون ، راجين أن نستقبل أعيادنا في مستأنف الأيام ، فرحين بالعزة والكرامة والحرية ، مبتهجين بالرغد والنعيم والرفاهية .

وأول ما يحلو في أعيننا من مظاهر النشاط ، وأول ما يعذب فيه الحديث ويطيب — هذا النحل الآدمي ، رائحاً غادياً — في دأب محبب — إلى الخلايا الثقافية التي يرتادها ، فيملؤها ضجيجاً وحركة ، ويبعث فيها الحياة قوية متوثبة .. كالنحل طنيناً عذباً ، وكالنحل بكوراً إلى الجني ، وكالنحل طلباً لألوان الحياة الزاهية المعطرة ، وارتواء برحيقها العذب الزلال .

.. وأمنية الوطن الكبرى أن يكون هذا النشء كالنحل ، تقديراً للتبعات ، واندماجاً

في العمل ، وادخاراً للمستقبل ، وشفاء لأدواء الأمة ، وبعداً عن مزالق الحياة ، وترفعاً بالكرامة الانسانية والعزة الوطنية ، أن يستغلها مستغل ، أو يمتطيها ذو مأرب ، أو يعبث بها مستهتر ، أو يُزَج بها في حزبية بغيضة عمياء ، أو فرقة طائفية مستهجنة ، تدنس منها معقل الوطنية ، وموطن الخير ، ومجتلى نورانية الشباب والجمال والخلق الكريم .

وكنا نرجو أن نشارك في تقديم الرحيق لهذه الخلايا ، كما شاركنا منذ فجر النهضة . لولا عقبات الروتين الحكومي ، وتمشي الأغراض الخاصة بين جنباته ، وتسلط المغرضين على مصائر الثقافة واستئثارهم بها .

.. ولولا ضغط الظروف ، وتفاقم الغلاء ، وتأزم مشكلة الورق المحتدمة .

وما كنا نود أن نعود الى ذكر الأغداق والحرمان، لولا بقية من أمل في وزيرنا العالم الحكيم ، وبقية من ثقة في حدبه على الثقافة وحياطته لها ، وبقية من رجاء في إيمانه بدعم المكتبة قبل تشييد المدرسة .

ومن الانصاف أن يذكر المقتطف بالخير عهد الوزير الجليل نجيب الهلالي باشا ، الذي قدر لنا ما نبذله من دمائنا لأرواء نبت الثقافة ، وعرف كيف يغترف من هذا المعين ، فأصاب من ذلك ما أردنا وما أراد .

فعلى الرغم من أنه كان يشيّد للتعليم دولة في قوم نيام ، وفي حدود ميزانية لم تتجاوز ستة ملايين من الجنيهات ، فقد بلغت اشتراكات الوزارة في المقتطف ألفاً ومائتي اشتراك ، مما شجعنا على مواصلة الجهود ومضاعفتها في سبيل نشر نور الثقافة وألوية العرفان ، وأضفى علينا الثقة والاطمئنان الى جدوى عملنا ، ووفر لنا كثيراً من المقوّمات المادية التي تسرع بنا إلى الهدف المنشود ، وساعدنا على اجتياز كثير من العقبات التي تعترض طريق الفكر والمعرفة ، فتملؤه بالأشواك والعقابيل .

وظللنا في كفاح العواصف ونضال الأعاصير التي تلفح الثقافة الحرة من كل جانب ، وتترصدها في كل سبيل ، حتى طلع علينا فجر يوم جديد ، بعث فينا أملاً جديداً .. أملاً في معالي الدكتور طه حسين باشا الصحفي الاديب ، وأملاً في أن يكون عهده عهد تقدير للجهود المضنية التي يبذلها رجال الفكر وهو على رأسهم ، وأملاً في أن يقدر ما تشقى به الصحافة الأدبية في مصر والعالم العربي وهو أعرف الناس بشقوتها .

لكننا نخشى أن نقارن بين هذين العهدين فنخرج من المقارنة بما لا يرضى معالي الوزير الأديب ، ولا يرضى الغيورين على الثقافة الحرة التي يضطلع بها المقتطف

. فعلى الرغم من تضاعف عدد المدارس وتكاثرها هـذه الكثرة الهائلة التي قفزت بها الى ما يربي على ثمانية آلاف مدرسة — عدا الجامعات والمؤسسات الثقافية الأخرى .

.. وعلى الرغم من تضخم ميزانية وزارة المعارف تبعاً لذلك ، حتى أصبحت تدور حول ثلاثين مليوناً من الجنيهات .

.. وعلى الرغم من الحاجة الملحة إلى المكتبات ، وتزويدها بأحدث ما يجد في عالم الفكر الانساني

على الرغم من كل هذا ظلت اشتراكات وزارة المعارف في المقتطف تتناقص وتتضاءل وتنكمش ، حتى بلغ عددها أربعمائة اشتراك ! !

فاذا خفضت الى هذا الحد اشتراكات وزارة المعارف ، وهي كبرى الهيئات الرسمية في بلاد الشرق العربي

.. وإذا زادت تكاليف الورق ومواد الطباعة عشرات الأضعاف عما كانت عليه في أشد أزمات الحرب الماضية .

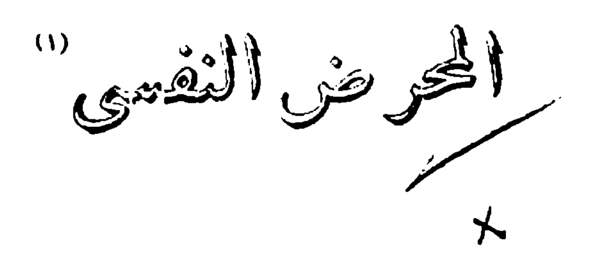
.. وإذا خذلتنا الوزارة ولم تمد إلينا يدها لتبارك هذه الجهود التي نكابدها ، والتي تعيننا في مهمتها الشاقة .

.. فكيف نستطيع التغلب على مشاكل الصحافة الأدبية التي تتجدد وتتعقد كل يوم ؟
وكيف نقوى على مواصلة الكفاح المستمر في هذا السبيل ؟

لسنا نشكو ولا نستجدي ، ولكن من حقنا أن نعرض على الرأي العام مشكلتنا ، وهي مشكلة كل صحيفة أدبية فكرية في مصر ، تعاني ما نعاني من إهمال الهيئات الثقافية الرسمية لعامل من العوامل الخطيرة في سبيل انبعاث الثقافة العصرية وتأكيدها واستمرارها ، على حين تُبذل المعاونات في سبل أخرى لا تجدي الثقافة ان لم تعوقها .

ونحن منذ أمد بعيد نواصل الكفاح في دعم الثقافة العربيـة وحياطة كيانها ورفع لوائها ، وتغذية نهضتها المباركة ، وسنظل ماضين في طريقنا لا يلوينا شيء عن القصد ولا يعوقنا معوق عن الهدف . وحسبنا أن تثمر جهودنا المتواضعة خيراً لشباب الوادي ، وبرًّا بأبناء الوطن ، ونهضة للجيل الجديد . ففي البريق الجديد المشع من عيونهم ، وفي الوعي النـاضج المتردد بين جوانحهم ، ما يعزينا عن متاعب الكفاح ومشاق الطريق .

✡ ✡



المرض النفسي (١)



للاستاذ شكري شعشاعة باشا

ليست الحياة المثالية السعيدة فيما يملك الانسان ، وإنما هي فيما يشعر . ولا هي كذلك فيما يعرف من أسرار المادة أو أسرار الكون ، وإنما هي فيما يعرف من أسرار نفسه ، وانتم تعلمون بأنه استطاع أن يبلغ من المعرفة الجديدة بأسرار المادة ما يكاد يرفعه الى القمة من العلم ، ولكنه لم يستطع حتى الآن أن يبلغ من المعرفة بنفسه ما يزحزحه شيئاً عن شرته الحيوانية ، ذلك لأنه ما زال يجدها في سريرته فيطغى ، ويجدها في أعصابه فيضطرب ، وفي رأسه فتتخالجه الوساوس والشكوك ، بل لقد بلغ به طوره اليوم أن وجد لها من العلم أداة تزرع الموت في فضاء الله .

لذلك كان الحديث عن خوافي النفس البشرية من خير ما يؤدي للجيل في هذا العهد الحائر، لعلنا نزداد معرفة بأنفسنا فنعالج معا كلنا باليسر والرفق ، أو لعلنا نكسب قوة عليها فلا نتركها تفسد علينا جمال الحياة .

وسبيل هذا الحديث أن اتكلم عن المرض النفسي ، وأعني به خافية الهواجس هذه التي يردها الدين الى النفس اللوامة ، أو إلى الشيطان ، ويردها علم النفس الى ما نسميه اليوم بالعقل الباطن .

تلم الهواجس بالانسان فتوسوس له بما لا يستطيع أن يظهر عليه أحداً ، وهو لو فعل لاستحيا في الغالب من نفسه ، أو لأحدث لنفسه ألواناً من الخصومات ، أو لاتهمه الناس

(١) محاضرة ألقيت في المنتدى العربي بعمان .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في عقله أو في دينه أو في تهذيبه ، ذلك لانها تأمر بالسوء والفحشاء أكثر ما تأمر ، وتجري وراء الهوى أكثر ما تجري ، وتبتغي متع الحياة أكثر ما تبتغي ، وتسوق الى الأثرة أكثر ما تسوق ، وتتجه الى التعالي أكثر ما تتجه ، وقلما تنصف الآخرين أو تشعر مع الآخرين ، وإذا تأولت حادثاً صبغته بالمكروه أو الحت عليه بالسوء .

ثم هي في وساوسنا تلك قد لا تهتم بصحتك أو تبالي ضميرك شيئاً ، وأحسبنا نقع على كثير من الأمثلة ونحن نشهد هوس الذين يستسلمون لوحي أنفسهم فيجرمون أو يقامرون أو يتعاطون الوان المسكرات أو المخدرات والمكيفات ، أو يجرون وراء الشهوات وهم يعلمون بما وراء ذلك من الأذى يصيب العافية ويصيب السمعة كما يأتي على المال .



حدثتني امرأة من الريف قالت : رأيت في صباي قطـاً لنا يثب على شريحة من اللحم وأمي تزجره عنها زجراً عنيفاً لم يؤثر فيه ، فقام في نفسي أن أصنع شيئاً يؤذبه ، واغتنمت غفلة من أهلي ، فأمسكت بالقط وصببت عليه من هذا السائل الذي في المصباح ثم أشعلتـه بعود من الثقاب ، فاذا اللهب يأخذ فيه وإذا هو يهرع الى « حاكورة » كنا نخرج اليها من البيت ، واتفق أن كان زرعها قد استوى ، فاتصل به اللهب وما أمكن اطفاؤه حتى كانت النار قد أتت عليه .

وتحدث اليّ رجل ، قال : « أشرفت يوماً على مهوى سحيق الى البحر ، فراعني من نفسي صوت هاجس يريدني أن أطير من مكاني ذاك الى المهوى ، وأسرعت فابتعدت عن موقفي وقتئذ ، وما زلت حتى الآن أعجب من أمر ذلك الهاجس » .

وهي تثير الشكوك والظنون والمخاوف ، تثيرها عقليـة وتثيرها دينية أو خلقية ، ولا تقف عند حد يرعوى .

لما نزلت على النبي عليه الصلاة والسلام هـذه الآية : « وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » اشتد ذلك على أصحـابه ، فأتوه ثم جثوا على الركب فقالوا : « يا رسول الله ! كلفنا من الأعمال ما نطيق : الصلاة والصيام والجهاد والصدقة . وقد أنزل الله عليك هذه الآية ولا نطيقها » وأذكر اني قرأت لاحد المفسرين انه كان من أثر هذا الرجوع من الصحابة إليه عليه السلام أن أنزل الله من بعد على نبيه هـذه الآية : « لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » .

والهواجس عنيدة ملحفة رواغة لا يعييها حين تصدها عنك أن تأتيك من نافذة

أخرى أو بلون آخر من ألوان الاغراء ، أو ان تنتظر منك ساعة غفلة أو ساعة تعب أو يأس أو ضعف فتعاودك بوساوسها . وانظر الى نفسك اذ يلمّ بك الأرق ، فما أنت اذن إلا شغلها الشاغل ، تحدثك حديثها فتوقظ من أعصابك ما توقظ ، وتثير منك ما تثير ، وكم حاول الانسان أن يهرب من نفسه فما استطاع .

سمعت عن شيخ من البدو انه قال : «اشتريت بندقية لم تك قد استعملت من قبل فرأيت أن اختبر فعلها ، ونظرت فاذا رجل يسير على بعد كنت احب لرمى البندقية أن يبلغه فوقع في نفسي أن أطلق عليه النار ولكنني قاومت فتشاغلت ، ثم لم ألبث أن وجدتني انظر الى الرجل ثانية ، فاذا هو يكاد يغيب عن نظري ، وساعتئذ خيل اليّ أني أسمع صوتاً من نفسي يقول : اطلق النار فقد أوشكت الفرصة أن تضيع فاستجبت وما وعيت حتى كان الرجل قد انكب على وجهه»

وتلمّ الهواجس أحياناً لكلمة عابرة أو لأمر تافه أو معارضة هينة أو نظرة ناقدة فتحدث في التفكير انقلاباً قد يضيع معه الصواب ، وفي الأعصاب اضطراباً قد يذهب بالاتزان ، وفي النفس ثورة قد تعصف بالحب أو تعصف بالصداقة أو بالقربى فتجد نفسك وقد انقلبت انساناً آخر يكره من أحببت أو يحتقر من أجللت أو يريد الشر بالغالي العزيز .

وتتسامى الهواجس أحياناً فتحض على التماس الجاه أو الغنى أو الشهرة ، أو التفوق . أو تحض على العلم أو الفن أو الرياضة بدنية أو روحانية وفي سبيل ذلك تحض على السهر والصبر وعلى اتخاذ الاداة والحيلة أو على المجازفة أو المناقشة أو المضاربة، وقد تسبق الزمان فتبتدع الاخيلة وتصطنع الأحلام وترسم الخطط للاماني العذاب تشتاقها وتحلق لها ولا تعترف للعسير أو للمستحيل بوجود يقف دونها . وكم حققت خواطر الانسان المتسامية هذه من طموح ، وأحدثت للبشرية من عهود جديدة ثم كم أوجدت من اختراع أو أوصلت الى اكتشاف، كان يرى فوق القدرة البشرية وان اجتمعت له الدنيا .



لذلك كان هذا المرض النفسي شراً ليس في أطواره جميعاً . فأنت تجد فيه الشر الكثير ، وتجد فيه مع ذلك شيئاً أو أشياء من الخير ، ولكنه على كل حال شيء شاق في الأكثر على النفس ، مقلق للراحة متعب للبدن ، وما أظن ذلك المؤرخ الذي ترجم حياة البشر في ثلاث كلمات : « ولدوا فتعذبوا فماتوا » قد قصد الى شيء آخر غير عذابنا بما نجد من

وساوس أنفسنا

وإذ نجوز هذا المؤرخ الى شاعرنا أبي العلاء نجده يقول : —

تعب كلها الحياة فما أعجب الا من راغب في ازدياد

ثم يشتط في السخر من دنيا البشر هذه فيقول : —

ولقد زعمت لنا معاداً ثانياً ما كان أغنانا عن الحالين

ولكن الحياة لها وجه آخر جميل مشرق ، وانما يراه الذين يسخرون من وساوس أنفسهم ويخرجون بها عن أنانيتهـا الى عمل الخير يقدمونه الى الانسانيـة وهم يقولون مع القائل : —

أليس من الخسران أن لياليا تمر بلا نفع وتحسب من عمري ؟

والآن نصل إلى هذا السؤال : ما هي الهواجس في حقيقة أمرها ؟ هي ظاهرة حيوية غامضة كالحياة نفسها ، فهي نبضة من نبضاتها ، بل هي كالعقل أشد غموضاً من الحياة لأنها لون من ألوانه ، وفي وسعنا أن نعتبرها حركة من حركات المخ أو تعبيراً نفسيًّا لأشواق الغرائز .

ثم يخطر على البال سؤال آخر : كيف تلمّ الهواجس بالانسان ؟ ليس في مقدورنا أن نبلغ هذه السريرة ، فهي ما زالت خارج دائرة الضوء من العلم فيما أظن . ومع ذلك أراني أتخيل الهواجس من عمل جهاز نصّاب في منطقة الدماغ يعمل عمل التيار الكهربي فيرسل ما يريد ويستقبل ما يعرض له من الخارج . وأتخيل له أسلوبين يتحدث بهما ، فهو يهجس بالصورة المستسرة يومض بها للمخيلة أو في المخيلة ، وحين لا نفي الصورة بالتعبير ، أو حين لا تكون هناك صورة كافية للتعبير ، يتحدث بالكلام الهامس يبلغنا من مسلك غير الاذن فيما أتصور .

والسؤال الأخير : هل للهواجس من طب ؟ ليس من شيء هو أعصى — فيما أعلم — على ارادة الانسان من هواجس نفسه . ولقد مر بنا ما نزل بأصحاب النبي من الفزع عندما نزلت آية « وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » . لذلك لا نطمع في أن نطب لها طبًّا شافياً ، وإنما سبيلنا في ذلك أن نشير الى ما نحسب فيه بعض العلاج أو محاولة للعلاج .

عند ما تكون الهواجس عقلية ، فما أجد للمرء سبيلاً الاّ أن يرجع بها الى العلم ما كانت منه في دائرة الضوء ، وإذا لم تكن ، فالى المذاهب الفلسفية أو الدينية أو الصوفية. ولقد قرأت مرة لأحد المفكرين أنه كان يجد في نفسه هواجس شك في العدل الالهي، ثم اتفق له أن وقف على مذهب الرجعة أو التناسخ فأبرأ هذا المذهب فكره من الشك . وقرأت للدكتور لنك العالم النفسي أنه كان ملحداً ثم هداه علم النفس فعاد الى الدين مؤمناً بأنه وسيلة الحياة الباسلة .

وحين لا يجد المرء مايشفيه عند العلم او عند الفلسفة او سائر المذاهب والآراء . فليس له بدّ من ان يعيش على ما يطوف برأسه الى أن يشفيه الزمان او ان يفارق دنياه

❖

ولكن الأمر اعصى من ذلك كثيراً عندما تكون الهواجس خلقية ، ولعلّ الخير للمرء حيالها في ان يذكر انها في مستقرها منه شرّ يجب ألاّ يترك لسبيله ، وان اخطاء الدنيا انما تجيء في الغالب من الاصغاء اليها ، وان النجاة منها انما تكتسب على قدر رجوعه بهمسها الى حكمة العقل ثم الى وحي الضمير .

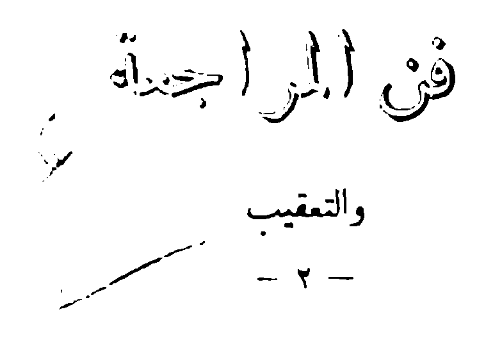
يعجبني من الأمثال مثل تركي يقول : « فكّر مرتين وتكلم مرة واحدة » وما أرى لهذا المثل من معنى الا أن يقف الانسان من بدوات خواطره موقف الشك دائماً .

ثم أحسب الطبّ للمرء كذلك في أن يستشعر الخوف دائماً من عواقب الاستسلام للهواجس وليس الاّ عن خبرة وعن ألم وجيع كأن قول القائل :

« وصريع كل هوى صريع هوان »

وفوق ذلك علينا أن نرقب الهواجس في أساليبها وفي سبلها ، فالالحاح دأبها ، ودأبها تلوين الأهواء واستغلال ضعف الانسان ، وتفسير الأشياء بما يثير المخاوف ، لذلك كان على المرء أن يقاومها بمثل أساليبها ، فاذا ألحت عليه بهواها ، ألحّ هو بتصور العواقب ، وإذا راودته من باب آخر أغلقه دونها وفتح لها من أبواب الخير والبر باباً لعلها تشغف به ، وإذا فسرت حادثاً بمكروه سخر من تفسيرها ورد ما لم يقم عليه الدليل أو يسنده غير الظنون .

أما بعد فهذه معالجة لست أزعم انها جامعة ، وانما هي بصيص قد ينير السبيل امام الذين يريدون أن يحاسبوا أنفسهم .



فن المراجعة

والتعقيب

— ٢ —



للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

وسواء أسارت مراجعة الكاتب على طريقة من هذه الطرق ، أم لم تسر ، فمن الواجب على الكاتب مراعاة قواعد الصناعة الفنيـة للمراجعة ، واحترام آدابها . وقد سجلناها في صدر هـذا المقال[1] ،وعلى رأسها الابتداء ببؤرة الشوق ، أو وتد الشوق ، أو كما يقول أحد عمداء الصحافة الأمريكية الأستاذ ـ جرانت هايد ـ وذلك بالابتداء بالذورة Climax ووضع خلاصة منظمة منطقية لمحتويات الكتاب لبيان هدفه ورسالته .

ونظرة فاحصة إلى مراجعات كتـابنا ، تكشف عن مدى تخلي أغلبها عن الـكياسة ، أو وهن مستواها وجهالتها ، أو هوائيتها وتحاملها وعدوانها الآثيم على الكتاب والكاتب . فنهم من يراجع أو يعقب مراجعة سطحية مضطربة تسير سير النطاط في حركاته الطائشة ولا يخرج منها القارىء بثمرة وهذا ما تنفثه أقلام الشادين في الأدب ، وهناك من يعقب تعقيباً رناناً ، طناناً ، كطنين الزنبور ، فيثير في الجو ضجة ، وفي الأعصاب توتراً ورجة . وهذا ما يجري عليه المتمقون المتفاصحون . وهناك من يضطر لجمع ما في التأليف من رحيق ، ويعز عليه أن يتركه دون لدغة . وهناك من يرجو بمراجعته التقرب إلى أحد كبار المؤلفين ، فيملأ كتابته مدحاً وتقريظاً ، ويقف أمام كتابه الجديد ، كدود الأرض الوضيع . وهناك من يتخذ من التعقيب أداة للتشهير ، وتلطيخ سمعة الكتاب وكاتبه ،

(١) راجع مقتطف سبتمبر سنة ١٩٥١

وهذا هو التعقيب المقربي السام الذي يكشف في الغالب عن نفس كاتبه وانحرافاته السيكولوجية ، ويؤدي دائماً إلى تحقيره والزراية عليه .

فهذه التعقيبات السطحية منها ، والمتفاصحة ، والمادحة منها أو القادحة ـ شواهد على وهن مستوى الذوق والمعرفة لدى بعض المعقبين ، أو على الجوح ، والانحراف ، وروح النقمة لدى البعض الآخر ، وهي تعقيبات تثمر ثمرة عكسية ، إذ تتحول حكماً قاسياً على المعقب ، وعلى عقله وخلقه ، وأدبه ، ولن تؤثر في المؤلف تأثيراً يذكر .

فلقد قرأنا تعقيباً ، على كتاب « البلاغة العصرية » للاستاذ سلامه موسى ، ينم على الجهالة والتصلب الذهني ، وطالعنا تعقيبات في العام الماضي بمجلة الرسالة لشاب جامعي مليئة بالتعالم والغرور وتنم على النرجسية ، وعجبنا من تعقيب على كتاب « مذكرات » للاستاذ الكبير كردعلي زاخر بالنقمة منه على صراحته ، وتلونا في مجلة الكتاب بعض تعقيبات مطبوعة بطابع النفاق والتمدح بمؤلفات بعض كبار الأسنان ، وزعجنا من تعقيب في مجلة المقتطف على ديوان لأحد شعراء الحجاز ، وعي العيوب ولم يذكر للشاعر حسنة .

ولا نود أن نذكر في هذا المقام أسماء هؤلاء الكتّـاب ، ولا أن نعدد أمثلة لهذه المهازل التي ترجع أصولها إلى أزمة الخلق وضيق الأفق من ناحية ، وإلى تهاون المحرر المسئول في الصحف والمجلات في المسئولية الأدبية الخطيرة الملقاة على عاتقه ، وعدم اكتراثه بعدى الحرية القلمية .

ومثل هذا التهاون برئت منه المجلات والصحف الغربية الراقية ، لأن المحرر الأدبي يوزع الكتب الجديدة على المعقبين بحسب مقدراتهم وفهمهم لموضوعات هذه الكتب ، ولا يترك المعقب يقول كما يهوى ، بل تعقد في المجلة أو الصحيفة لجنة لمناقشة هذه التعقيبات ، وفي هذه الطريقة المثلى انصاف للمعقب وللمؤلف على السواء ، واحترام للمجلة والثقة بها .

ويقتضينا الانصاف أن نسجل أن البيئة الفكرية في مصر ، أشرقت بطائفة من التعقيبات الواعيـة الذكية لبعض الكتّـاب النابهين ، ونذكر منهم : الدكتور أحمد زكي أبو شادي ، والأساتذة علي أدهم ، وشوقي ضيف ، والصيرفي ، والدكتور يوسف كرم ، والدكتور يوسف مراد ، والدكتور زيور ، والدكتور الاهواني ، والدكتورة عائشة عبد الرحمن والأساتذة عادل الغضبان ، وعبد الغني حسن ، ووديع فلسطين ، ومفيد الشوباشي ، ومحمد فهمي ، ورضوان ابراهيم وغيرهم من الكتّـاب .

وتتفاوت تعقيبات هؤلاء بتفاوت ثقافتهم ، ورهافة مشاعرهم ، واتجاهاتهم الفنية . ومقدراتهم القلمية .

ويستحيل علينا في هذا المقال الوجيز أن نبين مدى كفاية تعقيبات هؤلاء الكتاب أو غيرهم ، الا الاتجاهات الفنية الغالبة عليهم ، ويمكن للقارىء الحكم على هذا كله ، على ضوء ما قدمنا من توجيهات وآراء . ولن يمنعنا هذا من الاشارة العابرة إلى ما قرأناه مؤخراً من تعقيب للدكتور يوسف كرم في مجلة الكتاب لكتاب « فلسفة المعتزلة »[1] فقد كان تعقيباً وضيئاً ذكياً ضم نسيجه خيوطاً ملتحمة من المذاهب الفنية الثلاثة التي أسلفنا ذكرها ، فقدم له بمقدمة شائقة ، وأبان جهد المؤلف في بحثه وذكر أهم آرائه . وأعطى صورة عامة صادقة تفتح العيون إلى قيم الكتاب وفضائله في وحدة أسلوبية محكمة .

وما قرأناه في عدد أكتوبر عام ١٩٥٠ في المجلة ذاتها من تعقيب للدكتور شوقي ضيف على ديوان « نبع الحياة »[2] فقد كان تعقيباً صريحاً ذكياً لشعر الديوان بوجه عام ، وقد غلف ما وجهه إلى مؤلفه من نقدات في وشاح مهذب مؤدب ، ولو كان المعقب حدثنا عن بعض قصائده وأتى بنموذج منها ، لكان تعقيبه متكاملاً ، ولأعطى القارىء مادة للحكم بنفسه على الديوان .

وطالعنا في مجلة علم النفس تعقيباً طيباً للكاتبة الفاضلة فاطمة موسى لكتاب الأستاذ محمد خلف الله : « من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده »[3] نوهت في فاتحته بفقر المكتبة العربية من مثل هذه البحوث ، وأبانت الصلة الوثيقة بين الأدب وعلم النفس ، واستشهدت بنبذة من الكتاب في توضيح هذه الصلة ، ثم تناولت الكتاب باباً باباً على الطريقة الكلاسيكية التي شرحناها آنفاً ، وقد فاتها ابراز أهم آراء المؤلف ، لاعطاء فكرة واضحة عن هذا المؤلف النفيس ، واضافة أكثر من نبذة من الكتاب لبيان هذه الآراء .

ووقعنا في مجلة « الأديب المصري »[4] على تعقيب للقاص الشاب أحمد عباس صالح عن رواية « النقاب » للاستاذ عبد الحميد جودة السحار ، تحدث فيه عن أثر البيئة في

---

(١) مجلة الكتاب — فبراير ١٩٥١ فلسفة المعتزلة — تأليف الدكتور ألبير نصري نادر

(٢) ديوان « نبع الحياة » للاستاذ محمد عبد الغني حسن .

(٣) مجلة علم النفس مجلد ٥ — أكتوبر ١٩٤٩ — يناير ١٩٥٠

(٤) مجلة الأديب المصري — يونيو ١٩٥٠

المؤلف ، واقتصاره على الاعراب عن أفكار الطبقة المتوسطة في مصر ، وميل هـذه الطبقة إلى الدفاع عن تقاليدها الموروثة ، وهو بهذا يضرب مثالاً للاتجاه الواقعي في التعقيب ، وإن لم يفته ذكر هنات فنية في الرواية ، وقد فات المعقب أن يسير على طريقة فنية في تعقيبه .

ويبدو من هذه الالمامة القصيرة ، كيف تتفاوت التعقيبات على الكتب الجديدة في تكاملها أو قصورها ، وفي قوتها أو كلالها ، وفي ميلها إلي مذهب بعينه ، أو سيرها مستقلة أصيلة .

❖

ومع اتسام كثير من التعقيبات في مصر بالامتياز والنزاهة واللطف ، فان طائفة منها يرنقها التزمت ، والانحراف ، والتطرف ، أو تعوزها العناصر الفنية .

فبعض التعقيبات الكلاسيكية للكتب القيمة تحاول أن تعيبها بذكر هنات لغوية أو نحوية ، أو أخطاء مطبعية ، دون اهتمام بذكر بما وعت من آراء وأفكار جديدة بالتقدير ، وهذا هو التعقيب الفقهي ، وهو أشبه ما يكون بفارغ البندق ، الذي يتعب الانياب في كسره دون ثمرة . ومن مثال هـذا ما قرأناه للاستاذ سيد صقر تعقيباً على كتاب « غوطة دمشق »[1] إذ سرد المعقب أبواب الكتاب سرداً وأعقب ذلك بهفوة لغوية ، وغلطة جغرافية على زعمه وختم العرض بالثناء المستطاب على المؤلف ، ووصف الفصل الأخير بأنه بلغ ذروة الكمال والجمال .

ويدخل في باب التعقيبات الفقهية ، تلك التعقيبات الملونة المزركشة الزاخرة بالأصباغ التي تنادي القارىء إلى جمالها الجاوب ، ولا تهيب به إلى قراءة الكتاب المعروض ، وهذا ما نقع عليه في مثل كتابات الأستاذ كامل عجلان .

وتوغل بعض التعقيبات الرومانتكية في الذاتية ، فيهوم المعقب في دنياه ، ويحوم بالقارىء حول سحابة دكناء ، لا يرى من ورائها سماء ولا ضياء ، ويطمر الكتاب الجديد في لجد مظلم كئيب ، وتجري بهذه التعقيبات أقلام بعض الشعراء العائشين في الأبراج ، وهؤلاء قلال بل نوادر في مصر .

ويدخل في باب هـذه التعقيبات الذاتيـة ، تلك التعقيبات المتأثرة بالاعتبارات الوجدانية ، إذ يعمل المعقب على التهوين من كتب قيمة لخلاف مع المؤلف في الرأي ، أو المذهب ، أو وجود تنافر شخصي بينهما ، وهذا ما نلمسه في بعض تعقيبات الأستاذين

(١) مجلة الثقافة

سيد قطب ، والعوضي الوكيل .

وتسرف بعض التعقيبات الواقعيـة في اتجاهها ، وتنظر إلى كل تأليف فني نظرة استخفاف وتهوين ، ويتجاهل كاتبو هـذه التعقيبات تباين طاقات المؤلفين وتنوع تجاربهم ، وآثار الصنيع الفني الذي لا يسـاير وجهـة نظرهم ، في أرهاف المشاعر ، وتهذيب الوجدان ، ومن بين هؤلاء الغلاة نذكر الاستاذين مفيد الشوباشي ونجيب عزب وغيرهما .

وكثير من التعقيبات التي وقفنا عليهـا ، سواء أسارت على مذهب أم لم تسر ، لا تعتمد طريقة الكتابة الفنية ، وانما هي تعقيبات يجري فيها المعقبون كيفما يتفق فالفكرة الجوهرية شاحبة مختنقـة ، في زاوية من زوايا التعقيب ، والمـادة مضطربة مختلطة ، وفقرات التعقيب متشابكة ، لا تقوم كل فقرة بفكرة ، وهدف المؤلف واهن عليل إن كشف عنه المعقب ، والبداية لا نكهة فيها ، والنهاية مائعة ، فاترة .

والذي يثير الشجى حقـًا ، تعرض كثير من المعقبين لألوان من الفن لا يفهمونها ، فمعقب على الشعر ، لم يهذب ذوقه ، ومعقب على القصة ، لم يعرف لها أصولاً ، ومعقب على الدرامة ، لم يثقف قيمها ، فلا جرم إذا شاهدت أغلب التعقيبات وعجزت عن انصاف المؤلفين ، وخدمة التأليف ، والحركة الفكرية في مصر .



ومع هذا ، فما زلنا نحيي الأمل في ازدهار فن المراجعة والتعقيب في هذه البلاد ، إذ قدّر الكاتبون مهمتهم نحو المؤلفات الجديدة ، وأدى المحررون الادبيون واجبهم . ومهمة الكاتبين تنحصر كما أسلفنا في ثنايا هـذا المقال . في قراءة المؤلفات الجديدة قراءة عميقة ، وتقديم خلاصة مركزة للقارىء المتشوف ، والاعراب عن آرائهم في شرف ونزاهة وشجاعة مقرونة بالأدب والكياسة

أما واجب المحررين الادبيين فيقوم على العناية بالمؤلفات الجديدة التي تخرجها المطبعة سواء أعديت للصحيفة والمجلة أم لم تهد أليها ، والاهتمام بالكتب القيمة منها ، وتوسيع صدرها لأقلام الكتـاب الممتازين في بيـان فضائلها أو هناتها ، دون نظر إلى شهرة المؤلف ، ومركزه الاجتماعي . فقد أصبح اليوم في عنق هؤلاء المحررين أبراز الموهوبين من الكتـّاب المغمورين ، كما أصبح في ذمة المراجعين والمعقبين ، تزويد القارىء بلباب



ما يهمك أن تعرف عن : ـ

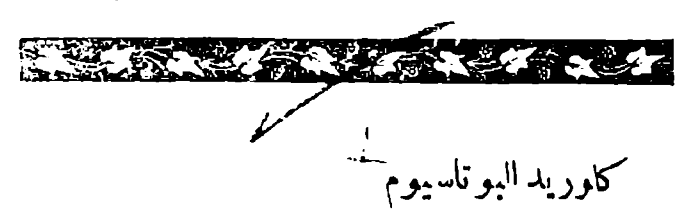
Potassium Chloride

العناصر المعدنية

ماهيتها وخواصها في جسم الانسان

— ٦ —

للاستاذ شبيرو جبري



كلوريد البوتاسيوم

البوتاسيوم فلز لين أبيض ينصهر عند درجة ٦٢م ويغلي عند درجة ٧٦٠ متحولاً الى ابخرة خضراء جميلة . يوجد عنصر البوتاسيوم في ميـاه البحار وطبقات الأرض والصخور . ومنطقة البحر الميت في فلسطين غنية بأملاح البوتاسيوم ، وهو عنصر هام للبنية ويدخل في تركيب النسج الرخوة ، كما انه عنصر ضروري ، لعمليـة انقـسام الخلايا وبناء المواد البروتينية،واختزال النترات في جسم الانسان .

والبوتاسيوم [1] عنصر كثير الشبه بالصوديوم في جميع خواصه الطبيعية والـكيميائية ، لذلك كانت أملاح العنصرين متماثلة تماماً في هـذه الخواص ، ولكن من الغريب أنهـا تختلف تمام الاختلاف في الخواص الفسيولوجية ، فمثلاً كلوريد البوتاسيوم لا يحل محل كلوريد الصوديوم في تجهيز الطعام .

وأول من ميز بين أملاح الصوديوم وأملاح البوتاسيوم هو أبو منصور الموفق الفارسي وذلك في القرن العاشر للميلاد ، فقد فرّق بين كربونات الصوديوم وكربونات

(١) قصة العناصر للاستاذ اميابي أحمد

البوتاسيوم وشرح طرق استخلاص هذين الملحين من رماد بعض النباتات .

ولم تلاحظ أمراض نقص التغذية نتيجـة للحرمان من البوتاسيوم ،لأنه موجود في كل المواد الغذائيـة بنسبة مرتفعة . فهو يوجد في جميع أنواع النبات بنسبة تتراوح بين ١ و ٠ الى ١ ٠٪ من وزن النسج الطازجه الحية ، وتبلغ هذه النسبة نهايتها العظمى في الأجزاء الدائمة النمو مثل أطراف الأوراق والجذور الثانوية ، كما يوجد بكثرة في الخضر والبطاطس والبطاطا والقلقـاس . واذا أكل الانسان كثيراً من هـذه الخضر وجب عليه أن يضيف الى غذائه ملح الطعام ليحصل التعادل الضروري للبلية.

وتزيد كمية البوتاسيوم في الحبوب والبذور عن كمية الصوديوم والعكس في أوراق النبات حيث تحتوي على كمية من الصوديوم تزيد على كمية البوتاسيوم ، كما هو الحـال أيضاً في بعض الجذور ، ولذا فأملاح الصوديوم [1] موجودة في السوائل بكمية أكثر من أملاح البوتاسيوم ، اما في النسج فأملاح البوتاسيوم تزيد على أملاح الصوديوم

ويوجد البوتاسيوم كذلك في نسج جميع الحيوانات [2] فان مجموع ما يحويه جسم الحيوان منه ، يعادل ــ أو يزيد قليلاً ــ مجموع ما يحتويه من عنصر الصوديوم ، غير أن توزيع كل منهما داخل الجسم يختلف فيما بينهما اختلافاً كبيراً . فالبوتاسيوم وهو موروث عن المملكة النباتية يتجمع غالباً في النسج الصلبة . أما الصوديوم الذي كان مهده الأول مياه البحار والحيوانات البحرية فيوجد بكثرة في السوائل والأوساط الرطبة من الجسم .

﴿ مركباته ﴾ ومن أهم مركبات البوتاسيوم [3] أوكسيده الاول وأوكسيده الرابع ، وهـذا الأخير عامل مؤكسد يفوق في قوته الأوكسيد الثاني للصوديوم . ومن مركباته البوتاسا الكاوية أو هيدروكسيد البوتاسيوم (أوكسيد البوتاسيوم المائي) ويدخل هذا المركب في صناعة الصابون الطري وغيره من الصناعات . ثم هناك أيضاً كربونات البوتاسيوم وبيكربوناته وكلوريده وبروميده .

والبوتاسيوم ضروري لتكوين النشويات والدهنيات [4] ، كما انه ضروري لتكوين

---

(١) كتاب الكيمياء ومسائل الحياة اليومية للاستاذ حسن عبد السلام

(٢) كتاب الاغذية للاستاذ حسن عبد السلام

(٣) قصة العناصر للاستاذ اميابي أحمد

(٤) كتاب الغذاء وأثره في حياة الانسان للدكتور محمد يسري

المواد الزلالية التي هي جزء من خلايا النباتات . ويقوم البوتاسيوم بعمليته على أحسن وجه عندما تكون العناصر الأخرى موجودة بكمياتها الكاملة .

وعنصر البوتاسيوم يلعب دوراً هاماً في تكوين الجليكوجين (النشاء الحيواني) من الجلوكوز (السكر) وفي تكوين المواد الدهنية أيضاً من الجليكوجين أيضاً – وتكوين البروتيد (المواد الزلالية في الكائنات الحية) من البيبتون (حاصل الأغذية البروتينية في الجسم) ومن البروتيوزات أو المتوسط بين بروتيدات الأغذية والبيبتونات .

والكبد – وهو العضو الأساسي في تكوين الجليكوجين – يحتوي على جزئين من عنصر البوتاسيوم نظير جزء واحد من عنصر الصوديوم ، بينما يحتوي الطحال على جزء واحد من البوتاسيوم نظير أربعة أجزاء من الصوديوم .

وعنصر البوتاسيوم متغلب في كريات الدم الحمر وفي المخ، وعلى هذا يمكننا أن نستنتج أن عنصر البوتاسيوم له صلة بتوليد الكهرباء الحيوية ووظائف المخ والجهاز العصبي .

وبالاضافة الى ما تقدم فان البوتاسيوم عنصر ضروري لحياة الأعصاب [١] ، كما أنه يعاون في تنظيم ضربات القلب وذلك بتأثيره على العضلات ، ووجوده في الجسم يمنع تصلب الشرايين والعضلات وبقية النسج ويحفظها في حالة رخوة مرنة .

أما نقصه في جسم الانسان فيسبب الامساك وضعف الدورة الدموية . والأشخاص المهزولون الذين تغلب عليهم النحافة يحتاجون لعنصر البوتاسيوم أكثر من غيرهم .

. وتشير البحوث التي أجراها العلامة ميلر (Miller) سنة ١٩٢٦ الى أن البوتاسيوم ضروري أيضاً لنمو الحيوان ، فقد وجد أن نمو الجرذان الصغيرة يقف عندما ينخفض مقدار البوتاسيوم في غذائها عن ١ و ٠ في المائة .

وتستخدم أملاح البوتاسيوم في الأماكن التي يقل فيها ضوء الشمس عن القدر الذي يكفي لنمو النبات . وهذا بديهي لأن ضوء الشمس ضروري لعملية التمثيل الكلوروفيلي ، وحيث ان هذه الأملاح تساعد الورقة على التمثيل فهي خير ما يستعاض به عن ضوء الشمس .

وسليكات البوتاسيوم الالومنيومية كثيرة الانتشار في الأرض ومنها تتسرب مركبات

---

(١) كتاب الاغذية للاستاذ حسن عبد السلام

البوتاسيوم الى التربة بفعل الأمطار وعوامل الطبيعة الأخرى ومن ثمّ يمتصها النبات .

﴿ اشعاع البوتاسيوم ﴾ ثبت أن البوتاسيوم يشع أشعة كهربائية من نوع بيتا (ب) كالراديوم ، وقد تعذر وجود هذه الصفة في الصوديوم قبلاً مع أنه مماثل للبوتاسيوم في كثير من خواصه . ولكن يرجح من بعض الاعتبارات الجيولوجية ان هـذه الصفة موجودة فيه أيضاً ولو كانت أقل منها في البوتاسيوم .

وتمتاز أملاح البوتاسيوم في تسميد الأرض بأنها تنشط النبات وتساعد الاوراق على تمثيل ثاني أوكسيد الكربون وتكوين الكربوإيدراتات ، ولذا كان تأثير هـذا النوع من الأسمدة أظهر ما يكون في المحصولات الكربوايدراتية كالبطاطس والقصب والبنجر .

وقد لوحظ أن التيل المصنوع من كتّان زرع في ارض غنية بأملاح البوتاسيوم يمتاز بالرخاوة والنعومة والمرونة ، على حين أن الكتان [1] المزروع في أرض جيرية فقيرة إلى البوتاسيوم ينتج نوعاً من التيل رديئاً سهل القصف . وقد أدرك الفلاحون أهميـة البوتاسيوم لحيـاة النباتات منذ العصور الغابرة ، فكانوا يحرقون الاخشاب والأعشاب ويسمدون التربة برمادها لأنه غني بأملاح البوتاسيوم . فاذا كان تسميد التربة وتخصيبها بأملاح البوتاسيوم واجباً من حين لآخر ، فأن من الواجب أيضاً تسميد الجسم بإمداده بمقدار من هذه الأملاح عن طريق الأغذية .

ويعطي يودور البوتاسيوم في أقراص الشيكولاته لأطفال المدارس في المناطق التي يكثر فيها مرض الجواتر Goitre (أي تضخم الغدة الدرقية) ، ويوضع أحياناً بكميات قليلة جداً في ميـاه الشرب . ولكن يستحسن عدم تعاطي هـذه الاقراص إلا باذن خاص من الطبيب ، لأن القليل منها شديد الضرر كالكثير .

أما بروميد البوتاسيوم فيستعمل مسكناً للأعصاب ومنوّماً وننصح بالاقلال من تعاطيه لأن كثرة استعماله والتعود عليه قد يؤثر في القوى العقلية .

وكلورات البوتاسيوم تستعمل في بعض الأغراض الطبية كالتطهير وقتل الجراثيم ، ولأنه مؤكسد قوي يدخل في صناعة المفرقعات بخلطه بالفسفور والكبريت ، وفي صناعة الثقاب (الكبريت) وفي صناعة الألغام والمواد الناسفة .

(١) كتاب الاغذية للاستاذ حسن عبد السلام

الدراسات العربية

في اميركا(1)



للاستاذ فرحات زيادة

في الولايات المتحدة اليوم نزعة قوية الى درس اللغة العربية والحضارة الاسلامية والنواحي المتعددة من حياة الأمة العربية من ثقافية وسياسية واجتماعية واقتصادية. ودرس هذه العلوم لا يوازي درس العلوم الاخرى من حيث عدد الطلبة وعدد المعلمين وعدد الدوائر التي تختص في هذه الناحية بالجامعات ومعاهد العلم الاخرى. فدرس اللغة العربية لايوازي في الأهمية درس اللغات الاوربية مثلاً. ولكننا إن قابلنا اهتمام الامريكيين بالدراسات العربية في هذه الايام باهتمامهم فيها قبل عقد واحد من السنين لبرز الفرق واضحاً جلياً، ولاعجب المرء بهذه السرعة في تناول هذه الناحية من الحضارة العالمية واشباعها بحثاً ودرساً يكاد يوازي الجهود الكبيرة التي قام بها المستشرقون الاوربيون في قرنين من السنين.

قبل هذه النهضة الأخيرة لم يكن للدراسات العربية نصيب ذو بال في الولايات المتحدة ومع أن عدة جامعات أقامت كراسي فيها للغات السامية وآدابها تمثلاً بجامعات أوربا، فان جهود المتربعين على تلك الكراسي توجهت نحو الدراسات العبرية القديمة المتعلقة بالتوراة وبدرس الحضارة الأشورية القديمة.

وقد عرضت أحياناً بعض الدروس العربية ولكن الباعث على ذلك لم يكن رغبة ملحة في درس هذه اللغة بل كان هذا الباعث مقابلة العربية باللغات السامية الاخرى كيما يستطيع العلماء أن يحسنوا تفهم الكتابات العبرية والآرامية والسامية الاخرى. ولم يفكر أحدهم في اتقان اللغة العربية كيما تصبح لديه اداة فعالة للبحث والتنقيب في مكونات الحضارة الاسلامية وقيل أن حوالي سنة ١٨٨٠ عندما كتب أحد الطلاب أطروحة في جامعة هارفورد عن موضوع عربي اضطر الى ارسال تلك الأطروحة الى استاذ السنسكريتية في جامعة «ييل» لانه كان الاستاذ الوحيد في أمريكا الذي يلم بالعربية. وكان من الطبيعي أن تتجه جهود

(١) «الدراسات العربية في أمريكا» للاستاذ فرحات زيادة خص به المقتطف

المستشرقين بين الامريكيين الى العبرية والآرمية قبل العربية ، وذلك لأسباب منها صلة الأولى والثانية بالتوراة وبالعهد الذي كتبت فيه التوراة ، ومنها أيضاً أنه يسهل نسبيًا على المرء تعلم العبرية والآرامية والاشورية لقلة عدد كلماتها والكتب المكتوبة بها بالنسبة للعربية ذات التاريخ الطويل والصرف المتشعب والالفاظ الواسعة .

ومن ناحية أخرى ورث الامريكيون تلك النظرة الاوربية التي كانت تحسب الثقافة الاوربية الاصل أسمى ماوصل اليه الانسان،وان تلك الثقافة هي الحرية بالدرس والعناية اكثر من غيرها . فكان من الطبيعي ألاّ تنال الثقافات العالمية الاخرى ومنها العربية اهتماماً كبيراً . وزد على ذلك أن بعض القصص الغربية والأفلام السينمائية كانت ولا تزال في بعض الأحيان تصور الحياة العربية بشيء من الغرابة والمجانة مما أدى في بعض الأوساط الجاهلة إلى الحط من منزلة الحضارة العربية ، وبالتالي قلة الاهتمام بدرس نواحيها المختلفة .

ثم إن طريقة التدريس العربية كانت عقيمة الى درجة كبيرة لأنها اتبعت طريقة تعلم اليونانية القديمة واللاتينيةوغيرهما من اللغات الميتة . فلم يلتفت المعلمون إلاّ الى اللفظ الصحيح والى نبر الكلم والى الادب القديم ليس إلاّ . وكان تدريس العربية يقدم لطلاب الدكتوراه في كليات المتخرجين فقط في محيط ضيق محدود ولم يحلم أحدهم بتدريس هذه اللغة لطلبة البكالوريا كتدريس أية لغة أخرى كالفرنسية والألمانية كيما تتسع آفاق الطالب ويصبح ملمًا بشئون قسم كبير من العالم يتكلم هذه اللغة ، وقسم اسلامي يعد هذه اللغة أفضل لغة على الارض لكونها لغة السماء .

أما الجامعات التي تقدم دروساً عربية في قسم المتخرجين فهي جامعة كاليفورنيا ، والجامعة الامريكية الكاثوليكية وشيكاجو وكولومبيا وهارفورد وجونز هوبكنز وميشيجان وبنسلفانيا وبرنستون وييل . على انه في السنين الأخيرة أخذت فكرة جديدة تستولى على الأوساط العلمية وعلى القائمين على شؤون الجامعات ومعاهد التعليم في أمريكا وهي أن البلدان العربية خاصة وبلدان الشرق الاوسط عامة لم تنل حتى الآن نصيبها من الدرس الذي يتناسب مع اهميتها العالمية ليس فقط في ميدان الاقتصاد والسياسة بل وفي ميدان الثقافة والحضارة العالمية ، ولربما كان الوازع الى هذه الفكرة أن روح الانعزالية التي كانت مسيطرة على أمريكا قد زالت بعد حربين عالميتين خاضتهما فاتسعت الآفاق وأخذت هذه البلاد تعتقد أن هذا العالم انما هو وحدة وثيقة العرى على أي فرد مثقف فيه ان يلم بحضارات العالم الاخرى كي يسهل التفاهم بين الامم ويتم التعاون بينها على أسس متينة.



الرحيل

للآنسة الشاعرة نازك الملائكة

سنرحلُ، لاحَ صباحٌ عميقٌ .. وراء السّوادْ
ولم يبقَ الاّ ضبابٌ خفيفٌ يلفّ الوهادْ
ويحلُم مكتئباً في عيونٍ طواها السّهادْ
وصاغت مع الليلِ أغنيةَ الرحلةِ القادمهْ
إلى أفقٍ كوكبيّ الستورْ
بُعدُ جذورْ ..
وراءَ مسالِكنا القاتمهْ

سنرحل، فالأنجمُ الوامقاتْ .. تشيرُ لنا
أصابعها اللدنةُ المخمليّةُ في دَرْبنا
تطرّزُ كلَّ غدٍ قادمٍ بخيوطِ المُنى
تَقود خطانا خلال الشعابِ الطوالِ المضنّهْ
سَنرحلُ بعد زمانٍ قصيرْ
وعصرٍ صغيرْ
فلم تبقَ من ليلِنا غيرُ ومضهْ

ومن سنوات الاسار الممزق من ألف ظلمة
تلف مدى أسوداً لا تمس دياجيه نجمة
ستبدو لنا حافة الكأس قطرة حب وبسمة
وتحملنا عربات الكواكب عبر الحزون
وراء بحار الندى والظلال
وحيث الجمال

يمس، ويشرب به المتعبون

وداعاً صحارى العويل فقد حان فجر السنين
وآن لنا أن نجوب البحار مع الراحلين
عطشنا طويلاً وكانت كؤوسك ملأى أنين
ينوح الفراغ عليها وموكبنا الباحث
يجرع حتى كؤوس الدموع
ونار الضلوع
وجن به شوقه اللاهث

وفي الغد من بعدنا إن أطل جبين القمر
ولامس ضوء النجوم النشاوى صرير النهر
ورن مع الليل صوت بعيد الصدى. واندثر
كما رن يسأل عنا، وأين رمتنا البحور؟
فقولي له: إننا لن نعود
لأرض القيود
فقد أشرق الفجر منذ عصور

انهاض المجتمع

هندسة الماء في مصر



للاستاذ حبيب عوض الفيومى

النيل وحده هو مصر ولولاه ما كانت شيئاً يذكر . وهو مصدر العمران فيها وبه تقوم حياتها . ومهما يصب وادي النيل من ضر أو شر فهو أمر يمكن تلافيه ما استقامت لها أمور النيل . فلينظر المصلحون إليه كلما أحاطت بهم الكوارث وليطلبوا لديه الخلاص اذا حزبتهم الخطوب . ومن حسن صنع الله بوادي النيل أنه لا يهبط إلينا بين جبلين ولا يمر بنا في نفنف[1] ضيق من الأرض ولكنه ينساح الهوينى بين صحراوين لا ترتفعان عن مجراه إلا قليلاً . وان هاتين الصحراوين أرض سهلة غير بالغة الصلابة وأنه لا حد لاتساع الصحراء الغربية منهما ولا نظير لسهولتها . وليس من المستساغ أن يقذف المصريون بماء النيل في بحرها الشمالي ولديهم ذلك البراح الأعظم بل جنة النيل المستقبلة وهم مع ذلك ، أو أكثرهم ، يتضورون جوعاً . ولولا ما تسعفهم به الأقطار الأخرى من الغلات لماتوا من الجوع ذلك كله والأمر ميسور لهم جداً . متى كان لديهم مسكة من عزيمة أو تصميم . ولكن القادة والسادة المتعلمون في مصر لا يتعلمون لكي يعملوا أو يجتهدوا في خدمة بلادهم بل انهم يتعلمون ليحكموا وينعموا ولكي يأخذوا لأنفسهم أوفى نصيب من الغنى مع أوفى نصيب من الراحة والدعة أما استعمار الصحراء واما استغلالها، فهو أبعد شيء عن أفكارهم وعن همومهم ومطامحهم . لأنهم لا يريدون أن يتركوا مناعم المدن ومباهجها وملذاتها ومراقصها ومسارحها وسهراتها ، الى بضعة أيام أو شهور يقضونها في الصحراء . لكي يبذلوا من أنفسهم أدنى جهد لتعمير مصر أو جلب الرخاء الى أهلها . وما لهم ولهذا وجيوبهم عامرة بالمال والغذاء موفور لهم واللباس ميسور على أتم الوجوه وأكملها . واذا خرجوا الى الصحراء فنى تتاح لهم اذن فرص البطالة وما فيها من المؤانسة والحياة الرتيبة الرخية . ولأي شيء إذن قد حصلوا على

---

(١) النفق المضيق بين جبلين

الشهادات العالية اذا لم يكافأوا عليها بحياة (الدبوان) وسلطته ورياسته وما يتبع ذلك من درجات ومرتبـات . إن هؤلاء السادة يحبون العظمة ولكنهم يتجنبون المغامرة . ويريدون الغنى ولـكنهم لا ينالونه إلا سحتاً مغتصباً من الأيدي والافواه من دافعي الضرائب والكاد حين الأشقياء من مواطنيهم بل لقد لوّم بعضهم حتى حوّلوا كلمة (المغامرة) عن معناها الأصيل العظيم الى معنى المغازلة والمطاردة الماجنة . ان ثمّ بوناً شاسعاً بين ما تعلمه هؤلاء السادة وبين ما اختاروه لأنفسهم من طرق المعيشة والعمل . ومنذ كانت الصحراء والماء هما مجالهم الأسمى ومثلهم الأعلى فإنهم والعمل النافع على طرفي نقيض .

لا شك في أن الأرض في وادي النيل تنحدر من الجنوب الى الشمال . وقد أجمع الثقاة على أن درجة الحدود فيها هي ثمانية أجزاء من مائة جزء من المتر الواحد في كل ألف متر . فاذا فرض ان المسافة بين مدينتي المنيا والقاهرة هي مائتا ألف من الأمتار فان المستفاد من ذلك ان سطح ماء النيل عند المنيا يرتفع عن سطحه عند القاهرة بمقدار ستة عشر متراً ومدلول ذلك أنه إذا فرض أن سطح الصحراء غرب القاهرة يرتفع عن سطح ماء النيل بمقدار ستة عشر متراً لـكان من الممكن شق ترعة تأخذ من النيل عند المنيا فتخترق الصحراء غرباً وتسير من الشمال الى الجنوب حتى تحاذي القاهرة وسط الصحراء وتكون درجة الحدود فيها بين المنيا والقاهرة أربعة أمتار اذا كان عمقها ستة أمتار وعمق مأخذها من النيل مترين . ولقد أنشأ القائمون بالأمر قديماً ترعة الاسماعيلية لكي يسقوا منها المدن التي عمرت بعد حفر قنـاة السويس فخصبت منها قفار الصحراء شرق الدلتا واحيت موات الأرض فيها . ولعلهم لولا قناة السويس وسقي المدن التي تمر بها ما فكروا في فتح تلك الترعة . كذلك كان شق القناة وسط الصحراء دليلاً قاطعاً على أن حفر الترع في الصحراء أمر سهل ممكن التحقيق لمن يريده . واذا كانت ترعة الخليج قد اخترقت الصحراء في قديم الزمن حتى بلغت خليج السويس فوصلته بالنيل فان شق ما هو أوسع وأعمق ، مع تقدم العلوم واكتمال الآلات . يكون اليوم أسهل وأيسر .

فها هو ذا عمل يجعل أرض مصر من أخصب أقطار الدنيا وأكثرها عمراناً وازدهاراً. ثم هو مع ذلك لا يكلف من المـال كثيراً ازاء ما يجلبه من الرغد والاتساع في رقعة العمران . ولا يستغرق القيام به أكثر من خمس سنين . وهو أن تشق ترعة عميقة واسعة تأخذ من النيل امام مأخذ الترعة الاسماعيلية وان يكون مجرى هـذه الترعة متجهاً الى الغرب حتى تنتهي الى منخفض القطارة . وهنـاك في أول المنخفض تنقسم الترعـة الى فرعين يجري أحدهما على حافة المنخفض اليمنى ثم يجري الآخر على الحافة اليسرى ثم تدوران حوله ، اذا كان الماء كافياً . حتى يتلاقيا في حافته الغربية . وعلى مدى جريانهما

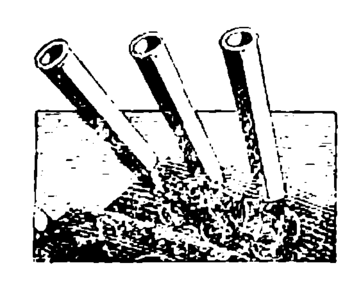
حول المنخفض تنزل منهما الجداول والقنوات متجهة الى ناحية القاع حيث تنشأ القرى والدساكر والمدن . ذلك على أن يترك القاع الواسع العميق لكي يكون بحيرة تأخذ ماءها من البحر . ويصب فيها ما عساه أن يفيض من تصريف الأرض المزروعة . ولقد كان من رأي بعض المهندسين أن يطلقوا ماء البحر في هذا المنخفض ليفيدوا من هبوط الماء فيه قوة كهربائية ، وهذا مشروع طيب غير انه ناقص . فمن نقصه أنهم لم يفكروا في زراعة المنخفض . فمن المستطاع تحقيق ما أرادوه بقوة من ماء النيل وقوة أخرى من ماء البحر فيكون امتداد العمران وانتفاء الفقر والعوز أصلاً جوهرياً ، وتكون الكهربة فرعاً متمماً له وآتياً بعده ، فتكون الكهربة إذ ذاك في وسط البلدان التي ستنشأ فيستغلها السكان في زراعاتهم وصناعاتهم وفي دورهم . وإذا بقيت قوة كهربية بعد ذلك فلا ضير من لحاقها بوادي النيل . ومن نقص ما شرعوا فيه أيضاً أن القوام على استجلاب الكهرباء من ماء البحر سيجدون أنفسهم منفردين الى الأبد بين الصحراء وماء البحر ثم هم مع ذلك مسئولون عن توصيل قوتهم الكهربية الى العمران الذي يبعد عنهم أميالاً عديدة . إن هذه الترعة ، بل هذا الفرع الذي أشير بحفره هو المنقذ الأول لمصر ، ومتى بدىء به فلتفرع منه فروع يكون أولها غرب شمال قرية الوراق ثم يتجه الى الشمال حتى ينتهي الى الترعة النوبارية ثم تتوالى الفروع بعد ذلك متجهة الى الشمال فيتلاقى بعضها مع الترعة المحمودية وبعضها مع بحيرة مريوط ، وهكذا الى الغرب حتى يكون سيف البحر حاشية على أطراف الغياض والرياض . وعند البدء بالعمل يحسن القيام بتفريع الفروع مع حفر الأصل في وقت واحد ثم يستجلب الماء فوراً ويدفع الى الفروع فليس من الحزم تعطيل ما يتم حتى ينجز الباقي ويكون ذلك باقامة قنطرة أمام كل فرع تكون فيها أبواب تفتح وتغلق حتى لا ينطلق الماء الى الحافرين وهم يعملون ثم تكون القنطرة بعد ذلك أداة لرفع الماء أمام كل فرع وفي انتهاز الوقت ربح مالي يساعد استنجازه على النهوض بسائر العمل وانفاذه . ولئن بدا بعد ذلك ان الماء في بعض شهور العام لا يكفي لسقي هذه البسائط الواسعة في زراعتها مرتين كل عام ما يكفي ويغني، فكذلك كان الشأن في مصر العليا والوسطى قبل انشاء المسناة (الخزان) في اسوان وذلك الى أن يحين الوقت الذي تنشأ فيه المساني الأخرى فتروي هذه البسائط طول العام . فان ري الصحراء بماء الفيض ولو مرة واحدة كل عام خير لنا من تركه سدى في البحر .

[للبحث بقية]

هل الثورة

حق من حقوق المجتمع ؟

— ٢ —



للأستاذ الياس يعقوب

في تاريخ الشرق العربي الحديث كثير من الانتفاضات الارتجالية التي ندعوها خطأ بالثورات . لانها لم تستكمل أسباب النشوء ولم تحقق الانسجام التام بين الأهداف التي تنشدها والوسائل التي أعدتها لتحقيق هذه الأهداف . وبكلمة وسائل أقصد الناحية المادية كما انني أقصد الجهة البشرية التي يجب أن تؤمن بضرورة الثورة وصحة أهدافها . وتعتنق مبادئها . وهذه الثورات جاءت إثر تململات حدثت من جراء وجود الأجنبي ، لا بناء على نظرة جديدة إلى الحياة ترمي إلى نسف المفاسد والمساوىء التي أورثتها عهود الانحطاط والاستبداد . انها كانت ضرباً من الفتنة التي تشب بسرعة ثم لا تلبث أن تخمد بسرعة . ومن خصائص الفتن أن تحدث دوياً وتحرز بعض النجاح في مبدإ الأمر عند انفجارها ، لكن هذا النجاح لا يستمر طويلاً ، بل يتحول إلى فشل في السياق الطويل . وحالما تصدم بعقبة كؤود ، أو يزول عنها الرأس ، أو يتعذر عليها النصر ، تتسرب الخيبة واليأس والتخاذل الى صفوفها . والتسرع في الشروع بأمر جليل قبل استيفاء الشروط يدل على نزق الشعب وبعده عن الأناة والصبر وغلبة الحماس على العقل والرصانة . أما الثورات الحقيقية التي تقوم على أسس فكرية ، وتسترشد بأضواء عقيدة واضحة ، لا تفت الهزيمة في عضدها ، وتتلقى من استشهاد قائدها ، ومن تراكم الضحايا عوناً لقوتها ومهمازاً لمضاعفة البذل والعطاء .

ويبدو لنا أن حظ الثورات الدامية قد أخذ يتضاءل على الرغم من الثورات العنيفة

التي حدثت في النصف الأول من هذا القرن ، مما يدل دلالة واضحة على انه لا يزال لدى الشعوب وضرة من الجرأة للانقضاض على الفئة الحاكمة أو المحافظة وانتزاع السلطة من يدها، والتخلص منها بشتى الطرق أو تغييرها لتتم لها حرية تحوير الأنظمة فيما بعد . وبدلاً من التفكير في الثورة والعمل بها لقلب الحكم ، بدأ الناس يميلون لترجيح فكرة الاصلاح، يقيناً منهم أن ما تأتي به الثورة الكاسحة الجارفة لا يتأصل في النفوس بسهولة ، وسرعان ما يتبدل حالما تعود الأمور الى نصابها ويثوب العقل الى رشده . وان الاصلاحات التي تشفي هي التي لا تنفك تتأصل وتتراكم مع الزمن . ومن هذه الاصلاحات المستمرة تحدث الانقلابات الكبيرة بهدوء دون أن تهز كيان الانسان . والسبب الذي يدعو الى تحبيذ الانقلاب الذي يأتي عن طريق الاصلاح الدائم يعود الى تطور نفوذ الدولة ، وامتداد هذا النفوذ يشمل سائر وجوه النشاط البشري ، ومن جملتها مؤسسة الجيش وقوى الأمن الداخلي . وهكذا أصبح بوسع الدولة التي تسيطر على زمام الأمور أن تشل كل حركة تقوم بها الفئة المناوئة . فبدأ تأميم المرافق الاقتصادية من جهة ، أو المبدأ الذي يخول الدولة حق امتلاك سائر وسائل الانتاج من جهة ثانية ، والسيطرة الكلية على الانتاج وتحديد نوعه وكميته والنصيب منه من جهة ثالثة ، جعل الدولة تقبض بقوة على النواحي الحيوية في البلاد . وبما أن التعليم يكاد يكون منوطاً بها وحدها ، ولها حق الاشراف على التعليم الخاص وفرض براجها ، فقد أصبح بامكانها أن تصوغ العقلية التي تشاء ، وتكافح العقائد والمفاهيم التي لا ترضى عنها . وان في رقي أسباب المواصلات ما يساعدها على سرعة تدارك الأمور قبل استفحالها ، وفي السيطرة على محطات الاذاعة ووسائل النشر مما يجعلها تكيّف الحالة المعنوية وأعصاب الجمهور حسبما ترى وتريد . جميع هذه العوامل جعلت الثورة العنيفة متعذرة إن لم تكن مستحيلة . ولهذا بات علينا أن نبحث عن طراز جديد للثورة نبغي من ورائه بلوغ الاصلاح المنشود .

إن نماذج الثورات التي يضعها التاريخ أمامنا تولد فينا الانكماش ، لأنها ترسم على لوحة المخيلة صورة قاتمة للحالة السيئة التي يمكن أن تنشأ من جراء الاقتتال بين أبناء الوطن الواحد ، والبلد الواحد ، والأسرة الواحدة . والماضي ، كيفما كان ، لا ينبغي أن يسحق تحت عجلته قوة الابتكار فينا ويفقدنا مزية الاصالة . وليس خيراً أن نتبنى نظرة الغير لأنها لا تتفق إلاّ مع مصلحته ومرامي نفسيته فقط . ان حالات الشعوب لا تتماثل أبداً فكيف يتسنى لنا النجاح في اللجوء إلى وسائل لا تتفق مع الملابسات الخاصة بنا ، لأن

كل أمة تتأثر بمجموعة فذة في العوامل التي يساهم المحيط في توليدها ، وماضي الأمة ، والعقلية القومية التي تنشأ عن التفاعل مع البيئة ، وعن التأثر بالماضي . والثورة لا تعلن على سبيل الاحتذاء والتقليد ، بل ينبغي أن تأتي وليدة الضرورة ، وأن تكون الطريق إليها ممهدة ، والمسافة بين الداعي إلى الثورة والجمهور قريبة .

إذا لم يتمكن الانسان أن يثور لأسباب خارجة عن إرادته وقدرته فيتحتم عليه أن يكون مصلحاً . وان الاصلاح المستمر إذا استبعد حدوث الثورة بمفهومها المألوف فانه لا ينفي مبدأ الثورة التي ترمي إلى التحرر من الطغيان والمساوىء والرغبة الدائمة في التطور نحو الأفضل والأكمل . إن (قاسم أمين) لم يعلن ثورة جرت البلاد المصرية الى الاقتتال والتدمير ، أو يعاقب عليها القانون ، ويقسو التاريخ في الحكم عليها ، لكنه شاء أن يكون مصلحاً للأسرة المصرية عن طريق تحرير المرأة من عبودية الرجل والجهل والتقاليد . وان انتفاضة مصر عام ١٩١٩ لا تقارن ، لا من ناحية الأثر ولا من ناحية العمق ، بحركة قاسم أمين .

وعملية التطور يستحيل أن تظل مستمرة في سيرها . إنها كثيراً ما تتوقف هنا أو تتباطأ هناك تبعاً للعوامل المثبطة أو المعطلة . وتاريخ الانسان ، أينما كان ، مكوّن من عصور أخلد فيها إلى الاستقرار ، وعصور أخرى أخذ فيها يتطور . والانسانية شاهدت عصوراً كثيرة خيل لها أنها دائمة : كالامبراطورية الرومانية ، والعصور الوسطى ومفاهيمها الدينية وأسسها الاقتصادية والاجتماعية والحقوقية والثورة الفرنسية ذاتها لم تكن سوى حلقة في سلسلة التطور . والمجتمعات الانسانية في الوقت الحاضر غنية جداً بالوسائل والأسباب التي تساعد على التطور وتنمي حركة الاصلاح . فاذا كان البارود والمطبعة استطاعا أن يقلبا أسس المجتمعات فيما مضى ، فما عسانا أن نقول في الأثر الذي تخلفه مخترعات هذا القرن ؟ !

إن الثورة التي تكون غايتها الاصلاح — لا الثورة فقط — لا ترى الحلّ الصحيح في الانقلابات السياسية التي تقتصر على إبادة الفئة الحاكمة أو تنحيتها وتتصف بالانتقام والفظاظة . لأن هذا الضرب من الثورة لا يرشح إلاّ عن النفوس التي أعمتها شهوة الحكم وعجزت عن الاحاطة بالمشكلة القائمة وتشخيص الداء ووصف الدواء . وإذا كانت لا ترى الاصلاح منوطاً بجهاز الحكم فانها لا تؤمن ان الاصلاح الحقيقي يهبط من لدن السلطة ، بل انه رغبة تنبت وتنمو في نفوس الأفراد والهيئات . إن جهاز الحكم الفاسد

الذي نشكو منه هو التعبير الصحيح عن الفساد في جسم الشعب ، وهو منبثق عن هيئة اجتماعية متقهقرة في مفاهيمها ، منحطة في مناقبها . والسعي إلى إزالة هذا الجهاز حقداً وانتقاماً دون الالتفات إلى تثقيف الشعب وترقية مفاهيمه وتهذيبها لا يجعل السواد بياضاً والمرض صحة إنما يحقق الاصلاح حقاً ، ويولد نهضة في الأمة رسالة جديدة ذات مبادىء صحيحة وصريحة ، تضع الحلول للمشاكل التي يتخبط فيها الشعب . وبقدر ما تهتم بمعالجة المرافق المادية ، تشتد في تعزيز المناقب والفضائل التي تسمو بالمجتمع . لأن أساس الارتقاء الانساني لا يكمن فقط في رقي الوسائل المادية ، بل يجب أن يصحبه تقدم أخلاقي وفكري .

واذا كانت بعض المجتمعات تتخبط في سيرها على غير هدى فلأنها فقدت مزيتي الجرأة والابتكار . فعلى الحركة الجديدة أن تكون جريئة على اجتثاث المفاسد ، لأن مهادنتها تجعلها تستفحل وتسود . ولا نقصد بالجرأة محاولة تجريد الانسان عن الماضي وسلخه عن تاريخه ، أو إمكان تجديد المجتمع كلياً بقوة القانون من ضمن نظرة خاصة تفرضها السلطة بقوة الحديد والنار . بل نقصد القضاء بحزم على المساوىء التي تخالف معطيات العقل وتنافي المصلحة القومية . وينبغي أن نوقن أولاً أن الاوضاع الراهنة ليست حتمية أو أزلية ، وليست الفضيلة أن أصون أنظمة لا أثق بها . بل يتحتم عليّ ، كمواطن ، أن أدفع هذه الأوضاع إلى الأمام لتصبح أفضل . ان روح المحافظة تؤدي إلي الانحطاط ، والشعوب التي تسيرها هذه الروح لا تستطيع الصمود في حلبة الصراع العالمي لأن الحياة صراع . وفي حياتنا ينبغي أن نخرج من تجربة لندخل أخرى في سبيل تصحيح الاخطاء التي ترتكب وتسير في موكب التطور . ويليق بالانسان أن يحطم قوقعة السكون والانفعال ، ليدخل نطاق الفعالية مسلحاً بالعقل والارادة .

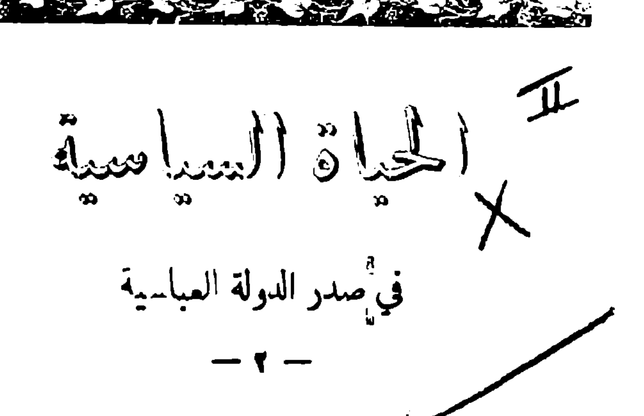
والاصلاح لايكون حقيقياً مالم يكن عاماً وأساسياً . إنه لا يعالج ناحية واحدة فقط من حياة المجتمع بل سائر النواحي . وليس أخطر على حياة الأمم من النظرات الجزئية التي تقوم حتماً على فلسفة خاطئة . وهذه النظرات تعتقد أن اصلاح نظام ما ، يكفي لاصلاح الحياة بأسرها وتكييف الاخلاق والعواطف . فالمادية التاريخية تظن ان في إصلاح النظام الاقتصادي ـ بانتزاع الملكية الخاصة وتحويلها إلى ملكية الدولة ـ ما يجعل الاصلاح يشمل جميع نواحي الحياة . ويرى البعض أن الشر يكمن في نظام الحكم أو في الهيئة الحاكمة ، ولهذا يكفي أن نأتي بنظام جديد وحكومة جديدة حتى تستقيم الامور .

إن حياة الانسان في سيرها المتصاعد تحتاج الى اصلاح شامل. والاصلاح لا يكون في معالجة الظواهر والنتائج بل في معالجة الأسباب والعلل التي نشأ عنها الفساد إن معالجة الظواهر سهلة لكنها ليست ناجعة، أما البحث عن الأسباب فانه شاق وطويل ولهذا لا يثمر الاصلاح الحقيقي بسرعة. وكثيراً ما يزهد الناس في النهضات الأصيلة التي تعالج جوهر الامور وتتأخر في جني الثمار، ويؤيدون الحركات التي تثمر بسرعة وان كان في قيامها كل الخطر على حياة الأمة. إن الاصلاح الحقيقي يبدأ بالمواطن على اعتبار انه علة كل شيء. فكل سيئة يشكو منها المجتمع في أي حقل من حقوله ليست الا صورة منعكسة عما يكمن في نفوس الأفراد وهذه النظرة لا تسيء الى مقام الانسان بقدر ما ترفع من شأنه.

وليس من مهمة الحركة الجديدة أن تحطم القيود التي كانت تكبلنا في الماضي لتستعيض عنها بقيود جديدة تكون أشد وطأة على الجسم والفكر، بل يترتب عليها أن تحطم القيود وتزيل المضايقات على أنواعها. وفي كل مرة يتمخض المجتمع عن حركة جديدة يجب أن نبحث عن الحرية في منهاج الحركة. فاذا لم تأت في رأس القيم التي يجب الصراع من أجل تحقيقها والمحافظة عليها تحتم علينا مقاومة هذه الحركة والقضاء عليها. إن الحرية أسمى القيم ولا يوجد ما يبرر تعطيلها. والحكومات التي تفرض فترة من التضييق على حريات الانسان الأساسية — قد تطول أو تقصر — تعود بالشعب الى الجمود، وتسلبه ما كافح وجاهد للحصول عليه.

إن الثورة لا تنشأ إلاّ عن الطغيان، ولهذا يحصل الانفجار من جراء الضغط، لكن الاصلاح لا ينشأ إلاّ في ظل الحرية، ومن جهة أخرى فانه يرمي الى إقامة دعائم حرية الجميع. ونلاحظ أن الاصلاح في البيئة الحرة لا يصاحبه انفجار عنيف، بل يتمخض عن سلسلة لا تنقطع من التطور المستمر نحو الأفضل وفي هذا الجو المفعم بالحرية تقتصر مهمة الانسان على وضع البرامج للتخلص من المساوىء ودعوة الناس الى تحقيق حالة أسمى وليس في التنبيه إلى الحقوق والواجبات واعلان الفساد ما يعتبر تحريضاً وحضّاً على الثورة العنيفة، وما لم نشد بنياننا على أساس من الحرية فان جميع المثل والعقائد تحتضر في ساحة الطغيان والظلم. وليست مشكلة واحدة تحل بالحرية، بل إن مشكلة الوجود الانساني بكامله لا نجد لها حلاً إلاّ من خلال الحرية.

إن الثورات الكبرى الحقيقية هي التي انبثقت من الفكر الذي اعتنق عقيدة وحمل رسالة. والانقلابات التي يمكن أن تصمد في وجه الزمان وتغير وجه التاريخ هي التي لا تتناقض مع الطبيعة البشرية والتي تؤمن بها الشعوب والتي تنبعث تدريجيًّا كلما أدركت قمة امتد بها النظر الى قمة أعلى، ووراء كل أفق تبصر آفاقاً جديدة أكثر اتساعاً وأبهى رواء.



الحياة السياسية

في صدر الدولة العباسية

— ٢ —

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

وفي عهد المعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩ هـ) اشتد الخلاف بين فرق الأتراك ، فطلبوا أن يكون القائد الأعلى للجيش أحد إخوة الخليفة ، وألا يرأسهم أحد منهم ، فولى المعتمد أخاه الموفق أمر الجيش والولايات عام ٢٥٧ هـ ، وبعد قليل أصبح السلطان الفعلى للموفق لا للمعتمد ، وصارت كلمته هي العليا على الأتراك وقوادهم ، فكبح غير قليل من جماحهم وأثر ذلك في حسن الأحوال قليلاً .

وسار المعتضد بن الموفق في خلافته (٢٧٩ – ٢٨٩هـ) سيرة أبيه ، فعمل على رفع شأن الخلافة ، والحد من نفوذ الأتراك بقدر ما استطاع ، ولم يحابهم على حساب القانون والعدالة ، فاقتص من تركي ارتكب معصية [1] ، وقتل قائداً تركيا قتل غلاماً له ومدحه ابن الرومي على ذلك [2] ، وفي المعتضد يقول ابن المعتز من أرجوزته في تاريخه :

قام بأمر الملك لما ضاعا وكان نهباً في الورى مشاعا

وكل يوم ملك مقتول وخائف مروع ذليل

وكل يوم شغب وغصب وأنفس مقتولة وحرب

(١) راجع أنوار الحاضرة جزء ١ ص ١٥٢ (٢) ديوان ابن الرومي ص ٣٠٣

وكم فتاة خرجت من منزل فغصبوها نفسها في المحفل
ويطلبون كل يوم رزقاً يرونه ديناً لهم وحقا
كذاك حتى أفقروا الخلافة وعودوها الرعب والمخافة

ومات المعتضد ، فسار ابنه المكتفي (٢٨٩ — ٢٩٥ هـ) في خلافته بسيرة والده ، من الحزم والعزم والاخذ على يد الأتراك .

وبعد وفاته ولى الأتراك أخاه المقتدر العرش بعده ، وكان طفلاً صغيراً ، وأيدوا عرشه ببطشهم وظل خليفة الى عام ٣٢٠ هـ

❖

وهكذا كانت أمور الدولة في العصر العباسي الثاني تسير في طريق بعيد عن المألوف وتتجمع كل سلطة ونفوذ في يد الأتراك ، الذين لم يبالوا بشيء في سبيل أهوائهم وشهواتهم واعتدوا على قدسية الخلافة وجلال الخلفاء . وكانوا كثيراً ما ينهبون الدور ، ويتعرضون للحرم والغلمان ، فكرههم الناس كرهاً شديداً ، وكان نفوذهم في الدولة جرحاً دامياً يؤلم كل عربي صميم ، حتى هجا دعبل المتوفي ٢٤٦ هـ المعتصم لشدة تعصبه لهم :

لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم وصيف وأشناس وقد عظم الخطب
وهمك تركي عليه مهانة فأنت له أم وأنت له أب

ويقول العلوي صاحب الزنج م ٢٧٠ هـ :

بني عمنا وليتم الترك أمرنا ونحن قديماً أصلها وعمودها
فما بال عجم الترك تقسم فيئنا ونحن لديها في البلاد شهودها
فأقسم لا ذقت القراح وإن أذق فبالغة عيش أو يباد عميدها (١)

وقد قام الشعب بعدة ثورات ، أهمها ثورة عام ٢٤٩ هـ التي اشترك فيها الجند الشاكرية ، وقضى عليها الأتراك بعنف وقوة . وقد حاول بعض زعماء الأتراك التخفيف من حدة شعور الرأي العام وبغضه لهم ، وقاموا بدعايات كثيرة ، كان من أبرعها رسالة كتبها الجاحظ بإيحاء الفتح بن خاقان وحاول بها إيجاد جو من الثقة والتفاهم والألفة بين الأتراك وجمهور الشعب وقد قدمها الجاحظ الى الفتح ؛ والظاهر أنه كتبها في أيام المعتصم ، ولكنها

(١) زهر الاداب جـ ١ ص ٣٣١

لم تصل إليه بفعل حاشيته من الفرس والعرب ، فأعاد كتابتها من جديد في عهد المتوكل، ودعا فيها إلى وحدة الاجناس والعناصر ، وأشاد فيها بالأتراك وبطولتهم الى حد بعيد [(١)] وهذه المحاولة وسواها من المحاولات قد فشلت جميعاً في الوصول الى الغرض المنشود.

وامتاز العصر الثاني بنفوذ الغلمان فيه ، وخاصة في آخره وعلى عهد المقتدر ، الذي كان عنده أحد عشر ألف خادم من الروم والسودان [(٢)] ؛ وتولى كثير من الخدم قيادة الجيوش وأهم الأعمال في الدولة ؛ كبدر غلام المعتضد ، الذي تولى قيادة الجند ، ونقش اسمه على الأعلام : وأبلى في خدمة مولاه بلاء حسناً، حتى قتل في سبيله عام ٢٨٩ هـ .

ونشطت النساء ، وكثر نفوذهن أيضاً في الدولة ، وكان معظم ذلك في عهد المقتدر لتسلط الخدم والحجاب .

وفي ظلال هذه الفوضى السياسية ، استقلت كثير من البلاد عن خلفاء بغداد ، وأهم هذه الدول المستقلة : الدولة الطولونية بمصر (٢٥٤ — ٢٩٢ هـ) وهي تركية ، والدولة الاخشيدية بمصر (٣٣٢ — ٣٥٣ هـ) ، وهي تركية أيضاً ، والدولة الطاهرية بخراسان (٢٠٥ - ٢٥٩ هـ) وهي فارسية، والدولة السامانية في ماوراء النهر (٢٦١ — ٣٨٩ هـ) وهي فارسية أيضاً، والدولة الصفارية بفارس (٢٥٤ — ٢٩٠ هـ) ، والدولة الدلفية بكردستان (٢١٠ — ٢٨٥ هـ) وهي عربية، والدولة العلوية بطبرستان (٢٥٠ — ٣١٦ هـ)

كما حفل العصر العباسي الثاني بكثرة ثورات العلويين وخروجهم على الخلافة ، مما نجد أخباره ونتائجه في مقاتل الطالبيين ، وسبب ذلك راجع الى اضطهادهم واضطهاد شيعتهم .

فقد كثر اضطهاد الشيعة في هذه الفترة الحافلة ، وأسرف في ذلك المتوكل على الله ، فانه لما تولى الخلافة اضطهد الشيعة ، وشدد النكير عليهم ، وصادر أموال العلويين وشيعتهم ، وغالى في تشريدهم ، وأمر في عام ٢٣٧ هـ بهدم قبر الحسين بكربلاء [(٣)] .

وكان الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم [(٤)] ، من حيث كان المأمون يرعى العلويين.

(١) راجع رسالة الجاحظ في مناقب الترك وهي في أول رسائل الجاحظ

(٢) راجع التمدن ج ٤ ص ١٧٥ ، وآداب اللغة لزيدان ج ٢ ص ١٥٤

(٣) ٢٨٩ ج ٣ محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية للخضري بك ، ١٩٠ ج ٧ وما بعدها ابن الاثير

(٤) العقد ج ١ ص ٢٤٩

ولا يؤذي أحداً منهم [١] .

وكان المتوكل يبغض المأمون والمعتصم والواثق لحبهم لعلي [٢] ، وكان شديد البغض لعلي وأهل بيته ، وذلك راجع لموضع دولته من الترك ولسلطان الأتراك في الدولة ، وتاريخ الأتراك مملوء بكرههم للتشيع والشيعة ، وبالحروب المتصلة بينهم وهم سنيون وبين الفرس وهم شيعة . وبذهاب الشيعة ونفوذهم من بغداد ذهب نفوذ الفرس منها ، وغلبت السنة على الدولة من ذلك الحين.

وسرت في الدولة بعد المتوكل موجة اضطهاد العلويين والشيعة ، فالمنتصر كان يقاوم العلويين كأبيه [٣] ، وتذكر بعض المصادر أنه أراد أن يحسن صلته بالبيت العلوي ولكن لم تطل مدته [٤] .

ولكن عهد المعتضد كان عهد خير على العلويين ، فانه لم يتعرض في أيامه لهم ولا آذاهم ولا قتل منهم أحداً [٥] .

وكان البعض يشفع على آل أبي طالب عند المكتفي فنهاهم عنه [٦] . . وعلى الجملة فان أغلب هذا العهد كان عهد محنة واضطهاد للعلويين ومن والاهم .



هذه هي أهم المظاهر السياسية والأحداث الكبرى في هذا العصر ؛ ولا شك أن لهذه الجوانب السياسية أثرها فى المجتمع وفي الثقافة والأدب والشعر ، مما سنفصل الكلام فيه في البحوث التالية .

(١) راجع مناظرة المأمون للفقهاء في تفضيل على ص (٢٧٩ — ٢٨٦ ج ٣ العقد)
(٢) ظهر الاسلام ص ٤١ ج ١
(٣) الادارة الاسلامية لكردعلي ط ١٩٣٤ ص ١٧٣
(٤) ظهر الاسلام ص ٤٤ ج ١
(٥) الفرج بعد الشدة ص ١٣٣ ج ١
(٦) الاغاني ص ١٤٣ ج ٩

من كتاب كليلة ودمنة



الكلب المخدوع

للأستاذ رضوان ابراهيم مصطفى

قال كليلة وهو يبصّر دمنة بشئون الحياة ، ويفتح عينيه على عجائبها ، ويستقبل به من شئونها ما خفي عليه ، ويوقظ فيه الوعي ، ويدرّب منه العقل على التفكير ، والرأي على التدبير : —

واعلم يا دمنة أن الحكيم جلت قدرته قد زوّد كل حيوان — في مملكتنا هذه — بغريزة ، هي سر بقائه وحفظ كيانه ، وهو بها ما هو ، وبدونها ليس هو ، وليس بشيء آخر غير ما هو ! !

فاذا تخلى عنها أو تخلّت عنه خرج من دائرة الحيوانية الى دائرة أخرى ، ربما كانت دائرة الجماد — بيد أنه متحرك ! !

ومملكتنا هذه — لكي تتيسر لها أسباب البقاء — لا بد أن تتحفز كل الغرائز المودعة في أفرادها لحياطتها وحمايتها ؛ فالفرد مفتقر إلى غريزته الخاصة ، يعيش بها ويهتدي بضيائها ، ويكيف حياته كيف وجهته ، وكيف سلحته بأساليبها لتذليل صعاب هذه الحياة .

والجماعة محتاجة إلى مجموعة الغرائز الفردية ، لتتجمع منها أساليب السلوك الجماعي ، لاحتفاظها بكيانها كتلة متماسكة متساندة في دفع الشر ، متعاونة في استجلاب الخير .

أما اذا اطرح كل منا غرائزه ، فأننا نصبح أشبه ما نكون بمملكة الهوام التي تتخبط على غير ضياء ، وتجري أمورها على غير ناموس — فيما نحسب .

قال كليلة : وأنت يادمنة فاحذر أن تخدع عن غريزتك ، أو تتهاون في الاعتصام بها لحظة ، فأنه لا أحد أضيع ممن ينزلق إلى ذلك ، ولو هيء له أن يصبح ملك الحيوان المتسلط على المصائر ، المتصرف في الأمور تصرفاً مطلقاً غير مقيد ولا محدود ؛ إذ هي التي تحفظ عليك الحياة ، وتمنحك القدرة على مجالدة عوادي الأيام وبأسائها ، وعلى مناهضة الغرائز المعتدية في المخلوقات الأخر .

فأذا تحللت منها ضعت في الغمار ، لجرفك التيار ، فلم تستطع الاحتفاظ بالكرامة ، إن احتفظت بك الحياة !!

ونصيحتي إليك — يا دمنة — أن تكون من عدوك على حذر أبد ؛ لا تأمنه ولو ضعف ، ولا تطمئن إليه وإن قرب ، ولا تغفل عنه مهما بعد !!

فأن فاجأك منه شر كنت على يقظة وتحفز ، فما خسرت شيئاً .

وقد قالت الحكماء : لا يؤمننك من عدوك ثغر ضاحك ، ولا خير طارىء ، ولا لين مصطنع ، ولا خدعة مزورة .

وقالوا : اخش العدو حتى كأنك تتوقع منه كل الشر في كل طرفة عين ، وكل خلجة نفس ، واستبسل في حربه مهما عنف ؛ فأن حذرك يضاعف قواك حتى تتقصف عليها سهام غدره .

وقالوا : « من الحكمة أن ينظر المرء فيما يؤثره من الأمر ، فيضع الخوف والرجاء فيه موضعه ،فلا يجعل اتقاءه في غير المخوف ، ولا رجاءه في غير المدرك .. وطالب الفضل بغير بصر تائه حيران . وأشد الفاقة عدم التعقل.

وإياك يادمنة أن تأمن مكر عدوك أو تخدع عن حقيقته ، وإلا وقعت في شراكه فغدوت فريسة له ، وكانت عاقبتك عاقبة الكلب المخدوع الذي غرّه دهاء العدو ، فلم يحفل بقول العلماء : « الحازم لا يأمن عدوه على كل حال ؛ إن كان بعيداً لم يأمن معاودته ، وإن كان قريباً لم يأمن مواثبته ، فأن رآه متكشفاً لم يأمن استطراده وكمينه ، وإن رآه وحيداً لم يأمن مكره» .

قال دمنة : وما عاقبة الكلب المخدوع ؟

قال كليلة : زعموا أن جماعة من الذئاب النهمة سطت ليلاً على حظيرة كبيرة من حظائر الغنم ، فأعملت فيها مخالبها وأنيابها ، تمزيقاً في اللحم ، وولوغاً في الدماء ، وفتكاً بالأرواح البريئة الهاجعة الوادعة ، وهتكاً لستار الليل الهادىء الساجي .

فلما أحس بها الكلب الحارس ، وفاجأه الثغاء المذعور يشق حجاب الظلام ، ويزلزل أرجاء الحظيرة ، ويزعج بأنغامه الحزينة سكينة السحر ، ويعلن بنواحه المفجع مصرع السلام في أمة الغنم — قام من رقاده مفزعاً ينبحها ، ويتحفز بها ، ويطاردها حتى أوشكت جماعة الذئاب أن تولى الأدبار ، لولا ذئب عجوز عركته التجارب وضرّس أضراسه حصرم الدهر ، ففكر وقدر ، وكان ذا حكمة وحنكة ، ودهاء وحيلة ، ولم يطل به الفكر ، حتى اهتدى إلى مفتاح المعضلة المحتدمة ، ففض أغلاقها ، وكأنما صب على ضرام الكلب المستعر جرة ماء أخمدته وطمرته في حمأة من الطين الأسود !!

قالوا : وانعطف الذئب الأريب إلى الكلب الثائر ، فتلقاه قائماً بين يديه ، متظاهراً بالخضوع المتزلف ، قائلاً : —

كيف تلقانا هذه اللقيا يا سيد الكلاب ؟ ونحن ما جئنا إلاّ لنخطب ودك ونضع بين يديك طاعتنا ، ونحمل إليك ولاء زعيمنا السرحان المهيب ، ونعلن في ساحتك إخلاص أمة الذئاب ، فقد سمع كبيرنا أنك زعيم الكلاب في هذه الديار ، فشرفنا بالسفارة إليك حاملين — باسمه — فروض الولاء ، وعواطف الصداقة ، والرجاء الآمل في أن تنال أمة الذئاب في رحابكم أمنها وطمأنينتها ، وأن تزول أسباب الجفاء التقليدي الذي وصمت به أمة الذئاب وأمة الكلاب على السواء ، وان تبدّد هذه الأحقاد التي توارثها القبيلان جيلاً بعد جيل ، من غير أن يدري أحد مأتاها ولا مذاهبها ، وان تقوم بيننا الصداقة الأكيدة ، والتآلف الدائم لخير الطائفتين .

ولقد بحث العلماء في مملكتنا ، ونقبوا واستقصوا . فلم يجدوا في الكتب ـ قديمها وحديثها — ما يبرّر هذا العداء ، بل — على النقيض من ذلك — اهتدوا إلى اننا أبناء فصيلتين متقاربتين — إن لم نقل : أبناء فصيلة واحدة !

ومنتهى ما وصلوا إليه من أسباب ظنية انه خصام استحدثته ملابسات حياتنا

وحياتكم منذ أنستم أنتم الى بني الانسان وظللنا نحن في وحشيتنا وجهالتنا ، واتصلت بينكم الأسباب ، فاستبدّ الانسان عطفكم وحدبكم على أمة الغنم التي زعم أننا أعداؤها وما كان لهذه الأمة التافهة أن تحول بين صداقتنا ، ولكننا لن نتوانى - في سبيل احتفاظنا بود سيدنا زعيم الكلاب — أن نقدم له ما يرضيه بشأنها ، وقد أمرني أمير الذئاب أن أؤكد لزعامتكم محافظتنا على أمة الغنم المشمولة بحمايتكم ، وتوفير الأمان لها اثباتاً لحسن مقاصدنا وخلوص طوايانا ، ونقاء سرائرنا .

وقد رأى زعيمنا اللبق أن من الكياسة والحكمة أن نمهر هذه الصداقة الجديدة بهدية ثمينة لائقة بمقامكم السامي ، ومنزلتكم الرفيعة في أمة الكلاب ، فحملنا اليك كومة كبيرة من العظام ، أوينا بها الى هذه الحظيرة مقر عرش سيدنا الهمام ، حتى يؤذن لنا بشرف المثول بين يدي مولانا ، وها نحن أولاء مقدموها في تواضع وخشوع وضراعة ملتمسين شرف القبول للهدية المتواضعة التي يرفع من قدرها حسن رضاكم عنها وجميل استقبالكم لها ، وقد قال حكيم الشعراء : ان الهدايا على مقدار مهديها !

وسمع الكلب هذا الثناء فابتهج ، ولمعت عيناه ببريق الخيلاء ، وانتفخت أوداجه ، واشرأبت معاطفه ، وصرت أذناه ، واهتز ذيله طرباً ، وأقعى على مؤخرته تيهاً وكبرياء ، ورق نباحه ورق ، حتى استحال أنغاماً من الترحيب والتودد ، لا يقطعها إلا اللعاب المتدفق غزيراً من جميع أنحاء فمه القرم ، وتخلت عنه كلبيته جملة حينما ألقى اليه الذئاب بعظام فرائسها من الأغنام الشهيدة .

فاستلذ واستساغ ، وظن - لفرط البلاهة - أن هذه الهدايا من أفخر ما تذخر به بلاد الذئاب لا من أشلاء حظيرته المنكوبة ومنى نفسه بالعظام الشهية التي ستمد له على سماط الصداقة الجديدة المباركة بلا انقطاع .

وبسط ذراعيه يأكل ، وخياله يسبح في جو من العظام الهائلة التي ستغدقها عليه المحالفة السعيدة التي ساقتها اليه السماء ويقفز به الخيال الجميل الى السيادة المطلقة على رعاياه الحدثين من أمة الذئاب التي أتته صاغرة تنشد سيادته ، وتبغي الخضوع لعزة جلاله المطلق .

وانهمك في عرق العظام والتهام ما عليها من نفايات الذئاب ! وأمعنت الذئاب في إلهائه واستغفاله واستغلاله وخديعته ، وانبعثت - في غفلته ولهوه - إلى بقية الحظيرة تعمل فيها أنيابها ومخالبها بقوة أعتى وأعنف وأشد ، وعاد الثغاء المستغيث الباكي أعلى مما كان

وأشد إيلاماً، وأجلب للشفقة والرثاء ولكن الذئاب تستبد وتضري، ولكن الكلب النهم تزوغ عيناه فيما يلقى اليه بين الحين والحين من فضلات الذئاب، فيترك هذه ليقع على تلك ويلقي بساق ليلتقط ضلعاً، ويرمي كتفاً ليختطف رأساً.. وهكذا . حتى أتخم .

وفزعت الذئاب حين سمعت صوته مستطيلاً، وحسبت أنه ثاب إلى رشده، وتوقعت منه الشر، ولكنها اطمأنت لما علمت انه كان يتثاءب، ثم . ثم نام ! ولم يعد يعد ثغاء الشاء الا أحلاماً سعيدة تتردد من بعيد في مسامعه، وكأنها هتاف الرعايا، وأناشيد الوفود الوافدة بالولاء والهدايا وكومات العظام ! !

وكذلك شغل الكلب عن مهمته بالعظام والأحلام، حتى أتت الذئاب على ما في الحظيرة من شاء، فلم تبق فيها سمينة ولا عجفاء !

وخرجت جماعة الذئاب تلعق شفاهها، مرحة ضاحكة من حمق الكلب، تهتف لصاحب الحيلة، وتسخر من صاحب الغفلة، وتقهقه ملء أشداقها فيتردد الصدى هزيماً في مسامع الكلب النائم المثقل، فيتخيله دعاء الولاء والبركات، ويتسمعه وكأنه اصطكاك العظام الفاخرة المتراكمة المحمولة من بلاد الذئاب مع الوفود الوافدة بالولاء والهدايا وكومات العظام. ولم يوقظه من أحلامه الخصبة في الصباح إلا عصا الراعي المغيظة، تصك منه الضلوع فتقضقضها، وتنفذ إلى موضع القلب منها، فتهتك حجابه وتمزق احشاءه، فلا تترك له فرصة من الدنيا الا ريثما يفتح عينيه على الحظيرة فيجدها خواء.. الا بقايا من الأصواف المتناثرة، والدماء المطلولة، والقرون الدامية، والأظلاف المبعثرة !

وإلا ريثما يعوي عوة نادمة نادبة، يخرج معها آخر أنسام الحياة !

فهذا جزاء من يخدع عن نفسه، ويأمن عدوه، ويتورط ببلاهته وحمقه في المهالك .

قال دمنة : حقاً، إن الحذر من العدو إيثار للعافية، وطريق إلى السلامة، والعاقل من وُعظ بغيره !!







غرائب طبائع الحشرات

الحشرات التي تعيش على الماء « الجاف »

للاستاذ امين عبده

قد يبدو هذا التعبير غريباً على السمع وقد لا يصدق البعض بأن الابرة اذا وضعت على سطح قدح مملوء بالماء فانها تطفو على وجهه . ولكنها حقيقة لا ريب فيها . فلو أمسكت الابرة من وسطها بين السبابة والابهام في وضع أفقي تماماً . ثم أدنيت من سطح الماء واستقرت عليه برفق فانها تطفو فوقه بغير أن تبتل . وتبقى على هذا الوضع طالما ظل القدح بمنأى من الحركة والاهتزاز . وهذا ما يبعث على التصديق بأن للماء سطحاً جافاً . إن صح هذا التعبير .

وعلى هذا فان عدداً كبيراً من الحيوانات والحشرات المختلفة يتوقف أمر بقائها أو فنائها على ما للماء من بلل وجفاف لأن عدداً كبيراً من تلك الكائنات الحية تعيش فوق هذا السطح الجاف ولو أنه غير مستقر . يعلوها الهواء من فوق وأعماق الماء من أسفل . وتحتل وهي في هذا الوضع سطوح مياه البرك وجداول الماء والبحيرات حتى مياه المحيطات .

ويعتمد معظم تلك الأحياء في السير على الماء على ما لأرجلها من زغب شمعي يقاوم البلل . وأوسع تلك الحشرات شهرة هي الحشرة « واسعة الخطى » ذات الأرجل الاربعة الجانبية والاثنتين المتدليتين مما يلي رأسها من أسفل . فان أرجل هذه الحشرة مغطاة بزغب مغشى بطبقة دهنية لا يقوى الماء على أن يتخللها . وهي في أثناء سيرها تضغط على سطح الماء فيتمدد وينخفض تحت أقدامها . وهذا التمدد هو العامل على حملها وثمة عامل آخر هو ضرورة بقاء سطح الماء في مستوى أفقي واحد .

وتستعمل الحشرة ذات الخطى الواسعة أرجلها الأربعة الاماميتين والخلفيتين لحفظ توازن جسمها فوق السطح الأملس للماء بينما ، تقوم الرجلان الوسطيان بوظيفة مجدافين للسباحة . وبذا تصبح في أمان سواء أ كانت فوق ماء ساكن أم جار . كثيراً ما تتربص لبعض الذباب فتقتنصه .

ومما يستدعي النظر حقاً مشاهدة الحشرة وفيما تقوم بتنظيف جسمها . فهي تنحي رجليها المجدفتين وتخفض رأسها حتى لتكاد تلمس الماء،ثم ترفع الرجلين الخلفيتين وتفرك بعضهما ببعض على نحو ما تفعل الذبابة . وبعد ذلك تتركز بجسمها على الرجلين الأماميتين وعلى أخرى خلفية وتقوم الرجل الوسطى مقام حبل السفينة . ثم تعمل كل من الرجل الخلفية والوسطى من الجهة المقابلة على تخليص الجسم من الأوساخ بحركة أمامية وخلفية . وبعد ذلك تعتمد بجسمها على الرجلين الوسطيين والخلفيتين ، وترتفع بالجزء الامامي من جسمها مع الرجلين الأماميتين وتتم عملية التنظيف .



أما الحشرة البقية فلكي تقوم بمثل هذا العمل فانها ترقد على جنبها فوق الماء وتقوم أرجلها بعملية التنظيف بسهولة تامة . وهكذا تعيش الحشرات على سطح الماء معتمدة على أرجلها الممتدة من الناحيتين نحو الخارج .

وتعتمد الحشرات المختلفة في غذائها على ما يتساقط من الجو على الماء فتبادر لالتقاطه .

أما في وقت هطول الأمطار شتاء فان الحشرات ذوات الخطى الواسعة تزحف مسرعة نحو الشاطىء وبالرغم مما حبتها الطبيعة به من المناعة فقد يصيبها البلل أحياناً . ومع قدرتها على مغالبة التيار فقد يسقط بعض البق المائي في الماء . وعندئذ يجذف حتى يبلغ الأرض ليجف ثم يستعيد نشاطه .

وثمة نوع آخر من الحشرات صغير الحجم سنجابي اللون يقتحم البحار . وانه ليرى أحياناً على مسافات كبيرة من الشاطىء راكباً بعض أوراق الشجر كأمهر الملاحين . غير أننا نجهل ما يصيبها اذا أدركها المطر أو لعبت بها الأنواء . كثيرا ما تسبح تحت سطح الماء طلباً للغذاء فاذا ما أصابت منه شيئاً انقلبت بجسمها لالتقاطه . ويعيش الكثير منها ويتوالد وهو على بعد مئات الأميال من الشاطىء . وتلقي تلك الحشرات بيضها فوق بعض الحشائش البحرية التي تصادفها . أو على الريش الساقط على وجه المياه من

لبور البحرية .

وللعناكب البحرية والعث نفس وسائل الوقاية وأساليب المعيشة التي للحشرات ذوات لطي الواسمة الآنفة الذكر . وكثير من أناثها تضع بيضها في داخل كرة هلامية ملساء مل على سحبها وراءها أينما ذهبت حتى الى خارج الماء . ويتخذ نوع منها وهو المسمى دولوميدا « Dolomeda » نفس الطريقة . وهي التي يبلغ مدى الانفراج ما بين أطراف بقانها في الأنثى الكاملة النمو نحواً من بوصتين أو يزيد .

وأشهر أنواع عث الماء نوع ذو جسم كري زغبي كالقطيفة ولونه أحمر لامع يبلغ قطره نحو ربع بوصة . يجري على الماء بأرجله الثمانية القصيرة في سهولة ويسر حتى ليكاد الرائي يحسبه زلق على الماء ، وغالباً ما يغوص في الماء مستعيناً ببعض النباتات البحرية .

وتستطيع بعض الحشرات المائيـة القفز فضلاً عن السير فوق سطح المـاء . وثمة نف منها له أرجل كأرجل الجراد تعينها على القفز . ولذنبها الطويل الشبيه بالبرغي الزنبرك) في حركته خاصية فذة في الانسجام أثناء القفز . وهي غريبـة في مظهرها بين رائف الحشرات وبعضها يثني ذيله تحت جسمه ويستقر فوق الماء غالباً على أرجله الستة نصيرة والتي تمتد لجأة الى الخارج لدى الرغبة في القفز .

ومنها نوع يستطيع بطرف ذنبه المنحني تحته اصطياد حشرة ما بحركة خاصة حيث نقض على الفريسة انقضاض الفخ على الفأر — وله بأسفل الذنب المذكور وبقرب عضلة به أنبوب يعين العضو على تأدية وظيفته . وهذا الأنبوب اذا بلل بالماء اتخذته الحشرة رساة لها .

❖

وتعيش تحت سطح المـاء من الـكائنات الحيـة سلالات تدعو الى العجب . فقد لاهد بين الفينة والفينة قوقعـة وقد تسلقت ساق أحد النباتات البحرية وطفت فوق سطح، ثم تقوم بحركة التفاف على نفسها وتعود غائصة الى جوف المـاء حاملة قدراً من هواء بداخل غلافها لكي تتنفس القواقع التي في القاع منه .

وفي المياه القليلة الغور يوجد نوع من الحيوانات يشبه قواقع البرك إلا أنه أصغر جماً وجسمه مسطح جداً ويغلب على الظن أنه من فصيلة الديدان . ولهذا الحيوان على ظهر عدة عيون تبدو في وضع متقاطع على ظهره المرقط . ولذا فهو أبداً موضع

تعجب الطلبة علم الحياة . وترى دائماً في معاملهم لدراسة طبيعته . — وهو ذو تكوين بدائي جداً فاذا فُصل جزء من جسمه فصلاً تاماً وترك لشأنه نما وتكون منه حيوان كامل .

وثمة حيوان آخر قابل للتجدد بصورة واضحة يسمى « هيدرا » Hydra والذي سماه بهذا الاسم رجل اكتشف فيه ظاهرة عجيبة ، هي أنه فصلت رأسه عن جسمه وترك شأنه لتجدد له رأس آخر . والذي أوحى إليه بهذه التسمية هي الأسطورة اليونانية القديمة من الحيوان الضخم ذي الرؤوس المتعددة المسمى « بالهيدرا » .

ويشبه هذا الحيوان في مظهره المظلة المنشورة وهي بغير قماش — فهو عبارة عن ساق ذي قدم مفرطحة وأذرع طويلة ، والأذرع هي أعضاء الحس له ، وبأطرافها نقر أو تجاويف لاقتناص الأحياء المكروسكوبية التي يعيش عليها . وترى بين الأذرع المذكورة فتحة في جسمه تمتد الى الداخل ، وكثيراً ما يشاهد عالقاً بقدمه بداخل السطح الجاف للماء متشبثاً بمادة يأتي بها من أسفل وينشرها على السطح وهي مقاومة للماء فتقصيه من محيطها وتظل طافية فيتعلق بها .

ويقوم غذاؤه على حيوانات قشرية لها ولع غريب بالتشبث بباطن الطبقة السطحية للماء واحدها المعروف باسم « اسكافوليبيرس » له شعر خشن شائك به يتعلق بقرونه الطويلة وهو يتغذى أيضاً بعشب البحر القائم من أسفل كذا بمادة التلاقيح العائمة في الماء وغيرها مما هو سابح تحت سطح الماء كما يتغذى أيضاً بنوع من الحيوانات القشرية المسماة « بوسمينا » اذ تقع في شركه أثناء محاولتها اجتياز سطح الماء .

وتحتاج الحشرات الكثيرة المتنوعة التي تعيش في البرك وجداول المياه الى استنشاق الهواء، فنها ما يصل الى سطح الماء وينفذ خلاله بأنبوب خاص لتفريغ الهواء المختزن تحت أجنحتها أو في قصبة التنفس واستبداله بهواء جديد ، وبعضها له شبه عضو دقيق يتمدد وينفذ من هذا السطح وبه يواصل التنفس بينما هو يواصل التنقيب في الحمأة عن الغذاء .

ومن عجائب المخلوقات خنفساء الماء وتسمى بالدوارة . تعيش الجانب الأكبر من عمرها في البرك فوق سطح الماء . ولظهرها طبقة دهنية لا يؤثر فيها الماء ، وهي حشرة مزدوجة أي نصفها الأعلى جاف والنصف الأسفل مبلل بالماء . حتى أن عينيها منقسمتين الى شقين . فبالشق الأعلى ترى ما فوق سطح الماء . وبالشق الأسفل تشاهد ما يجري

تحته . وهي تستخدم أقدامها كمجاذيف .

والسطح الجاف للماء هو حد فاصل للحشرات التي تبيض في الماء . كما أنه يهيء مجالاً لا آخر له من مختلف الحلول والتأويلات لمسألة مما يقع تحت الحس . وقد يكون من أيسرها أمر تلك الحشرة المائية المسماه بخنفساء ورقة السوسن . فهي تقف على ظهر الورقة وتثقب فيها ثقباً يتسع لأن تدلى الجزء البارز من بطنها نحو الماء وهي آمنة مطمئنة وتضع صفين من البيض في الماء .

وبعض الحشرات عندما تكون الواحدة منها على وشك أن تبيض فانها تطوي جناحيها حول جسمها كالعباءة محتفظة بفقاعة من الهواء ثم تزحف فوق بعض النباتات وتنحدر الى أعماق الماء لتضع بيضها ، ثم تعود قافلة اذا أتيح لها النجاة من عدوان الحشرات الأخرى عليها .

لو ألقيت قطعة من الكافور في طبق مملوء بالماء فانها تدور حول نفسها وتتحرك حركات مضطربة وكأنها مدفوعة بقوة خفية . وحقيقة الأمر أن قطعة الكافور في حركتها تذوب في الماء المجاورة لها مباشرة وبذا تضعف فيه قوة الجذب كثيراً فتجذب نحو الماء الذي لم يتأثر بذوب الكافور فيه . وبعبارة أخرى أن الباعث لها على الحركة هو عدم التكافوء بين سطح الماء المحتوي على ذوب الكافور وبين الماء الخالص الذي ما زال محتفظاً بخصائصه الطبيعية .

وقد توسلت بعض الخنافس الجوالة المسماة « ستيناس Stenus » في تنقلاتها بمثل تلك الوسيلة . وهي نوع صغير نشط وليس لأقدامها شعر شمعي يقيها البلل فاذا سقطت احداها في بركة ماء أو نحوها فانها تستعين على السباحة في الماء بأن تفرز مادة من شأنها أن تؤثر تأثير الكافور المذاب في الماء . وهذا الافراز تفرزه هي من خلف بينما يكون الماء من أمامها باقياً على حالته الطبيعية فيسحبها الى الأمام وتوالي السباحة على هذا النحو بغير بذل مجهود ملحوظ ما دامت دائبة على افراز تلك المادة .

(مترجمة عن مجلة « سا ينس دايجست » الانجليزية)



الظل المنحسر

للاستاذ حسن كامل الصيرفي

ذهبَ الظلُّ الذي كان هنا   نعمةً من رحمة الله بنا
ذهبَ الظلُّ وعمري لم يزلْ   ظاعناً يشكو الصدَى والوهنا
طاوياً في كل يوم رحلةً   تنشرُ الغيبَ وتطوي الزمنا
الوداع المرُّ أسقاهُ بها   وأنا أقتاتُ منها الحزَنا
كم عزيزٍ في ثناياها مضى   كان دمعي غُسلَه والكفنا
الصحارى الصُّفْرُ حولي قصةٌ   أنا أدري منتهاها المُحزِنا
مدَّ راويها مداها ، ولقد   أرهقَ النفسَ وأوهى الأذُنا
ملَّها السُّمَّار حتى انتبهوا   ونداء الفجر فيهم أعلنا ...
ما مسيري في طريقٍ عبرتْ   تربةٌ قبلي دهورٌ ودُنى !
فَنيتْ من قبل أنْ تدركه   وخبا في ليلها كلُّ سنا
أنظرُ الأشباح فيه ذرَّةً   من هباء في فضاء شُحِنا
لستُ أجني من تراه ثمراً   غير كدٍّ وشجونٍ وضنى
رحلتي طالت ، وطالت غربتي   فتى يا روح ألقى الوطنا ؟ !

◎

كان لي ظلٌّ اذا اشتدَّ اللظى   أوت الروحُ اليه لحنا ....
كان لي ظلٌّ اذا امتد الدجى   وجد القلبُ لديه المأمنا
كان لي ظلٌّ إذا عاصفةٌ   زمجرتْ أسمعني لحن المُنى
كان لي ظلٌّ إذا اليأس طغى   ردَّني بعد ضلالي مؤمنا

ذهبَ الظلُّ فلا مأوى هنا ... لغريبٍ ليس يدري السَّكنا
الهجيرُ المستبدُّ استعرت ... نارُه تشوي وهبَّتْ ألسُنا
وأنا تلفحُني النارُ ولا ... أجدُ الظلَّ الذي كان هنا
حائرَ الطرفِ أداري حيرتي ... بالسكون الجهم حتى تسكنا
وأرى موكبَ ليلي زاحفاً ... أسودَ الجبهة يطوي الحزَنا
قاسياً يقصف في خطوته ... كلَّ عودٍ كان مأمول الجنى
موحشاً تزحف في ظلمته ... أرجلُ الوهم غلاظاً خُشُنا
عابساً أوشك من سحنته ... أن أراه ناقماً مضطجعا
غارت الأنجمُ إلاّ خادعاً ... حيَّر العقلَ وأعشى الأعينا

◎

عبدَ الناسُ حياةً ضلّةً ... وأنا أجحد هذا الوَثَنا
حيرةٌ طالت على أصحابها ... كلٌّ من فيها ينادي : منْ أنا ؟
ذهبَ الآملُ فيها يائساً ... وذوى المأمولُ فيها وانحنى
يهدم اليومُ ، وفي سخرية ، ... ما أقام الأمسُ فيها وبنى

◎

ذهبَ الظل ، ولمّا أسترحْ ... من عناء السير إلاّ موهنا
ذهبَ الظلُّ الى بارئهِ ... فقضتْ أمي وودَّعتُ المُنى
جنّتي كانت ولكن ذهبتْ ... من أمامي مثلما يخبو السنا
لم تكن إلاّ جفوناً أغمضت ... وروًى قرّت ، وروحاً سكنا
ثروةً كانت ... وما أغبنني ... في تراب الأرض واريتُ الغنى !
[illegible] عندي من ثرى ... دُفنت فيه أحبّائي هنا

الزراعة

في أندونيسيا

— ٤ —



للأستاذ أحمد رطب التنوري

وزراعة القطن في أندونيسيا لها مستقبل باهر إذا زادت العناية وعمت الروح الاقتصادية واتجه الاهتمام إليها ، ولعل أهم نوع من القطن هناك نوع ذو تيلة قصيرة يدعى (كابوك Kapok) وانتاج اندونيسيا من هذا الكابوك يعادل نحو ثلاثة أرباع المحصول العالمي منه ، ولا تتماكس الأرض الأندونيسية أو المناخ الأندونيسي مع زراعة الجيد من القطن .

ويقول الأستاذ ابراهيم عثمان في كتابه (بعثة زراعية الى جاوه وسنغافورة وسيلان) عن الكابوك : « والكابوك أو القطن الحريري محصول ذو أهمية كبيرة وتكاد تحتكره هذه الجزيرة — ويقصد بها جاوه — ويستخرج من ثمار شجرة Ceiba pentandra . وللأوبار قيمة اقتصادية مهمة فهي تستعمل في حشو المراتب ومناطق النجاة (Life belts) ويستعمل الكابوك أيضاً كحاجز (Insulater) ذي قيمة عظيمة وخصوصاً في ملابس الطيارين ولعزل الصوت وللترشيح وكفتيل في الجروح إلى غير ذلك » هذا ما قاله الأستاذ ابراهيم عثمان عن الكابوك وعن الأوبار وأهميتها في أندونيسيا في ذلك الكتاب السالف الذكر .

وهنا أقول : إن الأراضي الأندونيسية من الأراضي التي تنجح في زراعة الجوت تلك المادة الليفية الصفراء التي لها أهمية كبيرة في عالم الاقتصاديات سواء في السلم أو في الحرب ، كذلك استطاعت هذه الأراضي الأندونيسية أن تنجح في زراعة السيسال Sisal وفي زراعة القنب . وفي نهاية القرن التاسع عشر أدخلت زراعة المطاط

في اندونيسيا ولاقت نجاحاً باهراً وأنتجت محصولاً وافراً قدر بنحو سبعين في المائة من المحصول المطاطي العالمي، ويبلغ انتاجه حوالي ستمائة ألف طن في العام الواحد.

والمطاط ما هو إلا عصارة للاشجار والنباتات التي تزرع في المناطق الاستوائية والمدارية والمعتدلة أيضاً، بيد أن نباتات المناطق الحارة تفوق الاخريات في جودة المحصول المطاطي، ولعل عصارة أشجار الهيفا Hevea هي أجود أنواع المطاط، ويطلق الهنود الذين يقطنون أمريكا على هذه العصارة اسم (دموع الشجر Cahuchu) كما أن اندونيسيا تزرع أنواعاً كثيرة من الصمغ كصمغ جاوه وغيره، واستطاع الأندونيسيون أن ينجحوا في زراعة المطاط واستخراجه، ومن صفاتهم المهارة وهي ما يتطلبه المطاط في زراعته.

والشركات الأجنبية تعمل عملها في محصول المطاط حتى زاد الانتاج وقلت أسعاره في الأسواق وخشيت بريطانيا وهولندا، فقدم مشروع تحديدي لتطبيقه في الأراضي الأندونيسية وهو خاص بتحديد زراعة المطاط لضمان ارتفاع أسعاره وما يترتب على ارتفاع السعر من حفظ للتوازن المالي وليس أدل على ذلك من المشروع المسمى Stevenson Scheme أي مشروع ستيفنسون الذي توسلت به الشركات الهولندية والانكليزية لتحديد زراعة المطاط، ووزعت طبقاً لذلك بطاقات رسمية كبطاقات التموين التي استعملتها الدول بعد الحرب الكونية الثانية. وقد حاولت بريطانيا ايجاد اتفاق دولي يضمن اطراد زيادة صندوقها الرأسمالي، وقد تم لها ما أرادت في شهر مايو عام ١٩٤٣ حين وقعت الحكومات التابعة لبريطانيا وهي بورما وشبه جزيرة الملايو وشمال بورنيو وسيلان كما وقعت الحكومة الهولندية في جزر الهند الشرقية وحكومة سيام والهند والهند الصينية من الحكومة الفرنسية على الاتفاق الدولي التحديدي للمطاط والتنظيمي لتصديره. ويوجد أيضاً في الأراضي الأندونيسية أشجار تسمى (لوز جاوه Canarium Commune) وهذه لها لب يأكله السكان كما أنها تنتشر كثيراً في المناطق الاستوائية.

وهناك نوع يضرب رقماً ملموساً في الغرابة، ذلك هو نبات الرفلسيا Rafflesia وهو نبات طفيلي منتشر إلى جوار نباتات طفيلية كثيرة أخرى.

ولقد آن أن تستخدم الآلات الحديثة في الزراعة على نطاق واسع، وأن يجدّ العلماء الزراعيون كل الجد في الحصول على الوسائل الجديدة المفيدة وأن نوفر صنوف العناية

بالفلاح وبالانتاج ليرتفع المستوى الاقتصادي في هذا البلد الشرقي الكبير .

ويجدر أن يلتفت الزراعيون بعين التمعن والاقتباس إلى أمريكا من الناحية الزراعية ، ومما تجدر الاشارة إليه أن كل بلد في هذا العالم يستطيع أن يتمعن ويستطيع أن يحقق ويطبق كل جديد مع مسايرة البيئة وملاحظة التدبر وانتهاج التدبير . على أن مهمة الفلاح لا تقتصر على الزرع والمزروعات فحسب ، بل يجدر أن يهتم الفلاح بالماشية كل الاهتمام حتى نعود عليه ألبانها ونتاجها بكل خير عميم ، كما يجدر أن يتوجه شطر الطيور وبيضها والفواكه وصناعاتها ، على أن هنالك من الطرق الحديثة ما يكفل لكل فلاح معاصر أن يحيا الحياة المرجوة بين أحضان السعادة والانتعاش الذهني والحيوي .

ومن أهم الامور والملاحظات التي نلمسها في الزراعة الأندونيسية والتي ندعو إليها تعمل بها هذه الزراعة ذلك التعاون . وهذا التعاون أمر هام كل الأهمية ، في الزراعة ، لينتبه إليه الاندونيسيون وليوجهوا إصلاحهم الزراعي وجهته حتى يكون عنصراً مالاً في رقي هذا الاصلاح . ولزراعة الأرز مثلاً أثر كبير في الشعب الذي يزرعها، أندونيسيا ، فهذه الزراعة تتطلب التعاون ومتابعة الأرض بالجد والاجتهاد والمثابرة النظام أيضاً .

وبذلك يرى القارىء المهتم من الفصول التي قدمتها عن الزراعة في اندونيسيا أن هذا لد مهتم في زراعته ، وراق أيضاً ، وأمامه مستقبل في الاقتصاديات كلما تقدم الزمن ، إنه ليحق للانسان أن يعجب حين يدرك أن أغلب المزروعات باختلاف أنواعها موجودة الاراضي الاندونيسية بانتاج وافر وأهمية بالغة ، مما يدعوا الى اقتران الذهن بأمل بر في حاضر الزراعة في أندونيسيا وفي مستقبلها أيضاً . فنحن نجد الفواكه بأنواعها كثيراً من الحبوب وكثيراً من المزروعات التي تستغل في الصناعة ، كما نجد الألياف لطاط ، هذا علاوة على بعض نباتات طفيلية وغير طفيلية تنبت في أرض اندونيسيا من . زراعة . ولو تطلعنا الى الأشجار في أندونيسيا لوجدناها كثيرة متنوعة ، وهذا ستاذ ابراهيم عثمان يقول في كتابه (رحلة الى جاوه وسنغافورة وسيلان) إن : (جاوه ة بثروتها النباتية وينمو بقرب سواحلها الممطرة أشجار يطلق عليها اسم المونجروف Mongr ومن أهم أشجارها البروجيرا Bruguièra وهي تنمو في المنطقة التي تغطى بماء ر وقت المد وتنحسر عنها المياه وقت الجزر ، ويلي ذلك مجموعة أخرى من النباتات ى البسكابريا Pescaprea نسبة الى نبات الايبوميا بسكابريا Ipomœa Pescaprea وهو ر هذه المجموعة .

الحياة الأدبية

في عدن

للأستاذ علي محمد لقمان

قليل هم الذين يعرفون شيئاً عن سكان جنوب الجزيرة العربية، فقد ظلت نواحي الجنوب في عزلة موحشة زماناً طويلاً، ولم تقم فيها صحافة تصلهم بإخوانهم العرب في شمال الجزيرة، ولم يخرج سوى عدد قليل من الجنوب الى البلاد الأخرى، وندر من فارق بلاده لغير شأن تجاري بحت. بيد أن هـذه العزلة أخذت تزول، وطفق أهل الجنوب يشعرون بضرورة الاتصال بالخارج، والتمشي مع الروح الجديدة، وزاد الحاح هـذا الشعور بما أسفرت عنه الحرب من مشروعات عربية استقبلها عرب الجنوب بالغبطة والترحيب.

لقد امتازت كل من اليمن وحضرموت بعلماء كبار في علوم الفقه والتشريع، وامتازتا أيضاً بلغويين فطاحل وشعراء ملهمين. ولكن عدم وجود المطبعة في تلك النواحي غمر ثمرات قرائح هؤلاء الرجال.

وكانت عدن ولا تزال مركز اتصال جنوب الجزيرة بالعالم الخارجي، فهي ملتقى السفن بين الشرق والغرب، وهي المركز التجاري الكبير، وهي فوق ذلك « جبل طارق الشرق » بلغة الحرب. وبطبيعة البلاد الصحراوية وطبيعـة مركزها التجاري والحربي، انصرف أهلها عن كل شيء غير العمل ولم تتألق فيها حياة أدبيـة في الأزمان الحديثة، بينما كانت الحياة دائماً في حضرموت واليمن أنشط منها في عدن، فقد ألف الناس فيها المجالس والاسمار لبحث المسائل الأدبية والمساجلات الشعرية وتبادل الطرائف الفقهية

وبانتهاء الحرب العالميـة الأولى بدأ الناس في سائر بقاع العالم يطالبون بحقوقهم، واتصل بعض العدنيين المخلصين بزعماء القضية العربية فكان هذا الاتصال مستهل الحياة التي نراها في عدن اليوم، فقد تم بفضله تأسيس أندية أدبية واصلاحية كان لها أثر بعيد في توجيه الرأي العام وتعريف الأمة بأحوال البلاد الأخرى، وقد ساهم في هـذا التوجيه وصول الصحف المصرية باستمرار، وأخذ بعض الرجال يشعرون بالحاجة الملحة لتأسيس صحيفـة في عدن تعبـر عن رغبات الأمة وآمالها وشكاياتها. وكما أثرت الحرب في بقاع

الأرض كان أثرها في عدن عظيماً أيضاً ، فقد كشفت للناس عن مدى تأخرهم في القافلة العالمية ، فأدركوا أن الحياة الصحيحة غير ما كانوا يعتقدون . وفي عام ١٩٣٨ اجتمع لفيف من شباب عدن وقرروا تأسيس ناد أدبي باسم « مخيم أبي الطيب » . وفي عام ١٩٣٩ صدر الأذن باصدار أول جريدة عربية عدنيـة باسم « فتاة الجزيرة » يحررها الأستاذ لقمان المحامي — رئيس مخيم إبي الطيب .

وقد امتاز مخيم أبي الطيب بنخبة من الشباب ، ويندر أن تجد بين أعضائه من هو فوق الخامسة والثلاثين . وامتاز عن سائر الأندية في عدن بأن على كل عضو فيه أن يحاضر ولو مرة في كل ستة شهور ، والمحاضرات الأسبوعية حتمية ، وقد وضع هـذا النادي أغراضاً ثقافية أدبية أهمها ايقاظ الرأي العام . وتبصيره بالأمور العامة، وقد زاد من قيمته انه يضم أبناء أكرم الأسر العدنيـة وكلهم مؤمنون انهم بهـذا النادي يقدمون لبلادهم أسمى الخدمات.

وعلى أثر ذلك اجتمع لفيف من شباب مدينـة « التواهي » - وهي ميناء عدن — وأقاموا « حلقة شوقي » على طراز « مخيم أبي الطيب » وقام بعض أدباء اليمانيين فأسسوا « كرمة أبي العلاء » وتجنبت هذه الجمعيات الثلاث شؤون السياسة وقصرت جهودها على الثقافة والأدب ، وعدن في هـذا الطور من حياتها أحوج الى التعليم والتثقيف منها الى أي شيء آخر .

ومن الواضح أن مثل هذه الحركات تلاقي ما تلاقي من الاضطهاد فهناك المدرسة القديمـة التي يؤذيها كل جديد وهناك أوضاع وتقاليد يتشبث بها بعض الجهلاء فيحاربون من يدعو إلى الخلاص منها . ولـكن المخيم والحلقة رغم قلة أعضائهما تضافراً على البقاء تجاه الأعاصير. وقد اتضح بعد عراك عنيف انهما ناديان نافعان فأقبل الشباب عليهما اقبالاً يبعث على الارتياح وتمكن المخيم من اصدار الجزء الأول من سلسلته « اقلام المخيم » ، وأعضاؤه يشتغلون في اصدار الجزء الثاني ، ويتناول الأعضاء مشكلاتنا الاجتماعية والأدبية بروح البحث والاصلاح وقد أصبح المخيم ملتقى كثيرين من أبناء اليمن وحضرموت ، والمأمول أن يزيد اتصال الادباء في عدن بأدباء القطرين حضرموت واليمن لينهض الجنوب نهضة واحدة

ورأى أعضاء المخيم أن أغراض ناديهم تتطلب مشروعات انفع مما كانت عليه فأقاموا جمعية لمساعدة أبناء الفقراء من طلبة المدارس وجمعوا لها تبرعات المحسنين فحالوا بعملهم هذا دون خروج كثير من الفقراء من المدارس. ولم يكتفوا بتزويد الطلبة بالكتب والنفقات المدرسية بل زادوا احسانهم فخصصوا للطلبة الفقراء ملابس وأحذية وبعض النفقات الأخرى .

وفي نفس الوقت انشأ أعضاء المخيم لجنة خاصة للترجمة والنشر ، ولكنها حصرت

جهودها في أوائل عهدها بترجمة القطع الفنية الرائعة ونشرها في جريدة « فتاة الجزيرة » نظراً لغلاء الورق في الوقت الحاضر، لا سيما أن الأعضاء يوزعون ثمرات قرائحهم مجاناً .

وقد أصدر رئيس المخيم أول سلسلة كتبه الصغيرة عن « أرض الظاهر » احدى المحميات التسع في جنوب الجزيرة ، كما أصدر أحد أعضائه أول سلسلته « خواطر عن المجتمع المدني » وأصدر عضو آخر ديوانين من الشعر ويطبع الاستاذ محمد عبده غانم رئيس حلقة شوقي — ديوانه الأول، كما أصدرت الحلقة عدة كتب أخرى في مسائل الدين والمذاهب . وفي عدن عدد من الشعراء بعضهم مجيدون وبعضهم يحتاج الى ثقافة وتوجيه واتصال وثيق بالعلوم الحديثة . كما أن عضوين آخرين وفّقا في اصدار مجلة شهرية باسم « الأفكار » ولا تزال تصدر شهريّاً . .

ولهؤلاء الشباب سمر اسبوعي « سمر الفتاة » في دار محرر فتاة الجزيرة أو دار الأديب عمر احسان الله يجتمع فيه الأدباء ، ولكل واحد الحق في حضوره مهما يكن لونه، ويتبادلون فيه الآراء ويتساجلون ويتباحثون الى ما بعد منتصف الليل .

والمعهد البريطاني ناد نشيط ففيه مكتبة ثمينة وفيه وسائل للألعاب الداخلية وينتظر أن يبني المعهد حوضاً للسباحة ، وفي المعهد البريطاني تلقى محاضرات تثقيفية . وقد اجتمع في الصيف الماضي عدد من الشباب العاملين وقرروا انشاء « مجلس عدن الثقافي » لاصدار كتب شهرية تجيب يعالجون فيها مشكلات العدنيين ويوجهون الرأي العام الى ما يرونه صالحاً في عصر الذرة ولا يزال المجلس في انتظار عودة بعض اخوانهم من مصر ، هبوط أسعار الورق - وهي في عدن أغلى منها في مصر — ليبدأ المجلس أعماله باستمرار ، ومن المنتظر أن يؤسس هؤلاء الشباب شركة تجارية سوف تكون الشركة التجارية المدنية الأولى من نوعها في الجنوب العربي .

وفي عدن اقبال شديد على التعلم . وقد خرج عدد كبير من عدن للتعلم في مصر و بيروت والسودان ، وأغلبهم في مصر يتعلمون على نفقة الحكومة المصرية الكريمة وقد اضطرت ادارة المعارف أن تحسن برامجها تجاه هذه الحركة المحمودة فأسست صفّاً لتعليم « السينير كامبردج » School Certificat وهو يعادل التوجيهية المصرية بعد أن كان الطالب يضطر أن يفارق المدرسة قبلها ويكتفي بتعليم قليل لا يخوله الالتحاق بالجامعات . كما نشطت المطابع في عدن فأصبح عدد هاست مطابع عربية بعد أن ظلت تفتقر الى مطبعة واحدة زماناً غير قصير .

هذا استعراض سريع لحركة عربية ناشئة والأمل وطيد أن يتسع نطاقها حين تبدأ الحياة العامة تعود الى طبيعتها وسوف يخرج جنوب الجزيرة من عزلته عزيزاً كريماً ان شاء الله .

قصة



مستر سمبسون

(زوج حائر)

— ٣ —

الترجمة : للأستاذ سليم الأسيوطي

كاترين : ولكن — لم نلحظ شيئاً مطلقاً.

مستر سمبسون:لا — ليس المفروض أن نلحظا،فالطبخ مثلاً كما تريان لا افقه فيه شيئاً ، وقد أديتما لي أجل خدمة وأرجو ألاّ أكون قد ضايقتكما .

كاترين:لا — أبداً ولكن يا مستر سمبسون.—

مستر سمبسون : والآن هل تتكرمان بالتفكير في الأمر ، إن مهمة اقتصاد النقود مشكلة ، يجب التدبر فيها ، فهي مصدر اضطراب لكلينا ، لقد ادخرت جنيهاً أو اثنين والآن لم أعد حدثاً صغير السن ، كما كنت وكلانا تجاوز سن الحداثة ولكن لم نبلغ من العمر ارذله والحمد لله ولم أفكر قط في فراقكما،وأعلم اننا سنكون في عيشة راضية معاً نحن الثلاثة رغم انني لا يمكنني إلاّ الزواج من واحدة فقط ، فرجائي أن تبحثا الموضوع معاً وسوف أعود ثانية في المساء .

(يختفي — تجلس كارولين وقد أثقلت الأفكار رأسها وتتجه كاترين بعد الاستغراق لحظة في ذهول ، الى الباب وتنادي)

كاترين: مستر سمبسون — — — ! هل تتكرم بالرجوع لحظة واحدة

مستر سمبسون : (عائداً) نعم ياسيدتي

كاترين : (في حيرة شديدة) اغفرلي سؤالي — ولكن هل يضايقك أن تخبرني بمن منا كنت تفكر . . . في الزواج .

مستر سمبسون:سوف تضحكين مني الآن أي واحدة،نعم اني لا أعرف أي واحدة،وهذه

هي الحقيقـة (مرحاً) اني لا أفضل أيكما على الاخرى ، تدبرا الأمر فيما بينكما فأنا لا أتجه اتجاهاً معينـاً .

كارين : في قهقهة غير مقصودة،ما هـذا يا مستر سمبسون ، وهل سمع أحد في الدنيا بمثل ما تقول (تجلس)

مستر سمبسون:يقهقه في هدوء هـذا حق،اضحكي ما شاء لك الضحك ولتضحك أختك أيضاً (ينظر خلسة الى كارولين التي تضحك في عصبية)،والآن وقد استراحت ضمائركما فيمكنني الدخول دون أن يكون هناك عار أو فضيحة (يقفل الباب ويأخذ مقعداً ويبسط ذراعيـه فوق ركبتيه ويرمق الاختين بنظراته وقد انبسطت أسارير وجهه) نعم اني قطة ألقت بها الأقدار وسط نيران مشتعلة ولا تدري أي طريق تسلك ، لقد قتلت الموضوع بحثاً وقلبتـه على مختلف وجوهه ، ولم أتمكن من الوصول إلى نتيجة حاسمة اني أنظر إليكما معاً دائماً كما تريان،لا يمكنني أن أفاضل بينكما .

كارين (في تأكيد) ليس في طوقنا هذا

مستر سمبسون:ينظر إلى كارولين في تساؤل،وأنت يا كارولين ألا يمكنك هذا الآن .

كارولين: (تهز رأسها) لايليق هذا .

مستر سمبسون : (في عزم) حسناً أنت تعرفين خيراً مني . . . فقط لا يمكنني أن أحكم حكماً صائباً . . أحم (عيناه صوب الارض يفكـر في مشكلة ، الاختان في صمت رهيب وهو يتجه بنظراته إليهما ثم يرفع رأسه وينظر قبالة كارولين) .

كارولين : (في عجلة متحاشية إن تلتقي عيناها بعينيه) إن كارين خير من يسوس الأمور ، ينظر مستر سمبسون في رجاء وتضرع الى كارين) .

كارين : (في عجلة) ان كارولين طاهية بارعة

مستر سمبسون:(يدق بابهامه على ركبتيه) هـذا بيت القصيد هذا هو القول لو اندمجت إحداكما في الأخرى لكان لنا طرفة فنية بارعة نادرة،فالرجل لا يطمح في زوج له ما فيكما من مزايا وصفات . هـذا هو المنطق المقبول والذي لا أجد لنفسي منه مخرجاً وعلى الأخص في بلد لاتبيح شرائعها تعدد الزوجات (كارولين تفكر) آه إن هؤلاء الأتراك لهم الحق في زوجة أو اثنتين ، أليس كذلك .

كاترين : (تحس بصدمة عنيفة) اني لأعجب منك يا مستر سمبسون

مستر سمبسون : هذا أمر لا يجوز التفكير فيه واني أعرف ذلك ولكن لا أجد لنفسي خلاصاً من التفكير فيه (تلمع فكرة نيرة في خياله) لنأخذ بنساً ونديره ونقذف به في الهواء ونحكم بالوجهة التي يقع عليها

كاترين : (في صدمة أعنف من سابقتها) لا يحدث هذا في مثل منزلنا

مستر سمبسون : ألا ترين أننا مسوقون الى ذلك انها وسيلة مثل القاء القرعة وهي ملاحظة بريئة نزيهة وردت في نص الكتاب المقدس ولقد كانت هي الوسيلة التقليدية التي اتبعها البطاركة وهذا ما أفهم، والفارق الوحيد انهم كانوا يستعملون الشاقل[1] بدلاً من البنس على ما أعلم ، والشاقل ونصف البنس سواء

كاترين : (في شك) إنها ليست ذائعة منتشرة مثل القاء القرعة ، ولا يمكنني أن اتصور ان سيدنا ابراهيم أو سيدنا اسحاق قد فعلاها ، ولكن اذا كنت واثقاً انها في نص الكتاب ..

مستر سمبسون : إنها عقيدة كتابية لا غبار عليها وهذا ما أقوله عنها (الى كارولين) أليس كذلك يا سيدتي

كارولين : (في حياء وخفر) انى أذكر آية من أمثال سليمان تقول « إن القرعة تبطل الخصام »

مستر سمبسون : (ظافراً) والآن دعونا ننظر في الأمر ، «القرعة تبطل الخصام » تحل قضيتنا دون وسيط ، وفي سفر الامثال أيضاً ، إن سليمان الحكيم المجرب حكمنا كيف فصل في النزاع الذي قام على طفل تنازعت بنوته امرأتان في وقت واحد. كان هناك سيدتان في ذلك الوقت . حسناً والآن (ينظر في تساؤل الى كارولين التي تهز رأسها في شك ولكنها لا تعترض اعتراضات أخرى فيتحسس مستر سمبسون جيوبه ويخرج بدرة نقود يختار احداها ويرفعها في يده) والآن إذا ما جاءت صورة الملك العجوز فهي كاترين التي سأختارها، وإذا كانت السيدة الشابة الممسكة بالمزراق فكاروليں هي فتاتي ، وهأنذا اقذف بقطعة النقود في الهواء (يدير قطعة النقود ويقذف بها لكنه يتعثر إذا ما حاول القبض عليها وتسقط منه في أحد اركان الحجرة فيركم ثم يحبو على يديه وقدميه عندما يحاول

(١) الشاقل عملة عبرانية الذهبية منها تساوي جنيهاً والفضية ١٢ قرشاً

استردادها بينما تجلس الاختان في رباطة جأش محاولتين الاحتفاظ بهدوئهما، الويل لي لقد هلكت (بهم واقفاً على قدميه ممسكاً بنصف البنس في يديه) لو كانت أرض الحجرة مصنوعة من البلاط لقضي عليّ ولكن الحمد لله .

كارين : (في ضعف وتراخ) ما الذي أصابك

مستر سمبسون : لقد سقطت قطعة النقود في حفرة في ارض الحجرة يا عزيزتي ومرتكزة حافتها على الأرض ومتجهة الى أعلى ، ولا طرة تبدو لها ولا المساط ، وسليمان الحكيم نفسه لم يكن في مقدوره أن يحسم النزاع على هذا الوضع ، ولكن ماذا أفعل وقد حباكما الله أرضاً من خشب في غرفة المطبخ بينما حجرتي أرضها من حجر الجير

كارولين : لقد كان هذا ترتيب ابي هكذا بنيت المنازل لقد أحب دائماً أن يخلع حذاءه في كل مساء والجص بارد يسبب تشقق البشرة خلال الجوارب

مستر سمبسون :(يجلس) دعنا ننتظر كيف تتطور الأمور

كارولين : (جادة) انه حكم السموات

كارين :(جادة أيضاً) كن واثقاً انها قطعة نقود لا أكثر ولا أقل ، ان عيني أبينا علينا الآن ، ولا غرابة في ذلك اني لا أشك في أن ما فعلنا كان حماقة منا والأجدى بنا ألاّ نخوض في الموضوع الى أبعد مما ذهبنا

مستر سمبسون : لا أرى هذا الرأي إذا كان أبوكما لم يختر لبس الكوت فليس هذا سبباً شرعيًّا يحول دوني والزواج إذا أردت،وكل ما هنالك انه يجب تجربة طريقة أخرى

كارولين : (في خوف) لو أمكن أن ننتظر قليلاً ويتركنا مستر سمبسون لحظة من الزمن فربما تكلم قلبه

مستر سمبسون : (في شك) يخطىء القلب مرة ويصيب أخرى ذلك العضو الذي خلق مع الانسان لحيرته كما اعتقد

كارين : إن الغيبة تزيد القلب صبابة وولوعاً كما يقولون.

[للقصة بقية]

التقويم الزراعي

لشهر اكتوبر ١٩٥١

---

(١) — ﴿ الحاصلات الزراعية ﴾ : —

البرسيم — تستمر زراعته

الفول — تمد أرضه ويزرع خلال هذا الشهر

الكتان — تستمر الخدمة من حرث وتزحيف وتكسير للقلاقيل والتحويض ، وتبدأ الزراعة المبكرة

القمح والشعير - تبدأ خدمة الأرض وزراعة القمح المبكر

القطن — ينتهي الجني ثم تقلع الأحطاب

القصب — يروى ويقطع منه ما يلزم للاستهلاك المحلي

السمسم : يبدأ ضم الزراعات المبكرة للعروات النيلية

الأرز — يستمر في الحصاد

الذرة الرفيعة — يستمر في ري العروات النيلية

الذرة الشامية — يوالي ريها ويبدأ قطع العروات المبكرة

الفول السوداني — يضم المحصول المتأخر

الحلبة والعدس والترمس — تبدأ الزراعة

البصل والثوم — تغرس الشتلات المبكرة

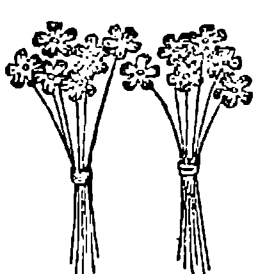
(٢) — ﴿ البساتين ﴾ :

(١) — الفاكهة — تتشبع معظم الأراضي الزراعية بمياه الفيضان ، ويعتدل الجو وتقل حاجتها الى الري الكثير ، ويكفي أن تروى أشجار الحلويات كل عشرين يوماً والأشجار الحمضية كل مدة تتراوح بين ١٢ و ٢٠ يوماً حسب نوع التربة ، أما الموز فيروى كل عشرة أيام تقريباً لمساعدة السباطات على النضج ولبلوغ أصابعها الحجم المناسب. يعمل على ازالة الفروع الجافة في جميع الأشجار. يستمر في تطعيم أصول الموالح والنارنج والليمون البلدي بأصناف الأشجار

الحمضية ، وتطعيم أصول البرقوق المريانا بأصناف البرقوق المختلفة ، وأصول البيرس كالريانا بأصناف الكمثرى . أما المانجو فيقف تطعيمها لبرودة الجو . ويمكن الاستمرار في نقل فسائل النخيل وسرطانات الزيتون من جوار أمهاتها الى خطوط المشتل — يبدأ في زراعة بزور الخوخ والمشمش على خطوط المشتل بالجهة القبلية — يستمر في جمع أصناف العنب المتأخرة والقشطة والجوافة والكاكي والرمان والبلح الأمهات والزغلول والسماني والسيوي ، ويبدأ في جمع ثمار البرتقال البذرة بأعالي الصعيد .

(ب) الخضر تزرع عروة ثانية من الفاصوليا - يستمر في زراعة البطاطس في أوائل هذا الشهر — يزرع السلق والسبانخ والجزر والبنجر والفول الرومي والبسلة واللفت والفجل والجرجير والمقدونس والخبازى — يزرع الخيار والفاصوليا والكوسا بالوجه القبلي — يشتل الخس اللانوجه والهندباء والكرنب الافرنجي والقنبيط المتأخر . تزرع بالمشتل بزور الخس والهندباء والفنوكيا والكرنب الافرنجي وأبو ركبه . يقل وارد الطماطم والباميـة فيرتفع السعر — ترد بشائر القلقاس والطرطوفة والبسلة - يقل الموجود من البطاطس .

(ح) الأزهار : تكون أحواض الزهور منزرعة بالحوليات الشتوية - يستمر فيزراعة أبصال الياسنت والتوليب والفريزيا والانيمون والرانكوس — يمتنع الري عن الداليـا تدريجيـا استعداداً لخزنها — تزرع بذور الجازون .



﴿الحشرات﴾ : تشاهد الحشرات الآتية على الحاصلات المدرجة فيما يلي : الذرة الشامية : دودة ورق القطن ، والثاقبات . القصب . الثاقبات . أشجار الموالح والمانجو والزيتون والعنب ونباتات الزينـة : أنواع من الحشرات القشرية والبق الدقيقي وذبابة الفاكهة وذبابة الزيتون وتربس العنب . أشجار الحلويات :حفار ساق التفاح والحشرات القشرية . البطاطس (الشتوي) : الحفار الخضر :دودة ورق القطن والحفار .

**

قلب صناعي أثناء الجراحة (1)

عقد في أحد المدرجات الكبيرة في ٢٧ سبتمبر الماضي بالسوربون بباريس المؤتمر الدولي لجمعية الجراحين. وقد تلي فيه البحث الذي كتبه الدكتور توماس برايس الطبيب المشهور الذي أجرى عملية الاستئصال الجزئي لرئة الملك جورج السادس.

وقبل أن يلقي الدكتور بروك الطبيب الانجليزي بحث الدكتور توماس برايس قدمه البروفسور لوريشن رئيس المؤتمر وهنأ الجراح الانجليزي الكبير على العملية الناجحة التي أجراها لملك بريطانيا.

استعمال الطرق القديمة في الجراحة

وألقى البروفسور دوراته من جراحي مدريد بحثاً عن التجارب التي قام بها بشأن الاستئصال الجزئي للرئة عند اصابتها بالسل، وقال: إن الطريقة التي قام بها في استئصال الأجزاء المريضة من الرئة انما تستند الى بعض الطرق التي سار عليها القدماء وهجرها العلم الحديث. وذكر أن الفارق بين الحالين هو أننا في العصر الحديث نعتمد على الأجهزة الحديثة والمستحضرات الطبية التي لم تكن معروفة في ذلك الوقت.

انقاذ القلب الانساني

ثم ألقى الدكتور دوليوتي أستاذ الجراحة بجامعة فورينو بحثاً عن التجارب التي قام بها ونجحت لأول مرة في التاريخ والتي تعين على انقاذ «قلب» الانسان.

وذكر البروفسور دوليوتي انه بدأ تجاربه في ٩ أغسطس الماضي في تورينو على رجل في الخمسين من عمره أصيب بتورم في الجانب الأيمن من القلب وأصبح يهدده بالموت.

ولما فتح دوليوتي الجانب الأيمن من الصدر وجد القلب عاجزاً عن امداد الجسم بالأوكسجين الضروري للحياة.

الاستعانة بقلب صناعي

ولكي يساعد القلب على القيام بمهمته استعان دوليوتي بقلب صناعي لمدة عشرين دقيقة واستأصل الورم وأعاد الدم الى مجراه الطبيعي في العروق.

(1) راجع أعداد مقتطف يناير وفبراير ويونيو سنة ١٩٥١

وعاش المريض بعد ذلك حياته العادية .

وذكر الدكتور دوليوتي لأعضاء المؤتمر انه استعان بالقلب الصناعي بصفة مؤقتة . وبذلك يكون الجراح الايطالي ، قد نجح لأول مرة في التاريخ في الاستغناء تماماً عن القلب الطبيعي في عمليته الجراحية .

ولقد كان لهـذا البحث الذي ألقاه الدكتور دوليوتي أثره الهائل في الدوائر الطبية والعلمية التي أصبحت الآن على عتبة المحاولات الناجحة للقيام بهـذه التجارب التاريخية .

قلب ورئة صناعيين

وتحدث الدكتور يونجبليد الجراح الهولندي عن أحدث تجاربه التي قام بها على الكلاب . وذكر أنه نزع قلب ورئتي كلب في سنة ١٩٥٠ واستبدل بها جميعاً قلباً ورئتين صناعيتين لمدة ساعتين . وظل الحيوان خلالهما حيّـا يتحرك .

وقال يونجبليد أن تجاربه على الكلاب تجعله يميل الى الاعتقاد بأن تجارب مماثلة على الانسان ستكلل بالنجاح ، وذلك بالاستعانة بالجهاز الذي ابتكره .

مم يتكون القلب الصناعي ؟

وعرض العالم الهولندى على المؤتمر جهازاً ضخماً للقلب والرئة مؤلفاً من :

أولاً : مجموعتين من الانابيب كل تمثـل كل منهمـا نصفي القلـب الأيمن والأيسر .

ثانياً — ست أنابيب حلزونية ملأى بالاوكسيجين تمثل الرئة .

ثالثاً : خزان ينظم سير الهواء فلا تتصه الشعيرات .

رابعاً : سخان يجعل الدم في الحرارة العادية للانسان .

ولاستخدام هـذا الجهاز يجري الدم من المريض وذلك خلال الأوردة الجوفاء وهي القريبـة الى القلب ، ويتلقى الدم الاوكسيجين من الرئة الصناعية وهي عبارة عن أنابيب حلزونية دوارة وينطلق منها الى الخزان وذلك بوساطة شعيرات كابسة ضاغطة تدفع الدم بمعدل مائة مرة في الدقيقة أي ضعف الاندفاعات العادية .

وبعد ذلك يعود الدم الى المريض عن طريق شعيرات دقيقة أخرى .

لا حاجة الى نزع القلب

واستمع المؤتمر الى بحث للدكتور جون جيبسون من كليـة جيفرسون بفيلادلفيا عن قلب صغير ولـكنه شبيه بالقلب الذي تحدث عنه الجراح الهولندي . وقال إن تجاربه وتجارب زميله الهولندي ستمهد السبيل للتجارب على قلب الانسان .

وقال الدكتور جيبسون الجراح الامريكي إن هنالك طريقـة للتبريد أو للتجميد يستعان بها في العمليات الخاصة بالقلب دون نزع القلب من صدر الحيوان أو الانسان .



مكتبة المقتطف

اليوبيل الذهبي

لمجلة العرفان بصيدا

العرفان صحيفة من كبريات الصحف الأدبية في الشرق العربي ، ظلت تكافح في سبيل الأدب والعلم والتاريخ والاجتماع والوطنية والعروبة نصف قرن من الزمان ، كما أدت دار العرفان خدمات جليلة في سبيل نشر المعارف

وصاحبها زميلنا الكريم الشيخ أحمد عارف الزين من أعلام الأدباء المتمكنين الذين عكفوا على احتضان اللغة العربية وآدابها ، والنهوض بها من الكبوة ، وتشجيع أدبائها وعلمائها ، وظل يواصل جهوده في سبيل العربية هذه الحقبة الطويلة من الزمان ، حتى أثمرت جهوده خيراً وبركة للأدب العربي ، وربطت بين أبناء الضاد في مختلف بلاد العالم .

من أجل ذلك سرنا أن يقوم فريق ممن نشأتهم العرفان بالاحتفال باليوبيل الذهبي لها ، وقد وضعوا لهذا الاحتفال برنامجاً ضخماً نرجو له النجاح والتوفيق . إذ يبدأ بمهرجان حافل يقام في مدينة صيدا في أوائل أكتوبر الحالي

ثم تتتابع المهرجانات في مختلف عواصم العالم العربي والمهاجر ، بمؤازرة أبناء العروبة المهاجرين الأمجاد ، لتكريم العالم الجليل الشيخ عارف الزين وصحيفته .

والمقتطف الذي يسعده كل ما ينال الصحافة الأدبية في العالم العربي من خير ، ويعتبر كل انتصار وانتشار وكسب لها ، إنما يصيبه منه كل خير وبركة وسعادة — يغتبط لهذه النهضة الفتية ، ويزجي للزميلة الكريمة « مجلة العرفان » خالص تقديره وبالغ سروره .

ويرفع باسم هيئة تحريره أطيب تهانيه وتمنياته ، راجياً للعرفان من الذيوع والانتشار والتقدير ما هو جدير بماضيها المشرف ، وحاضرها المشرق ، ولصاحبها الجليل كل الأماني الطيبة ، سائلاً له طول العمر والقدرة على مواصلة الكفاح ، حتى يشهد يوبيلها الماسي أقوى ما يكون وتكون صحيفته المجيدة .

• •

المشاعل

بقلم اثنين — ٢٤٨ صحيفة من قطع المقتطف — طبع مطبعة كوستا تسوماس بالقاهرة

هذان الاثنان هما الأب بولس مسعد والاستاذ نسيب وهيبة الخازن .

وقصة هذا الكتاب يبدؤها الأستاذ نسيب الخازن فيقول : —

« كنت أتردد الى كلية الحقوق القريبة من مصر القديمة ، وكثيراً ما شاهدت معبداً مهجوراً . وفي يوم دخلت المعبد .. وفي سنة ١٩٤٨ سألني صديقي الراهب بولس مسعد: الى متى تسكت ؟ وقلت فما أنشر ؟ .. قال انشر رسالتك ، فأنت متصوف كالرهبان ومعلم كمشايخ الصوفية . . . ودفع اليّ قصة تسلسلت وقائعها في سجلات أسلافه الرهبان ورأيتني أكتب . وأخذت أقدم للقارىء صوراً من ذاك الموطن الساحر » .

ومن هنا تبدأ قصة يتداول فصولها المؤلفان ، فيعرضان حقبة من التاريخ الشعبي لهذه السلسلة التي تطوق الزاوية الشرقية الجنوبية للبحر المتوسط (مصر—لبنان) .. التاريخ الذي تمتزج فيه القومية بالدين ، وتتغلب فيه الاخوة العربية على كل الفوارق الطائفية .

وتتسلسل فصول هذه القصة الشيقة في أسلوب عذب بديع رقيق ، تطرح فيه مفردات الحقيقة على بساط الخيال ، ويزينه جرس متوافق منسجم ، وتشيع في جوانبه روح يقظة توجه التاريخ في مجرى الانسانية العالية ، وترتفع بالفكرة الدينية الى آفاق سامية تذوب عندها نزعة التعصب والأنانية ، ويتعاون فيها المسجد والكنيسة على النزوع بالنفس الانسانية نحو الكمال ، وتربية الروح تربية الهية حكيمة لا عوج فيها ولا التواء .

ولا نجد في التعريف بالكتاب أبلغ من الاهداء الذي يقول فيه المؤلفان : —

في الخيال وقائع أغرب من الخيال ، وفي الانسانية شخصيات مثالية تعجز عن خلق مثيلات لها أخيلة الكتّاب وقرائح الشعراء ، فهي بحق مشاعل للخير والحب والجمال .

وأطيب متعة لمطالع أن يعرض تلك الشخصيات ، ويتابع تلك الوقائع بين الأطلال الدارسة ، وأن يجالس التاريخ و « يستنطقه ذكريات الماضي ، ويصيخ سمعاً الى قصص ذلك الجني الساحر الذي يعيد الانقاض قصوراً والتراب أمماً ، ويبعث صخب المدائن القدامى مكان صمت الصحراء » على حد تعبير أديب من الغرب .

ونحن في هذا الكتاب تناولنا عرض شخصيات ووقائع ، وتأريخ أحلام وأطماع ومآس وجهود مضنية في سبيل أهواء عنيفة ، كما بسطنا تاريخ كد واستشهاد في سبيل الانسانية

في جنة الفردوس

تأليف محمد رضوان أحمد – صفحاته ١٧٦ صفحة من القطع المتوسط – طبع بمطبعة الشمرلي بالقاهرة

مؤلف هذا الكتاب رجل عميق الايمان ، وطني متطرف ، جريء الرأي ، واسع الاطلاع. وقد تجمعت هذه الخلال لتكون كتاباً ، فكانت هذا السفر ، لقد تتبع منابع النور منذ انبثقت في العالم ، تحمل الفكرة الاسلامية ، وسار في ركبها ، يتغني بأمجادها ، ويأسى لكبواتها ، حتى أشرف على عصرنا الحاضر ، وعندئذ بلغ منه اليأس فأسند رأسه ، وهدهد قلبه . . وأغفا ، ولكن فكرة الاصلاح بقيت مستيقظة ، تسبح في العوالم ، وتتخطى العقبات والحواجز ، وتتسامى حتى استقرت في الجنة ، وهناك تنفست الصعداء ونفضت غبار الهموم ، حيث التقت بسبعة من زعماء الاصلاح في الشرق .

أولئك الذين تألقوا مضيئين على مسرح الشرق فترة من الزمن ثم انطفأوا ، وتواروا وانفض سامرهم ، فساد الظلم ، وساد الظلام .

أخذ المؤلف بما فيه من طبيعة الصحفي يستنطقهم ، ويحاورهم ، وينتزع منهم النقد والرأي في مختلف شئوننا ، ويصوغ هذا كله فصولاً جريئة ، يعلنها حرباً على الطغيان ، فحين يلتقي — وأول من يلتقي — زعيم المصلحين في الشرق : السيد جمال الدين الافغاني ، يستوضحه الرأي في الصحافة والصحفيين ، وما طرأ عليها من مفاسد ، وما دخل في رسالتها من زيغ وزيف وما ينبغي أن يتجه اليه رجالها لاداء رسالتها السامية ، ويستطرد الى الحديث عن السلام ودعاته ، ووفودنا الى الغرب ، واسراف الأغنياء اللاعبين بأموال مصر وكرامتها في الخارج ، ويوصي بالشعب إعلى انه هدف الاصلاح ، وعماد الوطن ولا يترك الحديث إلا بلذعة يوجهها الى الزعماء والقادة ورجال الدين .

وفي حديثه الى الامام محمد عبده يوجه همه الى التعليم النافع والدين الصحيح ، والاصلاح الاجتماعي المثمر . ويتجه الى عبد الله النديم فيجده ثائراً يائساً من الاصلاح ما لم نتجه الى تعليم مثمر ، يتيح لنا استقلالاً مادياً ومعنوياً ، وينصرنا على الفقر ، ويحصننا ضد قوى الاستعمار ، ويضيق ذرعاً بالتعليم الحالي وما فيه من عيوب خلقها المسيطرون عليه بأخطائهم المكشوفة والمستورة .

وحديثه الى قاسم أمين استوعب كل مشاكلنا ، وتناول كل شئوننا فعرض حياتنا بين يدي القاضي الذي تسللت آراؤه الى كل غرفة في كل بيت من بيوت مصر ، صاحب الآراء الخطيرة في حياة المرأة ، الذي عبثت الأيام والاحداث والأهواء بآرائه فصرفتها عن قصدها

فعادت نكبة من حيث أرادها رحمة بالامة وخيراً لابنائها ، وكان لا بد من حديث يتناول السفور والتعليم والاختلاط ، وزواج الأجنبيات ، وتعدد الزوجات ، والطلاق وحقوق المرأة في الانتخاب والنيابة والقضاء ، لكنه مر بالزعيم الشاب مصطفى كامل مرور النسيم في زيارة خاطفة استعاد معه ذكرياته وآراءه الثائرة التي أزعج بها الاستعمار ، وحرم فيها على الامة أن تذل أو تخنع ، وحث فيها على تفدية الوطن بالارواح والدماء .

وكان شوقه للقاء سعد بالغاً ، فراح يستوحيه حديثاً عن الزعماء والمتزعمين ، الذين استبد بهم طغيان المادة وصرفهم استغلال النفوذ عن شؤون الامة ، وقارن ما يجري بما كان من الزعامة الحقة في صدر الاسلام وما كان لها من أثر في اسعاد الشعوب .

ولم ينس وهو الصديق الوفي أن يعرض على سعد شكاة صديقه الحميم « الدكتور أحمد زكي أبو شادي » المهاجر المغترب في سبيل الكرامة والاصلاح ، إذ لم يجد في الاحياء من يستمع لشكايته أو يذكر ماضيه الناصع في الجهاد ، ولا حاضره الحافل بالمآثر ، ولا كفاحه الماثل في سبيل مصر وإذاعة مفاخرها الادبية والفنية ونهضتها العلمية في المحافل الامريكية . ولم ينس أن يعرض مختارات من عبقري شعره ومراسلاته القيمة التي يسعد بها أصدقاءه بين الحين والحين .

واستطرد وهو يحدث سعدا الى ما يهدد أخلاق الشعب من الأغاني الساقطة ، والروايات المهزلة ، والمسرحيات المبتذلة ، وصمت علماء الدين والمفكرين حيال هذا الخطر الداهم والمفاسد الطاغية ثم مال بالحديث الى استغلال الأغنياء للفقراء مستشهداً بالحوادث القائمة بين سمعنا وبصرنا .

وكان الحديث مع طلعت حرب اقتصاديًا وطنيًا لام فيه الأغنياء على تقاعدهم عن استثمار أموالهم واستغلال موارد بلادهم وتركها للشركات الأجنبية تنعم بخيراتها ، وتستنزف دماء المواطنين عن طريقها ، ونقد الأسلوب الضرائبي الذي يرهق الفقراء ويكدس الموظفين في المكاتب ، ويتيح للأغنياء استيراد الكماليات ، مع ترك الغلاء يصلي المواطنين شواظاً من نار .

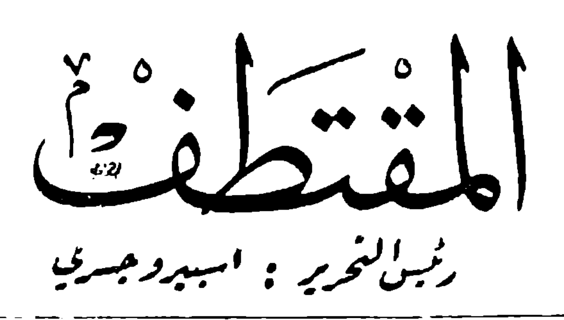
والكتاب مستوعب يستقصي نواحي الحياة ، ولو ذهبنا نعدد ما تناوله من النقد وتوجيهات الاصلاح لكان أولى أن نعرض الكتاب جملته وتفاصيله .

والكاتب يعالج موضوعه بأسلوب متزن ، ولكنه ثائر لاذع ، يعنف حتى يبلغ حد القسوة والتقريع ، ولا شك أن هذه هي الطريقة التي توقظ النيام وتنبه الغافلين .

رضوان ابراهيم

الفهرس

للجزء الثالث من المجلد التاسع عشر بعد المائة



رئيس التحرير : اسبيرو جسري

November 1951 (الجزء ٤ — المجلد ١١٩) نوفمبر سنة ١٩٥١

حديث المقتطف

أحداث هذا الموسم تتزاحم وتتلاحق ، حتى لا تدع للمعقب فرصة التريث مع احداها ، إلاّ ريثما يلمّ بها الماماً عابراً ، ثم تتلقفه أختها ، لتجذبه ثانية وثالثة .

وموجة النشاط في مدها تغمر كل شعاب الحياة في دنيانا هذه ، وتدعنا نعيش على أمل البداية الطيبة ، وارتقاب النهايات الموفقة .

وأول ما يلفتنا من هذه الأحداث هو استئناف العام الدراسي في مختلف دور العلم ومعاهده ، وما سبق هذه البداية وصاحبها ولحقها من ملابسات .

وقد كان لنا مع هذه البداية حديث قنعنا به . لولا ما جدّ من ظروف تدعونا الى مزيد من التعقيب .

فلقد أوشك النظام المالي أن يقصي عن الحرم الجامعي عدد من الطلاب لأسباب مادية لولا أن جهد المسئولون في تلافي الأمر قبل أن يستفحل ، وتدارك المشكلة قبل أن تتأزم وتتفاقم . ولولا كفاح الوزير الشعبي في ازاحة هذه العقبات من طريق العلم ، وتمهيد السبيل لأبناء الوادي ينهلون من منابع العرفان ، غير مفزعين عن رياضه ولا مزودين عن ورده .

إلاّ أن التيسير في النفقات الجامعية كدّره تعقيد في نفقات التعليم العام ، ترك آثاراً تضطرب في نفوس الآباء ولا تبين .

ومن الظواهر الجديدة التي نسجلها بالتقدير جهاد وزير التربية والتعليم معالي الدكتور طه حسين باشا ، هذا الجهاد الحافل بالهمة والحكمة والعزيمة الصادقة المتوثبة لتحرير الوطن من الجهل . وبفضل هذا الجهاد رأينا المدارس على اختلاف أنواعها لتتسع عشرات الآلاف من الطلاب لا يقصي أحد عن موارد الثقافة ، ولا يحرم ناشيء من

رغبة والديه العزيزة المقدسة في تنشئته نشأة طيبة مهذبة .

وقد رددت جميع الهيئات في العالم أنباء هذا الجهاد ، وكتبت كبريات الصحف في أوربا وأمريكا تثني على الوزير المصري العظيم وأعلن مجلس وزراء مصر تقديره وشكره للدكتور طه باشا على جهوده الطبية المأثورة .

❖

ولكم وددنا أن نقف صامتين مترقبين حيال هذا الحادث الكبير ـ إعلان الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ ـ ذلك الحادث ، الذي طوى جميع الأحداث ، حينما انبعثت صيحاته من منبر البرلمان المصري ، وترددت أصداؤه في أرجاءالعالم رهيبة مدوية فطغت على جميع الحوادث وأخفتت أصواتها ، حتى لم تدع لنا إلا همسات خفيضة عن صريع الباكستان العظيم . وإلا وسوسات ضعيفة عن ذلك التحوّل الذي طرأ على بريطانيا ، فأسلمت مقاليدها إلى دعاة الاستعمار ، وحلفاء « مارس » ليحجزوا طوفان الحريات الذي غمر العالم .

كما غطت صيحاتنا على صوت إيران الجهير ، وهي تصفى حسابها مع الاستعمار الاقتصادي .

انطلقت صيحاتنا تنادي بالحرية العتيدة في وقت حسب الناس فيه أن ربضة الأسد المصري على لجج الرمال ، إنما هي إغفاءة الأبد ، ورقدة الفناء ، ومن ثمة كان زئيره رعداً في آذانهم يلهب أعصابهم ويزلزل الأرض تحت أقدامهم .

إن الحكومات الحديثة تسير — دائماً — خلف الشعب . هي تزعم أنها تدفعه إلى الأمام ، وهو يدّعي أنه يدفعها الى الأمام كذلك ! ! ومهما يختلف الشعب والحكومة ، فان بينهما حقيقة تظل ثابتة ، هي أن الشعب والحكومة مندفعان إلى الأمام .

ولا يعدو على هذه الحقيقة أو يبددها سوى أن يختل إنسجام خطاها ، فينصرف الشعب والحكومة كل منهما في طريق غير طريق الآخر .

وكذلك اتحدت هتافات الشعب المصري مع صيحات حكومته فألفت مزامير الحرية ، التي يرتلها المصريون صباح مساء ، في إيمان وقوة ، والتي سطرتها مصر بالدماء على رمال القناة في أرباض فايد والاسماعيلية ، وعلى شواطيء بورسعيد والسويس .

أحداث وأحداث يغيم ببعضها الأفق ، ويتدجى بالأخرى ليل الشرق ، ولكنه سيظل مطلع النور ، ونبع الصفاء ، وموئل السلام .

ولكننا نستبشر — بعد ليلنا مهما يطل ويدلهم — بصباح مضيء دفيء ، تسطع منه شمس الحرية على أرجاء الشرق المتوثب .

***

عصرنا عصر الخشب لا عصر الذرّة

الغابات

وكيف ننتفع بأشجارها



للأستاذ جورج نيقولاويس

على الرغم من كوننا في عصر الذرّة ، وننتقل من تقدم الى آخر ، فان هـذا لا يمنعنا ن أن نقول إن عصرنا الحالي هو عصر الخشب أيضاً ، فورق صحفنا مصنوع من الخشب، اطارات نظاراتنا وأقلامنا الحبر ، وما يشابه ذلك ، مصنوعة من المعاجن المأخوذة ن الخشب . والدور التي نعيش فيها جزء كبير منها مصنوع من الخشب . كذلك أثاث لمنازل والموازل الكهربائية ونصف الأدوات التلفونيـة والأدهنة وبعض الآلات لموسيقية وأدوات الفونغراف وأشياء كثيرة من أفلامها وما يتصل بها يصنع من الخشب. ا ان كاوتشوك السيارات والطائرات يستخرج من الاشجار ، وهياكل العربات وبعض ياكل السيارات ، والطائرات كانت تصنع من الخشب .

وفي الحرب العظمى استعمل الخشب في صناعات عديدة حتى استخرج منه اللحم علف الحيوان والعطور والسكر ، وصنعت منه الادوية مثل السلفاميد . كما اتخذت نه العقاقير المطهرة والقاتلة للحشرات والمبيدة للبعوض والذباب مثل الـ DDT وغيرها ، الهرمونات الجنسية والفيتامين (ى) وبعض أنواع الصابون ، وأصناف لا عداد لها من دمى المختلفة الأشكال والأنواع .

وتناولته الكيمياء فصنعت منه السيلوفان والسيليلويد والمخصبات الزراعية والأسمدة غير ذلك ، مما حلّ محل الحجارة والصلصال والمعادن والزجاج والصوف والقطن والحرير

وسائر المنسوجات. وعلى الرغم مما وصلنا إليه من كثرة الصناعات المرتكزة على الخشب، فان المستقبل يخبىء لنا اضعاف اضعافها ستستخرج من هذه المادة التي تجود الطبيعة بها على الانسان في كل بقعة من بقاع الأرض بشكل دائم ومستمر وبدون انقطاع، حتى ليصح لنا أن نقول إننا سندخل العصر الخشبي الذي سيمنحنا كل ما نحتاج إليه ونصبو له، وكل الضروريات والكماليات وفوق الكماليات.

﴿الخشب يوجد في كل البلاد﴾ يعد الخشب الآن من المواد الأولية التي لا غنى عنها، والتي تمون كل حاجيات الحياة الانسانية، فيقدم الغذاء للانسان والحيوان، وهي في العالم الآن المصدر الثاني لخيوط النسيج التي تكسو عدداً وافراً من بني البشر، وسيأتي يوم تقدم فيه الكساء لمعظم أهل الأرض، كما تقدم الآن للمهندسين المعماريين كل ما هم في حاجة إليه لاقامة الأبنية والدور والقصور وما إليها.

﴿الخشب يملأ الأرض﴾ وعلاوة على ما يجده الانسان في المساحات المهملة من الأرض من الفحم الحجري والحديد والبترول وسائر الثروات المعدنية العديدة، توجد في عالمنا من الغابات ما تبلغ مساحتها أربعون مليار فدان، أي ما يوازي ربع مساحة الكرة الأرضية، وهي زاخرة بالأشجار الخشبية الباسقة، ولم ينتفع حتى الآن إلاّ بجزء صغير من أخشاب هذه المساحة الهائلة، ويكفي للدلالة على عظم هذه الغابات واتساعها أن نقول، إن مساحة ما هو موجود منها فقط في بقاع الخط الاستوائي وفي القطبين تبلغ مساحة أمريكا الشمالية بأسرها بما فيها كندا والولايات المتحدة والمكسيك وما يليها جنوباً، وأن فدانين من الغابات الجيدة الأشجار يدران سنوياً من خيوط المنسوجات اضعاف ما يدرّه فدانان من القطن، كما يعطيان من السكر مثلما تعطي نفس المساحة اذا زرعت بنجراً أو قصباً.

﴿الخشب لا ينفد﴾ وليست الغابة حقل معادن ينفد ما فيه من كثرة الاستنباط، بل هي أرض للاستغلال، على شرط أن تراقب هيئة منظمة قطع الأشجار وزرع غيرها، وبهذه الطريقة يستطاع الحصول بشكل دائم على الخشب اللازم لجميع الصناعات والمواد التي يحتاج إليها الانسان في كل زمان ومكان.

ولكن مما يؤسف له أن معظم الغابات في جميع أنحاء العالم غير خاضع للرقابة المنتظمة، فقطع الأشجار يسير وفقاً لرغبة كل انسان، كما ان زرع الشجر ليست مما يعتد به، وهذا

يدل على ان مدنيتنا الصناعية لم تعرف بعد كنه المعرفة حقيقة المادة الخشبية ، وما يستطاع جنيه من ثروات الغابات التي لا تعد ولا تحصى ، فالانسان في مدة تاريخه القصير على وجه البسيطة ، قد حوّل الى بقاع قاحلة ، لا زرع فيها ولا ضرع نحو عشرين مليار فدان من الغابات ، أي ما يصل الى ثلث مساحة الغابات التي أوجدتها الطبيعة ، ويوجد الآن من التبذير في الأخشاب التي نحتطبها ما يعد خسارة جسيمة لحياة البشر الاقتصادية والصناعية ، فمن بين كل أربع شجرات نقطع شجرة واحدة فقط تصل الى المستهلك بكل ما يجني منها من الفوائد العديدة ، والثلاث الباقيات تذهب هباء منثوراً ، كأن تحرق أو أن تمزق اربا دون فائدة ، أو أن تسقط نفايا هنا وهناك

وهذا الشر الذي نعده مستطيراً يأتي من اعتقاد الانسان العادي ان الخشب لا يصلح إلا للوقود أو للعمار . وحقيقة الواقع ان الخشب له من المنافع ما ليس لمادة أخرى من المواد الطبيعية ، وفي استطاعتنا أن نؤكد أن هذه المادة اذا استعملت في خدمة البشر من الوجهة العملية الحقيقية ، أمكنها أن تزيل من العالم كل أنواع الشقاء ، لأن استغلال جميع مصادر الغابات من شأنه أن يحدث في المعمورة ثورة عالمية مؤسسة على السلام والرخاء والرفاهية .

وقد يعتقد البعض أن هذه النظرية غير واقعية ، أو لا تقبل التحقيق ولكن الكثيرين من الذين تعمقوا في درسها يعتقدون بصحتها وحقيقتها ، وانه في الاستطاعة اخراجها من حيز الفكر الى حيز العمل ، هذا اذا بذلنا شيئاً من الجهد ، وبعضاً من الروية

﴿أوجدوا صناعة غابية﴾ اننا في هذه الأيام نبعثر الجزء الأكبر من ثروة الغابات ، وحتى في الولايات المتحدة الامريكية ، حيث يعمل حساب دقيق لكل شيء مهما تفه ، فان الامريكيين يبعثرون من ٤٠ الى ٧٠ في المائة من هذه الثروة ، اذ عوضاً عن أن يكون في العالم صناعة تسمى الصناعة الغابية ، يوجد فقط مصانع متفرقة منها ما هو للورق ومنها ما هو لنشر الألواح الخشبية ، ومنها ما هو للفحم ، وغير ذلك مما يتفرع من خشب الأشجار .

واذا ما جمعت هذه المصانع وضمّت إلى بعضها فان أشجار الغابات تفي بحاجاتها كلها ، ويبقى منها جزء كبير ، كان يذهب جزافاً يستعمل في صناعات لا عداد لها ، نذكر منها المعاجين والبلاستيك والورنيش والألوان ، واللحم ، والعوازل الكهربائية ، والمقاعد والخل والأنبذة والصمغ ، ولا سيما الكحول المستعمل في حاجات الحرب والى

يستخرج من القمح والدقيق بكميات هائلة ، ومن ألواح الخشب المعدّة للبناء ولصنع الأثاث ، إذ في الامكان استخراج هذا الكحول من نفايات الخشب التي لا يدري أصحاب المصانع كيف يتخلصون منها ، ومن السوائل التي لا قيمة لها والتي تخرج من مصانع الورق .

إن نشارة الخشب التي تكنس مع التراب من أرض مصانع النشر في الاستطاعة ايجاد منها علف للحيوانات غني بالبروتين ، في مقدرته أن يغذي عدداً وافراً من حيوانات الذبح الصالحة لغذاء الانسان ، كما ان استخراج الكحول الخاص بالمواد الحربية ، عوضاً عن استخراجه من القمح والدقيق من شأنه أن يوفر للعالم سنويّاً ملايين القناطير من هذين الصنفين الحيويين للجنس البشري في طعامه اليومي ، فيرخص سعرهما المرتفع ، وتزول المجاعات المخيفة التي حدثت بعد الحرب العظمى ولا تزال تحدث في كثير من بلدان العالم ، ولا سيما في القارة الأسيوية .

إن الصناعة الغابية اذا أحسن ترتيبها وادارتها في استطاعتها أن تغيّر مجرى حياتنا الاقتصادية ، وتمنع الكثير من البلاء الحال ببني البشر ، اذ لا يوجد في أوربا كلها بلد ينتفع الانتفاع الكلي بثروته الغابية ، اذا استثنينا السويد . فهذه الدولة تسنى لها طيلة الحرب العالمية الأخيرة ضم أطراف مصانعها وتوحيد العمل فيها فانتفعت الى أقصى حد بثروة الغابات فيها ، دون أن تترك شيئاً ولو تافهاً من أخشابها يذهب هباء ويضيع سدى ، فصنعت من الخشب الأطعمة التي لا عداد لها وعلف الحيوان والسكر والنشاء والكحول والخل والنبيذ واللحم وخيوط الغزل والحرير الصناعي والمعاجين التي يصنع منها أصناف وأنواع من الحاجيات لا تقع تحت حصر ، حتى أنها ألغت بطاقات الطعام في منتصف الحرب ، واعدت من الأغذية والأطعمة أكداساً مكدسة اصدرتها الى جاراتها النرويج والدانمرك وسائر البلاد الأوربية حالما تحررت من نير النازية الألمانية ، لدرجة قيل معها إن غابات السويد أنقذت البلاد من الاختناق الاقتصادي .

ويجب علينا الاعتراف أيضاً أن هناك عوامل أخرى ساعدت في هذا الانتعاش ، غير أن الفضل الأكبر يعود على غابات السويد وحسن استعمال أشجارها أو عدم التفريط في أية نفاية تسقط من الاخشاب عند استهلاكها .

﴿الغابات مماثلة لذهب الأرض وبترولها﴾ الشقاء مخيّم على القارة الأسيوية ، والمجاعة تفتك سنويّاً بمعظم أهلها مع أن نصفهم يعيش في الأراضي التي كانت في الماضي من أخصب بقاع الأرض ، لكنهم لاشوا الغابات التي كانت هناك فنضبت الينابيع واكتسحت

الأمطار الطمي الذي ينتشر فوق الجبال ، وجرفت الفيضانات الطين والوحل واحلتهما في

الأراضي المزروعة فأتلفت ما فيها ، وأنزلت بخصبها الدمار والبوار .

يدّعي البعض أن مدنيتنا الحاليـة تتطلب دحر الغابات والتخلص منها واحلال العمار محلها ، والحقيقة ان مدنيتنا تقتضي العناية التامة بالغابات ، وزرع الأراضي البور بالأشجار الخشبية لأن العصر الذي نلجه ليس عصر البترول ولا الذرة، بل عصر الخشب الذي سيأتي يوم نستخرج منه ان لم يكن كل حاجياتنا فجلها ، لأن الغابات اذا انتفعنا منها جيداً تماثل تماماً معادن الذهب والبترول ، بل تفوقهما اضعافاً مضاعفة ، لأن هذين الصنفين ليس فيهما نفع في حد ذاتهما ، فهما واسطة ووسيلة ، بينما أن الخشب مصدر لكثير من المآكل والحاجيات التي تصنع منه ، وتؤخذ من مادته نفسها .

﴿الغابات لم تزل وافرة في العالم﴾ ومن حسن حظ الانسان أن بقاعاً فسيحة في الأرض لم تزل عامرة بالغابات ، إذ يوجد نحو ثلاثين مليار فدان من الغابات الغبياء العذراء في خط الاستواء وما تحته في أفريقيا وأمريكا اللاتينية ، علاوة على ما يوجد منها في آلاسكا ومنشوريا وسيبيريا الروسية .

وهذه الثروة الخشبية لا ينضب لها معين ، فهي ليست معادن ولا بترولاً يأتي عليها يوم تنفد فيه وتجف ، بل هي قابلة للزيادة والاتساع إذا زرعت مقابل كل شجرة تقطع شجيرتان أو أكثر ، وفي الاستطاعة تحويل الصحاري الجرداء الى غابات غبياء بقليل من الجهد وبجزء من المال الذي ينفق على التسلح وابتكار آلات الخراب والدمار ، فتصبح هذه الأراضي الجرداء جنات خضراء فيحاء تدر على أهلها اخلاف الرزق ، فتنتفي الحاجة ، ويزول الفقر ، ويملأ كل انسان بطنه بالمآكل دون أن تكون هناك مجاعة ولا قحط ، ولا عوز ولا متربة .

ولكن هل يعود الانسان الى صوابه، ويحكّم عقله في أموره وشؤونه ، ويميّز صالحه من طالحه ، ويعرف ما يضره وما ينفعه ، ويقلع عن غيه ، وينبذ فكرة الحرب ، وينصرف الى التشييد والتعمير عوضاً عن التخريب والتدمير ؟

نقول : لا ، والأسى يحزّ في نفسنا ويمزّق نياط قلبنا.

(مترجمة عن مجلة ايكو الفرنسية)

لوعة الذكرى

للأستاذ عدنان مردم بك

يهتف القمريُّ من برج الجوى ... كلما هاج له شجواً غرام
وله من رقة الشكوى إذا ... غلب الشوق عتاب وملام
فترى للغصن في رأد الضحى ... نفضة المضنى إذا وافى الحمام
والأزاهير عيون فُتِّحَت ... للهوى والطل من صفو مدام
أيقظتها منيّة فانتبهت ... وعلى الأهداب للذكرى ارتسام
نظرت رَيّثاً فشبت لوعة ... فاض منها الدمع واعتاد سقام
ما سمعنا نظرة عن هدف ... اخطأته ولكم طاشت سهام
الهوى كأس أدارتها يد ... للصبا والناس من سكر نيام
ولهمس الريح آهات إذا ... غمر الاطباق في ليل ظلام
وأريج الزهر أنفاس الصبا ... حين يذكي جامحَ الشوق ضرام
عبقت في الروض من أنفاسه ... نفحة طابت لحياها الغمام
أحيت الذكرى فخارت دمعة ... في كوى العين وحنَّ المستهام
واستفاق الصب من ترنيقه ... ينفض النوم كما ارفضَّ الحسام
ما على القلب إذا عاوده ... من رؤى الماضي جنون وهيام

◎

تنشد الروح السموات العلى ... كلما انجاب عن النفس ركام
وتراها لا تني من لوعة ... ترمق الأفق وللدمع انسجام
كلما همت لترقى سدرة ... فلها من شهوة الجسم لجام
كمهيض الجنح حالت دونه ... وارتقاء الجو أدواء جسام
فطوى الضلع على الكسر وفي ... صمته ان عزّه النطق كلام

هندسة الماء في مصر

— ٢ —



للاستاذ حبيب عوض الفيومي

﴿ وادي الريان ﴾ وقد كنا قرأنا منذ سنوات أنهم شارعون في جعل وهدة وادي الريان — جنوب غرب الفيوم — مسنباة يحتجز فيها قدر ما تسع من فيض النيل عند كل ارتفاع له على أن يسقى به جُـرُز الأرض في الشمال بعد الانخفاض . وهذه هي سنوات طويلة قد مضت ولم يتحقق تخزين المـاء في ذلك الوادي مع ان الأشكال الهندسية . كما سمعنا . والرسوم التي تسبق العمل قد أعدت وصدر الأمر بإنفاذ ما فيها وإمضائه، ومع ذلك فإلى هذا اليوم لم ينجز هذا العمل . لا بل قرأنا منذ حقبة أن أصحاب هذا العمل قد بدا لهم . وأنهم يخشون على بلاد الفيوم من الغرق اذا امتلأ وادي الريان بالمـاء . وان التوقف المعهود في جميع أعمالنا والتسويف المألوف فيها . قد دب دبيبه الى هـذا العمل . وأنهم . كدأبهم في كل عمل يريدون إبطاله أو توقيفه . قد استقدموا خبيراً يأتيهم من بلاد بعيدة ثم يفحص الأرض في وادي الريان ثم يخبرهم عن طبيعة هذه الأرض . وهل هي من الصخر الصلب الذي لا ينفذ منه الماء أم إنها رُكام متخلخل لا يلبث الماء ان يتسرب منه فيجد له طريقاً الى منخفض الفيوم . وهذا عجيب وأيم الله . فلو كان قاع ذلك الوادي من الصخر الناري لما اطمأن انسان محتاط الى أنه سيحفظ الماء حفظاً تاماً لا يعتريه التسرب ولا النز . فلا بد من أهوية وتجاويف مطمورة في صميم الصخر ولا بد من شقوق واخاديد تحدثها الزلازل والأمطار وأشعة الشمس . فما بالـكم والقاع هناك طبقات متطارقة من عقد الزمل المتماسك أو الحجر الأبيض الذي هو مواد عضوية تحللت وترسبت من الحيوانات البحرية كالمحار والودع . ولماذا لم يتفكروا في هذا ويحسبوا حسابه قبل الاعلان عن العمل وقبل

إعداد الرسوم وقياس الأرض . وقبل ابرام العقود بين الحكومة وبين الأهالين الذين سيعمرون بأرضيهم الماء . أم كانوا يظنون أن قاع ذلك الوادي حوض مصنوع من الساماني (الاسمنت) فلما علموا أنه أرض ككل أرض فزعوا الى الخبير الأجنبي يستشيرونه فيما يعملون . وهبه قال لهم إن الأرض هناك متخلخلة . وسيقول لهم ذلك . فهل تراهم يعدلون عما أزمعوا ويتحللون من تحقيق ما أجمعوا . واني أقول لهم إن الوقت نفيس جداً كنفاسة الأرض التي تزرع . وإن المجتمع الذي نحن فيه والذي ننتمي إليه يحتاج الى هندسة في الزمن قدر احتياجه الى الهندسة في الأرض . والسنوات التي تنقضي على أرض بور يراد زرعها ثم لا تزرع يكون انقضاؤها ضياعاً لغلات تلك الأرض التي كان يجب لها أن تزرع حتى كأنها زرعت ثم ضاعت غلاتها وضاع معها ما كان يمكن أن تحييه من مال ، وما يمكن أن تحييه من أنفس وما تعمره من ديار ، فليس الوقت فراغاً كما يظنون ولكنه عند المصلحين وعند مصلحي الأرض خاصة أرض تغل وأموال تجبى ونفوس تحيا. ومن لم يهندس الزمن ويستغله بحسن التقسيم والتدبير فان العجز عن أداء كل عمل يكون به أخلق وله ألزم . إن الأمر اليوم أمر تدارك حياة وتعجيل مؤونة لشعب حريص على الحياة متلهف على المؤونة . فاذا كان وادي الريان لا يصلح أن يكون خزاناً للماء فانه لا شك صالح للزرع بما فيه من هائل الرمل وبما يجلبه النيل اليه من الغرين الخصيب . فلأن يكون أقليماً يزرع ، خير للناس من أن يكون خزاناً يتبخر ماؤه من أعلى ويتسرب من أسفل . فلنبادر إذن بالعمل ولنجعل الماء يمر في حروفه العليا وحوافيه ثم ينزل ترعاً وجداول الى أوساطه ثم الى قيعانه . والمثل الأعلى لهندسة الماء هنا في مصر . حيث يهبط الماء إلينا من علٍ أن يكون الماء الراوي أعلى من الأرض كما كان التصريف من أسفلها ، وفي تحقيق ذلك تحقيق لفائدتين عظيمتين أولاهما : أن يكون الماء آتياً من أعلى موضع فهو لذلك سيعم أوسع مساحة . والأخرى: أن يصبح مستقى كل أرض سهلاً رفيقاً فيستغنى الزراع عن سقي الآلات وتبقى لهم دوابهم موفورة الذرة نامية الأجسام . لا كما يصنعون اليوم إذ تخط الترعة في موضع كان أكثر ملاءمة للمصرف ، فأما والأمر اليوم كما نرى فلا رأي إلا إعمال الحيلة، فان كان ماء النهر منخفضاً عن مستوى الأرض التي يمر بها فلتكن سقي تلك الأرض من جدول يؤخذ من أعلى النهر حتى اذا حاذى الجدول الأرض التي ترتفع عن النهر بعد مسافة ما . كان ماء الجدول أعلى منها أو على مستواها . وهكذا

دواليك في كل أرض . مع الاستعانة على رفع مستوى الماء بالسكور والقناطر ذات الأبواب ومع اجراء الترع الكبرى التي تخط بعد ذلك في الحروف العالية حيث تجتاز أعلى ما يمكن اجتيازه من مشارق الصحراء ثم تنحدر منها الى مزارع الوادي ومهاويه وحدوره من عن يمين وشمال كلما أمكن ذلك . ولئن تسرب الماء من وادي الريان الى الفيوم بسبب تصريف الماء في قاعه عند زراعته فلا ضير من ذلك ففي أسفل الفيوم بحيرة في وسعها أن تتلقى كل تصريف يهبط إليها من وادي الريان . فليعجل من بيدهم أمر هذا العمل بانفاذه وانجازه ، فان زراعة وادي الريان خير من جعله خزاناً . أوليس يعد الخزان لسقي المزارع ؟ فما بالهم يجعلون خزاناً ما يصلح للزرع . وإنني أربأ بمواطني وبتقديرهم ووزنهم للامور ونحن في منتصف القرن الحادي والعشرين بعد المسيح أن يرتكبوا نفس الخطأ الذي تلافاه أمينمحات الثالث قبل نيف وثلاثين قرناً . فقبله كانت الفيوم بحيرة لاختزان الماء . وكانت من عمل الطبيعة . ولكنه رأى أن المنخفض الذي يمكن زرعه يكون زرعه خيراً للناس من تركه خزاناً للماء ، فأقام قنطرة اللاهون في أول منخفض الفيوم من الزاوية الشرقية الجنوبية فتحكم بذلك في الماء الذي يهبط إليه من الفرع اليوسفي ، ثم قسم أرض الفيوم الى قسمين متعادلين فقسم منهما وهو الغربي الشمالي جعله خزاناً للماء يملأ في أيام الفيض ، والقسم الآخر وهو الشرقي الجنوبي وأرضه أعلى من القسم الأول فقد جعله ارضاً مزروعة . وأقام بين القسمين سداً عالياً ضخماً لا يزال أثر منه قائماً الى اليوم بين قريتي منية الحيط وشدموه ، ويبلغ عرض هذا السد خمسة أمتار على التقريب وقد تزيد أو تنقص وهو مبني بالحجر الأبيض وفيه أبواب عالية كانت تفتح وتغلق وهم يستعملونها الآن منفذاً للماء النازل الى بحيرة قارون .



ولقد ذكرت أن المثل الأعلى لري الأرض في مصر أن يكون الماء أعلى من الارض إذ هو آت من أعلى ولأضرب مثلاً على ذلك ، الترعة الابراهيمية فانها تجري الى جانب النيل وليس بينها وبينه ما يزيد على الف من الامتار بل انها لأقرب اليه من ذلك في بعض المواضع . ولئن كان ماؤها يرتفع شيئاً ما عن ماء النيل فهي لامتدادها في بطن وادي النيل لا تسقي الا أقل بساط من الأرض . وهذا خطأ جسيم ونقص في التهندس . فقد كان أيسر ما يوجبه الانتفاع بهذه الترعة . ومأخذها آت من بعيد . أن يأخذ ماؤها

طريقه تحت الصحراء . ثم يتجه من الجنوب الى الشمال إما في حافتها أو دون الحافة بقليل في أول الأمر ثم في صميم الصحراء كلما كان مستوى الماء مع مستوى الحدود يسمح بذلك. وإذا كان الأمر يحتاج إلى تعميقها في أول الأمر . فانها لن تلبث بعد بضعة آلاف من الأمتار أن يقل عمقها ويقرب قاعها لأن هناك من الحدود مع طول المسافة ما يغني عن التعميق المتلازم ومتى توغلت في الصحراء فانها كانت ترويها مع ما ترويه الآن من الأرضين . وهذا وان كان خطأ جسيماً إلا أنه من الممكن تلافيه ولا سيما في الصحراء الغربية التي تتاخم المنيا وبني سويف. والفيوم أرض فضاء ثرياء تعلوها الرمال الناعمة الدقيقة ولا يزيد ارتفاعها عن الأرض المزروعة إلا قليلاً جداً . هذا مع اتساع بسائطها التي لا تحد . وليس على من شاء إلا أن يشاهدها بنفسه فما هي الا بواح أو قراح ممهود غير محدود . وليس فيه نشز ولا أخدود . فما كان أغناها وما كان أخصبها من أرض لو توسطتها ترعة فروتها فنقلتها من الوحشة الى الأنس ومن الخراب الى العمران . وانني أقترح أن تشق ترعة متوسطة الاتساع تأخذ من الفرع اليوسفي إزاء أول السهل المنبسط غرب مديرية المينا . بعد اقامة قنطرة عالية على اليوسفي ترفع منسوب الماء أمامها ثم تتوغل في الصحراء غرباً مدى عشرة آلاف متر أو نحوها ، ثم تتجه الى الشمال على أن يكون بينها . على مدى جريانها . وبين الأرض المزروعة الآن تلك الآلاف العشرة من الأمتار حتى تنتهي الى غرب قرية سدمنت في مديرية بني سويف حيث الفضاء المتقاذف من الأرض ذات التربة الميثاء التي تسوخ فيها الأقدام . فاذا وصلت الى غرب سدمنت انحرفت الى اليسار حيث يكون اتجاهها الى الغرب الشمالي ثم انحرفت شمالاً وانحدرت الي منخفض الفيوم من جنوبه الغربي ثم تجري على حافة المنخفض . على أن تتفرع منها الفروع من مبدئها الى منتهاها فتروى بذلك ما لا يقل سطحه عن مائة ألف من الأفدنة جنوب غرب الفيوم تقع ازاء نواحي منشاة عبد المجيد والغرق ثم بعد قليل ازاء قرية قارون . فهذا مشروع جليل الأثر يحيي من موات الأرض قرابة مائتي ألف فدان في المنيا وبني سويف ومائة ألف في فضاء الفيوم ثم هو مع ذلك قليل التكاليف بحيث لا يكلف إلا أجر عمال الحفر أو ما يساوي بناء عمارة ضخمة أو عمارتين . لأنه سوف لا يمر بأرض مزروعة فتشتريها الحكومة من أصحابها وتدفع فيها مئات الألوف وسوف لا يستدعي الأمر توثيق مئات العقود مع الملاك أو آلاف المصادقات مع الوراث وما وراء ذلك من عناء طويل وبذل مال . وانني لاعتقد بل أجزم أن أحداً ممن

يعنيهم تدبير مثل هـذا أو تذليله لم يكلف نفسه مشقة الرحلة الى تلك الصحراء القاحلة فضلاً عن الضرب في أحشائها . ولماذا يعمل وعمل الوظيفة لدينا ينتهي في دائرة الاختصاص ولا يتجاوز ساعات العمل المرسوم . ولماذا يوجه أفكاره الى الصحراء وهو قائم بعمله الخالد الرتيب . بل لعل بعضهم يظن ان تلك النواحي ما هي إلا جبال شاهقة لا موضع فيها لمسيل من الماء . فهذا مجال العمل النافع متسع لمن يريد . أم كتب الله على مصر ألا يكون تدبيرها إلا من خلف المكاتب ومن وراء الحجرات . اذ لا يكون لأهلها من نفع . وانما يكون النفع للخبراء الذين يستدعونهم كلما دعاهم داعي الخروج الى الأرض . ثم لهؤلاء السادة الكبار الذين يعيشون في رغد عن العيش ثم هم يطلبون المزيد، والذين لا يعملون إلا للفلاح ثم هم لقاء أيسر عمل يعملونه من أجله يريدون مقاسمته الزاد الخسيس . فلو أنهم أفادوه بأعمالهم غنماً أو أقطعوه باجتهادهم أرضاً لكان لهم شيء من الحق ان يستغلوا ما أفادوا . فهلا قنعوا بما أعطاهم الله الى أن يفيدوا الناس باجتهادهم شيئاً حتى اذا أثمرت أعمالهم كان أجرهم أرضاً مغلة وغياضاً عامرة . هـذا وليست فضيلة الانسان على أخيه بالغنى وكثرة المال ، فالغنى ان هو الا جور وبغي متى وجد الى جانبه فقير . ولكن فضيلة الانسان في عمله وأدبه وفي قناعته بأن يكون له نصيب لا يزيد كثيراً على المستوى العام الذي ينتظم مواطنيه، فاذا كان المستوى هو الغني فليكن غنيـاً كمن غنوا وان كا كفافاً فليتكفف . وأخيراً ففضيلته في إحسانه لما يقوم به من عمل . وأنت ترى الفلاحين الذين تتاخم أرضهم الصحراء في المنيا وبني سويف قد استصلحوا ما جاورهم منها فهم يسقونه بماء شروب (ما يستنبط من باطن الأرض وهو وسط بين المعذوبة والملوحة) وهم يستنبطونه بالسواقي التي تديرها الدواب غير أن ما يخرجونه من الماء لا يكاد يكفي ري ما يزرعون ، بل ان ذلك الماء لميله الى الملوحة لا يصلح به كل ما يزرع فترى بعض الزرع يموت قبل نضجه إما لظمأ أو لملوحة الماء، وما يتم نضجه يكون ناقص النمو خسيس النوع .

[للبحث بقية]





الحياة الاجتماعية

في العصر العباسي الثاني

٣٣٢ — ٣٣٤ هـ



للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

كانت الدولة الاسلامية في ذلك الحين مؤلفة من عدة عناصر أهمها :

الأتراك : وكان لهم النفوذ السياسي في الدولة ، وقضوا على نفوذ الفرس والعرب جميعاً ، وتولوا شتى المناصب الرفيعة في الحكومة . وأخلاقهم الاجتماعية ضعيفة [١] ؛ وكان فيهم عبث بالأخلاق ، وشراهة في جمع الأموال [٢] ، وكانوا مشهورين بالجمال والنظافة ، فكثرت الجوارى الأتراك في قصور الخلفاء والأثرياء ، حتى كان كثير من الخلفاء من أمهات تركيات ؛ وطابع الترك حب الجندية والفروسية والانتصار لمذهب أهل السنة ، والبعد عن الفلسفة والجدل في الدين ، وحب المال وجمعه من أية سبيل ، مع عدم الرغبة في الاصلاح .

العنصر الفارسي : كانوا عماد النظام السياسي والاداري للدولة ، ولكن الترك أقصوهم عن منزلتهم في العصر العباسي الأول ، فأخذوا يدسون الدسائس ، ويدبرون المؤامرات ، ويرمون الى الاستقلال ببلادهم عن الخلافة، وكانت الدولة تتأثر بهم في حياتهم العقلية الخصبة ، وعاداتهم وتقاليدهم العامة ؛ وكانوا دعاة الترف والمجون والحضارة ، وطابعهم حب السيادة والبذخ والقدرة على تنظيم إدارة الدولة وتشجيع العلوم والظهور بمظهر التشيع .

العنصر العربي : أقصى عن النفوذ في الدولة والخلافة ، وكان للمعتصم من ذلك

(١) ظهر الاسلام جزء أول صفحة ٣٢ (٢) المرجع نفسه صفحة ٣٤ ، ٣٥

أثر معروف ، وكان نفوذ العرب أظهر ما يكون في الشام والجزيرة حيث كوّنوا لهم هناك دويلات كثيرة ؛ وطابع العربي الزهو والاعتزاز بالنفس والفضائل والميل الى الأدب والرغبة في السيادة .

وهناك عنصران آخران كان لهما أثرها في الحيـاة الاجتماعية في هـذا العصر ، هما الزنج والروم :

أما الروم فقد كثر أسرام في بيوت الخلفاء والأغنياء ، حتى كان بعض الخلفاء من أمهات تركيات ، وكانت الجوارى الروميات والغلمان الروم يملأون القصور ، وتعشقهم الشعراء ، فكان للبحتري غلام رومي اسمه نسيم [1] ، وكذلك كان لسواه من الشعراء ؛ ومن هذا العنصر : ابن الرومي م ٢٨٣ هـ .

وأما الزنج أو السود فكانوا يجلبون من سواحل افريقيا الشرقية ، وكانوا يعملون في الزراعة والصناعة وفي بيوت الطبقات المتوسطة ، وليس أدل على كثرتهم وخطرهم من الثورة التي هددوا بها الدولة (٢٥٥ — ٢٧٠ هـ) ، وكانت حرباً بين الأجناس ، وظلت حتى قضى عليها الموفق عام ٢٧٠ هـ .



وكان الفرق بين طبقة الخـاصة وطبقة العامة كبيراً [2] ؛ والنفوذ والثروة في يد الخاصة من الناس مما يستلزم الترف واللهو والمغالاة في البنيان ، فقد أنفق المعتصم على بناء « سامراً » أموالاً طائلة ، وكذلك فعل المتوكل في بناء الجعفري وسواه من المباني التي أنفق عليها نحو خمسة ملايين من الدنانير ، وبنى المعتضد قصر التـاج في الجانب الشرقي من بغداد وأتمه ابنه المكتفي ، وبنى المعتضد على بعد ميلين منه قصر الثريا الذي بلغ طوله ثلاثة فراسخ وأنفق عليه نحو نصف مليون من الدنانير ، ووصله بالقصر الحسني بسرداب تحت الأرض بلغ طوله ميلين وكانت تمشي فيه جواريه وحرمه [3] ، وفي تهنئة المعتضد بقصر الثريا نظم ابن المعتز قصيدته :

سلمت أمير المؤمنين على الدهر ولا زلت فينا باقياً واسع العمر

(١) معاهد التنصيص ص ١١٠ — مهذب الاغاني جزء ٧ ص ٩٤

(٢) راجع الطبقات الاجتماعيـة وحياتها في هـذا العصر في التمدن الاسلامي (٢٠ — ٥٩ / ٥ ، ١٠١ — ١٢٩ / ٥) .

(٣) التمدن الاسلامي صفحة ٩٣ و ٩٤ وظهر الاسلام ج ١ صفحة ٩٩

حللت الثريا خير دار ومنزل فلا زال معموراً وبورك من قصر
فليس له فيما بنى الناس مشبه ولا بناء الجن في سالف الدهر

ويصف في أرجوزته في المعتضد قصر الرباب فيقول :

فمن رأى مثل الرباب قصراً كم حكمة فيه تخال سحراً
أبنية فيها جنان الخلد لكل ذي زهد وغير زهد
تخبر عن عز وعن تمكين وحكمة مقرونة بالدين
ومظهرات قوة الاسلام على أعاديه من الأنام

وهكذا كان الترف والنعيم حظ عدد قليل ، هم الخاصة من الناس وبعض رجال التجارة والصناعة ، حين كان الفقر والبؤس والشقاء للعامة وهم أكثر الناس [١] .

وكان من مظاهر الترف في هذا العصر — كما ذكرنا — كثرة الرقيق ، حتى امتلأت به القصور ، فكثرت نسل الجواري واختلطت الدماء ، وأشاع هؤلاء الجواري فن الغناء ، كما نشرن اللهو والمجون بين شتى الطبقات .

ولتنوع الحياة الاجتماعية الى خاصة وعامة وترف وفقر ونسك ولهو ، كانت البلاد معرضاً للنحل ، ومجالاً لدعاية الجماعات السرية وأصحاب المذاهب الذين كانوا يمزجون الأغراض الاجتماعية بالمبادىء الدينية ويعالجون الترفيه عن الفقراء بالدعوة الى المساواة .

فكان فيها التشيع برجالاته ، والاعتزال بطوائفه ، والسنة باختلاف أقوالها ، والفلسفة بمذاهبها ، والعلوم الحديثة بأنواعها ، وطوائف الأديان الأخرى بمبادئهم وآرائهم .

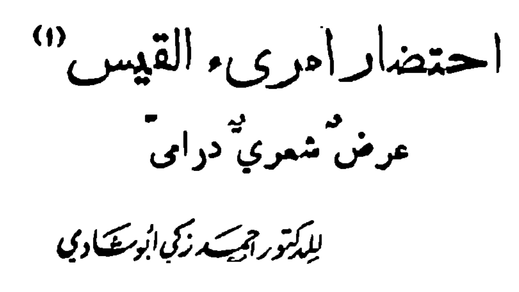
وقد قامت جماعات تكافح الشك في الدين والمجون في المجتمع ويدعون الى الحياة الاسلامية بأخلاقها ومبادئها وسلوكها : ومنهم الحنابلة الذين كانوا يقومون بثورات كثيرة في بغداد لمحاربة المجون والإلحاد .

---

(١) ظهر الاسلام جزء ١ صفحة ٩٧







احتضار امرىء القيس[1]

عرضٌ شعريٌّ درامي

للدكتور احمد زكي ابو شادي

الاهداء

الى الصديق عيسى خليل صبّاغ

يا منطقَ الموتى ! اليك هديةٌ ... من شاعر عملوا على إخراسهِ

عُدّت مواهبه جنايةَ عصره ... فتآمروا للحدّ من أنفاسهِ

وتفنّنوا في وأد كل كريمة ... ويتيمة وقفت على إحساسهِ

وتعقبوه وطاردوه ففاتهم ... ودموعه طفحت بثورة كاسهِ

وأتى الى المنفى ، فما رحموا له ... فكراً ، ولا قلباً يدقّ بياسهِ

حتى هرعتَ اليه تنقذ وشلةً ... بقيتْ ، وترجعه إلى قرطاسهِ

وتُعنِّف الزمن الغشوم مهذّباً ... لقياسه ، بل ضارباً بقياسهِ

ومقدّراً غرر الآثار وحدها ... لا حاسداً يختال في أدناسهِ

ومخلّصاً مثلي — الذي يا طالما ... أسدى من الموتى ، ومن وسواسهِ

جُحدت عوارفه — وليس لمثله ... مهما اسيء — سوى الوفاء لناسهِ

(١) من اذاعات صوت امريكا أخرجها وقام فيها بدور امرىء القيس الاستاذ عيسى خليل صباغ.

تمهيد

حين يفتخر العرب بتراثهم تتجلى أمامهم رؤى مجيدة من ماضيهم العزيز في جميع العصور ، وبينها أدب امرىء القيس وسيرته في النخوة والثأر للأبوة والشرف . وانها لسيرة جديرة بأن تستظهر وتمثل في كل مناسبة ، كما يتمثل بشعر ذلك الملك الفذّ . كان امرؤ القيس بوهيمياً فناناً ، وهب الشعر العربي كنوزاً من الجواهر النادرة التي بهرت النقاد في لغات شتى ، فترجمت وشرحت وعززت ، وكانت استشهاداً وغناء وانه ليمثل التفاني في سبيل فنه الذي أحبه وهو (الشعر) ، وكرهاً لتعلقه به طرده أبوه الملك حجر . ولكنه لم ينصرف عنه ، إذ كان شاعراً مطبوعاً أصيلاً مبدعاً من الطراز الأعلى ، حتى اذا قتل والده وبلغه نعيه وهو يشرب لم يجزع بل قال في حزم الرجال : —

« ضيعني صغيراً ، وحملني دمه كبيراً ، لاصحو اليوم ولاسكر غداً ، اليوم خمر ، وغداً أمر » .

ويحدثنا التاريخ كما يحدثنا شعر امريء القيس بالانتقام الرهيب الذي أنزله ببني أسد قاتلي والده وسالبي ملكه ، دون أن يعرضه اليأس أو الخوف أو قلة الأنصار ، عندما اتخذ قراره وإصراره ، فضرب المثل لكل جاد مهموم بقضية عليا يكرس جهوده لها . ولكنه لم يكتف بذلك ، بل ظل يسير في العرب يطلب النصر الأكمل واستعادة ملكه ، حتى ذهبت به همته الى القسطنطينية لمحالفة الامبراطور جوستنيان Justinian والاستنجاد به على أهل الحيرة . ولكن ابنته أحبت امرأ القيس الذي اشتهر باللطف وجمال الطلعة . وكانت بينهما صلات غرامية ، فوشي به الى الامبراطور ، وفطن امرؤ القيس الى ذلك فأسرع بالعودة الى بلاده . وبعث الامبراطور في طلبه رسولاً أدركه دون (أنقرة) بيوم ، ومعه حلة ذهبية مسمومة وكتب إليه : « إني قد بعثت اليك بحلتي التي كنت ألبسها يوم الزينة ، ليعرف فضل منزلتك عندي ، فاذا وصلت إليك فالبسها على اليمن والبركة ، واكتب اليّ من كل منزل بخبرك » . فلما وصلت إليه الحلة اشتد سروره بها ولبسها ، فسرى فيه السم وتنفط جلده ، والعرب تدعوه « ذا القروح » لذلك ؛ وفي هذا العرض الشعري التراجيدي الذي يمثل مأساة ذات ثلاثة مناظر تتجلى العواطف التي جاشت بامريء القيس ابان احتضاره .

المنظر الاول

(في مقبرة بمدينة انقرة بجيرة لحد لاحدى بنات ملوك الروم ، وقد رقد امرىء القيس متفيئاً ظل الاشجار في صباح يوم من أيار سنة ٥٤٠ م وهو يعاني آلام قروحه السامة)

امرؤ القيس : أجارتنا ! إن المزارَ قريب وإني مقيمٌ ما أقام (عسيب)
أجارتنا ! إنا غريبان ها هنا وكل غريبٍ للغريب نسيب !

*

آهٍ ، . . وآه ! . . . . وما حرقتي شكوى ، لكنها قضبة للأسد
يا قسوة الدنيا ويا غدرها لم تظلها مثليَ يوماً أحد !
أين يا (عمرو) أنت ؟
أين أنت يا رفيقي ؟
أمُستَوار علي تبكي ؟
أتذكر لما كنت تبكي محاولاً نكوصي ، فهل بالدهر قد كنت أخبرا
ولكنني لم أرض إلاّ توثبي دليلاً ، وجابهت الشدائد قسورا !

*

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونه وأيقن أنا لاحقان (بقيصرا)
فقلت له : لا تبك عينك ، إنما نحاول ملكاً أو نموتَ فنعذرا !

*

يا قروحي ! أما شبعت ؟ فجسمي يتلظّى ، ولم يعد بعدُ غضّا
ساقطاً كالنشير من قطع النجم ، وقد ذابَ ساقط النجم ومضا
ليس لحماً ، ولا دماً ، بل ضياءً ، ورجاء طرحته اليوم أرضاً
يا قروحي ! لا ترحمي يا قروحي ! إن أعش كالتراب ضيماً وخفضا
ليس روحي بل ليس جسمي من الدنيا ، ومنها وددتُ لو كنت أنفى

(يغيب عن وعيه اعياء ، بينما الطبيعة الحنونة تفيض بموسيقاها المواسية)

امرؤ القيس (يستعيد رشده في اضطراب) :

تُهَرّي هذه الأنغام ألحانَ ساحر ، ولوّي حقب الادهار براً بآمالي

وهل ذلك الطيرُ المغرّد شيمةً   نمت إليه ، لحنها بعضُ إعوالي ؟
أهذا شعوري أم وساوسُ ميّتٍ ؟   وهذا هياني أم هواجسُ بلبالي ؟

•

ولو أنّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ   كفاني ، ولم أطلب ، قليل من المالِ
ولكنما أسعى لمجدٍ مؤثّلٍ   وقد يدرك المجدَ المؤثّلَ أمثالي !

•

(تسمع سقسقة العصافير مع بعض الموسيقى الهادئة)

عفا (اللاتُ) عن طيرٍ أحبّ نشيدها   ولو كان سخراً بي لعجزي وإهمالي
ويا ما أحيلاها على أيّ حالةٍ   وما حفلت يوماً بعلكٍ وأوجالِ

•

كأنّ قلوبَ الطير رطباً ويابساً   لدى وكرها العنّابُ والحشفُ البالي !

•

(وتشتد عليه الالام ، ولكنه يتجلد ، ويغالبها بروحه اللطيفة المتعالية)

امرؤ القيس : ونادمت (قيصر) في ملكه   فأوجهني وركبتُ البريدا
(متوجعاً)   إذا ما ازدحمنا على سكةٍ   سبقت الفرانق سبقاً بعيداً

•

وقد طوّفتُ في الآفاق حتى   رضيتُ من الغنيمة بالاياب !

•

فيا شمس (النهار) ألا سبيلٌ   لما تدرينَ من حيل الظلام
لكم حاربته حرباً عواناً   وكان يفرّ منكِ بلا احتشامِ
فهل سيغزوني إذ غبتِ عني   أنا النجمُ المحطّم في الرغامِ ؟

•

أجيبيني ! أجيبيني ! فأني   أعاني من قروحي ما أعاني
وانْ شمخت على الآلام نفسي   ومل شموخها أبقى المعاني
أعانيها وأكتمها كأني   أمينٌ ، حافظ سرّ الزمان

•

ويا هذي النوافح من شماعٍ   ويا هذي الرواقصُ من دوالي

ويا هذي الأزاهرُ من بناتٍ منعّمـةٍ منوّعة الجمالِ
ويا هـذي النسائمُ باسمات طبعنَ ثغورهنَّ على خيالي
أأنتنَّ الشفاء أتى حبيباً يُعزّيني، وقد سمع ابتهالي ؟!

(يسمع تجاوب الطبيعة المنوع في ألحان شجية هادئة)

امرؤ القيس : إنّ النعاس يكاد يغلبني كأني من خصومه

(متثائلا وقد يا طالما عاندته
غلبه النعاس) يا طالما عاندته

(موسيقى نائمة حالمة)

المنظر الثاني

(يستيقظ امرؤ القيس في أصيل ذلك اليوم على آلامه المبرحة دون الانتفاع من نومه منذ الصباح، وقد بدأ يشعر بدنو منيته وتحولت ريبته الى يقين من غدر الامبراطور به)

امرؤ القيس :

أمضى (النهـار) ، وفاتني من شمسه ذاك العلوُّ على السماء تلالا ؟
وكذاك عمري ... ما أرى (إصباحه) أمضى، ومن وهج (الظهيرة) نالا
تبع (الأصيل) هوى الصباح ولم أنل مجداً تألق في السماء وطالا

*

اضحكي يا قروحي ولتمضّي أديمي !
اضحكي من نزوحي في غـرور النسيم !
ضاع عمري هبـاء مثلما ضاع مُـلـكي
ما درى من أسـاه لو درى كان يبكي

*

وهج (الظهيرة) لم أره وكذاك مجدي لم أره
كل الذي حولي مما ت باسمٌ في مقبره
ما أحقر الدنيا لمن رفع الحياة عن الشّـره !

*

فآهِ ! آه يا قلبي ! جحيم ! جحيم كل جسمي لا يخفُّ
وحولي للربيع من الجاني مشارع لا تضنّ ولا تجفّ
وأين يدٌ لتطفىء بي ظمائي ؟ وأين الغانيات له ترفّ ؟

*

أيها الأضواء فوق العشب ! يا صفو الرحيق !
أتمشيني ! أنا كالمخمور غرّ لا أفيق !
أسكرتني سَورة الحمّى فأضللت الطريق !

(فاصل موسيقي شجي)

امرؤ القيس : يا ليت شعري أسُقمي من غدر (قيصر) يُضني ؟
أذاك سمّ دفين يحسّه خفق قلبي ؟ !

*

ماذا ؟ .... أحُلّتك التي أهديتها كانت ملوّثة بسُمّ قاهر ؟
يا بئس (قيصر) إن يكن إعجازه تدويخ مغترب وقتلة شاعر
إنّا بنو الأفلاك ليس يحدّنا وهم الزمان ولا الوجود العاثر
نبني الضرائح بالعواطف وحدها ونعاف أحكام القضاء الدائر !

*

يا حياتي ! آذن الليل بأطفاء سراجي
ها هي الشمس تحيّيني وقد حان زماعي
ها هي الآلام قد خفّت وإن كانت تداجي
ها هي الأرض بدت تبتلّ من نثر الدّماع
قد بكت لي ، وبكاء الأرض أمي كابتهاجي
فإليها أنا ماض ، وتباريحي ودامي !

(يختم المنظر بلحن الغروب)

المنظر الثالث

(أشرف امرؤ القيس على الدور الاخير من احتضاره ، وقد تعد عن أية حركة ، وغربت الشمس ، ولكن الافق توهج بأصباغ الشفق ، وبقي هو وحيداً لا تحف به غير لحود الموتى ونبات المقبرة ونجوم السماء . وقد صحا - بعد غفوة - الصحوة السابقة للموت) .

امرؤ القيس : من ترى ذلك الذي شطّ في النقش ونفّض الأصباغ فوق السماء

(في ضعف) هل دمائي هذي؟.... نعم.... بل دمائي أهرقت في قروحي الرمضاء!

*

ولكنّ الظلام أراه يعدو اليّ، فهل تخوّف من ذهابي

تمهّل أيها الجاني ! تمهّل ! فللحمّى سلاسل لا تحابي

وضعفي مرغمي ، وعثار قلبي كما عثر الصغير على انتحاب !

(فاصل موسيقي شجي قصير)

(ويتوالى الاغماء على امرىء القيس من سريان السم في جسمه ومن تأثير الحمى ، فيستيقظ وقد اشتد الظلام ورصعت النجوم السماء)

امرؤ القيس : وأنت يا نجومْ نوافذ الغيوبْ

(في ضعف متزايد) ما سرك المكتوم ؟ أنكبة القلوب ؟

تبدين كالعيون لكاسر الغيلانْ

وخاطري المجنون يرنو لها سكران !

وأنتِ يا نجوم . . . . . .

(ثم يفقد امرؤ القيس وعيه ، فلا يستيقظ الا لحظة يلفظ فيها مع آخر أنفاسه مطلع معلقته الخالدة وكأنما يرثي نفسه به)

امرؤ القيس :
(في سكرة الموت) « قفا ... نبك ... من ذكرى ... حبيب ... ومنزل ! »

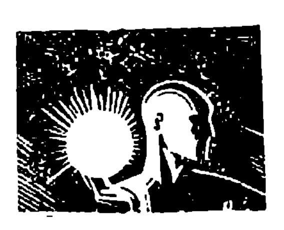
النهاية

الدكتور أحمد زكي أبو شادي



الشموع

الطبيعية والصناعية



للأستاذ حسن محمد السكري

الشمع في لغة الكيمياء هو كل ما تركب من كربون واكسجين وايدروجين وأشتمل على أملاح عضوية لأحماض دهنية أشتقت من كحولات ، أوزانها الذرية عالية . وقد يصحبها كميات ضئيلة من أحماض دهنية حرة ، وكحولات وستيرولات أو هيدروكربونات .

ولكن مثل هذا التعريف غير جامع ولا مانع ، لأن شموع النحل والكرنوبا والصينى وزيت مني القيطس — وهو سائل — تتفق تماماً مع هذا التعريف بيد أن شمع البرافين وشمع الأزوكريت لن يقبلاه لخلوهما من الأكسجين أو الأملاح العضوية ، وإن جرى العرف باعتبارهما شموعاً من حيث الخواص الطبيعية كالصلابة ودرجة الانصهار والزلاقة والشكل والصفات المطلوبة في الصناعة بوجه عام .

والواقع ، يقضي بأن نقبل كلمة (شمع) بمعناها الواسع والمألوف لدينا ، دون إعتبار لتركيبها الكيميائي . وعلى هـذا نطلق كلمة شمع ، على كل مادة ، كانت في شكلها وخواصها واستعمالها من مستلزمات الشمع .

﴿ تصنيف الشموع ﴾ : يمكننا أن نصنف الشموع المختلفة تبعاً لأصولها كالآتي : —

(١) معدنية (٢) نباتية (٣) حيوانية (٤) حشرية — وهذه الأصناف طبيعية . (٥) كيمائية وصناعية — وهذه وليدة البحث والتقدم العلمي في هـذا العصر . وتشتهر عادة بأسمائها التجارية نظراً لتعقد تركيبها الكيميائي .

(١) ﴿ الشموع المعدنية ﴾ : وتشمل كل الشموع التجارية التي تستخلص من الأرض

كما هي ، أو تشتق من مواد مصدرها الأرض ، بعد عمليات التنقية كالبترول وقطران الفحم. وأهم أفرادها الآتي : —

(١) ﴿شمع البرافين﴾ — أكثرها استعمالاً ويستخرج من تقطير البترول وأنواعه النقية خالية من الطعم والرائحة ، كما أنها أصلب وأقل شحومة ولونها أبيض . ودرجة ذوبانه ١٢٢ — ١٢٤ ف . وهو عديم التصبن والحموضة . وكثافته (٨٨٠ و . — ٩٩٥ و .) ويذوب في ثاني كبريتور الكربون ورابع كلورور الكربون وزيت التربنتين والكيروسين والزيوت الثابتة . (٢) الشمع الاموروفي — أو شمع البرافين اللابلوري ويمتاز باختلاف حجم وتركيب بلوراته ، وأنه أصلب وأكثر مرونة من شمع البرافين النقي ودرجة ذوبانه أعلى منه . وهو أكثر لاصقيـة وأقل لامعيـة وشحومة وله القدرة على تجميع الزيوت والمذيبات .

﴿شمع الاوزوكريت﴾ وهو شمع لابلوري يوجد بباطن الأرض في بولندا والنمسا وروسيا وأمريكا الشمالية قريباً من تجمعات البترول . ويظهر في الأسواق على ثلاث درجات تبعاً لمقدار تبييضه . ويمتاز بقدرته على امتصاص الزيوت والمذيبات . ودرجات الحرارة المنخفضة لا تسبب تكسره كشمع البرافين . ودرجة ذوبانه ١٤٩ — ١٧٦° ف وكثافته (٨٥ و . — ٩٥ و .) ويذوب في البنزين والكيروسين وفي زيت التربنتين بنسبة ٦ ٪ ولتقليل تكاليفه التجارية يغش مادة بشمع البرافين

(٤) شمع السرسين — وهو في الأصل شمع أوزوكريت منقى ولكن أصنافه التجارية تحوي ٥٠ — ٨٠ ٪ شمع برافين . وبعض عيناته الاوربية قد تحتوي قلفونية أو ألوان تحاكي شمع النحل . وتختلف شموع السرسين في اللون بين الأبيض والاصفر وفي درجات الذوبان من ١٣٠ — ١٧٠° ف تبعاً لنقاوتها . وهو يذوب في نفس مذيبات لبرافين .

(٥) ﴿شمع المونتان﴾ — وهو صلب متقصف ، لامع السطح يستخرج من فحم اللجنيت بأوروبا الوسطى . والشمع الخام لونه بني قامق ، أما النقي فيميل إلى الاصفرار . ودرجة ذوبانه (٧٢ — ٩٢° س) وشمع المونتان يصعب خدشه بالأظافر ويذوب في النفط والتربنتين . ويعتبر بديلاً لشمع الكرنوبا .

(٢) ﴿الشموع النباتية﴾ : ومصدرها أنواع من النخيل كشمع الكرنوبا والاوري كوري أو الثمار كشمع الياباني أو الأعشاب كشمع الكانديليلا أو الألياف كشمع الاسبارتو

والقطن أو الأعواد كشمع القصب . ونستعرض فيما يلي أهم أفراد هذه المجموعة :—

(١) شمع الكرنوبا — ومصدره بلاد البرازيل ويظهر في خمس درجات . وهو شمع لابلوري صلب جداً وله لامعية ورائحة طيبة . ويتصبن بالقلويات القوية . وهو شمع أساسي في كل اللمعات . ودرجة ذوبانه ١٤٨ — ١٩٦° ف .

(٢) شمع الكانديلا — نوعه النقي يمتاز بالصلابة وقابلية التكسر وله لامعية ورائحة عطرية . وتختلف درجة ذوبانه باختلاف نقاوته . ويذوب في التربنتين والبترول .

(٣) شمع اليابان — وتركيبه الكيميائي دهني ولذا نجده سريع التصبن بالقلويات وأحسن أصنافه المسماة كيتاجومي وتشيكوساك . ويذوب في الكحول والبترول والنفط والتربنتين والتترالين ويصح استخدامه بديلاً لشمع النحل .

(٤) ﴿شمع القصب﴾ — وهو إنتاج ثانوي في عمليات صناعة السكر . ولونه قامق وله رائحة وهو أصلب قليلاً من شمع النحل ودرجة ذوبانه نحو ١٣٢° م . ولقد شاهدنا عيناته بالمعرض عام ١٩٤٩ بقسم شركة السكر .

(١) ﴿الشموع الحيوانية﴾ — وهي قليلة وأهمها شمع السبرماستي أو مني القيطس ويحصل عليه من دهن الحيتان ولونه أبيض شفاف ، سهل التكسر ، بلوري التركيب . درجة ذوبانه ٤١ — ٥٢°م سهل التصبن بالمحاليل القلوية ولذا يستخدم في كريمات التجميل .

(٢) ﴿الشموع الحشرية﴾ - وهي نتيجة افرازات حشرية معينة كشمع النحل والصين والشلاك .

(٣) ﴿شمع النحل﴾ - ويظهر على شكل كتل أو أقراص ولونه أصفر أو مبيض . درجة ذوبانه ١٤٥ — ١٥٨° ف وكثافة (٩٥ و . — ٩٧ و .) ويسهل خلطه بالشموع والدهون والراتنجات وهو سهل التصبن مع البوراكس بنسبة ٧ ٪ .

(٢) ﴿شمع الشلاك﴾ - مادة صلبة وخشنة وبنية اللون ولامعة تذوب في درجة ٧٤ — ٨٢° م .

(٥) ﴿الشموع الكيميائية﴾ — أو الصناعية وإليك أهم طوائفها حسب إشتقاقها الكيميائي .

(١) ﴿الكحولات الدهنية﴾ — وتشمل كحول الستيل والسيلاريل وشمع اللانت

وهي كثيرة الاستخدام في اللمات والمستحلبات وكريمات التجميل .

(٢) ﴿ الأحماض الدهنية ﴾ – ومن أهم مشتقات الحمض الدهني شمع الاستيارين وهو خليط من الحمض الدهني مع شمع البرافين . ودرجة ذوبان الحمض الدهني النقي ٣ ر ٦٩ م وكثافته ٨٤٧ و . ودرجة غليانه ٢٣٢° م ووزنه الجزيئي ٣٨ ر ٢٨٤ .

(٣) ﴿ الزيوت المجمدة ﴾ بإمرار غاز الايدروجين في الزيوت النباتية أو الحيوانية ، من وجود عامل وسيط كمعدن النيكل أو الكوبلت ، تنتج موادتشبه الشموع . وشمع الاوبال أساسه زيت الخروع المأدرج ولونه أبيض لؤلؤي . وهو صلب لا يذوب في المذيبات العادية ولكنه يستحلب مع الماء في درجة ذوبانه ٨٥° م .

(٤) ﴿ النفتالينات الكلورية ﴾ - وهذه الشموع ذات تأثير ضار وسام . ومن أهم مسمياتها التجارية شمع هالو وشمع سيكاي .

(٥) ﴿ الشموع النتروجينية ﴾ — وهي مشتقات نتروجينية معقدة للأحماض الدهنية ذات الأوزان الذرية العالية . وأهمها شموع الاكرا (ا ، ب ، ج) وهي لا تذوب في الماء ولكنها تذوب في الزيوت المعدنية الساخنة وكذا التربنتين الساخن .

(٦) ﴿ شموع آي جي ﴾ وكانت تحتكر صناعتها شركة فاربن الالمانية قبل الحرب الأخيرة ولكنها الآن أصبحت من المنتجات الانجليزية . وأساسها الكيميائي خليط لاسترات وجليكولات وخلافه ، لأحماض أشتقت من شمع المونتان وغيره ، فضلاً عن وجود صابون معدني ومحسنات أخرى . ولها ١٦ نوعاً تتميز عن بعضها البعض بأحرف هجائية وتشمل طوائف من الشموع الطرية والصلبة ، مما يستخدم في الأغراض الصناعية المختلفة .

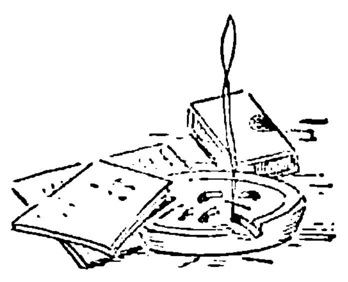
(٧) ﴿ شموع سانتو ﴾ — وهي طائفة من الشموع الكربولية الصلبة وتبدأ درجات ذوبانها من درجات الحرارة العادية إلى ٢١٠° م .

هذا ولا تقتصر الشموع الصناعية على ما سبق ذكره ، فالعلم يلد العجائب كل يوم .

أم المراجع Commercial Waxes. By : H. Bennett.



دراسة وتحليل



الامير ابن سنان الحلبي

٤٢٣ — ٤٦٦ هـ

الاستاذ محمد علي هدية

— ١ —

أحاول أن أقدم في هـذه الكلمة الموجزة دراسة موجزة للامير ابن سنان الخفاجي الحلبي الشاعر العالم الأديب الذي أهمله الباحثون حقبـة طويلة من الزمان ، ولم يعنوا بدراسة حياته ، وآثاره الأدبية الرائعة . وابن سنان في رأينا مفكر وأديب من طراز نادر ، وهو فيما نرى من أجدر الأدباء والنقاد بالبحث والدراسة ، فهو شاعر مطبوع ، وكاتب موهوب ، وأديب ممتاز ، وناقد متذوق ، وعالم جليل من الذين خدموا البلاغة العربية خدمة لا تقدر بقيمة وإن كتابه « سر الفصاحة » لمن خيرة المراجع العربية في بحوث النقد البلاغي ، والأدب العربي ، وهو كتاب مشهور بين العلمـاء ، ومشهود له بالأهميـة والابتكار والخلق ، وقد أشاد ابن الأثير في مطلع كتابه ، بكتاب « سر الفصاحة » هذا ، ونوه بمنزلته في علم البلاغة ، كما تعقب آراءه بكثير من النقد والشرح والتحليل .

وقد ترك ابن سنان ديوانا من الشعر القيم ، وأشعاره فيه مملوءة بالمعاني والأفـكار العقليـة . وإن القارىء ليستشف من ورائها روحه الثائرة ونفسه الطموح ، وعزيمته الصادقة ، تحركها آمال وأحلام كبيرة في الحياة .

— ٢ —

ولد ونشأ وعاش ابن سنان في مدينـة حلب الشهباء ، عاصمة دولة الحمدانيين ، ومهد الفلاسفة والعلماء والأدباء والـكتـاب والخطباء ، والشعراء .

وكانت مركزاً من مراكز الحضارة العربية، وحفلت بأعلام الفكر والأدب في القرنين الرابع والخامس الهجري، وفيها عاش سيف الدولة الحمداني، وأبو فراس، وابن خالويه اللغوي النحوي المتوفى عام ٣٧٠ هـ، وعبد الرحيم بن نباتة المتوفى عام ٤٠٥ هـ وخطيب جيوش سيف الدولة المفوّه، وإليها هاجر أبو الطيب المتنبي الشاعر العظيم، والفارابي الفيلسوف المتوفى عام ٣٣٩ هـ، وبجوارها في معرة النعمان؛ ولد ونشأ وعاش المعري الشاعر الفيلسوف المتوفى عام ٤٤٩ هـ وهو شيخ شاعرنا ابن سنان.

ومن شعرائها، النامي والناشيء الأصغر، وأبو القاسم الزاهي، وأبو الفرج الببغاء.. وتلك هي حلب موطن ابن سنان — فضلاً عن بيئة الشام الأدبية عامة، التي تأثر بها ابن سنان، ومن حفلت بهم من أعلام الأدب والشعر والخطابة، كأبي طالب الرقي والخليع الشامي، وعبد المحسن الصوري وأبي الرقعمق؛ وسواهم من الشعراء والخطباء.

هذه هي البيئة الأدبية التي عاش فيها ابن سنان، وتنقل في ربوعها حاملاً في أعماق نفسه نزعاته الحرة الصميمة، وطبعه العربي السليم الفطرة، الذي ورثه مع ماورث من أجداده وآبائه العامريين القيسيين، فلا عجب أن تبعث في نفسه هذه الوراثات حب الأدب وتذوقه والاجادة في نظمه إجادة فاق فيها أقرانه ومعاصريه.

— ٣ —

كان ابن سنان من سلالة بني حزن الخفاجيين أحفاد خفاجة بن عمرو بن عقيل. وهم قبيلة كبيرة لها تاريخها الحافل في الحياة العربية قبل الاسلام وبعده، وقد كان موطنهم في نجد ثم في جزيرة الفرات بالعراق، وقد رحلت فروع منهم إلى حلب، واستقروا فيها، لقربها من هذه البلاد، وشهرتها الأدبية والسياسية في التاريخ الاسلامي. ونحن لا ندري متى استقروا فيها بالضبط، ولعل ذلك قد كان في أول القرن الثالث الهجري، أو قبيل ذلك بقليل، كما يرجح مؤلف كتاب «بنو خفاجة» وتاريخهم السياسي والأدبي الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي.

وقد تغنى الشاعر بمجد جده سنان الخفاجي العقيلي العامري الذي كان له مجده في قومه، فانظر إليه يقول في تهديد بعض خصومه:

مهلاً فإنك ما تعد «مباركاً» خالا، ولا تحصي «سناناً» والدا
بيت له النسب الجلي وغيره دعوى، تريد أدلة وشواهدا

ولا نعلم شيئاً عن ميلاد ابن سنان ، ولكننا نجد في ديوانه قصيدة نظمها عام ٤٤٣ هـ وفيها هذان البيتان :

وقور إذا طرقتني الخطوب ... وحل من الخوف عقد النهى

بعشرين أنفقتها في الصدود ... وجدت بها في زمان النوى

يقول إنني أضعت من عمري عشرين عاماً ، وأنا أقارع فيها الخطوب المدلهمة وقد آثرت فراق الآباء والأجداد ، في جلد وصبر ووقار . فعمره في عام ٤٤٣ هـ كان عشرين عاماً ، وعلى هذا يكون مولده حول عام ٤٢٣ هـ . . ويؤيد ذلك رسالة كتبها ابن بطلان إلى صديق له عام ٤٤٠ هـ يصف له فيها حلب ويقول : « إن فيها شاباً حدثاً يعرف بأبي محمد ابن سنان الخفاجي ، قد ناهز العشرين وعلا في الشعر طبقة المحنكين [1] » .

— ٤ —

نشأ الأمير ابن سنان — كما سبق أن ذكرنا — نشأة علمية ، وأدبيـة كبيرة ، وكان من تلاميذة أبي العلاء المعري ، المقربين . وقد أهلته هذه النشأة ليكون فيما بعد : العالم الكبير ، والشاعر المليغ ، والمؤلف الذي لا تزال اللغة العربية تفخر بتراثه العظيم « سر الفصاحة » وبديوان شعره الذي يصوّر إباءه وطموحه ، وتطلعه الدائم إلى المجد والسلطان السياسي . وقد عاش في ظلال دولة بني صالح بن مرداس الكلابيين العامريين ومدح أمراءهم ورجال دولتهم بشعره ، وتوثقت صلاته بهم طول حياته الى حد بعيد . وممن مدحهم — من أمراء هذه الدولة — أبو سلامة بن صالح بن مرداس الكلابي ، وذلك حيث يقول : —

فتى وجد العز حيث الحمام ... ومن دوحة المجد يجني الردى

مدحتك بأخطب منك الوداد ... إذا حاول القـوم منك الغنى

ولي في نجـاركم شعبـة ... وفي الأفق بدر الدجى والسها

وهو في هذه القصيدة يرسم لنا صورة لنفسه الأبية الطموح ، ولمجد قومه وأسرته بني خفاجة العامريين — أبناء عمومة أسرة حلب الحاكمة من بني كلاب العامريين ، وقد اتصل بعز الدولة الكلابي ، ومدحه بقصيدة ، منها : —

وآمالي مطوحـة بطـاه ... ينازع دونهـا قدر مطول

وما يسمو الزمان إلى قراعي ... وظل جنـابكم أبداً ظليـل

(١) رواها معجم البلدان في الكلام على حلب ، ونقلها عنه مؤلف « أعلام النبلاء » ج ١ ص ٣١١

وفي هذه القصيدة - كما في سابقتها - يصوّر لنا طموحه ورغبته في المجد السياسي ونخار الولايات، لا طمعاً في مال وثروة، وهو يكرر هـذا المعنى في أكثر شعره، وبحيث يظهر لك في وضوح وجلاء : —

يظن العـدى اني مدحتك للغنى　　وما الشعر عندي من كريم المكاسب
أعني على نيـل الكواكب في الملا　　فأنت الذي صيرتهـا من مآربي

وقد سافر الشاعر من حلب، الى القسطنطينية عام ٤٥٣ هـ، وهو في سن الحادية والثلاثين، ولا ندري سبب هذه الرحلة ولا ظروفها.

وقد أرسل الأمير من هناك الى اخوانه في حلب أربع قصائد، يقول في أولاها .

وا أسفي من رحلة طوحت　　فيهـا الى الروم الأعاريب
قادني الدهر إليهـا ومن　　يجـاذب الأقدار مغلوب

ومنها يمدح بني ملهم : —

ذوائب من عامر ضمهـا　　بيت على الجوزاء مضروب
لهم إذا أمهم سائل　　فن من الجود وأسلوب
أبعدني منك زمان له　　في طلبي وخد وتقريب

وفي القصيدة الثانيـة من هـذه القصائد دعابة ورقة، وخفـة روح أرسلها من القسطنطينية يداعب بها بعض اخوانه وأبناء عمومته، وذلك حيث يقول : —

أأغيب عن حلب ثلاثة أشهر　　لم تكتبوا فيهـا اليّ بلفظـة
قلتم شغلنـا بالحصار وصدنا　　ما كان بعدك من معز الدولة
لو شئت أهرب مرة من عندكم　　ما كنت أقصد غير قسطنطينة

ولا يزال به وحيه وإلهامه في هـذه القصيدة حتى يتحفنا بهـذا البيت البالغ حد الروعة :

صاح الغراب بنا ففرّق شملنـا　　قد رمت فيه الخطوب فأصمت

وفي بحوث لا تزال خطية، يعدها للنشر مؤلف كتاب « بنو خفاجة » الذي أشرنا اليه، ما يشير الى أن هجرة الأمير ابن سنان هذه، كانت لأغراض سياسية خاصة، وتوطيد العلاقات بين دولة « حلب » و « قياصرة الروم » في القسطنطينية، لصد الغزو الفاطمي عن حلب . [يتبع]

الثلج

واستعماله في الطب



للدكتور عبده رزق

للثلج منافع جمة في كثير من الحالات الطبية المتنوعة ، وليس كمخدر موضعي عند اجراء بعض العمليات الجراحية الصغيرة فحسب، بل أيضاً في حالة وجود التهابات أو احتقانات وغيرها نظراً الى تأثيره القابض على الاوعية الدموية . ولا يقتصر تأثيره هذا على الطبقات السطحية من الجلد في المكان الذي يوضع عليه بل كذلك على الطبقات السفلى تحته على عمق بضع سنتمترات ذلك لأنه يضعف حاسية الأعصاب الرئيسية مع تفرعاتها في تلك المنطقة ويماثل في مفعول المخدرات الموضعية الأخرى المعروفة . والجراحون الاقدمون أنفسهم غالباً ما كانوا يستعملونه — بعد الضغط على العصب الرئيسي في المنطقة المراد اجراء العمليـة فيها — لتوقيف الدم وتخدير هـذه المنطقة في حالة بتر الاصابع مثلاً أو نزع اظفر أو استئصال كيس شحمي أو فتح خراج سطحي الخ...قبل اكتشاف المخدرات الحديثة .

ولكي يأتي الثلج بالفائدة المبتغاة يقتضي الانتباه جيدا وقت استعماله لكيلا يبقى مدة طويلة على سطح الجلد خوفاً من حدوث فقاعات أو حويصلات تتقيح أو تتقرح وتصير غنغرينا ، وأن يوضع دائماً بين كيس الثلج و بين الجلد قطعة من الكتان الأبيض أو الفلانلا منعاً لتجميد الثلج من جهة ، ولمص الرطوبة المتجمعة على سطح الكيس من جهة أخرى . فيملأ الكيس الى نصفه بالثلج المكسر قطعاً صغيرة بعد افراغه جيداً من الهواء الموجود فيه قبل سده ، ثم يوضع على المكان المقصود وذلك لمدة ثلاث ساعات .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حتى اذا ذاب ما فيه من الثلج يملأ من جديد ، وتكرر هذه العملية نهاراً وليلاً بحسب اشارة الطبيب المعالج . ولا يغفل عن ملاحظة الجلد الموضوع فوقه الثلج خوفاً من ظهور لطخ حمر أو بنفسجية اللون ، لان في هذا دليلاً على البرودة الشديدة ، وفي هذه الحالة توضع طبقة أخرى من الكتان الابيض أو الفلانلا بين كيس الثلج و بين الجلد .

ظروف استعمال الثلج

يستعمل الثلج سواء من الخارج أو من الداخل في ظروف معينة : —

أولاً — من الخارج : ١ — في حالة وجود اصابة بالتهاب السحايا الدماغية الحاد Méningite aigue ، وروماتزم الدماغ أو حدوث احتقان فيه . ففي مثل هذه الحالات يفيد جداً وضع كيس ثلج على رأس المصاب .

٢ — في الاصابة بسرعة ضربات القلب Tachycardie عند عصبيي الأمزجة أو عند المصابين بالجدرة الجحوظية Goitre exophtalmique : فيوضع كيس ثلج على منطقة القلب كمسكن ومقو لهذا العضو .

٣ — في الاصابة بالحمى التيفية : الثلج في هذه الحالة أيضاً كثير الاستعمال ومفيد جداً ، خصوصاً عندما يخشى حدوث نزف في هذا المرض ، وكذلك حينما يخشى حدوث التهاب في عضلة القلب أو في صماماته . وفي حالات كهذه يوضع الثلج على منطقة القلب .

٤ — حينما يراد تهبيط الحمى المركزية عند المصاب بحرارة عالية ، وفي مثل هذه الحالة يوضع كيس الثلج على الصدر .

٥ — وضع كيس الثلج على الرقبة . تفيد جداً هذه الطريقة عندما يراد تنظيم ضربات القلب وحركات التنفس .

٦ — كيس الثلج على البطن : كثير الاستعمال أيضاً في حالة وجود التهابات حادة في البريطون . والتهابات الزائدة الدودية ، والتهابات توابع الرحم Annexites . وهكذا في حالة وجود التهابات ما حول الرحم Périmétrites ، ففي مثل هذه الحالات يوضع كيس الثلج باستمرار على المنطقة الملتهبة . واذا كان البطن مسطحاً يوضع عليه كيس واحد من الثلج ، واذا كان كبيراً أو مكوراً يوضع عليه كيسان . فكيس واحد في هذه الحالة لا يكفي لانه يميل إما

الى هـذه الجهة أو تلك فيسقط على أحد جانبي البطن . والمهم في الامر أن يكون كيس الثلج ثابتاً في مكانه على الموضع الملتهب أو المؤلم .

٧ – في الاصابة بحمّى الشمس : المصاب بهذه الحمى تعتريه حرارة عظيمة وعطش شديد وجفاف اللسان مع احمراره ، وسرعة النبض وصداع ونبضات الصدغين وغثيان وقيء صفراوي ، وقد تؤدي هذه الحالة الى غيبوبة منذرة بالموت . فحيال أمراض خطيرة كهذه يفيد كثيراً وضع كيس ثلج على رأس المصاب ، أو ماء مثلج فيعود غالباً الى وعيه.

أما مدة استعمال الثلج على نحو ما تقدم فتختلف باختلاف مدة الاصابة ونوعها، وعلى كل فيستحسن الاستمرار على استعماله حتى بعد زوال أعراض الداء بخمسة أو سبعة أيام ، وأحياناً أكثر من ذلك إن لزم الأمر الى أن يغدو البطن ليّناً من جديد . ولا يشعر بعد ذلك بأي ألم اذا كانت العلة موجودة في البطن . وفي الحالات المرضية الاخرى يعود ذلك الى رأي الطبيب .

ويمكننا كذلك استعمال وضعيات الثلج المشار اليها في حالة وجود فتق مختنق Hernie étranglée عند المصاب ، أو التهاب حاد في الخصيتين ، أو التواء في مفصل القدم entorse . فاستعمال الثلج في مثل هـذه الحالات أيضاً مفيد جداً ويخفف كثيراً من آلام المريض .

ثانياً — من الداخل— : يكون ذلك في مكافحة القياءات ، والتقزز ونزف الدم من الانف والحلق والمعدة والرئة ، أو لازالة التهاب اللوزتين. والمصاب بهذه الحالات يعطى الثلج لمصه أو لبلعه قطعاً صغيرة حتى تزول الأعراض . ويستحسن وضع قطع الثلج المشار اليها على قطعة فلانلا مشدودة فوق اناء فارغ زجاجي متوسط الحجم وليس في طاس أو صحن،لأن الماء الذي يسيل من الثلج في هذه الحالة يذيبه سريعاً .



ما يهمك أن تعرف عن : —

العناصر المعدنية



ماهيتها وخواصها في جسم الانسان

— ٧ —

للأستاذ شبير وجيري

الكالسيوم

﴿ الكالسيوم ﴾ عنصر معدني أطلق عليه السر همفري دافي هذا الاسم لوجوده في الطباشير من الاسم اللاتيني كالكس ، ولونه أبيض لماع. ولكنه سرعان ما يتأكسد عند تعرضه للهواء ويصفر لونه .

والحجارة الكلسية منتشرة في كل مكان . ونحو سبع قشرة الأرض من الكالسيوم ، ومع ذلك فالحصول عليه في حالته الطبيعية نادر جدا . وقد أكتشف الأستاذ بوشر الفرنسي طريقة قليلة النفقات لاستخراجه. فصار من السهل الحصول عليه بثمن رخيص . وهو معدن قابل للتطريق أصلب من الرصاص وأخف من الألومنيوم . فالكبريتات تكوّن المرمر والجبس . والكربونات توجد في الطباشير والرخام . والمغنيسيوم في أحجار الدولوميت وفوسفات الكالسيوم تكوّن العظام ، أما الكربونات ففي قشرة البيض.

ويستخلص المعدن بطريق التحليل الكهربائي لمزيج من كالسيوم ،كلورور الصوديوم المنصهر ، ويظهر في السوق على شكل أعواد معدنية نقاوتها ٩٨ ٪ . وهو سريع التفاعل مع الماء ، كما أنه يتحد مباشرة مع معظم العناصر .

﴿ الكالسيوم في الجسم ﴾ يوجد الكالسيوم في الجسم على هيئة فوسفات. وكربونات الكالسيوم في الهيكل العظمي . وعلى هيئة فلورور الكالسيوم بكمية صغيرة جداً في الأسنان

والغضاريف ، كما توجد أملاح الكالسيوم أيضاً مذابة في سوائل الجسم على هيئة بيكربونات حيث تؤدي عملاً مهماً في تجلط الدم [1] بمجرد خروجه من الجسم الحي. فعند حدوث جرح بسيط في أي جزء من الجسم يسيل الدم لمدة وجيزة. ثم لا يلبث بعد ذلك أن تتكوّن جلطة دموية على سطح الجرح توقف النزيف وتمنع سيلان الدم وهذا عمل الطبيعة في وقف النزيف ، ولولا وجود الكالسيوم في السائل الدموي لامتنع حدوث هذا التجلط . ويغلب على الظن أن التجلط سببه تكوّن مادة تعرف بالفبرين تنشأ من تفاعل أملاح الكالسيوم المذابة في الدم مع خميرة الترمبين ، وكل مائة سنتيمتر مكعب من مصل الدم بها من ٩—١١ ملليجراماً من الكالسيوم .

ويقل الكالسيوم الذي في الدم عن المعدل، في حالات فقر الدم والحموضة والاجهاد العصبي.

ويتراوح مقدار الكالسيوم في جسم الانسان بين ٢ و ٢٫٥ ٪ بالوزن ، منها ٩٩ ٪ في الهيكل العظمي والغضاريف . وفي نسج العضلات بنسبة ٦ ملليجرامات في كل ١٠٠ جرام من النسيج ، وفي الكليتين بنسبة ٢٠ ملليجراماً ، وفي الغدة الدرقية بنسبة ٣٤ ملليجراماً .

﴿العمل الذي يؤديه﴾ وقد أدرك الجراحون أهمية الكالسيوم في شفاء الجروح. ولذلك يحقنون الجسم في بعض الجراحات الخطيرة بمقدار من لبنات الكالسيوم لمنع ما قد يحدث من النزيف المتواصل الذي يعقب استخدام المشرط .

ومن المعروف أيضاً أن أملاح الكالسيوم لها تأثير واضح في انقباض عضلات القلب. فكما أن أملاح البوتاسيوم تسبب انبساط هذه العضلات ، فقد تبيّن أن أملاح الكالسيوم تساعد على انقباضها . أي أن تأثير أملاح البوتاسيوم والصوديوم من جهة ، وأملاح الكالسيوم من جهة أخرى، هما اللذان يسببان انتظام حركة عضلات القلب .

والكالسيوم والفسفور يأتيان في المرتبة الثانية بعد ملح الطعام ويحتاج إليهما الجسم بمقادير وافية . ويستمد ما يحتاج اليه من الكالسيوم من الطعام الذي يمتصه ويستبقيه تحت تأثير فيتامين د الذي يمدّ الجسم بكمية صالحة لتكوين العظام .

﴿نقص الكالسيوم﴾ ونقص الكالسيوم في الجسم يؤدي إلى أمراض مهمة، منها الكساح في الأطفال ولين العظام في الكبار وتسوس الأسنان في الصغار والكبار . ووجود

(١) كتاب الاغذية للاستاذ حسن عبد السلام

فيتامبني د و ا خصوصاً الأول منهما أساسي جداً في عملية استساغة الخلايا للكالسيوم .

وفي الأعضاء التي يصيبها ضرر جسيم [١] بسبب نقص الكالسيوم في الطعام والأسنان والعظام . فالجسم عندما لا يجد كفايته من الكالسيوم في الأغذية يلجأ الى أكبر مستودع للجير في أعضائه وهو العظام ، فيعمل على سحب الكالسيوم منها كي يمد به العصارات الداخلية اللازمة لحياة بقية الأعضاء ومن حيث أن باطن الأسنان والعظام أقل صلابة من الميناء والطبقات السطحية فانها تعاني نقصاً في الكالسيوم أشد مما تعانيه الأجزاء الصلبة ويترتب على ذلك أن تنخر الأسنان وتنثوى العظام وتدق وتصبح سهلة الكسر .

وقد اتضح في البحوث في فرنسا أن ٩٢ ٪ من سكانها الذين تتجاوز أعمارهم الثامنة عشرة يشكون من نقص الكالسيوم ، وينصحون لعلاج هذه الحالة بتحسين طرق توزيع اللبن واضافة ٢٠٠ جرام من كربونات الكالسيوم الى كل ١٣٠ كيلو جراماً من الدقيق لصنع الخبز واضافة فيتامين « د » إلى المرجرين والسكر لجعل أقل نسبة لما يحصل عليها الطفل منه ٢٠٠٠ وحدة دولية و ١٠٠٠ وحدة للبالغ . وذلك لحفظ التوازن بين الفسفور والكالسيوم في الجسم .

ويقول الدكتور بار H. Barr [٢] « إن نقص الكالسيوم من الغذاء يؤدي الى انحطاط تدريجي في قوة العضلات ويؤدي إلى انتزاع بعض الكالسيوم من مادة الأعصاب ، مما يسبب آلاماً عصبية نيورالجية Neuralgie . واستمرار نقصه قد ينشأ عنه تصلب الشرايين في المستقبل والاصابة بالبول السكري ، كما يؤدي إلى تدفق بعض السوائل في المفاصل . ثم لا تلبث الغضاريف أن تتأثر أيضاً بهذا النقص فتضمحل تدريجياً »

فالكالسيوم ضروري للاسنان والعظام ولهضم الطعام وقوة العضلات وصحة الأعصاب وتجلط الدم عند الحاجة ، ولكل نبضة من نبضات القلب ، ولصحة الجسم بوجه عام .

﴿ الكالسيوم في مأكولاتنا ﴾ ظهر لنا مما تقدم أن الكالسيوم ضروري لجميع نسج الجسم ، وتقدر المواد المعدنية بالعظام بنحو ٧٠ ٪ من وزنها [٣] أغلبها فوسفات الكالسيوم . فان كان غذاؤنا خالياً تماماً من الكالسيوم فان العضلات تفقد نموتها وتتوقف الأعصاب عن توصيل رسائلها ، وفي النهاية يتوقف القلب عن أداء عمله ، واذا كان طعامنا

(١) كتاب الاغذية للاستاذ حسن عبد السلام . (٢) المصدر نفسه
(٣) كتاب الصحة عن طريق الغذاء للاستاذ عبد المقصود نصر

يحتوي على القليل جداً من الكالسيوم فان الدم يفقد خاصية عمل « الجلطة الدموية » وبذلك يصبح خلع الضرس مثلاً عملية خطيرة أشد الخطورة .

ويحتاج البالغ في غذائه الى ٨٠ و . جرام من الكالسيوم في اليوم أما الأطفال الذين في سن النمو من ٣ سنوات الى ١٥ سنة فيحتاجون إلى جرام وربع جرام في اليوم ليتم تكوين عظامهم بعكس البالغين الذين يحتاجون لكمية كافية لتيسير حركة الجسم .

وتحتاج المرأة الحامل [١] في غذائها الى جرام ونصف جرام يومياً، والمرأة المرضع الى جرامين يومياً ، ولذا يفضل أن تعطى الحوامل والمرضعات مقداراً من زيت السمك أو من أي مركب آخر به فيتامين د بمقدار ١٠٠٠ الى ٥٠٠٠ وحدة دولية في اليوم لتنشط امتصاص الكالسيوم واستساغته حتى لا يحدث نقص في تغذيتهن ولا في تغذية وتكوين الجنين أولاً ثم الطفل الرضيع ثانياً .

ويزيد الدكتور البرت وستلاك [١] على ذلك فيقول : —

تجب العناية التامة بأسنان الأطفال مدة ستة أشهر على الأقل قبل أن يولدوا وذلك بأن يدرس غذاء الأم خلال أشهر الحمل درساً وافياً . ويحسن بالأم أن تجهز كل المواد اللازمة لتكوين عظام طفلها وأسنانه ونسج جسمه الأخرى ، فاذا لم تأكل طعاماً غنياً بالكالسيوم فان جسمها نفسه يحرم المؤونة الكافية لتكوين جسم الجنين ، وفي هذه الحالة تتألم الأم والجنين معها لأنه لا يوجد الكالسيوم الكافي لها . ولهذا كان من المهم جداً أن يحتوي غذاء الأمهات الحبالى على طعام غني بالكالسيوم مثل اللبن وصفار البيض والخضر الطازجة والفاكهة ويجب أن تتجنب الاغذية التي تنعدم فيها هذه الأملاح . مثل المواد السكرية النقية والأرز والمكرونة ، والمواد المصنوعة من الدقيق الأبيض. ففترة الحمل هذه من أهم مراحل تكوين عظام الطفل . كما يجب على الأم أن تتجنب الامساك لأنه عدو لدود لصحتها ولصحة الجنين الذي في جوفها ـ (وما ذكر ينطبق أيضاً على فترة الرضاعة)

والمواد الغذائية الآتية تعد أهم مورد للكالسيوم وتحتوي كل ١٠٠ جرام منها على ملليجرامات بحسب الرقم الموضوع أمامها : —

---

(١) كتاب على هامش الطب للدكتور سليمان عزمي باشا

(١) كتاب الاغذية للاستاذ حسن عبد السلام وكتاب الطعام والصحة الآتية جريس تبدج

المأكولات	كالسيوم بالمليجرام
أرز	٠ر٠٢٥ ٪
أرنب	٠ر٠٠٨ ٪
باذنجان	٠ر٠١١ ٪
بامية	٠ر٠٧١ ٪
برتقال	٠ر٠٤٠ ٪
بسلة	٠ر٠٢٨ ٪
بصل	٠ر٠٤٢ ٪
بط	٩ر٠٠٥ ٪
بطاطا	٠ر٠١٩ ٪
بطاطس	٠ر٠١٤ ٪
بطيخ	٠ر٠١١ ٪
بقدونس	٠ر٠٤٤ ٪
بلح	٠ر٠٦٥ ٪
بذر الجزور	٠ر٠٢٩ ٪
بيضة (كاملة)	٠ر٠٧٦ ٪
تفاح	٠ر٠٢٠ ٪
تين (طازج)	٠ر٠٥٣ ٪
تين (مجفف)	٠ر١٦٢ ٪
ثوم	٠ر٠٣٠ ٪
جبن	٠ر٧٩٠ ٪
جزر	٠ر٠٥٦ ٪
جوز	٠ر٠٨٩ ٪
جوز الهند	٠ر٠٢٤ ٪
حمام	٧ر٠٠٨ ٪
خبز القمح	٠ر٠٥٠ ٪
خس	٠ر٠٥٠ ٪
خضر	٠ر٠٢٥ ٪
خوخ	٠ر٠١٥ ٪
خيار	٠ر٠١٦ ٪
دجاج	٠ر٠١١ ٪
دقيق القمح	٠ر٠٤٠ ٪
ذرة	٠ر٠٠٦ ٪
زبدة	٠ر٠٥١ ٪
زيتون أخضر	٠ر١٢٢ ٪
سبانخ	٠ر٠٨٣ ٪
سردين	٠ر٠٢٥ ٪
سمك تونه	٠ر٠٢٦ ٪
سمك مدهن	٢٤ر٥ ٪
سمك غير المدهن	٤١ر٤ ٪
سنطاوي	٠ر٠١٥ ٪
شعير	٠ر٠٢٠ ٪
شمام	٠ر٠١٧ ٪
شكولاته	٠ر٠٨٠ ٪
طرطوفة	٠ر٠٣٩ ٪
طماطم	٠ر٠١١ ٪
عدس مقشور	٠ر١٠٧ ٪
عسل أبيض	٠ر٠٠٤ ٪
عسل اسود	٠ر٥٩١ ٪
فاصوليا جافة	٠ر٠٧١ ٪
« خضراء مقشرة	٠ر٠٢٨ ٪
فجل	٠ر٠٣٧ ٪
فراخ صغيرة	٠ر٠١٢ ٪
فلفل أخضر	٠ر٠٢٠ ٪
فول سوداني	٠ر٠٧١ ٪
فول الصويا	٠ر٢٥٠ ٪
قرع العسلي	٠ر٠٢٤ ٪
قرنبيط	٠ر١٢٣ ٪
قشدة اللبن	٠ر١١٠ ٪
قلب	٠ر٠٠٩ ٪
كبد	٠ر٠١٢ ٪
كرات	٠ر٠٥٨ ٪
كرفس	٠ر٠٧٨ ٪
كرمب	٠ر٠٤٥ ٪
كمثرى	٠ر٠١٣ ٪
كلاوي	٠ر٠١٦ ٪
لبن بقري	٠ر١٢٠ ٪
« جاموسي	٠ر٢٠٦ ٪
لحم بقري ـ فخذ	٠ر٠١١ ٪
« ضاني	٠ر٠٠٩ ٪
لفت اوراقه	٠ر٣٤٧ ٪
« الجزور	٠ر٠٦٤ ٪
لسان	٠ر٠٠٨ ٪
لوز	٠ر٢٣٩ ٪
ملوخية	٠ر٣٩٣ ٪
موز	٠ر٠٠٩ ٪

﴿الـكالسيوم في النبات﴾ عنصر الجير متحداً مع عنصر المغنيسيوم يوجد في جميع النباتات . غير أن عنصر الجير يوجد في أوراق النباتات أكثر من عنصر المغنيسيوم[1]. كما يوجد عنصر المغنيسيوم في البذور أكثر من عنصر الجير . وهكذا يعمل عنصر الجير على تكوين نسج النبات وفي الوقت نفسه تمثيل العناصر الأخرى بينما عنصر المغنيسيوم يقوم خصوصاً بتمثيل حمض الفوسفوريك . ولابد لعنصري الجير والمغنيسيوم من النسب المتعادلة . فاذا زاد الجير على المغنيسيوم ضعف النبات ، وإذا زاد المغنيسيوم تسمم النبات.

وعنصر المغنيسيوم ضروري في تكوين البذور الغنيـة بحامض الفوسفوريك ، كما أنه أساسي في جميع أجزاء النبات وخصوصاً في طريق النمو . وعنصر المغنيسيوم يتغلب في قشر الحبوب بنسبة ٤ أجزاء لبقية الحبة وعشرين جزءاً للخلايا الدقيقة في الحبة .

ويوجد الـكالسيوم في التربة بمقدار يكفي لتغذية النبات ولا بأس من اضافته الى الأراضي الزراعية من حين لآخر على صورة جير أو حجر جيري ، إذ انه يفيد التربة وخاصة اذا كانت حامضية . كما انه يساعد على تفتيت الطمي المتصلب وجعل التربة هشة مسامية . أما العناصر الأخرى التي تلزم لتغذية النبات فهي المغنيسيوم والحديد والـكبريت

وفوسفات الـكالسيوم الموجود في الطبيعـة غير قابل للذوبان في الماء . ولذا فهو لا يصلح للاستعمال سماداً حتى يحوّل الى مركب سهل الذوبان ، كي يسهل على النبات امتصاصه والاستفادة مما به من الفسفور . وذلك بمعالجة الفوسفات الطبيعي بحامض الـكبريتيك فيتحول الى فوسفات أحادي الـكالسيوم وهو السماد المطلوب .

ويستخرج الفوسفات في مصر من الجهات القريبـة من شاطىء البحر الاحمر وأهمها سفاجه والقصير ويبلغ مجموع ما يستخرج منه سنويّـا حوالي ثلاثمائة الف طن في العام — وكل عشرة أطنان من الفوسفات الخام تنتج ثمانية أطنان من فوسفات أحادي الـكالسيوم .

﴿تأثير زرنيخات الكالسيوم في نمو النباتات﴾ ظهر أن الأراضي الأكثر تأثراً بزرنيخات الكالسيوم هي أقلها احتواء على الطين وأفقرها في عناصر الحديد والألومنيوم والكالسيوم والمغنيسيوم ، واتضح أن اضافة كميات أقل من زرنيخات الكالسيوم (١٠٠ رطل للفدان مثلاً) لها تأثير مفيد. إذ أن عنصر الـكالسيوم فيها يعادل حموضة التربة ، وعنصر الزرنيخ ينشط نمو بكتيريا التربة .

---

(١) كتاب الكيمياء ووسائل الحياة اليومية للاستاذ حسن عبد السلام





الدراسات العربية

في اميركا[1]

للاستاذ فرحات زيارة

تحدثنا إليكم في حديث سابق عن الأسباب التي جعلت الدراسات الشرقية عامة في أميركا في النصف الأول من هـذا القرن لا توازي في الأهميـة غيرها من الدراسات ، ولكننا أشرنا إلى أنه في السنين الأخيرة ظهرت نزعة قوية لمتابعة هـذه الدراسات وعلى الأخص الدراسات العربيـة وايساعها بحثاً وتنقيباً في نواحيها المتعددة قبل بضعة سنين كان الفرد الأميركي اذا حاول التخصص في العربيـة وآدابها أو في التـاريخ الاسلامي قوبلت رغبته بالاستهجان ، واذا ما حاول أن يقنع أصحابه بأهمية هـذه المواضيع للدرس والبحث ارتسمت على وجوههم ابتسامة خفية ملؤها الهزء والسخرية وكأنهم يقولون — مسكين فلان ، فانه دائماً يتتبع المواضيع الغريبة المستهجنة ، ولو كانوا يدرون لما استخفوا به ولعلموا أن هذه المواضيع ما هي بالغريبة ولا بالمستهجنة ، فالعربية لغة خمسين مليوناً من البشر واللغة الدينية لثلاثمائة مليون من المسلمين ، والحضارة الاسلامية قد منحت العالم الكثير من العلوم والفنون التي تعتبر اليوم من أساس الحضارة العالمية .

ولكن عدم التشجيع هـذا ما كان ليفت في عضد البعض الذين رأوا بثاقب بصرهم أهمية الدراسات العربية فتخصصوا فيها وراحوا يبحثون عن كنوزها ثم عرضوها للمستغربين والمستهجنين فأخجلوهم ثم بعمموا جهودهم شطر الأحوال الحاضرة في البلدان الإسلامية وانبروا يدرسون نواحيها المتعددة من سياسية واقتصادية واجتماعية وهمهم تقوية العلائق الودية بين تلك البلدان وأميركا فأظهروا أهمية هذه البلدان وشعوبها وثقافتها في

(١) (حديث اذاعه من « صوت أمريكا » وخص به المقتطف)

بناء عالم واحد وثيق العرى قوي الوصال ، عندها تنبهت المؤسسات العلمية الاميركية إلى أهمية البلدان الإسلامية عامة والبلدان العربيـة خاصة وأهميـة تاريخها في تفهم الحضارة العالمية ومقوماتها .

وكان أول هـذه المؤسسات جامعة برنستون فإنها أقامت في السنين الأخيرة برنامجاً للدراسات الشرقية يجعل الطالب يستطيع أن يتخصص في شئون الشرق الأوسط ولما يزل في صفوف البكالوريا ، فانه يدرس العربيـة والتركية والفارسية مثلاً ويتخصص في التاريخ الإسلامي حتى اذا نال شهادة البكالوريا أصبح بإمكانه استعمال لغتين على الأقل من هـذه اللغات في البحث والتنقيب عندما يدخل كلية المتخرجين ويباشر دراساته العالية التي ترمي إلى نيل درجة الدكتوراه في هذه المواضيع .

وكان ما لاقته جامعة برنستون من النجاح في برنامجها ، مثل إقبال الطلبة على الانخراط في سلكه وتشجيع الهيئات الرسمية والصناعيـة له وللاجتماعات والمؤتمرات التي يعقدها بين الحين والآخر لدى بعض نواحي الشرق الأوسط . كان هذا النجاح الذي لاقته حافزاً للمؤسسات العلمية الأخرى على النسج على منواله. فها هي ذي جامعة مشيجان توسع دائرتها الشرقية لتقيم برنامجاً خاصـاً بالشرق الأوسط وبحضارته . فبعد ما كانت تلك الدائرة منصرفة الى تاريخ شعوب الشرق الأدنى القديمة ، أصبحت اليوم تهتم أيضاً بما يجري في الشرق الأدنى الحديث من أحداث وميول ، وقد أقامت كل من جامعة مشيجان وجامعة هارفرد في هـذا الصيف دورة صيفية لدراسة نواحي الحيـاة في الشرق الأوسط واستدعت الخبراء من الجامعات الأخرى في هذه البلاد وفي غيرها ومن الحكومة الاميركية للمحاضرة في موضوع اختصاصهم فحاضر أحدهم عن الشريعة الاسلامية وآخر عن التاريخ الإسلامي وثالث عن مقومات الاجتماع ورابع عن المشاكل السياسية وخامس عن التنظيم الاقتصادي وهكذا ، وذهبت جامعة مشيجان إلى أبعد من هـذا بأن قدمت دروساً لتعليم مبادىء العربية في تلك الدورة الصيفية ، ورائدها تحبيب هذه اللغة للطلاب لـكي يتابعوها في الدورة العادية من السنة المدرسية .

أما الجامعات الأخرى التي كانت تقدم دروساً بالعربية في قسم المتخرجين منها فلا تزال تعرض هذه الدروس وتحاول زيادة نشاطها في هذا المضمار .

ولعل من أهم التطورات في هـذا السبيل قيام معهد دراسات الشرق الأوسط في واشنطون العاصمة قبل سنوات قليلة ، وهـذا المعهد يعني بدراسة النواحي المتعددة

من حياة الشرق الأوسط ويحاضر فيه (عدا أساتذته) جماعة من موظفي الحكومة الاميركية الذين يعنون بشؤون الشرق الأوسط ، وبذلك يستطيع الطلبة الاستفادة من الخبرة العلمية التي جنتها تلك الجماعة في ميدان اختصاصها .

وينشر الرجال المتصلون بهذا المعهد مجلة بالانجليزية تدعى « مدل أيست جورنال » وهي تعد من أفضل المجلات من نوعها في العالم ، فهي فوق نشرها المقالات عن مختلف شؤون الشرق الأوسط من سياسية واقتصادية واجتماعية ، تقدم تقاريظ للكتب التي تلم بمواضيع شرقية ، وقائمة متسلسلة بالحوادث التي جرت في الشرق الأوسط منذ صدور العدد السابق من المجلة ، وقائمة بالمقالات التي نشرت في المجلات الأخرى من غربية وشرقية والتي تدور حول نواحي الشرق الأدنى .

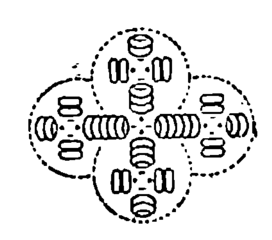
وقد بلغ اهتمام الأوساط العلمية الاميركية بشؤون الشرق الأوسط درجة حدت بمجمع الجمعيات العلمية الاميركية إلى إقامة لجنة خاصة تهتم بتلك الشؤون .

وقد أعدت هذه اللجنة تقريراً صدر في السنة الماضية ضمنته آراءها في هذا الموضوع وحضت فيه على توسيع نطاق دراسات الشرق الأوسط توسيعاً كبيراً كي تتناسب تلك الدراسات مع أهمية تلك المنطقة من العالم في هذا العصر الحديث ، وفي الوقت نفسه رأت تلك اللجنة انه من الأهمية بمكان أن يتعرف الاميركيون الى ما يكتب وينشر في الشرق الأوسط من كتب ومقالات كي يتم التعاون بين الشعب الاميركي وشعوب ذلك الشرق ، فاقترحت في تقريرها ترجمة قسط وافر من الكتابات الحديثة من العربية والتركية والفارسية إلى الانكليزية . وفعلاً أخذ سكرتير ذلك المجمع على عاتقه انجاز هذا المشروع الجليل وشرع يعد العدة وينتقي المترجمين للقيام به .

وخلاصة القول إن في الولايات المتحدة اليوم ميلاً قوياً ملحاً لدراسة شؤون الشرق الأوسط عامة والبلدان العربية خاصة . ويبرهن هذا الميل على اهتمام الاميركيين بمشاكل ذلك القسم من العالم وماضيه وحاضره ومستقبله ، وبآماله وأمانيه كي يتم التفاهم بين شعوبه وبين الشعب الاميركي الذي يضمر لها الخير والسعادة .







كيف ينتفع العالم بالذرة

للأستاذ عوض جنيدي

كتب عالم أميركي هو نائب عميد جامعة شيكاغو ، مقالاً نفيساً في هذا الموضوع العصري ، وذلك في إحدى مجلات وطنه ، فرأيت تلخيصه ، لما استوعبه من الفوائد : —

﴿ تاريخ فلق الذرة ﴾ اجتمع في اليوم الثاني من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٢ في جامعة شيكاغو ، فريق من العلماء حيث وضعوا قواعد الانشطار المسلسل لمعدن اليورانيوم، الذي يحوّل المادة — طاقة . وكان أولئك العلماء قبل ذلك الاجتماع قد أدركوا مبلغ الطاقة التي يتاح احرازها طبقاً للمعادلة الرياضية التي وضعها العلامة اينشتين . فحفزتهم ضخامة النفع المنشود من ذلك المشروع ، على مواصلة البحث لادراك هدفهم فجملوا يمهدون الطرق لانتاج أفتك سلاح حربي في الوجود . إذ اخترعوا أعظم الأعمال الاقتصادية العصرية . ولا غرو فقد فتحوا سبلاً جديدة لا نهاية لها ، خاصة بالبحوث العلمية والمعارف العصرية . وما من شك انه قد عرضت في الاجتماع المشار اليه كثير من مذاهب العلماء، قديمهم والحديث ، مثل ـ ميكلسون[1] وابنشتين[2] وفرمي[3] ـ وغيرهم، الخاصة بانشاء الفرن الذري . ولم تكن الطاقة النووية وقتئذ اختراعاً عرضياً . لأن العلم لا يتقدم بتجربة جزافية ، ولا بملاحظة تفضي الى نظرية أية كانت . بل الواجب المتبع ، البدء بالنظرية ثم تليها التجربة .

وبناء على الاحصاءات الصحيحة التي قدمها العلماء ـ الذين ذكرناهم ـ المتخصصون في

---

(١) هو البرت ابراهام ميكلسون ولد سنة ١٨٥٢ وتوفي سنة ١٩٣١ عالم اميركي من علماء الطبيعة وكان اول أمريكي حاز سنة ١٩٠٧ جائزة نوبل للطبيعيات (٢) هو البرت اينشتين ولد سنة ١٨٧٩ عالم الماني وضع سنة ١٩١٥ نظريته المشهورة الخاصة بالنسبية (٣) إنريكو فرمي — عالم ايطالي من علماء الطبيعة ولد سنة ١٩٠١

نوى الذرات ، أنشيء بأقصى الاحكام ، المصنع أو الفرن الذري الأول . وذلك تحت المنصة الـكبرى بجامعة شيكاغو . حيث تم الفلق الأول للذرة ، دون مساعدة خارجية . وقد نشأت قبل الامعان في البحوث الذرية ، طائفة من المذاهب القديمة الخاصة بها . ومنها اثبات وجود الذرة ، من عهد لـكريتيس [1]

ومع كون أولئك القدماء قد سلموا بأن الذرة مؤلفة من دقائق صغيرة . ولكن لم يتم لهم جمع البراهين اللازمة لذلك جمعاً كافياً يتيح وضع النظرية التي تتضمن أن الذرة أساس كل شيء في الوجود ، الا في القرن الحالي . فالـكرسي الذي تجلس عليه ، والهواء الذي تستنشقه ، وجسم الانسان ، كل منها مؤلف من ذرات .

﴿ مم تؤلف الذرات ؟ ﴾ ومن ثمة كان لا بد من البحث في التـكوين الداخلي للذرة نفسها . ومن الجلي أنه لا يمكن شطر الذرة الا إذا كانت مؤلفة من أجزاء يتسنى شطرها ؛ ولا ننسى المذهب الخطير الذي وضعه اينشتين أيضاً الذي فحواه « إن الطاقة والمادة نوعان مختلفان لشيء واحد » (هذا هو أساس المعادلة الرياضية التي مضمونها ان الطاقة والمادة تتسنى مساواتهما بعضهما ببعض وان الطاقة التي في المادة جسيمة)

والمقصود بالمادة هنا — كل شيء يشغل فراغاً ويؤثر في حواسنا الخمس ، وله جرم ووزن . وبمعنى آخر : — أي شيء له طول وعرض وثخـانة . وقد يقصد بهذا اللفظ — الحيوانات أو النباتات أو الصخور أو الغازات أو السوائل أو الجوامد . وأيـا كان معنى هذه الـكلمة ، فالمراد بها كل جسم مؤلف من عناصر الأرض ، على أية صورة كانت .

وقد تؤلف المادة من عنصرين فحسب ، أو من أكثر من ذلك . ولو استطعنا الحصول من المادة ، على الطاقة التي تنطوي عليها برمتها ، لأصبح في وسعنا أن ننتج برطلين انكليزيين منها ، ٢٥ بليوناً من كيلووطات الساعات . أي طاقة تـكفي للاحتيـاجات العامة لجمهورية كبيرة كالولايات المتحدة بأسرها مثلاً مدة شهرين . فانما عشر رطلاً من المادة إذن ، تكفي لاستهلاك أولئك السكان ، من الأضواء والقوى المحركة ، وغيرها سنة كاملة . وهذا بلا شك إنما هو رأي نظري . لاننا ما زلنا عاجزين عن احراز مثل تلك الطاقة الضخمة من المادة . أما الأمر الواقعي فقد مثلته القنبلتان الذريتان اللتان ألقيناهما على بلاد اليابان في الحرب

(١) لكريتيس — شاعر روماني — ولد سنة ٩٨ قبل الميلاد وتوفي سنة ٥٥ قبل الميلاد واشتهر بكثير من النظريات التي تشير الى المكتشفات العلمية الحديثة ومنها تكوين المادة .

العالمية الثانية . إذ تيسر لنا استعمال ١/١٠ من المائة فقط من الطاقة الكامنة في المادة .

فينبغي أن نشرح فيما يلي ، بعض الدقائق التي تتألف منها الذرة — ولنبدأ بأبسط الذرات ، وهي ذرة الهيدروجين . وهذه مؤلفة — أولاً — من نواة من البروتين ، كثيفة جداً أو ثقيلة ، مشحونة بكهربا سلبية وثمة دقيقة أخرى مهمة جديرة بالبحث ، ونعني بها النيوترون . وهو مثل — البروتون — ذو ثقل كبير ولكنه مجرد من أية شحنة كهربية .

وتؤلف نواة كل عنصر من العناصر « ما عدا الهيدروجين العادي » من بروتونات ونيوترونات .

ومن الميسور مثلاً الحصول على هيدروجين ثقيل يشبه زميله الهيدروجين المعتاد، الا في احتواء نواته على نيوترون واحد ، زيادة على البروتون المفرد الموجود فيها أصلاً . وبهذه الوسيلة يتضاعف وزن هذا الهيدروجين الثقيل . أما نواة ذرة الهليوم فتؤلف من بروتونين ونيوترونين . ولذا يكون وزنها أثقل من نواة ذرة الهيدروجين العادي ٤ مرات .

﴿ الطاقة الذرية المصنوعة ﴾ أما الطاقة الذرية التي ينتجها الناس فلا تتولد من أبسط العناصر ، كالهيدروجين مثلاً . بل تصدر من العناصر المعقدة أشد التعقيد ، مثل اليورانيوم لأن عياره ٢٣٨ وحدة بدلاً من دقيقة مفردة . إذ يؤلف من ٩٢ بروتوناً و١٤٦ نيوتروناً

ولكن بلغ من شدة ثبات هذا النوع أو النظير اليورانيومي أن أصبح مصدراً للفلق المسلسل للذرة . ولليورانيوم نوع آخر يسمى يورانيوم عيار ٢٣٥ لأنه مؤلف من ٩٢ بروتوناً و ١٤٣ نيوتروناً .

وإذا أطلق نيوترون على نواة اليورانيوم عيار ٢٣٥ وحدة ، انفلقت وتولدت منها عناصر أخر ، هي : — الباريوم والكريبتون والاسترونتيوم والزينون .

وفي أثناء هذا العمل ، تنطلق طاقة . فتتولد منها طائفة من النيوترونات الحرة . فتستطيع هاته النيوترونات ، حينما تكون الظروف ملائمة لها ، اصابة نواة ذرة يورانيوم أخرى فتفلقها .

وحينئذ تنتج منها نيوترونات أخر أكثر منها عدداً . وهذا ما يسمى بالانفلاق الذري المسلسل . وهو نوع الانفلاق الذري الذي حدث في القنبلة الذرية . بل هو عينه الذي يقع في الفرن الذري . وهو مصدر الطاقة الذرية .

﴿الفرن الذري﴾ ويؤلف الفرن الذري من قطع من معدن اليورانيوم ، توضع في أداة تسمى «المعدّل» . والفرن الذري يولد إما بعض الحرارة ، وإما بعض الطاقة الذرية . وتبرّد الأفران الذرية الكبيرة المقامة في هانفورد Hanford بولاية واشنطون ، بمياه نهر كولومبيا . فترتفع درجة حرارة تلك المياه نتيجة لذلك التبريد . وقد أنشئت أفران ذرية جديدة متعددة،منذ سنة ١٩٤٩ حيث ترتفع حرارتها الى درجات عالية تكفي لتوليد البخار . وهذا البخار يصلح لادارة التربين ولتوليد الكهربا .

﴿هل يمكن تسيير[1] السفن بالطاقة الذرية ؟﴾ أما السفينة التي تسيّر بالطاقة الذرية فسوف تصير من الأشياء غير المرغوب فيها . وذلك من جراء فسادها الطبيعي ، قبل نفاد كمية اليورانيوم بزمن مديد ، عندما نزيد هذه الكمية ، على ما تستوعبه حجرة ربان السفينة . مع مراعاة وجوب وقاية تلك الحجرة بحيطان من الرصاص الثخين . ولا غرو فالطاقة التي تتولد من رطل انكليزي واحد من معدن اليورانيوم تعادل ما تنتجه ثلاثة ملايين رطل انكليزي من الفحم الحجري .

﴿ كيفية توليد البلوتونيوم ﴾ ومن المطامع المفيدة التي عني العلماء بتحقيقها ، كون نواة اليورانيوم عيار ٢٣٥ وحدة،هي الصالحة للفلق . على حين أن اليورانيوم عيار ٢٣٨ وحدة ، الذي هو أكثر شيوعاً من زميله ، إذا أطلقت عليه قذائف النيوترونات ، تغيرت بعض دقائقه فصارت بلوتونيوم ، فيقوم مقام اليورانيوم عيار ٢٣٥ ، أي أنه يصير سهل الفلق . وما دام اليورانيوم عيار ٢٣٥ يمكن استعماله فانه يواصل انتاج البلوتونيوم. ومثله في ذلك العمل يكاد يماثل الفحم الحجري الذي نحرقه فيتخلف منه الرماد ، الذي هو أصلاً نافع كالفحم الحجري سواء . وهذا ما يعرف بقاعدة الانتاج. لأن اليورانيوم يمكن جعله ينتج البلوتونيوم الذي هو نفسه مادة صالحة للفلق .

والطاقة التي تتولد بهذه الوسيلة ضخمة جدّاً . وتتميز القنبلة الذرية بقوتها المروعة التي تفوق المفرقعات الكيماوية العادية بأسرها ، ومنها مادة T. N. T أي trinitrotoluol الترينيترولوليول .

[للبحث بقية]

(١) الكاتب — انظر مقالنا على تسيير السيارات والطائرات بالطاقة الذرية المنشور في مقتطف مايو سنة ١٩٤٦





حيرة !

للأستاذ رضوان ابراهيم مصطفى

من أنا . . . ومن أنت ياصاحبي ؟ ! !

ما حياتي ؟ ما مماتي ؟ ما فنائي ؟ ما الخلود ؟ ! !

ما آمالنا يا صاحبي ؟ ما ماضينا ، وما حاضرنا وما مستقبلنا ؟

ما الحياة ؟ !

ما أنا وما أنت إلا ذرات الهباء ، تتذبذب مع تيار الحياة المتدفق من منبع مجهول إلى غاية غير معلومة ! !

جئنا الى الحياة ، ولم نعرف كيف جئنا ، ولماذا .. ونذهب كما جئنا ، ولا نعلم الى أين .. وما مصيرنا ! !

وبين مجيئنا وذهابنا تفتحت عيوننا على الحياة لحيرتنا ، وظللنا مشدوهين حيارى ، مبهوري العيون ، فاغري الأفواه .. ولكننا لم نر ما نرى ، ولم ندر ما نقول ! !

ولمست أيدينا هذه المهود ، فأحسسنا برمالها نخطط عليها خطوطاً مستقيمة أو متعرجة ، لم نعرف كيف استقامت أو تعرجت ، ثم تركناها لرياح الجو ، وأمواج البحر ، وذهبنا نحلم وعيوننا مفتوحة ، ننظر الى الحياة تدور بنا ، وكأننا نديرها ، ثم أحسسنا بها تتركنا وتولي مسرعة ، وكأننا نحن الذين نسرع في الفرار منها .

وكانت أعيننا المبهورة ، وأفواهنا الفاغرة ، وأسماعنا المرهفة ، وأيدينا الممدودة .. ترى وتحس ، وتسمع وتضطرب ، فتركت فيها الحياة آثارها ، ولكن الوهم خيل إلينا أن

هذه الهواس هي التي تركت في الحياة آثاراً باقيات ! !

لكن الحياة الغلابة القاهرة استطاعت أن تطمس ما تركناه فيها ، أو أن تطمس فينا ما تركته من معالم سياطها على أديم ظهورنا ؛ فقد أطبقت الشفاه ، وأسلبت الجفون ، وأبلت الأيدي ، وبددت المسامع . فاختفينا عن الحيـاة ، ونحن نخال أن الحيـاة قد اختفت عنا ! ؟

وبين هـذا وذاك رحنا نحلم . . نعم كنا نحلم ؛ لأننا لم نقو على مغالبـة هـذه الحياة الجبارة ، وشعرنا بأن هـذا الكيان العاجز لا يستطيع أن يتطاول ، وحاولنا أن نؤثر آثارنا ، فنعدل من النواميس ، فلم تطاوعنا ، فسبح الخيال مجنحاً ، يستعيض ما فقدته هذه الكتلة العجيبة التي تعوق الروح وتحبسها ، وحسب الخيال أنه قد استنزل الحقيقة ، فتداعت حوله الأوهام ، وتهافتت عليه الأماني ، مترددة حائرة بين الأمس . . واليوم . . والغد . فأخذ يبني من لبنات العجز قباباً على متن الهواء ، ويغزل من أشعة اليأس خيوطاً للأمل ، وينوط هذه بتلك ؛ يمسكها من هنا ، ويجذبها من هناك ، حتى إذا أوشكت أن ترسيها على أرض الحقيقة ، تبدت الحياة الساحرة الساخرة ، فأبلت الطنب ، وأطارت القباب الوردية الجميلة ، في فضاء الأزلية السحيق ، الى غير معاد ! !

وبين الأحلام الناعسة ، والأوهام اليائسة . . انتهينا، وفي زعمنا أن الحياة انتهت إلينا وانتهت بنا ، وانقطع هذا الشعاع الضئيل الذي كان يربطنا الى عجلتها ! !

فماذا تركنا لهـذه الحياة ؟ ! ! إن الذرة الدقيقـة المتطايرة من رهج الغبار في خضم الهواء تغتر ، فتزعم أنها هي التي تدفع الرياح فتصرفها ، وهي تعلم أن الرياح تأنف أن تعبث بها ! ! ثم تتناهى في الغرور والحمق حينما تتركها الرياح — في ازدراء — تسقط على سطح البحر ، فتدعي أنهـا قد ألقت بنفسها كالرجوم على البحر فأزعجته ، وأحدثت في أعماقه رجفة كرجفة الزلزال ! ! وتحاول أن تقنع الدنيا بزعمها وغرورها ، وأن تدلل على حقها وطيشها ، فتقول : أفلا ترون إلى البحر كيف مدّ فطغى على الشطآن ؟ قد كان ذلك لما ترفقت فنزلت على أديمه في هوادة ورحمة . . فما بالكم لو قسوت عليكم وعليه ؟ إذن لثـار وفار ، وطغى على أرجاء المعمورة ، وأحدث بهـا ما لم يخطر على الأفكار من ألوان الدمار ! !

ويل للأحلام من حقائق الحياة ! ! ويل لها منها حين تصوّب الى هذا الطائر الحالق فاذا هو جثة دامية ، فرمة بالية ، فعظام نخرة ، فذرة من هباء تتطاير ! !

وويل لنا من قسوة الحياة ! ! إنها أمنا ، ونحن بنوها ، ولكنها لا تلدنا إلا لتأكلنا . تلدنا بطنها ، لتمزقنا أنيابها ، وتطحننا أضراسها ، وتهضمنا أمعاؤها . فيا لها من هرة باردة الأعصاب ! ! ويا لنا من ضحايا أبرياء ! !

لماذا ولدتنا ؟ ولماذا أكلتنا ؟ أنا لا أدري ، ولا أنت ، وربما كانت هي كذلك لا تدري.

تتابعت الأجيال من قبلنا ، حتى جاء دورنا ، فوقفنا على هذا الوجود ، وتجيء من بعدنا أجيال وأجيال وأجيال . .

ونحن نتساءل مع الأجيال الغابرة ، والأجيال المقبلة . . فعمّ يتساءلون ، وعمّ نتساءل؟ عن شيء لم يدركه الأولون ، وما أدركناه نحن ، ولن يدركه اللاحقون . .

ما الأمس ؟ ما اليوم ؟ ما الغد ؟

ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ما الفناء ؟ ما الخلود ؟

اقبض يا صاحبي قبضة من رمال الشاطىء ، ثم بعثرها مع الرياح المجنونة العاصفة ، على زبد الأمواج الحنقة الثائرة . . ثم حاول أن تجمعها ذرة الى ذرة . . بأعيانها وشخوصها وذراتها . .

إن ذلك لأيسر مطلباً ، وأدنى منالاً من أن تجد صدى لمسائلك الحائرة ! ! ولكن ما أكثر ما تجد من يلغط بالإجابة ، وما أكثر ما تلقى من يدعي العلم ! !

فاصرف - يا صاحبي - سمعك عنهم . . عن الأدعياء والمرجفين . . وامض في الطريق المرسوم إلى القدر المحتوم . .

وإلاّ أورثوك الحيرة ، وشيعوك بالحسرة ! !



قصة

مستر سمبسون

(زوج حائر)

— ٤ —

الترجمة : للأستاذ سليم الأسيوطي

مستر سمبسون : هـذا حسن جداً ولكن ماذا سيكون مصيري اذا زاد هيامي بكما معاً وماذا يكون موقفنا حينئذ ولكن بأس من هـذه التجربة اذا أردتما ولو أني قليل الثقة في فائدتها ، انها قلب للأوضاع ما في هذا شك انها أقصوصة مضحكة مثل غيرها من الأقاصيص التي نقرؤها في كتب القصص ، توجد تلفيقات جريئة في هذه الحكايات ورغم اني على يقين انها أكاذيب صرفة فيها يمكن الحكم

كاترين : تضرب بقدمها على الأرض لقد ضقت بك ذرعاً أنت تهذي بقصصك بينما يجب أن تخر راكعاً على يديك وركبتيك طالباً منا الصفح لمأزق الضيـق الذي دفعت بنا إليه ، رجل في مثل عمرك لايعرف كيف يقرر أمراً ، لقد ضقت بك ذرعاً .

مستر سمبسون : (يحملق في وجهها معجباً) آه اني أشعر بروح جديد يسري في عروقي وأحس كما لو كنت بين أهلي وعشيرتي ثانية ، كما لو كنت مع أختي فهي أخت ثانية لشقيقتك،فكم من مرة هوت على رأسي عمزلها عندما كنت أتباطأ في قضاء أمر يهمها أو يدخل السرور على نفسها ، وليس هناك زوجة خير منها ، أقول ذلك وأؤكده ، واني لأعجب (يستمر في النظر الى كاترين في تأمل وتفكر الى أن تصدر عن كارولين حركة غير ارادية فيحول نظره إليها) والآن لا أدري ماذا أفعل ، وشبيه الشيء منجذب إليه كما يقولون ، ولكني شخص هادىء الطباع سلس القياد الى أقصى حد مستطاع أتصوره (ينقل النظر من واحدة إلى أخرى وهو يهرش فروة رأسه) أود اني حائر (الى كارولين) والآن ياسيدتي دعينا نجرب خطتك (يذهب إلى الباب وينتظرها هنالك) الوضع واحد لم يتغير

وهو أني وددت لو ولدت تركيًا ، وإباحيًا (بخرج وتظل الاختان جالستين في صمت ولأول مرة في حياتهما يحل التحفظ بينهما ستاراً وكل منهما واضحة الاضطراب بادية الارتباك في وجود الأخرى وتبدأ كاترين بالحركة .

كاترين : (تقف وتتكلم في جفاف) لقد بلغت الساعة الرابعة والنصف وحان وقت الخبز .

كارولين : (تقف وتستمر في استعدادها) نعم سأعد كمكة كبيرة واني أعلم ذلك.

كاترين : (تتشمم الهواء في احتقار) لا يمكنك اذا كان هـذا ظنك فليس لديّ رأي عن تلك الكعكة الثقيلة، بل لم يكن لي علم بها في يوم ما ولكن افعلي ما بدا لك .

كارولين : (خائفة ولكن متمالكة أعصابها) سوف أصنع واحدة منها كما أعتقد (تذهب الى الصوان) أين الدقيق ؟

كاترين : في السلة طبعاً وفي أي مكان آخر يمكن أن يكون ! (ترفع السلة وتضعها على النضد بصوت مسموع وتوزع الحزم المتعددة التي احتوتها فتضع بعضها على النضد والبعض الآخر في الصوان) والآن فلتذهبي لعمل الكعكة أما أنا فذاهبة لأرعى الكتاكيت (تخرج من الباب الجانبي) .

كارولين : (تدع يديها تسقطان رغماً عنها في أثناء اعداد الفطيرة ثم تستنجد بالساعة في بؤس) آه ياجداه ! ما الذي غير أختي حتى تكلمني بهذه الحدة وما الذي حلّ بي حتى كدت أقابل حدتها بالمثل . يا لشقائي (توالي عملها في غير اقبال أو رغبة) اني أخشى أن تجيء الكعكة وليس بها من صفات الكعك شيء ياجداه اني لا أكاد أعي ما أصنع . والآن ! اذا لم أكن قد نسيت البيض (تخرج من الباب الجانبي وتعود بسرعة ومعها سلة البيض وتكسر واحدة منها في فنجان وبينما تقوم بهذا العمل تعود كاترين وتلقي بنظرة عاجلة على النضد ، وتبدو كما لو كانت قد تحوّلت الى تمثال منحوت عند رؤيتها سلة البيض .

كاترين: (في همس عميق وهي تشير الى السلة) أنت تستعملين البيض الذي قد أعددته للفقس .

كارولين (بعد لحظة فزع في ضعف وتراخ) ولنفرض اني استعملته .

كاترين: (ترفع صوتها) أنت تعرفين جيداً اني كنت أعد دجاجتنا « توبي » لحضانة هذا البيض اليوم .

كارولين: (ترتعش وتقبض على النضد لئلا تترنح) ولنفرض اني فعلت هذا .

كارين : (لا زالت منفعلة مرتفعة الصوت) اذاً كيف تجسرين على أخذ تلك البيضات .

كارولين : انا — سوف آخذ البيض الذي أريد . . . وهكذا أفعل .

كارين : (بأعلى صوتها دون توقف) انها نكاية وضيعة ، أنت تأخذين البيضات التي ادخرتها من أجل « توبي » وهي كما تعرفين جداً الآن تبلى قلبها وتنفض ريشها وهي راقدة على عش البيض . يالها من دجاجة جميلة مسكينه وهي راقدة . انها أحدى الحيل أن تسلبيني بيضاتي

كارولين : (في محاولة بائسة يائسة للتهكم) الويل لك ولتلك البيضات الفاسدة (تستغرق في البكاء) .

كارين : (تسرع إليها) أختاه ! أى أختي العزيزة (تتعانقان وتختلط دموعها) لنفكر في الأمر ! لقد عشنا طوال هذه السنوات دون أن نتبادل كلمة تحد أو عتاب ، والآن اللعنة على ذلك الرجل .

كارولين : (تصدم) أختاه !

كارين : (تمعن فيما تقول) لعن الله ذلك الرجل اني أقول هذا وأعني لو لم يكن قد وقع بصره علينا أبداً ، خليق بنا أن ندع هذا الرجل يذهب وشأنه .

كارولين : أختاه ! سوف يلقى من كل منا ما وعدناه من أدب ولياقة (تجلس) زيدي على هذا فهو لن يتركنا وشأننا فهو جد عنيد ومكابر رغم ظاهر هدوئه في تصرفاته

كارين : (في خبث) سوف ننذره ليغادرنا في مدى أسبوع وهذا يكفي لحل الموقف حلاً نهائياً .

كارولين : لايمكن هذا يا كارين ! إنه رجل طيب ولا يمكن أن ينال الاحتقار من اثنتين في يوم واحد ويطرد من منزله ومقامه دون جريرة ! لا يمكن هذا .

كارين : (ترضخ) نعم الحال تبدو قاسية مؤلمة ولكن لا يمكننا أن نستمر على هذه الحال طويلاً وهذا واضح جلي .

كارولين : ربما أتخذ لنفسه قراراً في النهاية.

كارين : هذا أسوأ وأقبح فهو لا يمكن إلاّ أن يختار إحدانا فماذا يكون موقف الأخرى حينئذ، أخبريني عن ذلك .

كارولين : (تتنفس طويلاً) اختي العزيزة — أنا — انا مصممة في حزم وعزم دون أن أكون واقعة تحت تأثير ما على عدم الزواج .

كارين (في ثبات) يا كارولين ستيفنس ، إن الكتاب المقدس على الرف فهاته وضعي يدك عليه وكرري القسم ثانية اذا كنت تصدقين وتقدرين .

كارولين : (تخبىء وجهها بين يديها) لا أقدر .

كارين : لا . ولا أنا يمكنني هذا وها نحن أولاء كل منا تسابق الأخرى بغية الفوز برجل واحد وفي تلك المرحلة من العمر أيضاً . إن هذا مخجل امرأتان حمقاوان مسنتان هكذا نحن .

كارولين : (ترتجف) آه لا تقولي هذا يا أختاه .

كارين : امرأتان بلهاوان عجوزان ، ولكن سوف لا يكون هذا هو الموقف فالحمد لله لم يزل بعقلي بقية من الادراك رغم أن قلبي قطعة من الحماقة فلن يكون موقفي موقف عجوز ، فكلما طال مكثه انتقل الحال من السيء الى الأسوأ ، كيف لم يتمكن من أن يقطع برأي قبل أن يفاتحنا في الأمر لو فكر قليلاً لما أشكل علينا بهذا الوضع .

كارولين : لقد اضطر الى الكلام اضطراراً .

كارين : يجب ألا أكون قاسية في الحكم عليه ولكن يجب أن يكون هذا مآله ، وان النهاية امرة لأقسى وأشد إذا ما جاءت في صخب ولجب منذرة بالويل والثبور بدلاً من أن تجرع في هدوء ورفق ، وبالأخص مع أناس جبلوا على وقار وحشمة مثلنا ، ولكن لن يقرر مصيرنا بهذه الوسيلة ، فلن يكون هناك زوج غيور أو حماة شريرة الأفكار

كارولين : اختاه ، ما هذا الحديث المزعج .

كارين : إن واجبي أن اتكلم في وضوح وصراحة . سوف نقاسي من هذا ولا مراء ، ولكن ما دام الأمر كذلك فلنقاس وإياه يجب أن يذهب

كارولين : (مطلة من النافذة) كارين ، إنه قادم قادم ، الويل لي والشقاء اذا بقيت على قيد الحياة ، إنه يضع قفازات في يديه .

[للقصة بقية]

باب المراسلة والمناظرة

الماديات والمعنويات

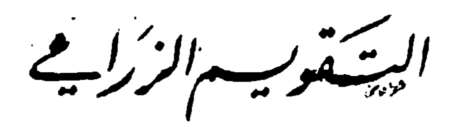
الانسان كائن مادي حي والى المادة يخضع في معظم نواميس تكوينه وعليها يعوّل في معيشته. هذه حقيقة ملموسة لا ريب فيها . وانه ليتميز عن المخلوقات الأخرى بحياته العقلية والسلوكية ومثله العليا وهي المعنويات التي تجعله بمعزل عن صفات المادية الصرفة، تلك الصفات التي تجعله والحجر الأصمّ على حدٍّ سواء إذا ما سيطرت عليه سيطرة تامة. فمن فجر التاريخ الى يومنا هذا نجد التفاعل مستمراً بين سلوك الفرد المعنوي وسلوكه المادي، وما الحضارة إلاّ وليدة هذا التفاعل وربيبته ، فكم من أفكار معنوية أوجدتها عوامل مادية وكم من آثار مادية ولدتها تخيلات معنوية فكثير من القصص الخرافية التي ابدعها الخيال الوثاب نبهت وأنبأت عن الطيارة والغواصة حتى صارتا حقائق ملموسة ، وأكثر المخترعات تنبأ بها النابغون فحسبت تصورات وهمية قبل أن تصبح حقائق يشار اليها بالبنان . وما تصورات (دون كيشوت) عن مستقبل الحياة في جميع فروعها عنّا ببعيد. وكذلك ما يتخيله النوابغ غيره ونقرؤه - في الوقت الحاضر - عن المستقبل فنحسبه وهماً وخيالاً مع أنه سيتحقق في يوم من الايام . فما تقدم نستنتج أن المعنويات أساس الماديات فيجب أن تكون هي المسيطرة والمنظمة لحياة الفرد والمجتمع ، لأن الروح المادية إذا ما طغت فسدت الحياة وتحوّلت الى ميدان تكالب وتطاحن وتدهور في الأخلاق وضيعة للكفاءات وانتحار للحضارة فتصبح والحالة هذه لا تساوي شروى نقير. فالعلوم الطبيعية وهي التي أوجدها الكسب المادي إذا لم تسيطر عليها معنويات عالية وتسوقها الى طريق الخير العام للبشر تصبح أداة تدمير مقوضة لأركان الحياة لا تدانيها أداة ، فتكون نتيجتها خسران ما أوجدت من أجله على مذبح الأنانيات والاستهتار الخلقي.

والآداب هي غذاء روحي أكثر منها مادي ومع الأسف فاننا نجد الكثير من الادباء الشباب ينادون بمادية الأدب والتأكيد عليها فيما ينظم وينثر ووصف نتائج توزيعها في المجتمع والتباكي أو البكاء على حالة الفقراء من أجل المادة ومحاسبة المترفين وغير ذلك ، والازدراء والاستخفاف بأصحاب البرج العاجي المتجردين عن المادة لا بل المتجردين من الحياة في نظرهم . وإني وإن كنت موافقاً على شمول الأدب لكل معاني الحياة ومراميها فاني لا اعتقد باقتصار الأديب على ناحية دون أخرى، بل ينبغي أن تترك له الحرية في الاتجاه الى أية جهة يجيد فيها من مجال القول، وفوق هذا فاني اقدر أصحاب البرج العاجي التاركين المادة وخلافاتها لرجال السياسة ساعين وراء القوى الروحية والخلقية لتهذيب المجتمع على أساس معنوي متين تفنى المادة ولا يفنى أو تتغير أحوالها ولا يتغير . مع أنه لا يوجد منظوم أو منثور لا يمثل الحياة ولو بالتلميح . كما اني لا أرى رأي من يسعى الى تشجيع الأدب مادياً لأنه ليس بسلعة تباع وتشترى بل يجب أن يشجع نفسه بنفسه بما يحتوي من مثل عليا أو روح سامية تجعل المادة تأتيها منقادة لا أن يكون تابعاً ذليلاً لها . وكذلك لأن هذه الحالة من التشجيع قد تتطور فتعود بنا الى الأدباء المداحين المتسولين من أجل الكسب، وهذا ما لا يرتضيه من يعتقد بسمو الروح فوق المادة .



وأما في ميدان الاجتماع فاذا ما أشربت الروح المادية وأصبحت المادة غاية كل فرد انتشرت الفوضى بسبب روح التذمر وضاعت الكفاءة وأهدرت الحقوق وتصدع الاتحاد وسيق المجتمع الى الهاوية الآجلة أو العاجلة . فما تقدم يتضح لنا أن المعنويات أصلح من الماديات في الحياة لأنها تؤدي بها الى الطريق المستقيم البعيد عن روح التناحر والتخاذل ، فتمد في عمر الحضارة والعمران على أساس معنوي خلقي مكين.

القرنه — البصرة رشيد شبلي الدعر



التقويم الزراعي

لشهر نوفمبر ١٩٥١

١ — ﴿ الحاصلات الزراعية ﴾ : —

البرسيم : يروى ويرقع . الفول والكتان : تستمر زراعتهما — القمح والشعير والحلبة والعدس والترمس والحمص : تخدم وتزرع وتروى الزراعات المبكرة منهارية المحاياه — القصب تقطع الخلفة استعداداً للكسر — الذرة الشامية والذرة الرفيعة النيلية : يقطع محصولها ويجهز ويخزن وتنقل أحطابه — الفول السوداني والسمسم : يستمر ضم محصولها ويجهز ويخزن . الأرز : يضم المحصول وينقل ويدرس ويخزن .

٢ — ﴿ البساتين ﴾ : —

(ا) الفاكهة : تقل حاجة أشجار الفاكهة في أثناء هذا الشهر الى الماء ، ويمكن ري أشجار الحلويات دفعة واحدة في أثنائه . أما الأشجار الحضية فتروى مرة كل ١٥ — ٢٠ يوماً . وتعزق الحدائق مرة اذا لم تكن عزقت في الشهر الماضي لاستئصال الحشائش . ويبدأ في أواخر الشهر في تغطية أشجار المانجو الصغيرة بالمشاتل والبساتين بحطب الذرة وقاية لها من البرد .

ونقف عمليات التطعيم في جميع أنواع الأشجار وتزرع بذور المشمش والخوخ على خطوط المشتل إذا لم تكن قد زرعت في الشهر الماضي مع موالاتها بالري حتى لا تتشقق الأرض حول البذور .

ويستمر جمع ثمار الموز والزيتون الأسود وأصناف العنب المتأخرة والكاكي والقشطة والبلح الرملي بمديرية البحيرة ومنطقة دمياط . ويبدأ جمع ثمار البرتقال السكري وأبوسرة واليوسفي ، ويستمر في جمع ثمار البرتقال البذرة في أعلى الصعيد .

(ب) — الخضر : تزرع البسلات القصيرة والكوسة والجزر والبنجر واللفت والجرجير والفلفل الرومي والبلدي والسبانخ . تزرع عروة شتوية من المقات . يشتل الكرنب الافرنجي والخس والهندباء والفنوكيا والطماطم . تزرع بالمشتل بزور الخس والهندباء والفنوكيا وأبو ركبة والكرنب والباذنجان والفلفل والطماطم . ترد بشائر الخرشوف والبسلة والفول والطرطوفة . يندر وارد البامية . يكثر وارد السبانخ والقلقاس

(حـ) — الأزهار : أحواض الزهور منزرعة الآن بالحوليات الشتوية . ويستمر في زراعة أبصال الياسنت والتوليب والفريزيا والأنيمون والرانكولس . يمنع الري عن الداليا تدريجياً استعداداً لخزنها . تزرع بذور الجازون .

باب الأخبار العلمية

أعصاب النحل

تبين أن قطع أعصاب النحلة لا يسبب موتها ، فاذا فصلت أعصاب الصدر أو البطن فان أعضاء الحشرة تظل حية تعمل وإذا فصلت الرأس فان الحشرة تستطيع السير بدونها . كما لوحظ أن أجزاء الفم تستمر في أداء وظيفتها. وتدل هذه الحقائق على أن السيطرة العصبية على جميع أجزاء الجسم في النحل ليست مركز في المخ كما هو الحال في الانسان وفي كثير من الحيوانات

الفرن الالكتروني وطبخ الأطعمة

كانت طريقة طبخ الأطعمة العادية وطريقة الفرن الالكتروني محل بحث علماء التغذية لمعرفة تأثير كل طريقة منها على فيتامين (حـ) وفيتامين (ب) المعروف باسم الثيامين والريبوفلافين وحامض النيكوتين وفيتامين (ا) .

وقد تبين أن الوقت الذي يستغرقه إعداد الطعام وكمية الماء المضافة إلى المادة الغذائية عاملان يؤثران في كمية الفيتامينات الموجودة بالخضروات المطبوخة .

ولكن اذا أعدت الخضروات في الفرن الالكتروني مع تقليل كمية الماء فان الفقد في الفيتامينات المختلفة يقل . وتصبح هذه الطريقة مفضلة على غيرها من الطرق .

وقد تبين من فحص قطعة من اللحم المطبوخ بالطريقة الالكترونية أن نسبة احتوائها على فيتامين (ب) عالية جداً وتفوق مثيلتها التي طهيت على النار.

علاج الاستسقاء

أمكن علاج مرض الاستسقاء علاجاً تاماً أو وقتياً بحقن المرضى بازوتات المستردة في العروق . وقد جرب ثلاثة من الأطباء الاميركيين هـذا العقار في علاج ١٦ مريضاً فكان النجاح كبيراً في ١١ مريضاً منهم .

عيادة خارجية للسرطان

أفتتح في مدينة نيويورك مركز تور التذكاري لأمراض السرطان فبلغت نفقاته ٠٠٠ر٧٠٠ر٢دولار وهو يتألف من ست طبقات وخصص لاستقبال مرضى العيادة الخارجية لمرضى هذا الداء ومن يخشونه .

وهو معد لاستقبال نحو ربع مليون

حالة طول السنة فان الهيئات الطبية الأمريكية ترى أن من يصابون بهذا الداء ويشفون منه بالجراحات يجب أن يداوموا فحص أنفسهم مرة كل ستة أشهر ولهذا كان عدد مرضى العيادة الخارجية في تزايد مطرد ومنهم من كان مصاباً منذ أكثر من ٣٠ سنة.

وقد شيدت هذه العيادة تخليداً لذكرى السيد جوزيف تور وزوجته اللذان دفعا أكثر نفقات بنائه. وهو مقسم إلى عشرة أقسام اختص كل منها بعلاج أحد أمراض السرطان في الصدر والرأس والرقبة والمعدة والأمعاء والدم وغيرها كما خصص قسم منها لعلاج الأطفال وروعي فيه أن يكون أكثر بهجة من سواه وأن يزود بشتى أنواع اللعب التي يحبها الأطفال.

*

ويعد مركز تور لأمراض السرطان أكبر مؤسسة لهذا الداء في العالم وهو مقام الى جوار مستشفى سلون التذكاري لبحوث السرطان ومستشفى جيمس اوينج لعلاج مرضى السرطان بنيويورك. وبهذه المؤسسة الجديدة يرى اخصائيو السرطان أن مركزه بنيويورك قد اكتمل فأصبح في استطاعة كل من أقسامه أن يوجه اهتمامه الى اتقان البرنامج الذي خصص له دون أن يضطرب عمله بالتعرض للأعمال الأخرى الخارجة عن نطاقه.

تصلب الشرايين وتكتل الدم

علاجها بالجراحة

تمكن الجراحان جاك ديلي وأورلاند داوبز من كاليفورنيا من ادخال تحسين جديد على جراحة ازالة كتل الدم من الشرايين وقدماه الى جمعية الجراحة الدولية بباريس.

وكان الجراحون الفرنسيون قد ابتكروا من ثلاث سنوات عملية جراحية الغرض منها ازالة هذه الكتل ومخلفات الكالسيوم التي تحدث في حالة تصلب الاوردة بأن يشقوا الوريد ويزيلوا المتخلفات من داخله ثم يعيدوا خياطة جدرانه.

وعالجوا بهذه الطريقة عدة حالات وأعادوا الدورة الدموية الى حالتها الطبيعية ولكن تكتل الدم كان كثير الحدوث بعد اجراء هذه الجراحة الخطرة.

وفي التقرير الاخير يقول الجراحان الأمريكيان انهما استخرجا نسجاً قوية من الساق واستنبتاها حول جدران الوريد الذي ازيلت منه مخلفات الكالسيوم وبذلك منعا نفاذ الدم من جدرانه الرقيقة فأكسبا الوعاء الدموي قوة وخففا من خطر الجراحة. واستخدما أيضاً في أثناء الجراحة مادة الهيبارين وهو عقار مضاد لتكتل الدم فقل تكتله وقد جربا هذه الجراحة على عشرين حالة فأعطت نتائج مرضية.

* *



مكتبة المقتطف

إيليا أبو ماضي

رسول الشعر العربي الحديث

تأليف الاستاذ عيسى الناعوري

حينما تلقينا هـذا الـكتاب الشائق وألقينا عليـه نظرة جري على لساننا هـذا البيت القديم : —

ومن البطولة في زمان تناحُرٍ هـذا الاخاء الشائق الممدودُ

إذ ما أكثر ما نقرؤه من الكتـابات المنتقصة لأدبائنا النابهين ، وما أقل ما نقرؤهُ من الكتابات المنصفة بله المغالية في تصوير حسناتهم أو تخيلها ، فالمغالاة التي من هذا القبيل تعد محمدةً إلى جانب التحامل البغيض الذي ينفر منه كل أديب سليم الذوق .

ونحن إزاء تأليفٍ دبجّـه شاعرٌ وطني نابهٌ قدمت له شاعرة نابهة أيضاً ، وقد تناول بالدرس شاعراً مشهوراً تناولا كله محبة وتكريم . وهذه صورة جيلة يستهوينا بقاؤها كما هي لولا أن حب النقد الأدبي النزيه الذي دعينا إليه يطالبنا بشيء من التصحيح النزيه خدمة للأدب ذاته . وأول ما نلاحظه بعد تصفح هذا الكتاب أنه في مجمله يعطي صورة مخالفة لشاعرنا الموهوب عما يعرفه مخالطوه ، كما يختلف الرسم الذي على غلاف الكتاب عن هيئة الشاعر اختلافاً كبيراً ، وكما يختلف شعره عن شخصيته اختلافاً شاسعاً .

فالشاعر المطبوع إيليا أبو ماضي فيما نعلم ويعلم العديدون في أمريكا شاعر تأثر بأساطين (الرابطة القلمية) وعلى رأسهم جبران ورشيد أيوب وميخائيل نعيمة، كما تأثر بمطالعاته وبالوسط الامريكي ، ومن ثمة كان شعره الذي يرضى عنه المؤلف في أغلبه شعراً أمريكيّـا بلغة الضاد ، ولذلك جاء مخالفاً لشعره الذي نظمه قبل وفوده الى أمريكا . ولم يستبق من

حياته في مصر إلاّ عنصرين : أولهما السهولة الفائقة التي تتسم بها ديباجته ، وهي التي اشتهرت عن شعراء مدرسة الاسكندرية وعلى رأسهم زميله الشاعر الكبير عثمان حلمي ، وقد أرّخ لهم واختار من أشعارهم الأستاذ علي محمد البحراوي سكرتير (جماعة الادب المصري) في « ديوان الاسكندرية » ، وفي الاسكندرية أمضى شاعرنا المترجم له سنين عدة أثرت ببيئها في أسلوبه أيما تأثير . أما ثانيهما فصناعته الفنية ، وهذه أيضاً مصرية بحتة في رقتها وعذوبتها ، وقد تأثر بها حتى خليل مطران الشاعر الابتداعي الاول في العصر الحديث بلغة الضاد .

استهلت الشاعرة النابغة فدوى طوقان مقدمتها بقولها : « أدب المهجر أدب أصيل إنساني صادق لم تعرف عصور اللغة العربية مثله أصالة وانسانية وصدقاً » . وهذا في رأينا من آيات المبالغة التي لا تنهض على أساس . وقد تكون راجحة في رأيها لو أنها ولو أن المؤلف اتبعا المنهاج المدرسي الصحيح كما يعمل السحرتي مثلاً في كتابه العمدة « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » أو كما فعل اسماعيل أدهم في كتابه القيم « خليل مطران » فانهما حينئذ ما كانا ليتحدثا عن الاصالة قدر حديثهما عن الحرية الفكرية في العالم الجديد وتأثيرها في فن الشعر ، ولكانا نوّها تنويهاً خاصّاً باصالة شعراء أمريكا وبطاقتهم الفنية التي استمد منها شعراء المهجر إلهامهم ، بل كانت نبراساً لكثيرين منهم ، ونذكر على سبيل المثال فيما يخص أبا ماضي الشعراء إدجار ألن بو (Edgar Allan Poe) ، وروبرت جرين إنجرسل ، وأنطوني ونز Antony Wons ، فمن الأولين أخذ معاني ملحمته « الطلاسم » وما إليها ، وعن الأخير نقل قصيدة « نخب الفارس » The Knyht's Tosat بحذافيرها (راجع الكتاب المسمى كشكول توني) Tony's Scrap Book — ص ٦٥ ، وقد عنونها « حي » . وهذه هي القصيدة التي جعلها الأستاذ الناعوري في نهاية كتابه « مسك الختام » — في حد تعبيره — قائلاً : « إنه موقف لا يستطيع أن يصوّره بهذا الشكل الرائع المؤثر إلاّ شاعر كبير موهوب ، وكذلك هو الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي .

ونحن شخصيّاً لا نقر هذا الاستيعاب على هذه الصورة ، وقد صنعه من قبل ابراهيم عبد القادر المازني وآخذه عليه عبد الرحمن شكري في ذلك الحين . ودرجات الاستيعاب عند أبي ماضي مختلفة ، وكذلك كان الشاعر المصري علي محمود طه الذي يتميّز على أبي ماضي بمتانة الديباجة وجزالة الالفاظ ، وان كنا شخصيّاً نؤثر سلاسة أبي ماضي التي نعدها من السهل الممتنع . وكما أخطأ المؤلف في قوله (ص ٧٤) إن الامريكيين

يسومون الزنوج العذاب ألواناً ، أخطأ أيضاً بتوهمه أن أبا ماضي أصيل في شعره الذي نظمه عنهم . والحقيقة أنه من أقل شعراء المهجر اصالة ، فهو دون جبران ونعيمه وأيوب وعريضة والشاعر القروي مثلاً في الطاقة الشعرية الأصيلة وان كان في رأينا أعذب من معظمهم لفظاً وأسلس بياناً ، بحيث لا يجد القارىء أي إجهاد في تتبعه بل تشمله النشوة والحبور من حلاوة موسيقاه ولكن ليس هذا بالعذر لتمجيده على حساب الملهمين الرائدين اعتماداً على جمال صناعته وعرضه .

إن إيليا أبا ماضي لا يعيش إلاّ في جوانب قليلة من شعره أهمها محبة الحيـاة والتمتع بها ، ونعتقد أن شعره في هذا الباب ذو فائدة عظيمة ، وأما فكرة الشاعرة فدوى طوقان أنه يدعو الى المشاركة ويطبقها عمليّـا فغير صحيحة ، وكذلك النعوت الأخرى التي ذكرتها وذكرها المؤلف ، فانها بعيدة كل البعد عن حقيقة الشاعر ، وليس في ذلك مطعن فيه ، وانما هو وضع للأمور في نصابها فحسب ، كما صنعنا نحن في حديث سابق عنه وفـينا فيه مواهبه حقها من التقدير الصحيح المستقل . وإذا كانت مثل هذه الأوصاف التي جاءت في هذا الـكتاب تخلع على شاعر معاصر ما يزال حيّـا يرزق في حين انها أو معظمها نقيض ما يعرف عنه ، فـكيف يلام مؤلف يتحدث عن المتنبي مثلاً أحاديث تاريخيـة وتحليلية لا تماشي الحقيقة وبيننا وبين أبي الطيب عشرة قرون فاصلة ! ؟

لقد فات المؤلف أن يلاحظ فيما تجب ملاحظتـه نشوة النظم لدى شاعرنا ، وأن جانباً غير قليل من نظمه (الذي لا يمثل أية رسالة له تحيا لها ويحيـا فيها) هو من قبيل الرياضة الذهنية الفنيـة فحسب ، كما كان شأن شوقي . ثم إنه آخذ الشـاعر على ما نعته بشعر المناسبات ، وهذه مؤاخذة نعدها في غير محلها ، فجميع الشعـر وليد مناسبات وحالات نفسيـة ، حتى ولو كان منظوماً في موضوعات مجـردة . ومفاخر الشعـر العـربي الخالدة هي وليدة مناسبـات ، بل إن رسالة الغفران ذاتهـا وليدة مناسبة ، وإنما العبرة كل العبرة بالتناول الفني وبالطاقة الشعرية الأصيلة فحسب وهذا أحسن شعر المؤلف ذاته وليد مناسبات وطنية ألهبت فؤاده وأثارت مشاعره الحرة. ومن طريف ما ذكره المؤلف أن أسئلة شاعرنا في مطولته «الطلاسم» هي جميعاً من قبيل تجاهل العارف . ولا نعرف نحن إلاّ أنها صدى لأسئلة الملايين من قبل ، ولأسئلة العديدين من الشعراء على رأسهم عمر الخيام وحافظ الشيرازي والمعري والزهاوي في الشرق ، وكلهم من المتشككين . ولاريب أن بعده عن التعمق حببه الى الجماهير [1] ، وعزز شهرته امتهانه

(١) « الشعر والشعراء » لخليل شاهر (ص ١٥٥ — ١٨٣) :

الصحافة والسياسة كما صنع العقاد والمازني وطه حسين وهيكل وأضرابهم من قبل .

والخلاصة إن هذا كتاب لطيف يقوم على الاعجاب الذي منشؤه التجارب مع حلاوة الشاعر الموسيقية ، ولا دعامة له من البحث المقارن ولا من التدقيق الذي يلجأ اليه كل مؤرخ سواء للمتقدمين أو المعاصرين ، وبغير هذا التدقيق لا مفر من الزلل والشطط ، مهما يكن نبل الغاية لدى المؤلف ، ولكننا مع ذلك نرحب بتأليفه كما نرحب باخلاصه النبيل ، وهذه هي روح الأديب المحسن .

نيويورك في أول اكتوبر ١٩٥١ دكتور أحمد زكي أبو شادي

Islam

الاسلام

تأليف الاستاذ عبد السميع المصري — صفحاته ١٢٠ صفحة من القطع المتوسط

كتاب موجز وضعه بالانجليزية الأستاذ عبد السميع المصري بالاشتراك مع المستشرق الايرلندي مستر ريال وقد كتب بلغة سهلة مبسطة يستطيع الجميع قراءتها واستساغتها وتفهم معانيها .

وقد عني المؤلف باعطاء فكرة عن الاسلام كدين من الأديان العالميــة مبيناً أركانه وقواعده المبنيــة على توحيد الربوبية والبعد عن الشرك في العبــادة ونفي الوساطة بين المخلوق وخالقه .

ثم بيّن في الفصول التالية كيف ينظم الاسلام حياة الفرد وحياة المجتمع من النواحي السياسية والاقتصادية وصيحة الاسلام في تحرير المرأة وخطواته الجبارة نحو الغاء الرق . والواقع أن المؤلف قد نجح في اعطاء الأجنبي فكرة واضحة موجزة عن الاسلام في كل ناحية من النواحي في صورة محببة الى النفوس. والكتاب يلائم مزاج القارىء العصري الذي يبحث عن المختصرات والذي لا يتسع وقته إلا للقراءة السريعة الخاطفة .

فنهنىء المؤلف بكتابه النفيس ونرجوله اطراد التوفيق في خدمة دينه ووطنه كما نرجو الرواج لكتابه. وهو يطلب من مكتبة النهضة المصرية بمصر

* *

الفهرس

للجزء الرابع من المجلد التاسع عشر بعد المائة